
(الجزء الخامس)
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الأثير
الجزري

(فهرسة الجزء الخامس من تاريخ الكامل للعلامة ابن الأثير)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾

﴿ فهرسة تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى الذى بهامش هذا الجزء ﴾

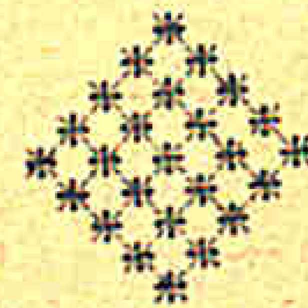
صحيفة

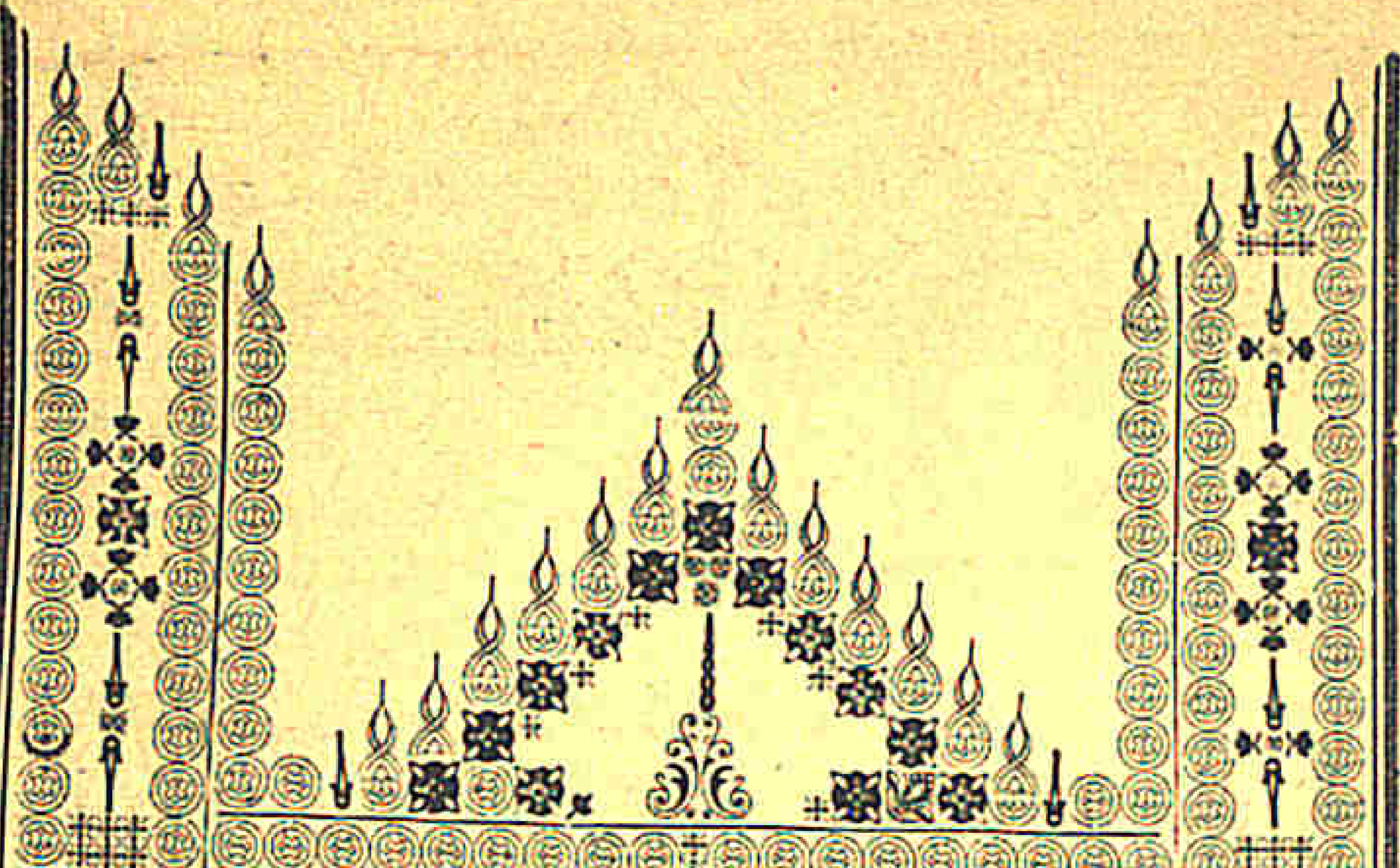
﴿ الجزء الخامس ﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين رحمه الله آمين

﴿ وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر ﴾

﴿ للامام أبى الحسن على بن الحسين المسعودى رحمه الله ﴾





﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين﴾

﴿ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر﴾

وفى هذه السنة غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى ادنى مدائن الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر فغنم وسبى سبيا فختم أعناقهم وأوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين أن ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فاعلموه انى قد حلفت انى لا انصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم واجبى خراجهم فساروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليهم دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قوما ماهم الا نساء مابقى منا احد الا انتشر ما عنده فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه اشبه بهيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا اسلاحهم ولبسوا البيض والمغافر واخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى مثل الجبال فلما دنوا ركزوا رماحهم واقبلوا مشمرين فقيل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم واخذوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لاصحابه كيف ترونهم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء فلما امسى بعث اليهم أن ابعثوا الى زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قد رأيتم عظم ملكى وانه ليس أحد يمنعكم منى وأنتم فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى وانى سائلكم عن أمر فان لم

﴿ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم﴾

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم وأن الملائكة أجسام لها أقدار وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة البارى عز وجل وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث فى هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهرا فلما رأوا

تصدقونى قتلتكم قال سل قال لم صنعتم بزيكم الاول اليوم الاول والثانى والثالث ما صنعتم قال أما زينا اليوم الاول فلباسنا فى أهلنا وأما اليوم الثانى فزينا اذا أتينا امراءنا وأما الثالث فزينا لعدونا قال ما أحسن ما دبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة أصحابه والا بعثت اليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف ان لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية فقال فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطؤه ونبعث اليه ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها فبعث اليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم اجازهم فأحسن فقدموا على قتيبة فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب فقال سوادة بن عبد الملك السلولى

لا عيب فى الوفد الذين بعثتهم * للصين أن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى * حاشى الكريم هبيرة بن مشمرج
ادى رسالتك التى استدعيته * فاتاك من حنث اليمين بمخرج

فاوفد قتيبة هبيرة الى الوليد فمات بقرية من فارس فرثاه سوادة فقال

لله در هبيرة بن مشمرج * ماذا تضمن من ندى وجمال
وبديهة تعيى بها أبناؤها * عند احتفال مشاهد الاقوال
كان الربيع اذا السنون تتابعت * والليث عند تكعكع الابطال
فسقى بقرية حيث امسى قبره * غر يرحن بمسبل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقده * وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مواسيا * فى العام ذى السنوات والامحال

ووصل الخبر الى قتيبة فى هذه الغزاة بموت الوليد وكان قتيبة اذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثنى عشر فرسا واثنى عشر هجينا فحدر الى وقت الغزو فاذا تاهب للغزو ضمرها وحمل عليها الطلائع وكان يجعل الطلائع فرسان الناس واشرافهم ومعهم من العجم من يستنصحه واذا بعث طليعة أمر بلوح فنقش ثم شقه بنصفين وجعل شقه عنده ويعطى نصفه الطليعة ويأمرهم ان يدفنوه فى موضع يصفه لهم من شجرة أو مخاضة أو غيرهما ثم يبعث بعد الطليعة من يستخرجه ليعلم اصدقت الطليعة أم لا وفيها غزا بشر بن الوليد الشاتية ورجع وقد مات الوليد

﴿ذكر موت الوليد بن عبد الملك﴾

وفى النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة مات الوليد بن عبد الملك فى قول جميعهم وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشهر وقيل تسع سنين وثمانية اشهر وقيل واحد عشر شهرا وكانت وفاته بدير مران ودفن فى خارج الباب الصغير وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان عمره اثنتين واربعين سنة وستة اشهر وقيل كان عمره خمسا واربعين سنة وقيل ستا واربعين سنة وأشهرا وقيل تسعا واربعين وخلف تسعة عشر ابنا وكان دميما يتبختر فى مشيته وكان سائل الانف جدا فقيل فيه

فقدت الوليد وأنفاله * كمثل الفصيل بدا أن يبولا

ولما دلى فى جنازته جمعت ركبتاه الى عنقه فقال ابنه اعاش أبى فقال له عمر بن عبد العزيز وكان فيمن دفنه عوجل والله أبوك واتعظ به عمر

﴿ذكر بعض سيرة الوليد﴾

الكواكب تخفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل لما يعرض فى الجو من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر على انهم اذا عظموا ما صوروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم فى سائر الاعصار لانه بيت زحل وأن زحل تولاه ولان زحل من شأنه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير حائل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألغوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر يوداسف بارض

كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام والمسجد الاقصى ووضع المنابر وأعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وفتح فى ولايته فتوحا عظاما منها الاندلس وكاشغر والهند وكان يمر بالبقال فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقل فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها وكان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع فكان الناس يلتقون فى زمانه فيسال بعضهم بعضا عن البناء وكان سليمان صاحب طعام ونكاح فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن النكاح والطعام وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن الخير ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن وكم تصوم من الشهر ومرض الوليد مرضة قبل وفاته وأغمى عليه فبقى يومه ذلك كانه ميت فبكوا عليه وسارت البرد بموته فاسترجع الحجاج وشد فى يده حبلا الى اسطوانة وقال اللهم لا تسلط على من لا رحمة له فقد طال ما سألتك ان تجعل منيتى قبله فبينما هو كذلك يدعو اذ قدم عليه البريد بافاقته ولما افاق الوليد قال ما احد أشد سرورا بعافيتى من الحجاج ثم لم يمت حتى ثقل الحجاج عليه وكان الوليد أراد ان يخلع اخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز فأبى سليمان فكتب الى عماله ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه الا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس فكتب الوليد الى سليمان يأمره بالقدوم عليه فابطأ فعزم الوليد على المسير اليه ليخلعه وأخرج خيمه فمات قبل ان يسير اليه ولما أراد ان يبنى مسجد دمشق كان فيه كنيسة فهدمها وبناها مسجدا فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا اليه ذلك فقال لهم عمر ان ما كان خارج المدينة فتح عنوة ونحن نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فانها فتحت عنوة ونبنيها مسجدا فقالوا بل ندع لكم هذا ودعوا كنيسة توما وكان الوليد لحانا لا يحسن النحو دخل عليه اعرابى فت اليه بصهر بينه وبين قرابته فقال له الوليد من ختنك بفتح النون وظن الاعرابى انه يريد الختان فقال بعض الاطباء فقال له سليمان انما يريد أمير المؤمنين من ختنك وضم النون فقال الاعرابى نعم فلان وذكر ختنه وعاتبه أبوه على ذلك وقال انه لا يلى العرب الا من يحسن كلامهم فجمع أهل النحو ودخل بيتا فلم يخرج منه ستة أشهر ثم خرج وهو اجهل منه يوم دخل فقال عبد الملك قد اعذر وقيل انه لما ولى الخلافة كان يختم القرآن فى كل ثلاث وكان يقرا فى رمضان كل يوم ختمة وخطب يوما فقال ياليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وأراحتنا منك

﴿ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك وبيعته﴾

وفى هذه السنة بويع سليمان بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه الوليد وهو بالرملة وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة لسبع بقين من رمضان واستعمل عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان عثمان قد عزم على ان يجلد ابا بكر ويحلق لحيته من الغد فلما كان الليل جاء البريد الى ابى بكر بتأميره وعزل عثمان وحده وان يقيده وفيها عزل سليمان يزيد بن أبى مسلم عن العراق واستعمل يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وامره بقتل بنى عقيل وبسط العذاب عليهم وهم اهل الحجاج فكان يعذبهم ويلى عذابهم عبد الملك بن المهلب وكان يزيد ابن المهلب قد استعمل أخاه زيادا على حرب عمان

﴿ذكر مقتل قتيبة﴾

قيل وفى هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم الباهلى بخراسان وكان سبب قتله ان الوليد بن عبد الملك أراد ان ينزع اخاه سليمان من ولاية العهد ويجعل بدله ابنه عبد العزيز فأجابه الى ذلك الحجاج

الهند وكان هند يخرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهى بلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند الى كرمان فتنبا وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه وأتى أرض فارس وذلك فى اوائل ملك طيمورث ملك فارس وقيل ذلك فى جمرسند وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد فى هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من هنالك بدو النفوس واليها يقع الصدر من هذا العالم (وجدد بوداسف) عند الناس عبادة الاصنام والسجود لها لشبه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكهم أنه أول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده أفضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون

وقتيبة على ما تقدم فلما مات الوليد وولى سليمان خافه قتيبة وخاف أن يولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان فكتب قتيبة الى سليمان كتابا يهنئه بالخلافة ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وانه له على مثل ذلك ان لم يعزله عن خراسان وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه بفتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته فى صدورهم وعظم صولته فيهم ويذم اهل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث الكتب مع رجل من باهلة فقال له ادفع الكتاب الاول اليه فان كان يزيد حاضرا فقرأه ثم القاه الى يزيد فادفع اليه هذا الثانى فان قرأه ودفعه الى يزيد فادفع اليه هذا الثالث فان قرأ الكتاب الاول ولم يدفعه الى يزيد فاحبس الكتابين الآخرين فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب فقرأه وألقاه الى يزيد فدفع اليه الكتاب الآخر فقرأه وألقاه الى يزيد فاعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغير لونه وختمه وامسك بيده وقيل كان فى الكتاب الثالث لئن لم تقرنى على ما كنت عليه وتؤمننى لاخلعنك ولاملأنها عليك رجالا وخيلا ثم أمر سليمان برسول قتيبة فانزل ثم احضره ليلا فاعطاه دنانير جائزته واعطاه عهد قتيبة على خراسان وسير معه رسولا بذلك فلما كانا بحلوان بلغهما خلع قتيبة فرجع رسول سليمان وكان قتيبة لما هم بخلع سليمان استشار اخوته فقال له اخوه عبد الرحمن اقطع بعثا فوجه فيه كل من تخافه ووجه قوما الى مرو وسر حتى تنزل سمرقند وقل ان معك من احب المقام فله المراسلة ومن اراد الانصراف فغير مستكره فلا يقيم عندك الا مناصح ولا يختلف عليك وقال له اخوه عبد الله اخلعه مكانك فلا يختلف عليك رجلان فخلع سليمان مكانه ودعا الناس الى خلعه وذكر أثره فيهم وسوء أثر من تقدمه فلم يجبه أحد فغضب وقال لا أعز الله من نصرتم والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها يا أهل السافلة ولا اقول يا أهل العالية أوباش الصدقة جمعتكم كما تجمع ابل الصدقة من كل أوب يامعشر بكر بن وائل يا اهل النفخ والكذب والبخل باى يوميكم تفخرون بيوم حربكم أو بيوم سلمكم يا اصحاب مسيلمة يابنى ذميم ولا اقول تميم يا اهل الجور والقصف كنتم تسمون الغدر فى الجاهلية مليسانا يا اصحاب سجاح يامعشر عبد القيس القساة تبدلتم بتأبير النخل أعنة الخيل يامعشر الازد تبدلتم بقلوس السفن اعنة الخيل ان هذا بدعة فى الاسلام الاعراب وما الاعراب لعنة الله عليهم يا كناسة المصرين جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم تركبون البقر والحمر فلما جمعتكم قلتم كيت وكيت اما والله انى لابن ابيه واخو اخيه والله لاعصبنكم عصب السلم ان حول الصليان لزمزمة يا اهل خراسان تغدرون من وليكم يزيد بن مروان كانى بأمير جاءكم فغلبكم على فيئكم وظلالكم ارموا غرضكم القصى حتى متى يتبطح أهل الشام بافنيتكم يا أهل خراسان انسبونى تجدونى عراقى الام والمولد والرأى والهوى والدين وقد اصبحتم فيما ترون من الامن والعافية قد فتح الله لكم البلاد وآمن سبلكم فالظعينة تخرج من مرو الى بلخ بغير جواز فاحمدوا الله على العافية واسألوه الشكر والمزيد ثم نزل فدخل بيته فاتاه أهله وقالوا ما رأيناك كاليوم قط ولاموه فقال لما تكلمت فلم يجبنى أحد غضبت فلم أدر ما قلت وغضب الناس وكرهوا خلع سليمان فأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه وكان أول من تكلم الازد فأتوا حضين بن المنذر بضاد معجمة فقالوا ان هذا قد دعا الى خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا وقد شتمنا فما ترى فقال ان مضر بخراسان كثيرة وتميم أكثرها وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الامر فى غير مضر فان أخرجتموهم منه اعانوا قتيبة فاجابوه الى ذلك وقالوا من ترى من تميم قال لا أرى غير وكيع فقال حيان النبطى مولى بنى شيبان ان أحدا يتولى

تعظيمهم الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشأ عمرو بن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى وكل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان أظهر الله الاسلام وبعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد وأنقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (وبيت ثان) معظم على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس وكانت فيه أصنام الى ان أخرجها منه بستاسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره وذلك على ثلاثة فراسخ من أصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية (والبيت الثالث) يدعى سندوساب

هذا غير وكيع ليصلي بحره ويبذل دمه ويتعرض للقتل فان قدم أميرا أخذه عاجنى فانه لا ينظر فى عاقبة وله عشيرة تطيعه وهو موتور يطلب قتيبة برياسة اذ صرفها عنه وصيرها الضرار بن حصين الضبي فمشى الناس بعضهم الى بعض سرا وقيل لقتيبة ليس يفسد أمر الناس الا حيان فاراد أن يغتاله وكان حيان يلاطف خدم الولاة فدعا قتيبة رجلا فامره بقتل حيان وسمع بعض الخدم فاتى حيان فاخبره فلما جاء رسوله يدعوه تمارض وأتى الناس وكيعا وسألوه أن يلي أمرهم ففعل وبخراسان يومئذ من اهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ومن بكر سبعة آلاف ورئيسهم حضين بن المنذر ومن تميم عشرة آلاف وعليهم ضرار بن حصين ومن عبد القيس أربعة آلاف وعليهم عبد الله بن علوان ومن الازد عشرة آلاف وعليهم عبد الله بن حوذان ومن اهل الكوفة سبعة آلاف وعليهم جهم بن زحر والموالى سبعة آلاف عليهم حيان وهو من الديلم وقيل من خراسان وانما قيل له نبطى للكنته فارسل حيان الى وكيع ان أنا كففت عنك واعنتك أتجعل لى الجانب الشرقى من نهر بلخ خراجه مادمت حيا ومادمت اميرا قال نعم فقال حيان للعجم هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم يقتل بعضهم بعضا ففعلوا فبايعوا وكيعا سرا وقيل لقتيبة ان الناس يبايعون وكيعا فدس ضرار بن سنان الضبي الى وكيع فبايعه سرا فظهر لقتيبة أمره فارسل يدعوه فوجده قد طلى رجليه بمغرة وعلق على رأسه حرزا وعنده رجلان يرقيان رجله فقال للرسول قد ترى ما برجلى فرجع فاخبر قتيبة فاعاده اليه يقول له لتأتينى محمولا قال لا استطيع فقال قتيبة لصاحب شرطته انطلق الى وكيع فأتنى به فان أبى فاضرب عنقه ووجه معه خيلا وقيل ارسل اليه شعبة بن ظهير التميمى فقال له وكيع يا ابن ظهير البث قليلا تلحق الكتائب ولبس سلاحه ونادى فى الناس فاتوه وركب فرسه خرج فتلقاه رجل فقال ممن أنت قال من بنى أسد قال ما اسمك قال ضرغامة قال ابن من قال ابن ليث فاعطاه رايته وقيل كانت مع عقبة بن شهاب المازنى وأتاه الناس ارسالا من كل وجه فتقدم بهم وهو يقول

قرم اذا حمل مكروهة * شد الشرى سيف لها والحزيم

واجتمع الى قتيبة أهل بيته وخواص اصحابه وثقاته منهم اياس بن بيهس بن عمرو وهو ابن عم قتيبة فامر قتيبة رجلا فنادى أين بنو عامر فقال له محفر بن جزء العلائى وهو قيسى أيضا وكان قتيبة قد جفاهم نادهم حيث وضعتهم قال قتيبة نادا ذكركم الله والرحم قال محفر أنت قطعتها قال نادلكم العقبى قال محفر لا اقالنا الله اذن فقال قتيبة عند ذلك

يانفس صبرا على ما كان من ألم * اذلم أجد لفضول العيش اقرانا

ودعا ببرذون له مدرب ليركبه فجعل يمنعه حتى اعيا فلما رأى ذلك عاد الى سريره فجلس عليه وقال دعوه ان هذا أمر يراد وجاء حيان النبطى فى العجم وقتيبة واجد عليه فقال عبد الله اخو قتيبة لحيان احمل عليهم فقال حيان لم يأن بعد فقال عبد الله ناولنى قوسى فقال حيان ليس هذا بيوم قوس وقال حيان لابنه اذا رأيتنى قد حولت قلنسوتى ومضيت نحو عسكر وكيع فمل بمن معك من العجم الى فلما حول حيان قلنسوته مالت الاعاجم الى عسكر وكيع وكبروا فبعث قتيبة أخاه صالحا الى الناس فرماه رجل من بنى ضبة وقيل من بلعم فاصاب رأسه فحمل الى قتيبة ورأسه مائل فوضع فى مصلاه وجلس قتيبة عنده ساعة وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن أخو قتيبة نحوهم فرماه أهل السوق والغوغاء فقتلوه وأحرق الناس موضعا كانت فيه ابل لقتيبة ودوابه ودنوا منه فقاتل عنه رجل من باهلة فقال له قتيبة انج بنفسك فقال بئس ما جزيتك اذا وقد أطعمتنى

بلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه أحجار المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من أوصاف لا يسعنا الاخبار عنها فمن أراد ان يبحث عن ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو النوبهار الذى بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك فى ذلك الصقع وتنقاد الى أمره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك وهو سمة عامة لكل سدنته ومن أجل ذلك سميت البرامكة لان خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الاخضر طول الشقة مائة ذراع فادونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير فيقال والله أعلم ان الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق ورمت به فأصيب على مسافة خمسين فرسخا وقيل أكثر من تلك المسافة وهذا يدل على زيادته فى الجو

الجردق والبستى النمرق وجاء الناس حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا اطنابه وجرح قتيبة جراحات كثيرة فقال جهم بن زحر بن قيس لسعد انزل فجز رأسه فنزل سعد فشق الفسطاط واحتز رأسه وقتل معه من أهله اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وقتل كثير ابنه وقيل قتل عبد الكريم بقزوين وكان عدة من قتل مع قتيبة من أهل بيته أحد عشر رجلا ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة نجاه اخواله وكانت أمه الغبراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة القيسية فلما قتل قتيبة صعد وكيع المنبر فقال مثلى ومثل قتيبة كما قال الاول

* من ينك العير ينك نيا كا * أراد قتيبة قتلى وأنا قتال

قد جربونى ثم جربونى * من غلوتين ومن المئين

حتى اذا شبت وشيبونى * خلوا عنانى وتنكبونى

انا أبو مطرف ثم قال

أنا ابن خندف تمنينى قبائلها * بالصالحات وعمى قيس عيلانا

ثم أخذ بلحيته فقال

شيخ اذا حمل مكروهة * شد الشرى سيف لها والحزيم

والله لاقتلن ثم لاقتلن ولاصلبن ثم لاصلبن ان مرزبانكم هذا ابن الزانية قد اغلى اسعاركم والله ليصيرن القفيز بأربعة دراهم أو لاصلبنه صلوا على نبيكم ثم نزل وطلب رأس قتيبة وخاتمه فقيل له ان الازد أخذته فخرج وكيع مشهرا وقال والله الذى لا اله الا هو لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب رأسى معه فقال له حضين اسكن يا أبا مطرف فانك تؤتى به وذهب حضين الى الازد وهو سيدهم فأمرهم بتسليم الرأس الى وكيع فسلموه اليه فسيره الى سليمان مع نفر ليس فيهم تميمى ووفى وكيع لحيان النبطى بما كان ضمن له فلما أتى سليمان برأس قتيبة ورؤس أهله كان عنده الهذيل بن زفر بن الحرث فقال له هل ساءك هذا يا هذيل فقال لو ساءنى لساء قوما كثير فقال سليمان ما أردت هذا كله وانما قال سليمان هذا للهذيل لانه هو وقتيبة من قيس عيلان ثم أمر بالرؤس فدفنت ولما قتل قتيبة قال رجل من أهل خراسان يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منا فمات لجعلناه فى تابوت فكنا نستسقى به ونستفتح به اذا غزونا وما صنع أحد بخراسان قط ما صنع قتيبة الا انه غدر وذلك ان الحجاج كتب اليه ان اختلهم واقتلهم فأبى لله وقال الاصبهبذ قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب وهما سيدا العرب فقيل له أيهما كان أعظم عندكم وأهيب فقال لو كان قتيبة بأقصى حجر فى الغرب مكبلا ويزيد معنا فى بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب فى صدورنا وأعظم من يزيد وقال الفرزدق فى ذلك

أتانى ورحلى فى المدينة وقعة * لآل تميم أقعدت كل قائم

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلى يرثى قتيبة

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر * بجيش الى جيش ولم يعل منبرا

ولم تخفق الرايات والجيش حوله * وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا

دعته المنايا فاستجاب لربه * وراح الى الجنات عفوا مطهرا

فما رزئ الاسلام بعد محمد * بمثل ابى حفص فبكيه عبهرا

وعبهرام ولد له قيل وقال شيوخ من غسان كنا بثنية العقاب اذا نحن برجل معه عصا وجراب فقلنا من أين أقبلت قال من خراسان قلنا هل كان بها من خبر قال نعم قتل بها قتيبة بن مسلم أمس

وتشييد بنيانه وكانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان أميالا لم نذكرها اذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه (قال المسعودى) وقد ذكر بعض أهل الرواية والتقييد أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته قال بوداسف أبواب الملك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية كذب بوداسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان (والبيت الخامس) بيت غمدان الذى بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه (١) على اسم الزهرة وخربه عثمان ابن عفان رضى الله عنه فهو فى وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما وقد كان الوزير على ابن موسى الجراح حين نفى الى اليمن وصار الى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه

(١) قوله وكان الضحاك بناء قال المجد وغمدان كعثمان قصر باليمن بناه يشرخ باربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا اهـ

فعجبنا لقوله فلما رأى انكارنا قال أين ترون الليلة من افريقية وتركناه ومضى فاتبعناه على خيولنا فاذاهو يسبق الطرف

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

قيل وفي هذه السنة مات قرة بن شريك القيسي أمير مصر في صفر وقيل مات سنة خمس وتسعين في الشهر الذي مات فيه الحجاج وحج بالناس هذه السنة ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو أمير المدينة وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد (بفتح الهمزة وكسر السين) وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب وعلى قضائها عبد الرحمن بن اذينة وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن ابي موسى وعلى حرب خراسان وكيع بن ابي سود وفيها مات شريح القاضي وقيل سنة سبع وتسعين وله مائة وعشرون سنة وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بكرة ومحمود بن لبيد الانصاري وله صحبة وفي ولاية الوليد مات عبد الله بن محيريز وقيل له صحبة وابو سعيد المقبري كان يسكن المقابر فنسب اليها وفيها توفي ابراهيم بن يزيد النخعي الفقيه وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وله خمس وسبعون سنة وفيها توفي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان في ايام الوليد بن عبد الملك وفيها توفي محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة وعباس بن سهل بن سعد الساعدي

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ﴾

﴿ ذكر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ﴾

وكان سبب قتله ان أباه استعمله على الاندلس كما ذكرنا عند عوده الى الشام فضبطها وسدد امورها وحمى ثغورها وافتتح في امارته مدائن بقيت بعد أبيه وكان خيرا فاضلا وتزوج امرأة رذريق فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على ان يأخذ اصحابه ورعيته بالسجود له اذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجها رذريق فقال لها ان ذلك ليس في ديننا فلم تزل به حتى امر ففتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه فكان أحدهم اذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع فرضيت به وصار كالسجود عندها فقالت له الآن لحقت بالملوك وبقي ان أعمل لك تاجا مما عندي من الذهب واللؤلؤ فأبى فلم تزل به حتى فعل فانكشف ذلك للمسلمين فقيل تنصر وفطنوا للباب فثاروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبع وتسعين وقيل ان سليمان بن عبد الملك بعث الى الجند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نصير فدخلوا عليه وهو في المحراب فصلى الصبح وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة فضربوه بالسيوف ضربة واحدة واخذوا رأسه فسيروه الى سليمان فعرضه سليمان على ابيه فتجلد للمصيبة وقال هنيأ له بالشهادة وقد قتلتموه والله صواما قواما وكانوا يعدونها من زلات سليمان وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمان وتسعين في آخرها ثم ان سليمان ولى الاندلس الحرث بن عبد الرحمن الثقفي فأقام واليا عليها الى ان استخلف عمر بن عبد العزيز فعزله هذا آخر ما أردنا ذكره من قتل عبد العزيز على سبيل الاختصار * وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عبد الله ابن موسى بن نصير عن افريقية واستعمل عليها محمد بن يزيد القرشي فلم يزل عليها حتى مات سليمان فعزل فاستعمل عمر بن عبد العزيز مكانه اسمعيل بن عبيد الله سنة مائة وكان حسن السيرة فأسلم البربر في ايامه جميعهم

﴿ ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان ﴾

كان السبب في ذلك ان سليمان بن عبد الملك لما ولى يزيد العراق فوض اليه حربها والصلاة بها

وخراجها

بئرا (ورأيت غمدان) ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه وصار جبل تراب كأنه لم يكن وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان المنازل بها وصاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت وهو المعظم في اليمن أراد أن يبني غمدان فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض لشئ من ذلك اذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سبا وأرض مأرب يؤثر في صقع هذا العالم تأثيرا عظيما وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت أخو أمية واسمه ربيعة في مدحه لسيف بن ذي يزن وقيل بل الممدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا
برأس غمدان دارا منك محلالا

وكان أبو أمية جاهليا وهو القائل في أصحاب الفيل

ان آيات ربنا بينات
مايماري بهن الا كفور
(١) غلب الفيل بالمغمس حتى
ظل يحبو كأنه مصور

(١) المغمس كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة ويرجم قاله المجد اه

وخراجها فنظر يزيد لنفسه وقال ان العراق قد أخربها الحجاج وانا اليوم رجل أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك صرت مثل الحجاج واعدت عليهم السجون وما عافاهم الله منه ومتى لم آت سليمان بمثل ما كان الحجاج أتى به لم يقبل مني فاتى يزيد سليمان وقال ادلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه قال نعم قال صالح بن عبد الرحمن مولى تميم فولاه الخراج وسيره قبل يزيد فنزل واسطا وأقبل يزيد فخرج الناس يتلقونه ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد فخرج صالح في الدراعة بين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقي يزيد وسايره فنزل يزيد وضيق عليه صالح فلم يمكنه من شئ واتخذ ألف خوان يطعم الناس عليها فاخذها صالح فقال يزيد اكتب ثمنها على واشترى يزيد متاعا وكتب صكا بثمنه الى صالح فلم يقبله وقال ليزيد ان الخراج لا يقوم بما تريد ولا يرضى بهذا أمير المؤمنين وتؤخذ به فضاحكه يزيد وقال أجز هذا المال هذه المرة ولا أعود ففعل صالح وكان سليمان لم يجعل خراسان الى يزيد فضجر يزيد من العراق لتضييق صالح عليه فدعا عبد الله ابن الاهتم فقال له اني أريدك لامر قد أهمني فاحب ان تكفينيه قال أفعل قال انا فيما ترى من الضيق وقد ضجرت منه وخراسان شاغرة برجالها فهل من حيلة قال نعم سرحني الى أمير المؤمنين قال فاكتم ما أخبرتك وكتب الى سليمان يخبره بحال العراق وأثنى على ابن الاهتم وذكر علمه بها وسير ابن الاهتم على البريد فاتى سليمان واجتمع به فقال له سليمان ان يزيد كتب الي يذكر علمك بالعراق وخراسان فكيف علمك بها قال أنا اعلم الناس بها بها ولدت وبها نشأت ولي بها وباهلها خبر وعلم قال فأشر علي برجل اوليه خراسان قال امير المؤمنين أعلم بمن يريد فان ذكر منهم احدا اخبرته برأيي فيه فسمى رجلا من قريش فقال ليس من رجال خراسان قال فعبد الملك بن المهلب قال لا يصلح فانه يصبو عن هذا فليس له مكر أبيه ولا شجاعة أخيه حتى عدد رجالا وكان آخر من ذكر وكيع بن أبي سود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم رئيس مقدام وما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يدا من وكيع لقد أدرك بثاري وشفاني من عدوي ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا والنصيحة له تلزمني ان وكيعا لم تجتمع له مائة عنان قط الا حدثته نفسه بغدرة خامل في الجماعة نابت في الفتنة قال ماهو ممن نستعين به فمن لها ويحك قال رجل أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين قال فمن هو قال لا اذكره حتى يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك وان يجيرني منه ان علم قال نعم قال يزيد بن المهلب قال العراق أحب اليه من خراسان قال ابن الاهتم قد علمت ولكن تكرهه فيستخلف على العراق ويسير قال أصبت الرأي فكتب عهد يزيد على خراسان وسيره مع ابن الاهتم فاتى يزيد به فامر بالجهاز للمسير ساعته وقدم ابنه مخلدا الى خراسان من يومه ثم سار يزيد بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي وجعل أخاه مروان بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة وكان أوثق اخوته عنده واستخلف بالكوفة حرملة بن عمير اللخمي اشهرا ثم عزله وولى بشير بن حيان النهدي وكانت قيس تزعم ان قتيبة لم يخلع فلما سار يزيد الى خراسان امره سليمان أن يسال عن قتيبة فان اقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع قيد وكيعا به ولما وصل مخلد بن يزيد مرو أخذ وكيعا فحبسه وعذبه وأخذ اصحابه وعذبهم قبل قدوم ابيه وكانت ولاية وكيع خراسان تسعة اشهر أو عشرة أشهر ثم قدم يزيد في هذه السنة خراسان فآذى اهل الشام وقوما من اهل خراسان فقال نهار بن توسعة في ذلك

وما كنا نؤمل من أمير * كما كنا نؤمل من يزيد
فاخطأ ظننا فيه وقدما * زهدنا في معاشرة الزهيد

حوله من شباب كندة فتيا
ن ملاوث في الحروب صقور
واضعا خلفه الجرار كما
قطر صخر من جانب محرور

وقيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة (والبيت السادس) كارشان شاه بناه كارش الملك بناء عجيبا على اسم المدبر الاعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من مدائن خراسان وخربه المعتصم بالله ولهدمه هذا البيت خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان (والبيت السابع) بأعالي بلاد الصين بناه ولد عابور بن بعويل بن يافث ابن نوح وأفرده للعلة الاولى اذ كان منشأ هذا الملك وبمدة وباعث الامور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة والنيرين من أنواع الجواهر المضافة الى تأثير تلك الكواكب من ياقوت أو زمرد على اختلاف ألوان الجواهر ولهم في هذا الهيكل سر يسرونه

اذا لم يعطنا نصفا أمير * مشينا نحوه مشى الاسود
فهلا يا يزيد أنب الينا * ودعنا من معاشرة العبيد
نجيب ولا ترى الاصدودا * على انا نسلم من بعيد
ونرجع خائبين بلا نوال * فما بال التجهم والصدود

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة وفيها غزا مسلمة أرض الوضاحية ففتح الحصن الذى فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة أرض الروم فى البحر فشتى فيها وفيها حج سليمان بن عبد الملك بالناس وفيها عزل داود بن طلحة الحضرمى عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولى عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات عطاء بن يسار وقيل سنة ثلاث ومائة وفيها مات موسى بن نصير الذى فتح الاندلس وكان موته بطريق مكة مع سليمان بن عبد الملك وفيها توفى قيس بن أبى حازم البجلى وقد جاوز مائة سنة وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ليسلم فرآه قد توفى وروى عن العشرة وقيل لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف وذهب عقله فى آخر عمره (حازم بالحاء المهملة والزاى المعجمة) وفيها توفى سالم بن أبى الجعد مولى أشجع واسم أبى الجعد رافع

﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين﴾

﴿ذكر محاصرة القسطنطينية﴾

فى هذه السنة سار سليمان بن عبد الملك الى دابق وجهز جيشا مع أخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير الى القسطنطينية ومات ملك الروم فاتاه أليون من أذربيجان فأخبره فضمن له فتح الروم فوجه مسلمة معه فسارا الى القسطنطينية فلما دنا منها أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية ففعلوا فلما أتاها أمر بالطعام فالقى أمثال الجبال وقال للمسلمين لا تأكلوا منه شيأ وأغيروا فى أرضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس وبقى الطعام فى الصحراء والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ومن الزرع وأقام مسلمة قاهرا للروم معه أعيان الناس خالد بن معدان ومجاهد بن جبر وعبد الله بن أبى زكرياء الخزاعى وغيرهم فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل فقالت الروم لاليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فاتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم ما دام الطعام عندك فلو احرقته اعطوا الطاعة بايديهم فامر به فأحرق فقوى الروم وأصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات سليمان وقيل انما خدع اليون مسلمة بان سأله أن يدخل من الطعام الى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا ان أمره وأمر مسلمة واحد وانهم فى أمان من السبى والخروج من بلادهم فاذن له وكان اليون قد أعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا فى تلك الحظائر الا ما لا يذكر واصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ولقى الجند ما لم يلقه جيش آخر حتى ان كان الرجل ليخاف ان يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود واصول الشجر والورق وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر ان يمدهم حتى مات وفى هذه السنة بايع سليمان لابنه أيوب بولاية العهد فمات أيوب قبل أبيه وفى هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد أغار على مسلمة بن عبد الملك وهو فى قلة فكتب الى

فى بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم فى هذا الهيكل علوم فى اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذى تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية فى هذا العالم وهو على حسب الذى نسج فيه ينصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع فجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع فى ذلك من الافعال مثالا لما ذكرنا من الكواكب العلوية وهى الاجسام السماوية فبضرب من الحركات ظهر فى العالم الطائر وبصوت آخر فرخ وكذلك سائر ما يحدث فى العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد

سليمان

سليمان يستمده فأمده فمكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا وفيها غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس فاصيب ناس من أهل انطاكية واصاب الوليد ناسا من ضواحى الروم وأسر منهم بشرا كثيرا

﴿ذكر فتح جرجان وطبرستان﴾

فى هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما واهتمامه بهما أنه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام فكان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد ألا ترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التى قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشئ الشأن هى جرجان فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار اليها فى مائة الف من أهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالى والمتطوعة ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هى جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان أهلها طائفة من الترك واقام عليها وكان أهلها يخرجون ويقاتلون فيهزمهم المسلمون فى كل ذلك فاذا انهزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل محمد بن أبى سبرة على تركى قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركى فى بيضة ابن أبى سبرة فضربه ابن ابى سبرة فقتله ورجع وسيفه يقطر دما وسيف التركى فى بيضته فنظر الناس الى أحسن منظر رأوه وخرج يزيد بعد ذلك يوما ينظر مكانا يدخل منه عليهم وكان فى أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك فى نحو أربعة آلاف فقاتلوهم ساعة وقاتل يزيد قتالا شديدا فسلموا وانصرفوا وكانوا قد عطشوا فانتهوا الى الماء فشربوا ورجع عنهم العدو ثم ان يزيد ألح عليهم فى القتال وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا فارسل صول دهقان قهستان الى يزيد يطلب منه ان يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله ليدفع اليه المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من الاموال والكنوز والسبى ما لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركى صبرا وكتب الى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى اتى جرجان وكان اهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون احيانا مائة الف وأحيانا مائتى الف واحيانا ثلثمائة الف وربما اعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد احد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان احد الا على فارس وكرمان واول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان وبقى امر جرجان كذلك حتى ولى يزيد وأتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فاجابهم الى ذلك وصالحهم فلما فتح قهستان وجرجان طمع فى طبرستان ان يفتحها فعزم على ان يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكرى على الساسان وقهستان وخلف معه أربعة آلاف ثم أقبل الى أدانى جرجان مما يلى طبرستان فاستعمل على اندرستان أسد ابن عمرو وجعله فى أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فارسل اليه الاصبهبذ صاحبها يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه اخاه ابا عيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه وأبا الجهم الكلبى من وجه وقال اذا اجتمعتم فابو عيينة على الناس فسار أبو عيينة واقام يزيد معسكرا واستجاش الاصبهبذ اهل جيلان والديلم فأتوه فالتقوا فى سفح جبل فانهزم المشركون فى الجبل فاتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخله المسلمون وصعد المشركون فى الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون فى الجبل حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف

ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع وأهل صناعة النجوم لا يتناكرون أن يقولوا أعطته الزهرة كذا وأعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر وأعطاه عطارد دقة الصنعة وأعطاه المشترى الحياء والعلم والدين وأعطته الشمس كذا وأعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه فى بابه

﴿ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين﴾

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاث بيوت فبيت منها كان بانطاكية من أرض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون فى موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين فخرب عند مجئ الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانة الملكة المظهرة لدين النصرانية هو المخرب لهذا

عدوهم عن اتباعهم وخافهم الاصبهبد فكانت أهل جرجان وقدمهم المرزبان يسألهم ان يبيتوا من عندهم من المسلمين وان يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الاسلام وبعدهم ان يكافئهم على ذلك فثاروا بالمسلمين فقتلوهم أجمعين وهم غارون فى ليلة وقتل عبد الله بن المعمر وجميع من معه فلم ينج منهم أحد وكتبوا الى الاصبهبد باخذ المضايق والطرق وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطى وقال له لا يمنعك ما كان منى اليك عن نصيحة المسلمين وقد جاءنا عن جرجان ما جاءنا فاعمل فى الصلح فقال نعم فاتى حيان الاصبهبد فقال انا رجل منكم وان كان الدين فرق بينى وبينكم فانا لكم ناصح فانت أحب الى من يزيد وقد بعث يستمد وأمداده منه قريبة وانما اصابوا منه طرفا ولست آمن ان يأتيك من لا تقوم له فارح نفسك وصالحه فان صالحته صير حده على اهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه فصالحه على سبعمائة ألف وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير وكسوة ثم رجع حيان الى يزيد فقال ابعث من يحمل صلحهم فقال من عندهم أو من عندنا قال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه ان يعطيهم ما سألوا ويرجع الى جرجان فارسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان وكان يزيد قد أغرم حيان مائتى الف درهم وسبب ذلك ان حيان كتب الى مخلد بن يزيد فبدأ بنفسه فقال له ابنه مقاتل بن حيان تكتب الى مخلد وتبدأ بنفسك قال نعم وان لم يرض انى مالقى قتيبة فبعث مخلد الكتاب الى ابيه يزيد فاغرمه مائتى ألف درهم وقيل ان سبب مسير يزيد الى جرجان آن صولا التركى كان ينزل قهستان والبحيرة وهى جزيرة فى البحر بينها وبين قهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلى خوارزم وكان يغير على فيروز قول مرزبان جرجان فيصيب من بلاده فخافه فيروز فسار الى يزيد بخراسان وقدم عليه فسأله عن سبب قدومه فقال خفت صولا فهربت منه وأخذ صول جرجان فقال يزيد لفيروز هل من حيلة لقتاله قال نعم شئ واحد ان ظفرت به قتلته وأعطى بيده قال ماهو قال تكتب الى الاصبهبد كتابا تسأله فيه ان يحتال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلا فانه يبعث كتابك الى صول يتقرب اليه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة وان تحول عن جرجان وحاصرته ظفرت به ففعل يزيد ذلك وضمن للاصبهبد خمسين ألف دينار ان هو حبس صولا عن البحيرة ليحاصره بجرجان فارسل الاصبهبد الكتاب الى صول فلما أتاه الكتاب رحل الى البحيرة ليتحصن بها وبلغ يزيد مسيره فخرج الى جرجان ومعه فيروز واستعمل على خراسان ابنه مخلدا وعلى سمرقند وكش ونسف وبخارا ابنه معاوية وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب واقبل حتى اتى جرجان فدخلها ولم يمنعه منها احد وسار منها الى البحيرة فحصر صولا بها فكان يخرج اليه صول فيقاتله ثم يرجع فمكثوا بذلك ستة أشهر فاصابهم مرض وموت فارسل صول يطلب الصلح على نفسه وماله وثلثمائة من اهله وخاصته ويسلم اليه البحيرة فاجابه يزيد فخرج بماله وثلثمائة ممن احب وقتل يزيد من الاتراك أربعة عشر ألفا صبرا واطلق الباقين وطلب الجند ارزاقهم فقال لادريس ابن حنظلة العمى أحص لنا ما فى البحيرة حتى نعطى الجند فدخلها ادريس فلم يقدر على احصاء ما فيها فقال ليزيد لا أستطيع ذلك وهو فى ظروف فتحصى الجوالق ويعلم ما فيها ويعطى الجند فمن أخذ شيأ عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والارز والسمسم والعسل ففعلوا ذلك وأخذوا شيأ كثيرا وكان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا اليه أنه أخذ خريطة فسأله يزيد

البيت وكانت فيه الاصنام والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم ان الذى بناه سقلانيوس وهو فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحرانى حين وافى المعتضد فى سنة تسع وثمانين ومائتين فى طلب وصيف الخادم بن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شانه ما وصفنا (والبيت الثانى) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التى ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على مازعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذى بناه الضحاك وأنه سيكون له فى المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا

عنها فاتاه بها فاعطاها شهرا فقال بعضهم

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

وقال مرة الحنفى

يا ابن المهلب ما اردت الى امرئ * لولاك كان كصالح القراء

واصاب يزيد بجرجان تاجا فيه جوهر فقال اترون احدا يزهد فى هذا قالوا لا فدعا محمد بن واسع الازدى فقال خذ هذا التاج قال لا حاجة لى فيه قال عزمت عليك فاخذه فامر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به فلقى سائلا فدفعه اليه فاخذ الرجل السائل وأتى به يزيد فاخبره فاخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

﴿ذكر فتح جرجان الفتح الثانى﴾

قد ذكرنا فتح جرجان وقهستان وغدر أهل جرجان فلما صالح يزيد اصبهبد طبرستان سار الى جرجان وعاهد الله تعالى لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بدمائهم ويأكل من ذلك الطحين فاتاها وحصر أهلها بحصن بجاة ومن يكون بها لا يحتاج الى عدة من طعام وشراب فحصرهم يزيد فيها سبعة أشهر وهم يخرجون اليه فى الايام فيقاتلونه ويرجعون فبيناهم على ذلك اذ خرج رجل من عجم خراسان يتصيد وقيل رجل من طيئ فابصر وعلا فى الجبل فتبعه ولم يشعر حتى هجم على عسكرهم فرجع كانه يريد أصحابه وجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات فاتى يزيد فاخبره فضمن له يزيد دية ان دلهم على الحصن فانتخب معه ثلثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال له ان غلبت على الحياة فلا تغلبن عن الموت واياك ان أراك عندى مهزوما وضم اليه جهم ابن زحر وقال للرجل متى تصلون قال غدا العصر قال يزيد تناجد على مناهضتهم عند الظهر فساروا فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب كان عندهم فصار مثل الجبال من النيران فنظر العدو الى النيران فهالهم ذلك فخرجوا اليهم وتقدم يزيد اليهم فاقتتلوا وهجم أصحاب يزيد الذين ساروا على عسكر الترك قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه فما شعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فاعطوا بايديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ويساره وقاد منهم اثنى عشر ألفا الى وادى جرجان وقال من طلبهم بثار فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الاربعة والخمسة وأجرى الماء على الدم وعليه ارحاء ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز وأكل وقيل قتل منهم أربعين ألفا وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفى وقيل بل قال يزيد لاصحابه لما ساروا اذا وصلتم الى الحصن فانتظروا فاذا كان السحر كبروا واقصدوا الباب فستجدونى قد نهضت بالناس اليه فلما دخل ابن زحر امهل حتى كانت الساعة التى أمره يزيد ان ينهض فيها فكبر ففزع أهل الحصن وكان أصحاب يزيد لا يلقون أحدا الا قتلوه ودهش الترك فبقوا لا يدرون أين يتوجهون وسمع يزيد التكبير فسار فى الناس الى الباب فلم يجد عنده أحدا يمنع وهم مشغولون بالمسلمين فدخل الحصن من ساعته وأخرج من فيه وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعة فراسخ وسبى أهلها وغنم ما فيها وكتب الى سليمان بالفتح يعظمه ويخبره انه قد حصل عنده من الخمس ستمائة ألف ألف فقال له كاتبه المغيرة بن أبى قرة مولى بنى سدوس لا تكتب تسمية المال فانك من ذلك بين أمرين اما استكثره فامرك بحمله واما سمحت نفسه لك به فاعطاكه فتكلف الهدية فلا

من العدد واقاصيص تدعيها المجوس فى هذا المعنى واختلاط طويل ننزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولى التوفيق

﴿ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم﴾

البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور النصرانية بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنه وهى تونس وراء بلاد القيروان وهى من أرض الافرنجة وبنى على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثانى بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم بمقدونية وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

﴿ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة﴾

كانت فى ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم فى هذا الجبل الذى ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر فى كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك

يأتيه من قبلك شيء الا استقله فكأني بك قد استغرقت ما جمعت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذي سميت مخلدا في دواوينهم فان ولي وال بعده أخذك به وان ولي من يتحامل عليك لم يرض باضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما احببت نهو أسلم فلم يقبل منه وامضى الكتاب وقيل كان المبلغ أربعة آلاف ألف

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهده وفيها افتتحت مدينة الصقالبة وقيل غير ذلك وقد تقدم وفيها غزا داود بن سليمان أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية وفيها كانت الزلازل في الدنيا كثيرة ودامت ستة أشهر وفيها مات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبو عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف ويعرف بمولى ابن أزهر وعبد الرحمن بن زيد بن حارثة الانصاري وسعيد بن مرجانة مولى قريش وهي أمه واسم أبيه عبد الله وحج بالناس عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو أمير على مكة وكان العمال من تقدم ذكرهم الا البصرة فان يزيد استعمل عليها سفيان بن عبد الله الكندي

❁(ثم دخلت سنة تسع وتسعين)❁

❁(ذكر موت سليمان بن عبد الملك)❁

في هذه السنة توفي سليمان بن عبد الملك بن مروان لعشر بقين من صفر فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقيل توفي فيها لعشر مضين من صفر فتكون ولايته سنتين وثمانية أشهر الا خمسة أيام وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان الناس يقولون سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج وولي سليمان فأطلق الاسرى وأخلى السجون واحسن الى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز وكان موته بدابق من أرض قنسرين لبس يوما عمامة خضراء وحلة خضراء ونظر في المرآة فقال انا الملك الفتى فما عاش جمعة ونظرت اليه جارية فقال ما تنظرين فقالت

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب * كان في الناس غير أنك فان

قيل وشهد سليمان جنازة بدابق فدفنت في حقل فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة ويقول ما أحسن هذه وأطيبها فما أتى عليه جمعة حتى دفن الى جنب القبر قيل حج سليمان وحج الشعراء فلما كان بالمدينة قافلا تلقوه بنحو أربعمائة أسير من الروم فقعد سليمان وأقربهم منه مجلسا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقدم بطريقهم فقال يا عبد الله اضرب عنقه فأخذ سيفا من حرسي فضربه فابان الرأس وأطن الساعد وبعض الغل ودفع البقية الى الوجوه يقتلونهم ودفع الى جرير رجلا منهم فاعطاه بنو عبس سيفا جيدا فضربه فابان رأسه ودفع الى الفرزدق أسيرا فاعطوه سيفا رديئا لا يقطع فضرب به الاسير ضربات فلم يصنع شيأ فضحك سليمان والقوم وشمتت به بنو عبس اخوال سليمان فالقى السيف وأنشأ يقول

وان يك سيف خان أو قدر أتى * بتأخير نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

ورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ضرب خالد بن جعفر بن كلاب وخالد قد اكب على زهير وضربه بالسيف فصرعه فاقبل ورقاء فضرب خالدا ضربات فلم يصنع شيأ فقال ورقاء بن زهير

الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها عظام الموتى من النواويس وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل وتحت الاخرى غرابيب سود من صور الغداف (١) وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بني باحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرد الاخضر في وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرد أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا

(١) الغداف كغراب غراب القيظ والنسر الكثير الريش جمعه غدفان اهـ قاله المجد

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر

❁(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز)❁

في هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز وسبب ذلك ان سليمان بن عبد الملك كان بدابق ومرض على ما وصفنا فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ فقال له رجاء بن حيوة ما تصنع يا أمير المؤمنين ان مما يحفظ الخليفة في قبره ان يستخلف على الناس الرجل الصالح فقال سليمان أنا استخير الله وأنظر ولم أعزم فمكث سليمان يوما أو يومين ثم خرقه ودعا رجاء فقال ما ترى في ولدي داود فقال رجاء هو غائب عند القسطنطينية ولا تدري أحي ام لا قال فمن ترى قال رجاء رأيك قال فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز قال رجاء فقلت أعلمه والله خيرا فاضلا سليما قال سليمان هو على ذلك ولئن وليته ولم أول احدا سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبدا يلي عليهم الا ان يجعل أحدهم بعده وكان عبد الملك قد عهد الى الوليد وسليمان ان يجعلا أخاهما يزيد ولي عهد فامر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر وكان يزيد غائبا في الموسم قال رجاء قلت رأيك فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز اني قد وليتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب ثم ارسل الى كعب بن جابر العبسي صاحب شرطته فقال ادع اهل بيتي فجمعهم كعب ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم اذهب بكتابي اليهم واخبرهم بكتابي ومرهم فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فقالوا ندخل ونسلم على أمير المؤمنين قال نعم فدخلوا فقال لهم سليمان في هذا الكتاب الذي في يد رجاء بن حيوة عهدي فاسمعوا وأطيعوا لمن سميت فيه فبايعوه رجلا رجلا وتفرقوا قال رجاء فأتاني عمر بن عبد العزيز فقال اخشى ان يكون هذا أسند الى شيأ من هذا الامر فانشدك الله وحرمتي ومودتي الا أعلمتني ان كان ذلك حتى استعفيه الآن قبل ان تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك قال رجاء ما أنا بمخبرك قال فذهب عمر عني غضبان قال رجاء ولقيني هشام بن عبد الملك فقال ان لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر فاعلمني بهذا الامر فان كان الى غيري تكلمت ولله علي ان لا أذكر شيأ من ذلك أبدا قال رجاء فأبيت ان أخبره حرفا فانصرف هشام وهو يضرب باحدى يديه على الاخرى ويقول فالى من اذ نحيت عني أتخرج من بني عبد الملك قال رجاء ودخلت على سليمان فاذا هو يموت فجعلت اذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته الى القبلة فيقول حين يفيق لم يأن بعد ففعلت ذلك مرتين او ثلاثا فلما كانت الثالثة قال من الآن يا رجاء ان كنت تريد شيأ أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فحرفته فمات فلما غمضته وسجيته واغلقت الباب ارسلت الى زوجته فقالت كيف أصبح فقلت هو نائم قد تغطى ونظر اليه الرسول متغطيا فرجع فأخبرها فظنت انه نائم قال فاجلست على الباب من اثق به وأوصيته ان لا يبرح ولا يترك أحدا يدخل على الخليفة قال فخرجت فأرسلت الى كعب بن جابر فجمع أهل بيت سليمان فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت بايعوا فقالوا قد بايعنا مرة قلت وأخرى هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا الثانية فلما بايعوا بعد موته رأيت اني قد أحكمت الامر فقلت قوموا الى صاحبكم فقد مات قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقرأت الكتاب فلما نهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام لا نبايعه والله أبدا قلت أضرب

البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بارض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والمخاريق المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولي التوفيق

❁(ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة للصابئة وغيرها مما الحق بهذا الباب)❁

للصابئة من الحرانيين هياكل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك) هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدري أشاروا الى العقل الاول أم الثاني وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاول الفعال والعقل الثاني وذكر ذلك معيطوس في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثاني الاسكندر الافروديسي في مقالة أفردها في ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين

والله عنقك قم فبايع فقام يجر رجليه قال رجاء فأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فاجلسته على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه وهشام يسترجع لما اخطأه فبايعوه وغسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودفن فلما دفن أتى عمر بمراكب الخلافة ولكل دابة سائس فقال ماهذا فقيل مراكب الخلافة قال دابتي اوفق لي وركب دابته وصرفت تلك الدواب ثم أقبل سائرا فقيل له امنزل الخلافة فقال فيه عيال أبي أيوب يعني سليمان وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا فاقام في منزله حتى فرغوه قال رجاء فأعجبني ماصنع في الدواب ومنزل سليمان ثم دعا كاتبا فاملى عليه كتابا واحدا وأمره ان ينسخه ويسيره الى كل بلد وبلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائبا موت سليمان ولم يعلم ببيعة عمر فعقد لواء ودعا الى نفسه فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان فاقبل حتى دخل عليه فقال له عمر بلغني انك بايعت من قبلك واردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك وذلك انه بلغني ان سليمان لم يكن عهد لاحد فخفت على الاموال ان تنهب فقال عمر لو بايعت وقمت بالامر لم أنازعك فيه ولقعدت في بيتي فقال عبد العزيز ما أحب انه ولى هذا الامر غيرك وبايعه وكان يرجى لسليمان بتوليته عمر ابن عبد العزيز وترك ولده فلما استقرت البيعة لعمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك ان اردت صحبتي فردي مامعك من مال وحلي وجوهر الى بيت مال المسلمين فانه لهم واني لا اجتمع أنا وانت وهو في بيت واحد فردته جميعه فلما توفي عمر وولي اخوها يزيد رده عليها وقال انا أعلم ان عمر ظلمك قالت كلا والله وامتنعت من أخذه وقالت ما كنت اطيعه حيا وأعصيه ميتا فأخذه يزيد وفرقه على أهله

﴿ذكر ترك سب امير المؤمنين على عليه السلام﴾

كان بنو أمية يسبون امير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام الى ان ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال في الآفاق بتركه وكان سبب محبته عليا انه قال كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك فأتيته يوما وهو يصلي فاطال الصلاة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ من صلاته التفت الي فقال لي متى علمت ان الله غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم قلت لم أسمع ذلك قال فما الذي بلغني عنك في علي فقلت معذرة الى الله واليك وتركت ما كنت عليه وكان أبي اذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج فقلت ياأبت انك تمضي في خطبتك فاذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيرا قال اوفطنت لذلك قلت نعم فقال يابني ان الذين حولنا لو يعلمون من علي مانعلم تفرقوا عنا الى اولاده فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا مايرتكب هذا الامر العظيم لاجله فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فحل هذا الفعل عند الناس محلا حسنا وأكثروا مدحه بسببه فمن ذلك قول كثير عزة

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وانما * تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذي قلت بالذي * فعلت فاضحى راضيا كل مسلم
ألا انما يكفي الفتى بعد زيغه * من الاود البادي ثقاف المقوم

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر افلحنا اذا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبد العزيز الى مسلمة وهو بأرض الروم يامره بالقفول منها بمن معه

(ومن هياكل الصابئة) هيكل السنبلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشتري مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل في جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبطاط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذي بقي) من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم بمدينة حران في باب الرقة يعرف بمصلينا وهو هيكل آزر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام عندهم وللقوم في آزر وابنه ابراهيم كلام كثير ليس في كتابنا هذا ولابن عيسون الحراني القاضي وكان ذا فهم ومعرفة وتوفي بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب

من المسلمين ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم وفيها اغارت الترك على اذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة فوجه عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك ولم يفلت منهم الا اليسير وقدم على عمر منهم بخمسين اسيرا وفيها عزل يزيد بن المهلب عن العراق ووجه الى البصرة عدي بن ارطاة الفزاري وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي وضم اليه ابا الزناد وكان كاتبه وبعث عدي في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميري وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل المدينة وكان العامل على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد وعلى الكوفة عبد الحميد وعلى القضاء بها عامر الشعبي وكان على البصرة عدي بن ارطاة وعلى القضاء الحسن بن أبي الحسن البصري ثم استعفى عديا فاعفاه واستقضى اياس بن معاوية وقيل بل شكا الحسن فعزله عدي واستقضى اياسا واستعمل عمر بن عبد العزيز على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي وفي هذه السنة مات نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بالمدينة ومحمود بن الربيع ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو ظبيان بن حصين بن جندب الجنبي والدقابوس (ظبيان بالظاء المعجمة) وفيها توفي أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب من سم سقيه عند عوده من الشام وضع عليه سليمان بن عبد الملك من سقاه فلما احس بذلك عاد الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو بالحميمة فعرفه حاله واعلمه ان الخلافة صائرة الى ولده واعلمه كيف يصنع ثم مات عنده وفي أيام سليمان توفي عبيد الله ابن سريج المغني المشهور وعبد الرحمن بن كعب بن مالك أبو الخطاب

(ثم دخلت سنة مائة)

﴿ذكر خروج شوذب الخارجي﴾

في هذه السنة خرج شوذب واسمه بسطام من بني يشكر في جوخي وكان في ثمانين رجلا فكتب عمر ابن عبد العزيز الى عبد الحميد عامله بالكوفة ان لايحركهم حتى يسفكوا دما ويفسدوا في الارض فان فعلوا وجه اليهم رجلا صليبا حازما في جند فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في الفين وامره بما كتب به عمر وكتب عمر الى بسطام يسأله عن مخرجه فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير فقام بازائه لايتحرك فكان في كتاب عمر بلغني انك خرجت غضبا لله ولرسوله ولست اولى بذلك مني فهلم الي اناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في أمرك فكتب بسطام الى عمر قد انصفت وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك وارسل الى عمر مولى لبني شيبان حبشيا اسمه عاصم ورجلا من بني يشكر فقدما على عمر بخناصرة فدخلا اليه فقال لهما ما أخرجكما هذا المخرج وما الذي نقمتم فقال عاصم مانقمنا سيرتك انك لتتحرى العدل والاحسان فاخبرنا عن قيامك بهذا الامر أعن رضا من الناس ومشورة ام ابتززتم أمرهم فقال عمر ماسألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم عليها وعهد الى رجل كان قبلي فقمت ولم ينكره علي أحد ولم يكرهه غيركم وأنتم ترون الرضا بكل من عدل وانصف من كان من الناس فاتركوني ذلك الرجل فان خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم فقالا بيننا وبينك أمر واحد قال ماهو قالا رأيناك خالفت اعمال اهل بيتك وسميتها مظالم فان كنت على هدى وهم على الضلالة فالعنهم وابرأ منهم فقال عمر قد علمت انكم لم تخرجوا طلبا للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها ان الله عز وجل لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعانا وقال ابراهيم فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقال الله عز وجل أولئك الذين

الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وماتحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التي جعلت مثالا للاجسام السماوية وما يرتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام ومايحدث ذلك في الوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها لما يسمعون ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات في تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بانواع من الكلام فتجري الاصوات في تلك المنافخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ماقد عمل في قديم الزمان فيصطادون به العقول وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك ومما ذكر في هذه القصيدة قوله

ان نفيس العجائب
بيت لهم في سرادب

هدى الله فبهداهم اقتده وقد سميت أعمالهم ظلما وكفى بذلك ذما ونقصا وليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بد منها فان قلتم انها فريضة فاخبرني متى لعنت فرعون قال ماأذكر متى لعنته قال افيسعك ان لا تلعن فرعون وهو اخبث الخلق واشرهم ولا يسعني ان لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون قال أماهم كفار بظلمهم قال لا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى الايمان فكان من اقر به وبشرائعه قبل منه فان احدث حدثا أقيم عليه الحد فقال الخارجي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى توحيد الله والاقرار بما نزل من عنده قال عمر فليس أحد منهم يقول لا أعمل بسنة رسول الله ولكن القوم اسرفوا على انفسهم على علم منهم انه محرم عليهم ولكن غلب عليهم الشقاء قال عاصم فابرأ مما خالف عملك ورد أحكامهم قال عمر أخبرني عن أبي بكر وعمر أليسا على حق قال بلى قال أتعلمان ان أبا بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم وسبى الذراري وأخذ الاموال قالا بلى قال أتعلمون ان عمر رد السبايا بعده الى عشائرهم بفدية قالا نعم قال فهل برئ عمر من أبي بكر قالا لا قال أفتبرؤن أنتم من واحد منهما قالا لا قال فاخبراني عن أهل النهروان وهم اسلافكم هل تعلمان ان أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دما ولم يأخذوا مالا وان من خرج اليهم من أهل البصرة قتلوا عبد الله بن خباب وجاريته وهي حامل قالا نعم قال فهل برئ من لم يقتل ممن قتل واستعرض قالا لا قال أفتبرؤن أنتم من أحد من الطائفتين قالا لا قال أفيسعكم ان تتولوا ابا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف اعمالهم ولا يسعني الا البراءة من أهل بيتي والدين واحد فاتقوا الله فانكم جهال تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتردون عليهم ما قبل ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده فانكم يخاف عندكم من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكان من فعل ذلك عند رسول الله آمنا وحقن دمه وماله وانتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر أهل الاديان فتحرمون دماءهم واموالهم فقال اليشكري أرأيت رجلا ولي قوما واموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده الى رجل غير مأمون أتراه ادى الحق الذي يلزمه لله عز وجل أو تراه قد سلم قال عمر لا قال افتسلم هذا الامر الى يزيد من بعدك وانت تعرف انه لا يقوم فيه بالحق قال انما ولاه غيري والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي قال أفترى ذلك من صنع من ولاه حقا فبكى عمر وقال أنظراني ثلاثا فخرجا من عنده ثم عادا اليه فقال عاصم اشهد انك على حق فقال عمر لليشكري ما تقول أنت قال ما احسن ما وصفت ولكني لا افتات على المسلمين بامر اعرض عليهم ما قلت واعلم ما حجتهم فاما عاصم فأقام عند عمر فأمر له عمر بالعطاء فتوفي بعد خمسة عشر يوما فكان عمر بن عبد العزيز يقول اهلكني أمر يزيد وخصمت فيه فاستغفر الله فخاف بنو أمية ان يخرج ما بايديهم من الاموال وان يخلع يزيد من ولاية العهد فوضعوا على عمر من سقاه سما فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى مرض ومات ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض اليهم ولا يتعرضون اليه كل منهم ينتظر عود الرسل من عند عمر ابن عبد العزيز فتوفي والامر على ذلك

(ذكر القبض على يزيد بن المهلب واستعمال الجراح على خراسان)

قيل وفي هذه السنة كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة يأمره بانفاذ يزيد بن المهلب اليه موثقا وكان عمر قد كتب اليه ان يستخلف على عمله ويقبل اليه فاستخلف مخلدا ابنه وقدم من خراسان ونزل واسطا ثم ركب السفن يريد البصرة فبعث عدي بن ارطاة موسى بن الوجيه الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر فأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز فدعا به عمر وكان

تعبد فيه الكواكب اصنامهم خلف غائب وهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة الا انهم من حشوية الفلاسفة وعوامهم مضافون لخواص حكمائهم اضافة نسب لا اضافة حكمة لانهم يونانية وليس كل اليونانيين فلاسفة انما الفلاسفة حكماؤهم (ورأيت) على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوبا بالسريانية قولا لافلاطون فسره مالك بن عقنون منهم وهو من عرف ذاته تأله وقد قال أفلاطون الانسان نبات سماوي والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها الى السماء وفروعها في الارض ولافلاطون كلام كثير في هل النفس في البدن أو البدن في النفس كالشمس أهي في الدار أو الدار في الشمس وهذا قول تغلغل بنا الكلام فيه كالكلام في تنقل الارواح في أنواع الصور (وقد تنازع) أهل هذه الآراء ممن قصد هذه المقالة في النقلة على وجهين وطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا نبيا مرسلا منهم افلاطون

يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد يبغض عمر ويقول انه مرائي فلما ولي عمر عرف يزيد انه بعيد من الرياء ولما دعا عمر يزيد سأله عن الاموال التي كتب بها الى سليمان فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت ان سليمان لم يكن ليأخذني به فقال له لا أجد في أمرك الا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها وحبسه بحصن حلب وبعث الجراح ابن عبد الله الحكمي فسرحه الى خراسان أميرا عليها وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس ففرق أموالا عظيمة ثم قدم على عمر فقال له يا أمير المؤمنين ان الله منع هذه الامة بولايتك وقد ابتلينا بك فلا نكن نحن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ أنا أتحمل ما عليه فصالحني على ما تسأل فقال عمر لا الا ان تحمل الجميع فقال يا أمير المؤمنين ان كانت لك بينة فخذ بها والا فصدق مقالة يزيد واستحلفه فان لم يفعل فصالحه فقال عمر ما آخذه الا بجميع المال فخرج مخلد من عنده فقال عمر هذا خير من أبيه ثم لم يلبث مخلد الا قليلا حتى مات فصلى عليه عمر ابن عبد العزيز وقال اليوم مات فتى العرب وأنشد

بكوا حذيفة لم يبكوا مثله * حتى تبيد خلائق لم تخلق

فلما أبى يزيد ان يؤدي الى عمر شيئا ألبسه جبة صوف وحمله على جمل وقال سيروا به الى دهلك فلما خرج ومروا به على الناس اخذ يقول أمالي عشيرة انما يذهب الى دهلك الفاسق واللص فدخل سلامة بن نعيم الخولاني على عمر فقال يا أمير المؤمنين اردد يزيد الى محبسه فاني اخاف ان امضيته ان ينتزعه قومه فانهم قد غضبوا له فرده الى محبسه فبقي فيه حتى بلغه مرض عمر

(ذكر عزل الجراح واستعمال عبد الرحمن بن نعيم القشيري وعبد الرحمن بن عبد الله)

قيل في هذه السنة عزل عمر الجراح بن عبد الله الحكمي عن خراسان واستعمل عليها عبد الرحمن ابن نعيم القشيري وكان عزل الجراح في رمضان وكان سبب ذلك ان يزيد لما عزل عن خراسان ارسل عامل العراق عاملا على جرجان فاخذه جهم بن زحر الجعفي وكان على جرجان عاملا ليزيد بن المهلب فحبسه وقيده وحبس رهطا قدموا معه ثم خرج الى الجراح بخراسان فاطلق أهل جرجان عاملهم وقال الجراح لجهم لولا انك ابن عمي لم اسوغك هذا فقال جهم لولا انك ابن عمي لما أمنتك وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي الحصين بن الحرث واما كونه ابن عمه فلان الحكم وجعفة ابنا سعد العشيرة فقال له الجراح خالفت امامك فاغز لعلك تظفر فيصلح أمرك عنده فوجهه الى الختل فغنم منهم ورجع وأوفد الجراح الى عمر وفدا رجلين من العرب ورجلا من الموالي يكنى أبا الصيد فتكلم العربيان والمولى ساكت فقال عمر ما أنت من الوفد قال بلى قال فما منعك من الكلام فقال يا أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من الذمة يؤخذون بالخراج فأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول أتيتكم حفيا وانا اليوم عصبي والله لرجل من قومي احب الي من مائة من غيرهم وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان قال عمر احر بمثلك ان يوفد فكتب عمر الى الجراح انظر من صلى قبلك فضع عنه الجزية فسارع الناس الى الاسلام فقيل للجراح ان الناس قد سارعوا الى الاسلام نفورا من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك الى عمر فكتب عمر اليه ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه خاتنا وقال ائتوني برجل صدوق اسأله عن خراسان فقيل له عليك بأبي مجلز فكتب الى الجراح ان اقبل واحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم

ومن يعم طريقهم فانه حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم وانها حية عالمة مميزة لاجل ذاتها وجوهرها وانها هي المدبرة للاجسام المركبة من طبائع الارض المتضادة وغرضها في ذلك أن تقيم امقام العدل وما تتم به السياسة المستقيمة والنظام غير المفسد وتردها من الحركة المضطر به الى المنتظمة (وزعموا) أنها تلذ وتألم وتموت وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد بتدبيرو بطلان ذلك التنخص الذي فسد ووصف بالموت لان تنخصها يفسد ولان جوهرها ينتقل (وزعموا) أنها عالمة بذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره في هذه المعاني كلام يطول ذكره ويعجز عن وصفه واظهاره لاعتياصه وغموضه وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتأخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء والاحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة الالفاظ

القشيرى فخطب الجراح وقال يا أهل خراسان جئتكم فى ثيابى هذه التى على وعلى فرسى لم أصب من مالكم الا حلية سيفى ولم يكن عنده الا فرس وبغلة فسار عنهم فلما قدم على عمر قال متى خرجت قال فى شهر رمضان قال صدق من وصفك بالجفاء هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج وكان الجراح كتب الى عمر انى قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة فاحب الامور اليهم ان يعودوا لمنعوا حق الله عليهم فليس يكفهم الا السيف والسوط فكرهت الاقدام على ذلك الا باذنك فكتب اليه عمر يا ابن أم الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم لا تضرب مؤمنا معاهدا سوطا الا فى الحق واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم المغنى وهو خائنة الاعين وما تخفى الصدور وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فلما قدم الجراح على عمر وقدم أبو مجلز قال له عمر أخبرنى عن عبد الرحمن بن عبد الله فقال يكافئ الا كفاء ويعادى الاعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم ان وجد من يساعده قال فعبد الرحمن بن نعيم قال يحب العافية والتأنى قال هو أحب الى فولاه الصلاة والحرب وولى عبد الرحمن القشيرى الخراج وكتب الى أهل خراسان انى استعملت عبد الرحمن وعبد الرحمن على حربكم وعلى خراجكم وكتب اليهما يأمرهما بالمعروف والاحسان فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ووجه مسلمة بن عبد العزيز الحرث بن الحكم فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف

﴿ذكر ابتداء الدعوة العباسية﴾

فى هذه السنة وجه محمد بن على بن عبد الله بن عباس الدعاة فى الآفاق وكان سبب ذلك ان محمدا كان ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام فسار أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الى الشام الى سليمان بن عبد الملك فاجتمع به محمد بن على فاحسن صحبته واجتمع أبو هاشم بسليمان فاكرمه وقضى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه وخافه فوضع عليه من وقف على طريقه فسمه فى لبن فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد الحميمة من أرض الشراة وبها محمد فنزل عليه واعلمه ان هذا الامر صائر الى ولده وعرفه ما يعمل وكان أبو هاشم قد اعلم شيعته من أهل خراسان والعراق عند ترددهم اليه ان الامر صائر الى ولد محمد بن على وأمرهم بقصده بعده فلما مات أبو هاشم قصدوا محمدا وبايعوه وعادوا فدعوا الناس اليه فاجابوهم وكان الذين سيرهم الى الآفاق جماعة فوجه ميسرة الى العراق ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة الى خراسان وعليها الجراح الحكمى وأمرهم بالدعاء اليه والى أهل بيته فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم الى محمد بن على فدفعوها الى ميسرة فبعث بها ميسرة الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس فاختار أبو محمد الصادق لمحمد بن على اثنى عشر رجلا نقباء منهم سليمان بن كثير الخزاعى ولاهز بن قريظ التميمى وقحطبة بن شبيب الطائى وموسى بن كعب التميمى وخالد بن ابراهيم أبو داود من بنى شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمى وعمران بن اسمعيل أبو النجم مولى آل أبى معيط ومالك بن الهيثم الخزاعى وطلحة بن زريق الخزاعى وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة وشبل بن طهمان أبو على الهروى مولى لبنى حنيفة وعيسى بن اعين مولى خزاعة واختار سبعين رجلا وكتب اليهم محمد بن على كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها (الحميمة بضم الحاء المهملة والشراة بالشين المعجمة)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقفول عنها الى ملطية وطرندة واغلة فى البلاد

الجنس وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهى عشرة الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهى النسبة وهذه أربع بسائط والست الاخر مركبات وهى الزمان والمكان والجدة وهى الملك والوضع والفاعل والمنفعل ثم ما بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى أن ينتهى الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى (ثم رجع) بنا الاخبار عن مذاهب الصابئة من الحرانيين وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم (فمن ذلك) كتاب رأيته لابى بكر محمد بن زكريا الرازى والفيلسوف صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكيماريون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها اذ كان فى ذلك خروج عن حد الغرض فى كتابنا الى وصف الآراء والديانات

الرومية من ملطية بثلاث مراحل وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد ان غزاها سنة ثلاث وثمانين وملطية يومئذ خراب وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم الى ان ينزل الثلج ويعودون الى بلادهم فلم يزالوا كذلك الى ان ولى عمر فأمرهم بالعود الى ملطية واخلى طرندة خوفا على المسلمين من العدو وأخرب طرندة واستعمل على ملطية جعونة بن الحرث احد بنى عامر بن صعصعة وفيها كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام على ان يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وقد كانت سيرته بلغتهم فاسلم جيشبة بن داهر والملوك تسموا له باسماء العرب وكان عمر قد استعمل على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة بن مسلم فغزا بعض الهند فظفر وبقى ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ويزيد بن عبد الملك فلما كان أيام هشام ارتدوا عن الاسلام وكان سببه ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها اغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطى وعمرو بن قيس الكندى الصائفة وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الفزارى على الجزيرة عاملا عليها وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو وكان العمال من تقدم ذكرهم الا عامل خراسان وكان على حربها عبد الرحمن بن نعيم وعلى خراجها عبد الرحمن بن عبد الله فى آخرها وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز اسمعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم على افريقية واستعمل السمح بن مالك الخولانى على الاندلس وكان قد رأى منه امانة وديانة عند الوليد بن عبد الملك فاستعمله وفى هذه السنة مات أبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة وهو آخر من مات من الصحابة وفيها مات شهر بن حوشب وقيل سنة اثنتى عشرة ومائة وفيها توفى القاسم ابن مخيمرة الهمدانى وفيها توفى مسلم بن يسار الفقيه وقيل سنة احدى ومائة وفيها توفى أبو امامة أسعد ابن سهل بن حنيف وكان ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فسماه وكناه بجده لامه أبى امامة أسعد بن زرارة وكان قد مات قبل بدر وفيها توفى بسر بن سعيد مولى الحضرميين (بسر بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة) وعيسى بن طلحة بن عبد الله التيمى ومحمد بن جبير بن مطعم وربعى بن حراش الكوفى (حراش بكسر الحاء المهملة وبالراء المهملة) وقيل سنة أربع ومائة وحنش بن عبد الله الصنعانى كان من أصحاب على فلما قتل انتقل الى مصر وهو أول من اختط جامع سرقسطة بالاندلس (حنش بالحاء المهملة والنون المفتوحتين والشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة احدى ومائة﴾

﴿ذكر هرب ابن المهلب﴾

قد ذكرنا حبس يزيد بن المهلب وانه لم يزل محبوسا حتى اشتد مرض عمر بن عبد العزيز فعمل فى الهرب فخاف يزيد بن عبد الملك لانه قد عذب اصهاره آل أبى عقيل وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف وهى ابنة أخى الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك وكان سبب تعذيبهم ان سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة طلب آل أبى عقيل فأخذهم وسلمهم الى يزيد بن المهلب ليخلص أموالهم ويعذبهم وبعث ابن المهلب الى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم اليه وكان فيمن أتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك وقيل بل أخت لها فعذبها فأتى يزيد بن عبد الملك الى ابن المهلب فى منزله فشفع فيها فلم يشفعه فقال الذى قررتم عليها أنا أحمله فلم يقبل منه فقال لابن المهلب أما والله لئن وليت من الامر شيأ لاقطعن منك عضوا فقال ابن المهلب وانا والله لئن كان ذلك لارمينك بمائة ألف سيف فحمل يزيد بن عبد الملك ما كان عليها وكان مائة ألف دينار وقيل أكثر من ذلك فلما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز خاف ابن المهلب

وقد خاطب مالك بن عفون وغيره منهم بشئ مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا فمنهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهه بالملح اذا اسدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن الاخبار بأن بأقاصى بلاد الصين هيكلا مدورا له سبعة أبواب فى داخله قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك فى أعالى القبة شبه الجوهر يزيد على رأس العجل تضئ منه جميع أقطار ذلك الهيكل وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ ذلك الجوهرة فلم يدن أحد منها على مقدار عشرة أذرع شيأ وان حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشئ من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطلت وان رميت بشئ

من يزيد بن عبد الملك فارسل الى مواليه فأعدوا له ابلا وخيلا وواعدهم مكانا يأتيهم فيه فأرسل الى عامل حلب مالا والى الحرس الذين يحفظونه وقال ان أمير المؤمنين قد ثقل وليس برجاء وان ولي يزيد سفك دمي فاخرجوه فهرب الى المكان الذي واعد أصحابه فيه فركب الدواب وقصد البصرة وكتب الى عمر بن عبد العزيز كتابا يقول انى والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكنى خفت أن يلي يزيد فيقتلني شر قتلة فورد الكتاب وبه رمق فقال اللهم ان كان يريد بالمسلمين سوأ فالحقه به وهضه فقد هاضني ومر يزيد فى طريقه بالهذيل بن زفر بن الحرث وكان يخافه فلم يشعر الهذيل الا وقد دخل يزيد منزله ودعا بلبن فشربه فاستحيا منه الهذيل وعرض عليه خيله وغيرها فلم يأخذ منه شيأ وقيل فى سبب خوف ابن المهلب من يزيد بن عبد الملك ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز﴾

قيل توفى عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة احدى ومائة وكانت شكواه عشرين يوما ولما مرض قيل له لو تداويت قال لو كان دوائى فى مسح أذنى ما مسحتها نعم المذهوب اليه ربى وكان موته بدير سمعان وقيل بخناصرة ودفن بدير سمعان وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وأشهرا وقيل كان عمره أربعين سنة وأشهرا وكانت كنيته أبا حفص وكان يقال له أشج بنى أمية وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام فدخل على أمه فضمته اليها وعذلت أباه ولامته حيث لم يجعل معه حاضنا فقال لها عبد العزيز اسكتى يا أم عاصم فطوبى لك أن كان أشج بنى أمية قال ميمون بن مهران قال عمر بن عبد العزيز لما وضعت الوليد فى حفرته نظرت فاذا وجهه قد اسود فاذا مت ودفنت فاكشف عن وجهى ففعلت فرأيته أحسن مما كان أيام تنعمه وقيل كان ابن عمر يقول ياليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الارض عدلا وكانت أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ورثاه الشعراء فاكثروا فقال كثير عزة

أقول لمن أتانى ثم مهلكه * لا تبعدن قوام الحق والدين

قد غادروا فى ضريح اللحد منجدلا * بدير سمعان قسطاس الموازين

ورثاه جرير والفرزدق وغيرهما

﴿ذكر بعض سيرته﴾

قيل لما ولى الخلافة كتب الى يزيد بن المهلب اما بعد فان سليمان كان عبدا من عباد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفنى ويزيد بن عبد الملك من بعدى ان كان وان الذى ولانى الله من ذلك وقد ولى ليس على بهين ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج أو اعتقال أموال لكان فى الذى اعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ باحد من خلقه وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسئلة غليظة الا ما عفا الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك فلما قرأ الكتاب قيل له لست من عماله لان كلامه ليس ككلام من مضى من أهله فدعا يزيد الناس الى البيعة فبايعوا قال مقاتل بن حيان كتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم اما بعد فاعمل عمل من يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال طفيل بن مرداس كتب عمر الى سليمان بن ابى السرى ان اعمل خانات فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوما وليلة وتعهدوا دوابهم ومن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين وان كان منقطعا به فابلغه بلده فلما أتاه كتاب عمر قال له أهل سمرقند قتيبة ظلمنا وغدر بنا فاخذ

كان كذلك فليس شئ من الحيل يؤدى الى تناولها ولا بد وان تعرض لشئ من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت فى أنواع الاحجار المغناطيسية وفى هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر اكبابا متمكنا تهور فى البئر فصار فى أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السندهند هذه بئر تؤدى الى مخزان الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما بقى منه وتؤدى هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها والاقتباس منها الا من وازت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ومن عجز عن الوصول الى ما وصفنا فليعلم أنا أشد منه بأسا وأقوى حكمة وأكثر علما وأبعث دراية وأتم عناية والارض التى عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض

بلادنا وقد أظهر الله العدل والانصاف فأذن لنا فليقدم منا وفد على أمير المؤمنين فاذن لهم فوجهوا وفدا الى عمر فكتب لهم الى سليمان ان أهل سمرقند شكوا ظلما وتحاملا من قتيبة عليهم حتى اخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابى فاجلس لهم القاضى فلينظر فى أمرهم فان قضى لهم فاخرج العرب الى معسكرهم كما كانوا قبل ان يظهر عليهم قتيبة قال فاجلس لهم سليمان جميع من حاضر القاضى فقضى ان يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم وينابذهم على سواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة فقال أهل الصغد بل نرضى بما كان ولا نحدث حربا وتراضوا بذلك قال داود بن سليمان الجعفى كتب عمر الى عبد الحميد اما بعد فان أهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور فى احكام الله وسنة خبيثة سنها عليهم عمال السوء وان قوام الدين العدل والاحسان فلا يكون شئ اهم اليك من نفسك فلا تحملها قليلا من الاثم ولا تحمل خرابا على عامر وخذ منه ما أطاق واصلحه حتى يعمر ولا يؤخذن من العامر الا وظيفة الخراج فى رفق وتسكين لاهل الارض ولا تأخذن أجور الضرابين ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح ولا أجور البيوت ولا درهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الارض فاتبع فى ذلك أمرى فانى قد وليتك من ذلك ما ولانى الله ولا تعجل دونى بقطع ولا صلب حتى تراجعنى فيه وانظر من أراد من الذرية ان يحج فعجل له مائة ليحج بها والسلام قال عثمان بن عبد الحميد حدثنى أبى قال قالت فاطمة بنت عبد الملك رحمها الله امرأة عمر لما مرض عمر اشتد قلقه ليلة فسهرنا معه فلما اصبحنا امرت وصيفا له يقال له مرثد ليكون عنده فان كانت له حاجة كنت قريبا منه ثم غمنا فلما انتفخ النهار استيقظت فوجهت اليه فرأيت مرثدا خارجا من البيت نائما فقلت له ما أخرجك قال هو أخرجنى وقال لى انى أرى شيأ ما هو بانس ولا جن فخرجت فسمعته يتلو تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين قالت فدخلت فوجدته بعد ما دخلت قد وجه نفسه للقبلة وهو ميت قال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر اعوده فاذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة وكانت اخت مسلمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت نفعل ثم عدت فاذا القميص على حاله فقلت ألم آمركم ان تغسلوا قميصه فقالت والله ماله غيره قيل وكانت نفقته كل يوم درهمين قيل وكان عبد العزيز قد بعث ابنه الى المدينة للتأدب بها فكتب الى صالح بن كيسان ان يتعاهده فأبطأ عمر يوما عن الصلاة فقال ما حبسك فقال كانت مرجلتى تصلح شعرى فكتب الى ابيه بذلك فارسل ابوه رسولا فلم يزل حتى حلق شعره وقال محمد بن على الباقر ان لكل قوم نجيبة وان نجيبة بنى أمية عمر بن عبد العزيز وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وقال مجاهد أتينا عمر نعلمه فلم نبرح حتى تعلمنا منه وقال ميمون كانت العلماء عند عمر تلامذة وقيل لعمر ما كان بدء انابتك قال أردت ضرب غلام لى فقال لى اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة وقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يضر أهله وقال رياح بن عبيدة خرج عمر بن عبد العزيز وشيخ متوكئ على يده فلما فرغ ودخل قلت أصلح الله الامير من الشيخ الذى كان متوكئا على يدك قال أرأيته قلت نعم قال ذاك أخى الخضر اعلمنى أنى سألى امر هذه الامة وانى سأعدل فيها قال واتاه اصحاب مراكب الخلافة يطلبون علفها فامر بها فبيعت وجعل اثمانها فى بيت المال وقال تكفينى بغلتى هذه قال ولما رجع من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له مغتما فسأله فقال ليس أحد من امة محمد فى شرق الارض ولا غربها الا وانا أريد ان أؤدى اليه حقه من غير طلب منه قال ولما ولى الخلافة قال لامرأته وجواريه انه قد شغل بما فى عنقه عن النساء وخيرهن بين ان يقمن عنده او يفارقنه فبكين واخترن المقام معه قال

حجرية صلبة عالية من الارض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتأتى نقب ما هو تحته فاذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائى عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب اليه وحريق على بنيته وتأسف على افساد شئ منه أو هدمه والله أعلم بذلك

﴿ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها﴾

فأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الاولى والثانية فأول ما يحكى ذلك عنه افريدون الملك وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم فى عبادتها فاخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه وأنها من جنس الالهة النورية وأشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها وذلك أنهم جعلوا النور مراتب وفرقوا بين طبع النار والنور وأن الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر فى الطف يطرح نفسه فى السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع فى صيد الليالى من الغزلان والطير والوحوش وظهور

ولما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وكانت أوّل خطبة خطبها ثم قال أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس والا فلا يقربنا يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على مانهتدى اليه ولا يغتابن احدا ولا يعترض فيما لا يعنيه فانقشع الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد وقالوا ما يسعنا نفارق هذا الرجل حتى يخالف قوله فعله قال فلما ولى الخلافة أحضر قريشا ووجوه الناس فقال لهم ان فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يضعها حيث اراه الله ثم وليها ابو بكر كذلك وعمر كذلك ثم أقطعها مروان ثم انها صارت الىّ ولم تكن من مالى اعود منها علىّ وانى أشهدكم انى قد رددتها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانقطعت ظهور الناس ويئسوا من الظلم قال وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم ان اهلى اقطعونى مالم يكن لى ان آخذه ولا لهم ان يعطونيه وانى قد هممت برده على اربابه قال فكيف تصنع بولدك فجرت دموعه وقال اتكلهم الى الله قال وجد لولده ما يجد الناس فخرج مزاحم حتى دخل على عبد الملك ابن عمر فقال له ان أمير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا وهذا أمر يضركم وقد نهيته عنه فقال عبد الملك بئس وزير الخليفة انت ثم قام فدخل على أبيه وقال له ان مزاحما اخبرنى بكذا وكذا فما رأيك قال انى اريد ان اقوم به العشية قال عجله فما يؤمنك ان يحدث لك حدث او يحدث بقلبك حدث فرفع عمر يديه وقال الحمد لله الذى جعل من ذريتى من يعيننى على دينى ثم قام به من ساعته فى الناس وردها قال ولما ولى عمر الخلافة اخذ من اهله ما بأيديهم وسمى ذلك مظالم ففزع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأتته فقالت له تكلم انت يا أمير المؤمنين فقال ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم سواء ثم ولى ابو بكر فترك النهر على حاله ثم ولى عمر فعمل عملهما ثم لم يزل النهر يستقى منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى افضى الامر الىّ وقد يبس النهر الاعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت حسبك قد اردت كلامك فاما اذا كانت مقاليدهذه فلا اذكر شيأ ابدا فرجعت اليهم فاخبرتهم كلامه وقد قيل انها قالت له ان بنى أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له انهم يحذرونك يوما من أيامهم فغضب وقال كل يوم اخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره فرجعت اليهم فاخبرتهم وقالت أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا قال وقال سفيان الثورى الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز وما كان سواهم فهم منتزون قال وقال الشافعى مثله قال وكان يكتب الى عماله بخلال فهى تدور بينهم باحياء سنة او اطفاء بدعة او قسم فى مسكنة او رد مظلمة قال وكانت فاطمة بنت الحسين بن على تثنى عليه وتقول لو كان بقى لنا عمر بن عبد العزيز ما احتجنا بعده الى احد قالت فاطمة امرأته دخلت عليه وهو فى مصلاه ودموعه تجرى على لحيته فقلت احدث شئ فقال انى تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والغازى والمظلوم المقهور والغريب الاسير والشيخ الكبير وذى العيال الكثير والمال القليل واشباههم فى اقطار الارض فعلمت ان ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة وان خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم الى الله فخشيت ان لا تثبت حجتى عند الخصومة فرحمت نفسى فبكيت قيل ولما مرض ابنه عبد الملك مرض موته وكان من اشداء اعوانه على العدل دخل عليه عمر فقال له يابنى كيف تجدك قال اجدنى فى الحق قال يابنى ان تكون فى ميزانى احب الى من ان أكون فى ميزانك فقال ابنه يا أباه لان يكون ما تحب

الحيتان من الماء اذا قربت من السراج فى الزوارق كما يصطاد ببلاد البصرة السمك فى الليل يظهر من الماء طافيا حتى يقع فى جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وأن بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وأنه أصل لكل شئ ومبدأ لكل شئ ومبدأ لكل تمام فلما اخبر افريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس وبنى آخر من بيوت النار بسجستان كراكركان اتخذه بهمن بن اسفنديار ابن يستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والرى وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان انوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيخسرو الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدرى من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال

احب الى من ان يكون ما أحب فمات فى مرضه وله سبع عشرة سنة قيل وقال عبد الملك لابيه عمر يا امير المؤمنين ما تقول لربك اذا أتيته وقد تركت حقا لم تحيه وباطلا لم تمته فقال يابنى ان اجدادك قد دعوا الناس عن الحق فانتهت الامور الى وقد أقبل شرها وادبر خيرها ولكن أليس حسنا وجميلا أن لا تطلع الشمس علىّ فى يوم الا احييت فيه حقا وأمت فيه باطلا حتى يأتينى الموت فانا على ذلك وقال له أيضا يا أمير المؤمنين انفذ لامر الله وان جاشت بى وبك القدور فقال يابنى ان بادهت الناس بما تقول احوجونى الى السيف ولا خير فى خير لا يحيا الا بالسيف فكرر ذلك قيل كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله نسخة واحدة أما بعد فان الله عز وجل أكرم بالاسلام اهله وشرفهم واعزهم وضرب الذلة والصغار على من خالفهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فلا تولين امور المسلمين احدا من اهل ذمتهم وخراجهم فتنبسط عليهم ايديهم والسنتهم فتذلهم بعد أن اعزهم الله وتهينهم بعد ان اكرمهم الله تعالى وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم فان الله عز وجل يقول لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض والسلام فهذا القدر كاف فى التنبيه على فضله وعدله وفى هذه السنة مات محمد بن مروان فى قول وأبو صالح ذكوان

ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك

وفيها تولى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة وكنيته أبو خالد بعهد من أخيه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز ولما احتضر عمر قيل له اكتب الى يزيد فاوصه بالامة قال بماذا أوصيه انه من بنى عبد الملك ثم كتب اليه أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة انك تترك ما تترك لمن لا يحمدك وتصير الى من لا يعذرك والسلام فلما ولى يزيد نزع أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة واستعمل عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى عليها واستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وأراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلا حتى شكا عثمان بن حيان الى يزيد بن عبد الملك من ابن حزم وانه ضربه حدين وطلب منه ان يقيده منه فكتب يزيد الى عبد الرحمن بن الضحاك كتابا اما بعد فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان فان كان ضربه فى امر بين او امر يختلف فيه فلا تلتفت اليه فارسل ابن الضحاك فاحضر ابن حزم وضربه حدين فى مقام واحد ولم يسأله عن شئ وعمد يزيد الى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مالم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجلة ولا اثما عاجلا فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان على اليمن فجعل عليهم خراجا مجددا فلما ولى عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله يأمره بالاقتصار على العشر ونصف العشر وترك ما جدده محمد بن يوسف وقال لأن يأتينى من اليمن حفنة ذرة احب الى من تقرير هذه الوضيعة فلما ولى يزيد بعد عمر أمر بردها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حرضا والسلام

ذكر مقتل شوذب الخارجى

قد ذكرنا خروجه ومراسلته عمر بن عبد العزيز لمناظرته فلما مات عمر احب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو الامير على الكوفة ان يحظى عند يزيد بن عبد الملك فكتب الى محمد بن جرير يأمره بمناجزة شوذب واسمه بسطام ولم يرجع رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر فلما رأوا محمدا يستعد للحرب ارسل اليه شوذب ما أعجلكم قبل انقضاء المدة أليس قد تواعدنا الى أن يرجع الرسولان فارسل محمد انه لا يسعنا تركهم على هذه الحال فقالت الخوارج ما فعل

انه كان فى ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فاخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن كاوش الجبار وذلك زمان ليشه بشرق الصين مما يلى البركة وبيت نار بمدينة ارجان من أرض فارس اتخذه فى آخره بهراسف وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن اسبيمان نبى المجوس ثم اتخذ زرادشت ابن اسبيمان بعد ذلك بيوت لنيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان زرادشت يستاسف الملك بطلب نار امعظمها جم فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة دارابجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة آذر خواه وتفسير ذلك نار النهر وذلك ان آذر احد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه

هؤلاء هذا الا وقد مات الرجل الصالح فاقتتلوا فأصيب من الخوارج نفر وقتل الكثير من اهل الكوفة وانهزموا وجرح محمد بن جرير فى استه فدخل الكوفة وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ثم رجعوا الى مكانهم وأقام شوذب ينتظر صاحبيه فقدما عليه واخبراه بموت عمر ووجه يزيد من عند تميم بن الحباب فى الفين قد أرسلهم وأخبرهم ان يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد معه وحاربوه فقتلوه وقتلوا أصحابه ونجا بعضهم الى الكوفة وبعضهم الى يزيد فارسل اليهم يزيد نجدة بن الحكم الازدى فى جمع فقتلوه وهزموا أصحابه فوجه اليهم يزيد الشحاج ابن وداع فى الفين فقتلوه وهزموا أصحابه وقتل منهم نفر منهم هدبة ابن عم شوذب فقال أيوب بن خولى يرثيهم

تركنا تميما فى الغبار ملحبا * تبكى عليه عرسه وقرائبه
وقد اسلمت قيس تميما ومالكا * كما اسلم الشحاج أمس أقاربه
واقبل من حران يحمل راية * يغالب أمر الله والله غالبه
فياهدب للهيجا وياهدب للندى * وياهدب للخصم الالد يحاربه
وياهدب كم من ملجم قد اجبته * وقد أسلمته للرماح جوالبه
وكان أبو شيبان خير مقاتل * يرجى ويخشى حربه من يحاربه
ففاز ولاقى الله فى الخير كله * وجذبه بالسيف فى الله ضاربه
تزود من دنياه درعا ومغفرا * وعضبا حساما لم تخنه مضاربه
واجرد محبوك السراة كانه * اذا انتفض وافى الريش حجن مخالبه

وأقام الخوارج بمكانهم حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة فشكا اليه أهل الكوفة مكان شوذب وخوفوه منه فارسل اليه مسلمة سعيد بن عمرو الحرشى وكان فارسا فى عشرة آلاف فأتاه وهو بمكانه فرأى شوذب وأصحابه مالا قبل لهم به فقال لاصحابه من كان يريد الشهادة فقد جاءته ومن كان يريد الدنيا فقد ذهبت فكسروا اغماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيدا وأصحابه مرارا حتى خاف سعيد الفضيحة فوبخ اصحابه وقال من هذه الشرذمة لا أبا لكم تفرون يا أهل الشام يوما كايامكم فحملوا عليهم فطحنوهم طحنا وقتلوا بسطاما وهو شوذب وأصحابه

﴿ ذكر موت محمد بن مروان ﴾

وفى هذه السنة توفى محمد بن مروان بن الحكم اخو عبد الملك وكان قد ولى الجزيرة وارمينية واذربيجان وغزا الروم وأهل ارمينية عدة دفعات وكان شجاعا قويا وكان عبد الملك يحسده لذلك فلما انتظمت الامور لعبد الملك اظهر ما فى نفسه له فتجهز محمد ليسير الى ارمينية فلما ودع عبد الملك ساله عن سبب مسيره فقال

وانك لا ترى طرد الحر * كالصاق به بعض الهوان
فلو كنا بمنزلة جميعا * جريت وأنت مضطرب العنان

فقال له عبد الملك أقسمت عليك لتقيمن فوالله لا رأيت منى ما تكره وصلح له ولما أراد الوليد عزله طلب من يسد مكانه فلم يقدم احد عليه الا مسلمة بن عبد الملك

﴿ ذكر دخول يزيد بن المهلب البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك ﴾

قيل وفى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز على ما تقدم فلما مات عمر وبويع يزيد بن عبد الملك كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن والى عدى بن ارطاة يأمرهما بالتحرز

النار ما لا نعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت) الفرس ان كيخره لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها اعظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذى نقلها الى الكارياه فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس ان تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكارباه ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (وللفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان فى قديم الزمان فاخرجته حمانى بنت بهمن ابن اسفنديار وجعلته بيت نار ثم نقلت عنه النار فخرب والناس فى وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما وأساطين صخر عجيبة على اعلاها صور من الصخر ظريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأبقيت صورها فزعم من جاور هذا

من يزيد ويعرفهما هربه وأمر عديا أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب فاخذهم وحبسهم فيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب وأقبل يزيد حتى ارتفع على القطقطانة وبعث عبد الحميد جندا اليهم عليهم هشام بن مساحق العامرى عامر بنى لؤى فساروا حتى نزلوا العذيب ومر يزيد قريبا منهم فلم يقدموا عليه ومضى يزيد نحو البصرة وقد جمع عدى بن ارطاة اهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل الثقفى وجاء يزيد فى اصحابه الذين معه فالتقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع اليه من أهله وقومه ومواليه فبعث عدى على كل خمس من اخماس البصرة رجلا فبعث على الازد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكى وبعث على تميم محرز بن حمران السعدى وعلى خمس بكر مفرج بن شيبان بن مالك بن مسمع وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود وعلى أهل العالية عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر وأهل العالية قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة وأهل العالية والكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة فاقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم الا تنحوا له عن طريقه وأقبل يزيد حتى نزل داره فاختلف الناس اليه فارسل الى عدى أن ابعث الى اخوتى وانى أصالحك على البصرة واخليك واياها حتى آخذ لنفسى من يزيد ما أحب فلم يقبل منه فسار حميد ابن عبد الملك بن المهلب الى يزيد بن عبد الملك فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالدا القسرى وعمر بن يزيد الحكمى بامان يزيد بن المهلب وأهله وأخذ يزيد بن المهلب يعطى من أتاه قطع الذهب والفضة فمال الناس اليه وكان عدى لا يعطى الا درهمين درهمين ويقول لا يحل لى ان أعطيكم من بيت المال درهما الا بامر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذه حتى يأتى الامر فى ذلك وفى ذلك يقول الفرزدق

اظن رجال الدرهمين تقودهم * الى الموت آجال لهم ومصارع
وأكيسهم من قر فى قعر بيته * وأيقن ان الموت لا بد واقع

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى فنزلوا المربد وبعث اليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس فحمل عليهم فهزمهم وخرج يزيد حين اجتمع الناس له حتى نزل جبانة بنى يشكر وهى النصف فيما بينه وبين القصر فلقيه قيس وتميم وأهل الشام واقتتلوا هنيهة وحمل عليهم أصحاب يزيد فانهزموا وتبعهم ابن المهلب حتى دنا من القصر فخرج اليهم عدى بنفسه فقتل من أصحابه موسى بن الوجيه الحميرى والحرث بن المصرف الاودى وكان من فرسان الحجاج واشراف أهل الشام وانهزم أصحاب عدى وسمع اخوة يزيد وهم فى مجلس عدى الاصوات تدنو والنشاب تقع فى القصر فقال لهم عبد الملك انى أرى أن يزيد قد ظهر ولا آمن من مع عدى من مضر والشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل الينا يزيد فأغلقوا الباب وألقوا عليه الرحل ففعلوا فلم يلبثوا ان جاءهم عبد الله بن دينار مولى بنى عامر وكان على حرس عدى فجاء يشتد الى الباب هو وأصحابه وأخذوا يعالجون الباب فلم يطيقوا اقامه وأعجلهم الناس فخلوا عنهم وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار السلم بن زياد ابن أبيه الى جنب القصر وأتى بالسلالم وفتح القصر وأتى بعدى بن ارطاة فحبسه وقال له لولا حبستك اخوتى لما حبستك فلما ظهر يزيد هرب رؤس أهل البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر فلحقوا بالكوفة ولحق بعضهم بالشام وخرج المغيرة بن زياد بن عمرو العتكى نحو الشام فلقى خالدا القسرى وعمرو بن يزيد الحكمى ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا بامان يزيد بن المهلب وكل شئ أراده فسالاه عن الخبر فخلا بهما سرا من حميد

الموضع انها صور الانبياء وهو فى سفح الجبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل فى ليل ولا نهار لها هبوب ودوى يذكر من هنالك ان سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح فى ذلك الموضع وانه كان يتغدى ببعلبك من ارض الشام ويتعشى فى هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال او ستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان (وفى مدينة) سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا (وفى مدينة جور) من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى واليه يضاف بيت النار بناه اردشير بن بابك قد رأيته وهو على ساعة منها على عين هناك عجيبة وله عيد وهو أحد منتزهات فارس وفى وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال أخربه المسلمون وبين جور

واخبرهما وقال اين تريدان فاخبراه بامان يزيد فقال ان يزيد قد ظهر على البصرة وقتل القتلى وحبس عديا فارجعا فرجعا وأخذ احميد امعهما فقال لهما حميد انشد كما الله أن تخالفا ما بعثتما به فان ابن المهلب قابل منكما وان هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا اعداء فلا تسمعا مقالته فلم يقبلا قوله ورجعا به وأخذ عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة خالد بن يزيد بن المهلب وحمال بن زحر ولم يكونا في شئ من الامر فاوثقهما وسيرهما الى الشام فحبسهما يزيد بن عبد الملك فلم يفارقا السجن حتى هلكا فيه وأرسل يزيد بن عبد الملك الى الكوفة شيأ يفرق على أهلها وعنهم الزيادة وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة وقيل كانوا ثمانين ألفا فساروا الى العراق وكان مسلمة يعيب العباس ويذمه فوقع بينهما اختلاف فكتب اليه العباس

ألا نفسي فداك أبا سعيد * وتقصر عن ملاحاتي وعذلي
فلولا ان أصلك حين ينمي * وفرعك منتهى فرعي وأصلي
واني ان رميتك هضت عظمي * ونالتني اذا نالتك نبلي
لقد أنكرتني انكار خوف * يقصر منك عن شتمي وأكلي
كقول المرء عمرو في القوافي * أريد حياته ويريد قتلي

قيل ان هذه الابيات للعباس وقيل انما تمثل بها فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فارسل اليهما وأصلح بينهما وقدما الكوفة ونزلا بالنخيلة فقال مسلمة ليت هذا المزوني يعني ابن المهلب لا كلفنا اتباعه في هذا البرد فقال حيان النبطي مولى اشيبان انا اضمن لك انه لا يبرح العرصة يزيد واضمن انه لا يبرح العرصة فقال له العباس لا أم لك أنت بالنبطية ابصر منك بهذا فقال حيان انبط الله وجهك أسقر أحمر ليس أليه طابع الخلافة يريد أشقر أحمر ليس عليه طابع الخلافة قال مسلمة يا أبا سفيان لا يهولنك كلام العباس فقال انه أحمق يريد أحمق ولما سمع أصحاب ابن المهلب وصول مسلمة وأهل الشام راعهم ذلك فبلغ ابن المهلب فخطب الناس وقال قد رأيت أهل العسكر وخوفهم يقولون جاء أهل الشام ومسلمة وما أهل الشام هل هم الا تسعة اسياف سبعة منها الي وسيفان علي وما مسلمة الا جرادة صفراء أتاكم في برابرة وجراجمة وجراجمة وانباط وابناء فلاحين وأوباش واخلاط أوليسوا بشرا يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون أعيروني سواعدكم تصفقون بها وجوههم وقد ولوا الادبار واستوثقوا أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الاهواز وفارس وكرمان وبعث الى خراسان مدرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم فقال لاهلها هذا مدرك قد أتاكم ليلقي بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة فسار بنو تميم ليمنعوه وبلغ الازد بخراسان ذلك فخرج منهم نحو ألفي فارس فلقوا مدركا على رأس المفازة فقالوا له انك أحب الناس الينا وقد خرج أخوك فان يظهر فانما ذلك لنا ونحن أسرع الناس اليكم وأحقهم بذلك وان تكن الاخرى فما لك في أن تغشينا البلاء راحة فانصرف عنهم فلما استجمع أهل البصرة ليزيد خطبهم وأخبرهم انه يدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه ويحثهم على الجهاد ويزعم ان جهاد أهل الشام أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم وكان الحسن البصري يسمع فرفع صوته يقول والله لقد رأيناك واليا ومولياً عليك فما ينبغي لك ذلك ووثب أصحابه فاخذوا بفمه واجلسوه ثم خرجوا من المسجد وعلى باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول يا عباد الله ما تنقمون من ان تجيبوا الى كتاب الله وسنة نبيه فوالله ما رأينا ذلك مذ ولوا

ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكواري واليها يضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل في العالم لصحة البرية وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة في بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار الى مدينة شيراز وهي قصبة فارس عشرة فراسخ (وللجور وكوار وشيراز وغيرها) من كور فارس أخبار ولما فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس وكذلك ما كان بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بني عليه هيكل وكان كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة أنفس دفع الى أحدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السيد المسيح وأمه بارض الشام والنصارى تغلو في قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود في الانجيل وأن هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد المسيح عيسى فكانوا اذا ساروا سار معهم ذلك النجم واذا

علينا الا أيام عمر بن عبد العزيز فقال الحسن والنضر أيضا قد شهد ومر الحسن بالناس وقد نصبوا الرايات وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون تدعونا الى سنة العمرين فقال الحسن كان يزيد بالامس يضرب اعناق هؤلاء الذين ترون ثم يرسلها الى بني مروان يريد رضاهم فلما غضب نصب قصبا ثم وضع عليها اخرقا ثم قال اني قد خالفتهم فخالفوهم فقال هؤلاء نعم ثم قال اني ادعوهم الى سنة العمرين وان من سنة العمرين ان يوضع في رجله قيد ثم يرد الى محبسه فقال ناس من أصحابه لكانك راض عن أهل الشام فقال أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون أهله ثلاثا قد أباحوها لانباطهم واقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا ينتهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا الى مال بيت الله الحرام فهدموا الكعبة واوقدوا النيران بين احجارها واستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار ثم ان يزيد سار من البصرة واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلب وأتى واسطا وكان قد استشار من أصحابه حين توجه نحو واسط فقال له اخوه حبيب وغيره نرى ان تخرج وتنزل بفارس فتأخذ بالشعاب والعقاب وتدنو من خراسان وتطاول أهل الشام فان أهل الجبال يأتون اليك وفي يدك القلاع والحصون فقال ليس هذا برأيي تريدون ان تجعلوني طائرا على رأس جبل فقال حبيب ان الرأي الذي كان ينبغي ان يكون أول الامر قد فات قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة ان توجه خيلا عليها بعض أهلك الى الكوفة وانما عليها عبد الحميد مررت به في سبعين رجلا فعجز عنك فهو من خيلك أعجز فسبق اليها أهل الشام وأكثر أهلها يرون رأيك ولان تلي عليهم احب اليهم من ان يلي عليهم أهل الشام فلم تطعني وأنا أشير الآن برأي سرح مع بعض اهلك خيلا كثيرة من خيلك فتأتي الجزيرة ويسيروا اليها حتى ينزلوا حصنا من حصونهم وتسير في أثرهم فاذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوهم جندك بالجزيرة يقبلون اليك فيقيموا عليهم فيحبسوهم عنك حتى تأتيهم ويأتيك من بالموصل من قومك وينفض اليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم في ارض رخيصة السعر وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك قال أكره ان أقطع جيشي فلما نزل واسطا اقام بها أياما يسيرة وخرجت السنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس وكان عامل المدينة وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد وكان على الكوفة عبد الحميد وعلى قضائها الشعبي وكانت البصرة قد غلب عليها ابن المهلب وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم وفيها عزل اسمعيل بن عبيد الله عن افريقية واستعمل مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فبقي عليها الى ان قتل على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفي مجاهد بن جبر وقيل سنة ثلاث وقيل سنة أربع وقيل سبع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة وفيها توفي عمار بن جبر قيل وفيها توفي أبو صالح ذكوان وفيها توفي عامر بن اكثمة الليثي وأبو صالح السمان وقيل له الزيات أيضا لانه كان يبيعهما وأبو عمرو وسعيد بن اياس الشيباني وكان عمره سبعا وعشرين ومائة سنة وليست له صحبة وفي خلافة عمر توفي عبيدة بن ابي لبابة أبو القاسم العامري

﴿ثم دخلت سنة اثنتين ومائة﴾

﴿ذكر مقتل يزيد بن المهلب﴾

ثم ان يزيد بن المهلب سار عن واسط واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والاسراء وسار على فم النيل حتى نزل العقر وقدم اخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله العباس بن

وقفوا وقف بوقوفهم وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التي دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعل الخبر تحت الصخرة وغوصها في الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر (وقد كان اردشير) بنى بيتا آخر يقال له باربو في اليوم الثاني من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية في عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدي فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمي سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن اسطرون ملك السريانيين في رستاق يقال له أباجرمي

الوليد بسورا فاقتتلوا فحمل عليهم أصحاب عبد الملك حملة كشفوهم فيها ومعهم ناس من تميم وقيس من أهل البصرة فنادوا يا أهل الشام الله الله أن تسلمونا وقد اضطرهم اصحاب عبد الملك الى النهر فقال اهل الشام لا بأس عليكم ان لنا جولة فى اول القتال ثم كروا عليهم فانكشف اصحاب عبد الملك فانهزموا وعادوا الى يزيد واقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات الى الانبار وعقد عليها الجسر فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلب وأتى الى ابن المهلب ناس من اهل الكوفة كثير ومن الثغور فبعث على من خرج اليه من اهل الكوفة وربع اهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الازدى وعلى ربع مذحج وأسد النعمان بن ابراهيم بن الاشتر وعلى كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث وعلى تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمى وجمعهم جميعا المفضل بن المهلب واحصى ديوان ابن المهلب مائة الف وعشرين الفا فقال لوددت ان لى بهم من بخراسان من قومى ثم قام فى اصحابه فحرضهم على القتال وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وشق المياه وجعل على اهل الكوفة الارصاد لئلا يخرجوا الى ابن المهلب وبعث بعثا الى مسلمة مع سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وبعث مسلمة فعزل عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة فجمع يزيد رؤس أصحابه فقال قد رأيت ان أجمع اثنى عشر الفا ابعثهم مع اخى محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحمل معهم البراذع والاكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلوهم على خندقهم بقية ليلته وامده بالرجال حتى اصبح فاذا اصبحت نهضت اليهم فى الناس فاناجزهم فانى ارجو عند ذلك ان ينصرنى الله عليهم فقال السميدع انا قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد زعموا انهم قبلوا هذا منا فليس لنا ان نمكر ولا نغدر حتى يردوا علينا وقال ابو رؤبة وهو رأس الطائفة المرجئة ومعه اصحاب له صدق هكذا ينبغى فقال يزيد ويحكم أتصدقون بنى أمية أنهم يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا انهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم اليه انى لقيت بنى مروان فما لقيت منهم امكر ولا ابعد غورا من هذه الجرادة الصفراء يعنى مسلمة قالوا لا نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا انهم قابلوه منا وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام والحسن البصرى يثبطهم فلما بلغ ذلك مروان قام فى الناس يأمرهم بالجد والاحتشاد ثم قال بلغنى ان هذا الشيخ الضال المرائى ولم يسمه يثبط الناس والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل يرعف أنفه وايم الله لينتهين عن ذكرنا وعن جمعه الينا سقاط الابلة وعلوج فرات البصرة أو لانحين عليه مبردا خشنا فلما بلغ ذلك الحسن قال والله ليكرمنى الله بهوانه فقال ناس من أصحابه لو أرادك ثم شئت لمنعناك فقال لهم فقد خالفتكم اذا ذلك ما نهيتكم عنه آمركم ان لا يقتل بعضكم بعضا مع غيرى وآمركم أن يقتل بعضكم بعضا دونى فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطلبهم وتفرقوا وكف عن الحسن وكان اجتماع يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية أيام فلما كان يوم الجمعة لاربع عشرة مضت من صفر بعث مسلمة الى الوضاح أن يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشام ثم قرب من ابن المهلب وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندى وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابى وجعل العباس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانئ الهمدانى وعلى ميسرته سويد ابن القعقاع التميمى وكان مسلمة على الناس وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب وعلى ميسرته المفضل بن المهلب فخرج رجل من أهل الشام فدعا الى المبارزة فبرز اليه محمد بن المهلب فضربه محمد فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد فضربه محمد فقطع الكف

بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف بالحضر فمن ذكره منهم أبو دواد بن حارثة بن حجاج الايادى بقوله

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ
ـر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهى
ذا ثراء وجوهر مكنون

وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون ابن اسطرون والساطرون واسطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا ممن أفناهم الدهر الضيزن بن جبهلة وجبهلة أمه وهو الضيزن بن ثابت بن معاوية ابن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان فى نفس سابور عليهم ذلك فلما نازل على حصنه تحصن الضيزن فى الحصن فأقام سابور عليه شهر الايجد سبيلا الى فتحه ولا يتأتى له حيلة فى دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته

الحديد واسرع السيف فى كفه واعتنق فرسه فانهزم فلما دنا الوضاح من الجسر الهب فيه النار فسطع دخانه وقد اقبل الناس ونشبت الحرب ولم يشتد القتال فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم احرق الجسر انهزموا فقيل ليزيد قد انهزم الناس فقال مم انهزموا هل كان قتال ينهزم من مثله فقيل له قالوا أحرق الجسر فلم يثبت احد فقال قبحهم الله بق دخن عليه فطار ثم خرج ومعه أصحابه فقال اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه واستقبله امثال الجبال فقال دعوهم فوالله انى لارجو ان لا يجمعنى واياهم مكان ابدا دعوهم يرحمهم الله غنم عدا فى نواحيها الذئب وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وكان قد اتاه يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى وهو ابن أخى عثمان بن أبى العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين الحكم بن أبى العاص والد مروان نسب وهو بواسط فقال له ان بنى مروان قد باد ملكهم فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر فقال ما شعرت فقال ابن الحكم

فعش ملكا أومت كريما فان تمت ✱ وسيفك مشهور بكفك تعذر

فقال اما هذا فعسى فلما رأى يزيد انهزام اصحابه قال يا سميدع أرأيى أجود أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم قال بلى فنزل سميدع ونزل يزيد فى أصحابهما وقيل كان على فرس أشهب فأتاه آت فقال ان أخاك حبيبا قد قتل فقال لا خير فى العيش بعده قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة وقد ازددت لها بغضا امضوا قدما فعلموا أنه قد استقتل فتسال عنه من يكره القتال وبقى معه جماعة حسنة وهو يتقدم فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد والسميدع ومحمد بن المهلب وكان رجل من كلب يقال له القحل بن عياش فلما نظر الى يزيد قال هذا والله يزيد والله لاقتلنه أو ليقتلنى فمن يحمل معى يكفينى أصحابه حتى أصل اليه فحمل معه ناس فاقتتلوا ساعة وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن القحل بآخر رمق فاومأ الى أصحابه يريهم مكان يزيد وانه هو قاتله وأن يزيد قتله وأتى برأس يزيد مولى لبنى مرة فقيل له انت قتلته قال لا فلما اتى مسلمة سيره الى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط وقيل بل قتله الهذيل ابن زفر بن الحرث الكلابى ولم ينزل يأخذ رأسه انفة ولما قتل يزيد كان المفضل بن المهلب يقاتل اهل الشام وما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس وكان كلما حمل على الناس انكشفوا ثم يحمل حتى يخالطهم وكان معه عامر بن العميثل الازدى يضرب بسيفه ويقول

قد علمت أم الصبى المولود ✱ انى بنصل السيف غير رعديد

فاقتتلوا ساعة فانهزمت ربيعة فاستقبلهم المفضل يناديهم يا معشر ربيعة الكرة الكرة والله ما كنتم بكشف ولا لئام ولا لكم هذه بعادة فلا يؤتين اهل العراق من قبلكم فدتكم نفسى فرجعوا اليه يريدون الحملة فأتى وقيل له ما تصنع ههنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس منذ طويل فتفرق الناس عنه ومضى المفضل الى واسط فما كان من العرب أضرب بسيفه ولا أحسن تعبية للحرب ولا اغشى للناس منه وقيل بل اتاه أخوه عبد الملك وكره ان يخبره بقتل يزيد فيستقتل فقال له ان الامير قد انحدر الى واسط فانحدر المفضل بمن بقى من ولد المهلب الى واسط فلما علم بقتل يزيد حلف انه لا يكلم عبد الملك أبدا فما كلمه حتى قتل بقندابيل وكانت عينه اصيبت فى الحرب فقال فضحنى عبد الملك ما عذرى اذا رآنى الناس فقالوا شيخ أعور مهزوم الا صدقنى فقتلت ثم قال

وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فأرسلت اليه ان أنت ضمنت لى أن تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فأرسلت اليه ائت الثرثار وهو نهر فى أعلاه فانثر فيه تبنا ثم أتبعه النظر أين يدخل فادخل الرجال منه فان ذلك المكان يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا وأصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت النظيرة فسقت أباها حتى أسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنظيرة بنت الضيزن فبتت مسهرة فقال لها سابور ما لك لا تنامين قالت ان جنبى يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطأ وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها فتناولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بما كان أبواك يغذيانك فقالت بالزبد والمخ والنقى والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لجدير أن

ولا خير فى طعن الصناديد بالقنا * ولا فى لقاء الحرب بعد يزيد

فلما فارق المفضل المعركة جاء عسكر الشام الى عسكر يزيد فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المرجئة ساعة من النهار وأسر مسلمة نحو ثلثمائة أسير فسرحهم الى الكوفة فحبسوا بها فجاء كتاب يزيد بن عبد الملك الى محمد بن عمرو بن الوليد يأمره بضرب رقاب الاسرى فأمر العريان بن الهيثم وكان على شرطته ان يخرج عشرين وثلاثين ثلاثين فقام نحو ثلاثين رجلا من تميم فقالوا نحن انهزمنا بالناس فابدؤا بنا قبل الناس فاخرجهم العريان فضرب رقابهم وهم يقولون انهزمنا بالناس فكان هذا جزاؤنا فلما فرغوا منهم جاء رسول بكتاب من عند مسلمة يأمره بترك قتل الاسرى وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ولما أتت هزيمة يزيد الى واسط أخرج ابنه معاوية اثنين وثلاثين أسيرا كانوا عنده فضرب اعناقهم منهم عدى بن أرطاة ومحمد بن عدى بن ارطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وغيرهم ثم اقبل حتى اتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع اهل المهلب بالبصرة فاعدوا السفن وتجهزوا للركوب فى البحر وكان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الازدى على قندابيل أميرا وقال له انى سائر الى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى يكون لى أو لهم فان ظفرت أكرمتك وان كانت الاخرى كنت بقندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتى فيتحصنوا بها حتى يأخذوا أمانا وقد اخترتك لهم من بين قومى فكن عند أحسن ظنى وأخذ عليه العهود ليناصحن أهل بيته ان هم لجؤا اليه فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة حملوا عيالاتهم وأموالهم فى السفن البحرية ثم لججوا فى البحر حتى اذا كانوا بجبال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان المقدم عليهم المفضل بن المهلب وكان بكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبى فى طلبهم وفى أثر الفل فادرك مدرك المفضل ومعه الفلول فى عقبة فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم فقتل من أصحاب المفضل النعمان بن ابراهيم بن الاشتر النخعى ومحمد بن اسحق بن محمد بن الاشعث وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيرا وجرح عثمان بن اسحق بن محمد بن الاشعث وهرب حتى انتهى الى حلوان فدل عليه فقتل وحمل رأسه الى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب ابن المهلب فطلبوا الامان فأمنوا منهم مالك بن ابراهيم بن الاشتر والورد بن عبد الله بن حبيب السعدى التميمى ومضى آل المهلب ومن معهم الى قندابيل وبعث مسلمة الى مدرك بن ضب فرده وسير فى أثرهم هلال بن أحوز التميمى فلحقهم بقندابيل فأراد اهل المهلب دخولها فمنعهم وداع بن حميد وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب فلما التقوا كان وداع على الميمنة وعبد الله بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى فرفع هلال بن أحوز راية أمان فمال اليه وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وتفرق الناس عن آل المهلب فلما رأى ذلك مروان بن المهلب أراد ان ينصرف الى النساء فيقتلهن لئلا يصرن الى أولئك فنهاه المفضل عن ذلك وقال انا لا نخاف عليهم من هؤلاء فتركهن وتقدموا باسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم وهم المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ومعاوية ابن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبى عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب وحملت رؤسهم وفى أذن كل واحد رقعة فيها اسمه الا أبا عيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان ابن المفضل بن المهلب فانهم لحقوا برتبيل وبعث هلال بن أحوز بنسائهم ورؤسهم والاسرى من آل المهلب الى مسلمة بالحيرة فبعثهم مسلمة الى يزيد بن عبد الملك فسيرهم يزيد الى العباس ابن الوليد وهو على حلب فنصب الرؤس وأراد مسلمة ان يبيع الذرية فاشتراهم منه الجراح

لا أستبقيك بعد اهلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين فامر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلى سبيلهما فقطعاها ففى هذا المقتول ومن كان معه يقول جدى ابن الدهمى العبسى

ألم يحزنك والانباء تنمى * بالاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبنى أبيه * وأحلاف الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور الجنود
فهدم من بروج الحصن صخرا * كأن بناءه زبر الحديد

وفى قتل سابور للنضيرة بنت الضيزن وما كان منها من الغدر بابيها وقومها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدى بن زيد العبادى

والحصن صبت عليه داهية * من قصره قد أبدسا كنها
أتته اذ لم يوف والدها * محبها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها لليلتها * تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصبح وما تجدين سباسبها

والشعر فى هذه القصة كثير (وبارض العراق) بيت للنار فى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى ابرويز الملكة فى الموضع

ابن عبد الله الحكمى بمائة ألف وخلى سبيلهم ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيأ ولما بلغ يزيد بن عبد الملك الخبر بقتل يزيد سره لانتصاره ولما فى نفسه منه قبل الخلافة وكان سبب العداوة بينهما ان ابن المهلب خرج من الحمام ايام سليمان بن عبد الملك وقد تضمخ بالغالية فاجتاز بيزيد بن عبد الملك وهو الى جانب عمر بن عبد العزيز فقال قبح الله الدنيا لوددت ان مثقال غالية بالف دينار فلا ينالها الا كل شريف فسمع ابن المهلب فقال له بل وددت ان الغالية لو كانت فى جبهة الاسد فلا ينالها الا مثلى فقال له يزيد بن عبد الملك والله لئن وليت يوما لاقتلنك فقال له ابن المهلب والله لئن وليت هذا الامر وأنا حى لاضربن وجهك بخمسين ألف سيف فهذا كان سبب البغض بينهما وقيل غير ذلك وقد تقدم ذكره وأما الاسرى فكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما قدم بهم على يزيد بن عبد الملك وعنده كثير عزة أنشد

حليم اذا ما نال عاقب مجملا * أشد العقاب أو عفا لم يثرب
فعفو أمير المؤمنين وحسبة * فما تأته من صالح لك يكتب
اساؤا فان تصفح فانك قادر * وأفضل حلم حسبة حلم مغضب

فقال يزيد بن عبد الملك هيهات يا أبا صخر طف بك الرحم لا سبيل الى ذلك ان الله عز وجل أقادنيهم باعمالهم الخبيثة ثم أمر بهم فقتلوا وبقى غلام صغير فقال اقتلونى فما أنا بصغير فقال انظروا أنبت فقال أنا اعلم بنفسى قد احتلمت ووطئت النساء فأمر به يزيد فقتل وأسماء الاسرى الذين قتلوا المعارك وعبد الله والمغيرة والمفضل ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل أولاد المفضل بن المهلب والمفضل بن قبيصة بن المهلب وقال ثابت قطنة يرثى يزيد بن المهلب

أبا طول هذا الليل ان يتصرما * وهاج لك الهم الفؤاد المتيما
أرقت ولم تأرق معى أم خالد * وقد أرقت عيناى حولا محرما
على هالك هد العشيرة فقده * دعته المنايا فاستجاب وسلما
على ملك بالعقر يا صاح جبنت * كتائبه واستورد الموت معلما
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهدا * لسليت ان لم يجمع الحى مأتما
وفى غير الايام يا هند فاعلمى * لطالب وتر نظرة ان تلوما
فعلى ان مالت بى الريح ميلة * على ابن أبى ذبان ان يتندما
أمسلم ان تقدر عليك رماحنا * نذقك بها قىء الاساود مسلما
وان تلق للعباس فى الدهر عثرة * نكافئه باليوم الذى كان قدما
قصاصا ولم نعد الذى كان قد أتى * الينا وان كان ابن مروان أظلما
ستعلم ان زلت بك النعل زلة * وأظهر أقوام حياء مجمجما
من الظالم الجانى على أهل بيته * اذا أحضرت أسباب أمر وأبهما
وانا لعطافون بالحلم بعدما * نرى الجهل من فرط اللئيم تكرما
وانا لحلالون بالثغر لا نرى * به ما كنا الا الخميس العرمرما
نرى ان للجيران حقا وذمة * اذا الناس لم يرعوا لذى الجار محرما
وانا لنقرى الضيف من قمع الذرى * اذا كان وفد الوافدين تجشما

وله فيه مرثيات كثيرة وأما أبو عيينة بن المهلب فارسلت هند بنت المهلب الى يزيد بن عبد الملك فى أمانه فأمنه وبقى عمرو وعثمان حتى ولى أسد بن عبد الله القسرى خراسان فكتب اليه

المعروف باسبيا وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها وانما ذكرنا ما اشتهر منها (والهياكل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة مثل بيت بعل وهو الصنم الذى ذكره الله عز وجل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورسنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض من حسبان وجبل تستر فاحدثته موضعا للاصنام وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما وسعة فتحهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة

بامانهم ما فقد ما خراسان (قطنة بالنون وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكى الازدى اصيبت عينه بخراسان فجعل عليها قطنة فعرف بذلك وهو يشتبه بثابت بن قطبة بالباء الموحدة وهو خزاعى وذاك عتكى)

﴿ذكر استعمال مسلمة على العراق وخراسان﴾

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب ابن المهلب جمع له اخوه يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فاقر محمد بن عمرو بن الوليد على الكوفة وكان قد قام بامر البصرة بعد آل المهلب شبيب بن الحرث التميمى فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليمان الكلبى وعلى شرطتها وأحداثها عمرو بن يزيد التميمى فاراد عبد الرحمن ان يستعرض أهل البصرة فيقتلهم فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام وكتب الى مسلمة بالخبر فعزله وولى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وأقر عمرو بن يزيد على الشرطة والاحداث

﴿ذكر استعمال سعيد خذينة على خراسان لمسلمة﴾

استعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية وهو الذى يقال له سعيد خذينة وانما لقب بذلك لانه كان رجلا لينا متنعما فدخل عليه ملك ابغر وسعيد فى ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة فلما خرج من عنده قالوا كيف رأيت الامير قال خذينة فلقب خذينة وخذينة هى الدهقانة ربة البيت وكان سعيد تزوج ابنة مسلمة فلهذا استعمله على خراسان فلما استعمل مسلمة سعيدا على خراسان سار اليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلى على سمرقند فسار اليها فقدم الصغد وكان أهلها كفروا فى ولاية عبد الرحمن بن نعيم ثم عادوا الى الصلح فخطب شعبة أهل الصغد ووبخ سكانها من العرب وغيرهم بالجبن وقال ما أرى فيكم جريحا ولا أسمع أنة فاعتذروا اليه بانهم جبنهم أميرهم علباء بن حبيب العبدى وأخذ سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ثم اطلقهم ثم رفع الى سعيد أن جهم بن زحر الجعفى وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدى والمنتجع بن عبد الرحمن الازدى ولوا ليزيد بن المهلب فى ثمانية نفر وعندهم أموال قد أخفوها فحبسهم بقهندز مرو وحمل جهم ابن زحر على حمار وأطاف به فضربه مائتى سوط وامر به وبالثمانية الذين حبسوا معه فسلموا الى ورقاء بن نصر الباهلى فاستعفاه فاعفاه فسلمهم الى عبد الحميد بن دينار وعبد الملك بن دينار والزبير ابن نشيط مولى باهلة فقتلوا فى العذاب جهم بن زحر وعبد العزيز والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوما حتى اشفوا على الموت فلم يزالوا فى السجن حتى غزاهم الترك والصغد فامر سعيد باخراجهم وكان يقول قبح الله الزبير فانه قتل جهما

﴿ذكر البيعة بولاية العهد لهشام والوليد﴾

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب على ما ذكرناه واستعمل على الجيش مسلمة ابن عبد الملك أخاه والعباس بن الوليد بن عبد الملك وهو ابن أخيه قالوا له يا أمير المؤمنين ان أهل العراق اهل غدر وارجاف وقد توجهنا محاربين والحوادث تحدث ولا نأمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين فيفت ذلك فى اعضادنا فلو عهدت الى عبد العزيز بن الوليد لكان رأيا صوابا فبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فاتى أخاه يزيد فقال يا أمير المؤمنين ايما احب اليك أخوك أم ابن أخيك فقال بل أخى فقال فاخوك أحق بالخلافة فقال يزيد اذا لم تكن فى ولدى فاخى أحق بها من ابن أخى كما ذكرت قال فابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ثم بعده لابنك الوليد وكان الوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة فبايع بولاية العهد لهشام بن عبد الملك أخيه

دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وان بانيه جيرون بن أسعد العادى ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لا ماذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وسأله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج فى طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد دخلها يطلب ماندّ من ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من جهات من النقل وغيره وهو من صنعة القصاص (وقد تنازع الناس) فى هذه المدينة وأين هى ولم يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من

وبعده لابنه الوليد بن يزيد ثم عاش يزيد حتى بلغ ابنه الوليد فكان اذا رآه يقول الله بينى وبين من جعل هشاما بينى وبينك

﴿ذكر غزو الترك﴾

لما ولى سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خذينة وكان قد استعمل شعبة على سمرقند ثم عزله فطمعت الترك فجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد وعلى الترك كورصول فاقبلوا حتى نزلوا بقصر الباهلى وقيل أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة كانت فى ذلك القصر فأبت فاستجاش ورجوا أن يسبوا من فى القصر فاقبل كورصول حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذراريهم وكان على سمرقند عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير قد استعمله سعيد بعد شعبة فكتبوا اليه وخافوا ان يبطئ عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحى وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل وفيهم شعبة بن ظهير وثابت قطنة وغيرهما من الفرسان فلما عسكروا قال لهم المسيب انكم تقدمون على حلبة الترك عليهم خاقان والعوض ان صبرتم الجنة والعقاب ان فررتم النار فمن أراد الغزو والصبر فليقدم فرجع عنه ألف وثلثمائة فلما سار فرسخا رجع بمثل مقالته الاولى فاعتزله ألف ثم سار فرسخا آخر فقال لهم مثل ذلك فاعتزله ألف ثم سار فلما كان على فرسخين منهم نزل فاتاهم ترك خاقان ملك قى فقال لم يبق ههنا دهقان الا وقد بايع الترك غيرى وأنا فى ثلثمائة مقاتل فهم معك وعندى الخبر قد كانوا صالحوهم وأعطوهم سبعة عشر رجلا يكونون رهينة فى أيديهم حتى يأخذوا صلحهم فلما بلغوهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم ان يقاتلوا غدا ويفتحوا لهم القصر فبعث المسيب رجلين رجلا من العرب ورجلا من العجم ليعلما علم القوم فاقبلا فى ليلة مظلمة وقد أخذت الترك الماء فى نواحى القصر فليس يصل اليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة فقالا له اسكت وادع لنا عبد الملك بن دثار فدعاه فاعلماه بقرب المسيب منهم وقالا هل عندكم امتناع الليلة وغدا قالوا قد أجمعنا على تقديم نسائنا للموت أمامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه انى سائر الى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم يفارقه احد وبايعوه على الموت فاصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذى أجراه الترك فلما صار بينه وبين الترك نصف فرسخ نزل وقد أجمع على بياتهم فلما أمسى أمر أصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب فاعقروها فانها اذا عقرت كانت أشد عليهم منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها فى عسكر الا أوهنوه وان كثر أهله وجعل على ميمنته كثيرا الدبوسى وعلى ميسرته ثابت قطنة وهو من الازد فلما دنوا منهم كبروا وذلك فى السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجل المسيب فى رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا وانقطعت يمين البخترى المرائى فاخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد وضرب ثابت قطنة عظيما من عظماء الترك فقتله وانهزمت الترك ونادى منادى المسيب لا تتبعوهم فانهم لا يدرون من الرعب اتبعتموهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا الا الماء ولا تحملوا الا من يقدر على المشى ومن حمل امرأة او صبيا أو ضعيفا حسبة فاجره على الله ومن أبى فله أربعون درهما وان كان فى القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه فحملوا من فى القصر وأتى ترك خاقان فانزلهم قصره وأتاهم بطعام ثم ساروا الى سمرقند ورجعت الترك من الغد فلم يروا فى القصر احدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذى جاءنا من الانس

العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول فى أيدى الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها مما ذكرنا مثل كتاب افسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد ودنيا زاد ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب فى هذا المعنى (وقد كان) مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منابره تماثيل منصوبة وقد كان بنى على المشترى وطالع سعد ثم ظهرت النصرانية

فقال ثابت قطنة

فدت نفسى فوارس من تميم * غداة الروع فى ضنك المقام
فدت نفسى فوارس اكنفونى * على الاعداء فى رهج القتام
بقصر الباهلى وقد رأونى * أحامى حيث ضن به المحامى
بسيفى بعد حطم الرمح قدما * أذودهم بذى شطب حسام
اكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
أكر به لدى الغمرات حتى * تجلت لا يضيق به مقامى
فلولا الله ليس له شريك * وضربى نونس الملك الهمام
اذا لسعت نساء بنى دثار * أمام الترك بادية الخدام
فمن مثل المسيب فى تميم * أبى بشر كقادمة الحمام

وعور تلك الليلة معاوية بن الحجاج الطائى وشلت يده وكان قد ولى ولاية من قبل سعيد فاخذه سعيد بشىء بقى عليه فدفعه الى شداد بن خليد الباهلى ليستأديه فضيق عليه شداد فقال معاوية يا معشر قيس سرت الى قصر الباهلى وأنا شديد البطش حديد البصر فعورت وشلت يدى وقاتلت حتى استنقذناهم بعدما أشرفوا على القتل والاسر والسبى وهذا صاحبكم يصنع بى ما يصنع فكفوه عنى فخلاه قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل

﴿ذكر غزو الصغد﴾

وفى هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد وكانوا قد نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد أغار الترك وأعانهم أهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم فان الصغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أبادوكم وقال سورة بن الحر لحيان النبطى ارجع عنهم يا حيان قال عقيرة الله لا أدعها قال انصرف يا نبطى قال أنبط الله وجهك وسار المسلمون فانتهوا الى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعضهم وقد أكمن لهم الترك فلما جاءهم المسلمون خرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا الى الوادى فصبر واحتى انكشفوا لهم وقيل بل كان المنهزمون مسلحة للمسلمين فما شعروا الا والترك قد خرجوا عليهم من غيضة وعلى الخيل شعبة بن ظهير فاعجلهم الترك عن الركوب فقاتلهم شعبة فقتل وقتل نحو من خمسين رجلا وانهزم أهل المسلحة وأتى المسلمين الخبر فركب الخليل بن أوس العبشمى أحد بنى ظالم ونادى يا بنى تميم الى أنا الخليل فاجتمع معه جماعة فحمل بهم على العدو فكفوهم حتى جاء الامير والناس فانهزم العدو فصار الخليل على خيل بنى تميم حتى ولى نصر بن سيار ثم صارت رياستهم لاخيه الحكم بن أوس فلما كان العام المقبل بعث رجالا من تميم الى ورغيش فقالوا ليتنا نلقى العدو فنطاردهم وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا رد السبى وعاقب السرية فقال الهجرى الشاعر

سريت الى الاعداء تلهو بلعبة * وايرك مسلول وسيفك مغمد
وأنت لمن عاديت عرس خفية * وأنت علينا كالحسام المهند

فثقل سعيد على الناس وضعفوه وكان رجل من بنى أسد يقال له اسمعيل منقطعا الى مروان بن محمد

فجعلته كنيسة وظهر الاسلام وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهى منائر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريض وهو مبنى الى هذا الوقت فى وسطها وكان يجرى فيه الخمر فى قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء فى مدحها الملوك غسان من مأرب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مسجدها الجامع مبنى بالآجر العادى والحجر عظيم البنيان وفى كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من أبوابه من أعاليه فى بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر أن هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نار لها (قال المسعودى) وقد ذكر أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤه فى العالم فى كل ألف عام وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبى معشر فى كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب فى الارض وقد أعرضنا عن

فذكر

فذكر اسمعيل عند خذينة ومودته لمروان فقال خذينة وماذاك الساط فقال اسمعيل

زعمت خذينة أننى سلط * لخذينة المرآة والمشط
ومجامر ومكاحل جعلت * ومعازف وبخدها نقط
افذاك ام زغف مضاعفة * ومهند من شأنه القط
لقرس ذكر اخى ثقة * لم يغذه التأنيث واللغط

﴿ذكر موت حيان النبطى﴾

فى أبيات غيرها

وقد ذكر من أمر حيان فيما تقدم عند قتل قتيبة وانه سادوتقدم بخراسان فلما قال له سورة بن الحر يا نبطى وأجابه حيان فقال انبط الله وجهك على ما تقدم آنفا حقدها عليه سورة فقال لسعيد خذينة ان هذا العبد أعدى الناس للعرب والوالى وهو أفسد خراسان على قتيبة وهو واثب بك يفسد عليك خراسان ثم يتحصن فى بعض هذه القلاع فقال سعيد لا تسمعن هذا احدا ثم دعا فى مجلسه بلبن وقد أمر بذهب فسحق وألقى فى اللبن الذى فى اناء حيان فشربه حيان ثم ركض سعيد والناس معه أربعة فراسخ ثم رجع فعاش حيان أربعة ايام ومات وقيل انه لم يمت هذه السنة وسيرد ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عزل مسلمة عن العراق وخراسان وولاية ابن هبيرة﴾

وكان سبب ذلك أنه ولى العراق وخراسان فلم يدفع من الخراج شيأ واستحيا يزيد بن عبد الملك أن يعزله فكتب اليه استخلف على عملك وأقبل وقيل ان مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان فى الشخوص الى يزيد ليزوره قال أمن شوق اليه ان عهدك منه لقريب قال لا بد من ذلك قال اذن لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه فسار مسلمة فلقيه عمر بن هبيرة الفزارى بالعراق على دواب البريد فسأله عن مقدمه فقال عمر وجهنى امير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب فلما خرج من عنده احضر مسلمة عبد العزيز بن حاتم واخبره خبر ابن هبيرة فقال قد قلت لك قال مسلمة فانه جاء لحيازة أموال آل المهلب قال هذا أعجب من الاول يكون ابن هبيرة على الجزيرة فيعزل عنها ويبعث لحيازة أموال بنى المهلب ولم يكتب معه اليك كتاب فلم يلبث حتى أتاه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعى فزارة لا هناك المرتع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * واخو هراة لمثلها يتوقع

يعنى بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان وبابن عمرو محمدا ذا الشامة وباخى هراة سعيد خذينة وأما ابتداء امر ابن هبيرة حتى ولى العراق فانه قدم من البادية من بنى فزارة فافترض مع بعض ولاة الحرب وكان يقول لا ارجو أن لا تنقضى الايام حتى ألى العراق وسار مع عمرو بن معاوية العقيلى الى غزو الروم فأتى بفرس رائع الا انه لا يستطاع ركوبه فقال من ركبه فهو له فقام عمر ابن هبيرة وتنحى عن الفرس واقبل حتى اذا كان بحيث تناله رجلا الفرس اذا رمحه وثب فصار على سرجه فاخذ الفرس فلما خلع مطرف بن المغيرة بن شعبة الحجاج سار عمر بن هبيرة فى الجيش الذين حاربوه من الرى فلما التقى العسكران التحق ابن هبيرة بمطرف مظهرا أنه معه فلما جال الناس كان ممن قتله واخذ رأسه وقيل قتله غيره واخذ هو رأسه وأتى به عديا فاعطاه مالا وأوفده الى الحجاج بالرأس فسيره الحجاج الى عبد الملك فاقطعه ببرزة وهى قرية بدمشق وعاد الى الحجاج فوجهه الى كردم بن مرثد الفزارى ليخلص منه مالا فاخذه منه وهرب الى عبد الملك وقال أنا عائذ بالله

ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد يأجوج ومأجوج وتنازع الناس فى كيفية بنائه كتنازعهم فى أرم ذات العماد على ما ذكرنا آنفا وكيفية بناء الاهرام بأرض مصر وما عليها من الكتابة المرسومة وما بصعيد مصر من البرابى المصنوعة وبغير أرض الصعيد من أرض مصر وأخبار مدينة العقاب وما ذكر الناس فيها وكونها فى وهاد مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بأرض عاد وأخبار النمل الذى على قدر الذئاب والكلاب وقصة أرض الذهب التى حذاء سجلماسة من أرض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وغدو الناس الى أمتعتهم فيجدون أعمدة الذهب وقد تركب الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء أخذ متاعه وترك الذهب وان أحب

وبامير المؤمنين من الحجاج فانى قتلت ابن عمه مطرف بن المغيرة وأتيت أمير المؤمنين برأسه فرجعت فاراد قتلى ولست آمن أن ينسبنى الى أمر يكون فيه هلاكى فقال أنت فى جوارى فاقام عنده فكتب فيه الحجاج الى عبد الملك يذكر أخذه المال وهربه فقال له امسك عنه وتزوج بعض ولد عبد الملك بنت الحجاج فكان ابن هبيرة يهدى لها ويبرها ويسمر عليها فكتبت الى أبيها تثنى عليه فكتب اليه الحجاج يأمره أن ينزل به حاجاته وعظم شأنه بالشام فلما استخلف عمر بن عبد العزيز استعمله على الجزيرة فلما ولى يزيد بن عبد الملك ورأى ابن هبيرة تحكم حبابة عليه تابع هداياه اليها والى يزيد بن عبد الملك فعملت له فى ولاية العراق فولاه يزيد وكان ابن هبيرة بينه وبين القعقاع بن خليد العبسى تحاسد فقال القعقاع من يطيق ابن هبيرة حبابة بالليل وهداياه بالنهار فلما ماتت حبابة قال القعقاع

هلم فقد ماتت حبابة سامنى * بنفسك تقدمك الذرا والكواهل

اغرك أن كانت حبابة مرة * تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل

فى أبيات وكان بينه وبين القعقاع يوما كلام فقال له القعقاع يا ابن اللخناء من قدمك فقال قدمك أنت وأهلك اعجاز الغوانى وقدمنى صدور العوالى فسكت القعقاع يعنى ان عبد الملك قدمهم لما تزوج اليهم فان أم الوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان عبسية

﴿ذكر بعض الدعاة للدولة العباسية﴾

وفى هذه السنة وجه ميسرة رسله من العراق الى خراسان فظهر أمر الدعاة بها فجاء عمرو بن بحير ابن ورقاء السعدى الى سعيد خذينة فقال له ان ههنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح وأعلمه حالهم فبعث سعيد اليهم فاتى بهم فقال من أنتم قالوا ناس من التجار قال فما هذا الذى يحكى عنكم قالوا لا ندرى قال جئتم دعاة قالوا ان لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا فقال من يعرف هؤلاء فجاء ناس من أهل خراسان أكثرهم من ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم وهم علينا ان أتاك منهم شئ تكرهه فخلى سبيلهم

﴿ذكر قتل يزيد بن أبى مسلم﴾

قيل كان يزيد بن عبد الملك قد استعمل يزيد بن أبى مسلم بافريقية سنة احدى ومائة وقيل هذه السنة وكان سبب قتله أنه عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج فى أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق فانه ردهم الى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار فلما عزم يزيد على ذلك اجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم وهو محمد بن يزيد مولى الانصار وكان عندهم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع ايدينا من طاعة ولكن يزيد بن ابى مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه واعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك انى لم أرض ما صنع يزيد بن أبى مسلم وأقر محمد بن يزيد على عمله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلى العراق فهزمهم وأسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة أسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة وحج بالناس هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك وهو عامل المدينة وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد وكان على الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة وعلى قضائها القاسم بن

الزيادة ترك الذهب والمتاع وهذا مشهور بأرض المغرب بسجلماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك بأقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر المشيد وذلك ببلاد الشحر من بلاد الاحقاف بين اليمن وحضرموت والبئر وما فيها من الحرف واتصالها بالقرى والفضاء من أعلاها وأسفلها وما قاله الناس فى تأويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره وأخبار مخاليف اليمن وهى القلاع والحصون كقلعة نحل وغيرها وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهياكل والكنائس والعمود الذى عليه السودانية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون فى أيامه بالشام وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى البصرة عبد الله بن بشر بن مروان الى أن عزله عمر بن هبيرة وعلى خراسان سعيد خذينة وعلى مصر أسامة بن زيد

﴿ثم دخلت سنة ثلاث ومائة﴾

﴿ذكر استعمال سعيد الحرشى على خراسان﴾

فى هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان وكان سبب عزله أن المجشر بن مزاحم السلمى وعبد الله بن عمير الليثى قدما على عمر بن هبيرة فشكواه فعزله واستعمل سعيد ابن عمرو الحرشى (بالحاء المهملة والشين المعجمة من بنى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) وكان خذينة بباب سمرقند فبلغه عزله وخلف بسمرقند ألف رجل وقيل ان عمر بن هبيرة كتب الى يزيد بن عبد الملك باسماء من أبلى يوم العقر ولم يذكر سعيدا الحرشى فقال يزيد لم يذكر الحرشى وكتب الى عمر بن هبيرة أن ول الحرشى خراسان فولاه فقدم بين يديه المجشر بن مزاحم السلمى فقال نهار بن توسعة

فهل من مبلغ فتيان قومى * بان النبل ريشت كل ريش

وان الله أبدل من سعيد * سعيد الا المخنث من قريش

وقدم سعيد الحرشى خراسان فلم يعرض لعمال خذينة وقرأ رجل عهده فلحن فيه فقال صه مهما سمعتم فهو من الكاتب والامير منه برئ ولما قدم الحرشى خراسان كان الناس بازاء العدو وكانوا قد نكبوا فخطبهم وحثهم على الجهاد وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال

فلست لعامر ان لم ترونى * أمام الخيل نطعن بالعوالى

وأضرب هامة الجبار منهم * بعضب الحد حودث بالصقال

فما أنا فى الحروب بمستكين * ولا أخشى مصاولة الرجال

أبى لى والدى من كل ذم * وخالى فى الحوادث خير خال

فلما سمع أهل الصغد بقدوم الحرشى خافوا على نفوسهم لانهم كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة فاجتمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا أقيموا واحملوا خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما يأتى وعمارة الارض والغزو معه ان أراد ذلك واعتذروا مما كان منكم وأعطوه رهائن قالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتى خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق انه لا يرى أمرا يكرهه فقال أنا رجل منكم والذى أشرت به عليكم خير لكم فأبوا وخرجوا الى خجندة وأرسلوا الى ملك فرغانة يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته فاراد أن يفعل فقالت أمه لا يدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فارسل اليهم سموا رستاقا تكونون فيه حتى أفرغه لكم وأجلونى أربعين يوما وقيل عشرين يوما فاختاروا شعب عصام بن عبد الله الباهلى وكان قتيبة قد خلفه فيهم فقال نعم ولا انا على عقد وجوار حتى تدخلوه وان أتتكم قبل أن تدخلوه لم أمنعكم فرضوا ففرغ لهم الشعب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفى هذه السنة أغارت الترك على اللان وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دملة وفيها جمعت مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك وفيها ولى عبد الواحد بن عبد الله النضرى الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عنه وعن مكة وحج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك

بالسودانية طير فى مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ما ذكرنا فى أخبار الطلسمات عن ماليعاس وغيره فى كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التى ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التى بمفاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان فى نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها واخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التى أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشى فى أطراف مفاوز الهند وما كان من ملوك الهند وعدم وصولهم اليها وما يجرى من وادى الرمل نحوها وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بارض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من

وكان عامل مكة والمدينة وكان على العراق عمر بن هبيرة وعلى خراسان الحرشي وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى وفي هذه السنة مات الشعبي وقيل سنة أربع وقيل خمس وقيل سبع ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها مات يزيد بن الاصم وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مات سنة اربع ومائة وعمره ثلاث وسبعون سنة وفيها مات أبو بردة بن أبي موسى الاشعري ويزيد بن الحصين بن نمير السكوني وفيها توفي عطاء بن يسار وهو أخو سليمان (يسار بالياء المثناة من تحت والسين المهملة) وفيها توفيت عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية وهي ابنة سبع وسبعين سنة وفيها توفي مصعب بن سعد ابن أبي وقاص ويحيى بن وثاب الاسدي المنقري وعبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة

ثم دخلت سنة أربع ومائة

(ذكر الوقعة بين الحرشي والصغد)

قيل وفي هذه السنة غزا الحرشي فقطع النهر وسار فنزل في قصر الريح على فرسخين من الدبوسية ولم يجتمع اليه جنده فأمر بالرحيل فقال له هلال بن عليم الحنظلي يا هناه انك وزيرا خير منك أميرا لم يجتمع اليك جندك وقد أمرت بالرحيل فنادوا أمر بالنزول وأتاه ابن عم ملك فرغانة فقال له ان أهل الصغد بخجندة وأخبره بخبرهم وقال عاجلهم قبل ان يصلوا الى الشعب فليس لهم جوار علينا حتى يمضي الاجل فوجه معه عبد الرحمن القشيري وزياد بن عبد الرحمن في جماعة ثم ندم بعدما فصلوا وقال جاءني علج لا أعلم أصدق أم كذب فغررت بجند من المسلمين فارتحل في أثرهم حتى نزل اشروسنة فصالحهم بشيء يسير فبينما هو يتعشى اذ قيل له هذا عطاء الدبوسي وكان مع عبد الرحمن فسقطت اللقمة من يده ودعا بعطاء فقال ويلك قاتلتم أحدا قال لا قال الله الحمد وتعشى وأخبره بما قدم له فسار مسرعا حتى لحق القشيري بعد ثلاثة وسار فلما انتهى الى خجندة قال له بعض أصحابه ما ترى قال أرى المعاجلة قال لا أرى ذلك ان جرح رجل فالى أين يرجع أو قتل قتيل فالى من يحمل ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب فنزل فأخذ في التأهب فلم يخرج أحد من العدو فجبن الناس الحرشي وقالوا كان يذكر بشجاعة وديانة فلما صار بالعراق ماق فحمل رجل من العرب فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب وكانوا حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقا وغطوه بقصب وتراب مكيدة وأرادوا اذا التقوا ان انهزموا كانوا قد عرفوا الطريق ويشكل على المسلمين ويسقطون في الخندق فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا وأخطأهم الطريق فسقطوا في الخندق وأخرج منهم المسلمون أربعين رجلا وحصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فارسلوا الى ملك فرغانة انك غدرت بنا وسألوه أن ينصرهم فقال قد أتوكم قبل انقضاء الاجل ولستم في جواري فطلبوا الصلح وسألوا الامان وان يردهم الى الصغد واشترط عليهم أن يردوا ما في أيديهم من نساء العرب وذراريهم وان يؤدوا ما كسروا من الخراج ولا يغتالوا أحدا ولا يتخلف منهم بخجندة احد فان أحدثوا حدثا حلت دماؤهم فخرج اليهم الملوك والتجار من الصغد وترك أهل خجندة على حالهم ونزل عظماء الصغد على الجند الذين يعرفونهم ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان وبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة ممن كان في أيديهم فقال بلغني ان ثابتا قتل امرأة ودفنها تحت جب فسأل فاذا الخبر صحيح فدعا بثابت الى خيمته فقتله فلما سمع كارزنج بقتله خاف أن يقتل وارسل الى ابن أخيه ليأتيه بسراويل وكان قد قال لابن أخيه اذا طلبت سراويل

البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنتظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذي فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند وخبر سندار كمرى ببلاد دهر ماسين من أعمال الدينور من ماه الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والماكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل في اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث في كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار كتكون المرجان ببحر المغرب وعدمه من غيره ووجود اللؤلؤ في البحر الحبشي دون غيره (وقد كان) بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم وبحر الروم طريقا فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم

فاعلم انه القتل فبعث به اليه وخرج واعترض الناس فقتل ناسا وتضعضع العسكر ولقوا منه شرا وانتهى الى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت وقتل الصغد اسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلا فاخبر الحرشي بذلك فسأل فرأى الخبر صحيحا فامر بقتلهم وعزل التجار عنهم فقاتلوهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف واصطفى أموال الصغد وذراريهم وأخذ منه ما أعجبه ثم دعا مسلم بن بديل العدوي عدي الرباب وقال وليتك المقسم فقال بعدما عمل فيه عمالك ليلة وله غيري فولاه غيره وكتب الحرشي الى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب الى عمر بن هبيرة فكان هذا مما أوغر صدره عليه وقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم

اقر العين مصرع كارزنج * وكشكير وما لاقى بياد
وديوشتي وما لاقى في خلنج * بحصن خجند اذ دمروا فبادوا

قال ان ديوشتي دهقان سمرقند واسمه ديواشنج واسروه وقيل كان على اقباض خجندة علباء بن أحمر اليشكري فاشترى رجل منهم جونة بدرهمين فوجد فيها سبائك ذهب فرجع وقد وضع يده على وجهه كأنه رمد فرد الجونة فاخذ الدرهمين فطلب فلم يعرف وسرح الحرشي سليمان بن أبي السري الى حصن يطيف به وادي الصغد الا من وجه واحد ومعه خوارزمشاه وصاحب أخرون وشومان فسير سليمان على مقدمته المسيب بن بشر الرياحي فلقوه على فرسخ فهزمهم حتى ردهم الى حصنهم فحصرهم فطلب الديوشتي ان ينزل على حكم الحرشي فسيره اليه فاكرمه وطلب أهل القلعة الصلح على ان لا يتعرض لنسائهم وذراريهم ويسلموا القلعة فبعث سليمان الى الحرشي ليبعث الامناء لقبض ما في القلعة فبعث من قبضه وباعوه وقسموه وسار الحرشي الى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس وقيل ستة آلاف رأس وسار الى ربنجن فوافاه كتاب ابن هبيرة باطلاق ديوشتي فقتله وصلبه وولى نصر بن سيار قبض صلح كش واستعمل سليمان بن أبي السري على كش ونسف حربها وخراجها وكانت خزائن منيعة فقال المجشر للحرشي الا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال قال بلى قال المسربل بن الخريت بن راشد الناجي فوجهه اليها وكان صديقا لملكها واسم الملك سبغري فاخبر الملك بما صنع الحرشي باهل خجندة وخوفه قال فما ترى قال ان تنزل بامان قال فاصنع من يلحق بي قال تجعلهم في امانك فصالحهم فامنوه وبلاده ورجع الحرشي الى بلاده ومعه سبغري فقتل سبغري وصلب ومعه الامان

(ذكر ظفر الخزر بالمسلمين)

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثبيت النهراني فاجتمعت الخزر في جمع كثير وأعانهم قفجاق وغيرهم من أنواع الترك فلقوا المسلمين في مكان يعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا فقتل من المسلمين بشر كثير واحتوت الخزر على عسكرهم وغنموا جميع ما فيه وأقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت فوبخهم يزيد على الهزيمة فقال يا أمير المؤمنين ما جبنت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضاربت حتى انقطع سيفي غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد

(ذكر ولاية الجراح أرمينية وفتح بلنجر وغيرها)

لما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا واستعمل يزيد بن

وان الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر في كتابه والموضع الذي حفره بحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر واجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة صنعه محمد بن علي الحراني من أرض مصر في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فلم يتأت له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القلزم (وحفر خليج) آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما ويعرف هذا الخليج بالزبير والحسة واستمر الماء في هذا الخليج من بحر القلزم الذي في نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم في خليج ذنب التمساح فيتتابع أرباب المراكب وتقرب حمل ما في كل بحر الى آخر ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور ومالأته السوافي من الرمل وغيره (وقد رام الرشيد) أن يوصل بين هذين البحرين مما يلي النيل من أعالي مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب

عبد الملك الجراح بن عبدالله الحكمي حينئذ على أرمينية وأمده بجيش كثيف وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الاعداء وبقصد بلادهم فسار الجراح وتسامع الخزر به فعادوا حتى نزلوا بالباب والابواب ووصل الجراح الى برذعة فاقام حتى استراح هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر فسمع بان بعض من معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجراح اليه فحينئذ أمر الجراح مناديه فنادى فى الناس أن الامير مقيم ههنا عدة أيام فاستكثروا من الميرة فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره أن الجراح مقيم ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه فلما كان الليل أمر الجراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى الى مدينة الباب والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد فبعث سراياه فى النهب والغارة على ما يجاوره فغنموا وعادوا من الغد وسار الخزر اليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا قتالا شديدا وحرض الجراح أصحابه واشتد القتال فظفروا بالخزر وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل أهله بالامان على مال يحملونه فاجابهم ونقلهم عنها ثم سار الى مدينة يقال لها يرغو فاقام عليها ستة أيام وهو مجد فى قتالهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله وكان اهل الحصن قد جمعوا ثلثمائة عجلة فشدوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجل أشد شئ على المسلمين فى قتالهم فلما رأوا الضرر الذى عليهم منها انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العجل وجد الكفار فى قتالهم ورموا من النشاب ما كان يحجب الشمس فلم يرجع أولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذى يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدودا الى بعض والتحم الجميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الامر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ثم ان الخزر انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عنوة وغنموا جميع مافيه فى ربيع الاول فاصاب الفارس ثلثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين ألفا ثم ان الجراح أخذ أولاد صاحب بلنجر وأهله وأرسل اليه فأحضره ورد اليه أمواله واهله وحصنه وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه ثم ان أهل تلك البلاد تجمعوا وأخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجدا حتى وصل الى رستاق ملى وأدركهم الشتاء فاقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انفاذ العساكر اليه فادركه أجله قبل انفاذ الجيش فارسل هشام بن عبد الملك الى الجراح أقره على عمله ووعده المدد

﴿ذكر عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة﴾

وفى هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة وكان عاملا عليهما ثلاث سنين وولى عبد الواحد النضرى وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن خطب فاطمة بنت الحسين بن على فقالت ما أريد النكاح ولقد قعدت على بنى هؤلاء فألح عليها وقال لئن لم تفعلى لاجلدن أكبر بنيك فى الخمر يعنى عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على وكان على الديوان بالمدينة

بحر القلزم الى البحر الرومى فقال يحيى بن خالد يختطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف وذلك أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سراياها على جدة فيختطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ماذكرنا فامتنع من ذلك (وقدحـ) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ما افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وآثار الحفر بين هذين البحرين فيماذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد ما فيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

﴿ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب﴾

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس

ابن هرمز رجل من اهل الشام وقد رفع حسابه ويريد أن يسير الى يزيد فدخل على فاطمة يودعها فقالت تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض منى وبعثت رسولا بكتاب الى يزيد يخبره بذلك وقدم ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة وقال هل من مغربة خبر فلم يذكر شأن فاطمة فقال الحاجب ليزيد بالباب رسول من فاطمة بنت الحسين فقال ابن هرمز انها حملتنى رسالة وأخبره بالخبر فنزل من فراشه وقال لا أم لك عندك هذا ولا تخبرنيه فاعتذر بالنسيان وأذن لرسولها فادخله وأخذ الكتاب فقرأه وجعل يضرب بخيزران فى يده ويقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعنى صوته فى العذاب قيل له عبد الواحد بن عبد الله النضرى فكتب بيده الى عبد الواحد قد وليتك المدينة فاهبط اليها واعزل عنها ابن الضحاك وغرمه اربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشى وسار البريد بالكتاب ولم يدخل على ابن الضحاك فاحضر البريد وأعطاه ألف دينار ليخبره خبره فاخبره فسار ابن الضحاك مجدا فنزل على مسلمة بن عبد الملك فاستجاره فحضر مسلمة عند يزيد فطلب اليه حاجة فقال كل حاجة هى لك الا ابن الضحاك فقال هى والله ابن الضحاك فقال والله لا أعفيه أبدا ورده الى المدينة الى عبد الواحد فعذبه ولقى شرا ثم لبس جبة صوف يسأل الناس وكان قدوم النضرى فى شوال سنة أربع ومائة وكان ابن الضحاك قد آذى الانصار طرا فهجاه الشعراء وذمه الصالحون ولما وليهم النضرى أحسن السيرة فأحبوه وكان خيرا يستشير فيما يريد فعله القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله ابن عمر

﴿ذكر ولادة أبى العباس السفاح﴾

قيل وفيها ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن على فى ربيع الآخر وهو السفاح وصل الى أبيه محمد بن على أبو محمد الصادق من خراسان فى عدة من أصحابه فأخرج اليوم أبا العباس فى خرقة وله خمسة عشر يوما وقال لهم هذا صاحبكم الذى يتم الامر على يده فقبلوا أطرافه وقال لهم والله ليتمن الله هذا الامر حتى تدركوا ثاركم من عدوكم

﴿ذكر عزل سعيد الحرشى﴾

وفى هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيدا الحرشى عن خراسان وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى وكان السبب فى ذلك ما كان كتبه ابن هبيرة الى الحرشى باطلاق الديوشتى فقتله وكان يستخف بابن هبيرة ويذكره بأبى المثنى فيقول قال أبو المثنى وفعل أبو المثنى فبلغ ذلك ابن هبيرة فارسل جميل بن عمران ليعلم حال الحرشى وأظهر أنه ينظر فى الدواوين فلما قدم على الحرشى قال كيف أبو المثنى فقيل له ان جميلا لم يقدم الا ليعلم علمك فسم بطيخة وبعث بها اليه فأكلها ومرض وسقط شعره ورجع الى ابن هبيرة وقد عولج فصح فقال له الامر أعظم مما بلغك ما يرى الحرشى الا أنك عامل له فغضب وعزله ونفخ فى بطنه النمل وعذبه حتى أدى الاموال وسمر ليلة ابن هبيرة فقال من سيد قيس فقالوا الامير فقال دعوا هذا سيد قيس الكوثر بن زفر لو ثور بليل لوافاه عشرون ألفا لا يقولون لم دعوتنا وفارسها هذا الحمار الذى فى الحبس وقد أمرت بقتله يعنى الحرشى فاما خير قيس لها فعسى ان أكونه فقال له اعرابى من بنى فزارة لو كنت كما تقول ما أمرت بقتل فارسها فارسل الى معقل بن عروة أن كف عن قتله وكان قد سلمه اليه ليقتله وكان ابن هبيرة لما ولى مسلم بن سعيد خراسان أمره بأخذ الحرشى وتقييده وانفاذه اليه فقدم مسلم دار الامارة فرأى الباب مغلقا فقيل للحرشى قدم مسلم فارسل اليه أقدمت أميرا أو وزيرا أو زائرا وقال مثلى لا يقدم زائرا ولا وزيرا فاتاه الحرشى فشتمه وقيده وأمر بحبسه ثم أمر صاحب الحبس

فى بدء العالم ممن أثبت حدوثه ونفاه وما جرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول بالقدم من الفلكيين والطبيعيين وما أوردته الفلكية من قولها ان الحركة الصانعة للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التى بين العقدة التى ابتدأت منها حتى تنتهى اليها راجعة ثم تنفصل عنها اعادت كل ما بدأت أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب أشكاله اذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذى كان عند الصدر ثم ما نعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت فى بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات فى العالم وجعلت لها أصلا فى التناسل تحركت عن تبقية الاشخاص وعرت الى

أن يزيده قيدا فاخبر الحرشى بذلك فقال لكاتبه اكتب اليه ان صاحب سمنك ذكر أنك أمرته أن يزيدنى قيدا فان كان أمرا من فوقك فسمعا وطاعة وان كان رأيا رأيته فسيرك الحقحقة وهى أشد السير وتمثل

فاماتثقفونى فاقتلونى * ومن يثقف فليس له خلود
هم الاعداء ان شهدوا وغابوا * أولو الاحقاد والاكباد سود

فلما هرب ابن هبيرة عن العراق أرسل خالد القسرى فى طلب الحرشى فادركه على الفرات فقال ماظنك بى قال ظنى بك انك لاتدفع رجلا من قومك الى رجل من قيس فقال هو ذاك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضرى وعلى العراق والمشرق عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندى وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى وفيها مات أبو قلابة الجرمى وقيل سنة سبع ومائة وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى وفيها توفى يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة وفيها مات عامر بن سعد بن أبى وقاص وفيها توفى موسى بن طلحة بن عبيد الله وعمير مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله وخالد بن معدان بن أبى كرب الكلاعى سكن الشام

﴿ثم دخلت سنة خمس ومائة﴾

﴿ذكر خروج عقفان﴾

فى أيام يزيد بن عبد الملك خرج حرورى اسمه عقفان فى ثمانين رجلا فاراد يزيد أن يرسل اليه جندا يقاتلونه فقيل له ان قتل بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة والرأى أن تبعث الى كل رجل من اصحابه رجلا من قومه يكلمه ويرده ففعل ذلك فقال لهم أهلوهم انا نخاف أن نؤخذ بكم وأمنوا وبقى عقفان وحده فبعث اليه يزيد أخاه فاستعطفه فرده فلما ولى هشام بن عبد الملك ولاه أمر العصاة فقدم ابنه من خراسان عاصيا فشده وثاقا وبعث به الى هشام فاطلقه لابيه وقال لو خاننا عقفان لكتم أمر ابنه واستعمل عقفان على الصدقة فبقى عليها الى ان توفى هشام

﴿ذكر خروج مسعود العبدى﴾

وخرج مسعود بن أبى زينب العبدى بالبحرين على الاشعث بن عبد الله بن الجارود ففارق الاشعث البحرين وسار مسعود الى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العقيلى ولاه اياها عمر بن هبيرة فخرج اليه سفيان فاقتتلوا بالخضرمة قتالا شديدا فقتل مسعود وأقام بأمر الخوارج بعده هلال ابن مدلج فقاتلهم يومه كله فقتل ناس من الخوارج وقتلت زينب أخت مسعود فلما امسى هلال تفرق عنه أصحابه وبقى فى نفر يسير فدخل قصرا فتحصن به فنصبوا عليه السلالم وصعدوا اليه فقتلوه واستأمن أصحابه فآمنهم وقال الفرزدق فى هذا اليوم

لعمرى لقد سلت حنيفة سلة * سيوفا أبت يوم الوغى أن تغيرا
تركن لمسعود وزينب أخته * رداء وسربالا من الموت أحمرا
أرين الحرورية يوم لقائهم * ببرقان يوما يجعل الموت أشقرا

وقيل ان مسعودا غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلى (الخضرمة بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين وكسر الراء)

﴿ذكر مصعب بن محمد الوالبى﴾

كان مصعب من رؤساء الخوارج وطلبه عمر بن هبيرة وطلب معه مالك بن الصعب وجابر بن سعد فخرجوا واجتمعوا بالخورنق وأمروا عليهم مصعبا ومعه أخته آمنة وساروا عنه فلما ولى هشام بن عبد الملك واستعمل على العراق خالدا القسرى سير اليهم جيشا وكانوا قد صاروا بحزة من أعمال الموصل فالتقوا واقتتلوا فقتل الخوارج وقيل كان قتلهم آخر أيام يزيد بن عبد الملك فقال فيهم بعض الشعراء

فتية تعرف التخشع فيهم * كلهم أحكم القرآن اماما
قد برى لحمه التهجد حتى * عاد جلدا مصفرا وعظاما
غادروهم بقاع حزة صرعى * فسقى الغيث أرضهم يااماما

﴿ذكر موت يزيد بن عبد الملك﴾

فى هذه السنة توفى يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان وله أربعون سنة وقيل خمس وثلاثون سنة وقيل غير ذلك وكانت ولايته أربع سنين وشهرا وأياما وكنيته أبو خالد وكان مرضه السل وقيل كان سبب موته أن حبابة لما ماتت وجد عليها وجدا شديدا على مانذكره ان شاء الله تعالى فخرج مشيعا لجنازتها ومعه أخوه مسلمة بن عبد الملك ليسليه ويعزيه فلم يجبه بكلمة وقيل ان يزيد لم يطق الركوب من الجزع وعجز عن المشى فامر مسلمة فصلى عليها وقيل منعه مسلمة عن ذلك لئلا يرى الناس منه مايعيبونه به فلما دفنت بقى بعدها خمسة عشر يوما ومات ودفن الى جانبها وقيل بقى بعدها أربعين يوما لم يدخل عليه أحد الامرة واحدة ولما مات صلى عليه أخوه مسلمة وقيل ابنه الوليد وكان هشام بن عبد الملك بحمص

﴿ذكر بعض سيرته﴾

كان يزيد من فتيانهم فقال يوما وقد طرب وعنده حبابة وسلامة القس دعونى أطير قالت حبابة على من تدع الامة قال عليك قيل وغنته يوما

وبين التراقى واللهاة حرارة * وما تطمئن ما يسوغ فتبردا

فاهوى ليطير فقالت يا أمير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فقال والله لاطيرن فقالت على من تخلف الامة والملك قال عليك والله وقبل يدها فخرج بعض خدمه وهو يقول سخنت عينك فما أسخفك وخرجت معه الى ناحية الاردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت فتركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت وهو يشمها ويقبلها وينظر اليها ويبكى فكلم فى أمرها حتى أذن فى دفنها وعاد الى قصره كئيبا حزينا وسمع جارية له تتمثل بعدها

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى وبقى يزيد بعد موتها سبعة أيام لا يظهر للناس أشار عليه مسلمة بذلك خاف ان يظهر منه مايسفهه عندهم وكان يزيد قد حج أيام أخيه سليمان فاشترى حبابة باربعة آلاف دينار وكان اسمها العالية وقال سليمان لقد هممت ان أحجر على يزيد فردها يزيد فاشتراها رجل من أهل مصر فلما افضت الخلافة الى يزيد قالت امرأته سعدة هل بقى من الدنيا شئ تتمناه قال نعم حبابة فأرسلت فاشترتها ثم صبغتها وأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر وقالت يا أمير المؤمنين هل بقى من الدنيا شئ تتمناه قال قد أعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وتركتها عنده فحظيت سعدة عنده وأكرمها وسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ولما مات يزيد لم يعلم بموته حتى ناحت سلامة فقالت

النسل وأن الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أرى المركب كنه مافيه وعادت الاشياء الى البسيط وابتدأ الكون على طريقه لان الذى أوجبه أولا قد وجد تحققه أن يوجد منه بوجود المعنى الذى أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات فى الربيع وتحرك نوته تحت الثرى وذلك أن الشمس تبلغ فى الربيع الى رأس الحمل بادئة فى شرفها آخذة فى ممرها وهى العلة الكبرى فى الاحياء وما حدث من الثمر والزهر فى الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذى قد باد فى الشتاء ويبسه وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فبدأ بها بعادته فى انشائها وأبرزها من خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شأن الاجسام وتحيط بانتقالها

من حال الى حال لشاهدت ممرها فى دائرة الزمان مبتدئة فى رتبها راجعة اليها مشكلة فى محيط الدائرة باشكال توافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة فى المرور كاختلاف الاسباب وفى هذا القول من هذه الطائفة ماصرح بالقول وأبان عنه وقضية الفحص توجب أن الاشياء الموجودة غير خالية من احد منزلين اما أن يكون بدأ وانتهاء واما أن يكون بدأ لا انتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية وواجب أن يكون الزمان غير عاد لها ولا حاصر لجميعها وقد وجدنا التناهى والابتداء فى اجزائها وأبعاضها على الدوام وانا فى كل يوم جديد نعاين خلقا جديدا وصورا فى العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت متأثلة وفى هذا مايدل على حصر الاشياء ووقعها فى غاية انتهاء صدرها واوجب أن للاشياء بدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلانهاية وان ليس لها ابتداء ولاغاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلابدء ولانهاية

لاتلمنا ان خشعنا * أوهممنا بخشوع
قدلعمرى بت ليلى * كاخى الداء الوجيع
ثم بات الهم منى * دون من لى بضجيع
للذى حل بنا اليو * م من الامر الفظيع
كلما أبصرت ربعا * خاليا فاضت دموعى
قدخلا من سيد كا * ن لنا غير مضيع

ثم نادت وا أمير المؤمنيناه فعلموا بموته والشعر لبعض الانصار وأخبار يزيد مع سلامة وحبابة كثيرة ليس هذا موضع ذكرها وانما قيل لسلامة القس لان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار أحد بنى جشم بن معاوية بن بكير كان فقيها عابدا مجتهدا فى العبادة وكان يسمى القس لعبادته مر يوما بمنزل مولاها فسمع غناءها فوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له هل لك ان تنظر وتسمع فأبى وقال انا أقعدها بمكان لا تراها وتسمع غناءها فدخل معه فغنته فأعجبه غناؤها ثم أخرجها مولاها اليه فشغف بها وأحبها وأحبته هى أيضا وكان شابا جميلا فقالت له يوما على خلوة أنا والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن اقبلك قال وأنا والله قالت وأحب أن أضع بطنى على بطنك قال وأنا والله قالت فما يمنعك قال قول الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره ان تؤول خلتنا الى عداوة ثم قام وانصرف عنها وعاد الى عبادته وله فيها اشعار منها

ألم ترها لا يبعد الله دارها * اذا طربت فى صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وله فيها

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر * وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر
ألا ليت انى حيث صارت بها النوى * جليس لسلمى كلما عج مزهر
اذا أخذت فى الصوت كاد جليسها * يطير اليها قلبه حين ينظر

فقيل لها سلامة القس لذلك (سلامة بتشديد اللام وحبابة بتخفيف الباء الموحدة)

﴿ذكر خلافة هشام بن عبد الملك﴾

فى هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان وكان عمره يوم استخلف أربعا وثلاثين سنة وأشهرا وكان ولادته عام قتل مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين فسماه عبد الملك منصورا وسمته أمه باسم أبيها هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى فلم ينكر عبد الملك ذلك وكانت أمه عائشة بنت هشام حمقاء فطلقها عبد الملك وكانت كنية هشام أبا الوليد وأتته الخلافة وهو بالرصافة أتاه البريد بالخاتم والقضيب وسلم عليه بالخلافة فركب منها حتى أتى دمشق

﴿ذكر ولاية خالد القسرى العراق﴾

فيها عزل هشام عمر بن هبيرة عن العراق واستعمل خالد بن عبد الله القسرى فى شوال قال عمر بن يزيد بن عمير الاسيدى دخلت على هشام وخالد عنده وهو يذكر طاعة أهل اليمن فقلت والله ما رأيت هكذا خطأ وخطلا والله ما فتحت فتنة فى الاسلام الا بأهل اليمن هم قتلوا عثمان وهم خلعوا عبد الملك وان سيوفنا لتقطر من دماء أهل المهلب قال فلما قمت تبعنى رجل من آل مروان فقال يا أخا بنى تميم ورت بك زنادى قد سمعت مقالتك وأمير المؤمنين قد ولى خالدا العراق وليست لك بدار فسار خالد الى العراق من يومه (الاسيدى بضم الهمزة وتشديد الياء هكذا يقوله

المحدثون

لوجب ان لا يزول شىء من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبسطت المتضادة وهذا مستحيل ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعد ماهو بالنهاية ويوجد فى حوزاتها ايجاد مالم يكن ودخلها فى حوزتها ماهو كائن وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شأن المعانى ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة ماخوذة من الحس ومستظهرة للعقول والبحث واذ قد وضح ان الاشياء محدثة لكونها بعد ان لم تكن فلابد من محدث هو بخلافها لا شكل له ولا مثل لان العقل لا يقيم شيأ مثلا حتى يعلم له قدرا ووزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتعجز العقول أن تحصره بالصفات وتدركه بالاشارات أو يكون ذا غايات ونهايات (قال المسعودى) فلنرجع الآن الى الكلام فى حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم ذكرنا القول الهند فى ذلك

المحدثون وأما النحاة فانهم يخففون الياء وهى عند الجميع نسبة الى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهمزة وتشديد الياء)

﴿ذكر دعاة بنى العباس﴾

قيل وفى هذه السنة قدم بكير بن ماهان من السند كان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن فلما عزل الجنيد قدم بكير الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب فلقى أبا عكرمة الصادق والمغيرة ومحمد بن خنيس وسالما الاعين وأبا يحيى مولى بنى سلمة فذكروا له أمر دعوة بنى هاشم فقبل ذلك ورضيه وانفق ما معه عليهم ودخل الى محمد بن على ومات ميسرة فأقامه مقامه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا الجراح الحكمى اللان حتى جاز ذلك الى مدائن وحصون وراء بلنجر ففتح بعض ذلك وأصاب غنائم كثيرة وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم فبعث سرية فى نحو ألف مقاتل فأصيبوا جميعا وفيها غزا مسلم بن سعيد الكلابى أمير خراسان الترك مما وراء النهر فلم يفتح شيأ وقفل فتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون جيحون وعلى الساقة عبيد الله بن زهير بن حيان على خيل تميم فحاموا حتى عبر الناس وغزا مسلم أفشين فصالح أهلها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة وذلك لتمام خمس ومائة بعد موت يزيد بن عبد الملك وفيها غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قونية من أرض الروم وكمخ وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك فارسل الى عطاء متى أخطب قال بعد الظهر قبل التروية بيوم فخطب قبل الظهر وقال أخبرنى رسولى عن عطاء فقال عطاء ما أمرته الا بعد الظهر فاستحيا وكان هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد النضرى وكان على العراق وخراسان عمر بن هبيرة وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وفى هذه السنة مات كثير عزة وعكرمة مولى ابن عباس وكان عكرمة زوج أم سعيد بن جبير وفيها مات حميد بن عبد الرحمن بن عوف وقيل سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وفيها توفى الضحاك بن مزاحم وفيها توفى عبيد بن حسين وهو ابن خمس وسبعين سنة وأبو رجاء العطاردى وأبو عبد الرحمن السلمى وله تسعون سنة واسمه عبد الله بن حبيب بن ربيعة وفيها توفى عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أمه صفية أخت المختار وأوصى اليه أبوه وفيها توفى أخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر وهو أخو سالم لامه أمهما أم ولد وفى أيام يزيد بن عبد الملك توفى أبان بن عثمان بن عفان وكان قد فلج وفيها توفى عمارة بن خزيمة بن ثابت الانصارى وله خمس وسبعون سنة وفى أيام يزيد بن عبد الملك مات المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى وعطاء بن يزيد الجندعى الليثى ومولده سنة خمس وعشرين سكن الشام (الجندعى بضم الجيم والدال المهملة المفتوحة والنون) وعراك بن مالك الغفارى والدخيشم بن عراك ومورق العجلى

﴿ثم دخلت سنة ست ومائة﴾

﴿ذكر الوقعة بين مضر واليمن بخراسان﴾

قيل وفى هذه السنة كانت الوقعة بين المضرية واليمانية بالبروقان من أرض بلخ وكان سبب ذلك ان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة غزا فتبطأ الناس عنه وكان ممن تبطأ عنه البخترى بن درهم فرد مسلم نصر بن سيار وبلعاء بن مجاهد وغيرهما الى بلخ فأمرهم ان يخرجوا الناس اليه فاحرق نصر باب البخترى وزياد بن طريف الباهلى فمنعهم عمرو بن مسلم أخو قتيبة دخول بلخ وكان عليها وقطع مسلم

فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأخذوا فى ذلك مأخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ما ذهبت اليه اليهود واما الصابئة من الحرانيين والكيماريين فقد ذكرنا قولهم فى ذلك فى جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا فى ذلك الى حد معلوم من نفاد قوة الهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب فى ذلك الى نحو ما ذهب اليه أصحاب الانيس والجلاس وأن العالم سيعود بدأ متخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وستة وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن الطوفان الى مولد ابراهيم الخليل عليه

ابن سعيد النهر ونزل نصر بن سيار البروقان واتاه أهل الصغانيان ومسلمة التميمي وحسان بن خالد الاسدى وغيرهما وتجمعت ربيعة والازد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر وخرجت مضر الى نصر وخرجت ربيعة والازد الى عمرو بن مسلم بن عمرو وأرسلت تغلب الى عمرو بن مسلم انك منا وانشدوه شعرا قاله رجل من باهلة الى تغلب وكان بنو قتيبة من باهلة فلم يقبل عمرو وذلك وسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحداني في الصلح وكلما نصرا فانصرف فحمل أصحاب عمرو ابن مسلم والبختري على نصر وكر نصر عليهم فكان أول قتيل رجل من باهلة من أصحاب عمرو بن مسلم في ثمانية عشر رجلا وانهزم عمرو وأرسل يطلب الامان من نصر فامنه وقيل أصابوا عمرا في طاحونة فاتوا به نصرا وفي عنقه حبل فأمنه وضربه مائة وضرب البختري وزياد بن طريف مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل ان الهزيمة كانت أولا على نصر ومن معه من مضر فقال عمرو بن مسلم لرجل معه من تميم كيف ترى استاه قومك يا أخا تميم يعيره بذلك ثم كرت تميم فهزمت أصحاب عمرو فقال التميمي لعمرو هذه استاه قومي وقيل كان سبب انهزام عمرو ان ربيعة كانت مع عمرو فقتل منهم ومن الازد جماعة فقالت ربيعة علام نقاتل أخواننا وأميرنا وقد تقربنا الى عمرو فانكر قرابتنا فاعتزلوا فانهزمت الازد وعمرو ثم أمنهم نصر وأمرهم ان يلحقوا مسلم بن سعيد

﴿ذكر غزوة مسلم الترك﴾

ثم قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من أصحابه فلما بلغ بخارا أتاه كتاب خالد بن عبد الله بولايته العراق ويأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة فلما وصلها بلغه أن خاقان قد أقبل اليه وأنه في موضع ذكروه فارتحل فسار ثلاث مراحل في يوم وأقبل اليهم خاقان فلقي طائفة من المسلمين وأصاب دواب اسلم وقتل جماعة من المسلمين وقتل المسيب بن بشر الرياحي والبراء وكان من فرسان المهلب وقتل أخو غورك وثار الناس في وجوههم فاخرجوهم من العسكر ورحل مسلم بالناس فسار ثمانية أيام وهم مطيفون بهم فلما كانت التاسعة أرادوا النزول فشاوروا الناس فاشاروا به وقالوا اذا أصبحنا وردنا الماء والماء غير بعيد فنزلوا ولم يرفعوا بناء في العسكر وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والامتعة فحرقوا ما قيمته ألف ألف وأصبح الناس فساروا فوردوا النهر وأهل فرغانة والشاش دونه فقال مسلم بن سعيد أعزم على كل رجل الا اخترط سيفه ففعلوا وصارت الدنيا كلها سيوفا فتركوا الماء وعبروا فاقاموا يوما ثم قطع من غد واتبعهم ابن لخاقان فارسل اليه حميد بن عبد الله وهو على الساقة قف لي فان خلفي مائتي رجل من الترك حتى أقاتلهم وهو مثقل جراحة فوقف الناس وعطف على الترك فقاتلهم وأسر أهل الصغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة ومضى البقية ورجع حميد فرمي بنشابة في ركبته فمات وعطش الناس وكان عبد الرحمن العامري حمل عشرين قربة على ابله فسقاها الناس جرعا جرعا واستسقى مسلم بن سعيد فاتوه باناء فاخذه جابر وحارثة بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه فقال مسلم دعوه فما نازعني شربتي الا من حر دخله وأتوا خجندة وقد أصابهم مجاعة وجهد فانتشر الناس فاذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم فاتياه بعهده على خراسان من اسد بن عبد الله أخي خالد فاقرأه عبد الرحمن مسلما فقال سمعا وطاعة وكان عبد الرحمن أول من اتخذ الخيام في مفازة آمل قال الخزرج التغلبي قاتلنا الترك فاحاطوا بنا حتى أيقنا بالهلاك فحمل حوثرة بن يزيد بن الحر بن الحنيف على الترك في أربعة آلاف فقاتلهم

السلام ألف وتسع وسبعون سنة ومن مولد ابراهيم الى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه ببني اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه في بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين أن رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربعة وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم في سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سني ذي القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة

ساعة ثم رجع وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارسا فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم فحمل عليهم الناس فانهزم الترك وحوثرة وهو ابن أخي رقبة بن الحر قيل وكان عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاه ليكن حاجبك من صالح مواليك فانه لسانك والمعبر عنك وعليك بعمال العذر قال وما عمال العذر قال تأمر أهل كل بلد ان يختاروا لانفسهم فان كان خيرا كان لك وان كان شرا كان لهم دونك وكنت معذورا وكان على خاتم مسلم بن سعيد توبة بن أبي سعيد فلما ولي اسد بن عبد الله خراسان جعله على خاتمه أيضا

﴿ذكر حج هشام بن عبد الملك﴾

وحج بالناس هذه السنة هشام بن عبد الملك وكتب له ابو الزناد سنن الحج قال ابو الزناد لقيت هشاما فاني في الموكب اذ لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان فسار الى جنبه فسمعه يقول يا امير المؤمنين ان الله لم يزل ينعم على اهل بيت امير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن ابا تراب فانها مواطن صالحة وامير المؤمنين ينبغي له ان يلعنه فيها فشق على هشام قوله وقال لا قدمنا لشتم أحد ولا للعنه قدمنا حجاجا ثم قطع كلامه واقبل على فسالني عن الحج فاخبرته بما كتبت له قال وشق على سعيد اني سمعته تكلم بذلك وكان منكسرا كلما رآني

﴿ذكر ولاية اسد خراسان﴾

قيل وفي هذه السنة استعمل خالد بن عبد الله اخاه اسدا على خراسان فقدمها ومسلم بن سعيد بفرغانة فلما أتى اسد النهر ليقطعه منعه الاشهب بن عبيد التميمي وكان على السفن بآمل وقال قد نهيت عن ذلك فاعطاه ولاطفه فأبى قال فاني امير فاذن له فقال اسد اعرفوا هذا حتى نشركه في اماناتنا وأتى الصغد فنزل بالمرج وعلى سمرقند هانئ بن هانئ فخرج في الناس يلقى اسدا فرآه على حجر فتفاءل الناس وقالوا ما عند هذا خير اسد على حجر ودخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند فقدما وسألا عنه وسلما اليه العهد فأتى به مسلما فقال سمعا وطاعة وقفل عبد الرحمن بالناس ومعه مسلم فقدموا على أسد بسمرقند فعزل هانئا عنها واستعمل عليها الحسن بن أبي العمرطة الكندي وقيل للحسن ان الاتراك قد أتوك في سبعة آلاف فقال ما أتونا نحن أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم ومع هذا فلادنين بعضكم من بعض ولاقرن نواصي خيلكم بخيلهم ثم سبهم ودعا عليهم ثم خرج اليهم متباطئا فاغاروا ورجعوا سالمين واستخلف على سمرقند ثابت قطنة فخطب الناس فارتج عليه وقال ومن يطع الله ورسوله فقد ضل فسكت ولم ينطق بكلمة وقال

ان لم أكن فيكم خطيبا فانني ... بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فقال حاجب الفيل اليشكري يعيره بحضرته

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة ... يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوي اللسان اذا رمت الكلام به ... كما هوى زلق من شاهق النيق
لما رمتك عيون الناس صاحية ... أنشأت تجرض لما قمت بالريق
أما القران فلا تهدى لمحكمة ... من القرآن ولا تهدى لتوفيق

﴿ذكر استعمال الحر على الموصل﴾

في هذه السنة استعمل هشام الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية على الموصل وهو الذي بنى المنقوشة دارا يسكنها وانما سميت المنقوشة لانها كانت منقوشة بالساج والرخام

وسبعمائة سنة وسنتان وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام فعلى هذا القول ان جميع جملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام فجملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي بالله وزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم (وللمجوس) في التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وأن لا بدء له ولا نهاية ومن ذهب منهم الى أن له انتهاء ولا بدء له قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن الاعادة في هذا الكتاب لاشتراطنا

والفصوص الملونة وماشا كلها وكانت عند سوق القتابين والشعارين وسوق الاربعاء وأما الآن فهى خربة تجاور سوق الاربعاء وهذا الحر الذى عمل النهر الذى كان بالموصل وسبب ذلك انه رأى امرأة تحمل جرة ماء وهى تحملها قليلا ثم تستريح قليلا لبعد الماء فكتب الى هشام بذلك فامر بحفر نهر الى البلد فحفره فكان أكثر شرب أهل البلد منه وعليه كان الشارع المعروف بشارع النهر وبقى العمل فيه عدة سنين ومات الحر سنة ثلاث عشرة ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كلم ابراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك وهو فى الحجر فقال له أسألك بالله وبحرمة هذا البيت الذى خرجت معظما له الا رددت على ظلامتى قال أى ظلامة قال دارى قال فاين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك قال ظلمنى قال فالوليد وسليمان قال ظلمانى قال فعمر قال يرحمه الله ردها على قال فيزيد بن عبد الملك قال ظلمنى وقبضها منى بعد قبضى لها وهى فى يدك فقال هشام لو كان فيك ضرب لضربتك فقال فى والله ضرب بالسيف والسوط فانصرف هشام وقال كيف سمعت هذا الانسان قال ما أجوده قال هى قريش والسنتها ولا يزال فى الناس بقايا ما رأيت مثل هذا * وفيها عزل هشام عبد الواحد النضرى عن مكة والمدينة والطائف وولى ذلك خاله ابراهيم بن هشام بن اسمعيل فقدم المدينة فى جمادى الآخرة فكانت ولاية النضرى سنة وثمانية أشهر * وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة وفيها غزا الجراح بن عبد الله اللان فصالح أهلها فادوا الجزية * وفيها ولد عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس فى رجب * وفيها استقضى ابراهيم بن هشام على المدينة محمد بن صفوان الجمحى ثم عزله واستقضى الصلت الكندى وكان العامل على مكة والمدينة والطائف ابراهيم بن هشام المخزومى وكان على العراق وخراسان خالد ابن عبد الله القسرى البجلى وكان عامل خالد على البصرة على صلاتها عقبة بن عبد الاعلى وعلى شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وحج بالناس هشام بن عبد الله * وفيها مات يوسف بن مالك مولى الحضرميين وبكر بن عبد الله المزنى

﴿ثم دخلت سنة سبع ومائة﴾

﴿ذكر ملك الجنيد بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشبه﴾

فى هذه السنة استعمل خالد القسرى الجنيد بن عبد الرحمن على السند فنزل شط مهران فمنعه جيشبه بن ذاهر العبور وقال انا مسلمون فقد استعملنى الرجل الصالح يعنى عمر بن عبد العزيز على بلادى ولست آمنك فاعطاه رهنا وأخذ منه رهنا على بلاده من الخراج ثم انهما ترادا الرهن وكفر جيشبه وحاربه وقيل لم يحاربه ولكن الجنيد تجنى عليه فاتى الهند فجمع وأخذ السفن واستعد للحرب فسار الجنيد اليه فى السفن أيضا فالتقوا فاخذ جيشبه أسيرا وقد جنحت سفينته فقتله وهرب أخوه صصه الى العراق ليشكو غدر الجنيد فخدعه الجنيد حتى جاء اليه فقتله وغزا الجنيد الكرج وكانوا قد نقضوا ففتحها عنوة وفتح أزين والمالية وغيرهما من ذلك الثغر

﴿ذكر غزوة عنبسة الفرنج بالاندلس﴾

فى هذه السنة غزا عنبسة بن سحيم الكلبى عامل الاندلس بلد الفرنج فى جمع كثير ونازل مدينة قرقسونة وحصر أهلها فصالحوه على نصف أعمالها وعلى جميع ما فى المدينة من اسرى المسلمين واسلابهم وان يعطوا الجزية ويلتزموا باحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من

فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ماسلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من أهل البحث والنظر من أهل الاسلام أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له الخالق البارى جل وعز أحدثه لا من شئ ويبعثه لا من شئ فى الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده اذ كان الصادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته وان أوّل العالم من لدن آدم وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس فى بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر أوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها المحسوساتها فكيف توجب أن توقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول فى الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا فى كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء

سالموه فعاد عنهم عنبسة وتوفى فى شعبان سنة سبع ومائة أيضا وكانت ولايته اربع سنين وأربعة اشهر ولما مات استعمل عليهم بشر بن صفوان يحيى بن سلمة الكلبى فى ذى القعدة سنة سبع أيضا

﴿ذكر رجال الدعاة لبنى العباس﴾

قيل وفيها وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمارا العبادى وزيادا خال الوليد الازرق فى عدة من شيعتهم دعاة الى خراسان فجاء رجل من كندة الى أسد بن عبد الله فوشى بهم اليه فاتى بابى عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ونجا عمار فقطع أسد أيدى من ظفر به منهم وصلبهم وأقبل عمار الى بكير بن ماهان فاخبره فكتب الى محمد بن على بذلك فاجابه الحمد لله الذى صدق دعوتكم ومقالتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل * وفيها اقدم مسلم بن سعيد الى خالد بن عبد الله فكان أسد يكرمه بخراسان ولم يعرض له فقدم مسلم وابن هبيرة يريد الهرب فنهاه عن ذلك وقال ان القوم فينا أحسن رأيا فيكم منهم * وفيها غزا أسد جبال غرون ملك غرشتان مما يلى جبال الطالقان فصالحه غرون وأسلم على يده وهم يتولون الغر

﴿ذكر الخبر عن غزوة الغور﴾

قيل وفى هذه السنة غزا أسد الغور وهو جبال هراة فعمد أهلها الى اثقالهم فصيروها فى كهف ليس اليه طريق فامر اسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل هشام الجراح بن عبد الله الحكمى عن أرمينية واذربيجان واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل عليها مسلمة الحرث بن عمرو الطائى فافتتح من بلاد الترك رستاقا وقرى كثيرة وأثر فيها اثرا حسنا وفيها نقل أسد من كان بالبروقان الى بلخ من الجند وأقطع كل من كان له بالبروقان بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن اقطعه مسكنا وأراد ان ينزلهم على الاخماس فقيل له انهم يتعصبون فخلى بينهم وتولى بناء المدينة مدينة بلخ برمك أبو خالد بن برمك وبينها وبين البروقان فرسخان وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم فى السنة قبلها * وفيها مات سليمان بن يسار وعمره ثلاث وسبعون سنة وعطاء بن يزيد الليثى وله ثمان وتسعون سنة وقد تقدم ذكر وفاته سنة خمس ومائة (يسار بالياء المثناة من تحت وبالسين المهملة)

﴿ثم دخلت سنة ثمان ومائة﴾

﴿ذكر غزوة الختل والغور﴾

قيل وفى هذه السنة قطع أسد النهر وأتاه خاقان فلم يكن بينهما قتال فى هذه الغزوة وقيل عاد مهزوما من الختل وكان أسد قد أظهر انه يريد يشتو بسرخ دره فامر الناس فارتحلوا ووجه راياته وسار فى ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبر الناس فقال ما لهم فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادى ناد ان الامير يريد الغور بين فمضى اليهم فقاتلوهم يوما وصبروا لهم وبرز رجل من المشركين بين الصفين فقال سالم بن أحوز لنصر بن سيار انا حامل على هذا العلج فلعلى اقتله فيرضى أسد فحمل عليه فطعنه فقتله ورجع سالم فوقف ثم قال لنصر انا حامل حملة أخرى فحمل فقتل رجلا آخر وجرح سالم فقال نصر لسالم قف حتى أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو فصرع رجلين ورجع جريحا وقال أترى ما صنعنا برضيه لا ارضاه الله قال لا والله قال وأتاهما رسول اسد فقال يقول لكما الامير قد رأيت موقفكما وقلة عنائكما عن المسلمين لعنكما الله فقالا آمين ان عدنا

بعده وأخبر عن شأن بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عندما أخبرنا به ولا سيما مع علمنا أن البدء بيننا وبينه متفاوت وأن الأرض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلا نحصر ما لم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن انهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ما أتوا به من الآيات مما أظهره الله عز وجل على يدى عيسى ابن مريم من المعجزات وعلى يدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبر بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد (١) ونهى أن

(١) قوله الى معد كذا كرره ولعله الى عدنان وعبارة ابن الوهب اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه اهـ

لمثل هذا وتحاجزوا ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد وأسروا وسبوا وغنموا وقد كان أصاب الناس جوع شديد بالختل فبعث أسد بكبشين مع غلام له وقال بعهما بخمسمائة درهم فلما مضى الغلام قال أسد لا يشتريهما الا ابن الشخير وكان فى المسلحة فدخل حين أمسى فرأى الشاتين فى السوق فاشتراهما بخمسمائة فذبح أحدهما وبعث الآخر الى بعض اخوانه فلما اخبر الغلام اسدا بالقصة بعث الى ابن الشخير بالف درهم وهو عثمان بن عبد الله بن الشخير أبو مطرف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلى الجزيرة ففتح قيسارية وهى مدينة مشهورة وفيها أيضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم وفيها وجه بكير بن ماهان الى خراسان جماعة من شيعة بنى العباس منهم عمار العبادى فسعى بهم رجل الى أسد بن عبد الله أمير خراسان فاخذ عمارا فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه فوصلوا الى بكير فاخبروه بذلك فكتب الى محمد ابن على بن عبد الله بن عباس فاجابه الحمد لله الذى صدق دعوتكم ونجى شيعتكم وقد تقدم سنة سبع ومائة ذكر هذه القصة وفيها ان عمارا نجا وفى هذه الرواية ان عمارا قطع فلهذا أعدنا ذكرها والله أعلم * وفيها وقع الحريق بدابق فاحترق المرعى والدواب والرحال وفيها سار ابن خاقان ملك الترك الى اذربيجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحرث بن عمرو الطائى فالتقوا فاقتتلوا فانهزم الترك وتبعهم الحرث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن خاقان فعاود الحرب أيضا فانهزم ابن خاقان وقتل من الترك خلق كثير وفيها اخرج عباد الرعينى باليمن محكما فقتله أميرها يوسف ابن عمر وقتل أصحابه وكانوا ثلثمائة وفيها غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك ومعه ميمون بن مهران على أهل الشام فقطعوا البحر الى قبرس وغزا فى البر مسلمة بن عبد الملك بن مروان وفيها كان بالشام طاعون شديد وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف وكان العمال من تقدم ذكرهم فى السنة قبلها وفيها مات محمد بن كعب القرظى وقيل سنة سبع عشرة وقيل انه ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات موسى بن محمد بن على بن عبد الله والدعيسى ببلاد الروم غازيا وكان عمره سبعا وسبعين سنة وفيها مات القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وكان عمره سبعين سنة وقيل اثنتين وسبعين سنة وكان قد عمى وقيل مات سنة احدى ومائة وفيها توفى أبو المتوكل على بن داود الناجى وأبو الصديق الناجى أيضا واسمه بكر بن قيس الناجى (الناجى بالنون والجيم) وابو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة النضرى (نضرة بالنون والضاد المعجمة) ومحارب بن دثار الكوفى قاضيها * (دثار بكسر الدال المهملة والثاء المثلثة)

﴿ثم دخلت سنة تسع ومائة﴾

﴿ذكر عزل خالد وأخيه اسد عن خراسان وولاية أشرس﴾

قيل وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله وأخاه عن خراسان وسبب ذلك ان أسدا تعصب حتى افسد الناس وضرب نصر بن سيار ونفرا معه بالسياط منهم عبد الرحمن بن نعيم وسورة بن الحر والبخترى بن أبى درهم وعامر بن مالك الحمانى وحلقهم وسيرهم الى أخيه خالد فكتب اليه انهم أرادوا الوثوب بى فلما قدموا على خالد لام أسدا وعنفه وقال ألا بعث الى برؤسهم فقال نصر

بعثت بالعتاب فى غير ذنب * فى كتاب تلوم أم تميم

يتجاوز بالنسب الى ما فوق ذلك اعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا ان النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من اخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين مالم نذكره فى هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معولنا فى جميع ذلك على ما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذ علم الله عز وجل موقع النية ووجه القصد اعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والايجاز لما سيعرفهما من تأمل وينبه بهما من رآها (واذ قد ذكرنا) جوامع ما يحتاج اليه المبتدى والمنتهى من علوم العالم واخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض فى كتابنا هذا الكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول

ان أك موثقا أسيرا لديهم * فى هموم وكربة وسهوم

رهن تعس فما وجدت بلاء * كاسار الكرام عند اللئيم

أبلغ المذحجين قسرا وقسرا * هل لعود القناة ذات الوصوم

هل فطمتم عن الخيانة والغدر * أم أنتم كالحاكر المستديم

﴿وقال الفرزدق﴾

اخالد لولا الله لم تعط طاعة * ولولا بنو مروان لم يوثقوا نصرا

اذا للقيتم عند شد وثاقه * بنى الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

وخطب يوما أسد فقال قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد اللهم فرق بينى وبينهم وأخرجنى الى مهاجرى ووطنى فبلغ فعله هشام بن عبد الملك فكتب الى خالد اعزل أخاك فعزله فرجع الى العراق فى رمضان سنة تسع ومائة واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبى فأقام الحكم صيفية فلم يغز ثم استعمل هشام أشرس بن عبد الله السلمى على خراسان وأمره أن يكاتب خالدا وكان أشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه الكامل لفضله فلما قدم خراسان فرحوا به واستقضى أبا المنازل الكندى ثم عزله واستقضى محمد بن زيد

﴿ذكر دعاة بنى العباس﴾

قيل أول من قدم خراسان من دعاة بنى العباس زياد أبو محمد مولى همدان فى ولاية اسد بعثه محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقال له انزل فى اليمن وألطف مضر ونهاه عن رجل من نيسابور يقال له غالب لانه كان مفرطا فى حب بنى فاطمة ويقال أول من اتى خراسان بكتاب محمد بن على حرب بن عثمان مولى بنى قيس بن ثعلبة من أهل بلخ فلما قدم زياد دعا الى بنى العباس وذكر سيرة بنى أمية وظلمهم وأطعم الناس الطعام وقدم عليه غالب وتناظرا فى تفضيل آل على وآل العباس وافترقا وأقام زياد بمرو شتوة ويختلف اليه من أهلها يحيى بن عقيل الخزاعى وغيره فأخبر به أسد فدعاه وقال له ما هذا الذى بلغنى عنك قال الباطل انما قدمت الى تجارة وقد فرقت مالى على الناس فاذا اجتمع خرجت فقال له أسد اخرج عن بلادى فانصرف فعاد الى أمره فرفع أمره الى أسد وخوف من جانبه فأحضره وقتله وقتل معه عشرة من أهل الكوفة ولم ينج منهم الا غلامان استصغرهما وقيل بل امر بزياد أن يوسط بالسيف فضربوه بالسيف فلم يعمل فيه فكبر الناس فقال أسد ما هذا قيل نبا السيف عنه ثم ضرب أخرى فنبا السيف عنه ثم ضربه الثالثة فقطعه باثنتين وعرض البراءة على أصحابه فمن تبرأ خلى سبيله فتبرأ اثنان فتركا وأبى البراءة ثمانية فقتلوا فلما كان الغد أقبل أحدهما الى أسد فقال أسألك أن تلحقنى بأصحابى فقتله وذلك قبل الاضحى بأربعة أيام ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيرا فنزل على أبى النجم وكان يأتيه الذين لقوا زيادا فكان على ذلك سنة أو سنتين وكان أميا فقدم عليه خداش واسمه عمارة غلب عليه خداش فغلب كثيرا على أمره وقيل فى أمر الدعاة ما تقدم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا عبد الله بن عقبة الفهرى فى البحر وغزا معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة فأصيب معه قوم من أهل انطاكية وفيها قتل عمر بن يزيد الاسيدى قتله مالك بن المنذر بن الجارود وسبب قتله انه أبلى فى قتال يزيد بن المهلب فقال يزيد بن عبد الملك هذا

بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغى للعاقل ان يحمل البنية على ما ليس فى طاقتها ويسوم النفس ما ليس فى جبلتها وانما الالفاظ على قدر المعانى وقليلها لقليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولى التوفيق

﴿ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب﴾

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ فى اخبار العالم واخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبى صلى الله عليه وسلم الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته وقد قدمنا فى هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من اهل الفترة فلنذكر الآن مولده اذ كان طاهرا مطهرا الاغر الازهر الذى اتسعت أعلام نبوته وتواترت دلائل رسالته ونطقت له السموات قبل بعثته ﴿وهو محمد﴾ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن

رجل العراق فغاظ ذلك خالد بن عبد الله وأمر مالك بن المنذر وهو على شرط البصرة أن يعظمه ولا يعصى له أمرا وأقبل يطلب له عثرة يقتله بها فذكر مالك بن المنذر عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فافترى عليه فقال عمر بن يزيد لا تفتر على مثل عبد الاعلى فأغلظ له مالك وضربه بالسياط حتى قتله (الاسدى بضم الهمزة وتشديد الياء تحتها نقطتان) وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان فغنم وسبى وعاد سالما وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام فخطب الناس فقال سلونى فانكم لا تسألون أحدا أعلم منى فسأله رجل من أهل العراق عن الاضحية أواجبة هى فما درى ما يقول فنزل وكان هو العامل على المدينة ومكة والطائف وكان على البصرة والكوفة خالد بن عبد الله القسرى وكان قد استخلف على الصلاة بالبصرة أبان بن صبارة اليثربى وعلى الشرطة بها بلال بن أبى بردة وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وعلى خراسان أشرس وفى هذه السنة مات أبو مجلز لاحق بن حميد البصرى وفيها غزا بشر بن صفوان عامل أفريقية جزيرة صقلية فغنم شيأ كثيرا ثم رجع من غزاته الى القيروان وتوفى بها من سنتها فاستعمل هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن بن أبى الاغر السلمى فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبى عن الاندلس واستعمل حذيفة بن الاحوص الاشجعى فقدم الاندلس فى ربيع الاول سنة عشر ومائة فبقى واليا عليها ستة أشهر ثم عزل ووليها عثمان بن أبى نسعة الخثعمى

﴿ثم دخلت سنة عشر ومائة﴾

﴿ذكر ما جرى لاشرس مع أهل سمرقند وغيرها﴾

فى هذه السنة أرسل أشرس الى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية وأرسل فى ذلك أبا الصيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبة والربيع بن عمران التميمى فقال أبو الصيداء انما أخرج على شريطة ان من أسلم لا تؤخذ منه الجزية وانما خراج خراسان على رؤس الرجال فقال أشرس نعم فقال أبو الصيداء لاصحابه فانى أخرج فان لم يف العمال أعنتمونى عليهم قالوا نعم فشخص الى سمرقند وعليها الحسن بن العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب غوزك الى أشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس الى ابن العمرطة ان فى الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى ان أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة انما أسلموا تعوذا من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه ثم عزل أشرس ابن العمرطة عن الخراج وصيره الى هانئ بن هانئ فمنعهم أبو الصيداء من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانئ الى أشرس ان الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فكتب أشرس اليه والى العمال خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا واعتزلوا فى سبعة آلاف على عدة فراسخ من سمرقند وخرج اليهم أبو الصيداء وربيع بن عمران التميمى والهيثم الشيبانى وأبو فاطمة الازدى وعامر بن قشيراء وبحير الخجندى وبنان العنبرى واسمعيل بن عقبة لينصروهم فعزل أشرس ابن العمرطة عن الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمى على الحرب وضم اليه عميرة بن سعد الشيبانى فلما قدم المجشر كتب الى أبى الصيداء يسأله ان يقدم عليه هو وأصحابه فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة فحبسهما فقال أبو الصيداء غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال هانئ ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء ثم سيروه الى أشرس واجتمع أصحابه وولوا امرهم أبا

مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بن أد بن أدد بن ناحور بن يعور بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن ابن تارخ بن آزر بن ماخور ابن ساروغ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارنخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ (١) بن خنوخ بن برد بن مهلاييل ابن معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما فى نسخة ابن هشام فى كتاب جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء فى النسب من نزار وفى نسخة ان نزارا بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع ابن صانوع بن يافث بن قيدر ابن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ارعواء ابن أسروح بن فالح بن شالخ ابن ارنخشذ بن سام بن نوح ابن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن انوش ابن شيث بن آدم (وفى رواية ابن الاعرابى) عن هشام بن محمد الكلبى هو نزار بن معد ابن عدنان بن أد بن أدد بن

(١) لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ومتوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية المضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام بعدها معجمة وخنوخ هو ادريس من الزرقانى على المواهب

فاطمة

فاطمة ليقاتلوا هانئا فقال لهم كفوا حتى نكتب الى أشرس فكتبوا اليه فكتب أشرس ضعوا عنهم الخراج فرجع أصحاب أبى الصيداء وضعف امرهم فتتبع الرؤساء فأخذوا وحملوا الى مرو وبقى ثابت محبوسا فألح هانئ فى الخراج واستخفوا بعظماء العجم والدهاقين وأقيموا وخرقت ثيابهم وألقيت مناطقهم فى أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم فكفرت الصغد وبخارا واستجاشوا الترك ولم يزل ثابت قطنة فى حبس المجشر حتى قدم نصر بن سيار الى المجشر واليا فحمله الى أشرس فحبسه وكان نصر قد أحسن اليه فقال ثابت يمدحه بابيات يقول فيها

ماهاج شوقك من نوى وأحجار * ومن رسوم عفاها صوب امطار

ان كان ظنى بنصر صادقا أبدا * فما أدبر من نقضى و امرارى

لا يصرف الجند حتى يستفى بهم * نهبا عظيما ويحوى ملك جبار

انى وان كنت من جذم الذى نظرت * منه الفروع وزندى الثاقب الوارى

لذاكر منك أمرا قد سبقت به * من كان قبلك يا نصر بن سيار

ناضلت عنى نضال الحر اذ قصرت * دونى العشيرة واستبطأت أنصارى

وصار كل صديق كنت آمله * ألبا على ورث الحبل من جارى

وما تلبست بالامر الذى وقعوا * به على ولا دنست أطمارى

ولا عصيت اماما كان طاعته * حقا على ولا قارفت من عار

وخرج أشرس غازيا فنزل آمل فأقام ثلاثة أشهر وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر فى عشرة آلاف فأقبل أهل الصغد وبخارا معهم خاقان والترك فحصروا قطنا فى خندقه فأرسل خاقان من أغار على مسرح الناس فأخرج أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو فوجهه مع عبد الله بن بسطام فى خيل فقاتلوا الترك بآمل حتى استنقذوا ما بايديهم ورجع الترك ثم عبر أشرس بالناس الى قطن وبعث أشرس سرية مع مسعود أحد بنى حيان فلقيهم العدو فقاتلوهم فقتل رجال من المسلمين وهزم مسعود فرجع الى أشرس وأقبل العدو فلقيهم المسلمون فجالوا جولة فقتل رجال من المسلمين ثم رجع المسلمون وصبروا فانهزم المشركون وسار أشرس بالناس حتى نزل بيكند فقطع العدو عنهم الماء وأقام المسلمون يوما وليلة وعطشوا فرحلوا الى المدينة التى قطع العدو بها وعلى المقدمة قطن بن قتيبة فلقيهم العدو فقاتلوهم فجهدوا من العطش فمات منهم سبعمائة فعجز الناس عن القتال فحرض الحرث بن سريج الناس فقال القتل بالسيف أكرم فى الدنيا وأعظم أجرا عند الله من الموت عطشا وتقدم الحرث وقطن فى فوارس من تميم فقاتلوا حتى ازالوا الترك عن الماء فابتدره الناس فشربوا واستقوا ثم مر ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلى فقال هل لك فى الجهاد فقال أمهلنى حتى أغتسل وأتحنط فوقف له حتى اغتسل ثم مضيا وقال ثابت لاصحابه أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم وحرضهم فحملوا واشتد القتال فقال ثابت قطنة اللهم انى كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلنى ضيفك الليلة والله لا ينظر الى بنو أمية مشدودا فى الحديد فحمل وحمل أصحابه فرجع أصحابه وثبت هو فرمى برذونه فشب وضربه فأقدم وضرب ثابت فارتث فقال وهو صريع اللهم انى أصبحت ضيفا لابن بسطام وأمسيت ضيفك فاجعل قراى منك الجنة فقتلوه وقتلوا معه عدة من المسلمين منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلى وغيرهما وجمع قطن واسحق بن محمد بن حبان خيلا

الهميسع بن نبت بن سلامان ابن قيدر بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل بن تارخ ابن ناخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارنخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن برد بن مهلاييل ابن معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام (وفى التوراة) ان آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبى عليه السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من نهيه أن يتجاوز عن معد وقد ثبت أن نتوقف فى النسب على ماذكرنا فالواجب الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه (قال المسعودى) وقد وجدت نسب ابن عدنان فى السفر الذى أثبته تاروح ابن باريا كاتب أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن معدا ابن عدنان بن أد بن الهميسع ابن سلامان بن عوص بن برد بن قسماويل بن أبى العوام بن ناسك بن حراب لمدارم بن بدلان بن كالح بن فاحم بن ناحم بن صاحى

من المسلمين تبايعوا على الموت فحملوا على العدو فقاتلوهم فكشفوهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو وأتى أشرس بخارا فحصر أهلها (الحرث بن سريج بالسين المهملة والجيم)

﴿ذكر وقعة كمرجه﴾

ثم ان خاقان حصر كمرجه وهي من أعظم بلدان خراسان وبها جمع من المسلمين ومع خاقان أهل فرغانة وافشينة ونسف وطوائف من أهل بخارا فاغلق المسلمون الباب وقطعوا القنطرة التي على الخندق فاتاهم ابن خسرو بن يزدجرد فقال يامعشر العرب لم تقتلون أنفسكم انا الذي جئت بخاقان ليردعلى مملكتي وأنا آخذ لكم الامان فشتموه وأتاهم بازغرى في مائتين وكان داهية وكان خاقان لايخالفه فدنا من المسلمين بامان وقال لينزل الى رجل منكم أكلمه بما أرسلني به خاقان فاحدروا يزيد بن سعيد الباهلي وكان يفهم بالتركية يسيرا فقال له ان خاقان أرسلني وهو يقول انى أجعل من عطاؤه منكم ستمائة ألفا ومن عطاؤه ثلثمائة ستمائة وهو يحسن اليكم فقال يزيد كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شياه لايكون بيننا وبينهم صلح فغضب بازغرى وكان معه تركيان فقالا الا نضرب عنقه فقال انه نزل بامان وفهم يزيد ماقالا فخاف فقال بلى انما تجعلون نصفين فيكون نصف مع اثقالنا ويسير النصف معكم فان ظفرتم فنحن معكم وان كان غير ذلك كنا كسائر مدائن الصغد فرضوا بذلك وقال أعرض على أصحابي هذا وصعد في الجبل فلما صار على السور نادى ياأهل كمرجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم الى الكفر بعد الايمان فما ترون قالوا لانجيب ولا نرضى قال يدعونكم الى قتال المسلمين مع المشركين قالوا نموت قبل ذلك فرد بازغرى ثم أمر خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقى المسلمون الحطب اليابس حتى سوى الخندق فاشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعا من الله فاحترق الحطب وكانوا جمعوه في سبعة أيام في ساعة واحدة ثم فرق خاقان على الترك اغناما وأمرهم ان يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها ترابا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فارسل الله سحابة فمطرت مطرا شديدا فاحتمل السيل مافي الخندق والقاه في النهر الاعظم ورماهم المسلمون بالسهام فاصابت بازغرى نشابة في سرته فمات من ليلته فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى الذين عندهم وهم مائة فيهم أبو العوجاء العتكي والحجاج بن حميد النضرى فقتلوهم ورموا برأس الحجاج وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل أهل كمرجه كذلك حتى أقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعير خاقان أهل الصغد وفرغانة والشاش والدهاقين وقال زعمتم ان في هذه خمسين حمارا وانا نفتحها في خمسة أيام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا ماندع جهدا فاحضرنا غدا وانظر مانصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطار بنده فقاتل المسلمين فقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلمة الى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمي بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فاصاب أصل أذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان الى المسلمين انه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فترحلوا أنتم عنها فقالوا له ليس من ديننا أن نعطى بايدينا حتى نقتل فاصنعوا مابدا لكم فاعطاهم الترك الامان ان يرحل خاقان عنهم ويرحلوا هم عنها الى سمرقند أو الدبوسية فرأى أهل كمرجه ماهم فيه من الحصار فاجابوا الى ذلك فاخذوا من الترك رهائن أن لايعرضوا لهم وطلبوا ان كورصول التركي يكون معهم في جماعة ليمنعهم الى الدبوسية فسلموا اليهم

ابن عنصى بن عنف بن عبيد ابن الرعى بن حمران بن سبس بن تنرى بن نحرى بن بلحى بن ارعوا بن عنقا بن حسان بن عيسى بن افياد ابن ايهام بن مقصر بن ماحب بن رواح بن سماى ابن مر بن عوص بن عوام ابن قيدر بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارمياء مع معد ابن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس في ذلك (وقد نهى) النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الانساب وكثرة الآراء في طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفي ذلك يقول الشاعر

لله ممن قد براصفوة * وصفوة الخلق بنوهاشم

وصفوة الصفوة من هاشم * محمد النور أبو القاسم

وهو محمد وأحمد والماحى الذي محا الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذي يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل وبين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة

الرهائن وأخذوا أيضا هم من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا هم بعده فقال الاتراك الذين مع كورصول ان بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولا نأمن أن يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر أهلها الى الفرسان فظنوا أن كمرجه فتحت وان خاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب فارسل المسلمون اليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم وحملوا من كان يضعف عن المشى ومن كان مجروحا فلما بلغ المسلمون الدبوسية ارسلوا الى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه باطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقى سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع مع الترك فقال له كورصول ماحملك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدر فوصله كورصول وأعطاه سلاحه وبرذونا واطلقه وكان مدة حصار كمرجه ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما

﴿ذكر ردة أهل كردر﴾

في هذه السنة ارتد أهل كردر فارسل اليهم أشرس جندا فظفروا بهم فقال عرفجة

ونحن كفينا أهل مرو وغيرهم * ونحن نفينا الترك عن أهل كردر

فان تجعلوا ماقد غنمنا لغيرنا * فقد يظلم المرء الكريم فيصبر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة جمع خالد القسرى الصلاة والاحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بكرة وعزل ثمامة عن القضاء وفيها غزا مسلمة الترك من باب اللان فلقى خاقان في جموعه فاقتتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فانهزم خاقان وانصرف ورجع مسلمة فسلك على مسلك ذي القرنين وفيها غزا معاوية الروم ففتح صملة وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (بضم الحاء وفتح الدال المهملتين) وحج بالناس ابراهيم بن اسمعيل فكان العمال على البلاد هذه السنة من تقدم ذكرهم في السنة التي قبلها وفيها مات الحسن البصرى وله سبع وثمانون سنة ومحمد بن سيرين وهو ابن احدى وثمانين سنة وفيها أعنى سنة عشر ومائة مات الفرزدق الشاعر وله احدى وتسعون سنة وجرير الخطفي الشاعر

﴿ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة﴾

﴿ذكر عزل أشرس عن خراسان واستعمال الجنيد﴾

في هذه السنة عزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان وكان سبب ذلك أن شداد بن خليد الباهلي شكاه الى هشام فعزله واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان وهو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرى وكان سبب استعماله انه أهدى لام حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة من جوهر فاعجبت هشاما فاهدى لهشام قلادة أخرى فاستعمله وحمله على ثمانية من البريد فقدم خراسان في خمسمائة وسار الى ماوراء النهر وسار معه حطاب بن محرز السلمى خليفة أشرس بخراسان وقطعا النهر وأرسل الجنيد الى أشرس وهو يقاتل أهل بخارا والصغد أن أمدني بخيل وخاف ان يقتطع دونه فوجه اليه أشرس عامر بن مالك الحماني فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطا حصينا وقاتلهم على الثلمة ومعه وردبن زياد بن أدهم بن كلثوم ابن أخي الاسود بن كلثوم

والفجار (١) حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة استحلوا فيها القتال في الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو عمرو بن الياس بن مضر ابن نزار وكان ولد الياس (٢) عمرا وعامرا وعميرا

(١) قال الجوهري الفجار يوم من أيام العرب وهي أربعة أفجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لانها كانت في الاشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا اه

(٢) قوله وكان ولد الياس الخ قال المجد ولد الياس ابن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة وأمهم خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران وكان الياس خرج في نجعة فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فادركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير في الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها الياس أين تخندفين فقالت مازلت أخندف في أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف اه

و واصل بن عمرو القيسي فخرج واصل وعاصم بن عمير السمرقندي ومعهما غيرهما فاستداروا حتى صاروا من وراء الماء الذي هنالك ثم جمعوا قصبا وخشبا وعبروا عليه فلم يشعر خاقان الا والتكبير من خلفه وحمل المسلمون على الترك فقاتلوهم فقتلوا عظيما من عظمائهم وانهزم الترك وسار عامر الى الجنيد فلقيه واقبل معه وعلى مقدمة الجنيد عمارة بن حريم فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم اظهره الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون زرمان من بلاد سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقة الجنيد فأسر الجنيد من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة فبعث به الى هشام وكان الجنيد قد استخلف في غزوته هذه مجشر بن مزاحم السلمي على مرو وولى سورة بن الحر التميمي بلخ وأوفد لما اصاب في وجهه هذا وفدا الى هشام ورجع الجنيد الى مرو وقد ظفر فقال خاقان هذا غلام مترف هزمني العام وأنا مهلكه في قابل واستعمل الجنيد عماله ولم يستعمل الا مضريا استعمل قطن بن قتيبة على بخارا والوليد بن القعقاع العبسي على هراة وحبيب بن مرة العبسي على شرطته وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلي وكان عليها نصر بن سيار وكان ما بينه وبين الباهليين متباعدا لما كان بينهم بالبروقان وأرسل مسلم الى نصر فصادفوه نائما فجاؤا به في قميص ليس عليه سراويل ملببا فقال شيخ من مضر جئتم به على هذه الحال فعزل الجنيد مسلما عن بلخ واستعمل يحيى بن ضبيعة واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خليد الباهلي

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية وغزا في البحر عبد الله بن أبي مريم واستعمل هشام على عامة الناس من الشام ومصر الحكم بن قيس بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف وفيها سارت الترك الى أذربيجان فلقيهم الحرث بن عمرو فهزمهم وفيها استعمل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على ارمينية وعزل أخاه مسلمة بن عبد الملك فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف سالما فجمعت الخزر وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام وكان ذلك سبب قتل الجراح على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية عثمان بن لسعة عن الاندلس واستعمل بعده الهيثم بن عبيد الكناني وقدمها في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وتوفي في ذي الحجة من السنة فكانت ولايته عشرة أشهر وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي فكان العمال من تقدم ذكرهم الا خراسان كان بها الجنيد وكان بارمينية الجراح بن عبد الله

﴿ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائة﴾

﴿ذكر قتل الجراح الحكمي﴾

في هذه السنة قتل الجراح بن عبد الله الحكمي وسبب ذلك ما ذكرناه قبل من دخوله بلاد الخزر وانهزامهم فلما هزمهم اجتمع الخزر والترك من ناحية اللان فلقيهم الجراح بن عبد الله فيمن معه من أهل الشام فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج اردبيل فكان قد استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على ارمينية ولما قتل الجراح طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح خيرا فاضلا من عمال عمر بن عبد العزيز ورثاه كثير من الشعراء وقيل كان قتله ببلنجر ولما بلغ هشاما خبره دعا سعيد الحرشي فقال له بلغني ان الجراح قد انحاز عن

فعمرو وهو مدركة وعامر هو طابخة وعمير هو قمعة وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة

اني أرى الحرب لحي وأبي
عند تناديهم بآل وهب
معترم الصولة على النسب
أمي خندف والياس أبي

(وقريش) خمسة وعشرون بطنا(٣) وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو أسد بن عبد العزى بنو عبد الدار ابن قصي وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم ابن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدي ابن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤي بنو أسامة بن لؤي بنو الادرم وهم تيم بن غالب بنو محارب ابن فهم بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤي بنو نباتة وهم سعد بن لؤي

(٣) قوله خمسة وعشرون لم يذكرها كلها اه

المشركين قال كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف بالله من ان ينهزم ولكنه قتل قال فما رأيك قال تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الي كل يوم أربعين رجلا ثم اكتب الى أمراء الاجناد يوافوني ففعل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لا يمر بمدينة الا ويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة ارزن فلقيه جماعة من أصحاب الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه وجعل لا يلقاه احد من أصحاب الجراح الا رده معه ووصل الى خلاط وهي ممتنعة عليه فحصرها أياما وفتحها وقسم غنائمها في أصحابه ثم سار عن خلاط وفتح الحصون والقلاع شيئا بعد شيء الى ان وصل الى برذعة فنزلها وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورثان فخاف الحرشي أن يملكها فارسل بعض أصحابه الى أهل ورثان سرا يعرفهم وصوله ويأمرهم بالصبر فسار القاصد ولقيه بعض الخزر فاخذوه وسألوه عن حاله فاخبرهم وصدقهم فقالوا له ان فعلت ما نأمرك به أحسنا اليك واطلقناك والا قتلناك قال فما الذي تريدون قالوا تقول لاهل ورثان انكم ليس لكم مدد ولا من يكشف ما بكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا فاجابهم الى ذلك فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه فقال لهم أتعرفوني قالوا نعم انت فلان قال فان الحرشي قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر ففي هذين اليومين يصل اليكم فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها أحد فارتحل يطلب الخزر الى اردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فاتاه فارس على فرس أبيض فسلم عليه وقال له هل لك أيها الامير في الجهاد والغنيمة قال كيف لي بذلك قال هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين اسارى وسبايا وقد نزلوا على أربعة فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق أصحابه في أربع جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فما بزغت الشمس حتى قتلوا اجمعون غير رجل واحد واطلق الحرشي من معهم من المسلمين وأخذهم الى باجروان فلما دخلها أتاه ذلك الرجل صاحب الفرس الابيض فسلم وقال هذا جيش للخزر ومعهم أموال المسلمين وحرم الجراح وأولادهم بمكان كذا فسار الحرشي اليهم فما شعروا الا والمسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا ولم يفلت من الخزر الا الشريد واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات وغنموا أموالهم وأخذ أولاد الجراح فاكرمهم وأحسن اليهم وحمل الجميع الى باجروان وبلغ خبر ما فعله الحرشي بعساكر الخزر بابن ملكهم فوبخ عساكره وذمهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا وأشاروا عليه بجمع أصحابه والعود الى قتال الحرشي فجمع أصحابه من نواحي اذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة وسار الحرشي اليه فالتقيا بارض برزند واقتتل الناس أشد قتال وأعظمه فانحاز المسلمون يسيرا فحرضهم الحرشي فامرهم بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة واستغاث من مع الخزر من الاسارى ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا ولم يبق أحد الا وبكى رحمة للاسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الادبار منهزمين وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر ارس وعادوا عنهم وحووا ما في عساكرهم من الاموال والغنائم وأطلقوا الاسرى والسبايا وحملوا الجميع الى باجروان ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل على نهر بالبيلقان وبلغ الخبر الحرشي فسار نحوه في عساكر المسلمين فوافاهم وهم على نهر البيلقان فالتقوا

ومن بني مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للمطيبين وغيرهم من قريش وكان من حرب الفجار ما ذكرنا للمتفاخرين بالعشائر والتكاثر وكان الفجار في شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم

نحن كنا الملوك من آل نجد
وحماة الذمار عند الذمار
ومنعنا الحجون من كل حي
ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفي ذلك قال خداش بن زهير العامري

فلا توعديني بالفجار فانه
أحل ببطحاء الحجون المخازيا

(وقد كان) الحلف في ذي القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فمطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبي قبيس وقريش في مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول

يا للرجال لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الحي والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته
ولا حرام كيوم لابس الغدر

هنالك فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة فضعضعوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم فى النهر أكثر ممن قتل وجمع الحرشي الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وأرسل الخمس الى هشام بن عبد الملك وعرفه مافتح الله على المسلمين فكتب اليه هشام يشكره وأقام بباجروان فأتاه كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل أخاه مسلمة بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك فى شتاء شديد حتى جاز البلاد فى آثارهم

(ذكر وقعة الجنيد بالشعب)

فى هذه السنة خرج الجنيد غازيا يريد طخارستان فوجه عمارة بن حريم الى طخارستان فى ثمانية عشر ألفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثي فى عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فاتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم أطق ان أمنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فأمر الجنيد الناس بعبور النهر فقام اليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الازدي وغيرهما وقالوا ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت جندك فمسلم بن عبد الرحمن بالبيروزكوه والبختري بهراة وعمارة بن حريم غائب بطخارستان وصاحب خراسان لا يعبر النهر فى أقل من خمسين ألفا فاكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم أكن الا فى بنى مرة أو من طلع معى من الشام لعبرت وقال شعرا

أليس أحق الناس ان يشهد الوغى * وان يقتل الابطال ضخما على ضخم

وقال

ماعلتى ماعلتى ماعلتى * ان لم أقتلهم فجزوا لمتى

وعبر الجنيد فنزل كش وتاهب للمسير وبلغ الترك فغوروا الآبار التى فى طريق كش فقال الجنيد أى طريق الى سمرقند أصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر القتل بالسيف أصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فاخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى فى الجبل فاخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترفا من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا ان تكونه فقال ليفرخ روعك قال اما ما كان بيننا مثلك فلا فبات فى أصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند أربع فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان فى جمع عظيم وزحف اليه أهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخير فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤهم من كل وجه فجعل الجنيد تميما والازد فى الميمنة وربيعة فى الميسرة مما يلى الجبل وعلى مجففة خيل بنى تميم عبيد الله بن زهير بن حيان وعلى المجردة عمرو بن جرفاش المنقرى وعلى جماعة بنى تميم عامر بن مالك الحماني وعلى الازد عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو وعلى المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوذان فالتقوا وقصد العدو الميمنة لضيق الميسرة فترجل حسان بن عبيد الله بن زهير بين يدى أبيه فامره أبوه بالركوب فركب وأحاط العدو بالميمنة فامدهم الجنيد بنصر بن سيار فشد هو ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم وقتلوا عبيد الله بن زهير وابن جرفاش والفضيل بن هناد وجالت الميمنة

فمشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى فى ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش فى دار الندوة وكانت للحل والعقد وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فاتفقوا على أيهم ينصفون المظلوم من الظالم فساروا الى دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا هنالك ففى ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب

حلفت لنعقدن حلفا عليهم
وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا
يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا
أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا فى كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار

قال الجد وأيام الفجار بالكسر أربعة أفجرة فى الاشهر الحرم كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا افجرنا حضرها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وفى الحديث كنت انبل على عمومتى يوم الفجار ورميت فيه باسهم وما أحب انى لم أكن فعلت اه

والجنيد واقف فى القلب فاقبل الى الميمنة ووقف تحت راية الازد وكان قد جفاهم فقال له صاحب الراية ماها هنا جئت لتكرمنا ولكنك علمت أنه لا يوصل اليك ومنا رجل حى فان ظفرنا كان لك وان هلكنا لم تبك علينا وتقدم فقتل وأخذ الراية ابن مجاعة فقتل وتداولها ثمانية عشر رجلا فقتلوا وقتل يومئذ من الازد ثمانون رجلا وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تقطع شيئا فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا وقتل من الازد عبد الله بن بسطام ومحمد بن عبد الله بن حوذان والحسن بن شيخ والفضيل صاحب الخيل ويزيد بن الفضل الحداني وكان قد حج فأنفق فى حجته ثمانين ومائة ألف وقال لامه ادعى الله ان يرزقنى الشهادة فدعت له وغشى عليها فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوما وقتل النضر بن راشد العبدى وكان قد دخل على امرأته والناس يقتتلون فقال لها كيف أنت اذا أتيت فى لبد مضرجا بالدم فشقت جيبها ودعت بالويل فقال لها حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقا الى الحور العين فرجع وقاتل حتى استشهد رحمه الله فبينا الناس كذلك اذ اقبل رهج وطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى ليخندق كل قائد على حياله فخندقوا وتحاجزوا وقد أصيب من الازد مائة وتسعون رجلا وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم ير موضعا للقتال أسهل من موضع بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحرث فقصدهم فلما قربوا حملت بكر عليهم فافرجوا لهم فسجد الجنيد واشتد القتال بينهم

(ذكر مقتل سورة بن الحر)

فلما اشتد القتال ورأى الجنيد شدة الامر استشار أصحابه فقال له عبيد الله بن حبيب اختر اما أن تهلك أنت أم سورة بن الحر قال هلاك سورة أهون على قال فاكتب اليه فليأتك فى أهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فقاتلوه فكتب اليه الجنيد يأمره بالقدوم وقال حليس بن غالب الشيبانى ان الترك بينك وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاختطفوك فكتب الى الجنيد انى لا أقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجهت اليك شداد بن خليد الباهلي وكان عدوه فاخرج والزم الماء ولا تفارقه فاجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر لا أصل فى يومين وبينى وبينه فى هذا الوجه ليلة فاذا سكت الرجل سرت فجاءت عيون الاتراك فاخبروهم بمقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الحنظلى وسار فى اثنى عشر ألفا فاصبح على رأس جبل فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ فقاتلهم واشتد القتال وصبروا فقال غورك لخاقان اليوم حار فلا تقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح فواقفهم وأشعل النار فى الحشيش وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ما ترى يا أبا سليم فقال أرى ان الترك يريدون الغنيمة فاعقر الدواب وأحرق المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق وان منعونا شرعنا الرماح وزحف زحفا وانما هو فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لا أقوى على هذا ولا فلان وفلان وعدرجالا ولكن أجمع الخيل فاصكهم بها سلمت أم عطبت وجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا ومن وراء الترك لهب فسقطوا فيه وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم غير ألفين ويقال ألف وكان ممن نجا منهم عاصم بن عمير السمرقندى واستشهد حليس بن غالب الشيبانى وانحاز المهلب بن زياد العجلى فى سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا قصرا هنالك

الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ود وفجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبى صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشأم فى تجارة خديجة ونظر نسطورا الراهب اليه وهو فى صومعته والنبى صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش فى وضع الحجر الاسود عشر سنين وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضها قريش وكان فى حيطانها صور كثيرة بأنواع من الاصابغ عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل فى يده الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن

فأتاهم الاشكند صاحب نسف ومعه غوزك فاعطاهم غوزك الامان فقال قريش بن عبد الله العبدى لاتثقوا بهم ولكن اذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقهم الى خاقان فقال لا أجيز أمان غوزك فقاتلهم الوجف بن خالد والمسلمون فاصيبوا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا غير ثلاثة وقتل سورة فى اللهب فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبيد الله سر وأسرع فقال له المجشر انزل وأخذ بلجام دابته فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر له لو لقونا ونحن نسير ألم يهلكونا فلما أصبحوا تناهضوا الجال الناس فقال الجنيد أيها الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد أى عبد قاتل فهو حر فقاتل العبيد قتالا عجب منه الناس فسروا اعبارا وامن صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا فقال موسى بن النعراء تفرحون بما رأيتم من العبدان لكم منهم ليوما اروزبان ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو وأقام بالصغد أربعة أشهر وكان صاحب رأى خراسان فى الحرب المجشر بن مزاحم وعبد الرحمن بن صبح الخرقى وعبيد الله بن حبيب الهجرى وكان المجشر ينزل الناس على راياتهم ويضع المسالح ليس لاحد مثل رأيه فى ذلك وكان عبد الرحمن اذا نزل الامر العظيم فى الحرب لم يكن لاحد مثل رأيه وكان عبيد الله على تعبية القتال وكان رجال من الموالى مثل هؤلاء فى الرأى والمشورة والعلم بالحرب فنهم الفضل بن بسام مولى ليث وعبد الله بن أبى عبد الله مولى سليم والبخترى بن مجاهد مولى شيبان فلما انصرف الترك بعث الجنيد نهار بن توسعة أحد بنى تيم اللات وزبل بن سويد المرى الى هشام وكتب اليه ان سورة عصانى أمرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه أصحابه فاتتنى طائفة وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند وأصيب سورة فى بقية أصحابه فسأل هشام نهار بن توسعة عن الخبر فاخبره بما شهد وكتب هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من أهل البصرة وعشرة آلاف من أهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة فافرض فلا غاية لك فى الفريضة بخمسة عشر ألفا فلما سمع هشام مصاب سورة قال انا لله وانا اليه راجعون مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وأرسل الجنيد ليلة بالشعب رجلا وقال له تسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسره ذلك قال عبيد بن حاتم بن النعمان رأيت فساطيط بين السماء والارض فقلت لمن هذا فقالوا لعبد الله بن بسطام وأصحابه فقتلوا من غد فقال رجل مررت فى ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة المسك وأقام الجنيد بسمرقند وتوجه خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاور أصحابه فقال قوم نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها فنأتى ربنجن ثم كش ثم الى نسف فنتصل منها الى أرض زم ونقطع النهر وننزل آمل فنأخذ عليه بالطريق فاستشار عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم وأخبره بما قالوا فاشترط عليه أنه لا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال ونزول وقتال فقال نعم قال فانى أطلب اليك خصالا قال وما هى قال تخندق حيثما نزلت ولا يفوتنك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهروان تطيعنى فى نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ما أشار واعليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث يبطئ عنك وأما ما أشار وامن طريق كش ونسف فانك ان سرت بالناس فى غير الطريق فتتت فى اعضادهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان أخذت غير الطريق بلغ أهل بخارى ما فعلت فيستسلموا العدوهم وان

كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتأتى لها ما أرادت فى بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ما ذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والاسود ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى وأبو

أخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأى عندى أن تأخذ عيال من قتل من سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فانى أرجو بذلك ان ينصرك الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسا فاخذ برأيه وخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير فى أربعمائة فارس وأربعمائة راجل فشتم الناس عبد الله بن أبى عبد الله وقالوا ما أراد الا هلاكنا فخرج الجنيد وحمل العيال معه وسرح الاشحب بن عبيد الحنظلى ومعه عشرة من الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح الى رجلا يعلمنى الخبر وسار الجنيد فأسرع السير فقال له عطاء الدبوسى انظر اضعف شيخ فى العسكر فسلحه سلاحا تاما بسيفه ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدر مشيه فانا لا نقدر على سرعة المسير والقتال ففعل الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس وأقبل اليه خاقان بكرمينية أول يوم من رمضان واقتتلوا فاتاه عبد الله بن أبى عبد الله وهو يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال الحمد لله اذ لم يلقك هؤلاء فى جبال معطشة وعلى ظهر انما أتوك وأنت مخندق آخر النهار كالين وأنت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال للجنيد ارتحل فان خاقان وذانك تقيم فينطوى عليك اذا شاء فسار وعبد الله على الساقة ثم أمره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما اصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله انى أتوقع ان خاقان يصدم الساقة اليوم فشدوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك فمالت على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن أحوز عظيما من عظماء الترك فتطيروا من ذلك وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا بخارى يوم المهرجان فتلقوهم بالدراهم البخارية فاعطاهم عشرة عشرة قال عبد المؤمن بن خالد رأيت عبد الله بن أبى عبد الله فى المنام بعد موته فقال حدث الناس عنى برأيى يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله فيقول زبدة من الزبد صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبع والقل الفرد والصنبور الذى لا أخ له وقيل الملصق وقدمت الجنود من الكوفة على الجنيد فسرح معهم حوثرة ابن زيد العنبرى فيمن انتدب معه وقيل ان وقعة الشعب كانت سنة ثلاث عشرة وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب

انى نشأت وحسادى ذو وعدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان تحسدونى على مثل البلاء لكم * يوما فمثل بلائى جر لى الحسدا
يأبى الاله الذى أعنى بقدرته * كعبى عليكم واعطى فوقكم عددا
ارمى العداة بافراس مكلمة * حتى اتخذت على حسادهن يدا
من ذا الذى منكم فى الشعب اذ وردوا * لم يتخذ حومة الاثقال معتمدا
هلا شهدتم دفاعى عن جنيدكم * وقع القنا وشهاب الحرب قد وقدا

وقال ابن عرس يمدح نصرا

يا نصر أنت فتى نزار كلها * فلك المآثر والفعال الارفع
فرجت عن كل القبائل كربة * بالشعب حين تخاضعوا وتضعضعوا
يوم الجنيد اذا القنا متشاجر * والبحر دام والخوافق تلمع
ما زلت ترميهم بنفس حرة * حتى تفرج جمعهم وتصدعوا
فالناس كل بعدها عتقاؤكم * ولك المكارم والمعالى أجمع

(ذكر عدة حوادث)

حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدى السهمى ليأخذ كل واحد منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فشالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضعه فأخذه عليه السلام الحجر ووضعه فى مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا القوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسم بينهم حظوظا وحدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم (وقد تنوزع) فى هذا القائل فمن الناس من رأى أنه ابليس ظهر فى ذلك اليوم فى جمعهم فى صورة رجل من قريش كان قد مات وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فلما استتمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهى

فى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومى وقيل سليمان بن هشام بن عبد الملك وفيها استعمل أهل الاندلس على أنفسهم بعد موت الهيثم أميرهم محمد بن عبد الملك الاشجعى فبقى شهرين وولى بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى وكان عمال الامصار هذه السنة من ذكرناهم فى السنة قبلها وفيها مات رجاء بن حيوة بقنسرين (حيوة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الياء المثناة من تحت) وفيها توفى مكحول أبو عبد الله الشامى الفقيه وعبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمى ومات أبوه وأمه حامل به فكل مايروونه عن أبيه فهو منقطع

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ذكر قتل عبد الوهاب

فى هذه السنة قتل عبد الوهاب بن بخت وكان قد غزا مع عبد الله البطال أرض الروم فانهزم الناس عن البطال فحمل عبد الوهاب وهو يقول مارأيت فرسا أجبن منك وسفك الله دمى ان لم اسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم فى نحر العدو فمر برجل يقول واعطشاه فقال تقدم الرى أمامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه

(ذكر غزو مسلمة وعوده)

فيها فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسر وسبى وأحرق ودان له من وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم عليه فى جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم أمر أصحابه فأوقدوا النيران ثم ترك خيامهم وأثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين فى مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب فى آخر رمق

(ذكر قتل عبد الرحمن أمير الاندلس وولاية عبد الملك بن قطن)

فى هذه السنة وهى سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى أمير الاندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل عبيدة على افريقية والاندلس سنة عشر ومائة فلما قدم افريقية رأى المستنير بن الحرث الحربى غازيا بصقلية وأقام هنالك حتى هجم عليه الشتاء ثم قفل راجعا فغرق من معه وسلم المستنير فى مركبه فحبسه عبيدة عقوبة له وجلده وشهره بالقيروان ثم ان عبيدة استعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله فغزا افرنجة وأوغل فى أرضهم وغنم غنائم كثيرة وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها فى الناس فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضبا شديدا فكتب اليه يتهدده فاجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا أما بعد فان السموات والارض لو كانتا رتقا لجعل الله للمتقين منها مخرجا ثم خرج غازيا بلاد الفرنج هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة وهو الصحيح فقتل هو ومن معه شهداء ثم ان عبيدة سار من افريقية الى الشام ومعه من الهدايا والاماء والعبيد والدواب وغير ذلك شئ كثير واستعفى هشاما فأجابه الى ذلك وعزله وكان قد استعمل على الاندلس بعد قتل عبد الرحمن عبد الملك بن قطن ثم ان هشاما استعمل على افريقية بعد عبيدة عبيد الله بن الحبحاب وكان على مصر فسار عبيد الله الى افريقية سنة ست عشرة ومائة فاخرج المستنير من الحبس وولاه تونس ثم ان عبيد الله جهز جيشا مع حبيب بن أبى عبيدة وسيرهم الى أرض السودان فظفر بهم ظفرا لم يظفر أحد مثله وأصاب ماشاء ثم غزا البحر ثم انصرف

الوصائل وأعادوا الصور التى كانت مصورة فى الكعبة وأبقوا شكل ذلك واحكامه وكان أبو طالب حاضرا فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل فى النبى صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوّله وآخره
فى الحكم العدل الذى لا ينكره
وقد جهدنا جهدنا لنعمره
وقد عمرنا أوّله وآخره
فان يكن حقا ففينا أكثره *

(وكان) من بناء الكعبة الى ان بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذى صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذى القرنين وكان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوّله حجة الغدر ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات عدى بن ثابت الانصارى ومعاوية بن قرة بن اياس المزنى والد اياس قاضى البصرة الذى يضرب بذكائه المثل وفيها توفى حرام بن سعيد بن محيصة أبو سعيد وعمره سبعون سنة (حرام بفتح الحاء المهملة وبالراء المهملة ومحيصة بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وبالصاد المهملة) وفيها توفى طلحة بن مصرف الايامى وعبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثى وعبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ويكنى أبا جعفر وعمره سبع وسبعون سنة ووهب بن منبه الصنعانى وكان أصغر من أخيه همام وكانوا خمسة اخوة همام ووهب وغيلان وعقيل ومعقل وقيل مات سنة عشر ومائة وفيها توفى الحر بن يوسف أمير الموصل ودفن بمقابر قريش بالموصل وكانت داره المعروفة بالمنقوشة فى ذى الحجة واستعمل هشام مكانه الوليد بن تليد العبسى وأمره بالجد فى اتمام حفر النهر فى البلد فشرع فيه واهتم بعمله وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع وفى هذه السنة سار جماعة من دعاة بنى العباس الى خراسان فأخذ الجنيد رجلا منهم فقتله وقال من أصبت منهم فدمه هدر وحج بالناس هذه السنة سليمان بن هشام بن عبد الملك وقيل ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى وكان العمال من تقدم ذكرهم

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

(ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذربيجان)

فى هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على الجزيرة واذربيجان وارمينية وكان سبب ذلك انه كان فى عسكر مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعا لما أذكره ولم أر من يحمله غيرى قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى أمير المؤمنين ان يوجه أخاه مسلمة بن عبد الملك اليهم فوالله ما وطئ من بلادهم الا أدناها ثم انه لما رأى كثرة جمعهم أعجبه ذلك وكتب الى الخزر يؤذنهم بالحرب وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان قصاراه السلامة وقد أردت أن تأذن لى فى غزوة أذهب بها عنا العار وأنتقم من العدو قال قد أذنت لك قال وتمدنى بمائة وعشرين ألف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الامر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية واليا عليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون ألفا فأظهر انه يريد غزو اللان وقصد بلادهم وأرسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فاجابه الى ذلك وأرسل اليه من يقرر الصلح فأمسك الرسول عنده الى ان فرغ من جهازه وما يريد ثم أغلظ لهم القول وآذنهم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على طريق فيه بعد وسار هو فى أقرب الطرق فما وصل الرسول الى صاحبه الا ومروان قد وافاهم فاعلم صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد فاستشار ملك الخزر أصحابه فقالوا ان هذا قد اغترك ودخل بلادك فان أقمت الى ان تجمع لم يجتمع عندك الى مدة فيبلغ منك ما يريد وان أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك والرأى ان تتأخر الى أقصى بلادك وتدعه وما يريد فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ودخل مروان البلاد وأوغل فيها وأخربها وغنم وسبى وانتهى الى آخرها وأقام فيها عدة أيام حتى أذلهم وانتقم منهم ودخل بلاد ملك السرير

لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بأرض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد تنوزع فى ذلك فمنهم من قال انه مات بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بشهر ومنهم من قال انه مات فى السنة الثانية من مولده (وأمه آمنة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث ترضعه (وفى السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذى الاركان

(وفى رواية) أن عبد المطلب قال

لاهم رب الراكب المسافر
محمد قلب بخير طائر
تنحى عن طريقه الفواجر
وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
فى درج الريح والاعاصر

(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه

فاوقع باهله وفتح قلاعا ودان له الملك وصالحه على ألف رأس وخمسمائة غلام وخمسمائة جاريه سود الشعور ومائة ألف مدى تحمل الى الباب وصالح مروان أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مدى ثم دخل أرض زربكران فصالحه ملكها ثم أتى الى أرض حمزين فأبى حمزين ان يصالحه فحصرهم فافتتح حصنهم ثم أتى سغدان فافتتحها صلحا ووظف على طبرشانشاه عشرة آلاف مدى كل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب اللكز وقد امتنع من أداء الوظيفة فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لا يعرفه فصالح أهل اللكز مروان واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شروان وهى على البحر فاذعن أهلها بالطاعة وسار الى الدودانية فاوقع بهم ثم عاد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى فاصاب ربض أقرن وان عبد الله البطال التقى هو وقسطنطين فى جمع فهزمهم البطال وأسر قسطنطين وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى فبلغ قيسارية وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك ابراهيم بن هشام المخزومى عن المدينة واستعمل عليها خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم فى ربيع الاول وكانت امرة ابراهيم على المدينة ثمانى سنين وعزل أيضا ابراهيم عن مكة والطائف واستعمل عليهما محمد بن هشام المخزومى وقيل بل ولى محمدا سنة ثلاث عشرة فلما عزل ابراهيم أقر محمدا عليها وفيها وقع الطاعون بواسط وفيها أقبل مسلمة بن عبد الملك بعد ما هزم خاقان وأحكم ما هنالك وبنى الباب وحج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث وقيل محمد بن هشام وكان العمال من تقدم ذكرهم فى السنة قبلها غير ان المدينة كان عاملها خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد بن هشام وعامل ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وفيها مات عطاء بن أبى رباح وقيل سنة خمس عشرة وعمره ثمانون سنة وقيل مائة سنة وفيها توفى محمد بن على بن الحسين الباقر وقيل سنة خمس عشرة وكان عمره ثلاث وسبعين سنة وقيل ثمانيا وخمسين سنة والحكم بن عتيبة بن النهاس أبو محمد وهو مولى امرأة من كندة ومولده سنة خمسين وفيها توفى عبد الله بن بريدة بن الحصيب الاسلمى قاضى مرو وكان مولده لثلاث سنين مضت من خلافة عمر بن الخطاب (عتيبة بضم العين المهملة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء مثناة من تحتها وآخره باء موحدة وبريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء والحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحدة)

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن هشام أرض الروم وفيها وقع الطاعون بالشام وفيها وقع بخراسان قحط شديد فكتب الجنيد الى الكور بحمل الطعام الى مرو فاعطى الجنيد رجلا درهما فاشترى به رغيفا فقال لهم أتشكون الجوع ورغيف بدرهم لقد رأيتنى بالهند وان الحفنة من الحبوب تباع عددا بدرهم قال وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام المخزومى وكان الامير بخراسان الجنيد وقيل بل كان قد مات الجنيد واستخلف عمارة بن حريم المرى وقيل بل كان موت الجنيد سنة ست عشرة ومائة وفيها غزا عبد الملك بن قطن عامل الاندلس أرض البشكنس وعاد سالما

﴿ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن عبد الملك أرض الروم الصائفة وفيها كان طاعون شديد بالعراق والشام وكان أشده بواسط

واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال ما زال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بأمته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه الى أخواله تزورهم فتوفيت بالأبواء وقدمت به أم أيمن الى مكة بعد خامسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج معه عمه الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

﴿ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته﴾

ثم بعث الله رسوله وأكرمه

ذكر

﴿ذكر عزل الجنيد ووفاته وولاية عاصم خراسان﴾

وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن المرى عن خراسان واستعمل عليها عاصم ابن عبد الله بن يزيد الهلالى وسبب ذلك ان الجنيد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام فولى عاصما خراسان وكان الجنيد قد سقى بطنه فقال هشام لعاصم ان أدركته وبه رمق فازهق نفسه فقدم عاصم وقد مات الجنيد وكان بينهما عداوة فأخذ عمارة بن حريم وكان الجنيد قد استخلفه وهو ابن عمه فعذبه عاصم وعذب عمال الجنيد وعمارة هذا جد أبى الهيذام صاحب العصبية بالشام وسيأتى ذكرها ان شاء الله وكان موت الجنيد بمرو وكان من الاجواد الممدوحين غير محمود فى حروبه

﴿ذكر خلع الحرث بن سريج بخراسان﴾

وفى هذه السنة خلع الحرث بن سريج وأقبل الى الفارياب فارسل اليه عاصم بن عبد الله رسلا فيهم مقاتل بن حيان النبطى وخطاب بن محرز السلمى فقالا انما معنا الا نلقى الحرث الا بامان فابى القوم عليهما فاخذهم الحرث وحبسهم ووكل بهم رجلا فاوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا وعادوا الى عاصم فامرهم فخطبوا وذموا الحرث وذكروا خبث سيرته وغدره وكان الحرث قد لبس السواد ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا فسار من الفارياب فاتى بلخ وعليها نصر بن سيار التميمى فالتقى الحرث وهو فى عشرة آلاف والحرث فى أربعة آلاف فقاتله فانهزم أهل بلخ وتبعهم الحرث فدخل مدينة بلخ وخرج نصر بن سيار منها وأمر الحرث بالكف عنهم واستعمل عليها رجلا من ولد عبد الله بن خازم وسار الى الجوزجان فغلب عليها وعلى الطالقان ومروالروذ فلما كان بالجوزجان استشار أصحابه فى أى بلد يقصد فقيل له مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير ولو لم يلقوك الا بعبيدهم لانتصفوا منك فأقم فان أتوك قاتلتهم وان أقاموا قطعت المادة عنهم فقال لا أرى ذلك وسار الى مرو فقال لاهل الرأى من مروان أتى عاصم نيسابور فرق جماعتنا وان أتانا نكب وبلغ عاصما ان أهل مرو يكاتبون الحرث فقال يا أهل مرو قد كاتبتم الحرث بأنه لا يقصد المدينة الا تركتموها له وانى لاحق بنيسابور وأكاتب أمير المؤمنين حتى يمدنى بعشرة آلاف من أهل الشام فقال له المجشر بن مزاحم ان أعطوك بيعتهم بالطلاق والعتاق على القتال معك والمناصحة لك فلا تفارقهم وأقبل الحرث الى مرو يقال فى ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر الحمانى وداود الاعسر وبشر بن أنيف الرياحى وعطاء الدبوسى ومن الدهاقين دهقان الجوزجان ودهقان الفارياب وملك الطالقان ودهقان مروالروذ فى أشباههم وخرج عاصم فى أهل مرو وغيرهم فعسكر وقطع عاصم القناطر وأقبل أصحاب الحرث فأصلحوا القناطر فمال محمد بن المثنى الفراهيدى الازدى الى عاصم فى ألفين فأتى الازد ومال حماد بن عامر الحمانى الى عاصم فأتى بنو تميم والتقى الحرث وعاصم وعلى ميمنة الحرث رابض بن عبد الله بن زرارة التغلبى فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب الحرث فغرق منهم بشر كثير فى أنهار مرو وفى النهر الاعظم ومضت الدهاقين الى بلادهم وغرق خازم بن عبد الله بن خازم وكان مع الحرث وقتل أصحاب الحرث قتلا ذريعا وقطع الحرث وادى مرو فضرب رواقا عند منازل الرهبان وكف عنه عاصم واجتمع الى الحرث زهاء ثلاثة آلاف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها عزل هشام عبيد الله بن الحبحاب الموصلى عن ولاية مصر واستعمله على افريقية فسار اليها

بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة وأول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق وأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحراء وهو أول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه بأول السورة الى قوله علم الانسان ما لم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم أمر باتمامها بعد ذلك وأقرت ركعتين فى السفر وزيد فى صلاة الحضر (وكان مبعثه) صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز وذلك على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب فى صدر الاسلام ممن قرأ

وفيها سير ابن الحبحاب جيشا الى صقلية فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الروم وكانوا قد أسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقى أسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفيها سير ابن الحبحاب أيضا جيشا الى السوس وأرض السودان فغنموا وظفروا وعادوا وفيها استعمل عبد الله بن الحبحاب عطية بن الحجاج القيسى على الاندلس فسار اليها ووليها فى شوال من هذه السنة وعزل عبد الملك بن قطن وكان له كل سنة غزاة وهو الذى افتتح جليقية والبنة وغيرها وقيل بل ولى عبد الله بن الحبحاب افريقية سنة سبع عشرة وسترد أخباره هناك وهذا أصح وحج بالناس هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان ولى عهد وكان العمال على الامصار من تقدم ذكرهم الا خراسان وكان عاملها عاصم بن عبد الله

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سرايا فى أرض الروم وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح أحدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه فنزل أهلها على الصلح

﴿ذكر عزل عاصم عن خراسان وولاية أسد﴾

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وولاها خالد بن عبد الله القسرى فاستخلف خالد عليها أخاه أسد بن عبد الله وكان سبب ذلك ان عاصما كتب الى هشام أما بعد فان الوليد لا يكذب أهله وان خراسان لا تصلح الا ان تضم الى العراق وتكون موادها ومعونتها من قريب لتباعد أمير المؤمنين وتباطئ غياثه فضم هشام خراسان الى خالد بن عبد الله القسرى وكتب اليه ابعث أخاك يصلح ما أفسد فان كان سيئة كانت به فسير خالد اليها أخاه أسد فلما بلغ عاصما اقبال أسد وانه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمدانى صالح الحرث بن سريج وكتبا بينهما كتابا على أن ينزل الحرث أى كور خراسان شاء وان يكتبا جميعا الى هشام يسألانه بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان أبى اجتمعا عليه فختم الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى ابن حضين بن المنذر أن يختم وقال هذا خلع أمير المؤمنين فانفسخ ذلك وكان عاصم بقرية بأعلى مرو وأتاه الحرث بن سريج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحرث وأسر من أصحابه أسرى كثيرة منهم عبد الله بن عمرو المازنى رأس أهل مرو الروذ فقتل عاصم الاسرى وكان فرس الحرث قد رمى بسهم فنزعه الحرث وألح على الفرس بالضرب والحضر ليشغله عن ألم الجراحة وحمل عليه رجل من أهل الشام فلما قرب منه مال الحرث عن فرسه ثم اتبع الشامى فقال له اسألك بحرمة الاسلام فى دمى فقال انزل عن فرسك فنزل عن فرسه فركبه الحرث فقال رجل من عبد القيس فى ذلك

تولت قريش لذة العيش واتقت * بنا كل فج من خراسان أغبرا
فليت قريشا أصبحوا ذات ليلة * يعومون فى لج من البحر أخضرا

وعظم أهل الشام يحيى بن حضين لما صنع فى نقض الكتاب وكتبوا كتابا بما كان وبهزيمة الحرث مع محمد بن مسلم العنبرى فلقى أسد بن عبد الله بالرى وقيل ببيهق فكتب الى أخيه خالد ينتحل انه هزم الحرث ويخبره بأمر يحيى فأجاز خالد يحيى بعشرة آلاف دينار ومائة من الخيل وكانت ولاية عاصم أقل من سنة فحبسه أسد وحاسبه وطلب منه مائة ألف درهم وقال انك لم تغز وأطلق عمارة بن حريم وعمال الجنيد فلما قدم أسد لم يكن لعاصم الا مرو ونيسابور والحرث

الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفى ذلك يقول الشاعر

فى رأس ألف من السنين *
الى ثلاث حصات بقين
والمائة المعدودة التمام *
الى ألوف ست نظام
أرسله الله لنا رسولا *
وكان فينا هادى السبيلا

(وقد تنوزع) فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستأنف الاسلام بل كان تابعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وان الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلى اذ كان أقرب الناس اليه وأتبعهم له ومنهم من رأى غير ما وصفنا وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال

بمرو الروذ وخالد بن عبد الله الهجرى بآمل موافق للحرث فخاف أسد ان قصد الحرث بمرو الروذ ان يأتى الهجرى من قبل آمل وان قصد الهجرى قصد الحرث مرو من قبل مرو الروذ فأجمع على توجيه عبد الرحمن بن نعيم فى أهل الكوفة والشام الى الحرث بمرو الروذ وسار أسد بالناس الى آمل فلقيه خيل آمل عليهم زياد القرشى مولى حيان النبطى وغيره فهزموا حتى رجعوا الى المدينة فحصرهم أسد ونصب عليهم المجانيق وعليهم الهجرى من أصحاب الحرث فطلبوا الامان فأرسل اليهم أسد ما تطلبون قالوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان لا تأخذ أهل المدن بجنايتنا فأجابهم الى ذلك فاستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى وسار يريد بلخ فأخبر ان أهلها قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فسار حتى قدمها واتخذ سفنا وسار منها الى ترمذ فوجد الحرث محاصرا لها وبها سنان الاعرابى فنزل أسد دون النهر ولم يطق العبور اليهم ولا ان يمدهم وخرج أهل ترمذ من المدينة فقاتلوا الحرث قتالا شديدا واستطرد الحرث لهم وكان قد وضع كمينا فتبعوه ونصر بن سيار مع أسد جالس ينظر فأظهر الكراهية وعرف ان الحرث قد كادهم وظن أسد ان ذلك شفقة على الحرث حين ولى وأراد معاتبة نصر واذا الكمين قد خرج عليهم فانهزموا ثم ارتحل أسد الى بلخ وخرج أهل ترمذ الى الحرث فهزموه وقتلوا جماعة من أهل البصائر منهم عكرمة وأبو فاطمة ثم سار أسد الى سمرقند فى طريق زم فلما قدم زم بعث الى الهيثم الشيبانى وهو فى حصن من حصونها وهو من أصحاب الحرث فقال له أسد انما أنكرتم ما كان من سوء السيرة ولم يبلغ ذلك السبى واستحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند وأنا أريد سمرقند ولك عهد الله وذمته أن لا ينالك منى شر ولك المواساة والكرامة والامان ولمن معك وان أبيت ما دعوتك اليه فعلى عهد الله ان أنت رميت بسهم لا أؤمنك بعد وان جعلت لك ألف أمان لا أفى لك به فخرج اليه على الامان وسار معه الى سمرقند ثم ارتفع الى ورغسر وماء سمرقند منها فسكر الوادى وصرفه عن سمرقند ثم رجع الى بلخ وقيل ان أمر أسد وأصحاب الحرث كان سنة ثمان عشرة

﴿ذكر حال دعاة بنى العباس﴾

قيل وفى هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بنى العباس بخراسان فقتل بعضهم ومثل ببعضهم وحبس بعضهم وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن ابراهيم وطلحة بن زريق فأتى بهم فقال يا فسقة ألم يقل الله تعالى عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه فقال له سليمان نحن والله كما قال الشاعر

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

صدت والله العقارب بيديك انا ناس من قومك وان المضرية رفعوا اليك هذا لانا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم فطلبوا بثأرهم فبعث بهم الى الحبس ثم قال لعبد الرحمن بن نعيم ما ترى قال أرى ان تمن بهم على عشائرهم قال افعل فأطلق من كان فيهم من أهل اليمن لانه منهم ومن كان من ربيعة أطلقه أيضا لحلفهم مع اليمن وأراد قتل من كان من مضر فدعا موسى بن كعب وألجمه بلجام حمار وجذب اللجام فحطمت اسنانه ودق وجهه وانفه ودعا لاهز بن قريظ فقال له ما هذا بحق تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربعيين فضربه ثلاثمائة سوط فشهد له الحسن بن زيد الازدى بالبراءة ولاصحابه فتركهم

﴿ذكر ولاية عبيد الله بن الحبحاب افريقية والاندلس﴾

فى هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على افريقية والاندلس عبيد الله بن الحبحاب وأمره

بالنص فى الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنيه قد أتينا على الكلام فى ذلك على الشرح والايضاح فى كتابنا المترجم بكتاب الصفوة فى الامامة وفى كتاب الاستنصار وفى كتاب الزاهى وغيره من كتبنا فى هذا المعنى ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة وعبيد الله فجاء بهم النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء فى صدر الاسلام يذكرهم

فيا سائلى عن خيار العباد *
صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش *
وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوى الهجرة السابقون *
ثمانية وحدهم نصره
على وعثمان ثم الزبير
وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمدا *
وجاور قبراهما قبره

بالمسير اليهما وكان واليا على مصر فاستخلف عليها ولده وسار الى افريقية واستعمل على الاندلس عقبة بن الحجاج واستعمل على طنجة ابنه اسمعيل وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وأرض السودان فلم يقاتله أحد الا ظهر عليه وأصاب من الغنائم والسبي أمرا عظيما ذل أهل المغرب منه رعبا وأصاب في السبي جاريتين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد ورجع سالما وسير جيشا في البحر سنة سبع عشرة الى جزيرة السردانية فنصروا منها ونهبوا وغنموا وعادوا ثم سيره غازيا الى جزيرة صقلية سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب فلما نزل بارضها وجه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد الا هزمه عبد الرحمن فظفر ظفرا لم ير مثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهي من أعظم مدن صقلية فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وعاد الى أبيه وعزم حبيب على المقام بصقلية الى ان يملكها جميعا فأتاه كتاب ابن الحبحاب يستدعيه الى افريقية وكان سبب ذلك انه استعمل على طنجة ابنه اسمعيل وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي فاساء السيرة وتعدى وأراد أن يخمس مسلمي البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين وذلك شيء لم يرتكبه أحد قبله فلما سمع البربر بمسير حبيب ابن عبيدة الى صقلية بالعساكر طمعوا ونقضوا الصلح على ابن الحبحاب وتداعت عليه بأسرها مسلمها وكافرها وعظم البلاء وقدم من بطنجة من البربر على أنفسهم ميسرة السقاء ثم المدغوري وكان خارجيا صفريا وسقاء وقصدوا طنجة فقاتلهم عمر بن عبد الله فقتلوه واستولوا على طنجة وبايعوا ميسرة بالخلافة وخوطب بامير المؤمنين وكثر جمعه من البربر وقوي أمره بنواحي طنجة وظهر في ذلك الوقت جماعة بافريقية فاظهروا مقالة الخوارج فارسل ابن الحبحاب الى حبيب وهو بصقلية يستدعيه اليه لقتال ميسرة السقاء لان أمره كان قد عظم فعاد الى افريقية وكان ابن الحبحاب قد سير خالد بن حبيب في جيش الى ميسرة فلما وصل حبيب بن أبي عبيدة سيره في أثره والتقى خالد وميسرة بنواحي طنجة واقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وعاد ميسرة الى طنجة فانكرت البربر سيرته وكانوا بايعوه بالخلافة فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي ثم التقى خالد بن حميد ومعه البربر بخالد بن حبيب ومعه العرب وعسكر هشام وكان بينهم قتال شديد صبرت فيه العرب وظهر عليهم كمين من البربر فانهزموا وكره خالد بن حبيب ان ينهزم من البربر فصبروا معه فقتلوا جميعهم وقتل في هذه الوقعة حماة العرب وفرسانها فسميت غزوة الاشراف وانتقضت البلاد وخرج أمر الناس وبلغ أهل الاندلس الخبر فثاروا بأميرهم عقبة بن الحجاج فعزلوه وولوا عبد الملك بن قطن فاختلطت الامور على ابن الحبحاب وبلغ الخبر الى هشام بن عبد الملك فقال لاغضبن للعرب غضبة وأسير جيشا يكون أولهم عندهم وآخرهم عندي ثم كتب الى ابن الحبحاب يأمره بالحضور فسار اليه في جمادى سنة ثلاث وعشرين ومائة واستعمل هشام عوضه كلثوم بن عياض القشيري وسير معه جيشا كثيفا وكتب الى سائر البلاد التي على طريقه بالمسير معه فوصل افريقية وعلى مقدمته بلج بن بشر فوصل الى القيروان ولقي أهلها بالجفاء والتكبر عليهم وأراد أن ينزل العسكر الذي معه في منازلهم فكتب أهلها الى حبيب بن أبي عبيدة وهو بتلمسان مواقف البربر يشكون اليه بلجا وكلثوما فكتب حبيب الى كلثوم يقول له ان بلجا فعل كيت وكيت فارحل عن البلد والا رددنا أعنة الخيل اليك فاعتذر كلثوم وسار الى حبيب وعلى مقدمته بلج ابن بشر فاستخف بحبيب وسبه وجرى بينهما منازعة ثم اصطلحوا واجتمعوا على قتال البربر وتقدم اليهم البربر من طنجة فقال لهم حبيب اجعلوا الرجالة للرجالة والخيالة للخيالة فلم يقبلوا منه وتقدم

فمن كان بعدهما فاخرا
فلا تذكروا عندهم فخره

(وقد اختلف) في أول من أسلم فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول الناس اسلاما وأسبقهم ايمانا ثم بلال بن حمامة ثم عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال علي ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد ابن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم علي كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أحببناه من القول في ذلك فيما تقدم ذكره في هذا المعنى والله تعالى ولي التوفيق

﴿ذكر هجرته وجوامع مما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته﴾

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من الهجرة وهي السنة التي نزل فيها الاذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهي

اليهم كلثوم بالخيل فقاتله رجالة البربر فهزموه فعاد كلثوم منهزما ووهن الناس لذلك ونشب القتال وانكشفت خيالة البربر وثبتت رجالتها واشتد القتال وكثر البربر عليهم فقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة ووجوه العرب وانهزمت العرب وتفرقوا فمضى أهل الشام الى الاندلس ومعهم بلج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة وعاد بعضهم الى القيروان فلما ضعفت العرب بهذه الوقعة ظهر انسان يقال له عكاشة بن أيوب الفزاري بمدينة قابس وهو على رأى الخوارج الصفرية فسار اليه جيش من القيروان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر القيروان فخرج اليه عسكر آخر فانهزم عكاشة بعد قتال شديد وقتل كثير من أصحابه ولحق عكاشة ببلاد الرمل فلما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم بعث أميرا على افريقية حنظلة بن صفوان الكلبي فوصلها في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة فلم يمكث بالقيروان الا يسيرا حتى زحف اليه عكاشة الخارجي في جمع عظيم من البربر وكان حين انهزم حشد لما أخذ بثاره وأعانه عبد الواحد بن يزيد الهواري ثم المدغمي وكان صفريا في عدد كثير وافترقا ليقصدا القيروان من جهتين فلما قرب عكاشة خرج اليه حنظلة ولقيه منفردا واقتتلوا قتالا شديدا وانهزم عكاشة وقتل من البربر ما لا يحصى وعاد حنظلة الى القيروان خوفا عليها من عبد الواحد وسير اليه جيشا كثيفا عدتهم أربعون ألفا فساروا اليه فلما قاربوه لم يجدوا شعيرا يطعمونه دوابهم فاطعموها حنطة ثم لقوه من الغد فانهزموا من عبد الواحد وعادوا الى القيروان وهلكت دوابهم بسبب الحنطة فلما وصلوها نظروا وافتقدوها هلك منهم عشرون ألف فرس وسار عبد الواحد فنزل على ثلاثة أميال من القيروان بموضع يعرف بالاصنام وقد اجتمع معه ثلثمائة ألف مقاتل فحشد حنظلة كل من بالقيروان وفرق فيهم السلاح والمال فكثر جمعه فلما دنا الخوارج مع عبد الواحد خرج اليهم حنظلة من القيروان واصطفوا للقتال وقام العلماء في أهل القيروان يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يفعلونه بالنساء من السبي وبالابناء من الاسترقاق وبالرجال من القتل فكسر الناس أجفان سيوفهم وخرج اليهم نساؤهم يحرضنهم فحمي الناس وحملوا على الخوارج حملة واحدة وثبت بعضهم لبعض فاشتد اللزام وكثر الزحام وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى هزم الخوارج والبربر ونصر العرب وكثر القتل في البربر وتبعوهم الى جلولاء يقتلون ولم يعلموا ان عبد الواحد قد قتل حتى حمل رأسه الى حنظلة فخر الناس لله سجدا فقيل لم يقتل بالمغرب أكثر من هذه القتلة فان حنظلة أمر باحصاء القتلى فعجز الناس عن ذلك حتى عدوهم بالقصب فكانت عدة القتلى مائة ألف وثمانين ألفا ثم أسر عكاشة مع طائفة أخرى بمكان آخر وحمل الى حنظلة فقتله وكتب حنظلة الى هشام بن عبد الملك بالفتح وكان الليث بن سعد يقول ما غزوة الى الآن أشد بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالاصنام

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سراياه في أرض الروم وحج بالناس هذه السنة خالد بن عبد الملك وكان العامل على مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومي وعلى ارمينية وأذربيجان مروان ابن محمد * وفيها توفيت فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب وسكينة بنت الحسين وفيها مات عبد الرحمن بن هرمز الاعرج بالاسكندرية وفيها توفي ابن أبي مليكة واسمه عبد الله بن عبيد الله ابن مليكة وأبو رجاء العطاردي وأبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك وفيها توفي ميمون بن مهران

سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر المقدوني (قال المسعودي) وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط كيفية تنقل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه من مكة ودخوله الغار واستئجار علي له الابل ونومه على فراشه فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الديلي دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام علي بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر بأدائه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فأقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا

الفقيه وقيل سنة ثمان عشرة وفيها توفى نافع مولى ابن عمر وقيل سنة عشرين وفيها توفى أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وقيل سنة عشرين وقيل سنة ست وعشرين وقيل سنة ثلاثين وفيها ماتت عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص وسعيد بن يسار وقتادة بن دعامة البصرى وكان ضريرا ومولده سنة ستين

﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة﴾

فى هذه السنة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك أرض الروم

﴿ذكر دعاة بنى العباس﴾

فى هذه السنة وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد الى خراسان واليا على شيعة بنى العباس فنزل مرو وغير اسمه وتسمى بخداش ودعا الى محمد بن على فسارع اليه الناس وأطاعوه ثم غير ما دعاهم اليه وتكذب وأظهر دين الخرمية ورخص لبعضهم فى نساء بعض وقال لهم انه لا صوم ولا صلاة ولا حج وان تأويل الصوم ان يصام عن ذكر الامام فلا يباح باسمه والصلاة الدعاء له والحج القصد اليه وكان يتأول من القرآن قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات وكان خداش نصرانيا بالكوفة فأسلم ولحق بخراسان وكان ممن اتبعه على مقالته مالك بن الهيثم والحريش بن سليم الاعجمى وغيرهما وأخبرهم ان محمد بن على أمر بذلك فبلغ خبره أسد بن عبد الله فظفر به فأغلظ القول لاسد فقطع لسانه وسمل عينيه وقال الحمد لله الذى انتقم لابى بكر وعمر منك وأمر يحيى بن نعيم الشيبانى فقتله وصلبه بآمل وأتى أسد بحزور مولى المهاجر بن دارة الضبى فضرب عنقه بشاطئ النهر

﴿ذكر ما كان من الحرث وأصحابه﴾

وفى هذه السنة نزل أسد بلخ وسرح جديعا الكرمانى الى القلعة التى فيها أهل الحرث وأصحابه واسمها التبوشكان من طخارستان العليا وفيها بنو برزى التغلبيون أصهار الحرث فحصرهم الكرمانى حتى فتحها فقتل بنى برزى وسبى عامة أهلها من العرب والموالى والذرارى وباعهم فيمن يزيد فى سوق بلخ ونقم على الحرث أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضى فقال لهم الحرث ان كنتم لا بد مفارقى فاطلبوا الامان وأنا شاهد فانهم يجيبونكم وان ارتحلت قبل ذلك لم يعطوا الامان فقالوا ارتحل أنت وخلنا وأرسلوا يطلبون الامان فاخبر أسد ان القوم ليس لهم طعام ولا ماء فسرح اليهم أسد جديعا الكرمانى فى ستة آلاف فحصرهم فى القلعة وقد عطش أهلها وجاعوا فسألوا ان ينزلوا على الحكم ويترك لهم نساءهم وأولادهم فاجابهم فنزلوا على حكم أسد فارسل الى الكرمانى يأمره ان يحمل اليه خمسين رجلا من وجوههم فيهم المهاجر بن ميمون فحملوا اليه فقتلهم وكتب الى الكرمانى ان يجعل الذين بقوا عنده اثلاثا فثلث يقتلهم وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم وثلث يقطع أيديهم ففعل ذلك الكرمانى وأخرج أثقالهم فباعها واتخذ أسد مدينة بلخ دارا ونقل اليها الدواوين ثم غزا طخارستان ثم أرض جبوية فغنم وسبى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها خاله محمد بن هشام بن اسمعيل وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان من ارمينية ودخل أرض ورنيس من ثلاثة أبواب فهرب منه ورنيس الى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق

حيا يسأله كل فريق
النزول عليه ويتعلقون
بزمام راحلته وهى تجذ به
فيقول عليه السلام خلوا
عنها فانها مأمورة حتى
أدركته الصلاة فى بنى سالم
فصلى بهم يوم الجمعة وكانت
تلك أول جمعة صليت فى
الاسلام وهذا موضع تنازع
الفقهاء فى العدد الذى بهم
تتم صلاة الجمعة فذهب
الشافعى فى آخرين معه
الى أن الجمعة لا تجب اقامتها
حتى يكون عدد المصلين
أربعين فصاعدا وأقل من
ذلك لا يجزى وخالفه غيره
من الفقهاء من أهل الكوفة
وغيرهم وكان فى بطن
الوادى المعروف بوادى
رانوناء الى هذه الغاية
ثم استوى على ناقته فسارت
لا تعرج على شئ ولا يردها
راد حتى أتت الى موضع
مسجده عليه السلام
والموضع يومئذ لغلامين
يتيمين من بنى النجار فبركت
ثم سارت خطوات غير بعيد
ثم عادت الى مبركها فبركت
واطمأنت والنبى صلى الله
عليه وسلم يراعى مكارم
البارى منه وتوفيقه له
تنزل عنها وسار الى منزل أبى
أيوب الانصارى وهو خالد
ابن كليب بن ثعلبة بن

فقتل ورنيس قتله بعض من اجتاز به وأرسل رأسه الى مروان فنصبه لاهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وفى هذه السنة مات على بن عبد الله بن عباس وكان موته بالحميمة من أرض الشام وهو ابن سبع أو ثمان وسبعين سنة وقيل انه ولد فى الليلة التى قتل فيها على بن أبى طالب فسماه أبوه عليا وقال سميته باسم أحب الناس الى وكناه أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك ابن مروان أكرمه وأجلسه معه على سريره وسأله عن كنيته فاخبره فقال لا يجتمع فى عسكرى هذا الاسم والكنية لاحد وسأله هل ولد لك ولد قال نعم وقد سميته محمدا قال فانت ابو محمد وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام بن اسمعيل وكان أمير المدينة وقيل كان هذه السنة على المدينة خالد بن عبد الملك وكان على العراق والمشرق كله خالد القسرى وعامله على خراسان أخوه أسد وعامله على البصرة بلال بن أبى بردة وكان على أرمينية مروان بن محمد بن مروان وفى هذه السنة مات عبادة بن نسى قاضى الاردن وعمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العباس ومات بالطائف أبو صخرة جامع بن شداد وأبو عشابة المعافرى وعبد الرحمن بن سابط

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة﴾

﴿ذكر قتل خاقان﴾

لما دخل أسد الختل كتب ابن السايجى الى خاقان وهو بنواكث يعلمه دخول أسد الختل وتفرق جنوده فيها وانه بحال مضيعة فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز وسار فلما أحس ابن السايجى بخاقان بعث الى أسد اخرج عن الختل فان خاقان قد أظلك فشتم الرسول ولم يصدقه فبعث ابن السايجى انى لم أكذبك وأنا الذى أعلمته دخولك وتفرق عسكرك وانها فرصة له وسألته المدد فان لقيك على هذه الحال ظفر بك وعادتنى العرب أبدا ما بقيت واستطال على خاقان واشتدت مؤنته وقال اخرجت العرب من بلادك ورددت عليك ملكك فعرف أسد انه قد صدقه فامر بالاثقال ان تتقدم وجعل عليها ابراهيم بن عاصم العقيلى واخرج معه المشيخة فسارت الاثقال ومعها أهل الصغانيان وصغان خذاه وأقبل أسد من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلخ وقد قطع ابراهيم بن عاصم بالسبى وما أصابوا وأشرف أسد على النهر فاقام يومه فلما كان الغد عبر النهر فى مخاضة وجعل الناس يعبرون فادركهم خاقان فقتل من لم يقطع النهر وكانت المسلحة على الازد وتميم فقاتلوا خاقان وانكشفوا وأقبل خاقان وظن المسلمون انه لا يعبر اليهم النهر فلما نظر خاقان الى النهر أمر الترك بعبوره فعبروه ودخل المسلمون عسكرهم وأخذ الترك ما رأوه خارجا وخرج الغلمان فضاربوهم بالعمد فعادوا وبات أسد والمسلمون وعبى أصحابه من الليل فلما أصبح لم ير خاقان فاستشار أصحابه فقالوا له اقبل العافية قال ما هذه عافية هذه بلية ان خاقان أصاب أمس من الجند والسلاح وما منعه اليوم منا الا انه قد أخبره بعض من أخذه من الاسرى بموضع الاثقال اماما فسار طمعا فيها فارتحل وبعث الطلائع فلما أمسى استشار الناس فى النزول أو المسير فقال الناس اقبل العافية وما عسى ان يكون ذهاب الاموال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ونصر بن سيار مطرق فقال له أسد مالك لا تتكلم قال أيها الامير خلتان كلتاهما لك ان تسر تغنم وتنجد من مع الاثقال وتخلصهم فان انتهيت اليهم وقد هلكوا فقد قطعت مشقة لا بد من قطعها فقبل رأيه وسار بقية يومه ودعا أسد سعيدا الصغير مولى باهلة وكان فارسا بارض الختل وكتب معه كتابا الى ابراهيم يأمره بالاستعداد ويخبره بسير خاقان اليه وقال له لتجد السير فطلب منه فرس الذنوب فقال أسد لعمرى لئن جدت بنفسك وبخلت عليك بالفرس انى اذا للئيم

عوف بن غنم بن مالك بن
النجار فاقام فى منزله شهرا
حتى ابتنى المسجد من بعد
ابتياعه الموضع وأحدقت
به الانصار واشتد سرورهم
به وأظهروا التأسف على
ما فاتهم من نصرته وفى ذلك
يقول صرمة بن أنس أحد
بنى عدى بن النجار من قصيدة
ثوى فى قريش بضع عشرة
حجة
يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم
نفسه
فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
وأصبح مسرورا بطيبة
راضيا
وأصبح لا يخشى من الناس
واحدا
بعيدا ولا يخشى من الناس
دانيا
بذلنا له الاموال فى كل
ملكنا
وأنفسنا عند الوغى
والتأسيا
ونعلم أن الله لا رب غيره
وأن رسول الله للحق رائيا
نعادى الذى عادى من الناس
كلهم
جميعا وان كان الحبيب
المصافيا
فافترض شهر رمضان
وحولت القبلة الى الكعبة
بعد قدومه بثمانية عشر
شهرا وقد قيل انه أنزل عليه

فدفعه اليه فاخذمعه جنيبا وسار فلما حاذى الترك وقدسار وانحو الاثقال طابنه طلائعهم فركب الذنوب فلم يلحقوه فاتى ابراهيم بالكتاب وسار خاقان الى الاثقال وقدخندق ابراهيم خندقا فاتاهم وهم قيام عليه فامر الصغد بقتالهم فهزمهم المسلمون وصعد خاقان تلا فجعل ينظر ايرى عورة يأتى منها وهكذا كان يفعل فلما صعد التل رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة فدعا بعض قواد الترك فامرهم ان يقطعوا فوق العسكر حتى يصيروا الى الجزيرة ثم ينحدروا حتى يأتوا عسكر المسلمين من خلفهم وان يبدؤا بالاعاجم وأهل الصغانيان وقال لهم ان رجعوا اليكم دخلنا نحن ففعلوا ودخلوا من ناحية الاعاجم فقتلوا اصغان خذاه وعامة أصحابه وأخذوا أموالهم ودخلوا عسكر ابراهيم فاخذوا جميع مافيه وترك المسلمون التعبية واجتمعوا فى موضع وأحسوا بالهلاك واذا رهج قد ارتفع واذا أسد فى جنده قد أتاهم فارتفعت الترك عنهم الى الموضع الذى كان فيه خاقان وابراهيم يعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وهو لا يطمع فى أسد وكان أسد قد أغذ المسير وأقبل حتى وقف على التل الذى كان عليه خاقان وتنحى خاقان الى ناحية الجبل فخرج الى أسد من كان بقى مع الاثقال وقد قتل منهم بشرا كثيرا ومضى خاقان بالاسرى والجمال الموقرة والجوارى وأمر خاقان رجلا كان معه من أصحاب الحرث بن سريج فنادى أسدا قد كان لك فيما وراء النهر مغزى انك لشديد الحرص وقد كان عن الختل مندوحة وهى أرض آبائى وأجدادى فقال أسد لعل الله ان ينتقم منك وسار أسد الى بلخ فعسكر فى مرجها حتى أتى الشتاء ثم فرق الناس فى الدور ودخل المدينة وكان الحرث بن سريج بناحية طخارستان فانضم الى خاقان فلما كان وسط الشتاء أقبل خاقان وكان لما فارق أسدا أتى طخارستان فاقام عند جبوية فاقبل فاتى الجوزجان وبث الغارات وسبب مجيئه ان الحرث أخبره انه لانهوض باسد فلم يبق معه كثير جند ونزل جزة فاتى الخبر الى أسد بنزول خاقان بجزة فامر بالنيران فرفعت بالمدينة فجاء الناس من الرساتيق اليها فاصبح أسد وصلى صلاة العيد عيد الاضحى وخطب الناس وقال ان عدو الله الحرث استجلب الطاغية ليطفئ نور الله ويبدل دينه والله مذله ان شاء الله وان عدوكم قد أصاب من اخوانكم من أصاب وان يرد الله نصركم لن يضركم قلتكم وكثرتهم فاستنصروا الله وان أقرب مايكون العبد من ربه اذا وضع جبهته له وانى نازل وواضع جبهتى فاسجدوا له وادعوه مخلصين ففعلوا ورفعوا رؤسهم ولا يشكون فى الفتح ثم نزل وضحى وشاور الناس فى المسير الى خاقان فقال قوم تحفظ مدينة بلخ وتكتب الى خالد والخليفة تستمده وقال قوم تأخذ فى طريق زم فتسبق خاقان الى مرو وقال قوم بل تخرج اليهم فوافق هذا رأى أسد وكان عزم على لقائهم فخرج بالناس وهو فى سبعة آلاف من أهل خراسان والشام واستخلف على بلخ الكرمانى بن على وأمره ان لايدع أحدا يخرج من مدينتها وان ضرب الترك بابها ونزل بابا من أبواب بلخ وصلى بالناس ركعتين طولهما ثم استقبل القبلة ونادى فى الناس ادعوا الله تعالى وأطال الدعاء فلما فرغ قال نصرتم ورب الكعبة ان شاء الله تعالى ثم سار فلما جاز قنطرة عطاء نزل وأراد المقام حتى يتلاحق به الناس ثم أمر بالرحيل وقال لاحاجة بنا الى المتخلفين ثم ارتحل وعلى مقدمته سالم بن منصور البجلى فى ثلثمائة فلقى ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان فاسر قائدهم وسبعة معه وهرب بقيتهم فاتى به أسد فبكى التركى فقال مايبكيك قال لست أبكى لنفسى ولكنى أبكى لهلاك خاقان انه قد فرق جنوده بينه وبين مرو فسار أسد حتى شارف مدينة الجوزجان فنزل عليها على فرسخين من خاقان وكان قد استباحها خاقان فلما أصبحوا تراءى العسكران فقال خاقان للحرث بن

بالمدينة من القران اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر فى الساعة التى دخل فيها المدينة فى منزل عائشة رضى الله عنها وكانت علته اثنى عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادى القرى منصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع فى اعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادى القرى من غير أن يأتى المدينة وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه الى ودان وهى المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة بواط الى ناحية رضوى ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر الاولى وكان خروجه طلبا لكرز بن جابر ثم غزوة بدر الكبرى وهى

سريج ألم تكن أخبرتنى ان أسدا لاحراك به وهذه العساكر قد أقبلت من هذا قال هذا محمد بن المثنى ورايته فبعث خاقان طليعة وقال انظروا هل ترون على الابل سريرا وكراسى فعادوا اليه فاخبروه انهم رأوها فقال خاقان هذا أسد وسار أسد قدر غلوة فلقيه سالم بن جناح فقال ابشر أيها الامير قد حزرتهم ولا يبلغون أربعة آلاف وأرجو ان يكون خاقان عقيرة الله فصف أسد أصحابه وعبى خاقان أصحابه فلما التقوا حمل الحرث ومن معه من الصغد وغيرهم وكانوا ميمنة خاقان على ميسرة أسد فهزمهم فلم يردهم شئ دون رواق أسد وحملت ميمنة أسد وهم الجوزجان والازد وتميم عليهم فانهزم الحرث ومن معه وانهزمت الترك جميعها وحمل الناس جميعا فتفرق الترك فى الارض لايلوون على أحد فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون حتى انتهوا الى أغنامهم وأخذوا منها أكثر من مائة ألف وخمسين ألف رأس ودواب كثيرة وأخذ خاقان طريقا فى الجبل والحرث يحميه وسار منهزما فقال الجوزجانى لعثمان بن عبد الله بن الشخير انى لاعلم ببلادى وبطرقها فهل تتبعنى لعلنا نهلك خاقان قال نعم فاخذا طريقا وسارا ومن معهما حتى أشرفوا على خاقان فاوقعوا به فولى منهزما فحوى المسلمون عسكر الترك ومافيه من الاموال ووجدوا فيه من نساء العرب والموليات من نساء الترك من كل شئ ووحل بخاقان برذونه فحماه الحرث بن سريج ولم يعلم الناس أنه خاقان وأراد الخصى الذى لخاقان ان يحمل امرأة خاقان فاعجلوه فقتلها واستنقذوا من كان مع خاقان من المسلمين وتتبع أسد خيل الترك التى فرقها فى الغارة الى مرو الروذ وغيرها فقتل من قدر عليه منهم ولم ينج منهم غير القليل ورجع الى بلخ وكان بشر الكرمانى فى السرايا فيصيبون من الترك الرجل والرجلين وأكثر ومضى خاقان الى طخارستان وأقام عند جبوية الخزلجى ثم ارتحل الى بلاده فلما ورد أشروسنة تلقاه خرابغره أبو خاناخره جد كاوس أبى أفشين بكل ماقدر عليه وكان مابينهما متباعدا الا انه أحب ان يتخذ عنده يدا ثم أتى خاقان بلاده واستعد للعرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحرث وأصحابه على خمسة آلاف برذون فلاعب خاقان يوما كورصول بالنرد على خطر فتنازعا فضرب كورصول يد خاقان فكسرها وتنحى وجمع جمعا وبلغه ان خاقان قد حلف ليكسرن يده فبيت خاقان فقتله وتفرقت الترك وتركوه مجردا فاتاه نفر من الترك فدفنوه واشتغلت الترك يغير بعضها على بعض فعند ذلك طمع أهل الصغد فى الرجعة اليها وأرسل أسد مبشرا الى هشام بن عبد الملك بما فتح الله عليهم وبقتل خاقان فلم يصدقه وقال للربيع حاجبه لاأظن هذا صادقا اذهب فعده ثم سله عما يقول ففعل ما أمره به فاخبره بما أخبره به هشام ثم أرسل أسد مبشرا آخر فوقف على باب هشام وكبر فاجابه هشام بالتكبير فلما انتهى اليه أخبره بالفتح فسجد شكرا لله تعالى فحسدت القيسية أسدا وقالوا لهشام اكتب بطلب مقاتل بن حيان النبطى ففعل فسيره أسد الى هشام فلما دخل عليه أخبره بما كان فقال له هشام حاجتك قال ان يزيد بن المهلب أخذ من أبى مائة ألف درهم بغير حق فاستحلفه على ذلك فكتب الى اسد فردها عليه وقسمها مقاتل بين ورثة حيان على كتاب الله تعالى وقال أبو الهندى يذكر هذه الوقعة

أبا منذر رمت الامور وقستها * وساءلت عنها كالحريص المساوم
فما كان ذو رأى من الناس قسته * برأيك الامثل رأى البهائم
أبا منذر لولا مسيرك لم يكن * عراق ولا انقادت ملوك الاعاجم
ولا حج بيت الله من حج راكبا * ولا عمر البطحاء بعد المواسم

بدر الثانية التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبنى سليم ثم غزوة السويق طلبا لابى سفيان ابن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذى أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذى قرد ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لايريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها فى تسع غزوات بدر وأحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك هذا قول محمد بن اسحق فأما ماذهب اليه الواقدى

وكم من قتيل بين شان وجزة * كسير الايادى من ملوك قماقم
تركت بأرض الجوزجان تزوره * سباع وعقبان لحز الغلاصم
وذى سوقة فيه من السيف خبطة * به رمق ملقى لحوم الحوائم
فمن هارب منا ومن دائن لنا * أسيرا يقاسى مهمهات الاداهم
فدتك نفوس من تميم وعامر * ومن مضر الحمراء عند المآزم
هم أطمعوا خاقان فينا فأصبحت * حلائبه ترجو خبالوا المغانم

وكان ابن السايجى الذى اخبر أسد ابجى مخاقان قد استخلفه السبل على مملكته عند موته وأوصاه بثلاث خصال قال لا تستطل على أهل الختل استطالتى عليهم فانى ملك وأنت لست بملك انما أنت رجل منهم وقال له اطلب الخنيش حتى ترده الى بلادكم فانه الملك بعدى وكان الخنيش قد هرب الى الصين وقال له لا تحاربوا العرب وادفعوها عنكم بكل حيلة فقال له ابن السايجى أما تركى استطالتى عليهم وردى الخنيش فهو الرأى وأما قولك لا تحاربوا العرب فكيف وقد كنت أكثر الملوك محاربة لهم قال السبل قد جربت قوتكم بقوتى فما رأيتكم تقعون منى موقعا وكنت اذا حاربتهم لم أفلت الا جرضا وانكم اذا حاربتموهم هلكتم فهذا الذى أكره الى ابن السايجى محاربة العرب

﴿ذكر قتل المغيرة بن سعيد وبيان﴾

فى هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى ستة نفر وكانوا يسمون الوصفاء وكان المغيرة ساحرا وكان يقول لو أردت أن أحيى عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا لفعلت وبلغ خالد بن عبد الله القسرى خروجهم بظهر الكوفة وهو يخطب فقال أطعمونى ماء فقال يحيى بن نوفل فى ذلك

أخالد لا جزاك الله خيرا * وأير فى حرامك من أمير
وكنت لدى المغيرة عبد سوء * تبول من المخافة للزئير
وقلت لما أصابك اطعمونى * شرابا ثم بلت على السرير
لاعلاج ثمانية وشيخ * كبير السن ليس بذى نصير

فأرسل خالد فاخذهم وأمر بسريره فاخرج الى المسجد الجامع وأمر بالقصب والنفط فاحضر فاحرقهم وأرسل الى مالك بن أعين الجرمى فسأله فصدقه فتركه وكان رأى المغيرة التجسيم يقول ان الله على صورة رجل على رأسه تاج وان أعضاءه على عدد حروف الهجاء ويقول ما لا ينطق به لسان تعالى الله عن ذلك ويقول ان الله تعالى لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الاعظم فطار فوقع على تاجه ثم كتب باصبعه على كفه اعمال عباده من المعاصى والطاعات فلما رأى المعاصى ارفض عرقا فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح مظلم والآخر عذب نير ثم اطلع فى البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار فأدركه فقلع عينى ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وسماء أخرى وخلق من البحر الملح الكفار ومن البحر العذب المؤمنين وكان يقول بالهية على وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابة الا من ثبت مع على وكان يقول ان الانبياء لم يختلفوا فى شئ من الشرائع وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة وكان يخرج الى المقبرة فيتكلم فيرى أمثال الجراد على القبور وجاء المغيرة الى محمد الباقر فقال له أقرر أنك تعلم الغيب حتى أجبى لك العراق فنهره وطرده وجاء الى ابنه جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك فقال أعوذ بالله وكان الشعبى يقول للمغيرة ما فعل الامام فيقول اتهزأ به فيقول لا انما أهزأ بك وأما بيان فانه كان يقول بالهية على وان الحسن والحسين الهان ومحمد بن الحنفية بعدهم ثم بعده ابنه أبو هاشم بن

فانه وافق ابن اسحق فى قتال النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه التسع الغزوات وزاد أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل فى غزوات وادى القرى وذلك أن غلامه المعروف بمدعم رمى بسهم فقتل وقاتل فى يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففى قول الواقدى انه قاتل فى احدى عشرة غزوة وفى قول ابن اسحق فى تسع فقتاله فى التسع باتفاق منهما وزاد الواقدى على ماذكر وقد قيل ان أول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من أهل السير والاخبار فى عدة سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه فى التاريخ قال حدثنى الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمرو الواقدى كانت سرايا النبى صلى الله عليه وسلم ثمانيا وأربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم)

محمد بنوع من التناسخ وكان يقول ان الله تعالى يفنى جميعه الا وجهه ويحتج بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وادعى النبوة وزعم انه المراد بقوله تعالى هذا بيان للناس

﴿ذكر خبر الخوارج هذه السنة﴾

وفى هذه السنة خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة وهو من الموصل من شيبان فقتل وكان سبب خروجه انه خرج يريد الحج فأمر غلامه يبتاع له خلا بدرهم فأتاه بخمر فأمره برده وأخذ الدرهم فلم يجبه صاحب الخمر الى ذلك فجاء بهلول الى عامل القرية وهى من السواد فكلمه فقال العامل الخمر خير منك ومن قولك فمضى فى حجه وقد عزم على الخروج فلقى بمكة من كان على مثل رأيه فاتعدوا قرية من قرى الموصل فاجتمعوا بها وهم أربعون رجلا وأمروا عليهم بهلولا وكتموا أمرهم وجعلوا لا يمرون بعامل الا أخبروه انهم قدموا من عند هشام على بعض الاعمال وأخذوا دواب البريد فلما انتهوا الى القرية التى ابتاع الغلام بها الخمر قال بهلول نبدأ بهذا العامل فنقتله فقال أصحابه نحن نريد قتل خالد فان بدأنا بهذا اشتهر أمرنا وحذرنا خالد وغيره فنشدناك الله ان لا نقتل هذا فيفلت منا خالد الذى يهدم المساجد ويبنى البيع والكنائس ويولى المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات فاذهب بنا اليه لعلنا نقتله فيريح الله منه فقال والله لا أدع ما يلزمنى لما بعده وأرجو أن أقتل هذا وخالدا فقتله فعلم بهم الناس أنهم خوارج فهربوا وخرجت البرد الى خالد فاعلموه بهم ولا يدرون من رئيسهم فخرج خالد من واسط وأتى الحيرة وكان بها جند قد قدموا من الشام مددا لعامل الهند فأمرهم خالد بقتاله وقال من قتل منهم رجلا أعطيته عطاء سوى ما أخذ فى الشام وأعفيته من الخروج الى الهند فسارعوا الى ذلك فتوجه مقدمهم وهو من بنى القين ومعه ستمائة منهم فضم اليه خالد مائتين من الشرط فالتقوا على الفرات فقال القينى لمن معه من الشرط لا تكونوا معنا ليكون الظفر له ولاصحابه وخرج اليهم بهلول فحمل على القينى فطعنه فانفذه وانهزم اهل الشام والشرط وتبعهم بهلول وأصحابه يقتلونهم حتى بلغوا الكوفة فأما أهل الشام فكانوا على خيل جياد ففاتوهم وأما شرط الكوفة فأدركهم فقالوا اتق الله فينا فانا مكرهون مظهرون فجعل يقرع رؤسهم بالرمح ويقول النجاء النجاء ووجد بهلول مع القينى بدرة فأخذها وكان فى الكوفة ستة يرون رأى بهلول فخرجوا اليه فقتلوا بصريفين فخرج بهلول ومعه البدرة فقال من قتل هؤلاء حتى أعطيه هذه البدرة فجاء قوم فقالوا نحن قتلناهم وهم يظنونه من عند خالد فقال بهلول لاهل القرية أصدق هؤلاء قالوا نعم فقتلهم وترك أهل القرية وبلغت الهزيمة خالدا وما فعل بصريفين فوجه اليه قائدا من شيبان أحد بنى حوشب بن يزيد بن رويم فلقيه فيما بين الموصل والكوفة فانهزم أهل الكوفة فاتوا خالدا فارتحل بهلول من يومه يريد الموصل فكتب عامل الموصل الى هشام بن عبد الملك يخبره بهم ويسأله جندا فكتب اليه هشام وجه اليه كثارة بن بشر وكان هشام لا يعرف بهلولا الا بلقبه فكتب اليه العامل ان الخارج هو كثارة ثم قال بهلول لاصحابه انا والله ما نصنع بابن النصرانية شيأ يعنى خالدا فلم لا نطلب الرأس الذى سلط خالدا فسار يريد هشاما بالشام فخاف عمال هشام من هشام ان تركوه يجوز الى بلادهم فسير خالد جندا من العراق وسير عامل الجزيرة جندا من الجزيرة ووجه هشام جندا من الشام واجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل وأقبل بهلول اليهم وقيل التقوا بكحيل دون الموصل فنزل بهلول على باب الدير وهو فى سبعين وحمل عليهم فقتل منهم نفرا وقاتلهم عامة نهاره وكانوا

وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم فى صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج على) بن أبى طالب لفاطمة عليهما السلام بعد سنة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك (وكانت) أول امرأة تزوج بها النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكانت وفاتها فى شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسرى به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبى طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان أبا طالب اسم له (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضى الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه فى الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر)

عشرين ألفا فا كثر فيهم القتل والجراح ثم ان بهلولا وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا فقاتلوا قتالا شديدا فقتل كثير من أصحاب بهلول فطعن بهلول فصرع فقال له أصحابه ول أمرنا فقال ان هلكت فأمير المؤمنين دعامة الشيبانى وان هلك فأمر وا اليشكرى ومات بهلول من ليلته فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم فقال الضحاك بن قيس يرثى بهلولا

بدلت بعد أبى بشر وصحبته * قوما على مع الاحزاب اعوانا
كأنهم لم يكونوا من صحابتنا * ولم يكونوا لنا بالامس خلانا
ياعين أذرى دموعا منك تهتانا * وابكى لنا صحبة بانوا واخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها * وأصبحوا فى جنان الخلد جيرانا

فلما قتل بهلول خرج عمرو اليشكرى فلم يلبث ان قتل وخرج البختري صاحب الاشهب وبهذا كان يعرف على خالد فى ستين فوجه اليه خالد الشمط بن مسلم البجلى فى أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم ثم خرج وزير السختيانى على خالد بالحيرة فى نفر فجعل لا يمر بقرية الا أحرقها ولا يلقى أحدا الا قتله وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال فوجه اليه خالد جندا فقاتلوا عامة أصحابه وأثخن بالجراح وأتى به خالد وأقبل على خالد فوعظه فأعجب خالدا ما سمع منه فلم يقتله وحبسه عنده وكان يؤتى به فى الليل فيحادثه فسعى بخالد الى هشام وقيل أخذ حرورياقد قتل وحرق وأباح الاموال فجعله سميرا فغضب هشام وكتب اليه يأمره بقتله وكان خالد يقول انى أنفس به عن الموت فأخر قتله فكتب اليه هشام ثانيا يذمه ويأمره بقتله واحراقه فقتله وأحرقه ونفرا معه ولم يزل يتلو القرآن حتى مات وهو يقرأ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون

﴿ذكر خروج الصحارى بن شبيب﴾

وفى هذه السنة خرج الصحارى بن شبيب بن يزيد بناحية جبل وكان قد أتى خالدا يسأله الفريضة فقال خالد وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فمضى فندم خالد وخاف ان يفتق عليه فطلبه فلم يرجع اليه وسار حتى أتى جبل وبها نفر من بنى تيم اللات بن ثعلبة فأخبرهم فقالوا وما ترجو من ابن النصرانية كنت أولى ان تسير اليه بالسيف فتضربه به فقال والله ما أردت الفريضة وما أردت الا التوصل اليه لئلا ينكرنى ثم أقتله بفلان يعنى بفلان رجلا من قعدة الصفرية وكان خالد قتله صبرا ثم دعاهم الى الخروج معه فتبعه منهم ثلاثون رجلا وخرج بهم فبلغ خبره خالدا فقال قد كنت خفتها منه ثم وجه اليه خالد جندا فالتقوا بناحية المناذر فقاتلهم قتالا شديدا فقتلوه وجميع أصحابه

﴿ذكر غزوة أسد الختل﴾

وفيها غزا أسد الختل فوجه مصعب بن عمرو الخزاعى اليها فسار حتى نزل بقرب بدرطرخان فطلب الامان ليخرج الى أسد فأمنه مصعب وسيره الى أسد فسأله أن يقبل منه ألف ألف درهم فأبى أسد وقال انك دخلتها وأنت غريب من أهل الباميان اخرج من الختل كما دخلت فقال بدرطرخان فانت دخلت الى خراسان على عشرة من الدواب ولو خرجت منها لم تحتمل على خمسمائة بعير وغير ذلك انى دخلت الختل شابا فاردد على شبابى وخذ ما كسبت منها فغضب أسد ورده الى مصعب ليمكنه من العود الى حصنه فوصل بدرطرخان مع مولى لاسد الى مصعب فاخذه سلمة بن عبيد الله وهو من الموالى وقال ان الامير يندم على تركه وحبسه عنده وأقبل أسد بالناس فقال المجشر بن مزاحم كيف أنت قال مجشر كنت أمس أحسن حالا منى اليوم كان بدرطرخان فى

ابن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن على الله الجنة فاجيز له ذلك (وكان عدة) من تزوج من النساء خمس عشرة دخل باحدى عشرة منهن ولم يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودى) وقد تنوزع فى مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روى فى ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبى جمرة عن ابن عباس وقد روى عن أبى هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك

أيدينا وعرض ما عرض فلا الامير قبل منه ما عرض عليه ولا هو شد يده عليه ولكنه خلى سبيله وأمر باد خاله حصنه فندم أسد عند ذلك وأرسل الى مصعب يسأله هل دخل بدرطرخان حصنه أم لا فجاء الرسول فوجده عند سلمة بن عبيد الله فحوله أسد اليه وأمر به فقطعت يده وقال من ههنا من أولياء أبى فديك رجل من الازد كان بدرطرخان قد قتله فقام رجل من الازد فقال انا فقال اضرب عنقه ففعل وغلب أسد على القلعة العظمى وبقيت قلعة فوقها صغيرة وفيها ولده وأمواله فلم يصل اليها وفرق أسد العسكر فى أودية الختل فملأ أيديهم من الغنائم والسبى وهرب أهله الى الصين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا الوليد بن القعقاع أرض الروم وحج بالناس هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام ابن عبد الملك وحج معه ابن شهاب وكان العامل على مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام المخزومى وعلى العراق والمشرق كله خالد القسرى وعلى خراسان أخوه أسد وقيل كان أسد قد هلك فى هذه السنة واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهرانى وقيل انما هلك أسد سنة عشرين ومائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها غزا مروان بن محمد ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر فمر ببلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التى يكون فيها خاقان فهرب منه وفيها توفى حبيب بن أبى ثابت وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومى وقيس بن سعد المكى وسليمان بن موسى الاشدق واياس بن مسلمة بن الاكوع

﴿ثم دخلت سنة عشرين ومائة﴾

﴿ذكر وفاة أسد بن عبد الله﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول توفى أسد بن عبد الله القسرى بمدينة بلخ وكان سبب موته انه كان به دبيلة فأصابه مرض ثم أفاق منه فخرج يوما فأتى بكمثرى أول ما جاء فاطعم الناس منه واحدة واحدة فأخذ كمثراة فرمى بها الى خراسان دهقان هراة فانقطعت الدبيلة فهلك واستخلف جعفر بن حنظلة البهرانى فعمل أربعة أشهر ثم جاء عهد نصر بن سيار بالعمل فى رجب وكان هذا خراسان دهقان هراة خصيصا بأسد فقدم عليه فى المهرجان ومعه من الهدايا والتحف ما لم يحمل غيره مثله وكانت قيمة الهدايا ألف ألف وقال لاسد انا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمائة سنة بالحلم والعقل والوقار وكان الرجال فينا ثلاثة ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله عليه والذى يليه رجل تمت مروأته فى بيته فان كان كذلك رحب وحيا ورجل رحب صدره وبسط يده فاذا كان كذلك قدم وقود وقد جعل الله صفات هؤلاء فيك فما نعلم من هو أتم كتخدائية منك انك ضابط أهل بيتك وحشمك ومواليك فليس منهم من يستطيع ان يتعدى على صغير ولا كبير ثم بنيت الايوانات فى المفاوز من أحسن ما عمل ومن يمن نقيبتك انك لقيت خاقان وهو فى مائة ألف ومعه الحرث بن سريج فهزمته وقتلته وقتلت أصحابه وأبحت عسكره وأما رحب صدرك وبسط يدك فانا لاندرى أى المالين احب اليك أمال قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت بما خرج أقر عينا فضحك أسد وقال أنت خير دهاقيننا وفرق جميع الهدية بين أصحابه ولما مات أسد رثاه ابن عرس العبدى فقال

نعى أسد بن عبد الله ناع * فريع القلب للملك المطاع
ببلخ وافق المقدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
فجودى عين بالعبرات سحا * ألم يحزنك تفريق الجماع

ذكر عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا على ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دحيل يعنى ابن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ومات وهو ابن ستين وذكر شيبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة قال حدثتنى عائشة رضى الله عنها وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر فى كتابنا هذا أنا لم نغفل شيأ مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه

فى أبيات غيرها ولما مات أسد كتب مسلمة بن هشام بن عبد الملك وهو أبو شاكر الى خالد القسرى

أراح من خالد فاهلكه * رب أراح العباد من أسد
أما أبوه فكان مؤتشبا * عبدا لئيما لاعبد فقد
يرى الزنا والصليب والخمر والـ * ـخنزير حلا والغى كالرشد
وأمه همـــها وبغيتها * هم الاماء العواهر الشرد
كافرة بالنبى مؤمنـة * بقسها والصليب والعمد

يعنى المعمودية فلما قرأ خالد الكتاب قال يا عباد الله من رأى كهذه تعزية رجل من أخيه وكان مابين خالد وأبى شاكر مباعدة وسببها ان هشاما رشح ابنه أبا شاكر للخلافة فقال الكميت

ان الخلافة كائن أوتادها * بعد الوليد الى ابن أم حكيم

يعنى أبا شاكر وأمه أم حكيم فبلغ الشعر خالدا فقال أنا كافر بكل خليفة يكنى أبا شاكر فسمعها أبو شاكر فحقدها عليه

﴿ ذكر شيعة بنى العباس بخراسان ﴾

وفى هذه السنة وجهت شيعة بنى العباس بخراسان الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس سليمان ابن كثير ليعلمه امرهم وما هم عليه وكان سبب ذلك ان محمدا ترك مكاتبتهم ومراسلتهم بطاعتهم التى كانت لخداش الذى تقدم ذكره وقبولهم منه ماروى عنه من الكذب فلما ابطأت كتبه ورسله عليهم ارسلوا سليمان ليعلم الخبر فقدم عليه فعنفه محمد فى ذلك ثم صرف سليمان الى خراسان ومعه كتاب مختوم ففضوه فلم يروا فيه الا بسم الله الرحمن الرحيم فعظم ذلك عليهم وعلموا مخالفة خداش لامره ثم وجه محمد بن على اليهم بكير بن ماهان بعد عود سليمان من عنده وكتب معه اليهم يعلمهم كذب خداش فلم يصدقوه واستخفوا به فانصرف بكير الى محمد فبعث معه بعصى مضببة بعضها بحديد وبعضها بنحاس فجمع بكير النقباء والشيعة ودفع الى كل واحد منهم عصا فعلموا أنهم مخالفون لسيرته فتابوا ورجعوا

﴿ ذكر عزل خالد بن عبد الله القسرى وولاية يوسف بن عمر الثقفى ﴾

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالدا عن أعماله جميعها وقد اختلفوا فى ذلك وسببه قيل ان فروخا أبا المثنى كان على ضياع هشام بنهر الرمان فثقل مكانه على خالد فقال خالد لحيان النبطى اخرج الى هشام و زد على فروخ ففعل حيان ذلك وتولاها فصار حيان أثقل على خالد من فروخ فجعل يؤذيه فيقول حيان لا تؤذنى وأنا صنيعتك فابى الا أذاه فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع ثم خرج الى هشام فقال له ان خالدا بثق البثوق على ضياعك فوجه هشام من ينظر اليها فقال حيان لخادم من خدم هشام انى تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام فلك ألف دينار قال فعجلها فاعطاه ألفا وقال له تبكى صبيا من صبيان هشام فاذا بكى فقل له أبكيت فلك ابن خالد الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف ففعل الخادم فسمعها هشام فسأل حيان عن غلة خالد فقال ثلاثة عشر ألف ألف فوقرت فى نفس هشام وقيل كانت غلته عشرين ألفا وانه حفر بالعراق الانهار منها نهر خالد وباجرى وتارمانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح وكان كثيرا ما يقول انى مظلوم ما تحت قدمى شئ الا هولى يعنى ان عمر جعل لبجيلة ربع السواد وأشار عليه العريان بن الهيثم وبلال بن أبى بردة بعرض املاكه على هشام ليأخذ منها ما أراد ويضمنان له الرضا فانهما قد بلغهما تغير هشام عليه فلم يفعل ولم يجبهما الى شئ وقيل لهشام ان خالدا قال لولده ما أنت بدون

الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذى وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل فى قبره على ابن أبى طالب والفضل وقثم ابن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر لمع من أموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

﴿ ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم ﴾

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفى بها العالم المستبصر ويتنبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث فى تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل أحداث وكوائن كانت فى أيامه ليقرب تناول ذلك

مسلمة بن هشام ودخل رجل من آل عمرو بن سعيد بن العاص على خالد فى مجلسه فأغلظ له فى القول فكتب الى هشام يشكو خالدا فكتب هشام الى خالد يذمه ويلومه ويوبخه ويأمره ان يمشى راجلا الى بابه ويترضاه فقد جعل عزله وولايته اليه وكان يذكر هشاما فيقول ابن الحمقى وكان خالد يخطب فيقول زعمتم انى أغلى أسعاركم فعلى من يغليها لعنة الله وكان هشام كتب اليه ان لا تبيعن من الغلات شيأ حتى تباع غلات أمير المؤمنين فبلغت كيلجة درهما وكان يقول لابنه كيف أنت اذا احتاج اليك أمير المؤمنين فبلغ هذه جميعه أمير المؤمنين هشاما فتنكر له وبلغه أيضا انه يستقل ولاية العراق فكتب اليه هشام يا ابن أم خالد بلغنى انك تقول ما ولاية العراق لى بشرف يا ابن اللخناء كيف لا تكون امرة العراق لك شرفا وانت من بجيلة القليلة الذليلة اما والله انى لاظن ان أول ما يأتيك صغير من قريش يشد يديك الى عنقك ولم يزل يبلغه عنه ما يكره فعزم على عزله فكتم ذلك وكتب الى يوسف بن عمرو وهو باليمن يأمره ان يقدم فى ثلاثين من أصحابه الى العراق فقد ولاه ذلك فسار يوسف الى الكوفة فعرس قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده فاهدى اليه ألف وصيف ووصيفة سوى الاموال والثياب فمر بيوسف بعض أهل العراق فسألوه ما أنتم وأين تريدون قالوا بعض المواضع فأتوا طارقا فأخبروه خبرهم وأمروه بقتلهم وقالوا انهم خوارج فسار يوسف الى دور ثقيف فقيل لهم ما أنتم فكتموا حالهم وأمر يوسف فجمع اليه من هناك من مضر فلما اجتمعوا دخل المسجد مع الفجر وأمر المؤذن وأقام الصلاة فصلى وأرسل الى طارق وخالد فأخذهما وان القدور لتغلى وقيل لما أراد هشام ان يولى يوسف بن عمر العراق كتم ذلك فقدم جندب مولى يوسف بكتاب يوسف الى هشام فقرأه ثم قال لسالم بن عنبسة وهو على الديوان ان أجبه عن لسانك وأتنى بالكتاب وكتب هشام بخطه كتابا صغيرا الى يوسف يأمره بالمسير الى العراق فكتب سالم الكتاب وأتى به هشاما فجعل كتابه فى وسطه وختمه ثم دعا رسول يوسف فأمر به فضرب ومزقت ثيابه ودفع الكتاب اليه فسار فارتاب بشير بن أبى طلحة وكان خليفة سالم فقال هذه حيلة وقد ولى يوسف العراق فكتب الى عياض وهو نائب سالم بالعراق ان أهلك قد بعثوا اليك بالثوب اليمانى فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى واعلم ذلك طارقا فاعلم عياض طارق بن أبى زياد بالكتاب له ثم ندم بشير على كتابه فكتب الى عياض ان أهلك قد بدا لهم فى ارسال الثوب فأتى عياض بالكتاب الثانى الى طارق فقال طارق الخبر فى الكتاب الاول ولكن بشير ندم وخاف ان يظهر الخبر وركب طارق من الكوفة الى خالد وهو بواسط فرآه داود البريدى وكان على حجابة خالد وديوانه فاعلم خالدا فاذن له فلما رآه قال ما أقدمك بغير اذن قال أمر كنت أخطأت فيه كنت قد كتبت الى الامير اعزيه بأخيه أسد وانما كان يجب ان آتيه ماشيا فرق خالد ودمعت عيناه وقال ارجع الى عملك فاخبره الخبر لما غاب داود قال فما الرأى قال تركب الى أمير المؤمنين فتعتذر اليه مما بلغه عنك قال لا أفعل ذلك بغير اذن قال فترسلنى اليه حتى آتيك باذنه قال ولا هذا قال فاذهب فاضمن لامير المؤمنين جميع ما انكسر فى هذه السنين وآتيك بعهده قال وكم مبلغه قال مائة ألف ألف قال ومن أين أجدها والله ما أجد عشرة آلاف ألف درهم قال اتحمل أنا وفلان وفلان قال انى اذا للئيم ان كنت أعطيتهم شيأ وأعود فيه فقال طارق انما نقيك ونقى أنفسنا باموالنا وتستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من ان يجىء من يطالبنا بالاموال وهى عند أهل الكوفة فيتربصون فنقتل ويأكلون تلك الاموال فابى خالد فودعه طارق وبكى وقال هذا آخر ما نلتقى فى الدنيا ومضى الى الكوفة وخرج خالد الى الحمة وقدم

على من يريده ويسهل مأخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (فى أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن نصر بن سعد بن عدنان (وفى السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفى السنة السادسة) أخرجته أمه الى اخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة وغى ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه (وفى السنة التاسعة) خرج مع عمه أبى طالب الى الشام وقيل انه خرج مع عمه أبى طالب الى الشام وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم لابيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبى صلى الله عليه وسلم من بين سائر اخوته وهم العباس وحمزة والزبير وحجل والمقوم وضرار والحرث وأبو لهب وهم عشرة بنو عبد المطلب وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سمينا وستة اناث وهم عاتكة وصفية وأسيمة والبيضاء وبرة وأروى ولم

رسول يوسف عليه اليمن فقال أمير المؤمنين ساخط وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب سالم صاحب الديوان فقرأه فلما انتهى الى آخره قرأ كتاب هشام بخطه وولاية العراق ويأمره ان يأخذ ابن النصرانية يعني خالدا وعماله ويعذبهم حتى يشتفي فأخذ دليلا وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت فقدم الكوفة في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة فنزل النجف وأرسل مولاه كيسان وقال انطلق فائتني بخالد فان اقبل فاحمله على اكاف وان لم يقبل فات به سحبا فاتى كيسان الحيرة فاخذ معه عبد المسيح سيد أهلها الى طارق فقال له ان يوسف قد قدم على العراق وهو يستدعيك فقال طارق لكيسان ان أراد الامير المال أعطيته ماسأل وأقبلوا به الى يوسف بن عمر فتوافوا بالحيرة فضربه ضربا مبرحا يقال خمسمائة سوط ودخل الكوفة وأرسل عطاء بن مقدم الى خالد بالحمة فأتى الرسول حاجبه وقال استأذن على أبي الهيثم فدخل على خالد متغير اللون فقال خالد مالك قال خير قال ما عندك خير فقال له عطاء قد استأذن لي على أبي الهيثم فقال ائذن لي فدخل عليه فقال ويل أمها سخطة ثم أخذه فحبسه وصالحه عنه ابان بن الوليد وأصحابه على تسعة آلاف ألف فقيل ليوسف لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف فندم وقال قد رهنت لساني معه ولا آمن ولا أرجع وأخبر أصحاب خالد خالدا فقال قد أخطأتم ولا آمن أن يأخذها ثم يعود ارجعوا فرجعوا فاخبروه ان خالدا لم يرض فقال قد رجعتم قالوا نعم قال والله لا أرضى بتسعة آلاف ولا بمثلها فأخذ أكثر من ذلك وقيل أخذ مائة ألف فأرسل يوسف الى بلال بن أبي بردة فقبضه وكان قد اتخذ بلال بالكوفة دارا لم ينزلها فاحضره يوسف مقيدا فانزله الدار ثم جعلت سجنا وكان خالد يصل الهاشميين ويبرهم فأتاه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان ليستميحه فلم ير منه ما يحب فقال اما الصلة فللهاشميين وليس لنا منه الا انه يلعن عليا فبلغت خالدا فقال ان احب تلنا عثمان بشئ وكان خالد مع هذا يبالغ في سب علي فقيل كان يفعل ذلك نفيا للتهمة وتقربا الى القوم وكانت ولاية خالد العراق في شوال سنة خمس ومائة وعزل في جمادى الاولى سنة عشرين ومائة ولما ولي يوسف العراق كان الاسلام ذليلا والحكم فيه الى أهل الذمة فقال يحيى بن نوفل فيه

أتانا واهل الشرك أهل زكاتنا * وحكامنا فيما نسر ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت * له الارض حتى كل واد منور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهرا * وما كان من قبل العقيلي يظهر

في أبيات ثم قال بعد ذلك

ارانا والخليفة اذ رمانا * مع الاخلاص بالرجل الجديد
كاهل النار حين دعوا أغيثوا * جميعا بالحميم وبالصديد

وكان في يوسف أشياء متباينة متناقضة كان طويل الصلاة ملازما للمسجد ضابطا الحشمه وأهله عن الناس لين الكلام متواضعا حسن الملكة كثير التضرع والدعاء فكان يصلي الصبح ولا يكلم أحدا حتى يصلي الضحى يقرأ القرآن ويتضرع وكان بصيرا بالشعر والادب وكان شديد العقوبة مسرفا في ضرب الابشار فكان يأخذ الثوب الجديد فيمر ظفره عليه فان تعلق به طاقة ضرب صاحبه وربما قطع يده وكان أحمق أتي يوما بثوب فقال لكاتبه ما تقول في هذا الثوب فقال كان ينبغي ان تكون بيوته أصغر مما هي فقال للحائك صدق يا ابن اللخناء فقال الحائك نحن أعلم بهذا فقال لكاتبه صدق يا ابن اللخناء فقال الكاتب هذا يعمل في السنة ثوبا أو ثوبين وانا يعمر

يسلم منهن الاصفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع في أروى فمنهم من قال انها أسلمت وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر اليه بحيرى الراهب وأوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكر خبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك في سنة احدى وعشرين وأنها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذي هو الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله ابن جدعان التيمي وكان نخاسا في الجاهلية بياعا للجواري وكانت هذه احدى الدلائل المنذرة بنبوته عليه السلام والتيمن بحضوره (وفي سنة ست وعشرين) كان تزويجه بخديجة بنت خويلد وهي يومئذ بنت أربعين وقيل في

على يدي في كل سنة مائة ثوب مثل هذا فقال للحائك صدق يا ابن اللخناء فلم يزل يكذب هذا مرة وهذا مرة حتى عد أبيات الثوب فوجدها تنقص بيتا من احد جانبي الثوب فضرب الحائك مائة سوط وقيل ان يوسف أراد السفر فدعا جواريه فقال لاحداهن تخرجين معي قالت نعم قال يا خبيثة كل هذا من حب النكاح يا خادم اضرب رأسها وقال للاخرى ما تقولين فقالت اقيم على ولدي فقال يا خبيثة أكل هذا زهادة في اضرب رأسها وقال للثالثة ما تقولين قالت ما أدري ما أقول ان قلت ما قالت احداهما لم آمن عقوبتك فقال يا لخناء أو تناقضين وتحتجين اضرب رأسها فضرب الجميع وكان قصيرا عظيم اللحية وكان يحضر الثوب الطويل ليفصله ليلبسه فان قال الخياط انه يفضل منه ضربه فان قال له الخياط لا يكفينا الا بعد التصرف في التفصيل سره فكانوا يفصلون له ثيابا طوالا ويأخذون ما ينبغي من الثوب يوهمونه أن الثوب لم يكفه فيرضى بذلك وله في هذا الباب أشياء نوادر منها أنه قال يوما لكاتب له ما حبسك قال اشتكيت ضرسي فدعا بحجام فقلعه ومعه ضرس آخر

﴿ذكر ولاية نصر بن سيار الكناني خراسان﴾

لما مات أسد بن عبد الله استشار هشام بن عبد الملك عبد الكريم بن سليط الحنفي وكان عالما فيمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم يا أمير المؤمنين امارجل خراسان حزما ونجدة فالكرماني فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن علي قال لا حاجة لي فيه وتطير قال فالمسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني قال ربيعة لا تسد بها الثغور قال عبد الكريم فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فارميه بمضر فقلت عقيل بن معقل الليثي ان غفرت هنته قال ما هي قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لي فيه قلت منصور بن ابي الخرقاء السلمي ان غفرت نكره فانه مشؤم قال غيره قلت فالمجشر بن مزاحم السلمي عاقل شجاع له رأي مع كذب فيه قال لا خير في الكذب قلت يحيى بن الحضين قال ألم أخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قال فقلت نصر بن سيار قال هو لها قلت ان غفرت واحدة فانه عفيف مجرب عاقل قال ما هي قلت عشيرته بها قليلة قال لا أبا لك أكثر مني أنا عشيرته فكتب عهده وبعثه مع عبد الكريم وقد قيل عرض عليها عثمان بن الشخير وقيل له انه صاحب شراب وقيل له عن يحيى بن الحضين انه كثير التيه وقيل له عن قطن بن قتيبة انه مأثور فلم يولهم فاستعمل نصرا وكان جعفر بن حنظلة الذي استخلفه أسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار البختري بن مجاهد مولى بني شيبان فقال له لا تقبلها لانك شيخ مضر بخراسان وكانك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما أتاه عهده بعث الى البختري ليأتيه فقال البختري لاصحابه قد ولي نصر خراسان فلما أتاه سلم عليه بالامرة فقال له من أين علمت قال كنت تأتيني فلما بعثت الي علمت انك قد وليت واعطى نصر عبد الكريم لما أتاه بعهده عشرة آلاف درهم واستعمل على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم واستعمل على مرو الروذ وساج بن بكير بن وساج وعلى هراة الحرث بن عبد الله بن الحشرج وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القشيري وعلى خوارزم أبا حفص بن علي ختنه وعلى الصغد قطن بن قتيبة قال رجل من اليمانية ما رأيت عصبية مثل هذا قال بلى التي كانت قبلها فلم يستعمل أربع سنين الا مضريا وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها واحسن الولاية والجباية فقال سوار بن الاشعر

اضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفا اخبار ما لقيت * اختار نصرا لها نصر بن سيار

سنها غير هذا (وفي سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر على حسب ما قدمنا (وفي سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس في تاريخ مبعثه عليه السلام (وفي سنة) ست وأربعين كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب (وفي سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفي هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ما ذكرنا على غير هذا التفصيل (وفي سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب ما نطق به التنزيل (وفي سنة) أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وهي ابنة تسع تزوج بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهي بنت ثمان عشرة سنة وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة

وأتى نصرا عهده فى رجب سنة عشرين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة وفيها غزا اسحق بن مسلم العقيلى تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب أرضها وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى وقيل حج بهم سليمان بن هشام بن عبد الملك وقيل أخوه يزيد بن هشام وكان العامل على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام المخزومى وعلى العراق والمشرق يوسف بن عمر وعلى خراسان نصر بن سيار وقد أمره هشام ان يكاتب يوسف بن عمر وقيل كان عليها جعفر بن حنظلة وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمى استعمله يوسف وعلى قضائها عامر بن عبيدة وعلى ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة وفيها مات عاصم بن عمر بن قتادة فى أصح الاقوال وفيها مات مسلمة بن عبد الملك بن مروان وقيل سنة احدى وعشرين بالشام وفيها مات قيس بن مسلم ومحمد بن ابراهيم بن الحرث التميمى وحماد بن سليمان الفقيه وواقد بن عمرو بن سعد بن معاذ وعلى بن مدرك النخعى الكوفى والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الكوفى

﴿ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائة﴾

فى هذه السنه غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير

﴿ذكر ظهور زيد بن على بن الحسين﴾

قيل ان زيد بن على بن الحسين قتل هذه السنة وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة ونحن نذكر الآن سبب خلافه على هشام وبيعته ونذكر قتله سنة اثنتين وعشرين قد اختلفوا فى سبب خلافه فقيل ان زيدا وداود بن على بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب قدموا على خالد بن عبد الله القسرى بالعراق فاجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولى يوسف بن عمر كتب الى هشام بذلك وذكر له ان خالدا ابتاع من زيد أرضا بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم رد الارض عليه فكتب هشام الى عامل المدينة ان يسيرهم اليه ففعل فسألهم هشام عن ذلك فاقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك وحلفوا فصدقهم وأمرهم بالمسير الى العراق ليقابلوا خالدا فساروا على كره وقابلوا خالدا فصدقهم فعادوا نحو المدينة فلما نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل بل ادعى خالد القسرى انه أودع زيدا وداود بن على ونفرا من قريش مالا فكتب يوسف بذلك الى هشام فاحضرهم هشام من المدينة وسيرهم الى يوسف ليجمع بينهم وبين خالد فقدموا عليه فقال يوسف لزيد ان خالدا زعم انه أودعك مالا قال كيف يودعنى وهو يشتم آبائى على منبره فارسل الى خالد فاحضره فى عباءة فقال هذا زيد قد أنكر انك قد أودعته شيأ فنظر خالد اليه والى داود وقال ليوسف أتريد ان تجمع مع اثمك فى اثمًا فى هذا كيف أودعه وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر فقالوا لخالد ما دعاك الى ما صنعت قال شدد على العذاب فادعيت ذلك وأملت أن يأتى الله بفرج قبل قدومكم فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة قيل ان يزيد بن خالد القسرى هو الذى ادعى المال وديعة عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير الى العراق الى يوسف استقالوه خوفا من شر يوسف وظلمه فقال أنا أكتب اليه بالكف عنكم وألزمهم بذلك فساروا على كره وجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد ما لى عندهم قليل ولا كثير قال يوسف أبى تهزأ أم بأمير المؤمنين فعذبه يومئذ عذابا كاد يهلكه ثم أمر بالفراشين فضربوا وترك زيدا ثم استحلفهم وأطلقهم فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة وكان زيد قد قال لهشام لما أمره بالمسير الى يوسف ما آمن ان بعثتنى

اليه

(وفيها) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان وأرى عبد الله بن زيد كيفية الاذان فى منامه (وفيها) كان تزوج على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من التنازع فى التاريخ (وفى سنة اثنتين) من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان (وفى هذه السنة) أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة (وفيها) توفيت ابنته رقية (وفى آخر هذه السنة) وهى سنة اثنتين من الهجرة كان دخول على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كانت وقعة بدر وذلك فى يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (وفى سنة ثلاث) كان تزويجه بزينب بنت خزيمة وكانت وفاتها بعد شهرين (وفى هذه السنة) كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب (وفيها) كان تزويج عثمان ابن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كان مولد الحسن بن على بن أبى طالب على ما فى ذلك من التنازع فى التاريخ (وفيها) كانت غزوة أحد (وفى هذه السنة) استشهد حمزة

اليه ان لا نجتمع أنا وأنت حيين أبدا قال لا بد من المسير اليه فساروا اليه وقيل كان السبب فى ذلك ان زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسن بن على فى وقوف على ثم زيد يخاصم عن بنى الحسين وجعفر يخاصم عن بنى الحسن فكانا يتبالغان كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهم حرفا فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن فتنازعا يوما بين يدى خالد بن عبد الملك بن الحرث بالمدينة فاغلظ عبد الله لزيد وقال يا ابن السندية فضحك زيد وقال قد كان اسمعيل لامة ومع ذلك فقد صبرت بعد وفاة سيدها اذلم يصبر غيرها يعنى فاطمة ابنة الحسين أم عبد الله فانها تزوجت بعد أبيه الحسن بن الحسن ثم ندم زيد واستحيا من فاطمة وهى عمته فلم يدخل عليها زمانا فارسلت اليه يا ابن أخى انى لاعلم ان أمك عندك كام عبد الله عنده وقالت لعبد الله بئسما قلت لام زيد أما والله لنعم دخيلة القوم كانت قال فذكر ان خالدا قال لهما اغدوا علينا غدا فلست لعبد الملك ان لم أفصل بينكما فباتت المدينة تغلى كالمرجل يقول قائل قال زيد كذا ويقول قائل قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس خالد فى المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد اعتق زيد ما يملك ان خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل على خالد فقال أجمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر فقال خالد ما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبى تراب وابن حسين السفيه أما ترى للوالى عليك حقا ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القحطانى فانا لا نجيب مثلك قال ولم ترغب عنى فوالله انى لخير منك وأبى خير من أبيك وأمى خير من أمك فتضاحك زيد وقال يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب فذهبت الاحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب احسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها القحطانى فوالله لهو خير منك نفسا وأما وأبا ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من حصباء وضرب بها الارض ثم قال انه والله ما لنا على هذا من صبر وشخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيدفع اليه القصص فكلما دفع قصة يكتب هشام فى أسفلها ارجع الى منزلك فيقول زيد والله لا أرجع الى خالد أبدا ثم أذن له يوما بعد طول حبس ورقى علية طويلة وأمر خادما ان يتبعه بحيث لا يراه زيد ويسمع ما يقول فصعد زيد وكان بدينا فوقف فى بعض الدرجة فسمعه يقول والله لا يحب الدنيا أحد الا ذل ثم صعد الى هشام فحلف له على شئ فقال لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين ان الله لا يرفع أحدا عن ان يرضى بالله ولم يضع أحدا عن ان لا يرضى بذلك منه فقال هشام لقد بلغنى يا زيد انك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك وأنت ابن أمة قال زيد ان لك جوابا قال فتكلم قال انه ليس احد أولى بالله ولا ارفع درجة عنده من نبى ابتعثه وقد كان اسمعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة فاختاره الله عليه واخرج منه خير البشر وما على أحد من ذلك اذ كان جده رسول الله وأبوه على بن أبى طالب ما كانت أمه قال له هشام اخرج قال أخرج ثم لا أكون الا بحيث تكره فقال له سالم يا أبا الحسين لا تظهرن هذا منك فخرج من عنده وسار الى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن على بن أبى طالب أذكرك الله يا زيد لما لحقت باهلك ولا تأت اهل الكوفة فانهم لا يفون لك فلم يقبل فقال له خرج بنا أسرى على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى الجزيرة ثم الى العراق الى قيس ثقيف يلعب بنا وقال

بكرت تخوفنى المنون كاننى * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل

ابن عبد المطلب (وفى سنة أربع) كانت غزوته المعروفة بذات الرقاع وفى هذه الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس على حسب ما ذكرنا فى كيفية ذلك من التنازع (وفيها) كان تزويجه بام سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بنى النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم وأضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بنى المصطلق (وفيها) وهى سنة أربع كان مولد الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفى سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بنى قريظة وكان من أمرهم ما قد شهر (وفيها) كان تزويجه بزينب بنت جحش (وفيها) كان يقول أهل الافك على عائشة رضى الله تعالى عنها (وفى سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان

فاجبتها ان المنية منهـــل * لابدان أسـقى بكاس المنهـــل
ان المنية لوتمثـــل مثلت * مثلى اذا نزلوا ضـيق المنزل
فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى * انى امرؤ سأموت ان لم أقتـــل

استودعك الله وانى أعطى الله عهـدا ان دخلت يدى فى طاعة هؤلاء ما عشت وفارقه وأقبل الى الكوفة فاقام بها مستخفيا يتنقل فى المنازل وأقبلت الشيعة تختلف اليه تبايعه فبايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسى ومعاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الانصارى وناس من وجوه أهل الكوفة وكانت بيعته انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفىء بين أهله بالسواء ورد المظالم ونصر أهل البيت اتبايعون على ذلك فاذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم لتفين ببيعتى ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لى فى السر والعلانيـة فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم اشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون ألفا فامر أصحابه بالاستعداد فاقبل من يريد أن يفى له ويخرج معه ويستعدو يتهيأ فشاع أمره فى الناس هـذا على قول من زعم أنه أتى الكوفـة من الشام واختفى بها يبايع الناس وأما على قول من زعم انه أتى الى يوسف بن عمر لموافقة خالد بن عبد الله القسرى أو ابنه يزيد ابن خالد فان زيدا أقام بالكوفة ظاهرا ومعه داود بن على بن عبـد الله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف الى زيد وتأمره بالخروج ويقولون انا لنرجوان تكون أنت المنصور وان هـذا الزمان هو الذى تهلك فيه بنو امية فأقام بالكوفة وجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هوناو يبعث اليه ليسير فيقول نعم ويعتل بالوجع فمكث ماشاء الله ثم ارسل اليـه يوسف ليسير فاحتج بانه يبتاع أشياء يريدها ثم أرسل اليـه يوسف بالمسير عن الكوفة فاحتج بأنه يحاكم بعض آل طلحة بن عبيد الله بملك بينهما بالمدينة فأرسل اليـه ليوكل وكيلا ويرحل عنها فلما رأى جد يوسف فى أمره سار حتى أتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهـل الكوفة وقالوا له نحن أربعون ألفا لم يختلف عنك أحد نضرب عنك باسيافنا وليس ههنا من اهل الشام الاعدة يسيرة بعض قبائلنا يكفيكهم باذن الله تعالى وحلفوا له بالايمان المغلظة فجعـل يقول انى أخاف ان تخذلونى وتسلمونى كفعلكم بأبى وجـدى فيحلفون له فقال له داود بن على يا ابن عم ان هؤلاء يغرونك من نفسك أليس قد خـذلوا من كان اعز عليهم منـك جدك على بن ابى طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليـه فانتزعوا رداءه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جـدك الحسين وحلفوا له وخـذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع معهم فقالوا ان هـذا لا يريد ان تظهر أنت ويزعم انه وأهـل بيته أولى بهـذا الامر منكم فقال زيد لداود ان عليا يقاتله معاوية بداهيـة وبكراهيـة وان الحسـين قاتله يزيد والامر مقبـل عليهم فقال داود انى خائف ان رجعت معهم ان لا يكون أحـد أشد عليك منهـم وأنت أعلم ومضى داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة فلما رجع زيد أتاه سلمة بن كهيـل فذكر له قرابتـه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فاحسن ثم قال له ننشدك الله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكم حصـل معه قال ثلثمائة قال أنشـدتك الله أنت خير أم جدك قال جدى قال فهذا القرن خـير أم ذلك القرن قال ذلك القرن قال أفتطمع ان يفى لك هؤلاء وقد غدر أولئـك بجـدك قال قد بايعونى ووجبت البيعـة فى عنقى وأعناقهم قال أفتاذن لى ان أخرج من هـذا البلد فلا آمن ان يحدث حـدث فلا

ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيهـا أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بهـا (وفى سنة سـبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى صـفية بنت حـيى بن أخطب لنفسـه (وفيهـا) تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية خالة عبد الله بن عبـاس فى سـفره حين اعتمر فى عمرة القضاء على ماذكرنا من التنازع فى نكاحه لها أفى حال حله نكحها أم فى حال احرامه وما قال الفقهـاء فى ذلك وتنـازع النـاس فى نكاح المحـرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن أبى بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليـه (وفيهـا) كان قدوم جعفر ابن أبى طـالب من أرض الحبشـة وركوبهم البحر وفى سنة ثمـان استشهد جعفر ابن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشام وأعمال دمشق فى وقعتهـم مـع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صـلى الله عليه وسلم وقيـل غير ذلك من التـاريخ (وفى سـنة ثمـان) كان افتتاح النبى

أملك نفسى فأذن له فخرج الى اليمامة وقد تقـدم ذكر مبايعة سلمة وكتب عبد الله بن الحسـن بن الحسن الى زيد اما بعد فان أهل الكوفة نفخ فى العلانيـة خور السريرة هرج فى الرخاء جزع فى اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم ولقد تواترت الى كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبى غشاء عن ذكرهم يأسا منهـم واطراحا لهم ومالهم مثـل الا ما قال على بن أبى طالب ان أهملتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان أجبتم الى مشاقة نكصتم فلم يصغ زيد الى شئ من ذلك فاقام على حاله يبايع الناس ويتجهز للخروج وتزوج بالكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السلمى وتزوج أيضا ابنة عبد الله بن أبى العنبسى الازدى وكان سبب تزوجه اياها ان أمها ام عمرو بنت الصلت كانت تتشيع فأتت زيدا تسلم عليه وكانت جميلة حسناء قد دخلت فى السن ولم يظهر عليها فخطبها زيد الى نفسه فاعتذرت بالسن وقالت له لى ابنة هى أجمل منى وأبيض وأحسن دلا وشكلا فضحك زيد ثم تزوجها وكان يتنقل بالكوفة تارة عندها وتارة عند زوجته الاخرى وتارة فى بنى عبس وتارة فى بنى هند وتارة فى بنى تغلب وغيرهم الى ان ظهر

(ذكر غزوات نصر بن سيار ماوراء النهر)

وفى هذه السـنة غزا نصر بن سـيار ماوراء النهر مرتين احداهما من نحو الباب الحديد فسار من بلخ من تلك الناحيـة ثم رجع الى مرو فخطب الناس وأخـبرهم انه قد أقام منصور بن عمر بن أبى الخرقاء على كشف المظالم وانه قد وضع الجزية عمن قد أسـلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فلم تمض جمعة حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانين ألفا من المشركين كانت قد ألقيت عنهم فحول ما كان على المسلمين اليهم ووضعه عن المسلمين ثم صنف الخراج ووضعه مواضعه ثم غزا الثانية الى ورغسر وسمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول فى خمسة عشر ألفا وكان معهم الحرث بن سريج وعبر كورصول فى أربعين رجلا فبيت أهل العسكر فى ليلة مظلمة ومع نصر بخارى خذاه فى أهل بخارا ومعه أهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون ألفا فنادى نصر ان لا يخرجن أحد واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير وهو على جنـد سمرقند فمرت به خيل الترك فحمل على رجل فى آخرهم فاسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبـة فأتى به الى نصر فقال له نصر من أنت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذى أمكن منك يا عدو الله قال ماترجو من قتل شيخ وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من أبل الترك وألف برذون تقوى به جنـدك وتطلق سبيلى فاستشار نصر أصحابه فاشار وا باطلاقه فسأله عن عمره فقال لا أدرى قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهـدت يوم العطش قال نعم قال لو أعطيتنى ماطلعت عليـه الشمس ما أفلت من يدى بعـد ماذكرت من مشاهـدك وقال لعاصم بن عمير السعدى قم الى سلبه فخذه فقال من أسرنى قال نصر وهو يضحك اسرك يزيد بن قران الحنظلى وأشار اليه قال هذا لا يستطيع ان يغسل استه أولا يستطيع أن يتم له بوله فكيف بأسرنى أخبرنى من أسرنى قال أسرك عاصم بن عمير قال لست أجد ألم القتل اذا كان اسرنى فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر وعاصم بن عمير هو الهزارمرد قتل بنهاوند أيام قحطبة فلما قتل كورصول أحرقت الترك ابنيته وقطعوا آذانهم وقطعوا شعورهم وأذناب خيلهم فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه وكان ذلك أشد عليهم من قتله وارتفع الى فرغانة فسبى بها ألف رأس وكتب يوسف بن عمر الى نصر سر الى هذا الغادر دينه فى الشاش يعنى الحرث بن سريج فان أظفرك الله به وباهل الشاش فخرب بلادهـم واسب

صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس فى فتحهـا أصلحا كان أم غيره (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العزائم قال النبى صـلى الله عليه وسـلم يا معشر قريش ماترون أنى فاعـل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبـــوا فأنتم الطلقاء (وفيهـا) غزا غزوة حنين وكان عـلى هوازن مالك بن عـوف النضرى ومعـه دريد بن الصمـة (وفيها) كانت غزوة الطائف (وفيها) كان اعطاؤه للمؤلفة قلوبهم وفيهـم أبو سفيـان صخر بن حرب وابنـــه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسـلم من مارية القبطية (وفى سـنة تسع) حج أبو بكر الصـديق رضى الله عنـه بالنـاس وقرأ على ابن أبى طالب عليهم سورة براءة وأمر أن لا يحج مشرك وأنه لا يطـوف بالبيت عـريان (وفيهـا) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليـه وسلم (وفى سـنة عشر حج رسول الله عليـه الصلاة والسـلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمـوات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه

ذراريهم واياك وورطة المسلمين فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحصين انطر أمن أمير المؤمنين أو من الامير فقال نصر يا يحيى تكلمت بكلمة أيام عاصم بلغت الخليفة فحظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت أقول مثلها اسر يا يحيى فقد وليتك مقدمتي فلام الناس يحيى فسار الى الشاش فأتاهم الحرث فنصب عليهم عرادتين وأغار الاخرم وهو فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوا رأسه الى الترك فصاحوا وانهزموا وسار نصر الى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر اخراج الحرث بن سريج عن بلده فاخرجه الى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ثم سار حتى نزل قباء من أرض فرغانة وكانوا أحسوا بجيئه فاحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر الى ولي صاحب فرغانة فحاصره في حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من تميم ومعهم محمد بن المثنى وكان المسلمون ودوابهم كمنوا لهم فخرجوا واستاقوا بعضها وخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان وأسروا منهم وأسروا ابن الدهقان فقتله نصر وأرسل نصر سليمان بن صول بكتاب الصلح الى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزائن ليراها ثم رجع اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قال سهلا كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال ما أعلمك فقال سليمان قد غزوت غرشستان وغور والختل وطبرستان فكيف لا أعلم قال فكيف رأيت ما أعددنا قال عدة حسنة ولكن ما علمت ان المحصور لا يسلم من خصال لا يأمن أقرب الناس اليه وأوثقهم في نفسه أو يفنى ما جمع فيسلم برمته أو يصيبه داء فيموت فكره ما قال له وأمره فاحضر كتاب الصلح فاجاب اليه وسير أمه معه وكانت صاحبة أمره فقدمت على نصر فاذن لها وجعل يكلمها وكان مما قالت له كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملك وزير يبث اليه ما في نفسه ويشاوره ويثق بنصيحته وطباخ اذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهي وزوجة اذا دخل عليها مغتما فنظر الى وجهها زال غمه وحصن اذا فزع أتاه فانجاه تعني البرذون وسيف اذا قاتل لا يخشى خيانته وذخيرة اذا حملها عاش بها أين كان من الارض ثم دخل تميم بن نصر في جماعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى خراسان تميم ابن نصر قالت ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة فأحبته وسألت عنه وقالت يا معشر العرب ما لكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضا قتيبة الذي ذلل لكم ما أرى وهذا ابنه تقعده دونك فحقه ان تجلسه أنت هذا المجلس وتجلس أنت مجلسه

﴿ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان﴾

وفي سنة احدى وعشرين غزا مروان بن محمد بن مروان بارمينية وهو واليها فاتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ثم أتى قلعة ثانية فقتل وسبى ودخل غوميك وهو حصن فيه بيت الملك وسريره فهرب الملك منه حتى أتى حصنا يقال له خيزج فيه السرير الذهب فسار اليه مروان ونازله صيفيته وشتويته فصالح الملك على ألف رأس كل سنة ومائة ألف مدي وسار مروان فدخل أرض ازرو بطران فصالحه ملكها ثم سار في أرض تومان فصالحه وسار حتى أتى حمزين فاخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا فصالحه ثم أتى مروان أرض مسدارة فافتتحها على صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من أرمينية الى طبرستان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام ابن اسمعيل المخزومي وهو كان عامل المدينة ومكة والطائف وعلى العراق يوسف بن عمر وعلى

وسلم وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام بعلي الى اليمن وأحرم كاحرام النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس في ذلك وفي وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس في مقدار عمرها ومدة بقائها بعد أبيها ومن الذي صلى عليها العباس بن عبد المطلب أم بعلها علي ولما قبضت جزع عليها جزعا شديدا واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال في ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذي دون الممات قليل

وان افتقادي فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولده صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابني أبي لهب فطلقاهما لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب

خراسان نصر بن سيار وعلى أرمينية واذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة وفيها فرغ الوليد بن بكير عامل الموصل من حفر النهر الذي أدخله البلد وكان مبلغ النفقة عليه ثمانية آلاف ألف درهم وجعل عليه ثمانية أحجار تطحن ووقف هشام هذه الارحاء على عمل النهر وفيها مات سلمة بن سهيل وقيل سنة اثنتين وعشرين وفيها مات عامر بن عبد الله بن الزبير وقيل سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة أربع وعشرين بالشام وفيها مات محمد بن يحيى بن حبان وهو ابن أربع وسبعين سنة بالمدينة (حبان بفتح الحاء وبالباء الموحدة) وقتل يعقوب بن عبد الله بن الاشج شهيدا بارض الروم

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب﴾

في هذه السنة قتل زيد بن علي بن الحسين قد ذكرنا سبب مقامه بالكوفة وبيعته بها فلما أمر أصحابه بالاستعداد للخروج وأخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة يتجهز انطلق سليمان بن سراقة البارقي الى يوسف بن عمر فاخبره فبعث يوسف في طلب زيد فلم يوجد وخاف زيد ان يؤخذ فيتعجل قبل الاجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت وعلى شرطته عمر بن عبد الرحمن بن القارة ومعه عبيد الله بن العباس الكندي في ناس من أهل الشام ويوسف بن عمر بالحيرة قال فلما رأى أصحاب زيد بن علي من يوسف بن عمر انه قد بلغه أمره وانه يبحث عن أمره اجتمع اليه جماعة من رؤسهم وقالوا رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتي يقول فيهما الا خيرا وان أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان ما ذكرتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس أجمعين فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا وقد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو الى قتالهم فقال ان هؤلاء ليسوا كاولئك هؤلاء ظالمون لي ولكم ولانفسهم وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى السنن ان تحيا والى البدع ان تطفأ فان أجبتمونا سعدتم وان أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام يعنون محمدا الباقر وكان قد مات وقالوا جعفر ابنه امامنا اليوم بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة وهم يزعمون ان المغيرة سماهم الرافضة حيث فارقوه وكان طائفة أتت جعفر بن محمد الصادق قبل خروج زيد فاخبروه ببيعة زيد فقال بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا فعادوا وكتموا ذلك وكان زيد واعد أصحابه أول ليلة من صفر وبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الى الحكم يأمره ان يجمع أهل الكوفة في المسجد الاعظم يحصرهم فيه فجمعهم فيه وطلبوا زيدا في دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الانصاري فخرج منها ليلا ورفعوا الهرادي فيها النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر فلما أصبحوا بعث زيد القاسم التبعي ثم الحضرمي وآخر من أصحابه يناديان شعارهم فلما كانا بصحراء عبد القيس لقيهما جعفر بن العباس الكندي فحملا عليه وعلى أصحابه فقتل الذي كان مع القاسم التبعي وارتث القاسم وأتي به الحكم فضرب عنقه فكانا أول من قتل من أصحاب زيد وأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس وبعث الحكم الى يوسف بالحيرة فاخبره الخبر فارسل جعفر بن العباس ليأتيه بالخبر فسار في خمسين فارسا حتى بلغ جبانة سالم فسأل ثم رجع الى يوسف فاخبره فسار يوسف الى تل قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه أشراف الناس فبعث الريان بن سلمة الاراني في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالة

وزينب وكانت تحت أبي العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم في كيفية رده عليه السلام لزينب على أبي العاص وولدت من أبي العاص أمامة وتزوجها علي بعد موت فاطمة عليهما السلام وولده عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد في الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه ومن مبعثه الى هجرته ومن هجرته الى وفاته ومن وفاته الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازي والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

﴿ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الانام﴾

معهم النشاب وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية عشر رجلا فقال زيد سبحان الله أين الناس فقيل انهم فى المسجد الاعظم محصورون فقال والله ماهذا بعذر لمن بايعنا وسمع نصر بن خزيمة العبسى النداء فاقبل اليه فلقى عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم فى خيله من جهينة فى الطريق فحمل عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو وانهزم من كان معه وأقبل زيد على جبانة سالم حتى انتهى الى جبانة الصائدين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد فيمن معه وهزمهم فانتهى زيد الى دار أنس بن عمر والازدى وكان فيمن بايعه وهو فى الدار فنودى فلم يجبهم وناداه زيد فلم يخرج اليه فقال زيد ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم ثم انتهى زيد الى الكناسة فحمل على من بها من أهل الشام فهزمهم ثم سار زيد ويوسف ينظر اليه فى مائتى رجل فلو قصده لقتله والريان يتبع أثر زيد بن على بالكوفة فى أهل الشام فأخذ زيد على مصلى خالد حتى دخل الكوفة وسار بعض أصحابه نحو جبانة مخنف بن سليم فلقوا أهل الشام فقاتلوهم فاسر أهل الشام منهم رجلا فأمر به يوسف بن عمر فقتل فلما رأى زيد خذلان الناس اياه قال يا نصر بن خزيمة أنا أخاف أن يكونوا قد فعلوها حسينية قال أما أنا والله لاقاتلن معك حتى أموت وان الناس فى المسجد فامض بنا نحوهم فلقيهم عبيد الله بن العباس الكندى عند دار عمر ابن سعد فاقتتلوا فانهزم عبيد الله وأصحابه وجاء زيد حتى انتهى الى باب المسجد فجعل أصحابه يدخلون راياتهم من فوق الابواب ويقولون يا أهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز اخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم فى دين ولا دنيا فرماهم أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد وانصرف الريان عند المساء الى الحيرة وانصرف زيد فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان بن سلمة فقاتله عند دار الرزق وجرح أهل الشام ومعهم ناس كثير ورجع أهل الشام مساء يوم الاربعاء أسوأ شئ ظنا فلما كان الغد أرسل يوسف بن عمر العباس بن سعيد المزنى فى أهل الشام فانتهى الى زيد فى دار الرزق فلقيه زيد وعلى مجنبته نصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق بن زيد بن ثابت فاقتتلوا قتالا شديدا وحمل نائل بن فروة العبسى من أهل الشام على نصر ابن خزيمة فضربه بالسيف فقطع فخذه وضربه نصر فقتله ولم يلبث نصر أن مات واشتد قتالهم فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين رجلا فلما كان العشاء عباهم يوسف بن عمر ثم سرحهم فالتقواهم وأصحاب زيد فى أصحابه فكشفهم وتبعهم حتى أخرجهم الى السبخة ثم حمل عليهم بالسبخة حتى أخرجهم الى بنى سليم وجعلت خيلهم لا تثبت لخيله فبعث العباس الى يوسف يعلمه ذلك وقال له ابعث الى الناشبة فبعثهم اليه فجعلوا يرمون أصحاب زيد فقاتل معاوية بن اسحق الانصارى بين يدى زيد قتالا شديدا فقتل وثبت زيد بن على ومن معه الى الليل فرمى زيد بسهم فاصاب جانب جبهته اليسرى فثبت فى دماغه ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشام انهم رجعوا الا للمساء والليل ونزل زيد فى دار من دور أرحب وأحضر أصحابه طبيبا فانتزع النصل فضج زيد فلما نزع النصل مات زيد فقال أصحابه أين ندفنه قال بعضهم نطرحه فى الماء وقال بعضهم بل نحتز رأسه ونلقيه فى القتلى فقال ابنه يحيى والله لا تأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم ندفنه فى الحفرة التى يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا فلما دفنوه أجروا عليه الماء وقيل دفن بنهر يعقوب سكر أصحابه الماء ودفنوه وأجروا الماء وكان معهم مولى لزيد سندى وقيل رآهم فسار فدل عليه وتفرق الناس عنه وسار ابنه يحيى نحو كربلاء فنزل بنينوى على سابق مولى بشر بن عبد الملك ابن بشر ثم ان يوسف بن عمر تتبع الجرحى فى الدور فدله السندى مولى زيد يوم الجمعة على زيد

قال أبو الحسن على بن الحسين بن على بن عبد الله المسعودى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقربه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قوما وهم الغاية فى الفصاحة والنهاية فى البلاغة وأولو العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار فى المكارم وفى الحب والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به دياناتهم وأبطل سننهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا مع كونه عربيا مبينا (وقد تنازع الناس) فى نظم القرآن واعجازه وليس الغرض من هذا وصف أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقى عن

فاستخرجه من قبره وقطع رأسه وسير الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة سيره الحكم بن الصلت فأمر يوسف ان يصلب زيد بالكناسة هو ونصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق وزياد النهدى وأمر بحراستهم وبعث الرأس الى هشام فصلب على باب مدينة دمشق ثم أرسل الى المدينة وبقى البدن مصلوبا الى ان مات هشام وولى الوليد فأمر بانزاله واحراقه وقيل كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيبانى على شرطة زيد وهو الذى نبش زيدا وصلبه فقال السيد الحموى

بت ليلا مسهدا * ساهر العين مقصدا
ولقد قلت قولة * وأطلت التبلدا
لعن الله حوشبا * وخراشا ومزيدا
ويزيدا فانه * كان أعتى واعتدا
ألف ألف وألف ألـ * ـف من اللعن سرمدا
انهم حاربوا الالـ * ـه وآذوا محمدا
شركوا فى دم الحسين وزيد تعبدا
ثم عالوه فوق جذ * ع صريعا مجردا
ياخراش بن حوشب * أنت أشقى الورى غدا

وقيل فى أمر يحيى بن زيد غير ما تقدم وذلك ان أباه زيدا لما قتل قال له رجل من بنى أسد ان أهل خراسان لكم شيعة والرأى ان تخرج اليها قال وكيف لى بذلك قال تتوارى حتى يسكن الطلب ثم تخرج فواراه عنده ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان فقال له قرابة زيد بك قريبة وحقه عليك واجب قال أجل ولقد كان العفو عنه أقرب للتقوى قال فقد قتل وهذا ابنه غلام حدث لا ذنب له فان علم يوسف به قتله أفتجيره قال نعم فأتاه به فأقام عنده فلما سكن الطلب سار فى نفر من الزيدية الى خراسان فغضب يوسف بن عمر بعد قتل زيد فقال يا أهل العراق ان يحيى بن زيد ينتقل فى حجال نسائكم كما كان يفعل أبوه والله لو بدا لى لعرفت خصييه كما عرفت خصى أبيه وتهددهم وذمهم وترك

﴿ذكر قتل البطال﴾

فى هذه السنة قتل البطال واسمه عبد الله أبو الحسين الانطاكى فى جماعة من المسلمين ببلاد الروم وقيل سنة ثلاث وعشرين ومائة وكان كثير الغزاة الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم وخوف شديد حكى انه دخل بلادهم فى بعض غزاته هو وأصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغير لها يبكى تسكت والا سلمتك الى البطال ثم رفعته بيدها وقالت خذه يا بطال فتناوله من يدها وسيره عبد الملك مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وأمره على رؤساء أهل الجزيرة والشام وأمر ابنه ان يجعله على مقدمته وطلائعه وقال انه ثقة شجاع مقدام فجعل له مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان بينه وبين الروم وكان العلافة والسابلة يسيرون آمنين وسار مرة مع عسكر للمسلمين فلما صار باطراف الروم سار وحده فدخل بلادهم فرأى مبقلة فنزل فأكل من ذلك البقل فجاشت جوفه وكثر اسهاله فخاف ان يضعف عن الركوب فركب وصار يجئ جوفه فى سرجه ولا يجسر ينزل لئلا يضعف عن الركوب فاستولى عليه الضعف فاعتنق رقبة فرسه وسار عليه ولا يعلم أين هو ففتح عينه فاذا هو فى دير فيه نساء فاجتمعن عليه وأنزلنه احداهن عن فرسه وغسلنه وسقته دواء فانقطع عنه ما به من القيام وأقام فى الدير ثلاثة أيام ثم ان بطريقا حضر الدير

الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام اختصارا مما أوتيه من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر ابن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدوها خدعة كما قال عليه السلام وهذا يعرفه كل ذى رأى صحيح وذى رياسة وسياسة (ثم

تخطب تلك المرأة وبلغه خبر البطال وكانت المرأة قد جعلته في بيت مختفيا فنعته منه ثم سار البطريق عن الدير فركب البطال وتبعه فقتله وانهزم أصحاب البطريق وعاد الى الدير وألقى الرأس الى النساء وأخذهن وساقهن الى العسكر فنفله أمير العسكر تلك المرأة فهي أم أولاد البطال

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بعثه في أهل الشام الى افريقية حيث وقعت الفتنة بالبربر وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن علي وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان فاستقضى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام المخزومي وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم قيل وكان على الموصل أبو مخانة ابن أخي الوليد بن تليد العبسي وفيها مات اياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة وهو الموصوف بالذكاء وزيد بن الحرث اليامي ومحمد بن المنكدر بن عبد الله أبو بكر التيمي تيم قريش وقيل مات سنة ثلاثين وقيل احدى وثلاثين وكنيته أبو بكر ويزيد بن عبد الله بن قسط ويعقوب ابن عبد الله بن الاشج

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد﴾

في هذه السنة صالح نصر بن سيار الصغد وسبب ذلك ان خاقان لما قتل في ولاية أسد تفرقت الترك في غارة بعضها على بعض فطمع أهل الصغد في الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولى نصر بن سيار أرسل اليهم يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم واعطاهم ما أرادوا وكانوا يسألون شروطا انكرها امراء خراسان منها ان لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم في دين لاحد من الناس ولا يؤخذ اسراء المسلمين من أيديهم الا بقضية قاض وشهادة عدول فعاب الناس ذلك على نصر بن سيار وقالوا له فيه فقال لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما انكرتم ذلك وأرسل رسولا الى هشام بن عبد الملك في ذلك فاجابه اليه

﴿ذكر وفاة عقبة بن الحجاج ودخول بلج الاندلس﴾

في هذه السنة توفي عقبة بن الحجاج السلولي أمير الاندلس فقيل بل ثار به أهل الاندلس فخلعوه وولوا بعده عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية وكانت ولايته في صفر من هذه السنة وكانت البربر قد فعلت بافريقية ما ذكرناه سنة سبع عشرة ومائة وقد حصر وابلج بن بشر العبسي حتى ضاق عليه وعلى من معه الامر واشتد الحصر وهم صابرون الى هذه السنة فارسل الى عبد الملك ابن قطن يطلب منه ان يرسل اليه مراكب يجوز فيها هو ومن معه الى الاندلس وذكر ما نزل عليه من الشدة وانهم أكلوا دوابهم فامتنع عبد الملك من ادخالهم الاندلس ووعدهم ارسال المدد اليهم فلم يفعل فاتفق ان البربر قويت بالاندلس فاضطر عبد الملك الى ادخال بلج ومن معه وقيل ان عبد الملك استشار أصحابه في جواز بلج فخوفوه من ذلك فقال أخاف أمير المؤمنين ان يقول أهلكت جندي فاجازهم وشرط عليهم ان يقيموا سنة ويرجعوا الى افريقية فاجابوه الى ذلك وأخذ رهائنهم واجازهم فلما وصلوا اليه رأى هو والمسلمون ما بهم من سوء الحال والفقر والعري لشدة الحصار عليهم فكسوهم وأحسنوا اليهم وقصدوا جماعة من البربر يشدونه فقاتلوهم نظفروا بالبربر فاهلكوهم وغنموا اموالهم ودوابهم وسلاحهم فصلحت أحوال اصحاب بلج وصار لهم

دواب

قال) العائد في هبته كالعائد في قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان الذي لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذي لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله احثوا في وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى في وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهي عموما للصادق والكاذب وأن يحثى في وجه الجميع التراب وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما يذكر في هذا مستفيض في السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس

دواب يركبونها ورجع عبد الملك بن قطن الى قرطبة وقال لبلج ومن معه ليخرجوا من الاندلس فاجابوه الى ذلك فطلبوا منه مراكب يسيرون فيها من غير الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البربر الذين حصروهم فامتنع عبد الملك وقال ليس لي مراكب الا في الجزيرة فقالوا اننا لا نرجع نتعرض الى البربر ولا نقصد الجهة التي هم فيها الا اننا نخاف ان يقتلونا في بلادهم فالح عليهم في العود فلما رأوا ذلك ثاروا به وقاتلوه فظفروا به واخرجوه من القصر وذلك أوائل ذي القعدة من هذه السنة فلما ظفر بلج بعبد الملك اشار عليه أصحابه بقتل عبد الملك فاخرجه من داره وكانه فرخ لكبر سنه فقتله وصلبه وولي الاندلس وكان عمر عبد الملك تسعين سنة وهرب ابناء قطن وأمية فلحق احدهما بماردة والآخر بسرقسطة وكان هربهما قبل قتل ابيهما فلما قتل فعلا ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت الى هشام يطلب اليه أن يستعمله على خراسان ويذكر أنه خبير بها وانه عمل بها الاعمال الكثيرة ويقع في نصر بن سيار فتوجه هشام الى دار الضيافة فاحضر مقاتل بن علي السعدي وقد قدم من خراسان ومعه مائة وخمسون من الترك فسأله عن الحكم وما ولي بخراسان فقال ولي قرية يقال لها الفارياب سبعون ألفا خراجها فاسره الحرث بن سريج فعرك اذنه واطلقه وقال أنت أهون من ان أقتلك فلم يعزل هشام نصر بن سيار عن خراسان وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار فرغانة غزوته الثانية فاوفد وفدا الى العراق عليهم معن بن أحمر النميري ثم الى هشام فاجتاز بيوسف بن عمر وقال له يا ابن أحمر أيغلبكم الاقطع على سلطانكم يا معشر قريش قال قد كان ذلك فامره أن يعيبه عند هشام فقال كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي فلم يزل به قال فبم اعيبه أعيب تجربته أم طاعته ام يمن نقيبته أو سياسته قال عبه بالكبر فلما دخل على هشام ذكر جند خراسان ونجدتهم وطاعتهم فقال الا انهم ليس لهم قائد قال ويحك فما فعل الكناني يعني نصرا قال له بأس ورأي الا انه لا يعرف الرجل ولا يسمع صوته حتى يدنى منه وما يكاد يفهم منه من الضعف لاجل كبره فقال شبيل بن عبد الرحمن المازني كذب والله انه ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه بل هو المجرب وقد ولي عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته فعلم هشام ان قول معن بوضع يوسف فلم يلتفت الى قوله ثم رجع معن الى يوسف فسأله أن يحول ابنه من خراسان ففعل فارسل أحضر اهله وكان نصر لما قدم خراسان قد أثر فقرا وأعلى منزلته وشفعه في حوائجه فلما فعل هذا أجفى القيسية فحضروا عنده واعتذروا اليه وحج بالناس هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك وكان العمال في الامصار هم العمال في السنة التي قبلها وفيها مات محمد بن واسع الازدي البصري وقيل سنة سبع وعشرين وفيها توفي جعفر بن اياس وفيها مات ثابت البناني وقيل سنة سبع وعشرين وله ست وثمانون سنة وفيها توفي سعيد بن أبي سعيد المقبري واسم أبي سعيد كيسان وقيل مات سنة خمس وعشرين وقيل ست وعشرين ومالك بن دينار الزاهد

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني﴾

قد اختلف الناس في أبي مسلم فقيل كان حرا واسمه ابراهيم بن عثمان بن بشار بن سدوس بن جودرزه من ولد بزرجمهر ويكنى أبا اسحق ولد باصبهان ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى الى عيسى

وتستعمل العوام كثيرا منه في ألفاظها وتورده في أمثالها وخطاباتها والاكثر منهم لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله وقال عليه الصلاة والسلام مطل الغني ظلم ومن أتبع على ملي فليتبع وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله يا خيل الله اركبي وبشري بالجنة الآن حمي الوطيس لا ينتطح فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجني على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتي في بكورها ساقي القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما أبدا ابن آدم مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم المرء كثير بأخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة

ابن موسى السراج فحمله الى الكوفة وهو ابن سبع سنين فلما اتصل بابراهيم بن محمد بن على بن
عبد الله بن عباس الامام قال له غير اسمك فانه لا يتم لنا الامر الا بتغيير اسمك على ما وجدته فى
الكتب فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم ويكنى أبا مسلم فمضى لشأنه وله ذؤابة وهو على حمار
باكاف وله تسع عشرة سنة وزوجه ابراهيم الامام ابنة عمران بن اسمعيل الطائى المعروف بابى
النجم وهى بخراسان مع أبيها فبنى بها أبو مسلم بخراسان وزوج أبو مسلم ابنته فاطمة من محرز بن
ابراهيم وابنته الاخرى اسماء من فهم بن محرز فاعقبت اسماء ولم تعقب فاطمة وفاطمة هى التى
تذكرها الخرمية ثم ان سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب
توجهوا من خراسان يريدون مكة سنة أربع وعشرين ومائة فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن
يونس العجلى وهو فى الحبس قد اتهم بالدعاء الى ولد العباس ومعه عيسى وادريس ابنا معقل
العجليان وهذا ادريس هو جد أبى دلف العجلى وكان حبسهما يوسف بن عمر مع من حبس من
عمال خالد القسرى ومعهما أبو مسلم يخدمهما قد اتصل بهما فرأوا فيه العلامات فقالوا من هذا
الفتى فقالا غلام معنا من السراجين يخدمنا وكان أبو مسلم يسمع عيسى وادريس يتكلمان فى
هذا الرأى فاذا سمعهما بكى فلما رأوا ذلك منه دعوه الى رأيهم فاجاب وقيل انه من أهل ضياع بنى
معقل العجلية باصبهان أو غيرها من الجبل وكان اسمه ابراهيم ويلقب حيكان وانما سماه عبد
الرحمن وكناه أبا مسلم ابراهيم الامام وكان مع أبى موسى السراج صاحبه يخرز الاعنة ويعمل
السروج وله معرفة بصناعة الادم والسروج فكان يحملها الى اصبهان والجبال والجزيرة
والموصل ونصيبين وآمد وغيرها يتجر فيها وكان عاصم بن يونس العجلى وادريس وعيسى ابنا معقل
محبوسين فكان أبو مسلم يخدمهم فى الحبس بتلك العلامة فقدم سليمان بن كثير ولاهز وقحطبة
الكوفة فدخلوا على عاصم فرأوا أبا مسلم عنده فاعجبهم فاخذوه وكتب أبو موسى السراج معه كتابا
الى ابراهيم الامام فلقوه بمكة فاخذ أبا مسلم فكان يخدمه ثم ان هؤلاء النقباء قدموا على ابراهيم
الامام مرة أخرى يطلبون رجلا يتوجه معهم الى خراسان فكان هذا نسب أبى مسلم على قول من
يزعم انه حر فلما تمكن وقوى أمره ادعى انه من ولد سليط بن عبد الله بن عباس وكان من حديث
سليط بن عبد الله بن عباس انه كانت له جارية مولدة صفراء تخدمه فواقعها مرة ولم يطلب ولدها
ثم تركها دهرا فاغتنمت ذلك فاستنكحت عبدا من عبيد المدينة فوقع عليها فحبلت وولدت
غلاما فحدها عبد الله بن عباس واستعبد ولدها وسماه سليطا فنشأ جلدا ظريفا يخدم ابن
عباس وكان له من الوليد بن عبد الملك منزلة فادعى انه ولد عبد الله بن عباس ووضعه على أمر
الوليد لما كان فى نفسه من على بن عبد الله بن عباس وأمره بمخاصمته على مخاصمته واحتال
فى شهود على اقرار عبد الله بن عباس بانه ابنه فشهدوا بذلك عند قاضى دمشق فتحامل القاضى
اتباعا لرأى الوليد فاثبت نسبه ثم ان سليطا خاصم على بن عبد الله فى الميراث حتى لقى منه على
أذى شديدا وكان مع على رجل من ولد أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعا
اليه يقال له عمر الدن فقال لعلى يوما لاقتلن هذا الكلب واريحك منه فنهاه على عن ذلك
وتهدده بالقطيعة ورفق على سليط حتى كف عنه ثم ان سليطا دخل مع على بستانا له بظاهر
دمشق فنام على فجرى بين عمر الدن وسليط كلام فقتله عمر ودفنه فى البستان واعانه عليه مولى
لعلى وهربا وكان لسليط صاحب قد عرف دخوله البستان ففقده فاتى أم سليط فاخبرها وفقد
على أيضا عمر الدن ومولاه فسأل عنهما وعن سليط فلم يخبره أحد وغدت أم سليط الى باب

الغنى غنى النفس الاعمال
بالنيات أى داء ادوأ من
البخل الحياء خير كله
الخيل معقود بنواصيها
الخير السعيد من وعظ
بغيره عدة المؤمن كالأخذ
باليد ان من الشعر لحكمة
ومن البيان لسحرا عفو
الملوك بقاء للملك ارحم
من فى الارض يرحمك من
فى السماء المكر والخديعة
فى النار المرء مع من أحب
وله ما اكتسب ليس منا
من لم يرحم صغيرنا ويعرف
حق كبيرنا المستشار
مؤتمن من قتل دون ماله
فهو شهيد لا يحل لمؤمن
أن يهجر أخاه فوق ثلاث
الدال على الخير كفاعله
الندم توبة الولد للفراش
وللعاهر الحجر كل معروف
صدقة لا يشكر الله من
لا يشكر الناس لا يؤذى
الضالة الاضال حبك
الشئ يعمى ويصم السفر
قطعة من العذاب (وقوله
للانصار) انكم لتقلون
عند الطمع وتكثرون
عند الفزع وقوله المسلمون
عند شروطهم الاشرطا
أحل حراما أو حرم حلالا
الرجل أحق بصدر مجلسه
وصدر دابته الناس
معادن كمعادن الذهب
والفضة الظلم ظلمات يوم
القيامة تمام التحية

الوليد فاستغاثت على على فاتى الوليد من ذلك ما أحب فاحضر عليا وسأله عن سليط فحلف انه
لم يعرف خبره وانه لم يأمر فيه بامر فامره باحضار عمر الدن فحلف بالله انه لم يعرف موضعه فامر
الوليد بارسال الماء فى أرض البستان فلما انتهى الى موضع الحفرة التى فيها سليط انخسفت
وأخرج منها سليط فامر الوليد بعلى فضرب وأقيم فى الشمس وألبس جبة صوف ليخبره خبر سليط
ويدله على عمر الدن فلم يكن عنده علم ثم شفع فيه عباس بن زياد فاخرج الى الحميمة وقيل الى الحجر
فاقام به حتى هلك الوليد وولى سليمان فرده الى دمشق وكان هذا مما عده المنصور على أبى مسلم
حين قتله وقال له زعمت انك ابن سليط ولم ترض حتى نسبت الى عبد الله غير ولده لقد ارتقيت
مرتقى صعبا وكان سبب موجدة الوليد على على بن عبد الله ان أباه عبد الملك بن مروان طلق
امرأته أم ابيها ابنة عبد الله بن جعفر فتزوجها على فتغير له عبد الملك وأطلق لسانه فيه وقال انما
صلاته رياء وسمع الوليد ذلك من أبيه فبقى فى نفسه وقيل ان أبا مسلم كان عبدا وكان سبب انتقاله
الى بنى العباس ان بكير بن ماهان كان كاتبا لبعض عمال السند فقدم الكوفة فاجتمع هو وشيعة
بنى العباس فغمز بهم فأخذوا فحبس بكير وخلى عن الباقين وكان فى الحبس يونس أبو عاصم
وعيسى بن معقل العجلى ومعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير الى رأيه فاجابوه فقال لعيسى بن معقل
ما هذا الغلام منك قال مملوك قال أتبيعه قال هو لك قال أحب ان تأخذ ثمنه قال هو لك بما شئت
فاعطاه أربعمائة درهم ثم خرجوا من السجن فبعث به بكير الى ابراهيم الامام فدفعه ابراهيم الى
أبى موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم سار مترددا الى خراسان وقيل انه كان لبعض أهل هراة
أو بوشنج فقدم مولاه على ابراهيم الامام وأبو مسلم معه فاعجبه عقله فابتاعه منه واعتقه ومكث
عنده عدة سنين وكان يتردد بكتبه الى خراسان على حمار له ثم وجهه أميرا على شيعتهم بخراسان
وكتب الى من بها منهم بالسمع والطاعة وكتب الى أبى سلمة الخلال داعيتهم ووزيرهم بالكوفة
يعلمه انه قد أرسل أبا مسلم ويأمره بانفاذه الى خراسان فسار اليها فنزل على سليمان بن كثير وكان
من أمره ما نذكره سنة سبع وعشرين ومائة ان شاء الله تعالى وقد كان أبو مسلم رأى رؤيا قبل ذلك
استدل بها على ملك خراسان فطير أمرها فلما ورد نيسابور نزل بوناباذ وكانت عامرة فتحدث صاحب
الخان الذى نزله أبو مسلم بذلك وقال ان هذا يزعم انه يلى خراسان فخرج أبو مسلم لبعض حاجته
فعمد بعض المجان فقطع ذنب حماره فلما عاد قال لصاحب الخان من فعل هذا بحمارى قال
لا أدرى قال ما اسم هذه المحلة قال بوناباذ قال ان لم أصيرها كنداباذ فلست بابى مسلم فلما ولى
خراسان أخربها

❁(ذكر الحرب بين بلج وابنى عبد الملك ووفاة بلج وولاية ثعلبة بن سلامة الاندلس)❁

فى هذه السنة كان بالاندلس حرب شديدة بين بلج وأمية وقطن ابنى عبد الملك بن قطن وكان سببها
انهما لما هربا من قرطبة كما ذكرناه فلما قتل أبوهما استنجدا باهل البلاد والبربر فاجتمع معهما
جمع كثير قيل كانوا مائة ألف مقاتل فسمع بهم بلج والذين معه فسار اليهم والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا
وجرح بلج جراحات ثم ظفر بابنى عبد الملك والبربر ومن معهم وقتل منهم فاكثر وعاد الى قرطبة
مظفرا منصورا فبقى سبعة أيام ومات من الجراحات التى فيه وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة
وكانت ولايته أحد عشر شهرا فلما مات قدم أصحابه عليهم ثعلبة بن سلامة العجلى لان هشام بن عبد
الملك عهد اليهم ان حدث ببلج وكلثوم حدث فالامير ثعلبة فقام بالامر وثارت فى أيامه البربر
بناحية ماردة فغزاهم فقتل فيهم فاكثر واسر منهم ألف رجل وأتى بهم الى قرطبة

المصافحة جبلت القلوب
على حب من أحسن اليها
امنك من اعتبك ما نقص
مال من صدقة التائب من
الذنب كمن لا ذنب له
الشاهد يرى ما لا يرى
الغائب خذ حقك فى
عفاف واف أو غير واف
أعطوا الاجير أجرته قبل
أن يجف عرقه أهل
المعروف فى الدنيا أهل
المعروف يوم القيامة
الجنة تحت ظلال السيوف
ليس بمؤمن من خاف جاره
بوائقه اتقوا النار ولو
بشق تمرة أعروا النساء
يلزمن الحجاب الكلمة
الطيبة صدقة لا خير لك فى
صحبة من لا يرى لك ما يرى
لنفسه الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر ما أملق تاجر
صدق الدعاء سلاح المؤمن
خير الامور أوسطها اذا
أتاكم الزائر فأكرموه
اشفعوا تحمدوا وتؤجروا
الايمان الصبر والسماحة
أفضلكم أفضلكم معرفة
ما هلك امرؤ عن مشورة
ما عال امرؤ اقتصد ما هلك
امرؤ عرف قدره شر العمى
عمى القلب الكذب
مجانب للايمان ما قل
وكفى خير مما كثر وألهى
من أنى فقد كفى قلة الحياء
كفر المؤمنون هينون
لينون شر الندامة يوم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فغنم وفيها مات محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى قول بعضهم ووصى الى ابنه ابراهيم بالقيام بامر الدعوة اليهم وحج بالناس هذه السنة محمد ابن هشام بن اسمعيل وفيها مات محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى وكان مولده سنة ثمان وخمسين وقيل سنة خمسين

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة ﴾

﴿ ذكر وفاة هشام بن عبد الملك ﴾

وفيها مات هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدا وعشرين يوما وقيل وثمانية أشهر ونصفا وكان مرضه الذبحة وعمره خمس وخمسون سنة وقيل ست وخمسون سنة فلما مات طلبوا قمقما من بعض الخزان يسخن فيه الماء لغسله فما أعطاهم عياض كاتب الوليد على ماذكره فاستعار واقمقما وصلى عليه ابنه مسلمة ودفن بالرصافة

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

قال عقال بن شبة دخلت على هشام وعليه قباء فنك أخضر فوجهنى الى خراسان وجعل يوصينى وأنا أنظر الى القباء ففطن فقال مالك فقلت رأيت عليك قبل ان تلى الخلافة قباء مثل هذا فجعلت أتأمل أهو هذا أم غيره فقال هو والله ذاك واما ماترون من جمعى المال وصونه فهو لكم قال وكان محشوا عقلا وقيل ضرب رجل نصرانى غلاما لمحمد بن هشام فشجه فذهب خصى لمحمد فضرب النصرانى وبلغ هشاما الخبر وطلب الخصى فعاذ بمحمد فقال له محمد ألم آمرك فقال الخصى بلى والله قد أمرتنى فضرب هشام الخصى وشتم ابنه قال عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس جمعت دواوين بنى أمية فلم ارديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام وقيل أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال اكسروا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ لما ضربه فقال عليك بالصبر فقال أترانى أبكى للضرب انما أبكى لاحتقاره البربط اذ سماه طنبورا قال واغلظ رجل لهشام فقال له ليس لك ان تغلظ لامامك قيل وتفقد هشام بعض ولده فلم يحضر الجمعة فقال مامنعك من الصلاة قال نفقت دابتى قال أفعجزت عن المشى فمنعه الدابة سنة قيل وكتب اليه بعض عماله قد بعثت الى أمير المؤمنين بسلة دراقن وكتب اليه قد وصل الدراقن فاعجب أمير المؤمنين فزد منه واستوثق من الدعاء وكتب الى عامل له قد بعث بكماة قد وصلت الكماة وهى أربعون وقد تغير بعضها من حشوها فاذا بعثت شيأ فاجد حشوها فى الطرق بالرمل حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضها بعضا وقيل له أتطمع فى الخلافة وأنت بخيل جبان قال ولم لا أطمع فيها وانا حليم عفيف قيل وكان هشام ينزل الرصافة وهى من أعمال قنسرين وكان الخلفاء قبله وابناء الخلفاء يتبدرون هربا من الطاعون فينزلون البرية فلما أراد هشام ان ينزل الرصافة قيل له لا تخرج فان الخلفاء لا يطعنون ولم نر خليفة طعن قال اتريدون ان تجربوا فى فنزلها وهى مدينة رومية قيل ان الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن ايام هشام بن عبد الملك فاخذه هشام وأرسله الى خالد القسرى وهو أمير العراق وأمره بقتله فحبسه خالد ولم يقتله فبلغ الخبر هشاما فكتب الى خالد يلومه ويعزم عليه ان يقتله فاخرجه خالد من الحبس فى وثاقه فلما صلى العيد يوم الاضحى قال فى آخر خطبته انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم فانى اريد ان أضحى اليوم بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله

القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون انتظار الفرج عبادة وكادت الفاقة أن تكون كفرا لم يبق من الدنيا الابلاء وفتنة فى كل عام ترذلون زرغبا تزدد حبا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس أوقال جميع الناس (وقوله) لا يلقى الله أحد الانادما من عمل خيرا قال ياليتنى ازددت ومن عمل غير ذلك قال ياليتنى قصرت وهذا مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سببا لهلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معانى كثيرة منها أن يكون اخبارا أن من غش المسلمين على حسب الحال فى الوقت أن بعض أهل الكتاب أو المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل أن يكون على طريق الزجر والنهى عن الغش وقد قيل غير ذلك والله أعلم مثل ماروى عنه أبو مسعود البدرى قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة أحد الامات

موسى ولا اتخذ ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل وذبحه قيل ان غيلان بن يونس وقيل ابن مسلم ابامروان أظهر القول بالقدر فى أيام عمر بن عبد العزيز فاحضره عمر واستتابه فتاب ثم عاد الى الكلام فيه أيام هشام فاحضره من ناصره ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم أمر به وصلب قيل وجاء محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الى هشام فقال ليس لك عندى صلة ثم قال اياك ان يغرك أحد فيقول لم يعرفك أمير المؤمنين انى قد عرفتك أنت محمد بن زيد فلا تقيمن وتنفق مامعك فليس لك عندى صلة الحق باهلك قال مجمع بن يعقوب الانصارى شتم هشام رجلا من الاشراف فوبخه الرجل وقال أما تستحى أن تشتمنى وأنت خليفة الله فى الارض فاستحيا منه وقال اقتص منى قال اذا أنا سفيه مثلك قال فخذ منى عوضا من المال قال ما كنت لافعل قال فهبها لله قال هى لله ثم لك فنكس هشام رأسه واستحيا وقال والله لا اعود الى مثلها أبدا

﴿ ذكر بيعة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴾

قيل وكانت بيعته لست مضين من شهر ربيع الآخر من السنة وقد تقدم عقد أبيه ولاية العهد له بعد اخيه هشام بن عبد الملك وكان الوليد حين جعل ولى عهد بعد هشام ابن احدى عشرة سنة ثم عاش من بعد ذلك فبلغ الوليد خمس عشرة فكان يزيد يقول الله بينى وبين من جعل هشاما بينى وبينك فلما ولى هشام اكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر من الوليد مجون وشرب الشراب وكان يحمله على ذلك عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدبه واتخذ له ندماء فاراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة ست عشرة ومائة فحمل معه كلابا فى صناديق وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه الخمر وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر فخوفه أصحابه وقالوا لا نأمن الناس عليك وعلينا معك فلم يفعل وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف فطمع هشام فى البيعة لابنه مسلمة وخلع الوليد وأراد الوليد على ذلك فابى فقال له اجعلها له بعدك فابى فتنكر له هشام واضربه وعمل سرا فى البيعة لابنه مسلمة فاجابه قوم وكان ممن أجابه خالاه محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسمعيل وبنو القعقاع بن خليد العبسى وغيرهم من خاصته فافرط الوليد فى الشراب وطلب اللذات فقال له هشام ياوليد والله ما أدرى اعلى الاسلام انت ام لا ماتدع شيأ من المنكر الا اتيته غير متحاش فكتب اليه الوليد

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبى شاكر

نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن احيانا وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أباشاكر وقال له يعيرنى الوليد بك وانا أرشحك للخلافة فالزمه الادب واحضره الجماعة وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة فاظهر النسك واللين ثم انه قسم بمكة والمدينة أموالا فقال مولى لاهل المدينة

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبى شاكر

الواهب الجرد بارسانها * ليس بزنديق ولا كافر

يعرض بالوليد وكان هشام يعيب الوليد وينتقصه ويقصر به فخرج الوليد ومعه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالازرق على ماء له بالاردن وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم وقطع هشام عن الوليد ما كان يجرى عليه وكاتبه الوليد فلم يجبه الى رده وامره باخراج عبد الصمد من عنده فاخرجه وسأله ان ياذن لابن سهيل فى الخروج اليه فضرب هشام ابن سهيل وسيره واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه وحبسه فقال الوليد من يثق بالناس ومن يصنع

فاستفاضت هذه الرواية عن أبى مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فجزع الاكثر فأفضى ذلك الى على رضى الله عنه فقال صدق أبو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما مراد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض أحد بعد رأس مائة ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على أموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودى) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر أبو اسحق الزجاجى النحوى صاحب أبى العباس المبرد وأبو عبد الله نفطويه وجعفر بن محمد بن حمدان الموصلى وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم أوردنا من ذلك فى هذا الكتاب ماسهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد أتينا على جميع مايحتاج اليه فى هذه المعانى فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فاغنى ذلك عن اعادتها والله تعالى ولى التوفيق

المعروف هذا الاحول المشؤم قدمه ابى على اهل بيته وصيره ولى عهده ثم يصنع بى ما ترون لا يعلم ان لى فى احد هوى الا عبث به وكتب الى هشام فى ذلك يعاتبه و يسأله ان يرد عليه كاتبه فلم يرده فكتب اليه الوليد

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى
تثير على الباقين مجنى ضغينة * فويل لهم ان مت من شر ما تجنى
كانى بهم والليت افضل قولهم * الا ليتنا والليت اذ ذاك لا يغنى
كفرت يدا من منعم لو شكرتها * جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

فلم يزل الوليد مقيما فى تلك البرية حتى مات هشام فلما كان صبيحة اليوم الذى جاءته فيه الخلافة قال لابى الزبير المنذر بن أبى عمرو ما بت على ليلة منذ عقلت عقلى أطول من هذه الليلة عرضت لى هموم وحدثت نفسى فيها بامور هذا الرجل يعنى هشاما قد اولع بى فاركب بنا نتنفس فركبا وسارا ميلين و وقف على كثيب فنظر الى رهج فقال هؤلاء رسل هشام فسأل الله من خيرهم فبينما هما كذلك اذ بدا رجلان على البريد احدهما مولى لابى محمد السفيانى فلما قربا نزلا يعدوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم ثم قال أمات هشام قال نعم والكتاب معنا من سالم ابن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل فقرأه وسأل مولى أبى محمد السفيانى عن كاتبه عياض فقال لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام الموت فارسل الى الخزان وقال احتفظوا بما فى أيديكم فافاق هشام فطلب شيأ فمنعوه فقال انا لله كنا خزانا للوليد ومات من ساعته وخرج عياض من السجن فختم أبواب الخزائن وانزل هشاما من فرشه وما وجدوا له قمقما يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ولا وجدوا كفنا من الخزائن فكفنه غالب مولاه فقال

هلك الاحول المشو * م وقد أرسل المطر
وملكنا من بعد ذا * ك فقد أورق الشجر
فاشكر الله انه * زائد كل من شكر

وقيل ان هذا الشعر لغير الوليد فلما سمع الوليد موته كتب الى العباس بن عبد الملك بن مروان ان يأتى الرصافة فيحصى ما فيها من اموال هشام و ولده وعياله وحشمه الا مسلمة بن هشام فانه كلم اباه فى الرفق بالوليد فقدم العباس الرصافة ففعل ما كتب به الوليد اليه وكتب به الى الوليد فقال الوليد

ليت هشاما كان حيا يرى * محلبه الاوفر قد اترعا
ليت هشاما عاش حتى يرى * مكياله الاوفر قد طبعا
كلناه بالصاع الذى كاله * وما ظلمناه به اصبعا
وما ألفنا ذاك عن بدعة * أحله الفرقان لى اجمعا

وضيق على اهل الشام واصحابه فجاء خادم لهشام فوقف عند قبره و بكى وقال يا أمير المؤمنين لو رأيت ما يصنع بنا الوليد فقال بعض من هناك لو رأيت ما صنع بهشام لعلمت انك فى نعمة لا تقوم بشكرها ان هشاما فى شغل مما هو فيه عنكم واستعمل الوليد العمال وكتب الى الآفاق بأخذ البيعة فجاءته بيعتهم وكتب اليه مروان بن محمد ببيعته واستأذنه فى القدوم عليه فلما ولى الوليد اجرى على زمنى اهل الشام وعميهم وكساهم وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد الناس فى العطاء عشرات ثم زاد أهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ولم يسئل فى شئ الا وقال

(باب ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه)

(قال المسعودى) ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصارى فى يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا لعمر النبى صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق فى سائر الروايات على ما ذكرنا وكان مولد أبى بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ايامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده فى هذا الكتاب بعد ذكرنا لايام بنى أمية وبنى العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ الثانى من الهجرة الى هذا

ضمنت لكم ان لم يعقنى عائق * بان سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معا وزيادة * وأعطية منى عليكم تبرع
فيجمعكم ديوانكم وعطاؤكم * به تكتب الكتاب شهرا وتطبع

قال حكم الوادى المغنى كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهنى بولاية الخلافة واتاه القضيب والخاتم ثم قال فامسكنا ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة فقال غنونى

طاب يومى ولذ شرب السلافه * وأتانا نعى من بالرصافه
وأتانا البريد ينعى هشاما * وأتانا بخاتم الخلافه
فاصطبحنا من خمر عانة صرفا * ولهونا بقينة عزافه

وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغنى فى هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم نزل نغنى الى الليل ثم ان الوليد هذه السنة عقد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده و جعلهما ولى عهده أحدهما بعد الآخر وجعل الحكم مقدما وكتب بذلك الى الامصار والعراق وخراسان

(ذكر ولاية نصر بن سيار خراسان للوليد)

فى هذه السنة ولى الوليد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نصرا وعماله فرد اليه الوليد ولاية خراسان وكتب يوسف الى نصر يأمره بالقدوم ويحمل معه ما قدر عليه من الهدايا والاموال وان يقدم معه بعياله أجمعين وكتب الوليد الى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة وان يجمع له كل صناجة بخراسان وكل بازى و برذون فاره ثم يسير بكل ذلك بنفسه فى وجوه أهل خراسان وكان المنجمون قد أخبروا نصرا بفتنة تكون وألح يوسف على نصر بالقدوم وأرسل اليه رسولا فى ذلك وأمره أن يستحثه أو ينادى فى الناس انه قد خلع فارضى نصر الرسول واجازه فلم يمض لذلك الا يسير حتى وقعت الفتنة فتحول الى قصره بماجان واستخلف عصمة بن عبد الله الاسدى على خراسان وموسى بن ورقاء بالشاش وحسان من أهل الصغانيان بسمرقند ومقاتل بن على السعدى بآمل وأمرهم اذا بلغهم خروجه من مرو ان يستجلبوا الترك ليعبروا على ما وراء النهر ليرجع اليهم وسار الى العراق فبينا هو يسير الى العراق طرقه مولى لبنى ليث واعلمه بقتل الوليد فلما أصبح اذن للناس واحضر رسل الوليد وقال لهم قد كان من مسيرى ما علمتم وبعثى بالهدايا ما رأيتم وكان قد قدم الهدايا فبلغت بيهق وطرقنى فلان ليلا فاخبرنى ان الوليد قد قتل ووقعت الفتنة بالشام وقدم منصور بن جمهور العراق وهرب يوسف بن عمر ونحن بالبلاد التى قد علمتم حالها وكثرة عدونا فقال سالم بن احوز ايها الامير انه بعض مكايد قريش ارادوا تهجين طاعتك فسر ولا تهجنا فقال يا سالم أنت رجل لك علم بالحرب وحسن طاعة لبنى أمية فاما مثل هذه الامور فرأيك فيها رأى أمية ورجع بالناس

(ذكر قتل يحيى بن زيد بن على بن الحسين)

فى هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب بخراسان وسبب قتله انه سار بعد قتل أبيه الى خراسان كما سبق ذكره فاتى بلخ فاقام بها عند الحريش بن عمرو بن داود حتى هلك هشام وولى الوليد بن يزيد فكتب يوسف بن عمر الى نصر بمسير يحيى بن زيد وبمنزله عند الحريش وقال له خذه أشد الاخذ فاخذ نصر الحريش فطالبه بيحيى فقال لا علم لى به فامر به فجلد ستمائة سوط فقال الحريش والله لو أنه تحت قدمى ما رفعتهما عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش قال لا تقتل ابى وانا ادلك على يحيى فدله عليه فاخذه نصر وكتب الى الوليد يخبره فكتب الوليد يأمره

الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى خلافة أبى اسحق المتقى بالله أو بعد ذلك من الاوقات الى حيث ينتهى بنا التصنيف وما ذكره أصحاب الزيجات فى النجوم وما ارخوه فى مقادير السنين والشهور والايام وبين تاريخ أصحاب السير والاخبار بين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا فى ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره)

كان اسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب وفى مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عتيق الله من النار فسمى يومئذ عتيقا وقيل انما سمى عتيقا لعتق أمهاته واستخلف وأبوه فى الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشى

أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه فاطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد وأمر له بالفى درهم فسار الى سرخس فاقام بها فكتب نصر الى عبد الله بن قيس بن عباد يأمره أن يسيره عنها فسيره عنها فسار حتى انتهى الى بيهق وخاف أن يغتاله يوسف بن عمر فعاد الى نيسابور وبها عمرو بن زرارة وكان مع يحيى سبعون رجلا فرأى يحيى تجارا فاخذ هو وأصحابه دوابهم وقالوا علينا أثمانها فكتب عمرو بن زرارة الى نصر يخبره فكتب نصر يأمره بحاربته فقاتله عمرو وهو في عشرة آلاف ويحيى في سبعين رجلا فهزمهم يحيى وقتل عمرا وأصاب دواب كثيرة وسار حتى مر بهراة فلم يعرض لمن بها وسار عنها وسرح نصر بن سيار سالم بن أحوز في طلب يحيى فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالا شديدا فرمي يحيى بسهم فاصاب جبهته رماه رجل من عنزة يقال له عيسى فقتل أصحاب يحيى عن آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه فلما بلغ الوليد قتل يحيى كتب الى يوسف بن عمر خذ عجيل أهل العراق فانزله من جذعه يعني زيدا وأحرقه بالنار ثم انسفه باليم نسفا فامر يوسف به فاحرق ثم رضه وحمله في سفينة ثم ذراه في الفرات واما يحيى فانه لما قتل صلب بالجوزجان فلم يزل مصلوبا حتى ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان فانزله وصلى عليه ودفنه وأمر بالنياحة عليه في خراسان وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى فمن كان حيا قتله ومن كان ميتا خلفه في أهله بسوء وكانت أم يحيى ريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة المخففة)

❁(ذكر ولاية حنظلة افريقية وأبي الخطار الاندلس)❁

في هذه السنة قدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الاندلس أميرا في رجب وكان أبو الخطار لما تتابع ولاة الاندلس من قيس قد قال شعرا وعرض فيه بيوم مرج راهط وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان بن الحكم وقيام القيسيين مع الضحاك بن قيس الفهري على مروان ومن الشعر

أفادت بنو مروان قيسا دماءنا ❁ وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ❁ ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكم حر القنا بنحورنا ❁ وليس لكم خيل تعد ولا رجل

فلما بلغ شعره هشام بن عبد الملك سأل عنه فاعلم انه رجل من كلب وكان هشام قد استعمل على افريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة أربع وعشرين ومائة فكتب اليه هشام ان يولي ابا الخطار الاندلس فولاه وسيره اليها فدخل قرطبة يوم جمعة فرأى ثعلبة بن سلامة اميرها قد احضر الاسارى الالف من البربر الذين تقدم ذكر اسرهم ليقتلهم فلما دخل أبو الخطار دفع الاسرى اليه فكانت ولايته سببا لحياتهم وكان أهل الشام الذين بالاندلس قد أرادوا الخروج مع ثعلبة ابن سلامة الى الشام فلم يزل أبو الخطار يحسن اليهم ويستميلهم حتى اقاموا فانزل كل قوم على شبه منازلهم بالشام فلما رأوا بلدا يشبه بلدانهم اقاموا وقيل انه انما فرقهم في البلاد لان قرطبة ضاقت عليهم ففرقهم وقد ذكرنا بعض اخباره سنة تسع وثلاثين ومائة

❁(ذكر عدة حوادث)❁

قيل وفي هذه السنة وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي واليا على المدينة ومكة والطائف ودفع اليه محمدا وابراهيم ابني هشام بن اسمعيل المخزومي موثقين في عباءتين فقدم بهما المدينة في شعبان فاقامهما للناس ثم حملا الى الشام فاحضرا عند الوليد فامر بجلدهما فقال محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيننا قال فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب بسوط

المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ماعليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وماهو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلى فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤي يوما في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فأردتم أن أكون ملكا جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لاها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) أبابكر رضي الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمر فأحضره وأقبل يصيح عليه وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر فقال لقائده على من يصيح ابني

الا في حد قال ففي حد أضربك وقود أنت أول من فعل بالعرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان وكان محمد قد اخذه وقيده واقامه للناس وجلده وسجنه الى أن مات بعد تسع سنين لهجاء العرجي اياه ثم أمر به الوليد فجلد هو وأخوه ابراهيم ثم أوثقهما حديدا وامر ان يبعث بهما الى يوسف بن عمر وهو على العراق فلما قدم بهما عليه عذبهما حتى ماتا وفي هذه السنة عزل الوليد سعد بن ابراهيم عن قضاء المدينة وولاه يحيى بن سعيد الانصاري وفيها خرجت الروم الى زبطرة وهو حصن قديم كان افتتحه حبيب بن مسلمة الفهري فاخربته الروم الآن فبني بناء غير محكم فعاد الروم وأخربوه أيام مروان بن محمد الحمار ثم بناه الرشيد وشحنه بالرجال فلما كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعثوه فامر المأمون بمرمته وتحصينه ثم قصده الروم أيام المعتصم على ما نذكره ان شاء الله تعالى فانما سقت خبره ههنا لاني لم أعلم تواريخ حوادثه وفيها غزا الوليد أخاه الغمر بن يزيد وأمر على جيوش البحر الاسود بن بلال المحاذي وسيره الى قبرس ليخير أهلها بين المسير الى الشام أو الى الروم فاختارت طائفة جوار المسلمين فسيرهم الى الشام واختار آخرون الروم فسيرهم اليهم وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا في قول بعض أهل السير محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فاخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه فقال أحر هو أم عبد قالوا أما عيسى فيزعم انه عبد وأما هو فيزعم انه حر قال فاشتروه واعتقوه واعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم فقال لهم ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا فان حدث بي حدث فصاحبكم ابني ابراهيم فاني أثق به وأوصيكم به خيرا فرجعوا من عنده وقال بعضهم في هذه السنة توفي محمد بن علي بن عباس في شهر ذي القعدة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكان بين موته وموت أبيه سبع سنين وحج بالناس هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف وفيها غزا النعمان بن يزيد ابن عبد الملك الصائفة وفي هذه السنة مات أبو حازم الاعرج وقيل سنة أربعين وقيل سنة أربع وأربعين ومائة وفي آخر أيام هشام بن عبد الملك توفي سماك بن حرب وفي هذه السنة توفي القاسم بن أبي برة واسم أبي برة يسار وهو من المشهورين بالقراءة واشعث بن أبي الشعثاء سليم بن أسود المحاربي وسعيد بن أبي أنيسة الجزري مولى بني كلاب وقيل مولى يزيد بن الخطاب وقيل مولى غني وكان عمره ستا وأربعين سنة وكان فقيها عابدا وكان له أخ اسمه يحيى كان ضعيفا في الحديث وفي أيام هشام مات العرجي الشاعر في حبس محمد بن هشام المخزومي عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة وكان سبب حبسه انه هجاه فتتبعه حتى بلغه انه أخذ مولى له فضربه وقتله وأمر عبيده أن يطؤا امرأة المولى المقتول فاخذه محمد فضربه وأقامه للناس وحبسه تسع سنين فمات في السجن (العرجي بفتح العين المهملة وسكون الراء وآخره جيم) وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم

❁ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة❁

❁(ذكر قتل خالد بن عبد الله القسري)❁

في هذه السنة قتل خالد بن عبد الله وقد تقدم ذكر عزله عن العراق وخراسان وكان عمله خمس عشرة سنة فيما قيل ولما عزله هشام قدم عليه يوسف بن عمر واسط فحبسه بها ثم سار يوسف الى الحيرة وأخذ خالدا فحبسه بها تمام ثمانية عشر شهرا مع أخيه اسمعيل وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن اسد واستأذن يوسف هشاما في تعذيبه فاذن له مرة واحدة واقسم لئن هلك ليقتلنه فعذبه يوسف ثم رده الى حبسه وقيل بل عذبه عذابا كثيرا وكتب هشام الى يوسف يأمره باطلاقه في شوال سنة احدى وعشرين فاطلقه فسار فاتى القرية التي بازاء الرصافة فاقام بها الى صفر سنة

فقال له على أبي سفيان فدنا من أبي بكر وقال له أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له ياأبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وأبوه باق غير أبي بكر (وأم أبي بكر) سلمى وتكنى ام الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن أسعد ابن تيم بن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة أيام (وكان له) من الولد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد فاما عبد الله فانه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه جراحة وبقي الى خلافة أبي بكر ومات في خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبد الله وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبد الرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفيسان والمسح ومحمد ابن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها

اثنتين وعشرين وخرج زيد فقتل فكتب يوسف بن عمر ان بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا فكانت همة احدهم قوت عياله فلما ولي خالد العراق أعطاهم الاموال فتاقت انفسهم الى الخلافة وما خرج زيد الا عن رأي خالد فقال هشام كذب يوسف وضرب رسوله وقال لسنا نتهم خالدا في طاعة وسمع خالد فسار حتى نزل دمشق وسار الى الصائفة وكان على دمشق يومئذ كلثوم ابن عياض القشيري وكان يبغض خالدا فظهر في دور دمشق حريق كل ليلة يفعله رجل من أهل العراق يقال له ابن العمرس فاذا وقع الحريق يسرقون وكان أولاد خالد واخوته بالساحل لحدث كان من الروم فكتب كلثوم الى هشام يخبره ان موالي خالد يريدون الوثوب على بيت المال وأنهم يحرقون البلد كل ليلة لهذا الفعل فكتب اليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد الصغير منهم والكبير ومواليهم فانفذ واحضر أولاد خالد واخوته من الساحل في الجوامع ومعهم مواليهم وحبس بنات خالد والنساء والصبيان ثم ظهر على ابن العمرس ومن كان معه فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج الى هشام يخبره بأخذ ابن العمرس وأصحابه باسمائهم وقبائلهم ولم يذكر فيهم أحدا من موالي خالد فكتب هشام الى كلثوم يشتمه ويأمره باطلاق آل خالد فاطلقهم وترك الموالي رجاء ان يشفع فيهم خالد اذا قدم من الصائفة ثم قدم خالد فنزل منزله في دمشق فاذن للناس فقام بنانه يحجبين فقال لا تحجبين فان هشاما كل يوم يسوقكن الى الحبس فدخل الناس فقام اولاده يسترون النساء فقال خالد خرجت غازيا سامعا مطيعا فخلفت في عقبي وأخذ حرمي وأهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين فما منع عصابة منكم ان تقولوا علام حبس حرم هذا السامع المطيع أخفتم ان تقتلوا جميعا أخافكم الله ثم قال مالي ولهشام ليكفن عني أو لأدعون الى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الاصل يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقد أذنت لكم ان تبلغوا هشاما فلما بلغه قال قد خرف أبو الهيثم وتتابعت كتب يوسف بن عمر الى هشام يطلب منه يزيد بن خالد بن عبد الله فارسل هشام الى كلثوم يأمره بانفاذ يزيد بن خالد بن عبد الله الى يوسف بن عمر فطلبه فهرب فاستدعى خالدا فحضر عنده فحبسه فسمع هشام فكتب الى كلثوم يلومه ويأمره بتخليته فاطلقه وكان هشام اذا أراد أمرا أمر الابرش الكلبي فكتب به الى خالد فكتب اليه الابرش انه بلغ أمير المؤمنين ان رجلا قال لك يا خالد اني لاحبك لعشر خصال ان الله كريم وأنت كريم والله جواد وأنت جواد والله رحيم وأنت رحيم حتى عد عشرا وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق ذلك عنده ليقتلنك فكتب اليه خالد ان ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز لاحد من أهل البغي والفجور أن يحرف ما كان فيه انما قال لي يا خالد اني لاحبك لعشر خصال ان الله كريم يحب كل كريم والله يحبك وأنا أحبك حتى عد عشر خصال ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقي الحميري الى أمير المؤمنين وقوله يا أمير المؤمنين خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك في حاجتك فقال بل خليفتي في أهلي فقال ابن شقي فانت خليفة الله ومحمد رسوله وضلال رجل من بجيلة يعني نفسه أهون على العامة من ضلال أمير المؤمنين فلما قرأ هشام كتابه قال خرف أبو الهيثم فاقام خالد بدمشق حتى هلك هشام وقام الوليد فكتب اليه الوليد ما حال الخمسين ألف ألف التي تعلم فاقدم على أمير المؤمنين فقدم عليه فارسل اليه الوليد وهو واقف بباب السرادق فقال يقول أمير المؤمنين اين ابنك يزيد فقال كان هرب من هشام وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فلما لم نره ظنناه ببلاد قومه من السراة ورجع الرسول وقال لا ولكنك خلفته طالبا للفتنة فقال قد علم أمير المؤمنين أنا أهل بيت طاعة فرجع الرسول فقال يقول لك أمير المؤمنين

عقب جعفر بن أبي طالب وخلف عليها حين استشهد عبد الله وعونا ومحمدا ابني جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن علي ولا عقب لهما وعقب عبد الله بن جعفر علي واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها علي بن أبي طالب فاولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس ابن عبد المطلب وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قريش لنسكه وزهده ورباه علي بن أبي طالب وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في أيام معاوية بن أبي سفيان (ومات أبو قحافة) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو ابن تسع

لنأتين به أو لأزهقن نفسك فرفع خالد صوته وقال قل له هذا أردت والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فامر الوليد بضربه فضرب فلم يتكلم فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر من العراق بالاموال فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف فارسل الوليد الى خالد ان يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف فان كنت تضمنها والا دفعتك اليه فقال خالد ما عهدت العرب تباع والله لو سألتني ان أضمن عودا ما ضمنته فدفعه الى يوسف فنزع ثيابه وألبسه عباءة وحمله في محمل بغير وطاء وعذبه عذابا شديدا وهو لا يكلمه كلمة ثم حمله الى الكوفة فعذبه ثم وضع المضرسة على صدره فقتله من الليل ودفنه من وقته بالحيرة في عباءته التي كان فيها وذلك في المحرم سنة ست وعشرين وقيل بل أمر يوسف فوضع على رجليه عود وقام عليه الرجال حتى تكسرت قدماه وما تكلم ولا عبس وكانت أم خالد نصرانية رومية ابتنى بها أبوه في بعض أعيادهم فاولدها خالدا وأسدا ولم تسلم وبنى لها خالد بيعة فذمه الناس والشعراء فمن ذلك قول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد
فكيف يؤم الناس من كانت امه * تدين بان الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد

وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد لانه بلغه ان شاعرا قال

ليتني في المؤذنين حياتي * انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فلما سمع هذا الشعر أمر بهدمها ولما بلغه ان الناس يذمونه لبنائه البيعة لامه قام يعتذر اليهم فقال لعن الله دينهم ان كان شرا من دينكم وكان يقول ان خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته يعني ان الخليفة هشاما أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم نبرأ الى الله من هذه المقالة

﴿ ذكر قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴾

في هذه السنة قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي يقال له الناقص في جمادى الآخرة وكان سبب قتله ما تقدم ذكره من خلاعته ومجانته فلما ولي الخلافة لم يزد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق الا تماديا فثقل ذلك على رعيته وجنده وكرهوا أمره وكان أعظم ما جنى على نفسه افساده بني عميه هشام والوليد فانه أخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه الى عمان من أرض الشام فحبسه بها فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد وأخذ جارية كانت لآل الوليد فكلمه عثمان بن الوليد في ردها فقال لا أردها فقال اذن تكثر الصواهل حول عسكرك وحبس الافقم يزيد بن هشام وفرق بين روح بن الوليد وبين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد فرماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه وقالوا قد اتخذ مائة جامعة لبني أمية وكان أشدهم فيه يزيد بن الوليد وكان الناس الى قوله أميل لانه كان يظهر النسك ويتواضع وكان قد نهاه سعيد بن بيهس بن صهيب عن البيعة لابنيه الحكم وعثمان لصغرهما فحبسه حتى مات في الحبس وأراد خالد بن عبد الله القسري على البيعة لابنيه فأبى فغضب عليه فقيل له لا تخالف أمير المؤمنين فقال كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته قالوا فتقبل شهادة الوليد مع فسقه قال أمير المؤمنين غائب عني وانما هي أخبار الناس ففسدت اليمانية عليه وفسدت عليه قضاعة وهم واليمن أكثر جند أهل الشام فاتى حريث وشبيب ابن أبي مالك الغساني ومنصور بن جمهور الكلبي وابن عمه حبال بن عمرو ويعقوب بن عبد الرحمن

ونسعين سنة وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة التي استخلف فيها عمر بن الخطاب رضي عنه وقد قيل انه مات في سنة أربع عشرة (ولما بويع) أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج علي فقال أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال أبو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومجاذبة في الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشام فقتل هناك في سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا أهل المسجدين ومن بينهما وأناسا من العرب قدم عدي ابن حاتم بأهل الصدقة الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه ففي ذلك يقول الحرث بن مالك الطائي

وفينا وفاء لم ير الناس مثله * وسربلنا مجدا عدي بن حاتم

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سمته اليهود في شيء من الطعام وأكل معه الحرث

وحميد بن منصور اللخمي والاصبغ بن ذؤالة والطفيل بن حارثة والسرى زياد الى خالد بن عبد الله القسرى فدعوه الى أمرهم فلم يجبهم وأراد الوليد الحج فخاف خالد ان يقتلوه في الطريق فنهاه عن الحج فقال ولم فاخبره فحبسه وأمر أن يطالب باموال العراق ثم استقدم يوسف بن عمر من العراق وطلب منه أن يحضر معه الاموال وأراد عزله وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فقدم يوسف باموال لم يحمل من العراق مثلها فلقيه حسان النبطي فاخبره ان الوليد يريد أن يولى عبد الملك بن محمد وأشار عليه أن يحمل الرشاء الى وزرائه ففرق فيهم خمسمائة ألف وقال له حسان اكتب على لسان خليفتك بالعراق كتابا انى كتبت اليك ولا أملك الا القصر وادخل على الوليد والكتاب معك مختوما واشتر منه خالدا ففعل فامره الوليد بالعود الى العراق واشترى منه خالدا القسرى بخمسين ألف ألف فدفعه اليه فاخذه معه في محمل بغير وطاء الى العراق فقال بعض أهل اليمن شعرا على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية وقيل انها للوليد يوبخ اليمن على ترك نصر خالد

ألم تهتج فتذكر الوصالا * وحبلا كان متصلا فزالا
بلى فالدمع منك الى انسجام * كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادكارك آل سعدى * فنحن الاكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسرا * نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الاشعرى بعز قيس * فيالك وطأة لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسير * ألا منعوه ان كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديما * جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز * لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا * يعالج من سلاسلنا الثقالا
وكندة والسكون فما استقاموا * ولا برحت خيولهم الرحالا
بها سمت البرية كل خسف * وهدمت السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم * وجثتهم وردتهم شلالا
فمازالوا لنا أبدا عبيدا * نسومهم المذلة والسفالا
فاصبحت الغداة على تاج * لملك الناس ما يبغى انتقالا

فعظم ذلك عليهم وسعوا في قتله وازدادوا حنقا وقال حمزة بن بيض في الوليد

وصلت سماء الضر بالضر بعدما * زعمت سماء الضر عنا ستقلع
فليت هشاما كان حيا يسوسنا * وكنا كما كنا نرجى ونطمع

وقال أيضا

ياوليد الخنى تركت الطريقا * واضحا وارتكبت فجا عميقا
وتماديت واعتديت وأسرفت * وأغويت وانبعثت فسوقا
أبدا هات ثم هات وهاتى * ثم هاتى حتى تخر صعيقا
أنت سكران ماتفيق فماتر * تق فتقا وقد فتقت فتوقا

فاتت اليمانية يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة فشاور عمرو بن يزيد الحكمى فقال له لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس فان بايعك لم يخالفك أحد وان أبى كان الناس له أطوع فان أبيت الا المضى على رأيك فاظهر أن أخاك العباس قد بايعك وكان الشام وبيا فخرجوا

ابن كلدة فعمى وكان السم لسنة ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوما ولما احتضر قال ما أنا الا على ثلاث فعلتها وددت أنى تركتها وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها وثلاث وددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التى فعلتها ووددت أنى تركتها فوددت أنى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاما كثيرا ووددت أنى لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا أو قتلته صريحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قد رميت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها وددت أنى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل لى أنه لا يرى شرا الا أعانه ووددت أنى كنت قد قذفت المشرق لعمر بن الخطاب فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت قمت مكانى فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة

الى

الى البوادى وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية أيضا بينهما اميال يسيرة فأتى يزيد أخاه العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك فرجع وبايع الناس سرا وبث دعاته فدعوا الناس ثم عاود أخاه العباس فاستشاره ودعاه الى نفسه فزجره وقال ان عدت لمثل هذا لاشدنك وثاقا وأحملنك الى أمير المؤمنين فخرج من عنده فقال العباس انى لاظنه اشأم مولود فى بنى مروان وبلغ الخبر مروان ابن محمد بارمينية فكتب الى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره ان ينهى الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنة ويخوفهم خروج الامر عنهم فاعظم سعيد ذلك وبعث الكتاب الى العباس فاستدعى العباس يزيد وتهدده فكتمه يزيد أمره فصدقه وقال العباس لاخيه بشر بن الوليد انى أظن ان الله قد أذن فى هلاككم يابنى مروان ثم تمثل

انى أعيذكم بالله من فتن * مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم * فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم * ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم * فثم لاحسرة تغنى ولا جزع

فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبد أقبل الى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال متنكرا فى سبعة نفر على حمير فنزلوا بجرود على مرحلة من دمشق ثم سار فدخل دمشق وقد بايع له أكثر أهلها سرا وبايع أهل المزة وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج فخاف الوباء فخرج منها فنزل قطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمى فاجمع يزيد على الظهور فقيل للعامل ان يزيد خارج فلم يصدق وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب ليلة الجمعة فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذن العشاء فدخلوا فصلوا وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس منه بالليل فلما صلى الناس أخرجهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد حتى لم يبق فى المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ومضى يزيد بن عنبسة الى يزيد بن الوليد فاعلمه وأخذ بيده فقال قم يا أمير المؤمنين وابشر بنصر الله وعونه فقام وأقبل فى اثنى عشر رجلا فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلا من أصحابهم ولقيهم زهاء مائتى رجل فمضوا الى المسجد فدخلوه وأخذوا باب المقصورة فضربوه فقالوا رسل الوليد ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا فأخذوا أبا العاج وهو سكران وأخذوا خزائن بيت المال وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذ وقبض محمد بن عبيدة وهو على بعلبك وأرسل بنى عذرا الى محمد بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذوه وكان بالمسجد سلاح كثير فأخذوه فلما أصبحوا جاء أهل المزة وتتابع الناس وجاءت السكاسك وأقبل أهل داريا ويعقوب بن محمد بن هانئ العبسى وأقبل عيسى بن شبيب التغلبى فى أهل دومة وحرستا وأقبل حميد بن حبيب اللخمى فى أهل دير مران والارزة وسطرا وأقبل أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكا وأقبل ربعى بن هاشم الحرثى فى الجماعة من بنى عذرة وسلامان وأقبلت جهينة ومن والاهم ثم وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصادف فى مائتى فارس ليأخذوا عبد الملك ابن محمد بن الحجاج بن يوسف من قصره فاخذوه بامان وأصاب عبد الرحمن خرجين فى كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار فقيل له خذ أحد هذين الخرجين فقال لا تتحدث العرب عنى انى أول من خان فى هذا الامر ثم جهز يزيد جيشا وسيرهم الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكان يزيد لما ظهر بدمشق سار مولى للوليد اليه فاعلمه الخبر وهو بالاغدف من عمان فضربه الوليد وحبسه وسير أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية الى دمشق

من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وددت أنى سألته عن ميراث العمة وبنت الاخ فان بنفسى منهما حاجة ووددت أنى سألته هل للانصار فى هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات أسماء ذات النطاقين وهى أم عبد الله ابن الزبير وعمرت مائتى سنة حتى عميت وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع فى بيعة على) بن أبى طالب اياه فمنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة أشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما انفذ ابو بكر الامراء الى الشام كان فيما أوصى به يزيد بن أبى سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير ومابعده واذا وعدت فأنجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسى بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فانه أول خيرك اليهم وأقلل حبسهم حتى يخرجوا

فسار بعض الطريق فأقام فارسل اليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصادف فسأله أبو محمد ثم بايع
ليزيد بن الوليد ولما أتى الخبر الى الوليد قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية سر حتى تنزل حمص
فانها حصينة و وجه الخيول الى يزيد فيقتل أو يؤسر فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص
ما ينبغى للخليفة ان يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل والله مؤيد امير المؤمنين وينصره فقال يزيد
ابن خالد وما نخاف على حرمه وانما أتاه عبد العزيز وهو ابن عمهن فأخذ بقول ابن عنبسة وسار
حتى أتى البخراء قصر النعمان بن بشير وسار معه من ولد الضحاك بن قيس أربعون رجلا فقالوا
له ليس لنا سلاح فلو أمرت لنا بسلاح فما أعطاهم شيأ ونازله عبد العزيز وكتب العباس بن الوليد
ابن عبد الملك الى الوليد انى آتيك فقال الوليد أخرجوا سريرا فاخرجوه فجلس عليه وانتظر
العباس فقاتلهم عبد العزيز ومعه منصور بن جمهور فبعث اليهم عبد العزيز زياد بن حصين
الكلبى يدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه فقتله أصحاب الوليد واقتتلوا قتالا شديدا وكان الوليد
قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذى كان عقده بالجابية وبلغ عبد العزيز مسير العباس الى الوليد
فأرسل منصور بن جمهور الى طريقه فأخذه قهرا وأتى به عبد العزيز فقال له بايع لاخيك يزيد
فبايع ووقف ونصبوا راية وقالوا هذه راية العباس قد بايع لامير المؤمنين يزيد فقال العباس انا لله
خدعة من خدع الشيطان هلك بنو مروان فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس وعبد العزيز
وأرسل الوليد الى عبد العزيز يبذل له خمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقى ويؤمنه من كل
حدث على ان ينصرف عن قتاله فأبى ولم يجبه فظاهر الوليد بين درعين وأتوه بفرسيه السندى
والراية فقاتلهم قتالا شديدا فناداهم رجل اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارجموه بالحجارة فلما سمع
ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب وقال

دعو الى سلمى والطلاء وقينة * وكأسا ألا حسبى بذلك مالا
اذا ما صفا عيشى برملة عالج * وعانقت سلمى ما أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم * ثباتا يساوى ما حييت عقالا
وخلوا عنانى قبل عير وما جرى * ولا تحسدونى أن أموت هزالا

فلما دخل القصر وأغلق الباب أحاط به عبد العزيز بن الوليد من الباب وقال اما فيكم رجل
شريف له حسب وحياء أكلمه قال يزيد بن عنبسة السكسكى كلمنى قال يا أخا السكاسك ألم أزد
فى أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ألم أعط فقراءكم ألم أخدم زمناكم فقال انا ما ننقم عليك
فى انفسنا انما ننقم عليك فى انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح امهات اولاد ابيك واستخفافك
بأمر الله قال حسبك يا أخا السكاسك فلعمرى لقد أكثرت واغرقت وان فيما احل لى لسعة عما ذكرت
ورجع الى الدار وجلس وأخذ مصحفا فنشره يقرأ فيه وقال يوم كيوم عثمان فصعدوا على
الحائط وكان اول من علاه يزيد بن عنبسة فنزل اليه فاخذ بيده وهو يريد ان يحبسه ويؤامر فيه
فنزل من الحائط عشرة منهم منصور بن جمهور وعبد السلام اللخمى فضربه عبد السلام على
رأسه وضربه السندى بن زياد بن أبى كبشة فى وجهه واحتزوا رأسه وسيروه الى يزيد فأتاه الرأس
وهو يتغدى فسجد وحكى له يزيد بن عنبسة ما قاله للوليد قال أحركلامه لا يرتق فتقكم ولا يلم
شعثكم ولا يجمع كلمتكم فأمر يزيد بنصب رأسه فقال له يزيد بن فروة مولى بنى مرة انما تنصب
رؤس الخوارج وهذا ابن عمك وخليفة ولا آمن ان نصبته ان ترق له قلوب الناس ويغضب له
أهل بيته فلم يسمع منه ونصبه على رمح فطاف به بدمشق ثم أمر به ان يدفع الى اخيه سليمان بن يزيد

وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذى تلى كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها واستوف عسكرك وأدل حرسك وأكثر مفاجآتهم فى ليلك ونهارك واصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن فيجبن من سواك (وقد أعرضنا) عن ذكر كثير من الاخبار فى هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر لعيسى الكذاب المعروف بلهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الانباء فى أمرهم وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى أم صادرة وهى التى يقول فيها قيس بن عاصم

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها
وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

أضل الله سعى بنى تميم
كما ضلت بخطبتها سجاح

فلما نظر اليه سليمان قال بعدا له اشهد انه كان شروبا للخمر ماجنا فاسقا ولقد ارادنى فى نفسى
الفاسق وكان سليمان ممن سعى فى أمره وكان مع الوليد مالك بن ابى السمح المغنى وعمرو الوادى
المغنى أيضا فلما انفرق عن الوليد أصحابه وحصر قال مالك لعمرو اذهب بنا فقال عمرو ليس هذا
من الوفاء ونحن لا يعرض لنا لانا لسنا ممن يقاتل فقال مالك والله لئن ظفروا بك وبى لا يقتل احد قبلى
وقبلك فيوضع رأسه بين رأسينا ويقال للناس انظروا من كان معه فى هذه الحال فلا يعيبونه بشئ
أشد من هذا فهربا وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وكانت مدة
خلافته سنة وثلاثة أشهر وقيل سنة وشهرين واثنتين وعشرين يوما وكان عمره اثنتين وأربعين
سنة وقيل قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل احدى وأربعين سنة وقيل ست وأربعين سنة

﴿ذكر نسب الوليد وبعض سيرته﴾

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد
مناف الاموى يكنى ابا العباس وامه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى وهى بنت اخى الحجاج
ابن يوسف وام أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وامها ام كلثوم بنت عبد الله بن عامر
ابن كريز وام عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب فلذلك يقول الوليد

نبى الهدى خالى ومن يك خاله * نبى الهدى يقهر به من يفاخره

وكان من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشجعانهم واجوادهم واشدائهم منهمكا فى اللهو والشرب
وسماع الغناء فظهر ذلك من أمره فقتل ومن جيد شعره ما قاله لما بلغه ان هشاما يريد خلعه

كفرت يدا من منعم لو شكرتها * جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

وقد تقدمت الابيات الاربعة واشعاره حسنة فى الغزل والعتاب ووصف الخمر وغير ذلك وقد أخذ
الشعراء معانيه فى وصف الخمر فسرقوها وأدخلوها فى أشعارهم وخاصة أبى نواس فانه أكثرهم
أخذا لها قال الوليد المحبة للغناء تزيد فى الشهوة وتهدم المروأة وتنوب عن الخمر وتفعل ما يفعل
السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء رقية الزنا وانى لاقول ذلك على انه احب الى
من كل لذة وأشهى الى نفسى من الماء الى ذى الغلة ولكن الحق أحق ان يتبع قيل ان يزيد
ابن منبه مولى ثقيف مدح الوليد وهناه بالخلافة فأمر أن تعد الابيات ويعطى بكل بيت ألف
درهم فعدت فكانت خمسين بيتا فاعطى خمسين ألف درهم وهو أول خليفة عد الشعر وأعطى
بكل بيت ألف درهم ومما اشتهر عنه أنه فتح المصحف فخرج واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فالقاه
ورماه بالسهام وقال

تهددنى بجبار عنيد * فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقنى الوليد

فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى قتل ومن حسن الكلام ما قاله الوليد لما مات مسلمة بن عبد الملك
فان هشاما قعد للعزاء فأتاه الوليد وهو نشوان يجر مطرف خز عليه فوقف على هشام فقال يا أمير
المؤمنين ان عقبى من بقى لحوق من مضى وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فهوى
وعلى أثر من سلف يمضى من خلف فتزودوا فان خير الزاد التقوى فأعرض هشام ولم يحر جوابا
وسكت القوم فلم ينطقوا وقد نزه قوم الوليد مما قيل فيه وانكروه ونفوه عنه وقالوا انه قيل عنه
والصق به وليس بصحيح قال المدائنى دخل ابن للغمر بن يزيد اخى الوليد على الرشيد فقال له ممن
أنت فقال من قريش قال من ايها فأمسك فقال قل وأنت آمن ولو انك مروان فقال أنا ابن الغمر

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثى وعمرو بن يحيى وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشى له مع رجل من الانصار وذلك فى سنة احدى عشرة وما كان من أمره مع الانصار فى يوم سقيفة بنى ساعدة والمهاجرين وقول المنذر بن الحباب أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلى الاوس عن معاضدة سعد خوفا ان يفوز بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاختيار فى الامامة وما قالوه فى امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

ابن يزيد فقال رحم الله عمك الوليد ولعن يزيد الناقص فانه قتل خليفة مجمعا عليه ارفع حوائجك فرفعها فقضاها وقال شبيب بن شبة كنا جلوسا عند المهدى فذكروا الوليد فقال المهدى كان زنديقا فقام أبو علاثة الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعدل من ان يولى خلافة النبوة أمر الامة زنديقا لقد أخبرنى من كان يشهد فى ملاعبه وشربه عنه برواة فى طهارته وصلاته فكان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التى عليه المطائب المصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلى فيها فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه فهذا فعال من لا يؤمن بالله فقال المهدى بارك الله عليك يا أبا علاثة

﴿ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص﴾

فى هذه السنة بويع يزيد بن الوليد الذى يقال له الناقص وانما سمى الناقص لانه نقص الزيادة التى كان الوليد زادها فى عطيات الناس وهى عشرة عشرة ورد العطاء الى ما كان أيام هشام وقيل أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد ولما قتل الوليد خطب يزيد الناس فذمه وذكر الحاده وانه قتله لفعله الخبيث وقال ايها الناس ان لكم على ان لا اضع حجرا على حجر ولا لبنة ولا أكرى نهرا ولا أكثر مالا ولا اعطيه زوجة وولدا ولا أنقل مالا عن بلد حتى اسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فما فضل نقلته الى البلد الذى يليه ولا أجمركم فى ثغوركم فافتنكم ولا أغلق بابى دونكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ولكم اعطياتكم كل سنة وارزاقكم فى كل شهر حتى يكون أقصاكم كادناكم فان وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن الوزارة وان لم أف فلكم ان تخلعونى الا ان اتوب وان علمتم أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم وأردتم أن تبايعوه فانا أول من يبايعه أيها الناس لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

﴿ذكر اضطراب أمر بنى أمية﴾

فى هذه السنة اضطرب امر بنى أمية وهاجت الفتنة فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام ابن عبد الملك بعد قتل الوليد بعمان وكان قد حبسه الوليد بها فخرج من الحبس وأخذ ما كان بها من الاموال واقبل الى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر

﴿ذكر خلاف أهل حمص﴾

لما قتل الوليد اغلق أهل حمص ابوابها وأقاموا النوائح والبواكى عليه وقيل لهم ان العباس ابن الوليد بن عبد الملك اعان عبد العزيز على قتله فهدموا داره ونهبوها وسلبوا حرمه وطلبوه فسار الى أخيه يزيد فكاتبوا الاجناد ودعوهم الى الطلب بدم الوليد فأجابوهم واتفقوا أن لا يطيعوا يزيد وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير ووافقهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك على ذلك فراسلهم يزيد فلم يسمعوا وجرحوا رسله فسير اليهم أخاه مسرورا فى جمع كثير فنزلوا حوارين ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فرد عليه يزيد ما كان الوليد أخذه من أموالهم وسيره الى أخيه مسرور ومن معه وأمرهم بالسمع والطاعة له وكان أهل حمص يريدون المسير الى دمشق فقال لهم مروان بن عبد الملك أرى ان تسيروا الى هذا الجيش فتقاتلوهم فان ظفرتم بهم كان ما بعدهم اهون عليكم ولست أرى المسير الى دمشق وترك هؤلاء خلفكم فقال السمط بن ثابت انما يريد خلافكم وهو مائل ليزيد والقدرية فقتلوه وقتلوا ابنه وولوا أبا محمد السفيانى وتركوا عسكر سليمان ذات اليسار وساروا الى دمشق فخرج سليمان مجدا فلحقهم بالسليمانية مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء وأرسل يزيد بن الوليد عبد العزيز بن الحجاج فى ثلاثة آلاف

قد كان عندك انباء وهينمة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

﴿ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فأقام الحج فى تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتل فى صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة أبو بكر الى جنب النبى صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبى بكر وحج فى خلافته تسع حجج وبعد أن قتل

الى ثنية العقاب وأرسل هشام بن مصاد فى الف وخمسمائة الى عقبة السلامية وأمرهم ان يمد بعضهم بعضا ولحقهم سليمان ومن معه على تعب فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت ميمنة سليمان وميسرته وثبت هو فى القلب ثم حمل أصحابه على أهل حمص حتى ردهم الى موضعهم وحمل بعضهم على بعض مرارا فبيناهم كذلك اذ اقبل عبد العزيز بن الحجاج من ثنية العقاب فحمل على أهل حمص حتى دخل عسكرهم وقتل فيه من عرض له فانهزموا ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى الله الله فى قومك فكف الناس ودعاهم سليمان بن هشام الى بيعة يزيد بن الوليد وأخذ أبو محمد السفيانى أسيرا ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية أيضا فاتى بهما سليمان فسيرهما الى يزيد فحبسهما واجتمع أمر أهل دمشق ليزيد بن الوليد وبايعه أهل حمص فاعطاهم يزيد العطاء وأجاز الاشراف واستعمل عليهم يزيد بن الوليد معاوية بن يزيد بن الحصين

﴿ذكر خلاف أهل فلسطين﴾

وفى هذه السنة وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وكان قد استعمله عليهم الوليد واحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم وقالوا له ان امير المؤمنين قد قتل فتول أمرنا فولاهم ودعا الناس الى قتال يزيد فاجابوه وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين وبلغ أهل الاردن أمر أهل فلسطين فولوا عليهم محمد بن عبد الملك واجتمعوا معهم على قتال يزيد بن الوليد وكان أمر أهل فلسطين الى سعيد بن روح وضبعان بن روح وبلغ خبرهم يزيد بن الوليد فسير اليهم سليمان ابن هشام بن عبد الملك فى أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفيانى وكانت عدتهم أربعة وثمانين ألفا وأرسل يزيد بن الوليد الى سعيد وضبعان ابنى روح فوعدهما وبذل لهما الولاية والمال فرحلا فى أهل فلسطين وبقى أهل الاردن فأرسل سليمان خمسة آلاف فنهبوا القرى وساروا الى طبرية فقال أهل طبرية ما نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم فى أهالينا فانتهبوا يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك وأخذوا دوابهما وسلاحهما ولحقوا بمنازلهم فلما تفرق أهل فلسطين والاردن سار سليمان حتى أتى الصبرة وأتاه أهل الاردن فبايعوا يزيد بن الوليد وسار الى طبرية فصلى بهم الجمعة وبايع من بها وسار الى الرملة فاخذ البيعة على من بها واستعمل ضبعان بن روح على فلسطين وابراهيم بن الوليد بن عبد الملك على الاردن

﴿ذكر عزل يوسف بن عمر عن العراق﴾

ولما قتل الوليد استعمل يزيد على العراق منصور بن جمهور وكان قد ندب قبله الى ولاية العراق عبد العزيز بن هرون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبى فقال لو كان معى جند لقبلت فتركه واستعمل منصورا ولم يكن منصور من أهل الدين وانما صار مع يزيد لرأيه فى الغيلانية وحمية لقتل يوسف خالدا القسرى فشهد لذلك قتل الوليد وقال له لما ولاه العراق اتق الله واعلم انى انما قتلت الوليد لفسقه ولما أظهر من الجور فلا تركب مثل ما قتلناه عليه ولما بلغ يوسف بن عمر قتل الوليد عمد الى من بحضرته من اليمانية فحبسهم ثم جعل يخلو بالرجل بعد الرجل من المضرية فيقول ما عندك ان اضطرب الحبل فيقول المضرى انا رجل من اهل الشام ابايع من بايعوا وافعل ما فعلوا فلم ير عندهم ما يحب فاطلق اليمانية واقبل منصور فلما كان بعين التمر كتب الى من بالحيرة من قواد اهل الشام يخبرهم بقتل الوليد وتأميره على العراق ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله وبعث الكتب كلها الى سليمان بن سليم بن كيسان ليفرقها على القواد فحبس الكتب وحمل كتابه فاقرأه يوسف بن عمر فتحير فى أمره وقال لسليمان ما الرأى قال ليس لك امام تقاتل معه ولا يقاتل أهل

صلى بالناس عبد الرحمن ابن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وصلى عليه صهيب الرومى وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

﴿وذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره﴾

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباح بن عبد الله ابن رداح بن عدى بن كعب وفى كعب يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وانما سمى الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمى بامير المؤمنين سماه عدى بن حاتم وقيل غيره والله أعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعاه بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعرى فلما قرئ ذلك على عمر قال انى لعبد الله وانى لأمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن الملبس شديدا فى ذات الله وتبعه عماله فى سائر أفعاله وشيمه

الشام معك ولا آمن عليك منصورا وما الرأى الان تلحق بشامك قال فكيف الحيلة قال تظهر الطاعة ليزيد وتدعو له فى خطبتك فاذا قرب منصور تستخفى عندى وتدعه والعمل ثم مضى سليمان الى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص فاخبره بأمره وسأله ان يوارى يوسف بن عمر عنده ففعل فانتقل يوسف اليه قال فلم ير رجل كان مثل عتوه خاف خوفه وقدم منصور الكوفة فخطبهم وذم الوليد ويوسف وقامت الخطباء فذموهما معه فاتى عمرو بن محمد الى يوسف فاخبره فجعل لا يذكر رجلا ممن ذكره بسوء الا قال لله على ان أضربه كذا وكذا سوطا فجعل عمرو يتعجب من طمعه فى الولاية وتهدده الناس وسار يوسف من الكوفة سرا الى الشام فنزل البلقاء فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجه اليه خمسين فارسا فعرض رجل من بنى نمير ليوسف فقال يا ابن عمر أنت والله مقتول فأطعنى وامتنع قال لا قال فدعنى أقتلك أنا ولا تقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك قال مالى فيما عرضت خيار قال فانت أعلم فطلبه المسيرون لاخذه فلم يروه فهددوا ابنا له فقال انه انطلق الى مزرعة له فساروا فى طلبه فلما احس بهم هرب وترك نعليه ففتشوا عليه فوجدوه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشيها حاسرات فجروا برجله وأخذوه وأقبلوا به الى يزيد فوثب عليه بعض الحرس فأخذ بلحيته ونتف بعضها وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة فلما أدخل على يزيد قبض على لحية نفسه وهى الى سرته فجعل يقول يا أمير المؤمنين نتفت والله لحيتى فما أبقى فيها شعرة فأمر به فحبس بالخضراء فاتاه انسان فقال له أما تخاف ان يطلع عليك بعض من قد وترت فيلقى عليك حجرا فيقتلك فقال ما فطنت لهذا فارسل الى يزيد يطلب منه ان يحول الى حبس غير الخضراء وان كان أضيق منه فعجب من حمقه فنقله وحبسه مع ابنى الوليد فبقى فى الحبس ولاية يزيد وشهرين وعشرة أيام من ولاية ابراهيم فلما قرب مروان من دمشق ولى قتلهم يزيد بن خالد القسرى مولى لابيه خالد يقال له أبو الاسد ودخل منصور بن جمهور لايام خلت من رجب فاخذ بيوت الاموال واخرج العطاء والارزاق وأطلق من كان فى السجون من العمال وأهل الخراج وبايع ليزيد بالعراق وأقام بقية رجب وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقين منه

﴿ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور﴾

وفى هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور وكان يزيد ولاها منصورا مع العراق وقد ذكرنا فيما تقدم ما كان من كتاب يوسف بن عمر الى نصر بالمسير اليه ومسير نصر وتباطئه وما معه من الهدايا فاتاه قتل الوليد فرجع نصر ورد تلك الهدايا واعتق الرقيق وقسم حسان الجوارى فى ولده وخاصته وقسم تلك الآنية فى عوام الناس ووجه العمال وأمرهم بحسن السيرة واستعمل منصور أخاه منظورا على الرى وخراسان فلم يمكنه نصر من ذلك وحفظ نفسه والبلاد منه ومن أخيه

﴿ذكر الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم﴾

لما قتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة على بن المهاجر استعمله عليها يوسف بن عمر فقال له المهير ابن سلمى بن هلال أحد بنى الدول بن حنيفة اترك لنا بلادنا فابى فجمع له المهير وسار اليه وهو فى قصره بقاع هجر فالتقوا بالقاع فانهزم على حتى دخل قصره ثم هرب الى المدينة وقتل المهير ناسا من أصحابه وكان يحيى بن أبى حفص نهى ابن المهاجر عن القتال فعصاه فقال

بذلت نصيحتى لبنى كلاب * فلم تقبل مشاورتى ونصحى

وأخلاقه كل تشبه به ممن غاب أو حضر وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالاديم ويشتغل بالعبادة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قدر زقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد بن عامر بن خريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تفل فراستى فيهم ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل وله يوم فى الشهر لا يخرج الينا فقال عمر على به فلما جمع بينهم وبينه فقال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلى خادم فاعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم فى الشهر لا يخرج

فدا لبنى حنيفة من سواهم * فانهم فوارس كل فتح

وقال شقيق بن عمرو السدوسى

اذا أنت سالمت المهير ورهطه * أمنت من الاعداء والخوف والذعر

فتى راح يوم القاع روحة ماجد * أراد بها حسن السماع مع الاجر

وهذا يوم القاع وتأمر المهير على اليمامة ثم انه مات واستخلف على اليمامة عبد الله بن النعمان أحد بنى قيس بن ثعلبة بن الدول فاستعمل عبد الله بن النعمان المندلث بن ادريس الحنفى على الفلج وهى قرية من قرى بنى عامر بن صعصعة وقيل هى لبنى تميم فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل وأبو الفلج المندلث وقاتلهم فقتل المندلث وأكثر أصحابه ولا يقتل من أصحاب بنى عامر كثير وقتل يومئذ يزيد بن الطثرية وهى أمه نسبت الى طثر عمر بن وائل وهو يزيد بن المنتشر فرثاه أخوه ثور بن الطثرية

أرى الاثل من نحو العقيق مجاورى * مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وقد كان يحمى المحجرين بسيفه * ويبلغ أقصى حجرة الحى نائله

وهو يوم الفلج الاول فلما بلغ عبد الله بن النعمان قتل المندلث جمع ألفا من حنيفة وغيرها وغزا الفلج فلما تصاف الناس انهزم ابو لطيفة بن مسلم العقيلى فقال الراجز

فر أبو لطيفة المنافق * والجفونيان وفر طارق * لما أحاطت بهم البوارق

طارق بن عبد الله القشيرى والجفونيان من بنى قشير وثبتت بنو جعدة البراذع وولوا فقتل أكثرهم وقطعت يد زياد بن حيان الجعدى فقال

أنشد كفا ذهبت وساعدا * أنشدها ولا أرانى واجدا

ثم قتل وقال بعض الربعيين

سمونا لكعب بالصفائح والقنا * وبالخيل شعثا تنحنى فى الشكائم

فما غاب قرن الشمس حتى رأيتنا * نسوق بنى كعب كسوق البهائم

بضرب يزيل الهام عن سكناته * وطعن كافواه المزاد الثواجم

وهذا اليوم هو يوم الفلج الثانى ثم ان بنى عقيل وقشيرا وجعدة ونميرا تجمعوا وعليهم أبو سهلة النميرى فقتلوا من اقوام من بنى حنيفة بمعدان الصحراء وسلبوا نساءهم وكفت بنو نمير عن النساء ثم ان عمر بن الوازع الحنفى لما رأى ما فعل عبد الله بن النعمان يوم الفلج الثانى قال لست بدون عبد الله وغيره ممن يغير وهذه فترة يؤمن فيها عقوبة السلطان فجمع خيله وأتى الشريف وبث خيله فاغارت وأغار هو فملئت يداه من الغنائم وأقبل ومن معه حتى أتى النشاش وأقبلت بنو عامر وقد حشدت فلم يشعر عمر بن الوازع الا برعاء الابل فجمع النساء فى فسطاط وجعل عليهن حرسا ولقى القوم فقاتلهم فانهزم هو ومن معه وهرب عمر بن الوازع فلحق باليمامة وتساقط من بنى حنيفة خلق كثير فى القلب من العطش وشدة الحر ورجعت بنو عامر بالاسرى والنساء وقال القحيف

وبالنشاش يوم طار فيه * لنا ذكر وعد لنا فعال

وقال أيضا

فداء خالتى لبنى عقيل * وكعب حين تزدحم الجدود

هم تركوا على النشاش صرعى * بضرب ثم أهونه شديد

وكفت قيس يوم النشاش عن السلب فجاءت عكل فسلبتهم وهذا يوم النشاش ولم يكن لحنيفة

الينا قال نعم ليس لى خادم فأغسل ثوبى ثم أجففه فأمسى فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل فراستى فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم خيرا قال ثم بعث اليه عمر بألف دينار وقال استعن بها فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الى من يأتينا وأحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بنى فلان ومسكين آل فلان حتى بقى منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال أنفقى هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسى وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببرذعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبى وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكى فقال له يا أبا عبد الله ما

بعده جمع غير أن عبيد الله بن مسلم الحنفي جمع جمعا وأغار على ماء لقشير يقال له حلبان فقال الشاعر

لقد لاقت قشير يوم لاقت * عبيد الله احدى المنكرات
لقد لاقت على حلبان ليثا * هزبر الاينام عن الترات

وأغار على عكل فقتل منهم عشرين ألفا ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري واليا على اليمامة من قبل أبيه يزيد بن عمر بن هبيرة حين ولي العراق لمروان الحمار فوردها وهم سلم فلم يكن حرب وشهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصب لهم المثنى لانه قيسي أيضا فضرب عدة من بني حنيفة وحلقهم فقال بعضهم

فان تضربونا بالسياط فاننا * ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وان تحلقوا منا الرؤس فاننا * قطعنا رؤسا منكم بالغلاصم

ثم سكنت البلاد ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفي مستخفيا حتى قدم السري بن عبد الله الهاشمي واليا على اليمامة لبني العباس فدل عليه فقتله فقال نوح بن جرير الخطفي

فلولا السري الهاشمي وسيفه * أعاد عبيد الله شرا على عكل

﴿ذكر عزل منصور عن العراق وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز﴾

في هذه السنة عزل يزيد بن الوليد بن عبد الملك منصور بن جمهور عن العراق واستعمل عليه بعده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال له لما ولاه سر الى العراق فان أهله يميلون الى أبيك فقدم الى العراق وقدم بين يديه رسلا الى من بالعراق من قواد الشام وخاف ان لا يسلم اليه منصور العمل فانقاد له أهل الشام وسلم اليه منصور العمل وانصرف الى الشام ففرق عبد الله العمال وأعطى الناس أرزاقهم واعطياتهم فنازعه قواد أهل الشام وقالوا تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدونا فقال لاهل العراق اني أريد ان أرد فيئكم عليكم وعلمت انكم أحق به فنازعني هؤلاء فاجتمع أهل الكوفة بالجبانة فارسل اليهم أهل الشام يعتذرون وثار غوغاء الناس من الفريقين فاصيب منهم رهط لم يعرفوا واستعمل عبد الله بن عمر على شرطته عمر بن الغضبان القبعثري وعلى خراج السواد والمحاسبات أيضا

﴿ذكر الاختلاف بين أهل خراسان﴾

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بخراسان بين النزارية واليمانية وأظهر الكرماني الخلاف لنصر بن سيار وكان السبب في ذلك ان نصرا رأى الفتنة قد ثارت فرفع حاصل بيت المال وأعطى الناس بعض اعطياتهم ورقا وذهبا من الآنية التي كان اتخذها للوليد فطلب الناس منه العطاء وهو يخطب فقال نصر اياكم والمعصية وعليكم بالطاعة والجماعة فوثب أهل السوق الى أسواقهم فغضب نصر وقال ما لكم عندي عطاء ثم قال كأني بكم وقد نبع من تحت أرجلكم شر لا يطاق وكأني بكم مطرحين في الاسواق كالجزر المنحورة انه لم تطل ولاية رجل الا ملوها وأنتم يا أهل خراسان مسلحة في نحور العدو فاياكم ان يختلف فيكم سيفان انكم ترشون أمرا تريدون به الفتنة ولا أبقى الله عليكم لقد نشرتكم وطويتكم فما عندي منكم عشرة واني واياكم كما قيل

استمسكوا أصحابنا نحذركم * فقد عرفنا خيركم وشركم

فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنين أحدكم انه يتخلع من ماله وولده يا أهل خراسان انكم قد غمصتم الجماعة وركنتم الى الفرقة ثم تمثل بقول النابغة الذبياني

فان يغلب شقاؤكم عليكم * فاني في صلاحكم سعيت

يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا اداوة وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشأم أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي فعذل على ذلك وقيل له انك بالشأم وأمير المؤمنين وحولنا الاعداء فغير من زيك وأصلح من شارتك فقال ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدي) في كتابه في فتوح الامصار أن عمر قام في المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه وقال انكم قد أصبحتم في غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى أرض فارس فقام أبو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب أبو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمر عليهم الا أول من انتدب فأمر أبا عبيدة وفي حديث

وقدم على نصر عهده على خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فقال الكرماني لاصحابه الناس في فتنة فانظروا الامور رجلا وانما سمي الكرماني لانه ولد بكرمان واسمه جديع بن علي الازدي المعني فقالوا له أنت لنا وقالت المضرية لنصر ان الكرماني يفسد عليك الامور فارسل اليه فاقتله أو احبسه فقال لا ولكن لي اولاد ذكور واناث فازوج بني من بناته وبناتي من بنيه قالوا لا قال فابعث اليه بمائة ألف درهم وهو بخيل ولا يعطي أصحابه شيأ منها فيتفرقون عنه قالوا لا هذه قوة له ولم يزالوا به حتى قالوا له ان الكرماني لو لم يقدر على السلطان والملك الا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود وكان نصر والكرماني متصافيين وكان الكرماني قد أحسن الى نصر في ولاية أسد ابن عبد الله فلما ولي نصر عزل الكرماني عن الرياسة وولاها غيره فتباعد ما بينهما فلما أكثروا على نصر في أمر الكرماني عزم على حبسه فارسل صاحب حرسه ليأتيه به فارادت الازد ان تخلصه من يده فمنعهم من ذلك وسار مع صاحب الحرس الى نصر وهو يضحك فلما دخل عليه قال له نصر يا كرماني ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعته وقلت شيخ خراسان وفارسها فحقنت دمك قال بلى قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس قال بلى قال ألم أرئس ابنك علينا على كره من قومك قال بلى قال فبدلت ذلك اجماعا على الفتنة قال الكرماني لم يقل الامير شيأ الا وقد كان أكثر منه وأنا لذلك شاكر وقد كان مني أيام أسد ما قد علمت فليتأن الامير فلست أحب الفتنة فقال سالم بن أحوز اضرب عنقه أيها الامير فقال عصمة بن عبد الله الاسدي للكرماني انك تريد الفتنة وما لا تناله فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم العامري لجلساء فرعون خير منكم اذ قالوا ارجه وأخاه والله لا يقتل الكرماني بقولكما فامر بضربه وحبس في القهندز لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة فتكلمت الازد فقال نصر اني حلفت أن أحبسه ولا يناله مني سوء فان خشيتم عليه فاختاروا رجلا يكون معه فاختاروا يزيد النحوي فكان معه فجاء رجل من أهل نسف فقال لآل الكرماني ما تجعلون لي ان اخرجته قالوا كل ما سألت فاتى مجرى الماء في القهندز فوسعه وقال لولد الكرماني اكتبوا الى أبيكم يستعد الليلة للخروج فكتبوا اليه وادخلوا الكتاب في الطعام فتعشى الكرماني ويزيد النحوي وخضر بن حكيم وخرجا من عنده ودخل الكرماني السرب فانطوت على بطنه حية فلم تضره وخرج من السرب وركب فرسه البشير والقيد في رجله فاتوا به عبد الملك بن حرملة فاطلق عنه وقيل بل خلص الكرماني مولى له رأى خرقا في القهندز فوسعه وأخرجه فلم يصل الصبح حتى اجتمع معه زهاء ألف ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف وكانت الازد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة على كتاب الله وسنة رسوله فلما خرج الكرماني قدمه عبد الملك فلما هرب الكرماني عسكر نصر بباب مرو الروذ وخطب الناس فنال من الكرماني فقال ولد بكرمان فكان كرمانيا ثم سقط الى هراة فصار هرويا والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت ولا فرع نابت ثم ذكر الازد فقال ان يستوسقوا فهم أذل قوم وان تأبوا فهم كما قال الاخطل

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

ثم ندم على ما فرط منه فقال اذكروا الله فانه خير لا شر فيه ثم اجتمع الى نصر بشر كثير فوجه سالم ابن أحوز في المجففة الى الكرماني فسفر الناس بين نصر والكرماني وسألوا نصرا ان يؤمنه ولا يحبسه وجاء الكرماني فوضع يده في يد نصر فأمره بلزوم بيته ثم بلغ الكرماني عن نصر شيء فخرج الى قرية له فخرج نصر فعسكر بباب مرو فكلموه فيه فامنه وكان رأى نصر اخراجه من

آخر انه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان اول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حريس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقي جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر فقال له سلمة ابن أسلم ايها الرجل انه ليس لك علم بما نرى وأنت تخالفنا وسوف تهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبراري فلا تريد الا أن تهلكهم في هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد جم ما ترى وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله يا سليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأي فلما

خراسان فقال له سالم بن احوز ان أخرجته ووهنت بأسه قال الناس انما أخرجه لانه هابه فقال نصر ان الذى اتخوفه منه اذا خرج ايسر مما أتخوفه منه وهو مقيم والرجل اذا نفى عن بلده صغر أمره فأبوا عليه فامنه وأعطى أصحابه عشرة عشرة وأتى الكرمانى نصرا فامنه فلما عزل ابن جمهور عن العراق وولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى شوال سنة ست وعشرين خطب نصر وذكر ابن جمهور وقال قد علمت انه لم يكن من عمال العراق وقد عزله الله واستعمل الطيب ابن الطيب فغضب الكرمانى لابن جمهور وعاد فى جمع الرجال واتخاذ السلاح فكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة وأكثر وأقل فيصلى خارج المقصورة ثم يدخل فيسلم على نصر ولا يجلس ثم ترك اتيان نصر وأظهر الخلاف فارسل اليه نصر مع سالم بن أحوز يقول له انى والله ما أردت بحبسك سوأ ولكن خفت فسادا من الناس فأتنى فقال لولا انك فى منزلى لقتلتك ارجع الى ابن الاقطع وأبلغه ماشئت من خير أو شر فرجع الى نصر فاخبره فلم يزل يرسل اليه مرة بعد أخرى فكان آخر ما قال له الكرمانى انى لا آمن ان يحملك قوم على غير ما تريد فتركب منا ما لا بقية بعده فان شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ولكن أكره ان أشأم أهل هذه البلدة واسفك الدماء فيها فتهيأ للخروج الى جرجان (المعنى بفتح الميم وسكون العين المهملة وبعدها نون نسبة الى قبيلة من الازد)

﴿ذكر خبر الحرث بن سريج وأمانه﴾

وفى هذه السنة أومن الحرث بن سريج وهو ببلاد الترك وكان مقامه عندهم اثنتى عشرة سنة وأمر بالعود الى خراسان وكان السبب فى ذلك ان الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر والكرمانى خاف نصر قوة الحرث عليه فى أصحابه والترك فيكون اشد عليه من الكرمانى وغيره وطمع ان يناصحه فارسل مقاتل بن حيان النبطى وغيره ليردوه من بلاد الترك وسار خالد بن زياد الترمذى وخالد بن عمرو مولى بنى عامر الى يزيد بن الوليد فأخذا للحرث منه أمانا فكتب له أمانه وأمر نصر أن يرد عليه ما أخذ له وأمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة بذلك أيضا فاخذ الامان وسارا الى الكوفة ثم الى خراسان فارسل نصر اليه فلقيه الرسول وقد رجع مع مقاتل بن حيان وأصحابه فوصل الى نصر وقام بمرو الروذ ورد نصر عليه ما أخذ له وكان عوده سنة سبع وعشرين ومائة

﴿ذكر شيعة بنى العباس﴾

فى هذه السنة وجه ابراهيم بن محمد الامام أبا هاشم بكير بن ماهان الى خراسان وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة فنعى اليهم محمد بن على ودعاهم الى ابنه ابراهيم ودفع اليهم كتابه فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة فقدم بها بكير على ابراهيم

﴿ذكر بيعة ابراهيم بن الوليد بالعهد﴾

وفى هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لاخيه ابراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكان السبب فى ذلك ان يزيد مرض سنة ست وعشرين ومائة فقيل له ليبايع لهما ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لهما

﴿ذكر مخالفة مروان بن محمد﴾

وفى هذه السنة أظهر مروان بن محمد الخلاف ليزيد بن الوليد وكان السبب فى ذلك ان الوليد لما قتل كان عبد الملك بن مروان بن محمد مع الغمر بن يزيد أخى الوليد بحران بعد انصرافه من الصائفة وكان على الجزيرة عبدة بن الرياح الغسانى عاملا للوليد فلما قتل الوليد سار عبدة عنها

قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأى سليط أن لا يعبر حتى يعبروا عليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط فى بعض قوله لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكنى أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت واشركنى عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة فى هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل ورمحه فى يده فطعنه فى عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيدة وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش

الى الشام فوثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حران والجزيرة فضبطهما وكتب الى أبيه بارمينية يعلمه بذلك ويشير عليه بتعجيل السير فتهيأ مروان للمسير وأنفذ الى الثغور من يضبطها ويحفظها وأظهر انه يطلب بدم الوليد وسار ومعه الجنود ومعه ثابت بن نعيم الجذامى من أهل فلسطين وسبب صحبته له ان هشاما كان قد حبسه وسبب حبسه ان هشاما أرسله الى افريقية لما قتلوا عامله كلثوم بن عياض فأفسد الجند فحبسه هشام وقدم مروان على هشام فى بعض وفداته فشفع فيه فاطلقه فاستصحبه معه فلما سار مروان مسيره هذا أمر ثابت بن نعيم من مع مروان من أهل الشام بالانضمام اليه ومفارقة مروان ليعودوا الى الشام فاجابوه الى ذلك فاجتمع معه ضعف من مع مروان وباتوا يتحارسون فلما أصبحوا اصطفوا للقتال فامر مروان منادين ينادون بين الصفين يا أهل الشام ما دعاكم الى هذا ألم أحسن فيكم السيرة فاجابوه بانا كنا نطيعك بطاعة الخليفة وقد قتل وبايع أهل الشام يزيد فرضينا بولاية ثابت ليسير بنا الى اجنادنا فنادوهم كذبتم فانكم لا تريدون ما قلتم وانما تريدون ان تغصبوا من مررتم به من أهل الذمة أموالهم وما بينى وبينكم الا السيف حتى تنقادوا الى فاسير بكم الى الغزاة ثم أترككم تلحقون باجنادكم فانقادوا له فاخذ ثابت بن نعيم وأولاده وحبسهم وضبط الجند حتى بلغ حران وسيرهم الى الشام ودعا أهل الجزيرة الى العرض فعرض نيفا وعشرين ألفا وتجهز للمسير الى يزيد وكاتبه يزيد ليبايع له ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وارمينية والموصل واذربيجان فبايع له مروان وأعطاه يزيد ولاية ما ذكر له

﴿ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك﴾

وفى هذه السنة توفى يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة وكانت خلافته ستة أشهر وليلتين وقيل كانت ستة أشهر واثنى عشر يوما وقيل خمسة أشهر واثنى عشر يوما وكان موته بدمشق وكان عمره ستا وأربعين سنة وقيل سبعا وثلاثين سنة وكانت أمه أم ولد اسمها شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو القائل

أنا ابن كسرى وأبى مروان * وقيصر جدى وجدى خاقان

انما جعل قيصر وخاقان جديه لان أم فيروز بن يزدجرد ابنة كسرى شيرويه بن كسرى وأمها ابنة قيصر وأم شيرويه ابنة خاقان ملك الترك وكان آخر ما تكلم به واحسرتاه وا اسفاه ونقش خاتمه العظمة لله وهو أول من خرج بالسلاح يوم العيد خرج بين صفين عليهم السلاح قيل انه كان قدريا وكان أسمر طويلا صغير الرأس جميلا

﴿ذكر خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك﴾

فلما مات يزيد بن الوليد قام بالامر بعده أخوه ابراهيم غير انه لم يتم له الامر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما فمكث أربعة أشهر وقيل سبعين يوما ثم سار اليه مروان بن محمد فخلعه على ما نذكره ثم لم يزل حيا حتى أصيب سنة اثنتين وكنيته أبو اسحق وأمه أم ولد

﴿ذكر استيلاء عبد الرحمن بن حبيب على افريقية﴾

كان عبد الرحمن بن حبيب بن ابى عبيدة بن عقبة بن نافع قد انهزم لما قتل أبوه وكلثوم بن عياض سنة اثنتين وعشرين ومائة وسار الى الاندلس وقد ذكرناه وأراد أن يتغلب عليها فلم يمكنه ذلك فلما ولى حنظلة بن صفوان افريقية على ما ذكرناه وجه أبا الخطار الى الاندلس أميرا فايس

فارس فى هذا اليوم حادويه ومعه راية فارس التى كانت لافريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهى المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا فى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها فى الامر الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية فى أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفى بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر بالناس وحثهم على الجهاد وأمرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف ودعا الناس فاستشارهم فأشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلى ما ترى يا أبا الحسن أسير أم أبعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس فى جلة مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون

حينئذ عبد الرحمن مما كان يرجوه فعاد الى افريقية وهو خائف من أبي الخطار وخرج بتونس
من افريقية فى جمادى الاولى سنة ست وعشرين وقد ولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة
بالشام فدعا الناس الى نفسه فاجابوه فسار بهم الى القيروان فاراد من بها قتاله فمنعهم حنظلة
وكان لا يرى القتال الا لكافر أو خارجى وأرسل اليه حنظلة رسالة مع جماعة من أعيان
القيروان رؤساء القبائل يدعوه الى مراجعة الطاعة فقبضهم وأخذهم معه الى القيروان وقال
ان رمى أحد من أهل القيروان بحجر قتلت من عندى أجمعين فلم يقاتله أحد فخرج حنظلة الى
الشام واستولى عبد الرحمن على القيروان سنة سبع وعشرين ومائة وسائر افريقية ولما خرج
حنظلة الى الشام دعا على أهل افريقية وعبد الرحمن فاستجيب له فيهم فوقع الوباء والطاعون
سبع سنين لم يفارقهم الا فى أوقات متفرقة وثار بعبد الرحمن جماعة من العرب والبربر ثم قتل بعد
ذلك فممن خرج عليه عروة بن الوليد الصدفى واستولى على تونس وقام أبو عطاف عمران بن عطاف
الازدى فنزل بطيفاس وثارت البربر بالجبال وخرج عليه ثابت الصنهاجى بباجة فاخذها
فاحضر عبد الرحمن أخاه الياس وجعل معه ستمائة فارس وقال له سر حتى تجتاز بعسكر أبى عطاف
الازدى فاذا رآك عسكره فارقهم وسر عنهم كانك تريد تونس الى قتال عروة بن الوليد بها فاذا
أتيت موضع كذا فقف فيه حتى يأتيك فلان بكتابى فافعل بما فيه فسار الياس ودعا عبد الرحمن
انسانا وهو الرجل الذى قال لاخيه الياس عنه وأعطاه كتابا وقال له امض حتى تدخل عسكر أبى
عطاف فاذا أشرف عليهم الياس ورأيتهم يدعون السلاح والخيل فاذا فارقهم الياس ووضعوا
السلاح عنهم وأمنوا فسر اليه وأوصل كتابى اليه فمضى الرجل ودخل عسكر أبى عطاف
وقاربهم الياس فتحركوا للركوب ثم فارقهم الياس نحو تونس فسكنوا وقالوا قد دخل بين فكى
أسد نحن من ههنا وأهل تونس من هنالك وأمنوا وصمموا العزم على المسير خلفه فلما أمنوا سار
ذلك الرجل الى الياس فأوصل اليه كتاب أخيه عبد الرحمن فاذا فيه ان القوم قد أمنوك فسر اليهم
وهم فى غفلتهم فعاد الياس اليهم وهم غارون فلم يلحقوا يلبسون سلاحهم حتى دهمهم فقتلهم وقتل
أبا عطاف أميرهم سنة ثلاثين ومائة وأرسل الى أخيه عبد الرحمن يبشره بذلك فكتب اليه
عبد الرحمن يأمره بالمسير الى أهل تونس وقول انهم اذا رأوك ظنوك أبا عطاف فامنوك فظفرت
بهم فسار اليهم فكان كما قال عبد الرحمن ووصل اليها صاحبها عروة بن الوليد فى الحمام فلم يلحق
يلبس ثيابه حتى غشيه الياس فالتحف بنشفة ينشف بها بدنه وركب فرسه عريانا وهرب فصاح
به الياس يا فارس العرب فعاد اليه فضربه الياس واحتضنه عروة فسقطا الى الارض وكاد عروة
يظهر على الياس فأتاه مولى لالياس فقتله واحتز رأسه وسيره الى عبد الرحمن وأقام الياس
بتونس وخرج عليه رجلان بطرابلس اسمهما عبد الجبار والحرث وقتلا من أهل البلد جماعة
كثيرة فسار اليهم عبد الرحمن سنة احدى وثلاثين ومائة وقاتلهما فقتلا وكانا يدينان بمذهب
الاباضية من الخوارج وجد عبد الرحمن فى قتال البربر وعمر عبد الرحمن سور طرابلس سنة
اثنتين وثلاثين ومائة ثم انه عاد الى القيروان وغزا تلمسان وبها جمع كثير من البربر فظفر بهم وذلك
سنة خمس وثلاثين وسير جيشا الى صقلية فظفروا وغنموا غنيمة كثيرة وبعث جيشا آخر الى
سردانية فغنموا وقتلوا فى الروم ودوخ المغرب جميعه ولم ينهزم له عسكر وقتل مروان بن محمد
وزالت دولة بنى أمية وعبد الرحمن بافريقية فخطب للخلفاء العباسيين وأطاع السفاح ثم قدم عليه
جماعة من بنى أمية فتزوج هو واخوته منهم وكان فيمن قدم عليه منهم العاص وعبد المؤمن ابنا

الوليد

للمسلمين ان انهزموا فئة
وخرجوا فدخل اليه عبد
الرحمن بن عوف فاستشاره
فقال عبد الرحمن فديت
بأبى وأمى أقم وابعث فانه
ان انهزم جيشك فليس
ذلك كهزيمتك وانك ان
تهزم أو تقتل يكفر المسلمون
ولا يشهدون أن لا اله الا
الله أبدا قال أشر على من
أبعث قال قلت سعد بن
أبى وقاص قال عمر أعلم أن
سعدا رجل شجاع ولكنى
أخشى أن لا يكون له
معرفة بتدبير الحرب قال
عبد الرحمن هو على ما تصف
من الشجاعة وقد صحب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه
عهدا وشاورنا فيما أردت
أن تحدث اليه فانه لن
يخالف أمرك ثم خرج
فدخل عثمان عليه فقال
له يا أبا عبد الله أشر على أسير
أم أقيم فقال عثمان أقم
يا امير المؤمنين وابعث
بالجيوش فانه لا آمن ان
أتى عليك آت أن ترجع
العرب عن الاسلام ولكن
ابعث الجيوش وداركها
بعضها على بعض وابعث
رجلا له تجربة بالحرب
ومضربها قال عمر ومن هو
قال على بن أبى طالب قال
فالقه وكلمه وذاكره ذلك
فهل تراه مسرعا اليه أولا

الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت ابنة عمهما تحت الياس اخى عبد الرحمن فبلغ عبد الرحمن عنهما
السعى فى الفساد عليه فقتلهما فقالت ابنة عمهما لزوجها الياس ان أخاك قد قتل اختانك ولم
يراقبك فيهم وتهاون بك وانت سيفه الذى يضرب به وكلما فتحت له فتحا كتب الى الخلفاء ان ابنى
حبيبا فتحه وقد جعل له العهد بعده وعزلك عنه ولم تزل تغريه به فتحرك لقولها واعمل الحيلة على
اخيه ثم ان السفاح توفى وولى الخلافة بعده المنصور فأقر عبد الرحمن على افريقية وارسل اليه
خلعة سوداء اول خلافته فلبسها وهى اول سواد دخل افريقية فأرسل اليه عبد الرحمن هدية
وكتب يقول ان افريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبى منها والمال فلا تطلب منى مالا
فغضب المنصور وأرسل اليه يتهدده فخلع المنصور بافريقية ومزق خلعته وهو على المنبر وكان خلع
المنصور مما أعان أخاه الياس عليه فاتفق جماعة من وجوه القيروان معه على ان يقتلوا عبد
الرحمن ويولوه ويعيدوا الدعاء للمنصور فبلغ عبد الرحمن فأمر أخاه الياس بالمسير الى تونس فتجهز
ودخل اليه يودعه ومعه أخوه عبد الوارث فلما دخلا على عبد الرحمن قتلاه وكان قتله فى ذى الحجة
سنة سبع وثلاثين ومائة وكانت امارته على افريقية عشر سنين وسبعة أشهر ولما قتل ضبط الياس
أبواب الدار ليأخذ ابنه حبيبا فلم يظفر به وهرب حبيب الى تونس واجتمع بعمه عمران بن حبيب
وأخبره بقتل أبيه وسار الياس اليهما واقتتلوا قتالا يسيرا ثم اصطلحوا على ان يكون لحبيب قفصة
وقسطيلة ونفزة ويكون لعمران تونس وصطفورة والجزيرة ويكون سائر افريقية لالياس وكان
هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة فلما اصطلحوا سار حبيب بن عبد الرحمن الى عمله ومضى الياس
مع أخيه عمران الى تونس فغدر بعمران أخيه وقتله وأخذ تونس وقتل بها جماعة من أشراف
العرب وعاد الى القيروان فلما استقر بها بعث بطاعته الى المنصور مع وفد منهم عبد الرحمن بن زياد
ابن أنعم قاضى افريقية ثم سار حبيب الى تونس فملكها فسار اليه الياس واقتتلوا قتالا ضعيفا فلما
جنهم الليل ترك حبيب خيامه وسار جريدة الى القيروان فدخلها وأخرج من فى السجن وكثر
جمعه ورجع الياس فى طلبه ففارقه أكثر أصحابه وقصدوا حبيبا فعظم جيشه وخرج اليه فالتقيا
فغدر أصحاب الياس وبرز حبيب بين الصفين فقال له لم نقتل صنائعنا وموالينا ولكن ابرز أنت
الى فأينا قتل صاحبه استراح منه فتوقف الياس ثم برز اليه فاقتتلا قتالا شديدا فكسر فيه رمحاهما
ثم سيفاهما ثم ان حبيبا عطف عليه فقتله ودخل القيروان وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين ومائة
وهرب اخوة الياس الى بطن من البربر يقال لهم ورفجومة فاعتصموا بهم فسار اليهم حبيب
فقاتلهم فهزموه فسار الى قابس وقوى أمر ورفجومة حينئذ وأقبلت البربر اليهم والخوارج وكان
مقدم ورفجومة رجلا اسمه عاصم بن جميل وكان قد ادعى النبوة والكهانة فبدل الدين وزاد فى
الصلاة وأسقط ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من الاذان فجهز عاصم من عنده من العرب على قصد
القيروان وأتاه رسل جماعة من أهل القيروان يدعونه اليهم وأخذوا عليه العهود والمواثيق
بالحماية والصيانة والدعاء للمنصور فسار اليهم عاصم فى البربر والعرب فلما قاربوا القيروان خرج من
بها لقتالهم فاقتتلوا وانهزم أهل القيروان ودخل عاصم ومن معه القيروان فاستحلت ورفجومة
المحرمات وسبوا النساء والصبيان وربطوا دوابهم فى الجامع وأفسدوا فيه ثم سار عاصم يطلب
حبيبا وهو بقابس فأدركه واقتتلوا وانهزم حبيب الى جبل اوراس فاحتمى به وقام بنصره من به
ولحق به عاصم فالتقوا واقتتلوا فانهزم عاصم وقتل هو وأكثر أصحابه وسار حبيب الى القيروان
فخرج اليه عبد الملك بن أبى الجعد وقد قام بأمر ورفجومة بعد قتل عاصم فاقتتل هو وحبيب فانهزم

فخرج عثمان فلقى عليا
فذكر ذلك فأبى على ذلك
وكرهه فعاد عثمان فأخبره
فقال له عمر ومن ترى قال
سعيد بن زيد بن عمرو بن
نفيل قال ليس بصاحب
ذلك قال عثمان وطلحة بن
عبيد الله قال له عمر اين أنت
من رجل شجاع ضروب
بالسيف رام بالنبل ولكنى
أخشى أن لا يكون له
معرفة بتدبير الحرب قال
ومن هو يا أمير المؤمنين
قال سعد قال عثمان هو
صاحب ذلك ولكنه
رجل غائب فى عمل قال
عمر أرى أن أوجهه
وأكتب اليه أن يسير
من وجهه ذلك قال عثمان
ومره فليشاور قوما من
أهل التجربة والتبصر
بالحرب ولا يقطع الامور
حتى يشاورهم ففعل عمر
ذلك وكتب الى سعد
بالتوجه نحو العراق (وقد
كان جرير) بن عبد الله
البجلى قدم على عمر وقد
اجتمعت اليه بجيلة
فسرحهم نحو العراق
وجعل لهم ربعا فأظهروا
عليه من السواد وساهمهم
مع المسلمين وخرج عمر
فشيعهم ولحق جرير بناحية
الايلة ثم صاعد الى ناحية
المدائن ونمى قدوم جرير
الى مرزبان المدائن وكان

حبيب وقتل هو وجماعة من أصحابه في المحرم سنة أربعين ومائة وكانت امارة عبد الرحمن بن حبيب على افريقية عشر سنين وأشهرا وامارة أخيه الياس سنة وستة أشهر وامارة ابنه حبيب ثلاث سنين

﴿ذكر اخراج ورفجومة من القيروان﴾

ولما قتل حبيب بن عبد الرحمن عاد عبد الملك بن أبي الجعد الى القيروان وفعل ما كان يفعله عاصم من الفساد والظلم وقلة الدين وغير ذلك ففارق القيروان أهلها فاتفق ان رجلا من الاباضية دخل القيروان لحاجة له فرأى ناسا من الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهرا والناس ينظرون فادخلوها الجامع فترك الاباضي حاجته وقصد أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري فاعلمه ذلك فخرج أبو الخطاب وهو يقول لبيك اللهم لبيك فاجتمع اليه أصحابه من كل مكان وقصدوا طرابلس الغرب واجتمع اليه الناس من الاباضية والخوارج وغيرهم وسير اليهم عبد الملك مقدم ورفجومة جيشا فهزموه وساروا الى القيروان فخرجت اليهم ورفجومة واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أهل القيروان الذين مع ورفجومة وخذلوهم فتبعهم ورفجومة في الهزيمة وكثر القتل فيهم وقتل عبد الملك الورفجومي وتبعهم أبو الخطاب يقتلهم حتى أسرف فيهم وعاد الى طرابلس واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي وكان قتل ورفجومة في صفر سنة احدى وأربعين ثم ان جماعة كثيرة من المسودة سيرهم محمد بن الاشعث الخزاعي أمير مصر للمنصور الى طرابلس لقتال أبي الخطاب وعليهم أبو الاحوص عمر بن الاحوص العجلي فخرج اليهم أبو الخطاب وقاتلهم وهزمهم سنة اثنتين وأربعين فعادوا الى مصر واستولى أبو الخطاب على سائر افريقية فسير اليه المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي أميرا على افريقية فسار من مصر سنة ثلاث وأربعين فوصل اليها في خمسين ألفا وجهز معه الاغلب بن سالم التميمي وبلغ أبا الخطاب مسيره فجمع أصحابه من كل ناحية فكثر جمعه وخافه ابن الاشعث لكثرة جموعه فتنازعت زناتة وهوارة بسبب قتيل من زناتة فاتهمت زناتة أبا الخطاب بالميل اليهم ففارقه جماعة منهم فقوي جنان ابن الاشعث وسار سيرا رويدا ثم اظهر ان المنصور قد أمره بالعود وعاد الى ورائه ثلاثة أيام سيرا بطيئا فوصلت عيون أبي الخطاب وأخبرته بعوده فتفرق عنه كثير من أصحابه وامن الباقون فعاد ابن الاشعث وجعل عسكره مجدا فصبح أبا الخطاب وهو غير متأهب للحرب فوضعوا السيوف في الخوارج واشتد القتال فقتل أبو الخطاب وعامة أصحابه في صفر سنة أربع وأربعين ومائة وظن ابن الاشعث ان مادة الخوارج قد انقطعت واذاهم قد أظل عليهم أبو هريرة الزناتي في ستة عشر ألفا فلقيهم ابن الاشعث وقتلهم جميعا سنة أربع وأربعين وكتب الى المنصور بظفره ورتب الولاة في الاعمال كلها وبنى سور القيروان فيها وتم سنة ست وأربعين وضبط افريقية وامعن في طلب كل من خالفه من البربر وغيرهم فسير جيشا الى زويلة وودان فافتتح ودان وقتل من بها من الاباضية وافتتح زويلة وقتل مقدمهم عبد الله بن سنان الاباضي وأهل الباقين فلما رأى البربر وغيرهم من أهل العبث والخلاف على الامراء ذلك خافوه خوفا شديدا واذعنوا له بالطاعة فثار عليه رجل من جنده يقال له هاشم بن الشاحج بقمونية وتبعه كثير من الجند فسير اليه ابن الاشعث قائدا في عسكر فقتله هاشم وانهزم أصحابه وجعل المضرية من قواد ابن الاشعث يأمرون أصحابهم باللحاق بهاشم كراهية لابن الاشعث لانه تعصب عليهم فبعث اليه ابن الاشعث جيشا آخر فاقتتلوا وانهزم هاشم ولحق بتاهرت وجمع طغام البربر فبلغت عدة عسكره عشرين ألفا فسار بهم الى تهوذة فسير اليه

في عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيدة وسليط فقال بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأي وقد مضى لكم في ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن أمهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فأقامت الفرس أياما بالمدائن ثم أخذوا في العبور فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن سرع معه من بجيلة فثبتوا ساعة فقتل المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم في دجلة وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالعجلة وأقبل اليهما مهران في جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ضربه البجلي وطعنه الضبي وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في أيهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ولحسان في

ابن الاشعث جيشا فانهزم هاشم وقتلوا كثيرا من أصحابه البربر وغيرهم فسار الى ناحية طرابلس وقدم رسول من المنصور الى هاشم يلومه على مفارقة الطاعة فقال ما خالفت ولكني دعوت للمهدي بعد أمير المؤمنين وأنكر ابن الاشعث ذلك وأراد قتلي فقال له الرسول فان كنت على الطاعة فمد عنقك فضربه بالسيف فقتله سنة سبع وأربعين في صفر وبذل الامان لاصحاب هاشم جميعهم فعادوا وتبعهم ابن الاشعث بعد ذلك فقتلهم فغضب المضرية واجتمعت على عداوته وخلافه واجتمع رأيهم على اخراجه فلما رأى ذلك سار عنهم ولقيته رسل المنصور بالبر والاكرام فقدم عليه واستعمل المضرية على افريقية بعده عيسى بن موسى الخراساني وكان بعد مسير ابن الاشعث تأمير الخراساني ثلاثة أشهر واستعمل المنصور الاغلب التميمي على ما نذكره في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائة وانما أوردنا هذه الحوادث متتابعة لتعلق بعضها ببعض على ما شرطناه وقد ذكرنا كل حادثة في أي سنة كانت فحصل الغرضان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة واستعمل عبد العزيز بن عمرو بن عثمان فقدمها في ذي القعدة من السنة وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وقيل عمر بن عبد الله بن عبد الملك وكان العامل على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى وعلى البصرة المسور بن عمر بن عباد وعلى قضائها عامر بن عبيدة وعلى خراسان نصر بن سيار الكناني وفيها كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أمير الجزيرة الغمر ابن يزيد بن عبد الملك يحثه على الطلب بدم أخيه الوليد ويعده المساعدة له وانجاده على ذلك وفيها مات سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وقيل سنة سبع وعشرين وسعيد بن أبي سعيد المقبري ومالك بن دينار الزاهد وقيل مات سنة سبع وعشرين وقيل سنة ثلاثين وفيها توفي الكميت بن زيد الشاعر الاسدي وكان مولده سنة ستين وفيها توفي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وقيل سنة احدى وثلاثين وفي امارة يوسف بن عمر على العراق توفي أبو جمرة الضبعي صاحب ابن عباس (جمرة بالجيم والراء المهملة)

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر مسير مروان الى الشام وخلع ابراهيم﴾

وفي هذه السنة سار مروان الى الشام لمحاربة ابراهيم بن الوليد وكان السبب في ذلك ما قد ذكرنا بعضه من مسير مروان بعد مقتل الوليد وانكاره قتله وغلبته على الجزيرة ثم مبايعته ليزيد بن الوليد وما ولاه يزيد من عمل أبيه فلما مات يزيد بن الوليد سار مروان في جنود الجزيرة وخلف ابنه عبد الملك في جمع عظيم بالرقة فلما انتهى مروان الى قنسرين لقي بها بشر بن الوليد وكان ولاه أخوه يزيد قنسرين ومعه أخوه مسرور بن الوليد فتصافوا ودعاهم مروان الى بيعته فمال اليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية وأسلموا بشرا وأخاه مسرورا فأخذهما مروان فحبسهما وسار ومعه أهل قنسرين متوجها الى حمص وكان أهل حمص قد امتنعوا من بيعة ابراهيم وعبد العزيز فوجه اليهم ابراهيم عبد العزيز وجند أهل دمشق فحاصرهم في مدينتهم وأسرع مروان السير فلما دنا من حمص رحل عبد العزيز عنها وخرج أهلها الى مروان فبايعوه وساروا معه ووجه ابراهيم بن الوليد الجنود من دمشق مع سليمان بن هشام فنزل عين الجر في مائة وعشرين ألفا ونزلها مروان في ثمانين ألفا فدعاهم مروان الى الكف عن قتاله واطلاق ابني الوليد الحكم وعثمان من

ذلك أبيات

ألم ترني خالست مهران نفسه
بأسمر فيه كالخلال طرير
فخر صريعا والثقاني برجله
وبادر في رأس الهمام جرير
فقال قتيلي والحوادث جمة
وكاد جرير للسرور يطير
فقال أبا عمرو وقتلي قتلته
ومثلي قليل والرجال كثير
فأرسل يمينا ان رمحك ناله
وأكرم أن تحاف وأنت أمير

(وقد تنازع) أهل الاخبار والسير في جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم من رأى أن جريرا على قومه والمثنى على قومه ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك وسار شيراز في جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهي من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة في بدنه في يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبي وقاص

السجن وضمن لهم انه لا يطلب احدا من قتلة الوليد فلم يجيبوه وجدوا فى قتاله فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار الى العصر وكثر القتل بينهم وكان مروان ذا رأى ومكيدة فارسل ثلاثة آلاف فارس فساروا خلف عسكره وقطعوا نهرا كان هناك وقصدوا عسكر ابراهيم ليغيروا فيه فلم يشعر سليمان ومن معه وهم مشغولون بالقتال الا بالخيل والبارقة والتكبير فى عسكرهم من خلفهم فلما رأوا ذلك انهزموا ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحنقهم عليهم فقتلوا منهم سبعة عشر ألفا وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم وأتوا مروان من أسرائهم بمثل القتلى وأكثر فاخذ مروان عليهم البيعة لولدى الوليد وخلى عنهم ولم يقتل منهم الا رجلين يزيد بن العقار والوليد بن مصاد الكلبيين وكانا ممن ولى قتل الوليد فحبسهما حتى هلكا فى حبسه وهرب يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى فيمن هرب مع سليمان الى دمشق واجتمعوا مع ابراهيم وعبد العزيز بن الحجاج فقال بعضهم لبعض ان بقى ولدا الوليد حتى يخرجهما مروان ويصير الامر اليهما لم يستبقيا أحدا من قتلة أبيهما والرأى قتلهما فرأى ذلك يزيد بن خالد فامر أبا الاسد مولى خالد بقتلهما فاخرج يوسف بن عمر فضرب رقبته وأرادوا قتل أبى محمد السفيانى فدخل بيتا من بيوت السجن وأغلقه فلم يقدروا على فتحه فارادوا احراقه فلم يؤتوا بنار حتى قيل قد دخلت خيل مروان المدينة فهربوا وهرب ابراهيم واختفى وانتهب سليمان ما فى بيت المال فقسمه فى أصحابه وخرج من المدينة

﴿ ذكر بيعة مروان بن محمد بن مروان ﴾

وفى هذه السنة بويع بدمشق لمروان بالخلافة وكان سبب ذلك انه لما دخل دمشق وهرب ابراهيم بن الوليد وسليمان ثار من بدمشق من موالى الوليد الى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية وأتى مروان بالغلامين الحكم وعثمان ابنى الوليد مقتولين وبيوسف بن عمر فدفنهم وأتى بأبى محمد السفيانى فى قيوده فسلم عليه بالخلافة ومروان يسلم عليه يومئذ بالامرة فقال له مروان مه فقال انهما جعلاها لك بعدهما وأنشده شعرا قاله الحكم فى السجن وكانا قد بلغا وولد لاحدهما وهو الحكم فقال الحكم

ألا من مبلغ مروان عنى * وعمى الغمر طال به حنينا
بانى قد ظلمت وصار قومى * على قتل الوليد متابعينا
أيذهب كلهم بدمى ومالى * فلا غثا أصبت ولا سمينا
ومروان بارض بنى نزار * كليث الغاب مفترس عرينا
انكث بيعتى من أجل امى * فقد بايعتم قبلى هجينا
فان اهلك أنا وولى عهدى * فمروان أمير المؤمنينا

ثم قال ابسط يدك أبايعك وسمعه من مع مروان وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ورؤس أهل حمص والناس بعده فلما استقر له الامر رجع الى منزله بحران وطلب منه الامان لابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فأمنهما فقدما عليه وكان سليمان بتدمر بمن معه من اخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا مروان بن محمد

﴿ ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ﴾

وفى هذه السنة ظهر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بالكوفة ودعا الى نفسه وكان سبب ذلك انه قدم على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى الكوفة فاكرمه وأجازه وأجرى عليه وعلى اخوته كل يوم ثلثمائة درهم فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد وبايع الناس أخاه

فنزل زبالة على حسب ما أمره به عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشأم وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلى القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين ألفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون فى ستين ألفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتور الضرب والطعن وخرج غالب بن عبد الله الاسدى فى ذلك اليوم وهو يقول

قد علمت واردة المسالح
ذات البيان واللسان الواضح
أنى سنام البطل المسالح
وفادح الامر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فأسره غالب أسرا فأتى سعدا وكر راجعا الى المطاردة وحمى الوطيس وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب
مثل اللجين يتغشاه الذهب
أنى امرؤ لا من يعيبه السبب
مثلى على مثلك يغريه العتب

ابراهيم بن الوليد وبعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فلما بلغ خبر بيعتهما عبد الله بن عمر بالكوفة بايع الناس وزاد فى العطاء وكتب ببيعتهما الى الآفاق فجاءته البيعة ثم بلغه امتناع مروان بن محمد من البيعة ومسيره اليهما الى الشام فحبس عبد الله بن معاوية عنده وزاده فيما كان يجرى عليه وأعده لمروان بن محمد ان هو ظفر بابراهيم بن الوليد ليبايع له ويقاتل به مروان فماج الناس وورد مروان الشام وظفر بابراهيم فانهزم اسمعيل بن عبد الله القسرى الى الكوفة مسرعا وافتعل كتابا على لسان ابراهيم بامرة الكوفة وجمع اليمانية وأعلمهم ذلك فاجابوه وامتنع عبد الله بن عمر عليه وقاتله فلما رأى الامر كذلك خاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل فقال لاصحابه انى أكره سفك الدماء فكفوا أيديكم فكفوا وظهر أمر ابراهيم وهربه ووقعت العصبية بين الناس وكان سببها ان عبد الله بن عمر كان اعطى مضر وربيعة عطايا كثيرة ولم يعط جعفر بن القعقاع بن شور الذهلى وعثمان بن الخيبرى من تيم اللات بن ثعلبة شيأ وهما من ربيعة فكانا مغضبين وغضب لهما ثمامة بن حوشب بن رويم الشيبانى وخرجوا من عند عبد الله بن عمر وهو بالحيرة الى الكوفة فنادوا يا آل ربيعة فاجتمعت ربيعة وتنمروا وبلغ الخبر عبد الله بن عمر فارسل اليهم أخاه عاصما فأتاهم وهم بدير هند فالقى نفسه بينهم وقال هذه يدى لكم فاحكموا فاستحيوا ورجعوا وعظموا عاصما وشكروه فلما كان المساء أرسل عبد الله بن عمر الى عمر بن الغضبان بن القبعثرى بمائة ألف فقسمها فى قومه بنى همام بن مرة بن ذهل الشيبانى والى ثمامة بن حوشب بمائة ألف فقسمها فى قومه وأرسل الى جعفر بن نافع بمال والى عثمان بن الخيبرى بمال فلما رأت الشيعة ضعف عبد الله بن عمر طمعوا فيه ودعوا الى عبد الله بن معاوية واجتمعوا فى المسجد وثاروا وأتوا عبد الله بن معاوية وأخرجوه من داره وادخلوه القصر ومنعوا عاصم بن عمر عن القصر فلحق باخيه بالحيرة وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه فيهم عمر بن الغضبان ومنصور بن جمهور واسمعيل بن عبد الله القسرى أخو خالد وأقام اياما يبايعه الناس وأتته البيعة من المدائن وفم النيل واجتمع اليه الناس فخرج الى عبد الله بن عمر بالحيرة فقيل لابن عمر قد أقبل ابن معاوية فى الخلق فاطرق مليا وأتاه رئيس خبازيه فاعلمه بادراك الطعام فامره باحضاره فاحضر فأكل هو ومن معه وهو غير مكترث والناس يتوقعون ان يهجم عليهم ابن معاوية وفرغ من طعامه واخرج المال ففرقه فى قواده ثم دعا مولى له كان يتبرك به ويتفاءل باسمه كان اسمه اما ميمونا واما رباحا أو فتحا أو اسما يتبرك به فاعطاه اللواء وقال له امض به الى موضع كذا فاركزه وادع أصحابك واقم حتى آتيك ففعل وخرج عبد الله فاذا الارض بيضاء من أصحاب ابن معاوية فامر ابن عمر مناديا فنادى من جاء برأس فله خمسمائة فاتى برؤس كثيرة وهو يعطى ما ضمن وبرز رجل من أهل الشام فبرز اليه القاسم بن عبد الغفار العجلى فسأله الشامى فعرفه فقال قد ظننت انه لا يخرج الى رجل من بكر ابن وائل والله ما أريد قتالك ولكن أحببت أن ألقى اليك حديثا أخبرك انه ليس معكم رجل من أهل اليمن لا اسمعيل ولا منصور ولا غيرهما الا وقد كاتب ابن عمر وكاتبته مضر وما أرى لكم يا ربيعة كتابا ولا رسولا وأنا رجل من قيس فان أردتم الكتاب أبلغته ونحن غدا بازائكم فانهم اليوم لا يقاتلونكم فبلغ الخبر ابن معاوية فاخبر به عمر بن الغضبان فاشار عليه أن يستوثق من اسمعيل ومنصور وغيرهما فلم يفعل وأصبح الناس من الغد غادين على القتال فحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ومضى اسمعيل ومنصور من فورهما الى الحيرة فانهزم أصحاب ابن معاوية الى الكوفة وابن معاوية معهم فدخلوا القصر وبقى من بالميسرة من ربيعة

فبرز اليه عظيم من أساورتهم فجالا ثم ان الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج فى مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة فأتى به سعد ابن مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفى الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فكلوه (وكانت وقعة القادسية) فى المحرم سنة أربع عشرة ومال سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة تجافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بجيلة وحول الفيلة الرجال والخيول فبعث الى بنى أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة فأمرهم بمعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طلحة بن خويلد الاسدى مع فرسان بنى أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها

ومضر ومن بازائهم من أصحاب ابن عمر فقال لعمر بن الغضبان ما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بكم فانصرفوا فقال ابن الغضبان لا أبرح حتى أقتل فاخذ أصحابه بعنان دابته فادخلوه الكوفة فلما أمسوا قال لهم ابن معاوية يا معشر ربيعة قد رأيتم ما صنع الناس بنا وقد علقنا دماءنا فى اعناقكم فان قاتلتم قاتلنا معكم وان كنتم ترون الناس يخذلونا واياكم فخذوا لنا ولكم أمانا فقال له عمر بن الغضبان ما نقاتل معكم وما نأخذ لكم أمانا كما نأخذ لانفسنا فاقاموا فى القصر والزيدية على أفواه السكك يقاتلون أصحاب ابن عمر اياما ثم ان ربيعة أخذت امانا لابن معاوية ولانفسهم وللزيدية ليذهبوا حيث شاؤا وسار ابن معاوية من الكوفة فنزل المدائن فاتاه قوم من أهل الكوفة فخرج بهم فغلب على حلوان والجبال وهمذان واصبهان والرى وخرج اليه عبيد أهل الكوفة وكان شاعرا مجيدا فمن قوله

ولا تركبن الصنيع الذى * تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنك قول امرئ * يخالف ما قال فى فعله

﴿ذكر رجوع الحرث بن السريج الى مرو﴾

وفى هذه السنة رجع الحرث الى مرو وكان مقيما عند المشركين مدة وقد تقدم سبب عوده وكان قدومه مرو فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين فلقيه الناس بكشميهن فلما لقيهم قال ماقرت عينى منذ خرجت الى يومى هذا وماقرت عينى الا ان يطاع الله ولقيه نصر وأنزله وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما فكان يقتصر على لون واحد وطلق أهله وأولاده وعرض عليه نصر ان يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل وارسل الى نصر انى لست من الدنيا واللذات فى شئ انما اسألك كتاب الله والعمل بالسنة وان تستعمل أهل الخير فان فعلت ساعدتك على عدوك وارسل الحرث الى الكرمانى ان اعطانى نصر العمل بالكتاب وما سألته عضدته وقمت بامر الله وان لم يفعل أعنتك ان ضمنت لى القيام بالعدل والسنة ودعا بنى تميم الى نفسه فاجابه منهم ومن غيرهم جمع كثير واجتمع اليه ثلاثة آلاف وقال لنصر انما خرجت من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور وأنت تريدنى عليه

﴿ذكر انتقاض أهل حمص﴾

وفى هذه السنة انتقض أهل حمص على مروان وكان سبب ذلك ان مروان لما عاد الى حران بعد فراغه من أهل الشام اقام ثلاثة أشهر فانتقض عليه اهل حمص وكان الذى دعاهم الى ذلك ثابت بن نعيم وراسلهم وارسل أهل حمص الى من بتدمر من كلب فاتاهم الاصبغ بن ذؤالة الكلبى وأولاده ومعاوية السكسكى وكان فارس أهل الشام وغيرهما فى نحو من ألف من فرسانهم فدخلوا ليلة الفطر فجد مروان فى السير اليه ومعه ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام وكان قد أمنهما وكان يكرمهما فبلغها بعد الفطر بيومين وقد سد أهلها أبوابها فاحدق بالمدينة ووقف بازاء باب من أبوابها فنادى مناديه الذين عند الباب ما دعاكم الى النكث قالوا انا على طاعتك لم ننكث قال فافتحوا الباب ففتحوا الباب فدخله عمرو بن الوضاح فى الوضاحية وهم نحو من ثلاثة آلاف فقاتلهم من فى البلد فكثرتهم خيل مروان فخرج من بها من باب تدمر فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان فقتل عامة من خرج منه وافلت الاصبغ بن ذؤالة وابنه فرافصة وقتل مروان جماعة من أسرائهم وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة وهدم من سورها نحوا وغلوة وقيل ان فتح حمص وهدم سورها كان فى سنة ثمان وعشرين

(ذكر

واشتد الجلاد على بنى أسد فى هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس فى اليوم الثانى أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت باسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص فى خمسة آلاف فارس من بنى ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضى الله عنه كتب الى أبى عبيدة ابن الجراح صرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر فى كتابه خالدا فتمم أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا وقد كان فى نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبى بكر فى قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمرو تقدم القعقاع فى أوائل المدد فأيقن أهل القادسية بالنصر على فارس وزال عنهم ما لحقهم بالامس من القتل والجراح وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت

﴿ذكر خلاف أهل الغوطة﴾

فى هذه السنة خالف أهل الغوطة وولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحصروا دمشق وأميرها زامل بن عمرو فوجه اليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحرث وعمرو بن الوضاح فى عشرة آلاف فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم وخرج عليهم من بالمدينة فانهزموا واستباح أهل مروان عسكرهم وأحرقوا المزة وقرى من اليمانية وأخذ يزيد بن خالد فقتل وبعث زامل برأسه الى مروان بحمص وممن قتل فى هذه الحرب عمرو بن هانئ العبسى مع يزيد وكان عابدا كثير المجاهدة

﴿ذكر خلاف أهل فلسطين﴾

وفيها خرج ثابت بن نعيم بعد أهل حمص والغوطة وكان خروجه فى أهل فلسطين وانتقض على مروان أيضا وأتى طبرية فحاصرها وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ابن أخى عبد الملك فقاتله أهلها أياما فكتب مروان بن محمد الى أبى الورد يأمره بالمسير اليهم فسار اليهم فلما قرب منهم خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه واستباحوا عسكره وانصرف الى فلسطين منهزما وتبعه أبو الورد فالتقوا واقتتلوا فهزمه أبو الورد ثانية وتفرق أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده وبعث بهم الى مروان وتغيب ثابت وولده رفاعة واستعمل مروان على فلسطين الدماجن بن عبد العزيز الكنانى فظفر بثابت وبعثه الى مروان موثقا بعد شهرين فامر به وباولاده الثلاثة فقطعت أيديهم وأرجلهم وحملوا الى دمشق فألقوا على باب المسجد ثم صلبهم على أبواب دمشق وكان مروان بدير أيوب فبايع لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتى هشام بن عبد الملك وجمع لذلك بنى أمية واستقام له الشام ما خلا تدمر فسار اليها فنزل القسطل وبينه وبين تدمر أياما وكانوا قد غوروا المياه فاستعمل المزاد والقرب والابل وكلمه الابرش بن الوليد وسليمان بن هشام وغيرهما وسألوه أن يرسل اليهم فأذن لهم فى ذلك وسار الابرش وخوفهم وحذرهم فاجابوا الى الطاعة وهرب نفر منهم الى البرمن لم يثق بمروان ورجع الابرش الى مروان ومعه من أطاع بعد ان هدم سورها وكان مروان قد سير يزيد بن عمر بن هبيرة بين يديه الى العراق لقتال الضحاك الخارجى وضرب على أهل الشام بعثا وأمرهم باللحاق بيزيد وسار مروان الى الرصافة فاستأذنه سليمان بن هشام ليقيم أياما ليقوى من معه ويستريح ظهره فأذن له وتقدم مروان الى قرقيسيا وبها ابن هبيرة ليقدمه الى الضحاك فرجع عشرة آلاف ممن كان مروان قد أخذه من أهل الشام لقتال الضحاك فاقاموا بالرصافة ودعوا سليمان الى خلع مروان فاجابهم

﴿ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد﴾

وفى هذه السنة خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد وحاربه وكان السبب فى ذلك ما ذكرنا من قدوم الجنود عليه وتحسينهم له خلع مروان وقالوا له أنت أرضى عند الناس من مروان وأولى بالخلافة فاجابهم الى ذلك وسار باخوته ومواليه معهم فعسكر بقنسرين وكاتب أهل الشام فاتوه من كل وجه وبلغ الخبر مروان فرجع اليه من قرقيسيا وكتب الى ابن هبيرة يأمره بالمقام واجتاز مروان فى رجوعه بحصن الكامل وفيه جماعة من موالى سليمان وأولاد هشام فتحصنوا منه فارسل اليهم انى أحذركم أن تعرضوا لاحد ممن يتبعنى من جندى باذى فان فعلتم فلا أمان لكم عندى فارسلوا اليه انا نستكف ومضى مروان فجعلوا يغيرون على من يتبعه من أخريات الناس وبلغه ذلك فتغيظ عليهم واجتمع الى سليمان نحو من سبعين ألفا من

قال أنا بهمن جادويه وهو المعروف بذى الحاجب فنادى القعقاع يالثارات أبى عبيدة وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب مبارزا لهم على ما ذكرنا من قتله اياهم فجالا فقتله القعقاع ويقال ان القعقاع حمل فى ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر ففيه يقول القعقاع

حبوته جياشة بالنفس
هدارة مثل شعاع الشمس
فى أغواث من قبيل الفرس
أنخس بالقوم أشد نخس
حتى يفيض معرى ونفسى

وبارز فى ذلك اليوم الاعور ابن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخوه الاعور فى ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر
من يوم اغواث دواوين الثغر
من غير ضحك كان أسوا وأشر

واعتل سعد فتخلف فى حصن العذيب وجلس فى أعلاه يشرف على الناس وقد تواقف الفريقان جميعا وأمسى الناس ينتمون فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان

أهل الشام والذكوانية وغيرهم وعسكر بقرية خساف من أرض قنسرين وأتاه مروان فواقعه عند وصوله فاشتد بينهم القتال وانهزم سليمان ومن معه واتبعتهم خيل مروان تقتل وتأسر واستباحوا عسكرهم ووقف مروان موقفا ووقف ابناه موقفين ووقف كوثر صاحب شرطته موقفا وأمرهم أن لا يؤتوا بأسير الا قتلوه الا عبدا مملوكا فاحصى من قتلاهم يومئذ ما ينوف على ثلاثين ألف قتيل وقتل ابراهيم بن سليمان وأكبر ولده وخالد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك وادعى كثير من الأسراء للجند انهم عبيد فكف عن قتلهم وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع من أصيب من عسكرهم ومضى سليمان حتى انتهى الى حمص وانضم اليه من أفلت ممن كان معه فعسكر بها وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها وسار مروان الى حصن الكامل حنقا على من فيه فحصرهم وأنزلهم على حكمه فمثل بهم وأخذهم أهل الرقة فداووا جراحاتهم فهلك بعضهم وبقي أكثرهم وكانت عدتهم نحوا من ثلثمائة ثم سار الى سليمان ومن معه فقال بعضهم لبعض حتى متى ننهزم من مروان فتبايع سبعمائة من فرسانهم على الموت وساروا بأجمعهم مجمعين على أن يبيتوه ان أصابوا منه غرة وبلغه خبرهم فتحرز منهم وزحف اليهم في الخنادق على احتراس وتعبية فلم يمكنهم أن يبيتوه فكمنوا في زيتون على طريقه فخرجوا عليه وهو مسير على تعبية فوضعوا السلاح فيمن معه وانتدب لهم ونادى خيوله فرجعت اليه فقاتلوه من لدن ارتفاع النهار الى بعد العصر وانهزم أصحاب سليمان وقتل منهم نحو من ستة آلاف فلما بلغ سليمان هزيمتهم خلف أخاه سعيدا بحمص ومضى هو الى تدمر فأقام بها ونزل مروان على حمص فحصر أهلها عشرة أشهر ونصب عليهم نيفا وثمانين منجنيقا يرمي بها الليل والنهار وهم يخرجون اليه كل يوم فيقاتلونه وربما بيتوا نواحي عسكره فلما تتابع عليهم البلاء طلبوا الامان على ان يمكنوه من سعيد ابن هشام وابنيه عثمان ومروان ومن رجل كان يسمى السكسكي كان يغير على عسكره ومن رجل حبشي كان يشتم مروان وكان يشد في ذكره ذكر حمار ثم يقول يا بني سليم يا أولاد كذا وكذا هذا لواؤكم فاجابهم الى ذلك فاستوثق من سعيد وابنيه وقتل السكسكي وسلم الحبشي الى بني سليم فقطعوا ذكره وانفه ومثلوا به فلما فرغ من حمص سار نحو الضحاك الخارجي وقيل ان سليمان بن هشام لما انهزم بخساف أقبل هاربا حتى صار الى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق فخرج معه الى الضحاك فبايعه وحرض على مروان فقال بعض شعرائهم

ألم تر أن الله أظهر دينه * وصلت قريش خلف بكر بن وائل

فلما رأى النضر بن سعيد الحرشي وكان قد ولي العراق على ما نذكره ان شاء الله ذلك علم انه لا طاقة له بعبد الله بن عمر فسار الى مروان فلما كان بالقادسية خرج اليه ابن ملجان خليفة الضحاك بالكوفة فقاتله فقتله النضر واستعمل الضحاك على الكوفة المثنى بن عمران العائذي ثم سار الضحاك في ذي القعدة الى الموصل وأقبل ابن هبيرة حتى نزل بعين التمر فسار اليه المثنى بن عمران فاقتتلوا أياما فقتل المثنى وعدة من قواد الضحاك وانهزمت الخوارج ومعهم منصور بن جمهور وأتوا الكوفة فجمعوا من بها منهم وساروا نحو ابن هبيرة فلقوه فقاتلهم أياما وانهزمت الخوارج وأتى ابن هبيرة الى الكوفة وسار الى واسط ولما بلغ الضحاك مالقي أصحابه أرسل عبيدة بن سوار التغلبي اليهم فنزل الصراة فنزل فرجع ابن هبيرة اليهم فالتقوا بالصراة وسيرد خبر خروج الضحاك بعدها ان شاء الله تعالى (الحرشي بفتح الحاء المهملة وبالشين المعجمة)

(ذكر خروج الضحاك محكما)

وفي

عنده في أعلى القصران ثم الناس على الانتماء فلا توقظوني فانهم أقوياء على عدوهم وان سكنوا فأيقظوني فان ذلك شر واشتد القتال في الليل وكان أبو محجن الثقفي محبوسا في أسفل القصر فسمع انتماء الناس في آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف فحبا حتى صعد الى سعد يستشفعه ويستقيله ويسأله أن يخلي عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيباني وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك في خير فقالت وماذاك قال تخلين عني وتعيرينني البلقاء ولله على ان سلمني الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في القيد فقالت وما أنا وذلك فرجع يرسف في قيده وهو يقول

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد فأغلقت
مصارع من دوني وصم المناديا

وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني محكما ودخل الكوفة وكان سبب ذلك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بارض كفرتوثا وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة فسار كل واحد منهما الى صاحبه فلما تقاربا أرسل سعيد بن بهدل الخيبري وهو أحد قواده في مائة وخمسين فارسا فأتاهم وهم غارون فقتلوا فيهم وقتلوا بسطاما وجميع من معه الا أربعة عشر رجلا ثم مضى سعيد بن بهدل الى العراق لما بلغه ان الاختلاف بها فمات سعيد بن بهدل في الطريق واستخلف الضحاك بن قيس فبايعه الشراة فأتى أرض الموصل ثم شهرزور واجتمعت اليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومروان بالحيرة فكتب مروان الى النضر بن سعيد الحرشي وهو أحد قواد ابن عمر بولاية العراق فلم يسلم ابن عمر اليه العمل فشخص النضر الى الكوفة وبقي ابن عمر بالحيرة فتحاربا أربعة أشهر وأمد مروان النضر بابن الغزيل واجتمعت المضرية مع النضر عصبية لمروان حيث طلب بدم الوليد وكانت أم الوليد قيسية من مضر وكان أهل اليمن مع ابن عمر عصبية له حيث كانوا مع يزيد في قتل الوليد حين أسلم خالد القسري الى يوسف فقتله فلما سمع الضحاك باختلافهم أقبل نحوهم وقصد العراق سنة سبع وعشرين فارسل ابن عمر الى النضر ان هذا لا يريد غيري وغيرك فهلم نجتمع عليه فتعاقدا عليه واجتمعا بالكوفة وكان كل منهما يصلي باصحابه وأقبل الضحاك فنزل بالنخيلة في رجب واستراح ثم تعبوا للقتال يوم الخميس من غد يوم نزوله فاقتتلوا قتالا شديدا فكشفوا ابن عمر وقتلوا أخاه عاصما وجعفر بن العباس الكندي أخا عبيد الله ودخل ابن عمر خندقه وبقي الخوارج عليهم الى الليل ثم انصرفوا ثم اقتتلوا يوم الجمعة فانهزم أصحاب ابن عمر فدخلوا خندقهم فلما أصبحوا يوم السبت تسلل أصحابه نحو واسط ورأوا قوما لم يروا أشد بأسا منهم وكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد الحرشي واسمعيل بن عبد الله القسري أخو خالد ومنصور بن جمهور والاصبغ بن ذؤالة وغيرهم من الوجوه وبقي ابن عمر فيمن عنده من أصحابه لم يبرح فقال له أصحابه قد هرب الناس فعلام تقيم فبقي يومين لا يرى الا هاربا فرحل عند ذلك الى واسط واستولى الضحاك على الكوفة ودخلها ولم يأمنه عبيد الله بن العباس الكندي على نفسه فصار مع الضحاك وبايعه وصار في عسكره فقال أبو عطاء السندي له

فقل لعبيد الله لو كان جعفر * هو الحي لم يجنح وأنت قتيل
ولم يتبع المراق والثار فيهم * وفي كفه عضب الذباب صقيل
الى معشر ردوا أخاك وأكفروا * أباك فماذا بعد ذاك تقول

فلما بلغ عبيد الله هذا البيت من قول أبي عطاء قال أقول عض ببظر امك

فلا وصلتك الرحم من ذي قرابة * وطالب وتر والذليل ذليل
تركت أخا شيبان يسلب بزه * ونجاك خوار العنان مطول

ووصل ابن عمر الى واسط فنزل بدار الحجاج بن يوسف وعادت الحرب بين عبد الله والنضر الى ما كانت عليه قبل قدوم الضحاك الى النضر يطلب ان يسلم اليه ابن عمر ولاية العراق بعهد مروان له وابن عمر يمتنع وسار الضحاك من الكوفة الى واسط واستخلف ملحان الشيباني ونزل الضحاك باب المضمار فلما رأى ذلك ابن عمر والنضر تركا الحرب بينهما واتفقا على قتال الضحاك

وقد كنت ذا مال كثير وثروة
فقد تركوني واحدا لا أخاليا
فلله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت أن لا أزور الجوانيا

فقالت سلمى اني استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقون بأبصارهم وقد تنوزع في البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص في المسلمين فخرج في ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص في قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس لا اختطفه

فلم يزالوا على ذلك شعبان وشهر رمضان وشوال والقتال بينهم متواصل ثم ان منصور بن جمهور قال لابن عمر ما رأيت مثل هؤلاء فلم تحارب بهم وتشغلهم عن مروان أعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان فانهم يرجعون عنا اليه ويوسعونه شرا فان ظفروا به كان ما أردت وكنت عندهم آمنا وان ظفر بهم وأردت خلافه وقتاله قاتلته وأنت مستريح فقال ابن عمر لا تعجل حتى ننظر فلحق بهم منصور وناداهم انى أريد أن أسلم وأسمع كلام الله وهى حجتهم فدخل اليهم وبايعهم ثم ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز خرج اليهم فى شوال فصالحهم وبايع الضحاك ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك

﴿ذكر خلع أبى الخطار أمير الاندلس وامارة ثوابة﴾

وفى هذه السنة خلع أهل الاندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار أميرهم وسبب ذلك انه لما قدم الاندلس أميرا أظهر العصبية لليمانية على المضرية فاتفق فى بعض الايام انه اختصم رجل من كنانة ورجل من غسان فاستعان الكنانى بالصميل بن حاتم بن ذى الجوشن الضبابى فكلم فيه أبا الخطار فاستغلظ له أبو الخطار فاجابه الصميل فأمر به فأقيم وضرب قفاه فمالت عمامته فلما خرج قيل له نرى عمامتك مالت فقال ان كان لى قوم فسيقيمونها وكان الصميل من أشراف مضر فلما دخل الاندلس مع بلج شرف فيها بنفسه وأوليته فلما جرى له ما ذكرناه جمع قومه وأعلمهم فقالوا له نحن تبع لك فقال أريد ان أخرج أبا الخطار من الاندلس فقال له بعض أصحابه افعل واستعن بمن شئت ولا تستعن بأبى عطاء القيسى وكان من أشراف قيس وكان يناظر الصميل فى الرياسة ويحسده وقال له غيره الرأى انك تأتى أبا عطاء وتشد أمرك به فانه تحركه الحمية وينصرك وان تركته مال الى أبى الخطار وأعانه عليك ليبلغ فيك ما يريد والرأى أيضا ان تستعين عليه بأهل اليمن فضلا عن معد ففعل ذلك وسار من ليلته الى أبى عطاء وكان يسكن مدينة استجة فعظمه أبو عطاء وسأله عن سبب قدومه فأعلمه فلم يكلمه حتى قام فركب فرسه ولبس سلاحه وقال له انهض الآن حيث شئت فانا معك وأمر أهله وأصحابه باتباعه فساروا الى مرو وبها ثوابة بن سلمة الجذامى وكان مطاعا فى قومه وكان أبو الخطار قد استعمله على اشبيلية وغيرها ثم عزله ففسد عليه فدعاه الصميل الى نصره ووعده انهم اذا أخرجوا أبا الخطار صار أميرا فاجاب الى نصره ودعا قومه فاجابوه فساروا الى شذونة وسار اليهم أبو الخطار من قرطبة واستخف بهم الناس فالتقوا واقتتلوا فى رجب من هذه السنة وصبر الفريقان ثم وقعت الهزيمة على أبى الخطار وقتل أصحابه أشد قتل وأسر أبو الخطار وكان بقرطبة أمية بن عبد الملك بن قطن فاخرج منها خليفة أبى الخطار وانتهب ما وجد لهم فيها ولما انهزم أبو الخطار سار ثوابة بن سلمة والصميل الى قرطبة فملكاها واستقر ثوابة فى الامارة فثار به عبد الرحمن بن حسان الكلبى وأخرج أبا الخطار من السجن فاستجاش اليمانية فاجتمع له خلق كثير واقبل بهم الى قرطبة وخرج اليه ثوابة فيمن معه من اليمانية والمضرية مع الصميل فلما تقابل الطائفتان نادى رجل من مضر يا معشر اليمانية ما بالكم تتعرضون للحرب على أبى الخطار وقد جعلنا الامير منكم يعنى ثوابة فانه من اليمن ولو ان الامير منا لقد كنتم تعتذرون فى قتالكم لنا وما نقول هذا الا تحرجا من الدماء ورغبة فى العافية للعامة فلما سمع الناس كلامه قالوا صدق والله الامير منا فما بالنا نقاتل قومنا فتركوا القتال وافترق الناس فهرب أبو الخطار فلحق بباجة ورجع ثوابة الى قرطبة فسمى ذلك العسكر عسكر العافية

وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشأم من أصحاب هاشم بن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب فهذا هو الخضر قد من الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا وقال قائل منهم لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وأبو محجن يزأر كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم بن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر ويقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج

﴿ذكر شيعة بنى العباس﴾

فى هذه السنة توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ وقحطبة الى مكة فلقوا ابراهيم بن محمد الامام بها وأوصلوا الى مولى له عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم ومسكا ومتاعا كثيرا وكان معهم أبو مسلم فقال سليمان لابراهيم هذا مولاك وفيها كتب بكير بن ماهان الى ابراهيم الامام انه فى الموت وانه قد استخلف أبا سلمة حفص بن سليمان وهو رضا للامر فكتب ابراهيم لابى سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه وكتب الى أهل خراسان يخبرهم انه قد اسند أمرهم اليه ومضى أبو سلمة الى خراسان فصدقوه وقبلوا أمره ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على مكة والمدينة والطائف وكان العامل على العراق النضر بن الحرشى وكان من أمره وأمر ابن عمر والضحاك الخارجى ما ذكرنا وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها الكرمانى والحرث بن سريج وفيها مات سويد بن غفلة وقيل سنة احدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وثلاثين وعمره مائة وعشرون سنة وعبد الكريم بن مالك الجزرى وقيل غير ذلك وفيها مات أبو حصين عثمان بن حصين الاسدى الكوفى (حصين بفتح الحاء وكسر الصاد) وفيها مات أبو اسحق عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى وقيل سنة ثمان وعشرين وعمره مائة سنة (السبيعى بفتح السين وكسر الباء) وفيها توفى عبد الله ابن دينار وقيل سنة ست وثلاثين وفيها مات محمد بن واسع الازدى البصرى وكنيته أبو بكر وداود ابن أبى هند واسم أبى هند دينار مولى بنى قشير أبو محمد وفيها توفى أبو بحر عبد الله بن اسحق مولى الحضر وكان اماما فى النحو واللغة تعلم ذلك من يحيى بن النعمان وكان يعيب الفرزدق فى شعره وينسبه الى اللحن فهجاه الفرزدق يقول

فلو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له أبو عبد الله لقد لحنت أيضا فى قولك مواليا ينبغى ان تقول مولى موال

﴿ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر قتل الحرث بن سريج وغلبة الكرمانى على مرو﴾

قد تقدم ذكر امان يزيد بن الوليد للحرث بن سريج وعوده من بلاد المشركين الى بلاد الاسلام وما كان بينه وبين نصر من الاختلاف فلما ولى ابن هبيرة العراق كتب الى نصر بعهده على خراسان فبايع لمروان بن محمد فقال الحرث انما أمننى يزيد ولم يؤمنى مروان ولا يجيز مروان أمان يزيد فلا آمنه فخالف نصرا فأرسل اليه نصر يدعوه الى الجماعة وينهاه عن الفرقة واطماع العدو فلم يجبه الى ما أراد وخرج فعسكر وأرسل الى نصر اجعل الامر شورى فأبى نصر وأمر الحرث جهم ابن صفوان رأس الجهمية وهو مولى راسب ان يقرأ سيرته وما يدعو اليه على الناس فلما سمعوا ذلك كثروا وكثر جمعه وأرسل الحرث الى نصر ليعزل سالم بن أحوز عن شرطته ويغير عماله ويقر الامر بينهما أن يختاروا رجالا يسمون لهم قوما يعملون بكتاب الله فاختار نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان واختار الحرث المغيرة بن شعبة الجهضمى ومعاذ بن جبلة وأمر نصر كاتبه ان يكتب ما يرضى هؤلاء الاربعة من السنن وما يختارونه من العمال فيولهم ثغر سمرقند وطخارستان وكان الحرث يظهر أنه صاحب الرايات السود فأرسل اليه نصر ان كنت تزعم أنكم تهدمون سور

ولا يعلم به وردّ البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر
بانا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات
وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة قادس لم يشعروا بى
ولم أشعر بمخرجى الزحوفا
وانا وفدهم فى كل يوم
فان عتبوا فسل بهم عريفا
فان أحبس فذلكم بلائى
وان أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شئ حبسك هذا الرجل تعنى سعدا قال والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فأصف القهوة وتداخلنى أريحية فألتذ بمدحى اياها فلذلك حبسنى لانى قلت فيها

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة
تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى
أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

وهى أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف القنا فأقامت مغاضبة له عشية

دمشق وتزيلون ملك بنى أمية فخذ منى خمسمائة رأس ومائتى بعير واحمل من الاموال ماشئت وآلة الحرب وسر فلعمرى لئن كنت صاحب ماذكرت انى لفى يدك وان كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك فقال الحرث قد علمت ان هذا حق ولكنى لا يبايعنى عليه من صحبنى فقال نصر فقد ظهر أنهم ليسوا على رأيك فاذكر الله فى عشرين ألفا من ربيعة واليمن يهلكون فيما بينكم وعرض عليه نصر ان يوليه ماوراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل فقال له نصر فابدأ بالكرمانى فان قتلته فانا فى طاعتك فلم يقبل ثم تراضيا بان حكما جهم بن صفوان ومقاتل بن حيان فحكما بان يعتزل نصر وأن يكون الامر شورى فلم يقبل نصر فخالفه الحرث واتهم نصر قوما من أصحابه انهم كاتبوا الحرث فاعتذروا اليه فقبل عذرهم وقدم عليه جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عاصم بن عمير الصريمى وأبو الذيال الناجى ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم وأمر الحرث ان تقرأ سيرته فى الاسواق والمساجد وعلى باب نصر فقرئت فاتاه خلق كثير وقرأها رجل على باب نصر فضربه غلمان نصر فنابذهم الحرث وتجهزوا للحرب ودل رجل من أهل مرو الحرث على نقب فى سورها فمضى الحرث اليه فنقبه ودخل المدينة من ناحية باب بالين فقاتلهم جهم بن مسعود الناجى فقتل جهم وانتهبوا منزل سالم بن أحوز وقتلوا من كان يحرس باب بالين وذلك يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة وعدل الحرث فى سكة السعد فرأى أعين مولى حيان فقاتله فقتل أعين وركب سالم حين أصبح وأمر مناديا فنادى من جاء برأس فله ثلثمائة فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحرث وقاتلهم الليل كله وأتى سالم عسكر الحرث فقتل كاتبه واسمه يزيد بن داود وقتل الرجل الذى دل الحرث على النقب وأرسل نصر الى الكرمانى فأتاه على عهد وعنده جماعة فوقع بين سالم بن أحوز ومقدام بن نعيم كلام فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه فاعان كل واحد منهما نفر من الحاضرين فخاف الكرمانى ان يكون مكرا من نصر فقام وتعلقوا به فلم يجلس وركب فرسه ورجع وقال أراد نصر الغدر بى وأسر يومئذ جهم بن صفوان وكان مع الكرمانى فقتل وأرسل الحرث ابنه حاتما الى الكرمانى فقال له محمد بن المثنى هما عدوّاك دعهما يضطربان فلما كان الغد ركب الكرمانى الى باب ميدان يزيد فقاتل أصحاب نصر وأقبل الكرمانى الى باب حرب بن عامر ووجه أصحابه الى نصر يوم الاربعاء فتراموا ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال والتقوا يوم الجمعة فانهزم الازد حتى وصلوا الى الكرمانى فأخذ اللواء بيده فقاتل به وانهزم أصحاب نصر وأخذوا لهم ثمانين فرسا وصرع تميم بن نصر وأخذوا له برذونين وسقط سالم بن أحوز فحمل الى عسكر نصر فلما كان بعض الليل خرج نصر من مرو وقيل عصمة بن عبد الله الاسدى فكان يحمى أصحاب نصر واقتتلوا ثلاثة أيام فانهزم أصحاب الكرمانى فى آخر يوم وهم الازد وربيعة فنادى الخليل بن غزوان يامعشر ربيعة واليمن قد دخل الحرث السوق وقتل ابن الاقطع يعنى نصر ابن سيار ففت فى اعضاد المضرية وهم أصحاب نصر فانهزموا وترجل تميم بن نصر فقاتل فلما هزمت اليمانية مضر أرسل الحرث الى نصر ان اليمانية يعيروننى بانهزامكم وأنا كاف فاجعل حماة أصحابك بازاء الكرمانى فأخذ عليه نصر العهود بذلك وقدم على نصر عبد الملك بن سعد العودى وأبو جعفر عيسى بن جرز من مكة فقال نصر لعبد الحكم العودى وهم بطن من الازد أما ترى ما فعل سفهاء قومك فقال بل سفهاء قومك طالت ولايتها ولايتك دون ربيعة واليمن فنظروا فى ربيعة واليمن علماء وسفهاء فغلب السفهاء العلماء فقال أبو جعفر عيسى لنصر أيها الامير حسبك من الولاية وهذه الامور فانه قد أظلك أمر عظيم سيقوم رجل مجهول النسب يظهر السواد ويدعو

ازمار وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع أبى محجن فدعا به فأطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال لاجرم والله لا أجبت لسانى الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة الغوراء والفرات فى عرض مابين الصفين وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة مابين رثيث وميت وقتل من الاعاجم مالا يحصى فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن فى كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلى القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال

الى دولة تكون فيغلب على الامر وأنتم تنظرون فقال نصر ما أشبه أن يكون كما تقول لقلة الوفاء وسوء ذات البين فقال ان الحرث مقتول مصلوب وما الكرمانى من ذلك ببعيد فلما خرج نصر من مرو وغلب عليها الكرمانى وخطب الناس فأمنهم وهدم الدور ونهب الاموال فانكر الحرث عليه ذلك فهم الكرمانى به ثم تركه واعتزل بشر بن جرموز الضبى فى خمسة آلاف وقال للحرث انما قاتلت معك طلب العدل فاما اذا أنت مع الكرمانى فانما تقاتل الا ليقال غلب الحرث وهؤلاء يقاتلون عصبية فلست مقاتلا معك فنحن الفئة العادلة لانقاتل الا من يقاتلنا وأتى الحرث مسجد عياض وأرسل الى الكرمانى يدعوه الى أن يكون الامر شورى فأبى الكرمانى فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياما ثم ان الحرث أتى السور فثلم فيه ثلمة ودخل البلد وأتى الكرمانى فاقتتلوا فاشتد القتال بينهم فانهزم الحرث وقتلوا مابين الثلمة وعسكرهم والحرث على بغل فنزل عنه وركب فرسا وبقى فى مائة فقتل عند شجرة زيتون او غبيراء وقتل أخوه سوادة وغيرهما وقيل كان سبب قتله ان الكرمانى خرج الى بشر بن جرموز الذى ذكرنا اعتزاله ومعه الحرث بن سريج فأقام الكرمانى أياما بينه وبين عسكر بشر فرسخان ثم قرب منه ليقاتله فندم الحرث على اتباع الكرمانى وقال لا تعجل الى قتالهم فانا أردهم عليك فخرج فى عشرة فوارس فأتى عسكر بشر فأقام معهم وخرج المضرية أصحاب الحرث من عسكر الكرمانى اليه فلم يبق مع الكرمانى مضرى غير سلمة بن أبى عبد الله فانه قال لم أر الحرث الا غادرا وغير المهلب بن اياس فانه قال لم أر الحرث قط الا فى خيل تطرد فقاتلهم الكرمانى مرارا يقتتلون ثم يرجعون الى خنادقهم مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ثم ان الحرث ارتحل بعد أيام فنقب سور مرو ودخلها وتبعه الكرمانى فدخلها أيضا فقالت المضرية للحرث تركنا الخنادق فهو يومنا وقد فررت غير مرة فترجل فقال أنا لكم فارسا خير منى لكم راجلا فقالوا لانرضى الا ان تترجل وترجل فاقتتلوا هم والكرمانى فقتل الحرث وأخوه وبشر ابن جرموز وعدة من فرسان تميم وانهزم الباقون وصفت مرو لليمن فهدموا دور المضرية فقال نصر ابن سيار للحرث حين قتل

يامدخل الذل على قومه * بعدا وسحقا لك من هالك
شؤمك أردى مضرا كلها * وجز من قومك بالحارك
ماكانت الازد وأشياعها * تطمع فى عمرو ولا مالك
ولا بنو سعد اذا ألجموا * كل طمر لونه حالك

عمرو ومالك وسعد بطون من تميم وقيل بل قال هذه الابيات نصر لعثمان بن صدقة وقالت أم كثير الضبية

لابارك الله فى أنثى وعذبها * تزوجت مضريا آخر الدهر
أبلغ رجال تميم قول موجعة * أحللتموها بدار الذل والفقر
ان أنتم لم تكروا بعد جولتكم * حتى تعدوا رجال الازد فى الظهر
انى استحيت لكم من بعد طاعتكم * هذا المزونى يجبيكم على قهر

﴿ذكر شيعة بنى العباس﴾

وفى هذه السنة وجه ابراهيم الامام أبا مسلم الخراسانى واسمه عبد الرحمن بن مسلم الى خراسان وعمره تسع عشرة سنة وكتب الى أصحابه انى قد أمرته بأمرى فاسمعوا له وأطيعوا فانى قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند ابراهيم فاعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره فقال ابراهيم قد عرضت هذا الامر على غير

حامل قد قربت من السواد فأريحونى تحت ظل هذه النخلة فيستريح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمى يانخلة بين فارس
وبين العذيب لا يجاورك النخل

وسمع آخر من بنى تيم الله وقد أربح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيانخلة الجرحى ويانخلة العدا
سقتك الغوادى والغيوث الهواطل

وأثخن الاعور بن قطبة فحمل من المعركة فسأل حماله أن يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال

أيانخلة بين العذيب فقلعة
سقتك الغوادى الداجنات من النخل

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية وهى صبيحة ليلة الهرير وهى تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن

واحد وأبوه علي" وكان قد عرضه على سليمان بن كثير فقال لا آلي على اثنين أبدا ثم عرضه على ابراهيم بن سلمة فأبى فاعلمهم انه قد أجمع رأيه على أبى مسلم وأمرهم بالسمع والطاعة له ثم قال له انك رجل منا اهل بيت احفظ وصيتى انظر هذا الحى من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم واتهم ربيعة فى أمرهم وأما مضر فانهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه وان استطعت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير ولا تعصه واذا أشكل عليك أمر فاكتف به منى وسيرد من خبر أبى مسلم غير هذا ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قتل الضحاك الخارجى﴾

قد ذكرنا محاصرة الضحاك بن قيس الخارجى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط فلما طال عليه الحصار اشير عليه بان يدفعه عن نفسه الى مروان فأرسل ابن عمر اليه ان مقامكم علي" ليس بشيء هذا مروان فسيروا اليه فان قتلته فانا معك فصالحه وخرج اليه وصلى خلفه فانصرف الى الكوفة واقام ابن عمر بواسط وكاتب اهل الموصل الضحاك ليقدم عليهم ليمكنوه منها فسار فى جماعة من جنوده بعد عشرين شهرا حتى انتهى اليها وعليها ابو مثلم وان رجل من بنى شيبان يقال له القطران بن اكمة ففتح اهل الموصل البلد فدخله الضحاك وقاتلهم القطران ومن معه من اهله وهم عدة يسيرة حتى قتلوا واستولى الضحاك على الموصل وكورها وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال أهلها فكتب الى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه يمنع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار اليها فى سبعة آلاف أو ثمانية آلاف وسار الضحاك الى نصيبين فحصر عبد الله فيها وكان مع الضحاك ما يزيد على مائة ألف ووجه قائدين من قواده الى الرقة فى أربعة آلاف أو خمسة آلاف فقاتلهم من بها فوجه اليهم مروان من رحلهم عنها ثم ان مروان سار الى الضحاك فالتقوا بنواحى كفرتوثا من اعمال ماردين فقاتله يومه اجمع فلما كان عند المساء ترجل الضحاك ومعه من ذوى الثبات وارباب البصائر نحو من ستة آلاف ولم يعلم اكثر أهل عسكره بما كان فاحدقت بهم خيول مروان وألحوا عليهم فى القتال حتى قتلوهم عند العتمة وانصرف من بقى من أصحاب الضحاك عند العتمة الى عسكرهم ولم يعلموا بقتل الضحاك ولم يعلم به مروان أيضا وجاء بعض من عاينه الى أصحابه فاخبرهم فبكوا وناحوا عليه وخرج قائد من قواده الى مروان فاخبره فارسل معه النيران والشمع فطافوا عليه فوجدوه قتيلا وفى وجهه وفى رأسه اكثر من عشرين ضربة فكبروا فعرف عسكر الضحاك انهم قد علموا بقتله وبعث مروان رأسه الى مدائن الجزيرة فطيف به فيها وقيل ان الضحاك والخيبرى انما قتلا سنة تسع وعشرين

﴿ذكر قتل الخيبرى وولاية شيبان﴾

ولما قتل الضحاك اصبح أهل عسكره فبايعوا الخيبرى واقاموا يومئذ وغادوا القتال من بعد الغد وصافوا مروان وصافهم وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك مع الخيبرى وكان قبله مع الضحاك وقد ذكرنا سبب قدومه وقيل بل قدم على الضحاك وهو بنصيبين فى أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه فتزوج أخت شيبان الحرورى الذى بويع بعد قتل الخيبرى فحمل الخيبرى على مروان فى نحو من أربعمائة فارس من الشراة فهزم مروان وهو فى القلب وخرج مروان من العسكر منهزما ودخل الخيبرى ومن معه عسكره ينادون بشعارهم ويقتلون من

سريره فهوت فى نهر العقيق والريح دبور فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهى واقفة فاستظل فى ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذى رستم فى ظله فقطع حباله ووقع على رستم احد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارة ومضى رستم الى نحو نهر العقيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الي" الي" فطاف به الناس لا يحسون السرير ولا يرونه وتنادوا وتجبنت قلوب المشركين عندها وانهزموا وأخذهم السيف فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون ألفا منهم قرنوا أنفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا فجثوا على الركب وقرع بين

ادركوا حتى انتهوا الى خيمة مروان نفسه فقطعوا أطنابها وجلس الخيبرى على فرشه وميمنة مروان وعليها ابنه عبد الله ثابتة وميسرته ثابتة وعليها اسحق بن مسلم العقيلى فلما رأى أهل العسكر قلة من مع الخيبرى ثار اليه عبيدهم بعمد الخيم فقتلوا الخيبرى وأصحابه جميعا فى خيمة مروان وحولها وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزما فانصرف الى عسكره ورد خيوله عن مواضعها وبات ليلته فى عسكره وانصرف أهل عسكر الخيبرى فولوا عليهم شيبان وبايعوه فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف منذ يومئذ

﴿ذكر خبر أبى حمزة الخارجى مع طالب الحق﴾

كان اسم أبى حمزة الخارجى المختار بن عوف الازدى السلمى البصرى وكان أول أمره انه كان من الخوارج الاباضية يوافى كل سنة مكة يدعو الناس الى خلاف مروان بن محمد فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق فى آخر سنة ثمان وعشرين فقال له يا رجل اسمع كلاما حسنا وأراك تدعو الى حق فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا الى خلاف مروان وآل مروان وكان أبو حمزة اجتاز مرة بمعدن بنى سليم والعامل عليه كثير بن عبد الله فسمع كلام أبى حمزة فجلده أربعين سوطا فلما ملك أبو حمزة المدينة وافتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهما ما كان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سير مروان يزيد بن هبيرة الى العراق لقتال من به من الخوارج فى قول وحج بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مكة والمدينة وكان بالعراق عمال الضحاك الخارجى وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعلى قضاء البصرة ثمامة بن عبد الله بن أنس وبخراسان نصر بن سيار والفتنة بها قائمة وفيها مات عاصم بن أبى النجود صاحب القراآت ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس الثقفى المدنى وفيها توفى جابر بن يزيد الجعفى وكان من غلاة الشيعة يقول بالرجعة وفيها مات محمد بن مسلم بن تدروس أبو الزبير المكى وجامع بن شداد وأبو قبيل المعافرى واسمه يحيى بن هانئ المصرى (قبيل بفتح القاف وكسر الباء الموحدة) وسعيد بن مسروق الثورى والد سفيان وكان ثقة فى الحديث

﴿ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر شيبان الحرورى الى ان قتل﴾

وهو شيبان بن عبد العزيز أبو الدلف اليشكرى وكان سبب هلاكه ان الخوارج لما بايعوه بعد قتل الخيبرى اقام يقاتل مروان وتفرق عن شيبان كثير من أصحاب الطمع فبقى فى نحو أربعين ألفا فاشار عليهم سليمان بن هشام ان ينصرفوا الى الموصل فيجعلوها ظهرهم فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا الى الموصل فعسكروا شرقى دجلة وعقدوا جسورا عليها من عسكرهم الى المدينة فكانت ميرتهم ومرافقهم منها وخندق مروان بازائهم وكان الخوارج قد نزلوا بالكار ومروان بخصة وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج فاقام مروان ستة أشهر يقاتلهم وقيل تسعة أشهر وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له أمية بن معاوية بن هشام وكان مع عمه سليمان فى عسكر شيبان أسيرا فقطع يديه وضرب عنقه وعمه ينظر اليه وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه الى العراق وعلى الكوفة المثنى بن عمران العائذى عائذة قريش وهو خليفة للخوارج بالعراق فالتقى ابن هبيرة بعين التمر فاقتتلوا قتالا

أيديهم قناديل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى أن قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ما قدمنا ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بنى أسد ولذلك يقول شاعرهم فى ذلك اليوم وهو عمرو بن ساس الاسدى من أبيات

جلبنا الخيل فى أكناف هيف
الى كسرى يوافقها رعالا
تركن بهم على الاصنام سحرا
وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنا منهم حيث التقينا
قياما لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب فى ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفس كابيان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف وقتل فى ذلك اليوم حول هذه الراية غير ما ذكرنا من المقرنين وغيرهم عشرة آلاف (وقد تنازع الناس) ممن سلف وخلف فى عام القادسية

شديدا وانصرفت الخوارج ثم اجتمعوا بالكوفة بالنخيلة فهزمهم ابن هبيرة ثم اجتمعوا بالبصرة فارسل شيبان اليهم عبيدة بن سوار فى خيل عظيمة فالتقوا بالبصرة فانهزمت الخوارج وقتل عبيدة واستباح ابن هبيرة عسكرهم فلم يكن لهم جمة بالعراق واستولى ابن هبيرة على العراق وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فانهزم وغلب على الماهين وعلى الجبل اجمع وسار ابن هبيرة الى واسط فاخذ ابن عمر فحبسه ووجه نباتة بن حنظلة الى سليمان بن حبيب وهو على كور الاهواز فسمع سليمان الخبر فارسل الى نباتة داود بن حاتم فالتقوا بالمرتان على شاطئ دجيل فانهزم الناس وقتل داود بن حاتم وكتب مروان الى ابن هبيرة لما استولى على العراق يأمره بارسال عامر بن ضبارة المرى اليه فسيره فى سبعة آلاف أو ثمانية آلاف فبلغ شيبان خبره فارسل الجون بن كلاب الخارجى فى جمع فلقوا عامرا بالسن فهزموه ومن معه فدخل السن وتحصن فيه وجعل مروان يمده بالجنود على طريق البر حتى ينتهوا الى السن فكثر جمع عامر وكان منصور بن جمهور يمد شيبان من الجبل بالاموال فلما كثر من مع عامر نهض الى الجون والخوارج فقاتلهم فهزمهم وقتل الجون وسار ابن ضبارة مصعدا الى الموصل فلما انتهى خبر قتل الجون الى شيبان ومسير عامر نحوه كره ان يقيم بين العسكرين فارتحل بمن معه من الخوارج وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره فى جمع كثير فى أثر شيبان فان أقام أقام وان سار سار وأن لا يبدأه بقتال فان قاتله شيبان قاتله وان أمسك أمسك عنه وان ارتحل اتبعه فكان على ذلك حتى مر على الجبل وخرج على بيضاء فارس بها عبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر فى جموع كثيرة فلم يتهيأ الامر بينهما فسار حتى نزل جيرفت من كرمان واقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بازاء ابن معاوية اياما ثم ناهضه وقاتله فانهزم ابن معاوية فلحق بهراة وسار ابن ضبارة بمن معه فلقى شيبان بجيرفت فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الخوارج واستبيح عسكرهم ومضى شيبان الى سجستان فهلك بها وذلك فى سنة ثلاثين ومائة وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل مقدار شهر ثم انهزم شيبان حتى لحق بفارس وعامر بن ضبارة يتبعه وسار شيبان الى جزيرة ابن كاوان ثم خرج منها الى عمان فقتله جلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الازدى سنة أربع وثلاثين ومائة ونذكره هنالك ان شاء الله تعالى وركب سليمان ومن معه من أهله ومواليه السفن الى السند ولما ولى السفاح الخلافة حضر عنده سليمان فاكرمه واعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف مولى السفاح اقبل عليه وقال

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فاقبل عليه سليمان وقال قتلتنى أيها الشيخ وقام السفاح فدخل فاخذ سليمان فقتل وانصرف مروان بعد مسير شيبان عن الموصل الى منزله بحران فاقام بها حتى سار الى الزاب

﴿ذكر اظهار الدعوة العباسية بخراسان﴾

وفى هذه السنة شخص ابو مسلم الخراسانى من خراسان الى ابراهيم الامام وكان يختلف منه الى خراسان ويعود اليه فلما كانت هذه السنة كتب ابراهيم الى ابى مسلم يستدعيه ليسأله عن اخبار الناس فسار نحوه فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفسا من النقباء فلما صاروا بالدانقان من ارض خراسان عرض له كامل فسأله عن مقصده فقال الحج ثم خلا به أبو مسلم فدعاه فاجابه ثم سار ابو مسلم الى نسا وعاملها سليمان بن قيس السلمى لنصر بن سيار فلما قرب منها أرسل النضل بن سليمان الطوسى الى اسيد بن عبد الله الخزاعى ليعلمه قدومه فدخل قرية من

والعذيب فذهب كثير من الناس الى أن ذلك كان فى سنة خمس عشرة ومنهم من رأى أنه كان فى سنة اربع عشرة والذى قطع عليه محمد بن اسحق أنها كانت فى خمس عشرة وقال فى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام فى شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المداينى وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس أنها مصرت فى ربيع سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبى وقاص من حرب جلولاء وتكريت وأن عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الخريبة ومصر سعد بن أبى وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغسانى وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودى) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم

قرى نسا فلقى رجلا من الشيعة فسأله عن أسيد فانتهره وقال له انه كان فى هذه القرية شر اسعى الى العامل برجلين قيل انهما داعيان فأخذهما وأخذ الاحجم بن عبد الله وغيلان بن فضالة وغالب ابن سعيد ومهاجر بن عثمان فانصرف الفضل الى أبى مسلم وأخبره فتنكب الطريق وأرسل طرخان الجمال يستدعى أسيدا ومن قدر عليه من الشيعة فدعا له أسيدا فاتاه فسأله عن الاخبار فقال قدم الازهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتب الامام اليك فخلفا الكتب عندى وخرجا فأخذا فلا أدرى من سعى بهما قال فاين الكتب فاتاه بها ثم سار حتى أتى قومس وعليها بيهس ابن بديل العجلى فاتاهم بيهس فقال أين تريدون قالوا الحج وأتاه وهو بقومس كتاب ابراهيم الامام اليه والى سليمان بن كثير يقول لابى مسلم فيه انى قد بعثت اليك براية النصر فارجع من حيث لقيك كتابى ووجه الى قحطبة بما معك يوافينى به فى الموسم فانصرف أبو مسلم الى خراسان ووجه قحطبة الى الامام بما معه من الاموال والعروض فلما كانوا بنيسابور عرض لهم صاحب المسلحة فسألهم عن حالهم فقالوا أردنا الحج فبلغنا عن الطريق شئ خفناه فأمر المفضل بن الشرقى السلمى بازعاجهم فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم فاجابه وأقام عندهم حتى ارتحلوا على مهل فقدم أبو مسلم مرو فدفع كتاب الامام الى سليمان بن كثير يأمره فيه باظهار الدعوة فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت ودعوا الى طاعة بنى العباس وأرسلوا الى من قرب منهم وبعد ممن اجابهم فأمروه باظهار أمرهم والدعاء اليهم فنزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها فنين على أبى الحكم عيسى بن أعين النقيب ووجه منها أبا داود النقيب ومعه عمرو بن أعين الى طخارستان فادون بلخ فامرهما باظهار الدعوة فى شهر رمضان وكان نزوله فى هذه القرية فى شعبان ووجه نصر بن صبيح التميمى وشريك بن غضى التميمى الى مرو الروذ باظهار الدعوة فى رمضان ووجه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم الى الطالقان ووجه الجهم بن عطية الى العلاء بن حريث بخوارزم باظهار الدعوة فى رمضان لخمس بقين منه فان اعجلهم عدوهم دون الوقت بالاذى والمكروه فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجردوا السيوف ويجاهدوا أعداء الله ومن شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت ثم تحول أبو مسلم من عند أبى الحكم فنزل قرية سفيذنج فنزل على سليمان بن كثير الخزاعى لليلتين خلتا من رمضان والكرمانى وشيبان يقاتلان نصر بن سيار فبث أبو مسلم دعاته فى الناس وأظهر أمره فاتاه فى ليلة واحدة أهل ستين قرية فلما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من السنة عقد اللواء الذى بعث به الامام الذى يدعى الظل على رمح طوله أربع عشرة ذراعا وعقد الراية التى بعث بها اليه وهى التى تدعى السحاب على رمح طوله ثلاث عشرة ذراعا وهو يتلو أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير واخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج وأوقدوا النيران ليلتهم لشيعتهم من سكان ربع خرقان وكانت علامتهم فتجمعوا اليه حين اصبحوا مغذين وتأول الظل والسحاب ان السحاب يطبق الارض وان الارض كما لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسى الى آخر الدهر وقدم على ابى مسلم الدعاة بمن أجاب الدعوة فكان اول من قدم عليه اهل التقادم مع ابى الوضاح فى تسعمائة راجل واربعة فرسان ومن اهل هرمز فره جماعة وقدم اهل التقادم مع ابى القاسم محرز بن ابراهيم الجوبانى فى الف وثلثمائة راجل وستة عشر فارسا فيهم من الدعاة ابو العباس المروزى فجعل اهل التقادم يكبرون من ناحيتهم ويجيبهم اهل التقادم بالتكبير فدخلوا عسكر ابى مسلم بسفيذنج بعد ظهوره بيومين وحصن

يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندى غلاما نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لاهل المدينة فان رأيت أن تأذن لى فى الارسال به فعلت فأذن له وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى ابا لؤلؤة وكان مجوسيا من اهل نهاوند فلبث ماشاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر ما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير فى كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو مدبر قال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم أحدث عنك أنك تقول لو شئت أن أصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى أبو لؤلؤة فقال عمر أما العلج فقد توعدنى آنفا فلما أزمع بالذى أوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس وكان عمر يخرج فى السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وطعن اثنى عشر رجلا من

أبومسلم حصن سفيذنج ورمه وسدّدروبها فلما حضر عيد الفطر أمر أبومسلم سليمان بن كثير ان يصلى به وبالشيعة ونصب له منبرا بالعسكر وأمره ان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامة وكان بنو أمية يبدؤن بالخطبة قبل الصلاة وبالاذان والاقامة وأمر أبومسلم أيضا سليمان بن كثير بست تكبيرات تباعا ثم يقرأ و يركع بالسابعة ويكبر فى الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ثم يقرأ و يركع بالسادسة ويفتح الخطبة بالتكبير ثم يختمها بالقرآن وكان بنو أمية يكبرون فى الاولى أربع تكبيرات يوم العيد وفى الثانية ثلاث تكبيرات فلما قضى سليمان الصلاة انصرف أبومسلم والشيعة الى طعام قد أعده لهم فأكلوا مستبشرين وكان أبومسلم وهو فى الخندق اذا كتب الى نصر بن سيار كتابا يكتب للامير نصر فلما قوى أبومسلم بمن اجتمع اليه بدأ بنفسه فكتب الى نصر أما بعد فان الله تباركت أسماؤه عير أقواما فى القرآن فقال واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فتعاظم نصر الكتاب وكسر له احدى عينيه وقال هذا كتاب ماله جواب وكان من الاحداث وأبومسلم بسفيذنج أن نصرا وجه مولى له يقال له يزيد لمحاربة أبى مسلم بعد ثمانية عشر شهرا من ظهوره فوجه اليه أبومسلم مالك بن الهيثم الخزاعى فالتقوا بقرية الين فدعاهم مالك الى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا عن ذلك فقاتلهم مالك وهو فى نحو مائتين من أول النهار الى العصر وقدم على أبى مسلم صالح بن سليمان الضبى وابراهيم بن زيد وزياد بن عيسى فسيرهم الى مالك فقوى بهم وكان قدومهم اليه مع العصر فقال مولى نصر ان تركنا هؤلاء الليلة أتتهم أمدادهم فاحملوا على القوم فحملوا عليهم واشتد القتال فحمل عبد الله الطائى على مولى نصر فأسره وانهزم أصحابه فأرسل الطائى بأسيره الى أبى مسلم ومعه رؤس القتلى فنصب الرؤس واحسن الى يزيد مولى نصر وعالجه حتى اندمل جراحه وقال له ان شئت ان تقيم معنا فقد أرشدك الله وان كرهت فارجع الى مولاك سالما وأعطنا عهد الله انك لا تحاربنا ولا تكذب علينا وان تقول فينا ما رأيت فرجع الى مولاه وقال أبومسلم ان هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح فانا عندهم على الاسلام وكذلك كان عندهم يرجفون عليهم بعبادة الاوثان واستحلال الدماء والاموال والفروج فلما قدم يزيد على نصر قال لا مرحبا فوالله ما استبقاك القوم الا ليتخذوك حجة علينا فقال يزيد هو والله ما ظننت وقد استحلفونى ان لا اكذب عليهم وانا أقول انهم والله يصلون الصلاة لمواقيتها باذان واقامة ويتلون القرآن ويذكرون الله كثيرا ويدعون الى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسب امرهم الا سيعلو ولولا أنك مولاى لارجعت اليك ولاقمت معهم فهذه اول حرب كانت بينهم

* وفى هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مروالروذ وقتل عامل نصر بن سيار وكان سبب ذلك انه لما أراد الخروج بمروالروذ وهو من شيعة بنى العباس منعه بنو تميم فقال انما أنا رجل منكم اريد ان اغلب على مرو فان ظفرت فهى لكم وان قتلت فقد كفيتم امرى فكفوا عنه فعسكر بقرية يقال لها كنج رستاق وقدم عليه من عند ابى مسلم النضر بن صبيح فلما امسى خازم بيت اهل مرو فقتل بشر بن جعفر السعدى عامل نصر بن سيار عليها فى اول ذى القعدة وبعث بالفتح الى ابى مسلم مع ابنه خزيمة بن خازم وقد قيل فى امر ابى مسلم غير ما ذكرنا والذى قيل ان ابراهيم الامام زوج أبا مسلم لما توجه الى خراسان ابنة أبى النجم وساق عنه صداقها وكتب الى النقباء بالسمع والطاعة

أهل المجدفات منهم سنة وبقى سنة وبحر نفسه بخضره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد فانه لو جاءك راعى ابلك أو غنمك وترك ابله أو غنمه لا راعى بها المته وقلت له كيف تركت أمانتك ضائعة فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد فاستخلف عليهم فقال ان استخلف عليهم فقد استخلف أبو بكر وان أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة بأربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من ام وعبد الرحمن وفاطمة وبنات أخر وعبد الرحمن الاصغر وهو المحدود فى الشراب وهو المعروف بأبى شحمة من أم (وذكر عبد الله بن عباس) أن عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس ان عامل حمص هلك وكان من اهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت ان تكون منهم

وكان أبومسلم من أهل خطرنية من سواد الكوفة وكان قهرمانا لادريس بن معقل العجلى فصار أمره الى ولاية لمحمد بن على ثم لابنه ابراهيم بن محمد ثم للائمة من ولد محمد فقدم خراسان وهو حدث السن فلم يقبله سليمان بن كثير وخاف ان لا يقوى على أمرهم فرده وكان أبوداود خالد بن ابراهيم غائبا خلف نهر بلخ فلما رجع الى مرو أقرؤه كتاب الامام ابراهيم فسأل عن أبى مسلم فاخبروه ان سليمان بن كثير رده فجمع النقباء وقال لهم أتاكم كتاب الامام فيمن بعثه اليكم فرددتموه فما حجتكم فقال سليمان لحداثة سنه وتخوفا ان لا يقدر على هذا الامر فخفنا على من دعونا وعلى انفسنا فقال أبوداود هل فيكم احد ينكر ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه وبعثه الى جميع خلقه قالوا لا قال افتشكون ان الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله وحرامه وشرائعه وأنباؤه وأخبر بما كان قبله وبما يكون بعده قالوا لا قال افتشكون ان الله قبضه اليه بعد ان أدى ما عليه من رسالة ربه قالوا لا قال أفتظنون ان العلم الذى أنزل اليه رفع معه أو خلفه قالوا بل خلفه قال أفتظنونه خلفه عند غير عترته وأهل بيته الاقرب فالاقرب قالوا لا قال أفتشكون ان أهل هذا البيت معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى علمه الله قالوا اللهم لا قال فأراكم قد شككتم فى أمركم ورددتم عليهم علمهم ولو لم يعلموا ان هذا الرجل الذى ينبغى له ان يقوم بأمرهم لم يبعثوه اليكم وهو لا يتهم فى نصرتهم وموالاتهم والقيام بحقهم فبعثوا الى أبى مسلم فردوه من قومس بقول أبى داود وولوه أمرهم واطاعوه فلم يزل فى نفس أبى مسلم على سليمان بن كثير ولم يزل يعرفها لابى داود وبث الدعاة فى اقطار خراسان فدخل الناس افواجا وكثروا وفشت الدعاة بخراسان كلها وكتب اليه ابراهيم الامام ان يوافيه فى موسم سنة تسع وعشرين ليأمره بامره فى اظهار دعوته وان يقدم معه قحطبة بن شبيب ويحمل اليه ما اجتمع عنده من الاموال ففعل ذلك وسار فى جماعة من النقباء والشيعة فلقيه كتاب الامام يأمره بالرجوع الى خراسان واظهار الدعوة بها وذكر قريبا مما تقدم من تسيير المال مع قحطبة وان قحطبة سار فنزل بنواحى جرجان فاستدعى خالد بن برمك وأبا عون فقدما عليه ومعهما ما اجتمع عندهما من مال الشيعة فأخذه منهما وسار نحو ابراهيم الامام

﴿ذكر مقتل الكرمانى﴾

قد ذكرنا مقتل الحرث بن سريج وان الكرمانى قتله ولما قتله خلصت له مرو وتنحى نصر عنها فأرسل نصر اليه سالم بن أحوز فى رابطته وفرسانه فوجد يحيى بن نعيم الشيبانى واقفا فى ألف رجل من ربيعة ومحمد بن المثنى فى سبعمائة من فرسان الازد وابن الحسن بن الشيخ فى ألف من فتيانهم والجرمى السعدى فى ألف من أبناء اليمن فقال سالم لمحمد بن المثنى يا محمد قل لهذا الملاح ليخرج الينا يعنى الكرمانى فقال محمد يا ابن الفاعلة لابى على تقول هذا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سالم ابن أحوز وقتل من أصحابه زيادة على مائة ومن أصحاب الكرمانى زيادة على عشرين فلما قدم أصحاب نصر عليه منهزمين قال له عصمة بن عبد الله الاسدى يا نصر شأمت العرب فأما اذ فعلت ما فعلت فشمر عن ساق فوجه عصمة فى جمع فوقف موقف سالم فنادى يا محمد بن المثنى لتعلمن ان السمك لا يأكل اللحم واللحم دابة من دواب الماء تشبه السبع يأكل السمك فقال له محمد يا ابن الفاعلة قف لنا اذا وأمر محمد السعدى فخرج اليه فى أهل اليمن فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم عصمة حتى أتى نصرا وقد قتل من أصحابه أربعمائة ثم أرسل نصر مالك بن عمرو التميمى فى أصحابه فنادى يا ابن المثنى ابرز الى فبرز اليه فضربه مالك على حبل عاتقه فلم يصنع شيأ وضربه

وفى نفسى منك شئ لم اره منك وأعيانى ذلك فما رايك فى العمل قال لن أعمل حتى تخبرنى بالذى فى نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شئ اخاف منه على نفسى خشيت منه عليها الذى خشيت وان كنت بريأ من مثله علمت انى لست من اهله فقبلت عملك هنالك فانى قلما رأيت اوظننت شيأ الا عاينته فقال يا ابن عباس انى خشيت أن يأتى على الذى هو آت وانت فى عملك فتقول هلم الينا ولا هلم اليكم دون غيركم انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وتركم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما ادرى أضن بكم عن العمل فأهل ذلك انتم أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد فرغت لك قال فما رأيك قال قلت أرانى لا أعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفى نفسك ما فيها لم أبرح قذى فى عينك قال فأشر على قلت انى أرى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة ابن عبد الله المزى عن معقل ابن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس

محمد بعمود فشدخ رأسه والتحم القتال فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أصحاب نصر وقد قتل منهم سبعمائة ومن أصحاب الكرمانى ثلثمائة ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا الى الخندقين فاقتتلوا قتالا شديدا فلما استيقن أبو مسلم ان كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وانه لا مدد لهم جعل يكتب الى شيبان ثم يقول للرسول اجعل طريقك على مضر فانهم سيأخذون كتبك فكانوا يأخذونها فيقرؤن فيها انى رأيت اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تطمئن اليهم فانى ارجوان يريك الله فى اليمانية ما تحب ولئن بقيت لا أدع لهم شعرا ولا ظفرا ويرسل رسولا آخر بكتاب فيه ذكر مضر بمثل ذلك ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه ثم جعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرمانى ان الامام أوصانى بكم ولست أعدو رأيه فيكم وكتب الى الكور باظهار الامر فكان أول من سود أسد بن عبد الله الخزاعى بنسا ومقاتل بن حكيم وابن غزوان ونادوا يا محمد يا منصور وسود أهل ابيورد وأهل مروالروذ وقرى مرو وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق الكرمانى وخندق نصر وهابه الفريقان وبعث الى الكرمانى انى معك فقبل ذلك الكرمانى فانضم أبو مسلم اليه فاشتد ذلك على نصر بن سيار فارسل الى الكرمانى ويحك لا تغتر فوالله انى لخائف عليك وعلى أصحابك منه فادخل مرو ونكتب كتابا بيننا بالصلح وهو يريد ان يفرق بينه وبين أبى مسلم فدخل الكرمانى منزله وأقام أبو مسلم فى العسكر وخرج الكرمانى حتى وقف فى الرحبة فى مائة فارس وعليه قرطق وأرسل الى نصر اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب فابصر نصر منه غرة فوجه اليه ابن الحرث بن سريج فى نحو من ثلثمائة فارس فى الرحبة فالتقوا بها طويلا ثم ان الكرمانى طعن فى خاصرته فخر عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به فقتل نصر بن سيار الكرمانى وصلبه وصلب معه سمكة وأقبل ابنه على وقد جمع جمعا كثيرا فصار الى أبى مسلم واستصحبه معه فقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الامارة فمال الى بعض دور مرو وأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو وأتاه على بن الكرمانى وأعلمه أنه معه وسلم عليه بالامرة وقال له مرنى بامرك فانى مساعدك على ما تريد فقال أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بامرى ولما نزل أبو مسلم بين خندق الكرمانى ونصر ورأى نصر قوته كتب الى مروان بن محمد يعلمه حال أبى مسلم وخروجه وكثرة من معه فانه يدعو الى ابراهيم بن محمد وكتب بابيات شعر

أرى بين الرماد وميض نار * وأخشى أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ امية أم نيام

فكتب اليه مروان ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب واحسم الثؤلول قبلك فقال نصر أما صاحبكم فقد أعلمكم انه لا نصر عنده فكتب الى يزيد بن هبيرة يستمده وكتب له بابيات شعر

أبلغ يزيد وخير القول اصدقه * وقد تيقنت ان لا خير فى الكذب
ان خراسان ارض قد رأيت بها * بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين الا انها كبرت * لما يطرن وقد سربلن بالزغب
الا تدارك بخيل الله معلمة * ألهبن نيران حرب أيما لهب

فقال يزيد لا تكثر فليس له عندى رجل فلما قرأ مروان كتاب نصر تصادف وصول كتابه وصول رسول لابى مسلم الى ابراهيم وقد عاد من عند ابراهيم ومعه جواب أبى مسلم يلعنه ابراهيم ويسبه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانى اذ أمكناه ويأمره ان لا يدع بخراسان متكلما

وأصبهان واذربيجان فقال له أصبهان الرأس وفارس وأذربيجان الجناحان فان قطعت احد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أرانى الا مستعملك قال أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمرو الاشعث ابن قيس فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم وهو يقال له ذو الجناحين فقطع اليهم نهرهم فقيل لذى الجناحين ان رسول العرب ههنا فشاور أصحابه فقال ما ترون فقالوا اقعد له فى بهجة الملك فصعد على سريره ووضع التاج على وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط وأسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بسطهم يخرقها لينظروا فيغيظهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل

بالعربية الا قتله فلما قرأ الكتاب كتب الى عامله بالبلقاء ليسير الى الحميمة وليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ويبعث به اليه ففعل ذلك فأخذه مروان وحبسه

❀(ذكر تعاقد أهل خراسان على أبى مسلم)❀

وفى هذه السنة تعاقدت عامة قبائل العرب بخراسان على قتال أبى مسلم وفيها تحول أبو مسلم من معسكر باسفيذنج الى الماخوان وكان سبب ذلك ان أبا مسلم لما ظهر أمره سارع اليه الناس وجعل اهل مرو يأتونه ولا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم وكان الكرمانى وشيبان لا يكرهان امر ابى مسلم لانه دعا الى خلع مروان وأبو مسلم فى خباء ليس له حرس ولا حجاب وعظم امره عند الناس وقالوا ظهر رجل من بنى هاشم له حلم ووقار وسكينة فانطلق فتية من اهل مرو نساك يطلبون الفقه الى ابى مسلم فسألوه عن نسبه فقال خبرى خير لكم من نسبى وسألوه اشياء من الفقه فقال امركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن الى عونكم أحوج منا الى مسئلتكم فاعفونا فقالوا ما نعرف لك نسبا ولا نظنك تبقى الا قليلا حتى تقتل وما بينك وبين ذلك الا ان يتفرغ احد هذين الاميرين فقال ابو مسلم انا اقتلهما ان شاء الله فاتوا نصرا فاخبروه فقال جزاكم الله خيرا مثلكم من يتفقد هذا ويعرفه وأتوا شيبان فاعلموه فأرسل اليه نصر انا قد أشجى بعضنا بعضا فاكفف عنى حتى اقاتله وان شئت فجامعنى الى حربه حتى اقتله أو انفيه ثم نعود الى امرنا الذى نحن عليه فهم شيبان أن يفعل ذلك فأتى الخبر أبا مسلم فكتب الى على بن الكرمانى انك موتور قتل ابوك ونحن نعلم انك لست على رأى شيبان وانما تقاتل لثارك فامنع شيبان من صلح نصر فدخل على شيبان فثناه عن رأيه فارسل نصر الى شيبان انك لمغرور والله ليتفاقمن هذا الامر حتى يستصغر فى جنبه كل كبير وقال شعرا يخاطب به ربيعة واليمن ويحثهم على الاتفاق معه على حرب ابى مسلم

أبلغ ربيعة فى مرو وفى يمن * ان اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم * كأن أهل الحجى عن رأيكم غيب
وتتركون عدوا قد أحاط بكم * ممن تأشب لا دين ولا حسب
لا عرب مثلكم فى الناس نعرفهم * ولا صريح موال ان هم نسبوا
من كان يسألنى عن أصل دينهم * فان دينهم أن تهلك العرب
قوم يقولون قولا ما سمعت به * عن النبى ولا جاءت به الكتب

فبيناهم كذلك اذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبى الى هراة وعليها عيسى بن عقيل بن معقل الليثى فطرده عنها فقدم على نصر منهزما وغلب النضر على هراة فقال يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى لابن الكرمانى وشيبان اختاروا اما انكم تهلكون أنتم قبل مضر او مضر قبلكم قالوا وكيف ذلك قال ان هذا الرجل انما اظهر امره منذ شهر وقد صار فى عسكره مثل عسكركم قالوا فما الرأى قال صالحوا نصرا فانكم ان صالحتموه قاتلوا نصرا وتركوكم لان الامر فى مضر وان لم تصالحوا نصرا صالحوه وقاتلوكم فقدموا مضر قبلكم ولو ساعة من نهار فتقر أعينكم بقتلهم فارسل شيبان الى نصر يدعوه الى الموادعة فاجابه وارسل سالم بن احوز بكتاب الموادعة فاتى شيبان وعنده ابن الكرمانى ويحيى بن نعيم فقال سالم لابن الكرمانى يا اعور ما اخلقك ان تكون الاعور الذى يكون هلاك مضر على يده ثم توادعوا سنة وكتبوا كتابا فبلغ ذلك ابا مسلم فكتب الى شيبان انا نوادعك اشهرا فوادعنا ثلاثة اشهر فقال ابن الكرمانى انى ما صالحت نصرا انما صالحه شيبان وانا لذلك

يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرناكم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبى صلى الله عليه وسلم ببعثه وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما ههنا ونغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلفى بتاركيها يصيبوها أو يموتوا فقالت لى نفسى لو جمعت جراميزى ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريره فجعلوا يركزونى بأرجلهم ويجذبونى بأيديهم فقلت لهم انا لا نفعل برسلكم هكذا وان كنت فجرت واستخففت فلا تؤاخذونى فان الرسل لا يصنع بها هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فتسلسلوا كل خمسة وستة حتى لا تفروا فعبرنا

كاره وأنا موتور بقتله أبي ولا أدع قتاله فعاودا القتال ولم يعنه شيبان وقال لا يحل الغدر فارسل ابن الكرمانى الى أبى مسلم يستنصره فاقبل حتى نزل الماخوان وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوما ولما نزل الماخوان حفر بها خندقا وجعل للخندق بابين فعسكر به واستعمل على الشرط أبا نصر مالك بن الهيثم وعلى الحرس أبا اسحق خالد بن عثمان وعلى ديوان الجند كامل بن مظفر أبا صالح وعلى الرسائل أسلم بن صبيح وعلى القضاء القاسم بن مجاشع النقيب وكان القاسم يصلى بأبى مسلم فيقص القصص بعد العصر فيذكر فضل بنى هاشم ومعايب بنى أمية ولما نزل أبو مسلم الماخوان أرسل الى ابن الكرمانى انى معك على نصر فقال ابن الكرمانى انى أحب أن يلقانى أبو مسلم فاتاه أبو مسلم فاقام عنده يومين ثم رجع الى الماخوان وذلك لخمس خلون من المحرم سنة ثلاثين ومائة وكان أول عامل استعمله أبو مسلم على شئ من العمل داود بن كراز فرد أبو مسلم العبيد عنه واحتفر لهم خندقا فى قرية شوال وولى الخندق داود بن كراز فلما اجتمعت للعبيد جماعة وجههم الى موسى بن كعب بابيورد وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر ان يعرض الجند ويكتب أسماءهم وأسماء آبائهم ونسبتهم الى القرى ويجعل ذلك فى دفتر فبلغت عدتهم سبعة آلاف رجل ثم ان القبائل من مضر وربيعة واليمن توادعوا على وضع الحرب وان تجتمع كلمتهم على أبى مسلم وبلغ أبا مسلم الخبر فعظم عليه وناظر فاذا الماخوان سافلة الماء فتخوف ان يقطع نصر عنه الماء فتحول الى آلين وكان مقامه بالماخوان أربعة أشهر فنزل آلين وخندق بها وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض وجعل عاصم بن عمرو ببلاش جرد وأبا الذيال بطوسان فانزل أبو الذيال جنده على أهلها وكان عامة أهلها مع أبى مسلم فى الخندق فآذوا أهل طوسان وعسفوهم وسير اليهم أبو مسلم جندا فلقوا أبا الذيال فهزموه وأسروا من أصحابه نحوا من ثلاثين رجلا فكساهم أبو مسلم وداوى جراحهم وأطلقهم ولما استقر بأبى مسلم معسكره بآلين أمر محرز بن ابراهيم ان يسير فى جماعة ويخندق بجيرنج ويجتمع عنده جمع من الشيعة ليقطع مادة نصر من مرو الروذ وبلخ وطخارستان ففعل ذلك واجتمع عنده نحو من ألف رجل فقطع المادة عن نصر

﴿ذكر غلبة عبد الله بن معاوية على فارس وقتله﴾

وفى هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس وكورها وقد تقدم ذكر ظهوره بالكوفة وانهزامه وخروجه من الكوفة نحو المدائن فلما وصل اليها أتاه ناس من أهل الكوفة وغيرها فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس واصبهان والرى وخرج اليه عبيد أهل الكوفة وأقام باصبهان وكان محارب بن موسى مولى بنى يشكر عظيم القدر بفارس فجاء الى دار الامارة باصطخر فطرد عامل ابن عمر عنها وبايع الناس لعبد الله بن معاوية وخرج محارب الى كرمان فاغار عليها وانضم الى محارب قواد من أهل الشام فسار الى مسلم بن المسيب وهو عامل ابن عمر بشيراز فقتله فى سنة ثمان وعشرين ثم خرج محارب الى اصبهان الى عبد الله بن معاوية فحوله الى اصطخر فاقام بها وأتاه الناس بنو هاشم وغيرهم وجبى المال وبعث العمال وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وأتاه شيبان بن عبد العزيز الخارجى على ما تقدم وأتاه أبو جعفر المنصور وأتاه عبد الله وعيسى أولاد على بن عبد الله بن عباس ولما قدم ابن هبيرة على العراق أرسل نباتة بن حنظلة الكلابى الى عبد الله بن معاوية وبلغ سليمان بن حبيب ان ابن هبيرة استعمل نباتة على الاهواز فسرح داود بن حاتم فاقام بكرخ دينار يمنع نباتة من الاهواز فقاتله فقتل داود وهرب سليمان من الاهواز الى سابور وفيها الاكراد قد غلبوا

عليها

اليهم فضايقناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع فى الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال انى هازلوائى ثلاث مرات فأما أول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان وانى داع الى الله بدعوة وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز ثلاثا ثم أدلى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فأتيت عليه فذكرت عزمة لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه وفتح الله على المسلمين فأتيت الى مكان النعمان فصادفته

عليها فقاتلهم سليمان وطردهم عن سابور وكتب الى ابن معاوية بالبيعة ثم ان محارب بن موسى اليشكرى نافر ابن معاوية وفارقه وجمع جمعا فاتى سابور فقاتله يزيد بن معاوية أخو عبد الله فانهزم محارب وأتى كرمان فاقام بها حتى قدم محمد بن الاشعث فصار معه ثم نافره فقتله ابن الاشعث وأربعة وعشرين ابنا له ولم يزل عبد الله بن معاوية باصطخر حتى أتاه ابن ضبارة مع داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة وسير ابن هبيرة أيضا معن بن زائدة من وجه آخر فقاتلهم معن عند مرو شاذان ومعن يقول

ليس أمير القوم بالخب الخدع ❊ فر من الموت وفى الموت وقع

وانهزم ابن معاوية فكف معن عنهم وقتل فى المعركة رجل من آل أبى لهب وكان يقال يقتل رجل من بنى هاشم بمرو الشاذان وأسروا أسرى كثيرة فقتل ابن ضبارة منهم عدة كثيرة وهرب منصور ابن جمهور الى السند وعبد الرحمن بن يزيد الى عمان وعمرو بن سهل بن عبد العزيز بن مروان الى مصر وبعث ببقية الاسرى الى ابن هبيرة فاطلقهم ومضى ابن معاوية الى خراسان فسار معن بن زائدة يطلب منصور بن جمهور فلم يدركه فرجع وكان مع ابن معاوية من الخوارج وغيرهم خلق كثير فأسر منهم أربعون ألفا فيهم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس فسبه ابن ضبارة وقال له ما جاء بك الى ابن معاوية وقد عرفت خلافه لامير المؤمنين فقال كان على دين فأتيته فشفع فيه حرب بن قطن الهلالى وقال هو ابن أختنا فوهبه له فعاب عبد الله بن على عبد الله بن معاوية ورمى أصحابه باللواط فسيره ابن ضبارة الى ابن هبيرة ليخبره أخبار ابن معاوية وسار فى طلب عبد الله بن معاوية الى شيراز فحصره فخرج عبد الله بن معاوية منها هاربا ومعه أخواه الحسن ويزيد ابنا معاوية وجماعة من أصحابه وسلك المفازة على كرمان وقصد خراسان طمعا فى أبى مسلم لانه يدعو الى الرضا من آل محمد وقد استولى على خراسان فوصل الى نواحى هراة وعليها أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعى فأرسل الى ابن معاوية يسأله عن قدومه فقال بلغنى انكم تدعون الى الرضا من آل محمد فأتيتكم فأرسل اليه مالك انتسب نعرفك فانتسب له فقال أما عبد الله وجعفر فمن أسماء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما معاوية فلا نعرفه فى أسمائهم فقال ان جدى كان عند معاوية لما ولد له أبى فطلب اليه أن يسمى ابنه باسمه ففعل فأرسل اليه معاوية بمائة ألف درهم فارسل اليه مالك لقد اشتريتم الاسم الخبيث بالثمن اليسير ولا نرى لك حقا فيما تدعوا اليه ثم ارسل الى أبى مسلم يعرفه خبره فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فقبض عليهم وحبسهم ثم ورد عليه كتاب أبى مسلم يأمره باطلاق الحسن ويزيد ابنى معاوية وقتل عبد الله بن معاوية فأمر من وضع فراشا على وجهه فمات وأخرج فصلى عليه ودفن وقبره بهراة معروف يزار رحمه الله

﴿ذكر أبى حمزة الخارجى وطالب الحق﴾

وفى هذه السنة قدم أبو حمزة بلج بن عقبة الازدى الخارجى من الحج من قبل عبد الله بن يحيى الحضرمى طالب الحق محكما الخلاف على مروان بن محمد فبينما الناس بعرفة ما شعروا الا وقد طلعت عليهم اعلام وعمائم سود على رؤس الرماح وهم سبعمائة ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ على مكة والمدينة وطلب منهم الهدنة فقالوا نحن بحجنا اضن وعليه أشح فصالحهم على انهم جميعا آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الاخير فوقفوا بعرفة على حدة فدفع بالناس عبد الواحد فنزل بمنى فى منزل السلطان ونزل أبو حمزة بقرن الثعالب فارسل

وبه رمق فأتيته باداوة فغسلت وجهه فقال من هذا فقلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث ابن قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب فأخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما (قال المسعودى) رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان ابن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم سأله عن السلاح فأخبره بما علم ثم سأله عن قومه

عبد الواحد الى أبى حمزة الخارجى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب وربيعة بن أبى عبد الرحمن فى رجال أمثالهم فدخلوا على أبى حمزة وعليه ازار قطن غليظ فتقدمهم اليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له فعبس فى وجوههما وأظهر الكراهة لهما ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له فهش اليهما وتبسم فى وجوههما وقال والله ماخرجنا الا لنسير بسيرة أبويكما فقال له عبد الله بن الحسن والله ماخرجنا لتفضل بين آبائنا ولكن بعثنا اليك الامير برسالة وهذا ربيعة يخبرك فلما ذكر له ربيعة نقض العهد قال أبو حمزة معاذ الله ان ننقض العهد أو نخيس به لا والله لا أفعل ولو قطعت رقبتى هذه ولكن تنقضى الهدنة بيننا وبينكم فرجعوا الى عبد الواحد فأبلغوه فلما كان النفر الاول نفر عبد الواحد فيه وخلى مكة فدخلها أبو حمزة بغير قتال فقال بعضهم فى عبد الواحد

زار الحجيج عصابة قد خالفوا * دين الاله ففر عبد الواحد
ترك الحلائل والامارة هاربا * ومضى يخبط كالبعير الشارد

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فضرب على أهلها البعث وزادهم فى العطاء عشرة عشرة واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فخرجوا فلما كانوا بالحرة تلقتهم جزر منحورة فمضوا

﴿ذكر ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهرى بالاندلس﴾

وفى هذه السنة توفى ثوابة بن سلمة أمير الاندلس وكانت ولايته سنتين وشهورا فلما توفى اختلف الناس فالمضرية أرادت أن يكون الامير منهم واليمانية أرادت كذلك أن يكون الامير منهم فبقوا بغير أمير فخاف الصميل الفتنة فأشار بأن يكون الوالى من قريش فرضوا كلهم بذلك فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وكان يومئذ بالبيرة فكتبوا اليه بما اجتمع عليه الناس من تأميره فامتنع فقالوا والله ان لم تفعل وقعت الفتنة ويكون اثم ذلك عليك فأجاب حينئذ وسار الى قرطبة فدخلها واطاعه الناس فلما انتهى الى أبى الخطار موت ثوابة وولاية يوسف قال انما أراد الصميل ان يصير الامر الى مضر وسعى فى الناس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومضر فلما رأى يوسف ذلك فارق قصر الامارة بقرطبة وعاد الى منزله وسار أبو الخطار الى شقنده فاجتمعت اليه اليمانية واجتمعت المضرية الى الصميل وتزاحفوا واقتتلوا أياما كثيرة قتالا لم يكن بالاندلس أعظم منه ثم أجلت الحرب عن هزيمة اليمانية ومضى أبو الخطار منهزما فاستتر فى رحى كانت للصميل فدل عليه فأخذه الصميل وقتله ورجع يوسف بن عبد الرحمن الى القصر وازداد الصميل شرفا وكان اسم الامارة ليوسف والحكم الى الصميل ثم خرج على يوسف بن عبد الرحمن بن علقمة اللخمى بمدينة أربونة فلم يلبث الا قليلا حتى قتل وحمل رأسه الى يوسف وخرج عليه عذرة المعروف بالذمى فانما قيل له ذلك لانه استعان بأهل الذمة فوجه اليه يوسف عامر بن عمرو وهو الذى تنتسب اليه مقبرة عامر من أبواب قرطبة فلم يظفر به وعاد مفلولا فسار اليه يوسف بن عبد الرحمن فقاتله فقتله واستباح عسكره وقد وردت هذه الحادثة من جهة أخرى وفيها بعض الخلاف وسنذكرها سنة تسع وثلاثين ومائة عند دخول عبد الرحمن الاموى الاندلس

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس عبد الواحد وهو كان العامل على مكة والمدينة والطائف وكان على العراق يزيد بن

فقال له أخبرنى عن قومك مذحج ودع طيبا قال سلنى عن أيهم شئت قال أخبرنى عن صلة ابن خالد قال هم فرسان اعراضنا وشفاة أمراضنا وهم أعتقنا وأنجبنا وأسرعنا طلبا وأقلنا هربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمر فما أبقيت لسعد العشيرة قال هم أعظمنا خميسا وامضانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا وخيرنا جارا وأبعدنا نارا وهم الاتقياء البررة والساعون الفجرة قال فأخبرنى عن بنى زبيد قال انا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فأخبرنى عن طيئ قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول فى عبس قال جمع عظيم وزين أثير قال أخبرنى عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرنى عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فاخبرنى عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار ويوفون الذمار قال فاخبرنى عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا

هبيرة وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربى وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور وكان على خراسان نصر بن سيار والفتنة بها وفيها مات سالم أبو نصر وفيها مات يحيى بن يعمر العدوى بخراسان وكان قد تعلم النحو من أبى الاسود الدؤلى وكان من فصحاء التابعين وفيها مات أبو الزناد عبد الله بن ذكوان وفيها مات وهب بن كيسان ويحيى بن أبى كثير اليمامى أبو نصر وسعيد بن أبى صالح وأبو اسحق الشيبانى والحرث بن عبد الرحمن ورقبة بن مصقلة الكوفى ومنصور بن زاذان مولى عبد الرحمن بن أبى عقيل الثقفى وشهد جنازته المسلمون واليهود والنصارى والمجوس لاتفاقهم على صلاحه وقيل مات سنة احدى وثلاثين

﴿ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر دخول أبى مسلم مرو والبيعة بها﴾

وفى هذه السنة دخل أبو مسلم مدينة مرو فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى وكان السبب فى ذلك فى اتفاق ابن الكرمانى معه ان ابن الكرمانى ومن معه وسائر القبائل بخراسان لما عاقدوا نصرا على أبى مسلم عظم عليه وجمع أصحابه لحربهم فكان سليمان بن كثير بازاء ابن الكرمانى فقال له سليمان ان أبا مسلم يقول لك أما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالامس أباك وصلبه وما كنت أحسبك تجامع نصرا فى مسجد تصليان فيه فأحفظه هذا الكلام فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب فلما انتقض صلحهم بعث نصر الى أبى مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر وبعث أصحاب ابن الكرمانى وهم ربيعة واليمن الى أبى مسلم بمثل ذلك فراسلوه بذلك أياما فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ففعلوا وأمر أبو مسلم الشيعة أن تختار ربيعة واليمن فان الشيطان فى مضر وهم أصحاب مروان وعماله وقتلة يحيى بن زيد فقدم الوفدان فجلس أبو مسلم وأجلسهم وجمع عنده من الشيعة سبعين رجلا فقال لهم لتختاروا أحد الفريقين فقام سليمان بن كثير من الشيعة فتكلم وكان خطيبا مفوها فاختار ابن الكرمانى وأصحابه ثم قام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فاختارهم أيضا ثم قام مرثد بن شقيق السلمى فقال ان مضر قتلة آل النبى صلى الله عليه وسلم واعوان بنى أمية وشيعة مروان الجعدى وعماله ودماؤنا فى أعناقهم وأموالنا فى أيديهم ونصر بن سيار عامل مروان ينفذ أموره ويدعو له على منبره ويسميه أمير المؤمنين ونحن نبرأ الى الله عز وجل من أن يكون نصر على هدى وقد اخترنا على بن الكرمانى وأصحابه فقال السبعون القول ماقال مرثد بن شقيق فنهض وفد نصر عليهم الكآبة والذلة ورجع وفد ابن الكرمانى منصورين ورجع أبو مسلم من آلين الى الماخوان وأمر الشيعة أن يبنوا المساكن فقد أغناهم الله من اجتماع كلمة العرب عليهم ثم ارسل الى على بن الكرمانى ليدخل مدينة مرو من ناحيته وليدخل هو وعشيرته من الناحية الاخرى فأرسل اليه أبو مسلم انى لست آمن ان تجتمع يدك ويد نصر على محاربتى ولكن ادخل أنت فانشب الحرب مع أصحاب نصر فدخل ابن الكرمانى فانشب الحرب وبعث أبو مسلم شبل بن طهمان النقيب فى خيل فدخلوها ونزل شبل بقصر بخاراخذاه وبعث الى أبى مسلم ليدخل اليهم فسار من الماخوان وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعى وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعى وعلى ميسرته القاسم ابن مجاشع التميمى فدخل مرو والفريقان يقتتلان فأمرهما بالكف وهو يتلو من كتاب الله عز وجل ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية ومضى أبو مسلم الى قصر الامارة وأرسل الى الفريقين أن كفوا ولينصرف كل

بلادا قال فأخبرنى عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرنى عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا ملكا قال فاخبرنى عن جذام قال أولئك كالعجوز العبراء وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرنى عن غسان قال أرباب فى الجاهلية نجوم فى الاسلام قال فاخبرنى عن الاوس والخزرج قال هم الانصار وهم أعز نادارا وأمنعنا ذمارا وقد كفانا الله مدحهم اذ يقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فاخبرنى عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فاى العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومى فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدى من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر بن وائل ثم لو جلت بفرسى على مياه معد ماخفت هيج أحد مالم يلقنى حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة بن الحرث بن شهاب التميمى وأما عبداها فعنترة

فريق الى عسكره فقتلوا وصفت مرو لابى مسلم فأمر بأخذ البيعة من الجند وكان الذى يأخذها أبومنصور طلحة بن رزيق وكان أحد النقباء عالما بحجج الهاشمية ومعايب الاموية وكان النقباء اثنى عشر رجلا اختارهم محمد بن على من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله الى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة ووصف له من العدل صفة وكان منهم من خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة بن رزيق وعمرو بن أعين ومن طىء قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ومن تميم موسى بن كعب أبوعيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع واسلم بن سلام ومن بكر بن وائل أبوداود بن ابراهيم الشيبانى وأبوعلى الهروى ويقال شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين وعيسى بن كعب وأبوالنجم اسمعيل بن عمران مكان أبى على الهروى وهو ختن أبى مسلم ولم يكن فى النقباء أحد والده حى غير أبى منصور طلحة بن رزيق بن سعد وهو أبو زينب الخزاعى وكان قد شهد حرب ابن الاشعث وصحب المهلب وغزا معه وكان أبومسلم يشاوره فى الامور ويسأله عنها وعما شهد من الحروب وكانت البيعة أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى الى بيت الله الحرام وعلى ان لا تسألوا رزقا ولا طمعا حتى يبتدئكم به ولاتكم (رزيق بتقديم الراء على الزاى)

﴿ذكر هرب نصر بن سيار من مرو﴾

ثم أرسل أبومسلم لاهز بن قريظ فى جماعة الى نصر بن سيار يدعوه الى كتاب الله عز وجل والرضا من آل محمد فلما رأى ما جاءه من اليمانية والربيعة والعجم وانه لا طاقة له بهم أظهر قبول ما أتاه به وانه يأتيه ويبايعه وجعل يريثهم لما هم به من الغدر والهرب الى ان أمسوا وأمر أصحابه ان يخرجوا من ليلتهم الى مكان يأمنون فيه فقال له سالم بن احوز لا يتهيأ لنا الخروج الليلة ولكننا نخرج القابلة فلما كان الغد عبى أبومسلم اصحابه وكتائبه الى بعد الظهر واعاد الى نصر لاهز بن قريظ وجماعة معه فدخلوا على نصر فقال ما أسرع ما عدتم فقال له لاهز بن قريظ لا بد لك من ذلك فقال نصر اذا كان لا بد من ذلك فانى أتوضأ وأخرج اليه وأرسل الى أبى مسلم فان كان هذا رأيه وامره أتيته وأتهيأ الى ان يجىء رسولى فقام نصر فلما قام قرأ لاهز بن قريظ ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فدخل نصر منزله واعلمهم انه ينتظر انصراف رسوله من عند أبى مسلم فلما جنه الليل خرج من خلف حجرته ومعه تميم ابنه والحكم بن نميلة النميرى وامرأته المرزبانة وانطلقوا هرابا فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله فوجدوه قد هرب فلما بلغ ذلك ابامسلم سار الى معسكر نصر واخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتفهم وكان فيهم سالم بن احوز صاحب شرطة نصر والبخترى كاتبه وابنان له ويونس بن عبد ربه ومحمد بن قطن ومجاهد بن يحيى بن حضين وغيرهم فاستوثق منهم بالحديد وكانوا فى الحبس عنده وسار أبومسلم وابن الكرمانى فى طلب نصر ليلتهما فادركا امرأته قد خلفها وسار فرجع ابومسلم وابن الكرمانى الى مرو وسار نصر الى سرخس واجتمع معه ثلاثة آلاف رجل ولما رجع ابومسلم سأل من كان ارسله الى نصر ما الذى ارتاب به نصر حتى هرب قالوا لا ندرى قال فهل تكلم احد منكم بشئ قالوا تلا لاهز هذه الآية ان الملأ يأتمرون بك قال هذا الذى دعاه الى الهرب ثم قال يا لاهز تدغل فى الدين ثم قتله واستشار أبومسلم اباطلحة فى أصحاب نصر فقال اجعل سوطك السيف وسجنك القبر فقتلهم ابو مسلم وكان عدتهم اربعة وعشرين رجلا واما نصر فانه سار من سرخس الى طوس فأقام بها خمسة

وسلبك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هى والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد

الحرب أول ما تكون فتية
تبدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت
مكروهة للثم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فاخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل أمك قارعتك والله انى لأهم أن أقطع لسانك فقال الحمى أصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

أتوعدنى كأنك ذو رعين
بأنعم عيشة أو ذى نواس
فكم قد كان قبلك من مليك
عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح أهله بادوا وأمسى
ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك مالك كل ملك
يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال ما فعلت ما فعلته الا لتعلم أن الاسلام أفضل وأعز من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يسأله

عشر يوما وبسرخس يوما ثم سار الى نيسابور فأقام بها ودخل ابن الكرمانى مرو مع أبى مسلم وتابعه على رأيه وعاقده عليه (يحيى بن حضين بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وآخره نون)

﴿ذكر قتل شيبان الحرورى﴾

وفى هذه السنة قتل شيبان بن سلمة الحرورى وكان سبب قتله انه كان هو وعلى بن الكرمانى مجتمعين على قتال نصر لمخالفة شيبان نصرا لانه من عمال مروان وشيبان يرى رأى الخوارج ومخالفة ابن الكرمانى نصرا لان نصرا قتل اباه الكرمانى وان نصرا مضرى وابن الكرمانى يمانى وبين الفريقين من العصبية ما هو مشهور فلما صالح ابن الكرمانى ابامسلم على ما تقدم وفارق شيبان تنحى شيبان عن مرو واذ علم انه لا يقوى لحربهما وقد هرب نصر الى سرخس ولما استقام الامر لابى مسلم ارسل الى شيبان يدعوه الى البيعة فقال شيبان انا ادعوك الى بيعتى فأرسل اليه ابومسلم ان لم تدخل فى امرنا فارتحل عن منزلك الذى انت به فأرسل شيبان الى ابن الكرمانى يستنصره فأبى فسار شيبان الى سرخس واجتمع اليه جمع كثير من بكر بن وائل فأرسل اليه ابومسلم تسعة من الازد يدعوه ويسأله ان يكف فأخذ الرسل فسجنهم فكتب أبومسلم الى بسام بن ابراهيم مولى بنى ليث بابيورد يأمره ان يسير الى شيبان فيقاتله فسار اليه فقاتله فانهزم شيبان واتبعه بسام حتى دخل المدينة فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل فقيل لابى مسلم ان بساما ارتد ثانية وهو يقتل البرىء بالسقيم فاستقدمه فقدم عليه واستخلف على عسكره رجلا فلما قتل شيبان مر رجل من بكر بن وائل برسل أبى مسلم فقتلهم وقيل ان أبامسلم وجه الى شيبان عسكرا من عنده عليهم خزيمة بن خازم وبسام بن ابراهيم

﴿ذكر قتل ابنى الكرمانى﴾

وفى هذه السنة قتل أبومسلم عليا وعثمان ابنى الكرمانى وكان سبب ذلك ان أبامسلم كان وجه موسى بن كعب الى ابيورد فافتتحها وكتب الى أبى مسلم بذلك ووجه أباداود الى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيرى فلما بلغه قصد أبى داود بلخ خرج فى أهل بلخ وترمذ وغيرهما من كور طخارستان الى الجوزجان فلما دنا أبوداود منهم انصرفوا منهزمين الى ترمذ ودخل أبوداود مدينة بلخ فكتب اليه أبومسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء على بلخ فلما قدم يحيى مدينة بلخ كاتبه زياد بن عبد الرحمن ان يرجع وتصير أيديهم واحدة فأجابه فرجع زياد ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلى وعيسى بن زرعة السلمى وأهل بلخ وترمذ وملوك طخارستان وما وراء النهر ودونه فنزلوا على فرسخ من بلخ وخرج اليهم يحيى بن نعيم بمن معه فصارت كلمتهم واحدة مضر وربيعة واليمن ومن معهم من العجم على قتال المسودة وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطى كراهة ان يكون من واحد من الفرق الثلاثة وأمر ابومسلم أباداود بالعود فأقبل بمن معه حتى اجتمعوا على نهر السرجنان وكان زياد وأصحابه قد وجهوا أباسعيد القرشى مسلحة لئلا يأتيهم أصحاب أبى داود من خلفهم وكانت اعلام أبى داود سودا فلما اقتتل أبوداود وزياد وأصحابهما أمر أبوسعيد أصحابه ان يأتوا زيادا واصحابه فأتوهم من خلفهم فلما رأى زياد ومن معه اعلام أبى سعيد ورايانه سودا ظنوه كمينا لابى داود فانهزموا وتبعهم أبوداود فوقع عامة أصحاب زياد فى نهر السرجنان وقتل عامة رجالهم المتخلفين ونزل أبوداود معسكرهم وحوى ما فيه ومضى زياد ويحيى ومن معهما الى ترمذ واستصفى أبوداود أموال من قتل ومن هرب واستقامت له بلخ وكتب اليه أبومسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه النضر بن صبيح المرى على بلخ وقدم أبوداود على أبى مسلم

ويذاكره الحروب واخبارها فى الجاهلية فقال له عمر يا عمرو هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحله فى الاسلام لاحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك خرجت فى جريدة خيل لبنى زبيد أريد الغارة فاتيناقوما سراة فقال عمر كيف عرفت أنهم سراة قال رأيت مزاود وقدورا مكفأة وقباب أدم حمر ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فأهويت الى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبى وكان متبددا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما نظرت الى والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكى على نفسى ولكنى أبكى حسدا لبنات عمى يسلمن وابتلى أنا من بينهن فظننت والله أنها صادقة فقلت وأين هن قالت فى هذا الوادى فقلت لاصحابى لا تحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم همزت فرسى حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهذب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الى رمى

واتفقا على ان يفرقا بين على وعثمان ابنى الكرمانى فبعث أبو مسلم عثمان عاملا على بلخ فلما قدمها استخلف الفرافصة بن ظهير العبسى على بلخ واقبلت المضرية من ترمذ عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلى فالتقوا هم واصحاب عثمان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب عثمان وغلب مسلم على بلخ وبلغ عثمان والنضر بن صبيح الخبر وهما بمرو الروذ فاقبلا نحوهم فهرب أصحاب عبد الرحمن من ليلتهم فلم يمعن النضر فى طلبهم رجاء ان يفوتوا ولقيهم أصحاب عثمان فاقتتلوا قتالا شديدا ولم يكن النضر معهم فانهزم أصحاب عثمان وقتل منهم خلق كثير ورجع أبو داود من مرو الى بلخ وسار أبو مسلم ومعه على بن الكرمانى الى نيسابور واتفق رأى أبى مسلم ورأى أبى داود على ان يقتل أبو مسلم عليا ويقتل أبو داود عثمان فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملا على الجبل فيمن معه من أهل مرو فلما خرج من بلخ تبعه أبو داود فأخذه وأصحابه فحبسهم جميعا ثم ضرب أعناقهم صبرا وقتل أبو مسلم فى ذلك اليوم على بن الكرمانى وقد كان أبو مسلم أمره ان يسمى له خاصته ليوليهم ويأمر لهم بجوائز وكسوات فسماهم له فقتلهم جميعا

﴿ذكر قدوم قحطبة من عند الامام ابراهيم﴾

وفى هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم من عند ابراهيم الامام ومعه لواؤه الذى عقده ابراهيم فوجهه أبو مسلم فى مقدمته وضم اليه الجيوش وجعل اليه العزل والاستعمال وكتب الى الجنود بالسمع والطاعة له

﴿ذكر مسير قحطبة الى نيسابور﴾

لما قتل شيبان الخارجى وابنا الكرمانى على ما تقدم وهرب نصر بن سيار من مرو وغلب أبو مسلم على خراسان بعث العمال على البلاد فاستعمل سباع بن النعمان الازدى على سمرقند وأبا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان ومحمد بن الاشعث على الطبسين وجعل مالك بن الهيثم على شرطه ووجه قحطبة الى طوس ومعه عدة من القواد منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك وعثمان بن نهيك وخازم بن خزيمة وغيرهم فلقى قحطبة من بطوس فهزمهم وكان من مات منهم فى الزحام أكثر ممن قتل فبلغ عدة القتلى بضعة عشرة ألفا ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع الى نيسابور على طريق المحجة وكتب الى قحطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار والنابئ بن سويد ومن لجأ اليهما من أهل خراسان وكان أصحاب شيبان بن سلمة الخارجى قد لحقوا بنصر ووجه أبو مسلم على بن معقل فى عشرة آلاف رجل الى تميم بن نصر وأمره ان يكون مع قحطبة وسار قحطبة الى السوذقان وهو معسكر تميم بن نصر والنابئ وقد عبى أصحابه وزحف اليهم فدعاهم الى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى الرضا من آل محمد فلم يجيبوه فقاتلهم قتالا شديدا فقتل تميم بن نصر فى المعركة وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة واستبيح عسكرهم وكان عدة من معه ثلاثين ألفا وهرب النابئ بن سويد فتحصن بالمدينة فحصره قحطبة ونقبوا سورها ودخلوا المدينة فقتلوا النابئ ومن كان معه وبلغ الخبر نصر بن سيار بنيسابور بقتل ابنه ولما استولى قحطبة على عسكرهم سير الى خالد بن برمك ما قبض منه وسار هو الى نيسابور وبلغ ذلك نصر بن سيار فهرب منها فيمن معه فنزل قومس وتفرق عنه أصحابه فسار الى نباتة ابن حنظلة بجرجان وقدم قحطبة نيسابور بجنوده فأقام بها رمضان وشوال

﴿ذكر قتل نباتة بن حنظلة﴾

وفى هذه السنة قتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن هبيرة على جرجان وكان يزيد بن هبيرة بعثه

الى

النعل من يده ثم أحضر غير مكترث فاخذ سلاحه وأشرف على ثنية فلما نظر الى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوى وهو يقول

أقول لما نحتنى فاها
وألبستنى بكرة رداها
انى سأحوى اليوم من حواها
فليت شعرى اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول

عمرو على طول الردى دهاها
بالخيل تتبعها على هواها
حتى اذا حل بها حواها
فذاه وأروغ من هر فراغ

عنى ثم حمل على فضربنى بسيفه ضربة جرحتنى فلما أفقت من ضربتى حملت عليه فراغ والله ثم حمل على ثم صرعنى ثم استاق ما فى أيدينا ثم استويت على فرسى فلما رآنى أقبل وهو يقول

أنا عبيد الله محمود الشيم
وخير من يمشى بساق وقدم
عدوه يفديه من كل السقم

فحملت عليه وأنا أقول

انا ابن ذى التقليد فى الشهر الاصم
انا ابن ذى الاكليل قتال البهم
من يلقنى يودى كما أودى ارم
أتركه لحما على ظهر وضم

فراغ والله عنى ثم حمل على فضربنى ضربة أخرى ثم

الى نصر فأتى فارس واصبهان ثم سار الى الرى ومضى الى جرجان وكان نصر بقومس على ما تقدم فقيل له ان قومس لا تحتملنا فسار الى جرجان فنزلها مع نباتة وخندقوا عليهم وأقبل قحطبة الى جرجان فى ذى القعدة فقال قحطبة يا أهل خراسان أتدرون الى من تسيرون ومن تقاتلون انما تقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله تعالى وكان الحسن بن قحطبة على مقدمة أبيه فوجه جمعا الى مسلحة نباتة وعليها رجل يقال له ذؤيب فبيتوهم فقتلوا ذؤيبا وسبعين رجلا من أصحابه فرجعوا الى الحسن وقدم قحطبة فنزل بازاء نباتة وأهل الشام فى عدة لم ير الناس مثلها فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه فبلغ قحطبة قولهم فقام فيهم فقال يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت فى الارض عندهم فغلبوهم على بلادهم وكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدلوا وغيروا وجاروا فى الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشد عقوبة لانكم طلبتموهم بالثار وقد عهد الى الامام انكم تلقونهم فى مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم فالتقوا فى مستهل ذى الحجة سنة ثلاثين يوم الجمعة فقال لهم قحطبة قبل القتال ان الامام أخبرنا انكم تنصرون على عدوكم هذا اليوم من هذا الشهر وكان على ميمنته ابنه الحسن فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل نباتة وانهزم أهل الشام فقتل منهم عشرة آلاف وبعث الى أبى مسلم برأس نباتة

﴿ذكر وقعة أبى حمزة الخارجى بقديد﴾

فى هذه السنة لسبع بقين من صفر كانت الوقعة بقديد بين أهل المدينة وأبى حمزة الخارجى وقد ذكرنا ان عبد الواحد بن سليمان ضرب البعث على أهل المدينة واستعمل عليهم عبد العزيز ابن عبد الله فخرجوا فلما كانوا بالحرة لقيتهم جزر منحورة فتقدموا فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح فتشاءم الناس بالخروج وأتاهم رسل أبى حمزة يقولون اننا والله ما لنا بقتالكم حاجة دعونا نمضى الى عدونا فأبى أهل المدينة ولم يجيبوه الى ذلك وساروا حتى نزلوا قديدا وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم أصحاب أبى حمزة من الفضاض فقتلوهم وكانت المقتلة بقريش وفيهم كانت الشوكة فأصيب منهم عدد كثير وقدم المنهزمون المدينة فكانت المرأة تقيم النوائح على حميمها ومعها النساء فما تبرح النساء حتى تأتيهم الاخبار عن رجالهن فيخرجن امرأة امرأة كل واحدة منهن تذهب لقتل رجلها فلا تبقى عندها امرأة لكثرة من قتل وقيل ان خزاعة دلت أبا حمزة على أصحاب قديد وقيل كان عدة القتلى سبعمائة

﴿ذكر دخول أبى حمزة المدينة﴾

وفى هذه السنة دخل أبو حمزة المدينة ثالث عشر صفر ومضى عبد الواحد منها الى الشام وكان أبو حمزة قد اعذر اليهم وقال لهم ما لنا بقتالكم حاجة دعونا نمضى الى عدونا فأبى أهل المدينة فلقيهم فقتل منهم خلقا كثيرا ودخل المدينة فرقى المنبر وخطبهم وقال لهم يا أهل المدينة مررت زمان الاحول يعنى هشام بن عبد الملك وقد أصاب ثماركم عاهة فكتبتم اليه تسألونه ان يضع عنكم خراجكم ففعل فزاد الغنى غنى والفقير فقرا فقلتم له جزاك الله خيرا فلا جزاكم الله خيرا ولا جزاه خيرا واعلموا يا أهل المدينة انا لم نخرج من ديارنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لدولة ملك نريد

صرخ صرخة ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شىء وخفته خوفا لم أخف قط أحدا مثله وقلت له من أنت ثكلتك أمك فوالله ما اجترأ على أحد قط الا عامر بن الطفيل لاعجابه بنفسه وعمرو بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت قال بل من أنت خبرنى والا قتلتك قلت أنا عمرو بن معديكرب قال وأنا ربيعة بن مكدم قلت اختر منى احدى ثلاث خصال ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منا وان شئت اصطرعنا وان شئت السلم وأنت يا ابن أخى حدث قد جرحتنى جراحتين ولا ثأر لى فوالله ما كف عنى حتى نزلت عن فرسى فأخذ بعنانه ثم أخذ بيدى فى يده وانصرفنا الى الحى وأنا أجر رجلى حتى طلعت علينا الخيل فلما رأونى غمزوا خيولهم الى فناديتهم اليكم وأرادوا ربيعة فمضى والله كأنه ليث حتى شقهم ثم أقبل على فقال يا عمرو لعل أصحابك يريدون غير الذى تريد فصمت والله القوم ما فيهم أحد ينطق واعظموا ما رأوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا وانما صحبته لعرفه

ان نخوض فيه ولا لثار قديم نيل مناولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الارض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو الى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعى الله ومن لم يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض فأقبلنا من قبائل شتى ونحن قليلون مستضعفون فى الارض فآوانا وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته اخوانا ثم لقينا رجالكم فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القرآن فدعونا الى طاعة الشيطان وحكم بنى مروان فشتان لعمر الله ما بين الغى والرشد ثم أقبلوا يهرعون وقد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عز وجل عصائب وكتائب بكل مهند ذى رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب به المبطلون وانتم يا أهل المدينة ان تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينة أخبرونى عن ثمانية أسهم فرضها الله عز وجل فى كتابه على القوى والضعيف فجاء تاسع ليس له فيها سهم فأخذها لنفسه مكابرا محاربا به يا أهل المدينة بلغنى انكم تنتقصون أصحابى قلتم شباب احداث واعراب حفاة ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا احداثا واعرابا حفاة هم والله مكتهلون فى شبابهم غضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أقدامهم وأحسن السيرة مع أهل المدينة واستمال حتى سمعوه يقول من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شك فى كفرهما فهو كافر وأقام أبو حمزة بالمدينة ثلاثة أشهر

﴿ذكر قتل أبى حمزة الخارجى﴾

ثم ان أبا حمزة ودع أهل المدينة وقال لهم يا أهل المدينة انا خارجون الى مروان فان نظفر نعدل فى احوالكم ونحملكم على سنة نبيكم وان يكن ما تمنون فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ثم سار نحو الشام وكان مروان قد انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى سعد هوازن وأمره ان يجد السير وأمره ان يقاتل الخوارج فان هو ظفر بهم يسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى طالب الحق فسار ابن عطية فلقى أبا حمزة بوادى القرى فقال أبو حمزة لاصحابه لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاحوا بهم ما تقولون فى القرآن والعمل به فقال ابن عطية نضعه فى جوف الجواليق فقال فما تقولون فى مال اليتيم قال ابن عطية نأكل ماله ونفجر بأمه فى أشياء سألوه عنها فلما سمعوا كلامه قاتلوه حتى أمسوا وصاحوا ويحك يا ابن عطية ان الله قد جعل الليل سكنا فاسكن فأبى وقاتلهم حتى قتلهم وانهزم أصحاب أبى حمزة من لم يقتل وأتوا المدينة فلقيهم فقتلهم وسار ابن عطية الى المدينة فأقام شهرا وفيمن قتل مع أبى حمزة عبد العزيز القارى المدنى المعروف بيشكست النحوى وكان من أهل المدينة يكتم مذهب الخوارج فلما دخل أبو حمزة المدينة انضم اليه فلما قتل الخوارج قتل معهم

﴿ذكر قتل عبد الله بن يحيى﴾

ولما اقام ابن عطية بالمدينة شهرا سار نحو اليمن واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد ابن عطية واستخلف على مكة رجلا من أهل الشام وقصد اليمن وبلغ عبد الله بن يحيى طالب الحق مسيره وهو بصنعاء فأقبل اليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية فاقتتلوا فقتل ابن يحيى وحمل رأسه الى مروان بالشام ومضى ابن عطية الى صنعاء

﴿ذكر قتل ابن عطية﴾

ولما

القوم فقال لهم ما تريدون فقالوا وما تريد قد جرحت فارس العرب وأخذت سيفه وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهى ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندى بعضها ما لبثت فى الدنيا الا قليلا فضحك وما ينطق أحد من أصحابى فأقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معديكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة فى صناديد قومه فأخذ غنائمهم وأخذ امرأة ربيعة بن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب فى الطلب على فرس عرى ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو اما ان تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف من الغارة من رماها قف لى يا ابن اخى فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

ولما سار ابن عطية الى صنعاء دخلها واقام بها فكتب اليه مروان يأمره ان يسرع اليه السير ليحج بالناس فسار فى اثنى عشر رجلا بعهد مروان على الحج ومعه أربعون ألفا وسار وخلف عسكره وخيله بصنعاء ونزل الجرف فأتاه ابنا جمانة المراديان فى جمع كثير وقالوا له ولاصحابه أنتم لصوص فأخرج ابن عطية عهده على الحج وقال هذا عهد أمير المؤمنين بالحج وانا ابن عطية قالوا هذا باطل فانتم لصوص فقاتلهم ابن عطية قتالا شديدا حتى قتل

﴿ذكر ايقاع قحطبة بأهل جرجان﴾

وفى هذه السنة قتل قحطبة بن شبيب من أهل جرجان ما يزيد على ثلاثين ألفا وسبب ذلك انه بلغه عنهم بعد قتل نباتة بن حنظلة انهم يريدون الخروج عليه فلما بلغه ذلك دخل اليهم واستقر منهم فقتل منهم من ذكرنا وسار نصر وكان بقومس حتى نزل خوار الرى وكاتب ابن هبيرة يستمده وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان وعظم الامر عليه وقال له انى قد كذبت أهل خراسان حتى ما احد منهم يصدقنى فأمدنى بعشرة آلاف قبل ان تمدنى بمائة ألف لا تغنى شيأ فحبس ابن هبيرة رسل نصر فأرسل نصر الى مروان انى وجهت قوما من أهل خراسان الى ابن هبيرة ليعلموه أمر الناس قبلنا وسألته المدد فحبس رسلى ولم يمدنى باحد وانما أنا بمنزلة من أخرج من بيته الى حجرته ثم أخرج من حجرته الى داره ثم من داره الى فناء داره فان ادركه من يعينه فعسى ان يعود الى داره وتبقى له وان أخرج الى الطريق فلا دار له ولا فناء فكتب مروان الى ابن هبيرة يأمره ان يمد نصرا وكتب الى نصر يعلمه ذلك وجهز ابن هبيرة جيشا كثيفا وجعل عليهم ابن غطيف وسيرهم الى نصر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

غزا الصائفة هذه السنة الوليد بن هشام فنزل العمق وبنى حصن مرعش وفيها وقع الطاعون بالبصرة وحج بالناس هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان وكان هو أمير مكة والمدينة والطائف وكان بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة وكان على قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربى وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور وكان الامير بخراسان على ما وصفت قلت قد ذكر أبو جعفر ههنا ان محمد ابن عبد الملك حج بالناس وكان أمير مكة والمدينة وذكر فيما تقدم ان عروة بن الوليد كان على المدينة وذكر فى آخر سنة احدى وثلاثين ان عروة أيضا كان على المدينة ومكة والطائف وانه حج بالناس تلك السنة وفى هذه السنة مات أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارى مولى عبد الله ابن عباس المخزومى بالمدينة وقيل سمى مولى أبى بكر بن عبد الرحمن بقديد وفيها توفى أيوب بن أبى تميمة السختيانى وقيل سنة تسع وعشرين وعمره ثلاث وستون سنة واسحق بن عبد الله بن أبى طلحة الانصارى وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل سنة أربع وثلاثين ومائة ويكنى أبا نجيح وفيها توفى محمد بن مخرمة بن سليمان وله سبعون سنة وأبو وجزة السعدى يزيد بن عبيد وأبو الحويرث ويزيد ابن أبى مالك الهمدانى ويزيد بن رومان وعكرمة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد العزيز ابن رفيع (بضم الراء المهملة وفتح الفاء وبالعين المهملة) وهو أبو عبد الله المكى الفقيه وكان قد قارب مائة سنة وكان لا يثبت معه امرأة لكثرة نكاحه واسمعيل بن أبى حكيم كاتب عمر بن عبد العزيز ويزيد بن ابان وهو المعروف بيزيد الرشك وكان قساما بالبصرة وحفص بن سليمان بن المغيرة وكان مولده سنة ثمانين يروى قراءة عاصم عنه

﴿ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ومائة﴾

أنا ابن ثور ووقاف الزلق
لست بمأمون ولا فى حرق
وأسد القوم اذا احمرت الحدق
اذا الرجال عضهم ناب الفرق
وجدتنى بالسيف هتاك الخلق

حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو لبب لفرسه وصر السنان على ظهر الفرس ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول

أنا الغلام ابن الكنانى لا بذخ
كم من همزبر قد رآنى فانشدخ

فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك يا عمرو ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لا ينصرف الا أحدنا فقف لى فحمل عليه حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه أيضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امرأته السنان لله درك فأخرج سنانا من مسيج ازاره كأنه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو خذ

﴿ذكر موت نصر بن سيار﴾

وفى هذه السنة مات نصر بن سيار بساوة قرب الرى وكان سبب مسيره اليها ان نصرا سار بعد قتل نباتة الى خوار الرى وأميرها أبو بكر العقيلى ووجه قحطبة ابنه الحسن الى نصر فى المحرم من سنة احدى وثلاثين ومائة ثم وجه أبا كامل وأبا القاسم محرز بن ابراهيم وأبا العباس المروزى الى الحسن ابنه فلما كانوا قريبا من الحسن انحاز أبو كامل وترك عسكره وأتى نصرا فصار معه وأعلمه مكان الجند الذين فارقهم فوجه اليهم نصر جندا فهرب جند قحطبة منهم وخلفوا شيأ من متاعهم فاخذه أصحاب نصر فبعث به نصر الى ابن هبيرة فعرض له ابن غطيف بالرى فاخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع و بعث به الى ابن هبيرة فغضب نصر وقال أما والله لادعن ابن هبيرة فليعرفن انه ليس بشئ ولا ابنه وكان ابن غطيف فى ثلاثة آلاف قدسيره ابن هبيرة الى نصر فاقام بالرى فلم يأت نصرا وسار نصر حتى نزل الرى وعليها حبيب بن يزيد النهشلى فلما قدمها نصر سار ابن غطيف منها الى همدان وفيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلى فعدل ابن غطيف عنها الى اصبهان الى عامر بن ضبارة فلما قدم نصر الرى أقام بها يومين ثم مرض وكان يحمل حملا فلما بلغ ساوة مات فلما مات بها دخل أصحابه همذان وكانت وفاته لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الاول وكان عمره خمسا وثمانين سنة وقيل ان نصرا لما سار من خوار الرى متوجها نحو الرى لم يدخل الرى ولكنه سلك المفازة التى بين الرى وهمذان فمات بها

﴿ذكر دخول قحطبة الرى﴾

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن خازم الى سمنان وأقبل قحطبة من جرجان وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيرى وكان قد ندم على اتباع أبى مسلم فانخذل عن قحطبة فأخذ طريق اصبهان يريد أن يأتى عامر بن ضبارة فوجه قحطبة المسيب بن زهير الضبى فلحقه من غد بعد العصر فقاتله فانهزم زياد وقتل عامة من معه ورجع المسيب بن زهير الى قحطبة ثم سار قحطبة الى قومس وبها ابنه الحسن وقدم خزيمة بن خازم سمنان فقدم قحطبة ابنه الحسن الى الرى وبلغ حبيب بن يزيد النهشلى ومن معه من أهل الشام مسير الحسن فخرجوا عن الرى ودخل الحسن فى صفر فأقام حتى قدم أبوه ولما قدم قحطبة الرى كتب الى أبى مسلم يعلمه بذلك ولما استقر أمر بنى العباس بالرى هرب أكثر أهلها لميلهم الى بنى أمية لانهم كانوا سفيانية فأمر أبو مسلم باخذ أملاكهم وأموالهم ولما عادوا من الحج أقاموا بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم كتبوا الى السفاح يتظلمون من أبى مسلم فأمر برد املاكهم فاعاد أبو مسلم الجواب يعرف حالهم وانهم أشد الاعداء فلم يسمع قوله وعزم على أبى مسلم برد أملاكهم ففعل ولما دخل قحطبة الرى وأقام بها أخذ أمره بالحزم والاحتياط والحفظ وضبط الطرق وكان لا يسلكها احد الا بجواز منه فاقام بالرى وبلغه ان بدستبى قوما من الخوارج وصعاليك تجمعوا بها فوجه اليهم أبا عون فى عسكر كثيف فنازلهم ودعاهم الى كتاب الله وسنة رسوله والى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجيبوه فقاتلهم قتالا شديدا حتى ظفر بهم فتحصن عدة منهم حتى أمنهم أبو عون فخرجوا اليه وأقام معه بعضهم وتفرق بعضهم وكتب أبو مسلم الى اصبهبد طبرستان يدعوه الى الطاعة واداء الخراج فاجابه الى ذلك وكتب الى المصمغان صاحب دنباوند بمثل ذلك فاجابه انما أنت خارجى وان امرك سينقضى فغضب أبو مسلم وكتب الى موسى بن كعب وهو بالرى يأمره بالمسير اليه وقتاله الى ان يذعن بالطاعة فسار اليه وراسله فامتنع من الطاعة واداء الخراج فاقام موسى ولم يتمكن

الغنيمة قال دعها واغ فقالت بنو زبيد أتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يابنى زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب أن قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط فانصرفوا عنه وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودى) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخبار كثيرة فى أسفاره فى الجاهلية الى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسير فى الاسلام وأخبار وسياسات حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

﴿ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه﴾

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد

من المصمغان لضيق بلاده وكان المصمغان يرسل اليه كل يوم عدة كثيرة من الديلم يقاتله فى عسكره وأخذ عليه الطرق ومنع الميرة وكثرت فى أصحاب موسى الجراح والقتل فلما رأى انه لا يبلغ غرضا عاد الى الرى ولم يزل المصمغان ممتنعا الى أيام المنصور فاغزاه جيشا كثيفا عليهم حماد بن عمرو وفتح دنباوند على يده ولما ورد كتاب قحطبة على أبى مسلم بنزوله الرى ارتحل أبو مسلم فيما ذكر عن مرو فنزل نيسابور وأما قحطبة فانه سير ابنه الحسن بعد نزوله الرى بثلاث ليال الى همذان فلما توجه اليها سار عنها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشام وأهل خراسان الى نهاوند فأقام بها وفارقه ناس كثير ودخل الحسن همذان وسار منها الى نهاوند فنزل على أربعة فراسخ من المدينة وأمده قحطبة بأبى الجهم بن عطية مولى باهلة فى سبعمائة وأطال حتى أطاف بالمدينة وحصرهم

﴿ذكر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة اصبهان﴾

وكان سبب قتله ان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضبارة مضى هاربا نحو خراسان وسلك اليها طريق كرمان وسار عامر فى أثره وبلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان فلما بلغه خبره كتب الى ابن ضبارة والى ابنه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ان يسيرا الى قحطبة وكانا بكرمان فسارا فى خمسين ألفا فنزلوا باصبهان وكان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر فبعث قحطبة اليهم جماعة من القواد وعليهم جميعا مقاتل بن حكيم العكى فساروا حتى نزلوا قم وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بن قحطبة بنهاوند فسار ليعين من بها من أصحاب مروان فأرسل العكى من قم الى قحطبة يعلمه بذلك وأقبل قحطبة من الرى حتى لحق مقاتل بن حكيم العكى ثم سار فالتقواهم وابن ضبارة وداود بن يزيد بن هبيرة وكان عسكر قحطبة عشرين ألفا فيهم خالد بن برمك وكان عسكر ابن ضبارة مائة ألف وقيل خمسين ومائة ألف فأمر قحطبة بمصحف فنصب على رمح ونادى يا أهل الشام انا ندعوكم الى ما فى هذا المصحف فشتموه وأفحشوا فى القول فأرسل قحطبة الى أصحابه يأمرهم بالحملة فحمل عليهم العكى وتهايج الناس ولم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام وقتلوا قتلا ذريعا وانهزم ابن ضبارة حتى دخل عسكره وتبعه قحطبة فنزل ابن ضبارة ونادى الى الى فانهزم الناس عنه وانهزم داود بن هبيرة فسأل عن ابن ضبارة فقيل انهزم فقال لعن الله شرنا منقلبا وقاتل حتى قتل وأصابوا عسكره وأخذوا منه مالا يعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل وما رؤى عسكر قط كان فيه من أصناف الاشياء ما فى هذا العسكر كانه مدينة وكان فيه من البرابط والطنابير والمزامير والخمر ما لا يحصى وأرسل قحطبة بالظفر الى ابنه الحسن وهو بنهاوند وكانت الوقعة بنواحى اصبهان فى رجب

﴿ذكر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها﴾

ولما قتل ابن ضبارة كتب قحطبة بذلك الى ابنه الحسن وهو يحاصر نهاوند فلما أتاه الكتاب كبر هو وجنده ونادوا بقتله فقال عاصم بن عمير السعدى ما نادى هؤلاء بقتله الا وهو حق فاخرجوا الى الحسن بن قحطبة فانكم لا تقومون له فتذهبون حيث شئتم قبل ان يأتيه أبوه أو مدد من عنده فقالت الرجالة تخرجون وأنتم فرسان على خيول وتتركونا وقال له مالك بن ادهم الباهلى لا أبرح حتى يقدم على قحطبة وأقام قحطبة على اصبهان عشرين يوما ثم سار فقدم على ابنه بنهاوند فحصرهم ثلاثة أشهر شعبان ورمضان وشوال ووضع عليهم المجانيق وأرسل الى من بنهاوند من أهل خراسان يدعوهم اليه وأعطاهم الامان فأبوا ذلك ثم أرسل الى أهل الشام بمثل ذلك فاجابوه وقبلوا أمانه وبعثوا اليه يسألونه أن يشغل عنهم أهل المدينة بالقتال ليفتحوا له الباب الذى يليهم

هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية أيام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة الا ثمانية أيام

﴿وذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره﴾

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بأبى عبد الله وأمه أروى بنت بكر بن جابر بن حبيب ابن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأم أبان وأم سعيد وأم عمرو وعائشة وكان عبد الله الاكبر يلقب بالطرف لجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان أبان أبرص أحول قد حمل عنه أصحاب الحديث عدة من السنن وولى لبنى مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل أبوه وهو

فنعل ذلك قحطبة وقاتلهم ففتح أهل الشام الباب فخرجوا فلما رأى أهل خراسان ذلك سألوهم عن خروجهم فقالوا أخذنا الامان لنا ولكم فخرج رؤساء أهل خراسان فدفع قحطبة كل رجل منهم الى قائد من قواده ثم أمر فنودى من كان بيده أسير ممن خرج الينا فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ففعلوا ذلك فلم يبق أحد ممن كان قد هرب من أبى مسلم الا قتل الا أهل الشام فانه وفى لهم وخلى سبيلهم وأخذ عليهم أن لا يمالؤا عليهم عدوا ولم يقتل منهم أحدا وكان ممن قتل من أهل خراسان أبو كامل وحاتم بن الحرث بن سريج وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلى بن عقيل وبيهس ولما حاصر قحطبة نهاوند أرسل ابنه الحسن الى مرج القلعة فقدم الحسن خازم بن خزيمة الى حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكندى فهرب من حلوان وخلاها

﴿ذكر فتح شهرزور﴾

ثم ان قحطبة وجه أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراسانى ومالك بن طرافة الخراسانى فى أربعة آلاف الى شهرزور وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد فنزلوا على فرسخين من شهرزور فى العشرين من ذى الحجة وقاتلوا عثمان بعد يوم وليلة من نزولهم فانهزم أصحاب عثمان وقتل وأقام أبو عون فى بلاد الموصل وقيل ان عثمان لم يقتل ولكنه هرب الى عبد الله بن مروان وغنم أبو عون عسكره وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وسير قحطبة العساكر الى أبى عون فاجتمع معه ثلاثون ألفا ولما بلغ خبر أبى عون مروان بن محمد وهو بحران سار منها ومعه جنود أهل الشام والجزيرة والموصل وحشر معه بنو أمية أبناءهم وأقبل نحو أبى عون حتى نزل الزاب الاكبر وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذى الحجة والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفرض بها لخمسة آلاف

﴿ذكر مسير قحطبة الى ابن هبيرة بالعراق﴾

ولما قدم على يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراق ابنه داود منهزما من حلوان خرج يزيد نحو قحطبة فى عدد كثير لا يحصى ومعه حوثرة بن سهيل الباهلى وكان مروان أمده به ابن هبيرة وسار ابن هبيرة حتى نزل جلولاء الوقيعة واحتفر الخندق الذى كانت العجم احتفروه أيام وقعة جلولاء وأقام به وأقبل قحطبة حتى نزل قرماسين ثم سار الى حلوان ثم الى خانقين وأتى عكبرا وعبر دجلة ومضى حتى نزل دمما دون الانبار وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفا مبادرا الى الكوفة لقحطبة وقدم حوثرة فى خمسة عشر ألفا الى الكوفة وقيل ان حوثرة لم يفارق ابن هبيرة وأرسل قحطبة طائفة من أصحابه الى الانبار وغيرها وأمرهم باحدار ما فيها من السفن الى دمما ليعبروا الفرات فحملوا اليه كل سفينة هناك فقطع قحطبة الفرات من دمما حتى صار فى غربيه ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى الى الموضع الذى فيه ابن هبيرة وخرجت السنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدى وهو ابن أخى عبد الملك بن محمد الذى قتل أبا حمزة وكان هو على الحجاز ولما بلغ الوليد قتل عمه عبد الملك مضى الى الذين قتلوه فقتل منهم مقتلة عظيمة وبقر بطون نسائهم وقتل الصبيان وحرق بالنار من قدر منهم عليه وكان على العراق يزيد بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربى وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور الناجى وفيها توفى منصور بن المعمر السلمى أبو عتاب الكوفى وفيها قتل أبو مسلم الخراسانى جبلة بن أبى داود العتكى مولاهم أخا عبد العزيز بن داود ويكنى أبا مروان

مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) فى نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل فى القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا فى فعله وبنى داره فى المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفى أيام عثمان) اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهى المعروفة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة تنزلها التجار وأرباب الاموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر هلاك قحطبة وهزيمة ابن هبيرة﴾

وفى هذه السنة هلك قحطبة بن شبيب وكان سبب ذلك ان قحطبة لما عبر الفرات وصار فى غربيه وذلك فى المحرم لثمان مضين منه وكان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا على رأس ثلاثة وعشرين فرسخا من الكوفة وقد اجتمع اليه فل ابن ضبارة فامده مروان بحوثرة الباهلى فقال حوثرة وغيره لابن هبيرة ان قحطبة قد مضى يريد الكوفة فاقصد أنت خراسان ودعه ومروان فانك تكسره وبالحرى أن يتبعك قال ما كان ليتبعنى ويدع الكوفة ولكن الرأى أن أبادره الى الكوفة فعبر دجلة من المدائن يريد الكوفة فاستعمل على مقدمته حوثرة وأمره بالمسير الى الكوفة والفريقان يسيران على جانبى الفرات وقال قحطبة ان الامام أخبرنى ان فى هذا المكان وقعة يكون النصر لنا ونزل قحطبة الجبارية وقد دلوه على مخاضة فعبر منها وقاتل حوثرة ومحمد بن نباتة فانهزم أهل الشام وفقدوا قحطبة فقال أصحابه من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به فقال مقاتل بن مالك العتكى سمعت قحطبة يقول ان حدث بى حدث فالحسن ابنى أمير الناس فبايع الناس حميد بن قحطبة لاخيه الحسن وكان قد سيره أبوه فى سرية فارسلوا اليه فاحضروه وسلموا اليه الامر ولما فقدوا قحطبة بحثوا عنه فوجدوه فى جدول وحرب بن سالم ابن أحوز قتيلين فظنوا ان كل واحد منهما قتل صاحبه وقيل ان معن بن زائدة ضرب قحطبة لما عبر الفرات على حبل عاتقه فسقط فى الماء فاخرجوه فقال شدوا يدى اذا أنا مت والقونى فى الماء لئلا يعلم الناس بقتلى وقاتل أهل خراسان فانهزم محمد بن نباتة وأهل الشام ومات قحطبة وقال قبل موته اذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمد أبو سلمة الخلال فسلموا هذا الامر اليه وقيل بل غرق قحطبة ولما انهزم ابن نباتة وحوثرة لحقوا بابن هبيرة فانهزم ابن هبيرة بهزيمتهم ولحقوا بواسط وتركوا عسكرهم وما فيه من الاموال والسلاح وغير ذلك ولما قام الحسن بن قحطبة بالامر أمر باحصاء ما فى العسكر وقيل ان حوثرة كان بالكوفة فبلغه هزيمة ابن هبيرة فسار اليه فيمن معه

﴿ذكر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسودا﴾

وفى هذه السنة خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة وسود قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة وأخرج عنها عامل ابن هبيرة ثم دخلها الحسن وكان من خبره ان محمدا خرج بالكوفة ليلة عاشوراء مسودا وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثى وعلى شرطه عبد الرحمن بن كثير العجلى وسار محمد الى القصر فارتحل زياد ومن معه من أهل الشام ودخل محمد القصر وسمع حوثرة الخبر فسار نحو الكوفة فتفرق عن محمد عامة من معه لما بلغهم الخبر وبقى فى نفر يسير من أهل الشام ومن اليمانيين من كان هرب من مروان وكان معه مواليه وأرسل أبو سلمة الخلال ولم يظهر بعد الى محمد يأمره بالخروج من القصر تخوفا عليه من حوثرة ومن معه ولم يبلغ أحدا من الفريقين هلاك قحطبة فابى محمد أن يخرج وبلغ حوثرة تفرق أصحاب محمد عنه فتهيأ للمسير نحوه فبينا محمد فى القصر اذ أتاه بعض طلائعه فقال له قد جاءت خيل من أهل الشام فوجه اليهم عدة من مواليه فناداهم الشاميون نحن بجيلة وفينا مليح بن خالد البجلى جئنا لندخل فى طاعة الامير فدخلوا ثم جاءت خيل أعظم من تلك فيها جهم بن الاصفح الكنانى ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل فلما رأى ذلك حوثرة من صنع أصحابه ارتحل نحو واسط وكتب محمد بن خالد من ليلته الى قحطبة وهو لا يعلم بهلاكه يعلمه انه قد ظفر بالكوفة فقدم القاصد على الحسن بن قحطبة فلما دفع اليه

والاسكندرية وما ذكر من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمى ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وبناحية سراة أكثر مما ذكرنا وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفا (وابتنى سعد) بن أبى وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد ابن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار (وابتنى

كتاب محمد بن خالد فقرأه على الناس ثم ارتحل نحو الكوفة فاقام محمد بالكوفة يوم الجمعة ويوم السبت والاحد وصبحه الحسن يوم الاثنين وقد قيل ان الحسن بن قحطبة أقبل نحو الكوفة بعد هزيمة ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلي فهرب عنها فسود محمد بن خالد وخرج فى أحد عشر رجلا وبايع الناس ودخلها الحسن من الغد فلما دخلها الحسن هو وأصحابه أتوا أبا سلمة وهو فى بنى سلمة فاستخرجوه فعسكر بالنخيلة يومين ثم ارتحل الى حمام أعين ووجه الحسن بن قحطبة الى واسط لقتال ابن هبيرة وبايع الناس أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع وكان يقال له وزير آل محمد واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله على الكوفة وكان يقال له الامير حتى ظهر أبو العباس السفاح ووجه حميد بن قحطبة الى المدائن فى قواد وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك الى دير قنى وبعث المهلبى وشراحيل الى عين التمر وبسام بن ابراهيم بن بسام الى الاهواز وبها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة فلما أتى بسام الاهواز خرج عنها عبد الواحد الى البصرة بعد ان قاتله وهزمه بسام وبعث الى البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب عاملا عليها فقدمها وكان عليها سلم بن قتيبة الباهلى عاملا لابن هبيرة وقد لحق به عبد الواحد بن هبيرة كما تقدم ذكره فارسل سفيان بن معاوية الى سلم يأمره بالتحول من دار الامارة ويعلمه ما أتاه من رأى أبى سلمة وامتنع وجمع معه قيسا ومضر ومن بالبصرة من بنى أمية وجمع سفيان جميع اليمانية وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم وأتاهم قائد من قواد ابن هبيرة كان بعثه مددا لسلم فى ألفى رجل من كلب فاتى سلم سوق الابل ووجه الخيول فى سكك البصرة ونادى من جاء برأس فله خمسمائة ومن جاء باسير فله ألف درهم ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية فى ربيعة وخاصته فلقيه خيل تميم فقتل معاوية وأتى برأسه الى سلم فاعطى قاتله عشرة آلاف وانكسر سفيان بقتل ابنه فانهزم وقدم على سلم بعد ذلك أربعة آلاف من عند مروان فاراد وانهب من بقى من الازد فقاتلوهم قتالا شديدا وكثرت القتلى بينهم وانهزمت الازد ونهبت دورهم وسبيت نساؤهم وهدموا البيوت ثلاثة أيام ولم يزل سلم بالبصرة حتى أتاه قتل ابن هبيرة فشخص عنها واجتمع من بالبصرة من ولد الحرث بن عبد المطلب الى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياما يسيرة حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعى من قبل ابى مسلم فلما قدم أبو العباس ولاها سفيان بن معاوية وكان حرب سفيان وسلم بالبصرة فى صفر وفيها عزل مروان عن المدينة الوليد بن عروة واستعمل أخاه يوسف بن عروة فى شهر ربيع الاول (انقضت الدولة الاموية)

﴿ذكر ابتداء الدولة العباسية وبيعة أبى العباس﴾

فى هذه السنة بويع ابو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بالخلافة فى شهر ربيع الاول وقيل فى ربيع الآخر لثلاث عشرة مضت منه وقيل فى جمادى الاولى وكان بدء ذلك وأوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس بن عبد المطلب ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك ويتحدثون به بينهم ثم ان أبا هاشم بن الحنفية خرج الى الشام فلقى محمد بن على بن عبد الله بن عباس فقال له ان هذا الامر الذى يرتجيه الناس فيكم فلا يسمعنه منكم أحد وقد تقدم فى خبر ابن الاشعث قول خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان أما اذا كان الفتق من سجستان فليس عليك منه بأس انما كنا نتخوف لو كان من خراسان وقال محمد بن على بن عبد الله لنا ثلاثة أوقات موت الطاغية يزيد بن معاوية ورأس المائة وفتق بافريقية فعند ذلك يدعو لنا دعاة ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيلهم ويستخرجون ما كنز الجبارون فلما قتل يزيد

ابن

المقداد) داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (ومات يعلى) بن أمية وخلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة ألف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى أيامه ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فأنفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد أسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا وقد شكا الناس أميرهم سعد ابن أبى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فحرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسألهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين

ابن أبى مسلم بافريقية ونقضت البربر بعث محمد بن على الى خراسان داعيا وأمره أن يدعو الى الرضا ولا يسمى أحدا وقد ذكرنا فيما تقدم خبر الدعاة وخبر أبى مسلم وقبض مروان على ابراهيم بن محمد وكان مروان لما أرسل المقبض عليه وصف للرسول صفة أبى العباس لانه كان يجد فى الكتب ان من هذه صفته يقتلهم ويسلبهم ملكهم وقال له ليأتيه بابراهيم بن محمد فقدم الرسول فاخذ أبا العباس بالصفة فلما ظهر ابراهيم وأمن قيل للرسول انما أمرت بابراهيم وهذا عبد الله فترك أبا العباس وأخذ ابراهيم فانطلق به الى مروان فلما رآه قال ليس هذه الصفة التى وصفت لك فقالوا قد رأينا الصفة التى وصفت وانما سميت ابراهيم فهذا ابراهيم فامر به فحبس وأعاد الرسل فى طلب أبى العباس فلم يروه وكان سبب مسيره من الحميمة ان ابراهيم لما أخذه الرسول نعى نفسه الى أهل بيته وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد وبالسمع له وبالطاعة وأوصى الى أبى العباس وجعله الخليفة بعده فسار أبو العباس ومن معه من أهل بيته منهم أخوه أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد ابنا أخيه ابراهيم وأعمامه داود وعيسى وصالح واسمعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو على بن عبد الله بن عباس وابن عمه داود وابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على ويحيى بن جعفر بن تمام بن عباس حتى قدموا الكوفة فى صفر وشيعتهم من أهل خراسان بظاهر الكوفة بحمام أعين فانزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم فى بنى داود وكتم أمرهم نحوا من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعة وأراد فيما ذكر ان يحول الامر الى آل أبى طالب لما بلغه الخبر عن موت ابراهيم الامام فقال له أبو الجهم ما فعل الامام قال لم يقدم فالح عليه فقال ليس هذا وقت خروجه لان واسطا لم تفتح بعد وكان أبو سلمة اذا سئل عن الامام يقول لا تعجلوا فلم يزل ذلك من امره حتى دخل أبو حميد محمد بن ابراهيم الحميرى من حمام أعين يريد الكناسة فلقى خادما لابراهيم الامام يقال له سابق الخوارزمى فعرفه فقال له ما فعل ابراهيم الامام فاخبره ان مروان قتله وان ابراهيم أوصى الى أخيه أبى العباس واستخلفه من بعده وانه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته فسأله أبو حميد ان ينطلق به اليهم فقال له سابق الموعد بينى وبينك غدا فى هذا الموضع وكره سابق ان يدله عليهم الا باذنهم فرجع أبو حميد الى أبى الجهم فاخبره وهو فى عسكر أبى سلمة فامره ان يلطف للقائهم فرجع أبو حميد من الغد الى الموضع الذى وعد فيه سابقا فلقيه فانطلق به الى أبى العباس وأهل بيته فلما دخل عليهم سأل أبو حميد من الخليفة منهم فقال داود بن على هذا امامكم وخليفتكم وأشار الى أبى العباس فسلم عليه بالخلافة وقبل يديه ورجليه وقال مرنا بامرك وعزاه بابراهيم الامام ثم رجع وصحبه ابراهيم بن سلمة رجل كان يخدم بنى العباس الى أبى الجهم فاخبره عن منزلهم وان الامام أرسل الى أبى سلمة يسأله مائة دينار يعطيها الجمال كراء الجمال التى حملتهم فلم يبعث بها اليهم فمشى أبو الجهم وابو حميد وابراهيم بن سلمة الى موسى بن كعب وقصوا عليه القصة وبعثوا الى الامام بمائتى دينار مع ابراهيم بن سلمة واتفق رأى جماعة من القواد على ان يلقوا الامام فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن ربعى وسلمة بن محمد وابراهيم بن سلمة وعبد الله الطائى واسحق بن ابراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حميد محمد بن ابراهيم وسليمان بن الاسود ومحمد بن الحصين الى الامام ابى العباس وبلغ ذلك ابا سلمة فسأل عنهم فقيل انهم دخلوا الكوفة فى حاجة لهم وأتى القوم ابا العباس فقالوا أيكم عبد الله ابن محمد بن الحارثية فقالوا هذا فسلموا عليه بالخلافة وعزوه فى ابراهيم ورجع موسى بن كعب وابو الجهم وامر ابو الجهم الباقين فتخلفوا عند الامام فارسل ابو سلمة الى أبى الجهم أين كنت قال ركبت

وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر ممن ذكرنا وأين هو ممن وصفنا (وقدم) على عثمان عمه الحكم بن أبى العاص وعمه مروان وغيرهما من بنى أمية ومروان هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى غربه عن المدينة ونفاه عن جواره وكان عماله جماعة منهم الوليد ابن عقبة بن أبى معيط على الكوفة وهو ممن أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار وعبد الله ابن أبى سرح على مصر ومعاوية بن أبى سفيان على الشأم وعبد الله بن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد وولاية سعيد على ما روى أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم أربعا وقال تريدون أن أزيدكم وقيل انه قال فى

الى امامى فركب أبو سلمة الى الامام فارسل أبو الجهم الى ابى حميد ان ابا سلمة قد اتاكم فلا يدخلن على الامام الا وحده فلما انتهى اليهم ابو سلمة منعوه ان يدخل معه احد فدخل وحده فسلم بالخلافة على أبى العباس فقال له أبو حميد على رغم انفك يا ماص بظر امه فقال له ابو العباس مه وأمر أبا سلمة بالعود الى معسكره فعاد وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول فلبسوا السلاح واصطفوا لخروج أبى العباس وأتوا بالدواب فركب برذونا أبلق وركب من معه من أهل بيته فدخلوا دار الامارة ثم خرج الى المسجد فخطب وصلى بالناس ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة فقام فى اعلاه وصعد عمه داود بن على فقام دونه فتكلم أبو العباس فقال الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا فايده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له فألزمنا كلمة التقوى وجعلنا احق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته وأنشأنا من آبائنا وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته جعله من أنفسنا عزيزا عليه ما عنتنا حريصا علينا بالمؤمنين رؤفا رحيما ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم فقال تبارك وتعالى فيما أنزل من محكم كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقال وأنذر عشيرتك الاقربين وقال وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى وقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا واوجب عليهم حقنا ومودتنا واجزل من الفئ والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم وزعمت الشامية الضلال أن غيرنا احق بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم ولم أيها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلكتهم واظهر بنا الحق ودحض الباطل واصلح بنا منهم ما كان فاسدا ورفع بنا الخسيسة وتمم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة فى دنياهم واخوانا على سرر متقابلين فى آخرتهم فتح الله ذلك منة وبهجة لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله اليه وقام بالامر من بعده اصحابه وأمرهم شورى بينهم حووا مواريث الامم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها واعطوها أهلها وخرجوا خماصا منها ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتذوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فاملى الله لهم حينا حتى آسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولى نصرنا والقيام بامرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الارض وختم بنا كما افتتح بنا وانى لارجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت الا بالله يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا واتاكم الله بدولتنا فأنتم اسعد الناس بنا واكرمهم علينا وقد زدتكم فى اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المنيح وكان موعوكا فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر وقام عمه داود على مراقى المنبر فقال الحمد لله شكرا الذى أهلك عدونا واصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيها الناس الآن اقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها واشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه وأخذ القوس باريها وعاد السهم الى منزعه ورجع الحق فى نصابه فى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم أيها الناس انا والله

سجوده وقد أطال اشرب
واسقنى فقال له بعض من
كان خلفه فى الصف الاول
ما تريد لا زادك الله مزيد
الخير والله لا أعجب الامن
بعثك الينا واليا وعلينا
أميرا وكان هذا القائل
عتاب بن غيلان الثقفى
(وخطب) الناس الوليد
فحصبه الناس بحصباء
المسجد فدخل قصره يترنح
ويتمثل بابيات لتأبط شرا
ولست بعيدا عن مدام وقينة
ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكننى أروى من الخمر
هامتى
وأمشى الملا بالساحب
المتسلسل
﴿وفى ذلك يقول الحطيئة﴾
شهد الحطيئة يوم يلقى ربه
ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم
أأزيدكم ثملا وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا
لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك فى الصلاة
ولو
خلوا عنانك لم تزل تجزى
وأشاعوا بالكوفة فعله
وظهر فسقه ومداومته
شرب الخمر فهجم عليه
جماعة من المسجد منهم
أبو زينب بن عوف الازدى
وأبو جندب بن زهير الازدى
وغيرهما فوجدوه سكران
مضطجعا على سريره لا يعقل

ما خرجنا فى طلب هذا الامر لنكثر لجينا ولا عقيانا ولا نحفر نهرا ولا نبنى قصرا وانما أخرجتنا الانفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبنى عمنا وما كرهنا من أموركم فلقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم واستنزالهم لكم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس رحمه الله علينا ان نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فى العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا تبا لبنى حرب بن أمية وبنى مروان آثروا فى مدتهم العاجلة على الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية فركبوا الآثام وظلموا الانام وانتهكوا المحارم وغشوا بالجرائم وجاروا فى سيرتهم فى العباد وسنتهم فى البلاد وخرجوا فى أعنة المعاصى وركضوا فى ميدان الغى جهلا باستدراج الله وأمنا لمكر الله فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون فاصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق فبعدا للقوم الظالمين وأدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور أرسل لعدو الله فى عنانه حتى عثر فى فضل خطامه أظن عدو الله ان لن نقدر عليه فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحا ضلاله وجعل دائرة السوء به واحيا شرفنا وعزنا ورد الينا حقنا وارثنا أيها الناس ان أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا انما عاد الى المنبر بعد الصلاة لانه كره ان يخلط بكلام الجمعة غيره وانما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك فادعوا الله لامير المؤمنين بالعافية فقد ابدلكم الله مروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع السفلة الذين افسدوا فى الارض بعد اصلاحها بابدال الدين وانتهاك حريم المسلمين الشاب المكتهل المتمهل المقتدى بسلفه الابرار الاخيار الذين اصلحوا الارض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى فعج الناس له بالدعاء ثم قال يا أهل الكوفة انا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا وأبلج بهم حجتنا واظهر بهم دولتنا وأراكم الله بهم ما كنتم تنتظرون فاظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشام ونقل اليكم السلطان واعز الاسلام ومن عليكم بامام منحه العدالة واعطاه حسن الايالة فخذوا ما آتاكم الله بشكر والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فان الامر أمركم وان لكل أهل بيت مصرا وانكم مصرنا ألا وانه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امير المؤمنين على بن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد واشار بيده الى أبى العباس السفاح واعلموا أن هذا الامر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم عليه السلام والحمد لله على ما ابلانا وأولانا ثم نزل أبو العباس وداود على امامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور يأخذ البيعة على الناس فى المسجد فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم المغرب وجنهم الليل فدخل وقيل ان داود بن على لما تكلم قال فى آخر كلامه أيها الناس انه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة الا على بن أبى طالب وأمير المؤمنين الذى خلفى ثم نزلا وخرج أبو العباس يعسكر بحمام أعين فى عسكر أبى سلمة ونزل معه فى حجرته بينهما ستر وحاجب السفاح يومئذ عبد الله بن بسام واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن على وبعث عمه عبد الله بن على الى أبى عون بن يزيد بشهرزور وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى الى الحسن بن قحطبة وهو يومئذ يحاصر ابن هبيرة بواسط وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس الى حميد بن قحطبة بالمدائن وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر الى بسام بن ابراهيم بن بسام بالاهواز

فايقظوه من رقدته فلم
يستيقظ ثم تقايا عليهم
ما شرب من الخمر فانتزعوا
خاتمه من يده وخرجوا من
فورهم الى المدينة فاتوا
عثمان بن عفان فشهدوا
عنده على الوليد أنه شرب
الخمر فقال عثمان وما يدريكما
أنه شرب خمرا فقالا هى
الخمر التى كنا نشربها فى
الجاهلية وأخرجا خاتمه
فدفعاه اليه فرزأهما ودفع
فى صدورهما وقال تنحيا
عنى فخرجا وأتيا على بن أبى
طالب رضى الله عنه
وأخبراه بالقصة فاتى عثمان
وهو يقول دفعت الشهود
وأبطلت الحدود فقال له
عثمان فما ترى قال أرى
أن تبعث الى صاحبك
فان أقاما الشهادة عليه فى
وجهه ولم يدل بحجة أقمت
عليه الحد فلما حضر الوليد
دعاهما عثمان فاقاما الشهادة
عليه ولم يدل بحجة فالقى
عثمان السوط الى على فقال
على لابنه الحسن قم يا بنى
فاقم عليه ما أوجب الله
عليه فقال يكفيه بعض
ما ترى فلما نظر الى امتناع
الجماعة عن اقامة الحد
عليه توقيا لغضب عثمان
لقرابته منه أخذ على السوط
ودنا منه فلما أقبل نحوه
سبه الوليد وقال يا صاحب
مكس فقال عقيل بن أبى

وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان الى مالك بن الطواف واقام السفاح بالعسكر اشهرا ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية بقصر الامارة وكان تنكر لابى سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك وقد قيل ان داود ابن على وابنه موسى لم يكونوا بالشام عند مسير بنى العباس الى العراق انما كان بالعراق أو بغيره فخرجا يريدان الشام فلقيهما أبو العباس وأهل بيته يريدون الكوفة بدومة الجندل فسألهم داود عن خبرهم فقص عليه أبو العباس قصتهم وانهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ويظهروا أمرهم فقال له داود يا ابا العباس تأتى الكوفة وشيخ بنى أمية مروان بن محمد بحران مطل على العراق فى أهل الشام والجزيرة وشيخ العرب يزيد بن هبيرة بالعراق فى جند العرب فقال يا عمى من أحب الحياة ذل ثم تمثل بقول الاعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال صدق والله ابن عمك فارجع بنا معه نعش اعزاء او نمت كراما فرجعوا جميعا فكان عيسى بن موسى يقول اذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة ان نفرا أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم وأهاليهم يطلبون ما طلبنا لعظيمة همتهم كبيرة أنفسهم شديدة قلوبهم

﴿ذكر هزيمة مروان بالزاب﴾

قد ذكرنا ان قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الازدى الى شهرزور وانه قتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل وان مروان بن محمد سار اليه من حران حتى بلغ الزاب وحفر خندقا وكان فى عشرين ومائة ألف وسار أبو عون الى الزاب فوجه أبو سلمة الى أبى عون عيينة بن موسى والمنهال بن قنان واسحق بن طلحة كل واحد فى ثلاثة آلاف فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد فى ألفين وعبد الله الطائى فى ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعى الطائى فى ألفين ووداس بن نضلة فى خمسمائة الى أبى عون ثم قال من يسير الى مروان من أهل بيتى فقال عبد الله بن على انا فسيره الى أبى عون فقدم عليه فتحول أبو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل عبد الله بن على عن مخاضة فدل عليها بالزاب فأمر عيينة بن موسى فعبر فى خمسة آلاف فانتهى الى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا ورجع الى عبد الله بن على وأصبح مروان فعقد الجسر وعبر عليه فنهاه وزراؤه عن ذلك فلم يقبل وسير ابنه عبد الله فنزل اسفل من عسكر عبد الله بن على فبعث عبد الله بن على المخارق فى أربعة آلاف نحو عبد الله ابن مروان فسرح اليه ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فالتقيا فانهزم أصحاب المخارق وثبت هو فأسر هو وجماعة وسيرهم الى مروان مع رؤس القتلى فقال مروان ادخلوا على رجلا من الاسرى فأتوه بالمخارق وكان نحيفا فقال أنت المخارق قال لا انا عبد من عبيد أهل العسكر قال فتعرف المخارق قال نعم قال فانظر هل تراه فى هذه الرؤس فنظر الى رأس منها فقال هو هذا فخلى سبيله فقال رجل مع مروان حين نظر المخارق وهو لا يعرفه لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم وقيل ان المخارق لما نظر الى الرؤس قال ما أرى رأسه فيها ولا اراه الا قد ذهب فخلى سبيله ولما بلغت الهزيمة عبد الله بن على أرسل الى طريق المنهزمين من يمنعهم من دخول العسكر لئلا يكسر قلوبهم واشار عليه أبو عون ان يبادر مروان بالقتال قبل ان يظهر أمر المخارق فيفت ذلك فى اعضاد الناس فنادى فيهم بلبس السلاح والخروج الى الحرب فركبوا واستخلف على عسكره محمد بن صول وسار نحو مروان وجعل على ميمنته ابا عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية

وكان

طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبى معيط كأنك لا تدرى من أنت وأنت علج من أهل صفورية وهى قرية بين عكا واللجون من أعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أن أباه كان يهوديا منها فاقبل الوليد يزوغ من على فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط فقال عثمان ليس لك أن تفعل به هذا قال بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه (وولى الكوفة) بعده سعيد بن العاص فلما دخل سعيد الكوفة واليا أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل وأمر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة واشتبه بالاموال وقال فى بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد قطين لقريش فقال له الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعى أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج الى عثمان فى سبعين راكبا من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص

وكان عسكره عشرين ألفا وقيل اثنى عشر ألفا وقيل غير ذلك فلما التقى العسكران قال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ان زالت اليوم الشمس ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها الى المسيح عليه السلام وان قاتلونا قبل الزوال فانا لله وانا اليه راجعون وأرسل مروان الى عبد الله يسأله الموادعة فقال عبد الله كذب ابن رزيق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل ان شاء الله وقال مروان لاهل الشام قفوا لا تبدؤهم بالقتال وجعل ينظر الى الشمس فحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم وهو ختن مروان بن محمد على ابنته فغضب وشتمه وقاتل ابن معاوية أبا عون فانحاز أبو عون الى عبد الله بن على فقال لموسى بن كعب يا عبد الله مر الناس فلينزلوا فنودى الارض فنزل الناس وأشرعوا الرماح وجثوا على الركب فقاتلوهم وجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون ومشى عبد الله بن على قدما وهو يقول يا رب حتى متى نقتل فيك ونادى يا أهل خراسان يا لثارات ابراهيم يا محمد يا منصور واشتد بينهم القتال فقال مروان لقضاعة انزلوا فقالوا قل لبنى سليم فلينزلوا فارسل الى السكاسك ان احملوا فقالوا قل لبنى عامر فليحملوا فارسل الى السكون ان احملوا فقالوا قل لغطفان فليحملوا فقال لصاحب شرطته انزل فقال والله ما كنت لاجعل نفسى غرضا قال اما والله لاسوأنك فقال وددت والله انك قدرت على ذلك وكان مروان ذلك اليوم لا يدبر شيأ الا كان فيه الخلل فأمر بالاموال فأخرجت وقال للناس اصبروا وقاتلوا فهذه الاموال لكم فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك فقيل له ان الناس قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم ان يذهبوا به فارسل الى ابنه عبد الله ان سر فى أصحابك الى قوم عسكرك فاقتل من أخذ من المال فامنعهم فمال عبد الله برايته وأصحابه فقال الناس الهزيمة الهزيمة فانهزم مروان وانهزموا وقطع الجسر وكان من غرق يومئذ اكثر ممن قتل فكان ممن غرق يومئذ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع فاستخرجوه فى الغرقى فقرأ عبد الله واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وقيل بل قتله عبد الله بن على بالشام وقتل فى هذه الوقعة سعيد بن هشام بن عبد الملك وقيل بل قتله عبد الله بالشام واقام عبد الله بن على فى عسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعير مروان

لج الفرار بمروان فقلت له * عاد الظلوم ظليما همه الهرب
أين الفرار وترك الملك اذ ذهبت * عنك الهوينا فلا دين ولا حسب
فراشة الحلم فرعون العقاب وان * تطلب نداه فكلب دونه كلب

وكتب يومئذ عبد الله بن على الى السفاح بالفتح وحوى عسكر مروان بما فيه فوجد سلاحا كثيرا وأموالا ولم يجد فيه امرأة الا جارية كانت لعبد الله بن مروان فلما أتى الكتاب السفاح صلى ركعتين وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة دينار ورفع ارزاقهم الى ثمانين وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة وكان فيمن قتل معه يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وهو أخو عبد الرحمن صاحب الاندلس فلما تقدم الى القتال رأى عبد الله بن على فتى عليه ابهة الشرف يقاتل مستقتلا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال ان لم أكنه فلست بدونه قال فلك الامان ولو كنت من كنت فأطرق ثم قال

أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما * فسيرا الى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل فاذا هو مسلمة بن عبد الملك

وسالوا عزله عنهم فمكث الاشتر وأصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شئ وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان أمراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد ابن العاص من الكوفة فأقاموا بالمدينة أياما لا يردهم الى أمصارهم كراهة أن يرد سعيدا الى الكوفة وكره أن يعزله حتى كتب اليه من بأمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ما ترون فقال معاوية أما أنا فراض بى جندى وقال عبد الله ابن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلى وقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن العاص

﴿ذكر قتل ابراهيم بن محمد بن على الامام﴾

قد ذكرنا سبب حبسه واختلاف الناس فى موته فقيل ان مروان حبسه بحران وحبس سعيد ابن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد بن عبد الملك وأبا محمد السفيانى فهلك منهم فى وباء وقع بحران العباس بن الوليد وابراهيم بن محمد بن على الامام وعبد الله بن عمر فلما كان قبل هزيمة مروان من الزاب بجمعة خرج سعيد بن هشام وابن عمه ومن معه من المحبوسين فقتلوا صاحب السجن وخرجوا فقتلهم أهل حران ومن فيها من الغوغاء وكان فيمن قتله أهل حران شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر التغلبى وبطريق ارمينية الرابعة واسمه كوشان وتخلف أبو محمد السفيانى فى الحبس فلم يخرج فيمن خرج ومعه غيره لم يستحلوا الخروج من الحبس فقدم مروان منهزما من الزاب فجاء فخلى عنهم وقيل ان مروان هدم على ابراهيم بيتا فقتله وقد قيل ان شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك كان محبوسا مع ابراهيم فكانا يتزاوران فصار بينهما مودة فاتى رسول من شراحيل الى ابراهيم يوما بلبن فقال يقول لك أخوك انى شربت من هذا اللبن فاستطبته فاحببت ان تشرب منه فشرب منه فتكسر جسده من ساعته وكان يوما يزور فيه شراحيل فابطأ عليه فارسل اليه شراحيل انك قد أبطأت فما حبسك فاعاد ابراهيم انى لما شربت اللبن الذى أرسلت به قد اسهلنى فاتاه شراحيل فقال والله الذى لا اله الا هو ما شربت اليوم لبنا ولا أرسلت به اليك فانا لله وانا اليه راجعون احتيل والله عليك فبات ابراهيم ليلته وأصبح ميتا فقال ابراهيم بن هرمة يرثيه

قد كنت احسبنى جلدا فضعضعنى * قبر بحران فيه عصمة الدين
فيه الامام وخير الناس كلهم * بين الصفائح والاحجار والطين
فيه الامام الذى عمت مصيبته * وعيلت كل ذى مال ومسكين
فلا عفا الله عن مروان مظلمة * لكن عفا الله عمن قال آمين

وكان ابراهيم خيرا فاضلا كريما قدم المدينة مرة ففرق فى أهلها مالا جليلا وبعث الى عبد الله ابن الحسن بخمسمائة دينار وبعث الى جعفر بن محمد بالف دينار فبعث الى جماعة العلويين بمال كثير فاتاه الحسين بن زيد بن على وهو صغير فاجلسه فى حجره قال من أنت قال أنا الحسين بن زيد بن على فبكى حتى بل رداءه وأمر وكيله باحضار ما بقى من المال فاحضر أربعمائة دينار فسلمها اليه وقال لو كان عندنا شئ آخر لسلمته اليك وسير معه بعض مواليه الى أمه ريطة بنت عبد الملك بن محمد بن الحنفية يعتذر اليها وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وأمه أم ولد بربرية اسمها سلمى وكان ينبغى ان يقدم ذكر قتله على هزيمة مروان وانما قدمنا ذلك لتتبع الحادثة بعضها بعضا

﴿ذكر قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم﴾

وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد وكان قتله ببوصير من اعمال مصر لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان مروان لما هزمه عبد الله بن على بالزاب أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبى وبشر بن خزيمة الاسدى فقطعا الجسر فناداهم أهل الشام هذا أمير المؤمنين مروان فقالوا كذبتم أمير المؤمنين لا يفر وسبه أهل الموصل وقالوا يا جعدى يا معطل الحمد لله الذى أزال سلطانكم وذهب بدولتكم الحمد لله الذى أتانا باهل بيت نبينا فلما سمع ذلك سار الى بلد فعبر دجلة وأتى حران وبها ابن أخيه أبان بن يزيد بن محمد بن مروان عامله عليها فاقام بها نيفا

فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له الينا فصار اليهما فقالا ما وراءك قال الشر ما ترك شيأ من المنكر الا أتى به وأمر به وجاء الاشتر فقالا له ان عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا به خطباء فكيف وقد قال وايم الله على ذلك لولا أنى أنفذت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى أمنعه دخولها فقالا له فعندنا حاجتك التى تفوتك فى سفرك قال فأسلفانى اذن مائة ألف درهم قال فاسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين أصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيد وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ما وضعه بعد ثم قال أما بعد فان عاملكم الذى أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث فبايعونى على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكة فلقى سعيدا

وعشرين يوما وسار عبد الله بن على حتى أتى الموصل فدخلها وعزل عنها هشاما واستعمل عليها محمد ابن صول ثم سار فى أثر مروان بن محمد فلما دنا منه عبد الله حمل مروان أهله وعياله ومضى منهزما وخلف بمدينة حران ابن أخيه أبان بن يزيد وتحته أم عثمان ابنة مروان وقدم عبد الله بن على حران فلقيه أبان مسودا مبايعا له فبايعه له ودخل فى طاعته فامنه ومن كان بحران والجزيرة ومضى مروان الى حمص فلقيه أهلها بالسمع والطاعة فاقام بها يومين أو ثلاثا ثم سار منها فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه وقالوا مرعوب منهزما فاتبعوه بعدما رحل عنهم فلحقوه على اميال فلما رأى غبرة الخيل كمن لهم فلما جاوزوا الكمين صافهم مروان فيمن معه وناشدهم فابوا الا قتاله فقاتلهم وأتاهم الكمين من خلفهم فانهزم أهل حمص وقتلوا حتى انتهوا الى قريب المدينة وأتى مروان دمشق وعليها الوليد بن معاوية بن مروان فخلفه بها وقال قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام ومضى مروان حتى أتى فلسطين فنزل نهر أبى فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامى فارسل مروان الى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامى فاجاره وكان بيت المال فى يد الحكم وكان السفاح قد كتب الى عبد الله بن على يأمره باتباع مروان فسار حتى أتى الموصل فتلقاه من بها مسودين وفتحوا له المدينة ثم سار الى حران فتلقاه أبان بن يزيد مسودا كما تقدم فأمنه وهدم عبد الله الدار التى حبس فيها ابراهيم ثم سار من حران الى منبج وقد سودوا فاقام بها وبعث اليه أهل قنسرين ببيعتهم وقدم عليه أخوه عبد الصمد بن على أرسله السفاح مددا له فى أربعة آلاف فسار بعد قدوم عبد الصمد بيومين الى قنسرين وكانوا قد سودوا فاقام يومين ثم سار الى حمص وبايع أهلها وأقام بها أياما ثم سار الى بعلبك فاقام يومين ثم سار فنزل مزة دمشق وهى قرية من قرى الغوطة وقدم عليه أخوه صالح بن على مددا فنزل مرج عذراء فى ثمانية آلاف ثم تقدم عبد الله فنزل على الباب الشرقى ونزل صالح على باب الجابية ونزل أبو عون على باب كيسان ونزل بسام ابن ابراهيم على باب الصغير ونزل حميد بن قحطبة على باب توما وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس وفى دمشق الوليد بن معاوية فحصروه ودخلوها عنوة يوم الاربعاء لخمس مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أول من صعد سور المدينة من باب شرقى عبد الله الطائى ومن ناحية باب الصغير بسام بن ابراهيم فقاتلوا بها ثلاث ساعات وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل وأقام عبد الله بن على فى دمشق خمسة عشر يوما ثم سار يريد فلسطين فلقيه أهل الاردن وقد سودوا وأتى نهر أبى فطرس وقد ذهب مروان فاقام عبد الله بفلسطين ونزل بالمدينة يحيى بن جعفر الهاشمى فاتاه كتاب السفاح يأمره بارسال صالح بن على فى طلب مروان فسار صالح من نهر أبى فطرس فى ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه ابن فتان وعامر بن اسمعيل فقدم صالح أبا عون وعامر بن اسمعيل الحرثى فساروا حتى بلغوا العريش فاحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام وسار صالح فنزل النيل ثم سار حتى أتى الصعيد وبلغه ان خيلا لمروان يحرقون الاعلاف فوجه اليهم فأخذوا وقدم بهم على صالح وهو بالفسطاط وسار فنزل موضعا يقال له ذات السلاسل وقدم أبو عون عامر بن اسمعيل الحرثى وشعبة بن كثير المازنى فى خيل أهل الموصل فلقوا خيلا لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالا فقتلوا بعضا واستحيوا بعضا فسألوهم عن مروان فاخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم وساروا فوجدوه نازلا فى كنيسة فى بوصير فقاتلوه ليلا وكان أصحاب أبى عون قليلين فقال لهم عامر بن اسمعيل ان أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا ولم ينج منا أحد وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا على أصحاب مروان

بواقصة فأخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله ما منعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك وول من أحببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو أبو موسى الاشعرى فولوه (وفى سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها من فعله (منها) ما كان بينه وبين عبد الله ابن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان من أجله (ومن ذلك) ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة فى مسجد الكوفة وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قرية من قرى الكوفة مما يلى جسر بابل يقال له زرارة يعمل أنواعا من الشعبذة والسحر يعرف بطروى فأحضر فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل وهو أن أظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد ثم صار اليهودى ناقة يمشى على حبل ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج

فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه وصاح صائح صرع أمير المؤمنين فابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه فاخذه عامر فبعث به الى أبى عون وبعثه أبو عون الى صالح فلما وصل اليه أمر أن يقص لسانه فانقطع لسانه فاخذه هر فقال صالح ماذا ترينا الايام من العجائب والعبر هذا لسان مروان قد أخذته هر وقال شاعر

قد فتح الله مصر عنوة لكم * وأهلك الفاجر الجعدى اذ ظلما
فلاك مقوله هر يجرره * وكان ربك من ذى الكفر منتقما

وسيره صالح الى أبى العباس السفاح وكان قتله لليلتين بقيتا من ذى الحجة ورجع صالح الى الشام وخلف أبا عون بمصر وسلم اليه السلاح والاموال والرقيق ولما وصل الرأس الى السفاح كان بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يبق ثارى قبلك وقبل رهطك أعداء الدين وتمثل

لو يشربون دمى لم يرو شاربهم * ولا دماؤهم للغيظ تروينى

ولما قتل مروان هرب ابناه عبد الله وعبيد الله الى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء قاتلهم الحبشة فقتل عبيد الله ونجا عبد الله فى عدة ممن معه فبقى الى خلافة المهدى فاخذه نصر بن محمد بن الاشعث عامل فلسطين فبعث به الى المهدى ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التى فيها حرم مروان وكان قد وكل بهن خادما وأمره ان يقتلهن بعده فاخذه عامر وأخذ نساء مروان وبناته فسيرهن الى صالح بن على بن عبد الله بن عباس فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت يا عم أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا قال والله لا أستبقى منكم واحدا ألم يقتل أبوك ابن أخى ابراهيم الامام ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن على بن الحسين وصلبه فى الكوفة ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ألم يقتل ابن زياد الدعى مسلم بن عقيل ألم يقتل يزيد ابن معاوية الحسين بن على وأهل بيته ألم يخرج اليه بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا فوقفهن موقف السبى ألم يحمل رأس الحسين وقد قرع دماغه فما الذى يحملنى على الابقاء عليكن قالت فليسعنا عفوكم فقال أما هذا فنعم وان أحببت زوجتك ابنى الفضل فقالت وأى عز خير من هذا بل تلحقنا بحران فحملهن اليها فلما دخلنها ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء قيل كان يوما بكير بن ماهان مع أصحابه قبل ان يقتل مروان يتحدث اذ مر به عامر بن اسمعيل وهو لا يعرفه فأتى دجلة واستقى من مائها ثم رجع فدعاه بكير فقال ما اسمك يا فتى قال عامر بن اسمعيل بن الحرث قال فكن من بنى مسلية قال فانا منهم قال انت والله تقتل مروان فكان هذا القول هو الذى قوى طمع عامر فى قتل مروان ولما قتل مروان كان عمره اثنتين وستين سنة وقيل تسعا وستين سنة وكانت ولايته من حين بويع الى ان قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما وكان يكنى أبا عبد الملك وكانت أمه أم ولد كردية كانت لابراهيم بن الاشتر أخذها محمد بن مروان يوم قتل ابراهيم فولدت مروان فلهذا قال عبد الله بن عياش المنتوف للسفاح الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وكان مروان يلقب بالحمار والجعدى لانه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك وقيل ان الجعد كان زنديقا وعظه ميمون بن مهران فقال لشاة قباذ أحب الى مما تدين به فقال له قتلك الله وهو قاتلك وشهد عليه ميمون وطلبه هشام فظفر به وسيره الى خالد القسرى فقتله

فكان

من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ثم أمر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدى فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم أن ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودى ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وأن جندبا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودى وقال ان كنت صادقا فأحى نفسك فانكر عليه الوليد ذلك وأراد أن يقيده به فمنعه الازد فحبسه وأراد قتله غيلة ونظر السجان الى قيامه ليله الى الصبح فقال له انج بنفسك فقال له جندب تقتل بى قال ليس ذلك بكثير فى مرضاة الله والدفع عن ولى من أولياء الله فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس

فكان الناس يذمون مروان بنسبته اليه وكان مروان أبيض أشهل شديد الشهلة ضخم الهامة كث اللحية أبيضها ربعة وكان شجاعا حازما الا ان مدته انقضت فلم ينفعه حزمه ولا شجاعته (عياش بالياء تحتها نقطتان والشين المعجمة)

❁(ذكر من قتل من بنى أمية)❁

دخل سديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أكرمه فقال سديف

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان قتلتنى يا شيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على وعنده من بنى أمية نحو تسعين رجلا على الطعام فاقبل عليه شبل فقال

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناسى

فامر بهم عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا وبسط عليهم الانطاع فاكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وأمر عبد الله بن على بنبش قبور بنى أمية بدمشق فنبش قبر معاوية بن أبى سفيان فلم يجدوا فيه الا خيطا مثل الهباء ونبش قبر يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فوجدوا فيه حطاما كأنه الرماد ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته وكان لا يوجد فى القبر الا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فانه وجد صحيحا لم يبل منه الا أرنبة أنفه فضربه بالسياط وصلبه وحرقه وذراه فى الريح وتتبع بنى أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فاخذهم ولم يفلت منهم الا رضيع أو من هرب الى الاندلس فقتلهم بنهر أبى فطرس وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان والغمر بن يزيد بن عبد الملك وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وسعيد بن عبد الملك وقيل انه مات قبل ذلك وأبو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك وقيل ان ابراهيم بن يزيد المخلوع قتل معهم واستصفى كل شئ لهم من مال وغير ذلك فلما فرغ منهم قال

بنى أمية قد أفنيت جمعكم * فكيف لى منكم بالاول الماضى
يطيب النفس ان النار تجمعكم * عوضتم من لظاها شر معتاض
منيتم لا أقال الله عثرتكم * بليث غاب الى الاعداء نهاض
ان كان غيظى لفوت منكم فلقد * منيت منكم بما ربى به راض

وقيل ان سديفا انشد هذا الشعر للسفاح ومعه كانت الحادثة وهو الذى قتلهم وقتل سليمان بن على بن عبد الله بن عباس بالبصرة أيضا جماعة من بنى أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة وأمر بهم فجروا بأرجلهم فالقوا على الطريق فأكلهم الكلاب فلما رأى بنو أمية ذلك اشتد خوفهم وتشتت شملهم واختفى من قدر على الاختفاء وكان ممن اختفى منهم عمرو بن معاوية بن عمرو بن

(ومن ذلك) ما فعل بابى ذر وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا أمير المؤمنين فدفع أبو ذر فى صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودى ثم تلا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان أترون بأسا أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه فقال كعب لا بأس بذلك فرفع أبو ذر العصا فدفع بها فى صدر كعب وقال يا ابن اليهودى ما أجرأك على القول فى ديننا فقال له عثمان ما أكثر أذاك لى غيب وجهك عنى فقد آذيتنى فخرج أبو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان أبا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك فان كان لك فى القوم حاجة فاحمله اليك فكتب اليه عثمان بحمله فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن أموت حتى أنفى وذكر

سفيان بن عتبة بن أبي سفيان قال وكنت لا آتى مكانا الا عرفت فيه فضاقت على الارض فقدمت على سليمان بن على وهو لا يعرفنى فقلت لفظتنى البلاد اليك ودلنى فضلك عليك فاما قتلتنى فاسترحت واما رددتنى سالما فامنت فقال ومن أنت فعرفته نفسى فقال مرحبا بك ما حاجتك فقلت ان الحرم اللواتى أنت أولى الناس بهن وأقربهم اليهن قد خفن لخوفنا ومن خاف خيف عليه قال فبكى كثيرا ثم قال يحقن الله دمك ويوفر مالك ويحفظ حرمك ثم كتب الى السفاح يا أمير المؤمنين انه قد وفد وافد من بنى أمية علينا وانا انما قتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم فاننا يجمعنا واياهم عبد مناف والرحم تبل ولا تقتل وترفع ولا توضع فان رأى أمير المؤمنين ان يهبهم لى فليفعل وان فعل فيجعل كتابا عاما الى البلدان نشكر الله تعالى على نعمه عندنا واحسانه الينا فاجابه الى ما سأل فكان هذا أول امان بنى أمية

﴿ذكر خلع حبيب بن مرة المرى﴾

وفى هذه السنة بيض حبيب بن مرة المرى وخلع هو ومن معه من أهل البثنية وحوران وكان خلعهم قبل خلع أبى الورد فسار اليه عبد الله وقاتله دفعات وكان حبيب من قواد مروان وفرسانه وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وقومه فبايعته قيس وغيرهم ممن يليهم فلما بلغ عبد الله خروج أبى الورد وتبييضه دعا حبيبا الى الصلح فصالحه وأمنه ومن معه وسار نحو أبى الورد

﴿ذكر خلع أبى الورد وأهل دمشق﴾

وفيها خلع أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحرث الكلابى وكان من أصحاب مروان وقواده وكان سبب ذلك ان مروان لما انهزم قام أبو الورد بقنسرين فقدمها عبد الله بن على فبايعه أبو الورد ودخل فيما دخل فيه جنده وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس والناعورة فقدم بالس قائد من قواد عبد الله بن على فبعث بولد مسلمة ونسائهم فشكا بعضهم ذلك الى أبى الورد فخرج من مزرعة يقال لها خسان فقتل ذلك القائد ومن معه وأظهر التبييض والخلع لعبد الله ودعا أهل قنسرين الى ذلك فبيضوا اجمعهم والسفاح يومئذ بالحيرة وعبد الله بن على مشتغل بحرب حبيب بن مرة المرى بأرض البلقاء وحوران والبثنية على ما ذكرناه فلما بلغ عبد الله تبييض أهل قنسرين وخلعهم صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين للقاء أبى الورد فمر بدمشق فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعى الطائى فى أربعة آلاف وكان بدمشق أهل عبد الله وأمهات أولاده وثقله فلما قدم حمص انتقض له أهل دمشق وبيضوا وقاموا مع عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدى فلقوا أبا غانم ومن معه فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وانتهبوا ما كان عبد الله خلف من ثقله ولم يعرضوا لاهله واجتمعوا على الخلاف وسار عبد الله وكان قد اجتمع مع أبى الورد جماعة من أهل قنسرين وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر فقدم منهم الوف عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ودعوا اليه وقالوا هذا السفيانى الذى كان يذكر وهم فى نحو من أربعين ألفا فعسكروا بمرج الاخرم ودنا منهم عبد الله بن على ووجه اليهم أخاه عبد الصمد بن على فى عشرة آلاف وكان أبو الورد هو المدبر لعسكر قنسرين وصاحب القتال فناهضهم القتال وكثر القتل فى الفريقين وانكشف عبد الصمد ومن معه وقتل منهم الوف ولحق باخيه عبد الله فاقبل عبد الله معه وجماعة القواد فالتقوا ثانية بمرج الاخرم فاقتتلوا قتالا شديدا وثبت عبد الله فانهزم أصحاب أبى الورد وثبت هو فى نحو من خمسمائة من قومه وأصحابه فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر وأمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوه ودخلوا فى طاعته ثم انصرف

جوامع ما نزل به بعد ومن يتولى دفنه فأحسن اليه فى داره أياما ثم دخل اليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء وذكر الخبر فى ولد أبى العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر فى الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان فى ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهرى من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان انى لأرجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان يتصدق ويقرى الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودى تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يسرنى أن أموت وأدع ما يزن قيراطا فقال له عثمان وارعنى وجهك فقال أسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعنى من بيت ربى أعبده فيه حتى أموت

راجعا الى أهل دمشق لما كان من تبييضهم فلما دنا منهم هرب الناس ولم يكن منهم قتال وأمن عبد الله أهلها وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم ولم يزل أبو محمد السفيانى متغيبا هاربا ولحق بارض الحجاز وبقى كذلك الى أيام المنصور فبلغ زياد بن عبد الله الحرثى عامل المنصور مكانه فبعث اليه خيلا فقاتلوه فقتلوه وأخذوا ابنين له أسيرين فبعث زياد برأس أبى محمد بن عبد الله السفيانى وبابنيه فاطلقهما المنصور وأمنهما وقيل ان حرب عبد الله وأبى الورد كانت سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة

﴿ذكر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم﴾

وفى هذه السنة بيض أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس السفاح وساروا الى حران وبها موسى بن كعب فى ثلاثة آلاف من جند السفاح فحصروه بها وليس على أهل الجزيرة رأس يجمعهم فقدم عليهم اسحق بن مسلم العقيلى من أرمينية وكان سار عنها حين بلغه هزيمة مروان فاجتمع عليه أهل الجزيرة وحاصر موسى بن كعب نحوا من الشهرين ووجه أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود بواسط محاصرين ابن هبيرة فسار بقرقيسيا والرقة وأهلها قد بيضوا وسار نحو حران فرحل اسحق بن مسلم الى الرهاء وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة وخرج موسى بن كعب من حران فلقى أبا جعفر ووجه اسحق بن مسلم أخاه بكار بن مسلم الى ربيعة بدارا وماردين ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية يقال له بريكة فعمد اليهم أبو جعفر فلقيهم فقاتلوه قتالا شديدا وقتل بريكة فى المعركة وانصرف بكار الى أخيه اسحق بالرها فخلفه اسحق بها وسار الى سميساط فى عظم عسكره وأقبل أبو جعفر الى الرها وكان بينهم وبين بكار وقعات وكتب السفاح الى عبد الله بن على يأمره أن يسير فى جنوده الى سميساط فسار حتى نزل بازاء اسحق بسميساط واسحق فى ستين ألفا وبينهم الفرات وأقبل أبو جعفر من الرها وحاصر اسحق بسميساط سبعة أشهر وكان اسحق يقول فى عنقى بيعة فانا لا أدعها حتى أعلم ان صاحبها مات أو قتل فارسل اليه أبو جعفر ان مروان قد قتل فقال حتى أتيقن فلما تيقن قتله طلب الصلح والامان فكتبوا الى السفاح بذلك وأمرهم أن يؤمنوه ومن معه فكتبوا بينهم كتابا بذلك وخرج اسحق الى أبى جعفر وكان عنده من أثرة صحابته واستقام أهل الجزيرة والشام وولى أبو العباس أخاه أبا جعفر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فلم يزل عليها حتى استخلف وقد قيل ان عبيد الله بن على هو الذى أمن اسحق ابن مسلم

﴿ذكر قتل أبى سلمة الخلال وسليمان بن كثير﴾

قد ذكرنا ما كان من أبى سلمة فى أمر أبى العباس السفاح ومن كان معه من بنى هاشم عند قدومهم الكوفة بحيث صار عندهم متهما وتغير السفاح عليه وهو بعسكره بحمام أعين ثم تحول عنه الى المدينة الهاشمية فنزل قصر الامارة بها وهو متنكر لابى سلمة وكتب الى أبى مسلم يعلمه رأيه فيه وما كان هم به من الغش وكتب اليه أبو مسلم ان كان أمير المؤمنين اطلع على ذلك منه فليقتله فقال داود بن على للسفاح لا تفعل يا أمير المؤمنين فيحتج بها أبو مسلم عليك وأهل خراسان الذين معك أصحابه وحاله فيهم حاله ولكن اكتب الى أبى مسلم فليبعث اليه من يقتله فكتب اليه فبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبى لقتله فقدم على السفاح فاعلمه بسبب قدومه فأمر السفاح مناديا فنادى ان أمير المؤمنين قد رضى عن أبى سلمة ودعاه فكساه ثم دخل عليه بعد ذلك ليلة فلم يزل عنده حتى ذهب عامة الليل ثم انصرف الى منزله وحده فعرض له مرار بن أنس ومن معه من أعوانه فقتلوه

قال اى والله قال فالى الشام قال لا والله قال البصرة قال لا والله فاختر غير هذه البلدان قال لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتنى فى دار هجرتى ما أردت شيأ من البلدان فسيرنى حيث شئت من البلاد فقال فانى مسيرك الى الربذة قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنى بكل ما أنا لاق قال عثمان وما قال لك قال أخبرنى بأنى أمنع عن مكة والمدينة واموت بالربذة ويتولى موارانى نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبو ذر الى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار ابن ياسر فاعترض مروان فقال يا على ان أمير المؤمنين قد نهى الناس ان يصحبوا أبا ذر فى مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك فحمل عليه على بن أبى طالب بالسوط بين اذنى راحلته وقال تنح

وقالوا قتله الخوارج ثم أخرج من الغد فصلى عليه يحيى بن محمد بن علي ودفن بالمدينة الهاشمية عند الكوفة فقال سليمان بن المهاجر البجلي

ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك صار وزيرا

وكان يقال لابي سلمة وزير آل محمد ولابي مسلم أمير آل محمد فلما قتل أبو سلمة وجه السفاح أخاه أبا جعفر الى أبي مسلم فلما قدم على أبي مسلم سايره عبيد الله بن الحسن الاعرج وسليمان بن كثير فقال سليمان بن كثير لعبيد الله يا هذا انا كنا نرجوأن يتم أمركم فاذا شئتم فادعونا الى ما تريدون فظن عبيد الله انه دسيس من أبي مسلم فأتى أبا مسلم فأخبره وخاف ان لم يعلمه ان يقتله فأحضر أبو مسلم سليمان بن كثير وقال له اتحفظ قول الامام لي من اتهمته فاقتله قال نعم قال فاني قد اتهمتك قال انشدك الله قال لا تناشدني فانت منطو على غش الامام وأمر بضرب عنقه ورجع أبو جعفر الى السفاح فقال لست خليفة ولا أمرك بشئ ان تركت أبا مسلم ولم تقتله قال وكيف قال والله ما يصنع الا ما أراد قال أبو العباس فاكتمها وقد قيل ان أبا جعفر انما سار الى أبي مسلم قبل ان يقتل أبو سلمة وكان سبب ذلك ان السفاح لما ظهر تذاكروا ما صنع أبو سلمة فقال بعض من هناك لعل ما صنع كان من رأى أبي مسلم فقال السفاح لئن كان هذا عن رأيه انا لنعرض بلاء الا أن يدفعه الله عنا وأرسل أخاه أبا جعفر الى أبي مسلم ليعلم رأيه فسار اليه وأعلمه ما كان من أبي سلمة فارسل مرار بن أنس فقتله

﴿ذكر محاصرة ابن هبيرة بواسط﴾

قد ذكرنا ما كان من أمر يزيد بن هبيرة والجيش الذين لقوه من أهل خراسان مع قحطبة ثم مع ابنه الحسن وانهزامه الى واسط وتحصنه بها وكان لما انهزم قد وكل بالاثقال قوما فذهبوا بها فقال له حوثرة أين تذهب وقد قتل صاحبهم يعني قحطبة أمض الى الكوفة ومعك جند كثير فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر قال بل نأتي واسطا فننظر قال ما تريد ان تمكنه من نفسك وتقتل وقال يحيى بن حصين انك لو تأتي مروان بشئ أحب اليه من هذه الجنود فالزم الفرات حتى تأتيه واياك وواسطا فتصير في حصار وليس بعد الحصر الا القتل فأبى وكان يخاف مروان لانه كان يكتب اليه بالامر فيخالفه فخاف ان يقتله فاتى واسطا فتحصن بها وسير أبو سلمة اليه الحسن بن قحطبة فحصره وأول وقعة كانت بينهم يوم الاربعاء قال أهل الشام لابن هبيرة أئذن لنا في قتالهم فأذن لهم فخرجوا وخرج ابن هبيرة وعلى ميمنته ابنه داود فالتقوا وعلى ميمنة الحسن خازم بن خزيمة فحمل خازم على ابن هبيرة فانهزم هو ومن معه وغص الباب بالناس ورمى اصحابه بالعمادات ورجع أهل الشام فكر عليهم الحسن واضطرهم الى دجلة فغرق منهم ناس كثير فتلقوهم بالسفن وتحاجز وافمكثوا سبعة أيام ثم خرجوا اليهم فاقتتلوا وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة فدخلوا المدينة فمكثوا ما شاء الله لا يقاتلون الا رميا وبلغ ابن هبيرة وهو في الحصار ان أبا أمية التغلبي قد سود فاخذه وحبسه فتكلم ناس من ربيعة في ذلك ومعن بن زائدة الشيباني وأخذوا ثلاثة نفر من فزارة رهط ابن هبيرة فحبسوهم وشتموا ابن هبيرة وقالوا لا نترك ما في أيدينا حتى يترك ابن هبيرة صاحبنا وأبى ابن هبيرة ان يطلقه فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجلي فيمن معهما فقيل لابن هبيرة هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم وان تماديت في ذلك كانوا أشد عليك ممن حصرك فدعا أبا أمية فكساه وخلى سبيله فاصطلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان الى الحسن فأوفد الحسن وفدا الى السفاح بقدوم أبي نصر عليه وجعل على الوفد غيلان بن عبد الله

فحاك الله الى النار ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف فلما اراد علي الانصراف بكى أبو ذر وقال رحمكم الله أهل البيت اذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا مروان الى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان يا معشر المسلمين من يعذرني من علي رد رسولي عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقه فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشيعك أبا ذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمري قال اما مروان فانه استقبلني يردني فرددته عن ردي وأما أمرك فلم أرده قال عثمان أولم يبلغك أني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه فقال علي أوكل ما أمرتنا به من شئ يرى طاعة لله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده

الخزاعي وكان غيلان واجدا على الحسن لانه سرحه الى روح بن حاتم مددا له فلما قدم على السفاح وقال أشهد أنك أمير المؤمنين وانك حبل الله المتين وانك امام المتقين قال حاجتك يا غيلان قال أستغفرك قال غفر الله لك قال غيلان يا أمير المؤمنين من علينا برجل من بيتك قال أوليس عليكم رجل من أهل بيتي الحسن بن قحطبة قال يا أمير المؤمنين من علينا برجل من أهل بيتك ننظر الى وجهه وتقر عيننا به فبعث أخاه أبا جعفر لقتال ابن هبيرة عند رجوعه من خراسان وكتب الى الحسن ان العسكر عسكرك والقواد قوادك ولكن أحببت ان يكون أخي حاضرا فاسمع له وأطع وأحسن موازرته وكتب الى مالك بن الهيثم بمثل ذلك وكان الحسن هو المدبر لامر ذلك العسكر فلما قدم أبو جعفر المنصور على الحسن تحول الحسن عن خيمته وأنزله فيها وجعل الحسن على حرس المنصور عثمان بن نهيك وقاتلهم مالك بن الهيثم يوما فانهزم أهل الشام الى خنادقهم وقد كمن لهم معن وأبو يحيى الجذامي فلما جازهم أصحاب مالك خرجوا عليهم فقاتلهم حتى جاء الليل وابن هبيرة على برج الخلالين فاقتتلوا ما شاء الله من الليل وسرح ابن هبيرة الى معن يأمره بالانصراف فانصرف فمكثوا أياما وخرج أهل واسط أيضا مع معن ومحمد بن نباتة فقاتلهم أصحاب الحسن فهزموهم الى دجلة حتى تساقطوا فيها ورجعوا وقد قتل ولد لمالك بن الهيثم فلما رآه أبوه قتيلا قال لعن الله الحياة بعدك ثم حملوا على أهل واسط فقاتلوهم حتى أدخلوهم المدينة وكان مالك يملأ السفن حطبا ثم يضرمها نارا ليحرق ما مرت به فكان ابن هبيرة يجر تلك السفن بكلاليب فمكثوا كذلك احد عشر شهرا فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح ولم يطلبوا حتى جاءهم خبر قتل مروان أتاهم به اسمعيل بن عبد الله القسري وقال لهم علام تقتلون أنفسكم وقد قتل مروان وتجنى أصحاب ابن هبيرة عليه فقالت اليمانية لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره وقالت النزارية لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانية وكان يقاتل معه صعاليك الناس وفتيانهم وهم ابن هبيرة بان يدعو الى محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي فكتب اليه فأبطأ جوابه وكاتب السفاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة واطمعهم فخرج اليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحارثيان ووعدا ودعا ابن هبيرة ان يصلحاله ناحية ابي العباس فلم يفعلا وجرت السفراء بين أبي جعفر وابن هبيرة حتى جعل له أمانا وكتب به كتابا مكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضيه فانفذه الى أبي جعفر فانفذه أبو جعفر الى أخيه السفاح فامره بامضائه وكان رأى أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه وكان السفاح لا يقطع أمرا دون أبي مسلم وكان أبو الجهم عينا لابي مسلم على السفاح فكتب السفاح الى أبي مسلم يخبره أمر ابن هبيرة فكتب أبو مسلم اليه ان الطريق السهل اذا ألقيت فيه الحجارة فسد لا والله لا صلح طريق فيه ابن هبيرة ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة الى أبي جعفر في ألف وثلثمائة واراد ان يدخل على دابته فقام اليه الحاجب سلام بن سليم فقال مرحبا أبا خالد انزل راشدا وقد أطاف بحجرة المنصور عشرة آلاف من أهل خراسان فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها وأدخل القواد ثم اذن لابن هبيرة وحده فدخل وحادثه ساعة ثم قام ثم مكث يأتيه يوما ويتركه يوما فكان يأتيه في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فقيل لابي جعفر ان ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شئ فأمره أبو جعفر ان لا يأتي الا في حاشيته فكان يأتي في ثلاثين ثم صار يأتي في ثلاثة او اربعة وكلم ابن هبيرة المنصور يوما فقال له ابن هبيرة يا هناه أو يا أيها المرء ثم رجع فقال ايها الامير ان عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به لقريب فسبقني لساني الى ما لم ارده فالح السفاح على ابي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة وهو يراجعه

قال ضربت بين أذني راحلته قال علي أما راحلتي فهي تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما أنا فوالله لئن شتمني لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه فغضب علي بن أبي طالب وقال ألي تقول هذا القول وبمروان تعدلني فأنا والله افضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع اليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا وقال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له علي والله ما أردت تشييع أبي ذر الا لله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان

حتى كتب اليه والله لتقتلنه او لارسلن اليه من يخرجه من حجرتك ثم أتولى قتله فعزم على قتله فبعث خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة بن ظهير وامرهما بختم بيوت الاموال ثم بعث الى وجوه من مع ابن هبيرة من القيسية والمضرية فاحضرهم فأقبل محمد بن نباتة وحوثرة بن سهيل فى اثنين وعشرين رجلا فخرج سلام بن سليم فقال اين ابن نباتة وحوثرة فدخلا وقد اجلس أبو جعفر عثمان بن نهيك وغيره فى مائة فى حجرة دون حجرته فنزعت سيوفهما وكتفا واستدعى رجلين رجلين يفعل بهما مثل ذلك فقال بعضهم اعطيتمونا عهد الله ثم غدرتم بنا انا لنرجو ان يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرط فى لحية نفسه وقال كانى كنت انظر الى هذا وانطلق خازم والهيثم بن شعبة فى نحو من مائة الى ابن هبيرة فقالوا نريد حمل المال فقال لحاجبه دلهم على الخزائن فأقاموا عند كل بيت نفرا واقبلوا نحوه وعنده ابنه داود وعدة من مواليه وبنى له صغير فى حجره فلما أقبلوا نحوه قام حاجبه فى وجوههم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود وأقبل هو اليه ونحى ابنه من حجره فقال دونكم هذا الصبى وخر ساجدا فقتل وحملت رؤسهم الى ابى جعفر ونادى بالامان للناس الا الحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومى وعمر بن ذر فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذر فأمنه وهرب الحكم وأمن ابو جعفر خالدا فقتله السفاح ولم يجز أمان ابى جعفر فقال ابو العطاء السندى يرثى ابن هبيرة

ألا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها لجمود
عشية قام النائحات وصفقت * اكف بأيدى مأتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما * اقام به بعد الوفود وفود
فانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

﴿ذكر قتل عمال ابى سلمة بفارس﴾

وفى هذه السنة وجه أبو مسلم الخراسانى محمد بن الاشعث على فارس وامره ان يقتل عمال ابى سلمة ففعل ذلك فوجه السفاح عمه عيسى بن على الى فارس وعليها محمد بن الاشعث فاراد محمد قتل عيسى فقيل له ان هذا لا يسوغ لك فقال بلى أمرنى أبو مسلم ان لا يقدم احد على يدعى الولاية من غيره الا ضربت عنقه ثم ترك عيسى خوفا من عاقبة قتله واستحلف عيسى بالايمان المحرجة ان لا يعلو منبرا ولا يتقلد سيفا الا فى جهاد فلم يتول عيسى بعد ذلك ولاية ولم يتقلد سيفا الا فى غزو ثم وجه السفاح بعد ذلك اسمعيل بن على واليا على فارس

﴿ذكر ولاية يحيى بن محمد الموصل وما قيل فيها﴾

وفى هذه السنة استعمل السفاح اخاه يحيى بن محمد على الموصل عوض محمد بن صول وكان سبب ذلك ان اهل الموصل امتنعوا من طاعة محمد بن صول وقالوا يلى علينا مولى الخثعم واخرجوه عنهم فكتب الى السفاح بذلك واستعمل عليهم اخاه يحيى بن محمد وسيره اليها فى اثنى عشر الف رجل فنزل قصر الامارة بجانب مسجد الجامع ولم يظهر لاهل الموصل شيأ ينكرونه ولم يعترض لهم فيما يفعلونه ثم دعاهم فقتل منهم اثنى عشر رجلا فنفر اهل البلد وحملوا السلاح فاعطاهم الامان وامر فنودى من دخل الجامع فهو آمن فأتاه الناس يهرعون اليه فاقام يحيى الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلا ذريعا اسرفوا فيه فقيل انه قتل فيه احد عشر الفا ممن له خاتم وممن ليس له خاتم خلقا كثيرا فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فسأل عن ذلك الصوت فأخبر به فقال اذا كان الغد فاقتلوا النساء والصبيان ففعلوا ذلك وقتل منهم ثلاثة

أفيكم أحد من غيركم وقد كان عمى قالوا لا قال يابنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهره عثمان وساءه ما قال ونمى هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام فقام عمار فى المسجد فقال يامعشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن ان ينزعه الله فيضعه فى غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى غير أهله وقام المقداد فقال ما رأيت مثل ما أوذى به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو فقال انى والله لاحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن أعجب من قريش وأنت تطولهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم اما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله صلى الله عليه

أيام وكان فى عسكره قائد معه أربعة آلاف زنجى فأخذوا النساء قهرا فلما فرغ يحيى من قتل أهل الموصل فى اليوم الثالث ركب اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته فأراد أصحابه قتلها فنهاهم عن ذلك فقالت له ألست من بنى هاشم ألست ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تأنف للعربيات المسلمات ان ينكحهن الزنج فامسك عن جوابها وسير معها من يبلغها مأمنها وقد عمل كلامها فيه فلما كان الغد جمع الزنج للعطاء فاجتمعوا فامر بهم فقتلوا عن آخرهم وقيل كان السبب فى قتل أهل الموصل ما ظهر منهم من محبة بنى أمية وكراهة بنى العباس وان امرأة غسلت رأسها وألقت الخطمى من السطح فوقع على رأس بعض الخراسانية فظنها فعلت ذلك تعمدا فهجم الدار وقتل أهلها فثار أهل البلد وقتلوه وثارت الفتنة وفيمن قتل معروف بن أبى معروف وكان زاهدا عابدا وقد أدرك كثيرا من الصحابة وروى عنهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها وجه السفاح أخاه المنصور واليا على الجزيرة واذربيجان وارمينية وفيها عزل عمه داود بن على عن الكوفة وسوادها وولاه المدينة ومكة واليمن واليمامة وولى موضعه من عمل الكوفة ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد فاستقضى عيسى على الكوفة ابن أبى ليلى وكان العامل على البصرة هذه السنة سفيان بن عيينة المهلبى وعلى قضائها الحجاج بن ارطاة وعلى السند منصور بن جمهور وعلى فارس محمد بن الاشعث وعلى الجزيرة وارمينية واذربيجان أبو جعفر بن محمد بن على وعلى الموصل يحيى بن محمد بن على وعلى الشام عبد الله بن على وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد وعلى خراسان والجبال أبو مسلم وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وحج بالناس هذه السنة داود بن على وفيها مات عبد الله بن أبى نجيح واسحق بن عبد الله بن أبى طلحة الانصارى وفيها قتل يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك مع مروان بن محمد بالزاب ويحيى أخو عبد الرحمن الداخل الى الاندلس وفيها قتل يونس بن مغيرة بن حلبس بدمشق لما دخلها عبد الله بن على وكان عمره عشرين ومائة سنة قتله رجلان من خراسان ولم يعرفاه فلما عرفاه بكيا عليه وقيل بل عضته دابة من دوابه فقتلته وكان ضريرا وفيها مات صفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن وفيها توفى محمد بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم بالمدينة وكان قاضيها وفيها مات همام بن منبه وعبد الله بن عوف وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الانصارى وخبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يسار الانصارى وهو خال عبيد الله بن عمر العمرى (خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة) وعمارة بن أبى حفصة واسم أبى حفصة ثابت مولى العتيك بن الازد وهو والد حرمى كنيته أبو روح (حرمى بفتح الحاء والراء المهملتين) وفيها توفى عبد الله بن طاوس بن كيسان الهمدانى من عباد أهل اليمن وفقهائهم

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر ملك الروم ملطية﴾

فى هذه السنة أقبل قسطنطين ملك الروم الى ملطية وكمخ فنازل كمخ فأرسل أهلها الى أهل ملطية يستنجدونهم فسار اليهم منها ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون ونازل الروم ملطية وحصروها والجزيرة يومئذ مفتونة بما ذكرناه وعاملها موسى بن كعب بحران فارسل قسطنطين الى أهل ملطية انى لم أحصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكم الامان وتعودون الى بلاد المسلمين حتى اخرب ملطية فلم يجيبوه الى ذلك فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد على الامان

وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار الشورى والدار (ولما كان) سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة ومن أهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعى وسودان بن حمران السكونى ومنهم محمد بن أبى بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لامر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا فى الموضع المعروف بذى خشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى على بن أبى طالب فأحضره وسأله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار على اليهم فكان بينهم خطب طويل فأجابوه الى ما أراد وانصرفوا فلما صاروا الى الموضع المعروف بحمس

وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ما أمكنهم حمله ومالم يقدروا على حمله ألقوه فى الآبار والمجارى فلما ساروا عنها أخربها الروم ورحلوا عنها عائدين وتفرق أهلها فى بلاد الجزيرة وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الحصى وأرسل كوشان الارمنى فحصرها فنقب اخوان من الارمن من أهل المدينة ردما كان فى سورها فدخل كوشان ومن معه المدينة وغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق الغنائم الى ملك الروم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وجه السفاح عمه سليمان واليا على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ومهرجانقذق واستعمل عمه اسمعيل بن على على الاهواز وفيها قتل داود بن على من ظفر به من بنى أمية بمكة والمدينة ولما أراد قتلهم قال له عبد الله بن الحسن بن الحسن يا أخى اذا قتلت هؤلاء فمن تباهى بملكه أما يكفيك ان يروك غاديا ورائحا فيما يذلهم ويسوءهم فلم يقبل منه وقتلهم وفيها مات داود بن على بالمدينة فى شهر ربيع الاول واستخلف حين حضرته الوفاة ابنه موسى ولما بلغت السفاح وفاته استعمل على مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى ووجه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد المدان على اليمن فلما قدم زياد المدينة وجه ابراهيم ابن حسان السلمى وهو أبو حماد الابرص بن المثنى الى يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة فقتله وقتل أصحابه وفيها توجه محمد بن الاشعث الى افريقية فقاتل أهلها قتالا شديدا حتى فتحها وفيها خرج شريك بن شيخ المهرى ببخارا على أبى مسلم ونقم عليه وقال ما على هذا اتبعنا آل محمد ان نسفك الدماء وان يعمل بغير الحق وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا فوجه اليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعى فقاتله وقتله زياد وفيها توجه أبو داود خالد بن ابراهيم الى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه حبيش بن الشبل ملكها بل تحصن منه هو واناس من الدهاقين فلما ألح عليه أبو داود خرج من الحصن هو ومن معه من دهاقينه وشاكريته حتى انتهوا الى أرض فرغانة ثم دخلوا بلد الترك وانتهوا الى ملك الصين وأخذ أبو داود من ظفر به منهم فبعث بهم الى أبى مسلم وفيها قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بالموصل قتله سليمان الذى يقال له الاسود بامان كتبه له وفيها وجه صالح ابن على سعيد بن عبد الله ليغزو الصائفة وراء الدروب وفيها عزل يحيى بن محمد عن الموصل واستعمل مكانه اسمعيل بن على وانما عزل يحيى لقتله أهل الموصل وسوء أثره فيهم وحج بالناس هذه السنة زياد بن عبيد الله الحرثى وكان العمال من ذكرنا الا الحجاز واليمن والموصل فقد ذكرنا من استعمل عليها وفيها تخالف اخشيد فرغانة وملك الشاش فاستمد اخشيد ملك الصين فامده بمائة ألف مقاتل فحصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين فلم يتعرض له ولا لاصحابه بما يسوءهم وبلغ الخبر أبا مسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين ألفا وأسروا نحو عشرين ألفا وهرب الباقون الى الصين وكانت الوقعة فى ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين وفيها توفى مروان بن أبى سعيد وابن المعلى الزرقى الانصارى وعلى بن بذيمة مولى جابر بن سمرة السوائى (بذيمة بفتح الباء الموحدة وكسر الذال المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر خلع بسام بن ابراهيم﴾

وفى هذه السنة خلع بسام بن ابراهيم بن بسام وكان من أهل خراسان وسار من عسكر السفاح هو وجماعة على رأيه سرا الى المدائن فوجه اليهم السفاح خازم بن خزيمة فاقتتلوا فانهزم بسام

اذاهم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة فتأملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فأقر وأظهر كتابا الى ابن أبى سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا وأحصى أكثر من فى الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه فى داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال ألا أحد يسقينا وقال بم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس والله ما فعلت ذلك فى جاهلية أو اسلام فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه بثلاث قرب ماء فما وصل اليه ذلك حتى جرح جماعة من موالى بنى هاشم وبنى أمية وارتفع الصوت وكثر الضجيج وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فأبى أن يخلى عنه وفى

وأصحابه وقتل أكثرهم وقتل كل من لحقه منهزما ثم انصرف فمر بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بنى عبد المدان وهم خمسة وثلاثون رجلا ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ومن مواليهم سبعة عشر فلم يسلم عليهم فلما جازهم شتموه وكان فى قلبه عليهم لما بلغه من حال المغيرة من الفزع وانه لجأ اليهم وكان من أصحاب بسام فرجع اليهم وسألهم عن المغيرة فقالوا مر بنا رجل مجتاز لا نعرفه فاقام فى قرية تنا ليلة ثم خرج عنا فقال لهم أنتم أخوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوه ويأمن فى قريتكم فهلا اجتمعتم فاخذتموه فاغلظوا له فى الجواب فامر بهم فضربت أعناقهم جميعا وهدم دورهم ونهب أموالهم ثم انصرف فبلغ ذلك اليمانية فاجتمعوا ودخل زياد بن عبيد الله الحارثى معهم على السفاح فقالوا ان خازما اجترأ عليك واستخف بحقك وقتل اخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزين بك طالبين معروفك حتى صاروا فى جوارك قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه فهم بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح وقالا يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من هؤلاء وانك هممت بقتل خازم وانا نعيذك بالله من ذلك فان له طاعة وسابقة وهو يحتمل له ما صنع فان شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الاقارب والاولاد وقتلوا من خالفكم وأنت أحق من تعمد اساءة مسيئهم فان كنت لا بد مجمعا على قتله فلا تتول ذلك بنفسك وابعثه لامر ان قتل فيه كنت قد بلغت الذى تريد وان ظفر كان ظفره لك وأشاروا عليه بتوجيهه الى من بعمان من الخوارج والى الخوارج الذين بجزيرة بركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرى فامر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل وكتب الى سليمان بن على وهو على البصرة بحملهم الى جزيرة بركاوان وعمان فسار خازم

﴿ذكر أمر الخوارج وقتل شيبان بن عبد العزيز﴾

فلما سار خازم الى البصرة فى الجند الذين معه وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الروذ من يثق به فلما وصل البصرة حملهم سليمان فى السفن وانضم اليه بالبصرة أيضا عدة من بنى تميم فساروا فى البحر حتى أرسوا بجزيرة بركاوان فوجه خازم فضلة بن نعيم النهشلى فى خمسمائة الى شيبان فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فركب شيبان وأصحابه السفن وساروا الى عمان وهم صفرية فلما صاروا الى عمان قاتلهم الجلندى وأصحابه وهم اباضية واشتد القتال منهم فقتل شيبان ومن معه وقد تقدم سنة تسع وعشرين ومائة قتل شيبان على هذا السياق ثم سار خازم فى البحر بمن معه حتى أرسوا الى ساحل عمان فخرجوا الى الصحراء فلقيهم الجلندى وأصحابه واقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل يومئذ فى أصحاب خازم وقتل منهم أخ له من أمه فى تسعين رجلا ثم اقتتلوا من الغد قتالا شديدا فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة وأحرق منهم نحو من تسعين رجلا ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم على رأى أشار به بعض أصحاب خازم أشار عليه ان يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ويروّوها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ثم يمشوا بها حتى يضرموها فى بيوت أصحاب الجلندى وكانت من خشب فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم فحمل عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم وقتلوا الجلندى فيمن قتل وبلغ عدة القتلى عشرة آلاف وبعث برؤسهم الى البصرة فارسلها سليمان الى السفاح وأقام خازم بعد ذلك أشهرا حتى استقدمه السفاح فقدم

﴿ذكر غزوة كش﴾

وفى هذه السنة غزا أبو داود خالد بن ابراهيم أهل كش فقتل الاخريد ملكها وهو سامع مطيع

الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من احلافها وهذيل لانه كان منها وبنو مخزوم واحلافها لعمار وغفار وأحلافها لاجل أبى ذر وتيم بن مرة مع محمد بن أبى بكر وغير هؤلاء مما لا يحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم فى القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها وكان ممن وصل اليه محمد بن أبى بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال فاخذ محمد بن أبى بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجلان

وقتل أصحابه وأخذ منهم من الاواني الصينية المنقوشة المذهبة مالم ير مثلها ومن السروج ومتاع الصين كله من الديباج والطرف شيأ كثيرا فحمله الى أبي مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقينهم واستحيا طاران أخا الاخريد وملكه على كش وانصرف أبو مسلم الى مرو بعد ان قتل في أهل الصغد وبخارا وأمر ببناء سور سمرقند واستخلف زياد بن صالح عليها وعلى بخارا ورجع أبو داود الى بلخ

﴿ذكر حال منصور بن جمهور﴾

وفي هذه السنة وجه السفاح موسى بن كعب الى السند لقتال منصور بن جمهور فسار واستخلف مكانه على شرط السفاح المسيب بن زهير وقدم موسى السند فلقي منصورا في اثنى عشر ألفا فانهزم منصور ومن معه ومضى فمات عطشا في الرمال وقد قيل أصابه بطنه فمات وسمع خليفته على السند بهزيمته فرحل بعيال منصور وثقله فدخل بهم بلاد الخزر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها توفي محمد بن يزيد بن عبيد الله وهو على اليمن فاستعمل السفاح مكانه على بن الربيع بن عبيد الله وفيها تحول السفاح من الحيرة الى الانبار في ذي الحجة وفيها ضرب المنار من الكوفة الى مكة والاميال وحج بالناس هذه السنة عيسى بن موسى وهو على الكوفة وكان على قضاء الكوفة ابن أبي ليلى وعلى المدينة ومكة والطائف واليمامة زياد بن عبد الله وعلى اليمن على بن الربيع الحرثي وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة وعمان سليمان بن على وعلى قضائها عباد بن منصور وعلى السند موسى بن كعب وعلى خراسان والجبال أبو مسلم وعلى فلسطين صالح بن على وعلى مصر أبو عون وعلى الموصل اسمعيل بن على وعلى أرمينية يزيد بن أسيد وعلى أذربيجان محمد بن صول وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور وكان عامله على اذربيجان وأرمينية من ذكرنا وعلى الشام عبد الله بن على وفيها توفي محمد بن اسمعيل بن سعد بن أبي وقاص وسعد بن عمر بن سليم الزرقي

﴿ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر خروج زياد بن صالح﴾

وفي هذه السنة خرج زياد بن صالح وراء النهر فسار أبو مسلم من مرو مستعدا للقائه وبعث أبو داود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد الى ترمذ مخافة ان يبعث زياد بن صالح الى الحصن والسفن فيأخذها ففعل ذلك نصر وأقام بها فخرج عليه ناس من الطالقان مع رجل يكنى أبا اسحق فقتلوا نصرا فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبع قتلة نصر فتتبعهم فقتلهم ومضى أبو مسلم مسرعا حتى انتهى الى آمل ومعه سباع بن النعمان الازدي وهو الذي كان قد أرسله السفاح الى زياد بن صالح وأمره ان رأى فرصة ان يثب على أبي مسلم فيقتله فاخبر أبو مسلم بذلك فحبس سباعا بآمل وعبر أبو مسلم الى بخارا فلما نزلها أتاه عدة من قواد زياد قد خلعوا زيادا فاخبروا أبا مسلم ان سباع ابن النعمان هو الذي أفسد زيادا فكتب الى عامله بآمل ان يقتله ولما أسلم زيادا قواده ولحقوا بأبي مسلم لجأ الى دهقان هناك فقتله وحمل رأسه الى أبي مسلم وتأخر أبو داود عن أبي مسلم لحال أهل الطالقان فكتب اليه أبو مسلم يخبره بقتل زياد فاتى كش وأرسل عيسى بن ماهان الى بسام وبعث جندا الى ساعر فطلبوا الصلح فاجيبوا الى ذلك وأما بسام فلم يصل عيسى الى شئ منه وكتب عيسى الى كامل بن مظفر صاحب أبي مسلم يعتب أبا داود وينسبه الى العصبية فبعث أبو مسلم

فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية فوجدوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه فبكوا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين والانصار فاسترجع القوم ودخل على الدار وهو كالواله الحزين فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله ابن الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان ماقتل وهرب مروان وغيره من بني أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبي بكر فلم ينكر ماقالت وقال والله لقد دخلت عليه وانا أريد قتله فلما خاطبني بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عني والله ما كان لي في قتله سبب ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله وكان مدة

بالكتب الى أبي داود وكتب اليه ان هذه كتب العلج الذي صيرته عدل نفسك فشأنك به فكتب أبو داود الى عيسى يستدعيه فلما حضر عنده حبسه وضربه ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه ورجع أبو مسلم الى مرو

﴿ذكر غزو جزيرة صقلية﴾

وفي هذه السنة غزا عبد الله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبى وظفر بها مالم يظفره أحد قبله بعد ان غزا تلمسان واشتغل ولاة افريقية بالفتنة مع البربر فأمن أهل صقلية وعمرها الروم من جميع الجهات وعمروا فيها الحصون والمعاقل وصاروا يخرجون كل عام مراكب تطوف بالجزيرة وتذب عنها وربما طارقوا تجارا من المسلمين فيأخذونهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة سليمان بن على وهو على البصرة واعمالها وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو حازم الاعرج وقيل سنة أربعين وقيل سنة أربع وأربعين وفيها مات عطاء بن عبد الله مولى المطلب وقيل مولى المهلب وقيل هو عطاء بن ميسرة ويكنى أبا عثمان الخراساني وقيل سنة أربع وثلاثين وفيها مات يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بفارس وكان أميرا عليها وكان قبل ذلك أميرا على الموصل وفيها توفي ثور بن زيد الدؤلي وكان ثقة وزياد بن أبي زياد مولى عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وكان من الابطال (عياش بالياء المثناة من تحت وبالشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر حج أبي جعفر وأبي مسلم﴾

وفي هذه السنة كتب أبو مسلم الى السفاح يستأذنه في القدوم عليه والحج وكان مذ ملك خراسان لم يفارقها الى هذه السنة فكتب اليه السفاح يأمره بالقدوم عليه في خمسمائة من الجند فكتب أبو مسلم اليه اني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي فكتب اليه أن أقبل في ألف فانما أنت في سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لا يحتمل العسكر فسار في ثمانية آلاف فرقهم فيما بين نيسابور والري وقدم بالاموال والخزائن فخلفها بالري وجمع أيضا أموال الجبل وقدم في ألف فأمر السفاح القواد وسائر الناس أن يتلقوه فدخل أبو مسلم على السفاح فاكرمه وأعظمه ثم استأذن السفاح في الحج فأذن له وقال لولا ان أبا جعفر يعني أخاه المنصور يريد الحج لاستعملتك على الموسم وأنزله قريبا منه وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعدا لان السفاح كان بعث أبا جعفر الى خراسان بعد ما صفت الامور له ومعه عهد أبي مسلم بخراسان وبالبيعة للسفاح وأبي جعفر المنصور من بعده فبايع لهما أبو مسلم وأهل خراسان وكان أبو مسلم قد استخف بأبي جعفر فلما رجع أخبر السفاح ما كان من أمر أبي مسلم فلما قدم أبو مسلم هذه المرة قال أبو جعفر للسفاح أطعني واقتل أبا مسلم فوالله ان في رأسه لغدرة فقال قد عرفت بلاءه وما كان منه فقال أبو جعفر انما كان بدولتنا والله لو بعثت سنورا لقام مقامه وبلغ ما بلغ فقال كيف مقتله قال اذا دخل عليك وحادثته ضربته انا من خلفه ضربة قتلته بها قال فكيف بأصحابه قال أبو جعفر لو قتل لتفرقوا وذلوا فأمره بقتله وخرج أبو جعفر ثم ندم السفاح على ذلك فأمر أبا جعفر بالكف عنه وكان أبو جعفر قبل ذلك بحران وسار منها الى الانبار وبها السفاح واستخلف على حران مقاتل ابن حكيم العكي وحج أبو جعفر وأبو مسلم وكان أبو جعفر على الموسم وفيها مات زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب

ماحوصر عثمان في داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبي ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان بن حمران المرادي ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله (وقد قيل) ان عمرو بن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمي التميمي وخضخض بسيفه بطنه (ودفن) على ماوصفنا في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ويعرف أيضا بحل وصلى عليه جبير ابن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه يصلي بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم على وقيل ان عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفي مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي

﴿ذكر موت السفاح﴾

في هذه السنة مات السفاح بالانبار لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة وقيل لاثنتي عشرة مضت منه بالجدري وكان له يوم مات ثلاث وثلاثون سنة وقيل ست وثلاثون وقيل ثمان وعشرون سنة وكانت ولايته من لدن قتل مروان الى أن توفي أربع سنين ومن لدن بويع له بالخلافة الى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر وقيل وتسعة أشهر منها ثمانية أشهر يقاتل مروان وكان جعدا طويلا أبيض أقنى الانف حسن الوجه واللحية وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي وكان وزيره ابا الجهم بن عطية وصلى عليه عمه عيسى بن علي ودفنه بالانبار العتيقة وخلف تسع جباب وأربعة أقمصة وخمسة سراويلات وأربعة طيالسة وثلاثة مطارف خز قال ابن النفاح بيتين من الشعر ووجه برجل الى عسكر مروان ليقدم على الخيل ليلا فصيح فيها وشمس في الناس ولا يوجدوهما

يا آل مروان ان الله مهلككم * ومبدل بكم خوفا وتشريدا
لا عمر الله من انشائكم أحدا * وبثكم في بلاد الخوف تطريدا

قال ففعلت ذلك فدخلت قلوبهم مخافة قال جعفر بن يحيى نظر السفاح يوما في المرآة وكان أجمل الناس وجها فقال اللهم اني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك أنا الملك الشاب ولكني أقول اللهم عمرني طويلا في طاعتك ممتعا بالعافية فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر الاجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام فتطير من كلامه وقال حسبي الله ولا قوة الا بالله عليك توكلت وبك أستعين فما مضت الايام حتى أخذته الحمى واتصل مرضه فمات بعد شهرين وخمسة أيام

﴿ذكر خلافة المنصور﴾

وفي هذه السنة عقد السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لاخيه أبي جعفر عبد الله ابن محمد بالخلافة من بعده وجعله ولي عهد المسلمين ومن بعد أبي جعفر ولد أخيه عيسى بن موسى ابن محمد بن علي وجعل العهد في ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه الى عيسى بن موسى فلما توفي السفاح كان أبو جعفر بمكة فأخذ البيعة لابي جعفر عيسى بن موسى وكتب اليه يعلمه وفاة السفاح والبيعة له فلقيه الرسول بمنزل صفية فقال صفت لنا ان شاء الله وكتب الى أبي مسلم يستدعيه وكان أبو جعفر قد تقدم فاقبل أبو مسلم اليه فلما جلس وألقى اليه كتابه قرأه وبكى واسترجع ونظر الى أبي جعفر وقد جزع جزعا شديدا فقال ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة فقال أتخوف شر عمي عبد الله بن علي وشيعته علي قال لا تخفه فأنا أكفيكه ان شاء الله انما عامة جنده ومن معه أهل خراسان وهم لا يعصونني فسرى عنه وبايع له أبو مسلم والناس وأقبلا حتى قدما الكوفة وقيل ان أبا مسلم هو الذي كان تقدم على أبي جعفر وعرف الخبر قبله فكتب اليه عافاك الله ومتع بك انه أتاني أمر قطعني وبلغ مني مبلغا لم يبلغه مني شيء قط وفاة أمير المؤمنين فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك انه ليس من أهلك أحد أشد تعظيما لحقك وأصفى نصيحة وحرصا على ما يسرك مني ثم مكث يومين وكتب الى أبي جعفر ببيعته وانما أراد ترهيب أبي جعفر قال ورد أبو جعفر زياد بن عبيد الله الى مكة وكان عاملا عليها وعلى المدينة للسفاح وقيل كان قد عزله قبل موته عن مكة وولاها العباس بن عبد الله بن سعيد بن العباس ولما بايع عيسى بن موسى الناس لابي جعفر أرسل الى عبد الله بن علي بالشام يخبره بوفاة السفاح وبيعة المنصور ويأمره بأخذ البيعة للمنصور وكان قد قدم قبل ذلك على السفاح فجعله على الصائفة وسير معه أهل الشام وخراسان

وقد غيبوا أعنا فضول أبي عمرو
وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات
خذلته الانصار اذ حضر الموت وكانت ولاته الانصار
من عذيري من الزبير ومن طلحة اذ جاء أمر له مقدار
فتولى محمد بن أبي بكر عيانا وخلفه عمار
في شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالئ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان حسان عثمانيا منحرفا عن غيره وكان عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار في قوله في شعره
يا ليت شعري وليت الطير يخبرني
ما كان شأن علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم
الله أكبر يا ثارات عثمانا
وكان عثمان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها ما لا يعرف لغيرها منه وهي
تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الاثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار
وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لامه فسمع في الليلة الثانية من

فسار حتى بلغ دلوك ولم يدرك فأتاه موت السفاح فعاد بمن معه من الجيوش وقد بايع لنفسه

﴿ذكر الفتنة بالاندلس﴾

وفي هذه السنة خرج في الاندلس الحباب بن رواحة بن عبد الله الزهري ودعا الى نفسه واجتمع اليه جمع من اليمانية فسار الى الصميل وهو أمير قرطبة فحصره بها وضيق عليه فاستمد الصميل يوسف الفهري أمير الاندلس فلم يفعل لتوالي الغلاء والجوع على الاندلس ولان يوسف قد كره الصميل واختار هلاكه ليستريح منه وثار بها أيضا عامر العبدري وجمع جمعا واجتمع مع الحباب على الصميل وقاما بدعوة بني العباس فلما اشتد الحصار على الصميل كتب الى قومه ليستمدهم فسارعوا الى نصرته واجتمعوا وساروا اليه فلما سمع الحباب بقربهم سار الصميل عن سرقسطة وفارقها فعاد الحباب اليها وملكها واستعمل يوسف الفهري الصميل على طليطلة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان على الكوفة عيسى بن موسى وعلى الشام عبد الله بن علي وعلى مصر صالح بن علي وعلى البصرة سليمان بن علي وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحرثي وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد وفيها مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن وهو ربيعة الرأي وقيل مات سنة خمس وثلاثين ومائة وقيل سنة اثنتين وأربعين ومائة وفيها مات عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفيها توفي عبد الملك ابن عمير بن سويد اللخمي القرشي وانما قيل له القرشي بالقاف (٢) وعطاء بن السائب أبو زيد الثقفي وعروة بن رويم وفي هذه السنة قدم أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين من مكة فدخل الكوفة فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم وسار الى الانبار فأقام بها وجمع اليه أطرافه وكان عيسى بن موسى قد أحرز بيوت الاموال والخزائن والدواوين على قدم أبي جعفر فسلم الامر اليه

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر خروج عبد الله بن علي وهزيمته﴾

قد ذكرنا مسير عبد الله بن علي الى الصائفة في الجنود وموت السفاح وارسال عيسى بن موسى الى عمه عبد الله بن علي يخبره بموته ويأمره بالبيعة لابي جعفر المنصور وكان السفاح قد أمر بذلك قبل وفاته فلما قدم الرسول على عبد الله بذلك لحقه بدلوك وهي بأفواه الدروب فأمر مناديا فنادى الصلاة جامعة فاجتمعوا عليه فقرأ عليهم الكتاب بوفاة السفاح ودعا الناس الى نفسه وأعلمهم ان السفاح حين أراد ان يوجه الجنود الى مروان بن محمد دعا بني أبيه فأرادهم على المسير اليه فقال من انتدب منكم فسار اليه فهو ولي عهدي فلم ينتدب غيري وعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت وشهد له أبو غانم الطائي وخفاف المروروزي وغيرهما من القواد فبايعوه وفيهم حميد ابن قحطبة وغيرهم من أهل خراسان والشام والجزيرة الا ان حميدا فارقه على ما نذكره ثم سار عبد الله حتى نزل حران وبها مقاتل العكي قد استخلفه أبو جعفر لما سار الى مكة فتحصن منه مقاتل فحصره أربعين يوما وكان أبو مسلم قد عاد من الحج مع المنصور كما ذكرناه فقال للمنصور ان شئت جمعت ثيابي في منطقتي وخدمتك وان شئت أتيت خراسان فأمددتك بالجنود وان شئت سرت الى حرب عبد الله بن علي فأمره بالمسير لحرب عبد الله فسار أبو مسلم في الجنود نحو عبد الله فلم يتخلف عنه أحد وكان قد لحقه حميد بن قحطبة فسار معه وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي فلما بلغ عبد الله وهو يحاصر حران اقبال أبي مسلم خشي أن يهجم عليه عطاء العتكي أمانا فنزل اليه فيمن معه وأقام معه أياما ثم وجهه الى عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي بالرقة ومعه ابناه

مقتل عثمان يندبه وهو يقول
بني هاشم ايه فما كان بيننا
وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
وهي أبيات فاجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بني هاشم ونسب اليهم الفضل ابن العباس بن أبي لهب فقال
فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم
أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد
علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من أهل صيفور مارح
فما لك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فما لك في الاسلام سهم تطالبه
(قال المسعودي) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير
وما ... حسان قد أتينا

وكتب معه كتابا فلما قدموا على عثمان دفع العتكي الكتاب اليه فقتل العتكي وحبس ابنيه فلما هزم عبد الله قتلهما وكان عبد الله بن على قد خشى ان لا يناصحه أهل خراسان فقتل منهم نحوا من سبعة عشر ألفا واستعمل حميد بن قحطبة على حلب وكتب معه كتابا الى زفر بن عاصم عاملها يأمره بقتل حميد اذا قدم عليه فسار حميد والكتاب معه فلما كان ببعض الطريق قال ان ذهابى بكتاب لا أعلم ما فيه لغرر ففقرأه فلما رأى ما فيه أعلم خاصته ما فى هذا الكتاب وقال من أراد المسير معى منكم فليسر فاتبعه ناس كثير منهم وسار على الرصافة الى العراق فأمر المنصور محمد بن صول بالمسير الى عبد الله بن على ليمكر به فلما أتاه قال له انى سمعت أبا العباس يقول الخليفة بعدى عمى عبد الله فقال له كذبت انما وضعك أبو جعفر فضرب عنقه ومحمد بن صول هو جد ابراهيم بن العباس الكاتب الصولى ثم أقبل عبد الله بن على حتى نزل نصيبين وخندق عليه وقدم أبو مسلم فيمن معه وكان المنصور قد كتب الى الحسن بن قحطبة وكان خليفته بارمينية يأمره ان يوافى أبا مسلم فقدم على أبى مسلم بالموصل وأقبل أبو مسلم فنزل ناحية نصيبين فاخذ طريق الشام ولم يعرض لعبد الله وكتب اليه انى لم أومر بقتالك ولكن أمير المؤمنين ولانى الشام فأنا أريدها فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام لعبد الله كيف نكون معك وهذا يأتى بلادنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبى ذرارينا ولكن نخرج الى بلادنا فنمنعه ونقاتله فقال لهم عبد الله انه والله ما يريد الشام وما توجه الا لقتالكم وان أقمتم ليأتينكم فأبوا الا المسير الى الشام وأبو مسلم قريب منهم فارتحل عبد الله نحو الشام وتحول أبو مسلم فنزل فى معسكر عبد الله بن على فى موضعه وغور ما حوله من المياه وألقى فيها الجيف وبلغ عبد الله ذلك فقال لاصحابه ألم أقل لكم ورجع فنزل فى موضع عسكر أبى مسلم الذى كان به فاقتتلوا خمسة أشهر وأهل الشام أكثر فرسانا وأكمل عدة وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيلى وعلى ميسرته حبيب بن سويد الاسدى وعلى الخيل عبد الصمد بن على أخو عبد الله وعلى ميمنة أبى مسلم الحسن بن قحطبة وعلى ميسرته خازم بن خزيمة فاقتتلوا أشهرا ثم ان أصحاب عبد الله حملوا على عسكر أبى مسلم فازالوهم عن مواضعهم ورجعوا ثم حمل عليهم عبد الصمد بن على فى خيل مجردة فقتل منهم ثمانية عشر رجلا ورجع فى أصحابه ثم تجمعوا وحملوا ثانية على أصحاب أبى مسلم فأزالوا صفهم وجالوا جولة فقيل لابى مسلم لو حولت دابتك الى هذا التل ليراك الناس فيرجعوا فانهم قد انهزموا فقال ان أهل الحجى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال وأمر مناديا فنادى يا أهل خراسان ارجعوا فان العاقبة لمن اتقى فتراجع الناس وارتجز أبو مسلم يومئذ فقال

من كان ينوى أهله فلا رجع * فر من الموت وفى الموت وقع

وكان قد عمل لابى مسلم عريش فكان يجلس عليه اذا التقى الناس فينظر الى القتال فان رأى خللا فى الجيش سده وأمر مقدم تلك الناحية بالاحتياط وبما يفعل فلا تزال رسله تختلف اليهم حتى ينصرف الناس بعضهم عن بعض فلما كان يوم الثلاثاء والاربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين التقوا فاقتتلوا فمكر بهم أبو مسلم وأمر الحسن بن قحطبة ان يعبى الميمنة أكثرها الى الميسرة وليترك فى الميمنة جماعة أصحابه وأشداءهم فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم وانضموا الى ميمنتهم بازاء ميسرة أبى مسلم وأمر أبو مسلم أهل القلب فحملوا مع من بقى فى ميمنته على ميسرة أهل الشام فحملوا عليهم فحطموهم وجال القلب والميمنة وركبهم أصحاب أبى مسلم فانهزم أصحاب عبد الله فقال عبد الله بن على لابن سراقة الازدى يا ابن سراقة ما ترى قال أرى

على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولى التوفيق

﴿ذكر خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه﴾

بويع على بن أبى طالب فى اليوم الذى قتل فيه عثمان بن عفان رضى الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه وبين معاوية على ما ذكرنا فى خلافته وكان مولده فى الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفى ليلة الاحد وقد قيل فى مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع فى موضع قبره فمنهم من قال انه دفن فى مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل فى تابوت على جمل وان

ان

ان نصبر وتقاتل حتى نموت فان الفرار قبيح بمثلك وقد عبته على مروان قال فانى آتى العراق قال فأنا معك فانهزموا وتركوا عسكرهم فحواه أبو مسلم وكتب بذلك الى المنصور فارسل أبا الخصيب مولاه يحصى ما أصابوا من العسكر فغضب أبو مسلم ومضى عبد الله وعبد الصمد ابنا على فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فامنه المنصور وقيل بل أقام عبد الصمد بن على بالرصافة حتى قدمها جهور بن مرار العجلى فى خيول أرسلها المنصور فأخذه فبعث به الى المنصور موثقا مع أبى الخصيب فأطلقه وأما عبد الله بن على فأتى أخاه سليمان بن على بالبصرة فأقام عنده زمانا متواريا ثم ان أبا مسلم أمن الناس بعد الهزيمة وأمر بالكف عنهم

﴿ذكر قتل أبى مسلم الخراسانى﴾

وفى هذه السنة قتل أبو مسلم الخراسانى قتله المنصور وكان سبب ذلك ان أبا مسلم كتب الى السفاح يستأذنه فى الحج على ما تقدم وكتب السفاح الى المنصور وهو على الجزيرة وارمينية واذربيجان ان أبا مسلم كتب الى يستأذننى فى الحج وقد أذنت له وهو يريد ان يسألنى أن أوليه الموسم فاكتب الى تستأذننى فى الحج فآذن لك فانك ان كنت بمكة لم يطمع ان يتقدمك فكتب المنصور الى أخيه السفاح يستأذنه فى الحج فأذن له فقدم الانبار فقال أبو مسلم أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا وحقدها عليه وحجا معا فكان أبو مسلم يكسو الاعراب ويصلح الآبار والطريق وكان الذكر له وكان الاعراب يقولون هذا المكذوب عليه فلما قدم مكة ورأى أهل اليمن قال أى جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان غزير الدمعة فلما صدر الناس عن الموسم تقدم أبو مسلم فى الطريق على أبى جعفر فأتاه خبر وفاة السفاح فكتب الى أبى جعفر يعزيه عن أخيه ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع فغضب أبو جعفر وكتب اليه كتابا غليظا فلما أتاه الكتاب كتب اليه يهنئه بالخلافة وتقدم أبو مسلم فأتى الانبار فدعا عيسى بن موسى الى ان يبايع له فأبى عيسى وقدم أبو جعفر وخلع عبد الله بن على فسير المنصور أبا مسلم الى قتاله كما تقدم مكانا مع الحسن بن قحطبة فارسل الحسن الى أبى أيوب وزير المنصور انى قد رأيت أبا مسلم انه يأتيه كتاب أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلقى الكتاب من يده الى مالك بن الهيثم فيقرأه ويضحكان استهزاء فلما ألقيت الرسالة الى أبى أيوب ضحك وقال نحن لابى مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن على الا أنا نرجو واحدة نعلم ان أهل خراسان لا يحبون عبد الله وقد قتل منهم من قتل وكان قتل منهم سبعة عشر ألفا فلما انهزم عبد الله وجمع أبو مسلم ما غنم من عسكره بعث أبو جعفر أبا الخصيب الى أبى مسلم ليكتب ما أصاب من الاموال فأراد أبو مسلم قتله فتكلم فيه فخلى سبيله وقال أنا أمين على الدماء خائن فى الاموال وشتم المنصور فرجع أبو الخصيب الى المنصور فأخبره فخاف ان يمضى أبو مسلم الى خراسان فكتب اليه انى قد وليتك مصر والشام فهى خير لك من خراسان فوجه الى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فان أحب لقاءك أتيته من قريب فلما أتاه الكتاب غضب وقال يولينى الشام ومصر وخراسان لى فكتب الرسول الى المنصور بذلك وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعا على الخلاف وخرج عن وجهه يريد خراسان فسار المنصور من الانبار الى المدائن وكتب الى أبى مسلم فى المسير اليه فكتب اليه أبو مسلم وهو بالزاب انه لم يبق لامير المؤمنين أكرمه الله عدو الا أمكنه الله منه وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان ان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء فنحن نافرون عن قربك حريصون على الوفاء لك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد حيث يقارنها السلامة

الجمل تاه ووقع الى وادى طىء وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط (ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ولم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقى من اسمه على غيره والمكتفى بالله على بن المعتضد وكان أول من ولدها شميا من الخلفاء وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس فى اسم أبى طالب أبيه وولد أبى طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلى وفاختة وجمانة لأب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وبين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلى عشر سنين وبين جعفر وعقيل عشر سنين وبين عقيل وطالب عشر سنين

وأخرج مشركو قريش طالب بن أبى طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم

يارب اما خرجوا بطالب
فى مقنب من تلكم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب
والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبى طالب أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عابد بن عمرو ابن مخزوم وخلف عليها ابنا وبنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة

أشاقتك هند أم نآك سؤالها
كذاك النوى أسبابها وانتقالها
وأرقنى فى رأس حصن ممرد
بنجران يسرى بعد نوم خيالها
فان تك قد تابعت دين محمد
وقطعت الارحام منك حبالها

وهى طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل على حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القائل

فان ارضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك وان أبيت الا ان تعطى نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ضنا بنفسى فلما وصل الكتاب الى المنصور كتب الى أبى مسلم قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فانما راحتهم فى انتشار نظام الجماعة فلم سويت نفسك بهم فأنت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الامر على ما أنت به وليس مع الشريطة التى أوجبت منك سمعا ولا طاعة وحمل اليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها ان أصغيت وأسأل الله ان يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده وأقرب من الباب الذى فتحه عليك وقيل بل كتب اليه أبو مسلم أما بعد فانى اتخذت رجلا اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان فى محلة العلم نازلا وفى قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا فاستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا فى قليل قد نعاه الله الى خلقه فكان كالذى دلى بغرور وأمرنى ان اجرد السيف وأرفع الرحمة ولا أقبل المعذرة ولا أقيل العثرة ففعلت توطئة لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم ثم استنقذنى الله بالتوبة فان يعف عنى فقدما عرف به ونسب اليه وان يعاقبنى فبما قدمت يداى وما الله بظلام للعبيد وخرج أبو مسلم مراغما مشاقا وسار المنصور من الانبار الى المدائن وأخذ أبو مسلم طريق حلوان فقال المنصور لعمه عيسى بن على ومن حضر من بنى هاشم اكتبوا الى أبى مسلم فكتبوا اليه يعظمون أمره ويشكرونه ويسألونه ان يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة ويحذرونه عاقبة البغى ويأمرونه بالرجوع الى المنصور وبعث المنصور الكتاب مع أبى حميد المروروذى وقال له كلم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحدا ومنه وأعلمه انى رافعه وصانع به مالم يصنعه به أحد ان هو صلح وراجع ما أحب فان أبى ان يرجع فقل له يقول لك أمير المؤمنين لست من العباس وانى برىء من محمد ان مضيت مشاقا ولم تأتنى ان وكلت أمرك الى أحد سواى وان لم أل طلبك وقتالك بنفسى ولو خضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ولا تقولن هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه ولا تطمع منه فى خير فسار أبو حميد فقدم على أبى مسلم بحلوان فدفع اليه الكتاب وقال له ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين مالم يقله وخلاف ما عليه رأيه فيك حسدا وبغيا يريدون ازالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ما كان منك وكلمه وقال يا أبا مسلم انك لم تزل أمين آل محمد يعرفك بذلك الناس وما ذخر الله لك من الاجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان فقال له أبو مسلم متى كنت تكلمنى بهذا الكلام فقال انك دعوتنا الى هذا الامر والى طاعة أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم بنى العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألف ما بين قلوبنا وأعزنا بنصرنا لهم ولم نلق منهم رجلا الا بما قذف الله فى قلوبنا حتى أتيناهم فى بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا ان تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلونى فأقبل أبو مسلم على أبى نصر مالك بن الهيثم فقال أما تسمع ما يقول لى هذا ما كان بكلامه يا مالك لا تسمع قوله ولا يهولك هذا منه فلعمرى ما هذا كلامه ولما بعد هذا أشد منه فامض لامرك ولا ترجع فوالله لئن أتيته ليقتلنك ولقد وقع فى نفسه منك شئ لا يأمنك أبدا فقال قوموا فنهضوا فأرسل أبو مسلم الى نيزك فعرض عليه الكتب وما قالوا فقال لا أرى ان تأتيه وأرى ان تأتى الرى فتقيم بها ما بين خراسان والرى

لك

وانى من مخزوم ان كنت سائلا
ومن هاشم أمى لخير قبيل
فمن ذا الذى ينأى على بخاله
وخالى على ذو الندى وعقيل

وجمانة بنت أبى طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهى أول هاشمية ولدت بهاشمى كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسير على الى البصرة فى سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقتل من أصحاب على خمسة آلاف وقد تنازع الناس فى مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة فى يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة على الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام وبين دخول على الى الكوفة وبين التقائه مع معاوية للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة

لك وهم جندك لا يخالفك أحد فان استقام لك استقمت له وان أبى كنت فى جندك وكانت خراسان وراءك ورأيت رأيك فدعا أبا حميد فقال ارجع الى صاحبك فليس من رأيى ان آتيه قال قد عزمت على خلافه قال نعم قال لا تفعل قال لا أعود اليه أبدا فلما يئس من رجوعه معه قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلا ثم قال قم فكسره ذلك القول ورعبه وكان أبو جعفر المنصور قد كتب الى أبى داود خليفة أبى مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم ان لك امرة خراسان ما بقيت فكتب أبو داود الى أبى مسلم انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فلا تخالفن امامك ولا ترجعن الا باذنه فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رعبا وهما فارسل الى أبى حميد فقال له انى كنت عازما على المضى الى خراسان ثم رأيت ان أوجه أبا اسحق الى أمير المؤمنين فيأتينى برأيه فانه ممن اثق به فوجهه فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب وقال له المنصور اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه فرجع أبو اسحق وقال لابى مسلم ما أنكرت شيأ رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لانفسهم وأشار عليه ان يرجع الى أمير المؤمنين فيعتذر اليه مما كان منه فاجمع على ذلك فقال له نيزك قد أجمعت على الرجوع قال نعم وتمثل

ما للرجال مع القضاء محالة * ذهب القضاء بحيلة الاقوام

قال اذا عزمت على هذا فخار الله لك احفظ عنى واحدة اذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع من شئت فان الناس لا يخالفونك وكتب أبو مسلم الى المنصور يخبره انه منصرف اليه وسار نحوه واستخلف أبا نصر على عسكره وقال له أقم حتى يأتيك كتابى فان أتاك مختوما بنصف خاتم فأنا كتبته وان أتاك بخاتم كامل فلم أختمه وقدم المدائن فى ثلاثة آلاف رجل وخلف الناس بحلوان ولما ورد كتاب أبى مسلم على المنصور قرأه وألقاه الى أبى أيوب وزيره فقرأه وقال له المنصور والله لئن ملأت عينى منه لاقتلنه فخاف أبو أيوب من أصحاب أبى مسلم ان يقتلوا المنصور ويقتلوه معه فدعا سلمة بن سعيد ابن جابر وقال له هل عندك شكر فقال نعم قال ان وليتك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق تدخل معك أخى حاتما وأراد بادخال أخيه معه ان يطمع ولا ينكر وتجعل له النصف قال نعم قال له ان كسكر كانت عام أول بكذا وكذا ومنها العام أضعاف ذلك فان دفعتها اليك بما كانت أو بالامانة أصبت ما يضيق به ذرعا قال كيف لى بهذا المال قال له أبو أيوب تأتى أبا مسلم فتلقاه وتكلمه ان يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه فان أمير المؤمنين يريد ان يوليه اذا قدم ما وراء بابه ويريح نفسه قال فكيف لى ان يأذن لى أمير المؤمنين فى لقائه فاستأذن له أبو أيوب فى ذلك فأذن له المنصور وأمره ان يبلغ سلامه وشوقه الى أبى مسلم فلقيه سلمة بالطريق وأخبره الخبر وطابت نفسه وكان قبل ذلك كئيبا حزينا ولم يزل مسرورا حتى قدم فلما دنا أبو مسلم من المنصور أمر الناس بتلقيه فتلقاه بنو هاشم والناس ثم قدم فدخل على المنصور فقبل يده وأمره ان ينصرف ويروح نفسه لثلاثة ويدخل الحمام فانصرف فلما كان الغد دعا المنصور عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس منهم شبيب بن واج وأبو حنيفة حرب بن قيس فأمرهم بقتل أبى مسلم اذا صفق بيديه وتركهم خلف الرواق وأرسل الى أبى مسلم يستدعيه وكان عنده عيسى بن موسى يتغدى فدخل على المنصور فقال له المنصور اخبرنى عن نصلين أصبتهما مع عبد الله بن على قال هذا أحدهما قال أرنيه فانتضاه وناوله اياه فوضعه المنصور تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه وقال له اخبرنى عن كتابك الى السفاح تنهاه عن الموات أردت ان تعلمنا الدين قال ظننت ان أخذه لا يحل فلما أتانى كتابه علمت انه أهل بيت معدن العلم قال فاخبرنى عن تقدمك اياى بطريق مكة قال

كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك للرفق قال فقولك لمن أشار اليك بالانصراف الى طريق مكة وحين أتاك موت أبى العباس الى ان نقدم فنرى رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت الى قال منعنى من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت تقدم الكوفة وليس عليك من خلاف قال فجارية عبد الله أردت ان تتخذها قال لا ولكنى خفت ان تضيع فحملتها فى قبة ووكلت بها من يحفظها قال فمن أرفقك وخروجك الى خراسان قال خفت ان يكون قد دخلك منى شئ فقلت آتى خراسان فاكتب اليك بعذرى فاذهب ما فى نفسك قال فالمال الذى جمعته بخراسان قال أنفقته بالجند تقوية لهم واستصلاحا قال ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك وتخطب عمتى آمنة ابنة على وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقاصعبا ثم قال وما الذى دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع أثره فى دعوتنا وهو أحد قبائنا قبل ان يدخلك فى هذا الامر قال أراد الخلاف وعصانى فقتلته فلما طال عتاب المنصور قال لا يقال هذا لى بعد بلائى وما كان منى قال يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لاجزأت انما عملت فى دولتنا وبريحنا فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا فاخذ أبو مسلم بيده يقبلها ويعتذر اليه فقال له المنصور ما رأيت كاليوم والله ما زدتنى الا غضبا قال أبو مسلم دع هذا فقد أصبحت ما أخاف الا الله تعالى فغضب المنصور وشتمه وصفق بيده على الاخرى فخرج عليه الحرس فضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه فقال استبقنى لعدوك يا أمير المؤمنين فقال لا أبقانى الله اذا أعدو أعدى لى منك وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح العفو فقال المنصور يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك فقتلوه فى شعبان لخمس بقين منه فقال المنصور

زعمت أن الدين لا ينقضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأسا كنت تسقى بها * أمر فى الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل فى دولته ستمائة ألف صبرا فلما قتل أبو مسلم دخل أبو الجهم على المنصور فرأى أبا مسلم قتيلا فقال الا أرد الناس قال بلى فمر بمتاع يحمل الى رواق آخر وخرج أبو الجهم فقال انصرفوا فان الامير يريد القائلة عند أمير المؤمنين ورأوا المتاع ينقل فظنوه صادقا فانصرفوا وأمر لهم المنصور بالجوائز فاعطى أبا اسحق مائة ألف ودخل عيسى بن موسى على المنصور بعد قتل أبى مسلم فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا فقال عيسى قد عرفت نصيحته وطاعته ورأى الامام ابراهيم كان فيه فقال يا أحمق والله ما أعلم فى الارض عدوا أعدى لك منه ها هو ذا فى البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون وكان لعيسى فيه رأى فقال له المنصور خلع الله قلبك وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهى مع أبى مسلم ثم دعا المنصور بجعفر بن حنظلة فدخل عليه فقال ما تقول فى أمر أبى مسلم قال يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل فقال له المنصور وفقك الله فلما نظر الى أبى مسلم مقتولا قال يا أمير المؤمنين عد من هذا اليوم خلافتك ثم دعا المنصور بأبى اسحق فلما دخل عليه قال له أنت المانع عدو الله على ما أجمع عليه وقد كان بلغه انه أشار عليه باتيان خراسان قال فكف أبو اسحق وجعل يلتفت يمينا وشمالا تخوفا من أبى مسلم فقال له المنصور تكلم بما أردت فقد قتل الله الفاسق وأمر باخراجه فلما رآه أبو اسحق خر ساجدا لله فاطال ورفع رأسه وهو يقول الحمد لله الذى أمننى بك اليوم والله ما أمنته يوما وما خفته يوما واحدا وما جئته يوما قط الا وقد أوصيت وتكفنت وتحنطت ثم رفع ثيابه الظاهرة فاذا تحتها ثياب أكفان جدد وقد تحنط فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه وقال له استقبل

وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع على خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعرى بارض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهى على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ما قد شهر وسنورد فى هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفى هذه السنة حملت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع على من أصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهى بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفى سنة ثمان وثلاثين كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان

طاعة خليفتك واحمد الله الذى أراحك من الفاسق هذا ثم قال له فرق هذه الجماعة ثم كتب المنصور بعد قتل أبى مسلم الى أبى نصر مالك بن الهيثم عن لسان أبى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده وان يقدم وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم فلما رأى الخاتم تاما علم أن أبا مسلم لم يكتب فقال فعلتموها وانحدر الى همذان وهو يريد خراسان فكتب المنصور لابى نصر عهده على شهرزور وكتب الى زهير بن التركى وهو على همذان ان مر بك أبو نصر فاحبسه فسبق الكتاب الى زهير وأبو نصر بهمذان فقال له زهير قد صنعت لك طعاما فلو أكرمتنى بدخول منزلى فحضر عنده فاخذه زهير فحبسه وكتب أبو جعفر الى زهير كتابا يأمره بقتل أبى نصر وقدم صاحب العهد على أبى نصر بعهده على شهرزور فخلى زهير سبيله لهواه فيه فخرج ثم وصل بعد يوم الكتاب الى زهير بقتل أبى نصر فقال جاءنى كتاب بعده فخليت سبيله وقدم أبو نصر على المنصور فقال له أشرت على أبى مسلم بالمضى الى خراسان قال نعم كانت له عندى ايادى فنصحت له وان اصطنعنى أمير المؤمنين نصحت له وشكرت فعفا عنه فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر وقال أنا البواب اليوم لا يدخل أحد وأنا حى فسأل عنه المنصور فأخبر به فعلم ان قد نصح له وقيل ان زهيرا سير أبا نصر الى المنصور مقيدا فمن عليه واستعمله على الموصل ولما قتل المنصور أبا مسلم خطب الناس فقال أيها الناس لا تخرجوا من انس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تمشوا فى ظلمة الباطل بعد سعيكم فى ضياء الحق ان أبا مسلم أحسن مبتدأ وأساء معقبا وأخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علمه اللائم لنا فيه لعذرنا فى قتله وعنفنا فى امهالنا وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه فحكمنا فيه حكمه لنا فى غيره ولم يمنعنا الحق له من امضاء الحق فيه وما أحسن ما قال النابغة الذبيانى للنعمان

فمن أطاعك فانفعه بطاعته * كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الظلوم ولا تقصد على ضمد

ثم نزل وكان أبو مسلم قد سمع الحديث من عكرمة وأبى الزبير المكى وثابت البنانى ومحمد بن على ابن عبد الله بن عباس والسدير وروى عنه ابراهيم بن ميمون الصائغ وعبد الله بن المبارك وغيرهما خطب يوما فقام اليه رجل فقال ما هذا السواد الذى أرى عليك فقال حدثنى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه قيل لعبد الله بن المبارك أبو مسلم كان خيرا أو الحجاج قال لا أقول ان أبا مسلم كان خيرا من أحد ولكن الحجاج كان شرا منه وكان أبو مسلم نازكا شجاعا ذا رأى وعقل وتدبير وحزم ومروءة وقيل له بم نلت ما أنت فيه من القهر للاعداء فقال ارتديت الصبر وآثرت الكتمان وحالفت الاحزان والاشجان وسامحت المقادير والاحكام حتى بلغت غاية همتى وأدركت نهاية بغيتى ثم قال

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بنى ساسان اذ حشدوا
ما زلت أضربهم بالسيف فانتبهوا * من رقدة لم ينمها قبلهم أحد
طفقت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وقيل ان أبا مسلم ورد نيسابور على حمار باكاف وليس معه آدمى فقصد فى بعض الليالى دار الفاذوسيان فدق عليه الباب ففزع أصحابه وخرجوا اليه فقال لهم قولوا للدهقان ان أبا مسلم

ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان بن صيفى وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفى وممن اعتزل من الانصار كعب ابن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة حليف بنى عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة ابن خالد فى آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بنى أمية وسواهم وانتزع على أملاكا كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما فى بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعثت أم حبيبة بنت أبى سفيان الى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان بن بشير الانصارى واتصلت بيعة على بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت أهل الكوفة أسرع اجابة الى بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الاشعرى حتى تكاثر الناس عليه وكان عليها عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بنى أمية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبى معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما أنا فقتلت أبى صبرا وضربتنى حدا وقال سعيد بن العاص كلاما

بالباب ويطلب منك ألف درهم ودابة فقالوا للدهقان ذلك فقال الدهقان فى أى زى هو وأى عدة فأخبروه انه وحده فى أدون زى فسكت ساعة ثم دعا بألف درهم ودابة من خواص دوابه وأذن له وقال يا أبا مسلم قد أسعفناك بما طلبت وان عرضت حاجة أخرى فحن بين يديك فقال ما نضيع لك ما فعلته فلما ملك قال له بعض اقاربه ان فتحت نيسابور أخذت كل ما تريده من مال الفاذوسبان دهقانها المجوسى فقال أبو مسلم له عندنا يد فلما ملك نيسابور اتته هدايا الفاذوسبان فقيل له لا تقبلها واطلب منه الاموال فقال له عندى يد ولم يتعرض له ولا لاحد من أصحابه وأمواله وهذا يدل على علو همة وكمال مروأة وفى هذه السنة استعمل المنصور ابا داود على خراسان وكتب اليه بعهده

﴿ذكر خروج سنباد بخراسان﴾

وفى هذه السنة خرج سنباد بخراسان يطلب بدم أبى مسلم وكان مجوسيا من قرية من قرى نيسابور يقال لها اهروانه كان ظهوره غضبا لقتل أبى مسلم لانه كان من صنائعه وكثر اتباعه وكان عامتهم من أهل الجبال وغلب على نيسابور وقومس والرى وتسمى فيروز اصبهبذ فلما صار بالرى أخذ خزائن أبى مسلم وكان أبو مسلم خلفها بالرى حين شخص الى أبى العباس وسبى الحرم ونهب الاموال ولم يعرض للتجار وكان يظهر انه يقصد الكعبة ويهدمها فوجه اليه المنصور جهور ابن مرار العجلى فى عشرة آلاف فارس فالتقوا بين همذان والرى على طرف المفازة وعزم جهور على مطاولته فلما التقوا قدم سنباد السبايا من النساء المسلمات على الجمال فلما رأين عسكر المسلمين قمن فى المحامل ونادين وامحمداه ذهب الاسلام ووقعت الريح فى أثوابهن فنفرت الابل وعادت على عسكر سنباد فتفرق العسكر وكان ذلك سبب الهزيمة وتبع المسلمون الابل ووضعوا السيوف فى المجوس ومن معهم فقتلوهم كيف شاؤا وكان عدد القتلى نحوا من ستين ألفا وسبى ذراريهم ونساءهم ثم قتل سنباد بين طبرستان وقومس وكان بين مخرج سنباد وقتله سبعون ليلة وكان سبب قتله انه قصد طبرستان ملتجئا الى صاحبها فارسل الى طريقه عاملا له اسمه طوس فتكبر عليه سنباد فضرب طوس عنقه وكتب الى المنصور بقتله وأخذ ما معه من الاموال وكتب المنصور الى صاحب طبرستان يطلب منه الاموال فانكرها فسير الجنود اليه فهرب الى الديلم

﴿ذكر خروج ملبد بن حرملة﴾

وفى هذه السنة خرج ملبد بن حرملة الشيبانى فحكم بناحية الجزيرة فثارت اليه روابط الجزيرة وهو فى نحو ألف فارس فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى فهزمه ملبد وأخذ جارية له كان يطؤها فوجه اليه المنصور مولاه مهلهل بن صفوان فى ألفين من نخبة الجند فهزمهم ملبد واستباح عسكرهم ثم وجه اليه نزارا قائدا من قواد خراسان فقتله ملبد وانهزم أصحابه ثم وجه زياد بن مشكان فى جمع كثير فلقيهم ملبد فهزمهم ثم وجه اليه صالح بن صبيح فى جيش كثيف وخيل كثيرة وعدة فهزمهم ملبد ثم سار اليه حميد بن قحطبة وهو على الجزيرة يومئذ فلقيه ملبد فهزمه وتحصن منه حميد بن قحطبة واعطاه مائة ألف درهم على ان يكف عنه وقيل ان خروج ملبد كان سنة ثمان وثلاثين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

ولم يكن للناس هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سنباد وحج بالناس هذه السنة اسمعيل ابن على بن عبد الله بن عباس وهو على الموصل وكان على المدينة زياد بن عبيد الله وعلى مكة العباس

كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكبت عثمان فى صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص اتوا عليا فى آخرين من العثمانية فقال كعب ابن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كفء ماعجاه عذر فى كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتوليته مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة على كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شئ تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية بايعنى قال والله لا أعينك من دينى حتى أنال من دنياك قال سل قال مصر طعمة فأجابه الى ذلك وكتب له به كتابا وقال عمرو بن العاص فى ذلك

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطنى مصرا فاربح صفقة أخذت بها شيخا يضر وينفع

وأتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان حق الطاعة النصيحة وان الرأى اليوم تحوز به ما فى غد وان التضارع اليوم تضيع به ما فى غد أقر معاوية على عمله

ابن عبد الله بن سعيد ومات العباس عند انقضاء الموسم فضم اسمعيل عمله الى زياد بن عبيد الله وأقره المنصور عليه وكان على الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن على وعلى قضائها عمر بن عامر السلمى وعلى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم وعلى مصر صالح بن على وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة وعلى الموصل اسمعيل بن على بن عبد الله وهى على ما كانت عليه من الاجتدال

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر خلع جهور بن مرار العجلى﴾

وفيها خلع جهور بن مرار المنصور بالرى وكان سبب ذلك ان جهورا لما هزم سنباد حوى ما فى عسكره وكان فيه خزائن أبى مسلم فلم يوجهها الى المنصور فخاف فخلع ووجه اليه المنصور محمد بن الاشعث فى جيش عظيم نحو الرى ففارقها جهور نحو اصبهان ودخل محمد الرى وملك جهور اصبهان فارسل اليه محمد عسكرا وبقى فى الرى فأشار على جهور بعض أصحابه ان يسير فى نخبة عسكره نحو محمد فانه فى قلة فان ظفر لم يكن لمن بعده بقية فسار اليه مجدا وبلغ خبره محمدا فحذر واحتاط وأتاه عسكر من خراسان فقوى بهم فالتقوا بقصر الفيروزان بين الرى واصبهان فاقتتلوا قتالا عظيما ومع جهور نخبة فرسان العجم فهزم جهور وقتل من أصحابه خلق كثير وهرب جهور فلحق باذربيجان ثم انه بعد ذلك قتل باسباذر واقتله أصحابه وحملوا رأسه الى المنصور

﴿ذكر قتل ملبد الخارجى﴾

قد ذكرنا خروجه فى السنة قبلها وتحصن حميد منه ولما بلغ المنصور ظفر ملبد وتحصن حميد منه وجه اليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار وضم اليه زياد بن مشكان فاكمن له ملبد مائة فارس فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين فهزموه وقتلوا عامة أصحابه فوجه اليه خازم بن خزيمة فى نحو ثمانية آلاف من المروروذية فسار خازم حتى نزل الموصل وبعث الى ملبد بعض أصحابه وعبر ملبد دجلة من بلد وسار نحو خازم وسار اليه خازم وعلى مقدمته وطلائعه فضلة بن نعيم ابن خازم بن عبد الله النهشلى وعلى ميمنته زهير بن محمد العامرى وعلى ميسرته أبو حماد الابرص وخازم فى القلب فلم يزل يساير ملبدا وأصحابه الى الليل ويواقعوا اليلتهم فلما كان الغد سار ملبد نحو كورة حزة وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل واصبحوا من الغد فسار ملبد كانه يريد الهرب فخرج خازم فى أثره وتركوا اخندقهم وكان خازم قد خندق على أصحابه بالحسك فلما أخرجوا منه حمل عليهم ملبد وأصحابه فلما رأى ذلك خازم القى الحسك بين يديه وبين يدى أصحابه فحملوا على ميمنة خازم فطووها ثم حملوا على الميسرة فطووها ثم انتهوا الى القلب وفيه خازم فنادى خازم فى أصحابه الارض الارض فنزلوا ونزل ملبد وأصحابه وعقروا عامة دوابهم ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت وأمر خازم فضلة بن نعيم ان اذا سطع الغبار ولم يبصر بعضنا بعضا فارجع الى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ثم ارموهم بالنشاب ففعل ذلك وتراجع أصحاب خازم من الميمنة والميسرة ثم رشقوا ملبدا وأصحابه بالنشاب فقتل ملبد فى ثمانمائة رجل ممن ترجل وقتل منهم قبل ان يترجلوا زهاء ثلثمائة وهرب الباقون وتبعهم فضلة فقتل منهم مائة وخمسين رجلا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وقهرا وغلب أهلها وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية وفيها غزا العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الصائفة مع صالح بن على وعيسى بن على وقيل كانت سنة تسع وثلاثين فبنى صالح

وأقر ابن عامر على عمله وأقرر العمال على أعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت قال حتى أنظر فخرج من عنده وعاد اليه من الغد فقال انى أشرت عليك بالامس برأى وتعقبته وانما الرأى ان تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع من غيره وتستقل امرك ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى الى على قال رأيت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك قال جاءنى أمس بكيت وكيت وجاءنى اليوم بذيت وذيت فقال أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشك قال فما الرأى قال كان الرأى أن تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتى مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت جائلة مضطربة فى أثرك لا تجد غيرك فأما اليوم فان بنى أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة نصحته فلم يقبل فغششته وذكر انه قال وأما أنا فنصحته قبلها ولا أنصحه بعدها (قال المسعودى) وجدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى

ما كان ملك الروم اخربه من سور ملطية وفيها بايع عبد الله بن على للمنصور وهو مقيم بالبصرة مع اخيه سليمان بن على وفيها وسع المنصور المسجد الحرام وحج بالناس هذه السنة الفضل بن صالح ابن على وكان على المدينة ومكة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثى وعلى الكوفة وسوادها عيسى ابن موسى وعلى البصرة سليمان بن على وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى خراسان أبو داود وعلى مصر صالح بن على وفيها توفى السواد بن رفاعة بن أبى مالك القرظى وسعيد بن جهان أبو حفص الاسلمى يروى عن سفينة حديث الخلافة ثلاثون ويونس بن عبيد البصرى وقيل توفى سنة تسع وثلاثين ومائة

﴿ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الروم والفداء معهم﴾

فى هذه السنة فرغ صالح بن على والعباس بن محمد من عمارة ما آخربه الروم من ملطية ثم غزوا الصائفة من درب الحدث فوغلا فى أرض الروم وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة بنتا على وكانتا نذرتا ان زال ملك بنى أمية ان تجاهدا فى سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهرانى وفى هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور اسرى قالى قلا وغيرهم من الروم وبناها وعمرها ورد اليها اهليها وندب اليها جندا من أهل الجزيرة وغيرهم فاقاموا بها وحموها ولم يكن بعد ذلك صائفة فيما قيل الا سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على الا ان بعضهم قال ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام فى سنة أربعين وأقبل قسطنطين ملك الروم فى مائة ألف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فاحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة الى سنة ست وأربعين

﴿ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس﴾

قد ذكرنا فى سنة اثنتين وتسعين فتح الاندلس وعزل موسى بن نصير عنها فلما عزل عنها وسار الى الشام استخلف عليها ابنه عبد العزيز وضبطها وحمى ثغورها وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة وكان خيرا فاضلا وبقى أميرا الى سنة سبع وتسعين وقيل ثمان وتسعين فقتل بها وقد تقدم سبب قتله فلما قتل بقى أهل الاندلس ستة أشهر لا يجمعهم وال ثم انهم اتفقوا على أيوب بن حبيب اللخمى وهو ابن أخت موسى بن نصير فكان يصلى بهم لصلاحه وتحول الى قرطبة وجعلها دارا لامارة فى أول سنة تسع وتسعين وقيل سنة ثمان وتسعين ثم ان سليمان بن عبد الملك استعمل بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفى فقدمها سنة ثمان وتسعين فاقام واليا عليها سنتين وتسعة أشهر فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة استعمل على الاندلس السمح بن مالك الخولانى وأمره ان يميز أرضها ويخرج منها ما كان عنوة ويأخذ منه الخمس ويكتب اليه بصفة الاندلس وكان رأيه اقفال أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين فقدمها السمح سنة مائة فى رمضان وفعل ما أمره عمر وقتل عند انصرافه من دار الحرب سنة اثنتين ومائة وكان قد بدا لعمر فى نقل أهلها ثم تركهم ودعا لاهلها ثم وليها بعد السمح عنبسة بن سحيم الكلبى سنة ثلاث ومائة وتوفى فى شعبان سنة سبع ومائة عند انصرافه من غزو الافرنج ثم وليها بعده يحيى بن سلمى الكلبى فى ذى القعدة سنة سبع فبقى عليها واليا سنتين وستة أشهر ثم دخل الاندلس حذيفة بن الاحوص الاشجعى سنة عشر ومائة فبقى واليا عليها ستة أشهر ثم عزل ثم وليها عثمان بن أبى نسعة الخثعمى فقدمها سنة عشر ومائة وعزل آخر سنة عشر ومائة أيضا وكانت ولايته خمسة أشهر ثم وليها الهيثم بن عبد الكافى فقدمها

فى

قدمت تلك الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال أين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت أبو سعيد بن الحرث بن هشام بن قتيبة من قريش فقال على اما انهم لم يكن لهم بد ان يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم انهم قتلة عثمان فقلت اخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال اخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك ان لا ترد عمال عثمان عامك هذا فاكتب اليه باثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى قال فان كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فان له جراءة وهو فى أهل الشام مسموع منه ولك حجة فى اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندى على ما أشار به ثم عاد فقال انى أشرت عليك بما أشرت به وأبيت على فنظرت فى الامر واذا أنت مصيب لا ينبغى ان تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دنسة قال ابن عباس فقلت له أما أول ما أشار عليك فقد نصحك وأما الآخر فقد غشك وأنا أشير عليك ان تثبت معاوية فان

فى المحرم سنة احدى عشرة ومائة فاقام واليا عليها عشرة أشهر وأياما ثم توفى فى ذى الحجة فقدم أهل الاندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الاشجعى وكانت ولايته شهرين وولى بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فى صفر سنة اثنتى عشرة ومائة واستشهد فى أرض العدو فى رمضان سنة أربع عشرة ومائة ثم وليها عبد الملك بن قطن الفهرى فاقام عليها سنتين وعزل ثم وليها بعده عقبة بن الحجاج السلولى دخلها سنة ست عشرة ومائة فوليها خمس سنين وثار أهل الاندلس به فخلعوه فولوا بعده عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية وقد ذكر بعض مؤرخى الاندلس انه توفى فولى أهل الاندلس عبد الملك ثم وليها بلج بن بشر القشيرى بايعه أصحابه فهرب عبد الملك ولحق بداره وهرب ابناه قطن وأمية فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة ثم ثارت اليمن على بلج وسألوه قتل عبد الملك بن قطن فلما خشى فسادهم أمر به فقتل وصلب وكان عمره تسعين سنة فلما بلغ ابنيه قتله حشدا من ماردة الى اربونة فاجتمع اليهما مائة ألف وزحفوا الى بلج ومن معه بقرطبة فخرج اليهم بلج فلقيهم فيمن معه من أهل الشام بقرب قرطبة فهزمهما ورجع الى قرطبة فمات بعد أيام يسيرة وكان سبب قدوم بلج الاندلس انه كان مع عمه كلثوم بن عياض فى وقعة البربر سنة ثلاث وعشرين وقد تقدم ذكرها فلما قتل عمه سار الى الاندلس فاجازه عبد الملك بن قطن اليها وكان سبب قتله ثم ولى أهل الشام على الاندلس مكانه ثعلبة بن سلامة العاملى فاقام الى ان قدم أبو الخطار واليا على الاندلس سنة خمس وعشرين ومائة فدان له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبى نسعة وابنا عبد الملك فامنهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا ذا رأى وكرم وكثر أهل الشام عنده فلم تحملهم قرطبة ففرقهم فى البلاد فانزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص وأنزل أهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين وأنزل أهل الاردن برية وسماها الاردن وأنزل أهل فلسطين بشذونة وسماها فلسطين وانزل أهل مصر بتدمير وسماها مصر لشبهها بها ثم تعصب اليمانية وكان ذلك سبب التألب الصميل بن حاتم عليه مع مضر وحربه وخلعه وقامت هذه الفتنة سنة سبع وعشرين ومائة وكان الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن قد قدم الاندلس فى امداد الشام فرأس بها فاراد أبو الخطار ان يضع منه فامر به يوما وعنده الجند فشتم وأهين فخرج وعمامته مائلة فقال له بعض الحجاب ما بال عمامتك مائلة فقال ان كان لى قوم فسيقيمونها وبعث الى قومه فشكا اليهم ما لقى فقالوا نحن لك تبع وكتبوا الى ثوابة بن سلامة الجذامى وهو من أهل فلسطين فوفد عليهم وأجابهم وتبعهم لخم وجذام فبلغ ذلك الى أبى الخطار فسار اليهم فقاتلوه فانهزم أصحابه وأسر أبو الخطار ودخل ثوابة قصر قرطبة وأبو الخطار فى قيوده فولى ثوابة الاندلس سنتين ثم توفى فاراد أهل اليمن اعادة أبى الخطار وامتنعت مضر ورأسهم الصميل وافترقت الكلمة فاقامت الاندلس أربعة أشهر بغير أمير وقد تقدم أبسط من هذا سنة سبع وعشرين ومائة فلما بقوا بغير أمير قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمى للاحكام فلما تفاقم الامر اتفق رأيهم على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى فوليها يوسف سنة تسع وعشرين فاستقر الامر ان يلى سنة ثم يرد الامر الى اليمن فيولون من أحبوا من قومهم فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن باسرهم يريدون أن يولوا رجلا منهم فبيتهم الصميل فقتل منهم خلقا كثيرا فهى وقعة شقندة المشهورة وفيها قتل أبو الخطار واقتتلوا بالرماح حتى تقطعت وبالسيوف حتى تكسرت ثم تجاذبوا بالشعور وكان ذلك سنة ثلاثين واجتمع الناس على يوسف ولم يعترضه أحد وقد قيل غير ما ذكرنا وقد تقدم ذكره سنة سبع

بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله قال لا والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

فـــما الميتة ان متها غير عاجز ... بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال على بلى قلت أما والله لئن أطعتنى لاصدرن بهم بعد ورود ولاتركنهم ينظرون فى آثارهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية فى شئ يسير مالك عندى الطاعة والله ولى التوفيق

﴿ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره﴾

ودخل طلحة والزبير مكة وقد كانا استأذنا عليا فى العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشام فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة وقد كانت عائشة رضى الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلى بها على الناس حارثة بن قدامة السعدى ومصير عثمان بن حنيف الانصارى اليها على خراجها من قبل على رضى الله عنه وانصرف من اليمن عامل عثمان وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان

وعشرين ومائة ثم توالى القحط على الاندلس وجلا أهلها عنها وتضعضعت الى سنة ست وثلاثين ومائة وفيها اجتمع تميم بن معبد الفهرى وعامر العبدرى بمدينة سرقسطة وحاربهما الصميل ثم سار اليهما يوسف الفهرى فحاربهما فقتلهما وبقى يوسف على الاندلس الى ان غلب عليها عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام هذا ما ذكرناه من ولاة الاندلس على الاختصار وقد تقدم أبسط من هذا متفرقا وانما أوردناه ههنا متتابعا ليتصل بعض أخبار الاندلس ببعض لانها وردت متفرقة ونرجع الى ذكر عبور عبد الرحمن بن معاوية بن هشام اليها وأما سبب مسير عبد الرحمن الى الغرب فانه يحكى عنه انه لما ظهرت الدولة العباسية وقتل من بنى أمية من قتل ومن شيعتهم فر منهم من نجا فى الارض وكان عبد الرحمن بن معاوية بذات الزيتون ففر منها الى فلسطين وأقام هو ومولاه بدر يتجسس الاخبار فحكى عنه انه قال لما أعطينا الامان ثم نكث بنا بنهر أبى فطرس وأبيحت دماؤنا أتانا الخبر وكنت منتبذا من الناس فرجعت الى منزلى آيسا ونظرت فيما يصلحنى وأهلى وخرجت خائفا حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض فبينا أنا ذات يوم بها وولدى سليمان يلعب بين يدى وهو يومئذ ابن أربع سنين فخرج عنى ثم دخل الصبى من باب البيت باكيا فزعا فتعلق بى وجعلت أدفعه وهو يتعلق بى فخرجت لانظر واذا بالخوف قد نزل بالقرية واذا بالرايات السود منحطة عليها وأخ لى حدث السن يقول لى النجاء النجاء فهذه رايات المسودة فأخذت دنانير معى ونجوت بنفسى وأخى وأعلمت اخواتى بمتوجهى فأمرتهن ان يلحقنى مولاى بدرا وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لى أثرا فأتيت رجلا من معارفى وأمرته فاشترى لى دواب ومايصلحنى فدل على عبد له العامل فاقبل فى خيله يطلبنى فخرجنا على أرجلنا هرابا والخيل تبصرنا فدخلنا فى بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات فسبحنا فأما أنا فنجوت والخيل ينادوننا بالامان ولا أرجع وأما أخى فانه عجز عن السباحة فى نصف الفرات فرجع اليهم بالامان وأخذوه فقتلوه وأنا أنظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ومضيت لوجهى فتواريت فى غيضة اشبة حتى انقطع الطلب عنى وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقية ثم ان أخته أم الاصبغ ألحقته بدرا مولاه ومعه نفقة له وجوهر فلما بلغ افريقية لج عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى قيل هو والد يوسف أمير الاندلس وكان عبد الرحمن عامل افريقية فى طلبه واشتد عليه فهرب منه فاتى مكناسة وهم قبيل من البربر فلقى عندهم شدة يطول ذكرها ثم هرب من عندهم فاتى نفزاوة وهم أخواله وبدر معه وقيل أتى قوما من الزناتيين فاحسنوا قبوله واطمأن فيهم وأخذ فى تدبير المكاتبة الى الامويين من أهل الاندلس يعلمهم بقدومه ويدعوهم الى نفسه ووجه بدرا مولاه اليهم وأمير الاندلس حينئذ يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فسار بدر اليهم وأعلمهم حال عبد الرحمن ودعاهم اليه فاجابوه ووجهوا اليه مركبا فيه تمامة بن علقمة ووهب ابن الاصفر وشاكر بن أبى الاسمط فوصلوا اليه وأبلغوه طاعتهم له وأخذوه ورجعوا الى الاندلس فارسى فى المنكب فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين ومائة فأتاه جماعة من رؤسائهم من أهل اشبيلية وكانت أيضا نفوس أهل اليمن حنقة على الصميل ويوسف الفهرى فأتوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم أتى شذونة فبايعه غياث بن علقمة اللخمى ثم أتى مورور فبايعه ابراهيم بن شجرة عاملها ثم أتى اشبيلية فبايعه أبو الصباح يحيى بن يحيى ونهد الى قرطبة فبلغ خبره الى يوسف وكان غائبا عن قرطبة بنواحى طليطلة فأتاه الخبر وهو راجع الى قرطبة فسار عبد الرحمن نحو قرطبة فلما أتى قرطبة تراسل هو ويوسف فى الصلح فخادعه نحو يومين

شراؤه عليه باليمن مائتى دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان به معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدد فجهزهم بألف ألف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة فى ستمائة راكب فانتهوا فى الليل الى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق لجملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ماقيل لها فى ذلك فقالت ردونى الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى فى المسير فقال ابن الزبير بالله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما أخبرك به وكان طلحة فى ساقة الناس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت فى الاسلام فأتوا البصرة فخرج اليهم عثمان ابن حنيف فمانعهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم على فلما كان فى بعض الليالى بيتوا عثمان بن حنيف فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من أخيه سهل ابن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون فقتل منهم

أحدهما يوم عرفة ولم يشك أحد من أصحاب يوسف ان الصلح قد ابترم وأقبل على اعداد الطعام ليأكله الناس على السماط يوم الاضحى وعبد الرحمن مرتب خيله ورجله وعبر النهر فى أصحابه ليلا ونشب القتال ليلة الاضحى وصبر الفريقان الى ان ارتفع النهار وركب عبد الرحمن على بغل لئلا يظن الناس انه يهرب فلما رأوه كذلك سكنت نفوسهم وأسرع القتل فى أصحاب يوسف وانهزم وبقى الصميل يقاتل مع عصابة من عشيرته ثم انهزموا فظفر عبد الرحمن ولما انهزم يوسف أتى ماردة وأتى عبد الرحمن قرطبة فاخرج حشم يوسف من القصر على عودة ودخله بعد ذلك ثم سار فى طلب يوسف فلما أحس به يوسف خالفه الى قرطبة فدخلها وملك قصرها فاخذ جميع أهله وماله ولحق بمدينة البيرة وكان الصميل لحق بمدينة شوذر وورد الى عبد الرحمن الخبر فرجع الى قرطبة طمعا فى لحاقه بها فلما لم يجده عزم على النهوض اليه فسار الى البيرة وكان الصميل قد لحق بيوسف وتجمع لهما هناك جمع فتراسلوا فى الصلح فاصطلحوا على ان ينزل يوسف بامان هو ومن معه وان يسكن مع عبد الرحمن بقرطبة ورهنه يوسف ابنيه أبا الاسود محمدا وعبد الرحمن وسار يوسف مع عبد الرحمن فلما دخل قرطبة تمثل

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا ❊ اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد الجماعات ووافاه جماعة من أهل بيته وكان يدعو للمنصور وقد ذكر أبو جعفران دخول عبد الرحمن كان سنة تسع وثلاثين وقيل سنة ثمان وثلاثين على ماذكرنا وهذا القدر كاف فى ذكر دخوله الاندلس لئلا نخرج عن الذى قصدناه من الاختصار

﴿ذكر حبس عبد الله بن على﴾

ولما عزل سليمان عن البصرة اختفى أخوه عبد الله بن على ومن معه من أصحابه خوفا من المنصور فبلغ ذلك المنصور فارسل الى سليمان وعيسى ابنى على بن عبد الله بن عباس فى اشخاص عبد الله وأعطاهما الامان لعبد الله وعزم عليهما ان يفعلا فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وقواده ومواليه حتى قدموا على المنصور فى ذى الحجة فلما قدموا عليه أذن لسليمان وعيسى فدخلا عليه وأعلماه حضور عبد الله وسألاه الاذن له فاجابهما الى ذلك وشغلهما بالحديث وكان قد هيأ لعبد الله مكانا فى قصره فامر به ان يصرف اليه بعد دخول سليمان وعيسى ففعل به ذلك ثم نهض المنصور وقال لسليمان وعيسى خذا عبد الله معكما فلما خرجا لم يجدا عبد الله فعلما أنه قد حبس فرجعا الى المنصور فمنعا عنه وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحابه وحبسوا وقد كان خفاف بن منصور حذرهم ذلك وندم على مجيئه معهم وقال ان اطعتمونى شددنا شدة واحدة على أبى جعفر فوالله لا يحول بينه وبيننا حائل حتى نأتى عليه ولا يعرض لنا أحد الا قتلناه ونجو بانفسنا فعصوه فلما أخذت سيوفهم وحبسوا جعل خفاف يضرط فى لحية نفسه ويتفل فى وجوه أصحابه ثم أمر المنصور بقتل بعضهم بحضرته وبعث الباقين الى أبى داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

عزل سليمان بن على عن امارة البصرة وقيل سنة أربعين واستعمل عليها سفيان بن معاوية فى رمضان وحج بالناس هذه السنة العباس بن محمد بن على وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحرثى وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية وعلى قضائها سوار ابن عبد الله وعلى خراسان أبو داود وفيها مات عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصارى وقيل سنة احدى

سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء أول من قتلوا ظلما فى الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم ابن جبلة العبدى وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير فى الصلاة بالناس ثم اتفقوا على أن يصلى بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما فى خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى أن اتفقا على ما وصفنا وسار على من المدينة بعد أربعة أشهر وقيل غير ذلك فى سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الانصارى فانتهى الى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان على أرادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق فى طلبهم ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيئ ستمائة راكب وكاتب على من الربذة أبا موسى الاشعرى ليستنفر الناس فثبطهم أبو موسى وقال انما هى فتنة فنمى ذلك الى على فولى على الكوفة قرظة بن كعب الانصارى وكتب الى أبى موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فما هذا أول

وأربعين وفيها مات العلى بن عبد الرحمن مولى الحرقة ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن أبى صعصعة المازنى ويزيد بن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى وكان موته بالاسكندرية

﴿ثم دخلت سنة أربعين ومائة﴾

﴿ذكر هلاك أبى داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار﴾

وفى هذه السنة هلك أبو داود خالد بن ابراهيم الذهلى عامل خراسان وكان سبب هلاكه ان ناسا من الجند ثاروا به وهو بكشماهن ووصلوا الى المنزل الذى هو فيه فأشرف عليهم من الحائط ليلا فوطئ حرف آجرة خارجة وجعل ينادى أصحابه ليعرفوا صوته فانكسرت الآجرة تحته عند الصبح فسقط على الارض فانكسر ظهره فمات عند صلاة العصر فقام عصام صاحب شرطته بعده حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدى عاملا على خراسان فلما قدمها أخذ جماعة من القواد اتهمهم بالدعاء الى ولد على بن أبى طالب منهم مجاشع بن حريث الانصارى عامل بخارا وأبو المغيرة خالد بن كثير مولى بنى تميم عامل قوهستان والحريش بن محمد الذهلى وهو ابن عم أبى داود فقتلهم وحبس جماعة غيرهم وألح على عمال أبى داود فى استخراج ما عندهم من الاموال

﴿ذكر قتل يوسف الفهرى﴾

فى هذه السنة نكث يوسف الفهرى الذى كان أمير الاندلس عهد عبد الرحمن الاموى وكان سبب ذلك ان عبد الرحمن كان يضع عليه من يهينه وينازعه فى أملاكه فاذا أظهر حجة الشريعة لا يعمل بها ففطن لما براد منه فقصد ماردة واجتمع عليه عشرون ألفا فسار نحو عبد الرحمن وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه الى حصن المدور ثم ان يوسف رأى ان يسير الى عبد الملك بن عمر بن مروان وكان واليا على اشبيلية والى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على المدور فسار نحوهما وخرجا اليه فلقياه فاقتتلا قتالا شديدا فصبر الفريقان وانهزم أصحاب يوسف وقتل منهم خلق كثير وهرب يوسف وبقى مترددا فى البلاد فقتله بعض أصحابه فى رجب من سنة اثنتين وأربعين بنواحى طليطلة وحمل رأسه الى عبد الرحمن فنصبه بقرطبة وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذى كان عنده رهينة ونصب رأسه مع رأس أبيه وبقى ابو الاسود بن يوسف عند عبد الرحمن الاموى رهينة وسيأتى ذكره وأما الصميل فانه لما فر يوسف من قرطبة لم يهرب معه فدعاه الامير عبد الرحمن وسأله عنه فقال لم يعلمنى بأمره ولا أعرف خبره فقال لا بد ان تخبر فقال لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه فحبسه مع ابنى يوسف فلما هربا من السجن أنف من الهرب والفرار فبقى فى السجن ثم أدخل اليه بعد ذلك مشيخة مضر فوجدوه ميتا وعنده كاس ونقل فقالوا يا أبا جوشن قد علمنا انك ما شربت ولكن سقيت ودفع الى أهله فدفنوه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة هلك اذفنش ملك جليقية وملك بعده ابنه تدويلية وكان أشجع من أبيه وأحسن سياسة للملك وضبطا له وكان ملك أبيه ثمانى عشرة سنة ولما ملك ابنه قوى أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك وبرطقال وشلمنقة وشمورة وايلة وشقوبية وقشتيالة وكل هذه من الاندلس وفيها سير المنصور عبد الوهاب ابن أخيه ابراهيم الامام والحسن ابن قحطبة فى سبعين ألفا من المقاتلة الى ملطية فنزلوا عليها وعمروا ما كان خربه الروم منها ففرغوا من العمارة فى ستة أشهر وكان للحسن فى ذلك أثر عظيم وأسكنها المنصور أربعة آلاف من الجند وأكثر فيها من السلاح والذخائر وبنى حصن قلوذية ولما سمع ملك الروم بمسير عبد الوهاب

يومنا منك وان لك فيها الهنات وهنيات وسار على بمن معه حتى نزل بذى قار وبعث بابنه الحسن وعمار الى الكوفة يستنفر الناس فسارا عنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلى الطف وأتى الزاوية فخرجت أنظر اليه فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفا معه راية واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدججين فى الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل أبو أيوب الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس أشقر فى نحو ألف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصارى ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة

والحسن الى ملطية سار اليهم فى مائة ألف مقاتل فنزل جيحان فبلغه كثرة المسلمين فعاد عنهم ولما عمرت ملطية عاد اليها من كان باقيا من أهلها وفيها حج المنصور فأحرم من الحيرة فلما قضى حجه توجه الى بيت المقدس وسار منه الى الرقة فقتل بها منصور بن جعونة العامرى وعاد الى هاشمية الكوفة وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرئيل بن يحيى وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل فبنى السور وسماها المعمورة وبنى بها مسجدا جامعا وفرض فيها لألف رجل وأسكنها كثيرا من أهلها وفيها توفى سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة وعمرو بن يحيى بن أبى حسن الانصارى وعمارة بن غزية الانصارى وكان ثقة وأبو العلاء أيوب القصاب وأبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى وهو من متكلمى المعتزلة وأئمتهم وله طائفة تنسب اليه واسماء بن عبيد بن مخارق والدحو برة بن أسماء

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر خروج الراوندية﴾

وفى هذه السنة كان خروج الراوندية على المنصور وهم قوم من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الارواح يزعمون ان روح آدم فى عثمان بن نهيك وان ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرئيل هو الهيثم بن معاوية فلما ظهروا أتوا قصر المنصور فقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم وأخذوا نعشا وحملوا السرير وليس فى النعش أحد ومروا به حتى صاروا على باب السجن فرموا بالنعش وحملوا على الناس ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل فتنادى الناس وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد فخرج المنصور من القصر ماشيا ولم يكن فى القصر دابة فجعل بعد ذلك يربط دابة معه فى القصر فلما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم وتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه وجاء معن بن زائدة الشيبانى وكان مستترا من المنصور بقتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه والمنصور شديد الطلب له وقد بذل فيه مالا كثيرا فلما كان هذا اليوم حضر عند المنصور متلثما وترجل وقاتل قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا وكان المنصور راكبا على بغلة ولجامها بيد الربيع حاجبه فأتى معن وقال تنح فأنا أحق بهذا اللجام منك فى هذا الوقت وأعظم غناء فقال المنصور صدق فادفعه اليه فلم يزل يقاتل حتى تكشفت الحال وظفر بالراوندية فقال له المنصور من أنت قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال آمنك الله على نفسك ومالك وأهلك مثلك يصطنع وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب المنصور وقال أنا اليوم بواب ونودى فى أهل السوق فرموهم وقاتلوهم وفتح باب المدينة فدخل الناس فجاء خازم بن خزيمة فحمل عليهم حتى ألجأهم الى الحائط ثم حملوا عليه فكشفوه مرتين فقال خازم للهيثم بن شعبة اذا كروا علينا فاستبقهم الى الحائط فاذا رجعوا فاقتلهم فحملوا على خازم فاطردلهم وصار الهيثم من ورائهم فقتلوا جميعا وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك فكلمهم فرموه بسهم عند رجوعه فوقع بين كتفيه فمرض أياما ومات منها فصلى عليه المنصور وجعل على حرسه بعده عيسى بن نهيك فكان على الحرس حتى مات فجعل على الحرس أبو العباس الطوسى وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية فلما صلى المنصور الظهر دعا بالعشاء وأحضر معنا ورفع منزلته وقال لعمه عيسى بن على ابن عبد الله بن عباس يا أبا العباس أسمعت بأشد رجل قال نعم قال لو رأيت اليوم معنا لعلمت انه منهم فقال معن والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وانى لوجل القلب فلما رأيت ما عندك من الاستهانة

بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا فى نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لى أبو قتادة بن ربعى ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر فى جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من المهاجرين والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله ابن العباس فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من

بهم وشدة الاقدام عليهم رأيت مالم أره من خلق فى حرب فشد ذلك من قلبى وحمانى على ما رأيت منى وقيل كان معن متخفيا من المنصور لما كان منه من قتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه وكان اختفاؤه عند أبى الخصيب حاجب المنصور وكان على ان يطلب الامان فلما خرجت الراوندية جاء معن فوقف بالباب فسأل المنصور أبا الخصيب من بالباب فقال معن بن زائدة فقال المنصور رجل من العرب شديد النفس عالم بالحرب كريم الحسب أدخله فلما دخل قال ايه يا معن ما الرأى قال الرأى ان تنادى فى الناس فتأمر لهم بالاموال فقال وأين الناس والاموال ومن يقدم على ان يعرض نفسه لهؤلاء العلوج لم تصنع شيأ يا معن الرأى ان أخرج فاقف للناس فاذا رأونى قاتلوا وتراجعوا الى وان أقمت تهاونوا وتخاذلوا فأخذ معن بيده وقال لا أمير المؤمنين اذا والله تقتل الساعة فأنشدك الله فى نفسك فقال له أبو الخصيب مثلها فجذب ثوبه منهما وركب دابته وخرج ومعن آخذ بلجام دابته وأبو الخصيب مع ركابه وأتاه رجل فقتله معن حتى قتل أربعة فى تلك الحالة حتى اجتمع اليه الناس فلم يكن الا ساعة حتى أفنوهم ثم تغيب معن فسأل المنصور عنه أبا الخصيب فقال لا أعلم مكانه فقال المنصور أيظن معن أن لا أغفر ذنبه بعد بلائه أعطه الامان وادخله على فأدخله اليه فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم ولاه اليمن

﴿ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدى اليه﴾

فى هذه السنة خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل خراسان للمنصور وسبب ذلك ان عبد الجبار لما استعمله المنصور على خراسان عمد الى القواد فقتل بعضهم وحبس بعضهم فبلغ ذلك المنصور وأتاه من بعضهم كتاب قد نغل الاديم فقال لابى أيوب ان عبد الجبار قد أفنى شيعتنا وما فعل ذلك الا وهو يريد ان يخلع فقال له اكتب اليه انك تريد غزو الروم فليوجه اليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم ووجوههم فاذا خرجوا منها فابعث اليه من شئت فلا امتنع فكتب المنصور اليه بذلك وأجابه ان الترك قد جاشت وان فرقت الجنود ذهبت خراسان فالقى الكتاب الى أبى أيوب وقال له ما ترى قال قد أمكنك من قياده اكتب اليه ان خراسان أهم الى من غيرها وأنا موجه اليك الجنود ثم وجه اليه الجنود ليكونوا بخراسان فان هم بخلع أخذوا بعنقه فلما ورد الكتاب بهذا على عبد الجبار أجابه ان خراسان لم تكن قط اسوأ حالا منها العام وان دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من الغلاء فلما أتاه الكتاب ألقاه الى أبى أيوب فقال له أبو أيوب قد أبدى صفحته وقد خلع فلا تناظره ووجه المنصور ابنه المهدى وأمره بنزول الرى فسار اليها المهدى ووجه خازم ابن خزيمة بين يديه لحرب عبد الجبار وسار المهدى فنزل نيسابور فلما بلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا الى عبد الجبار وحاربوه وقاتلوه قتالا شديدا فانهزم منهم ولجأ الى معطنة فتوارى فيها فعبر اليه المجشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ فأخذه أسيرا فلما قدم خازم أتاه به فألبسه جبة صوف وحمله على بعير وجعل وجهه مما يلى عجز البعير وحمله الى المنصور ومعه ولده وأصحابه فبسط عليهم العذاب حتى استخرج منهم الاموال ثم أمر فقطعت يدا عبد الجبار ورجلاه وضرب عنقه وأمر بتسيير ولده الى دهلك وهى جزيرة باليمن فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا ثم فودوا بعد ذلك وكان ممن نجا منهم عبد الرحمن بن عبد الجبار صحب الخلفاء ومات أيام الرشيد سنة سبعين ومائة قيل وكان أمر عبد الجبار سنة اثنتين وأربعين فى ربيع الاول وقيل سنة أربعين

﴿ذكر فتح طبرستان﴾

ولما ظفر المهدى بعبد الجبار بغير تعب ولا مباشرة قتال كره المنصور ان تبطل تلك النفقات التى

هذا قيل قثم بن العباس أو سعيد بن العاص ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا أخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على ابن أبى طالب وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والانصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما أظلت والارضين وما أقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتى وبغوا على

أنفق على المهدى فكتب اليه ان يغزو طبرستان وينزل الرى ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود الى الاصبهبذ وكان الاصبهبذ يومئذ محاربا للمصمغان ملك دنباوند معسكرا بازائه فلما بلغه دخول الجنود بلاده ودخول أبى الخصيب سارية قال المصمغان للاصبهبذ متى قهروك صاروا الى فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرف الاصبهبذ الى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وهو الذى يقول فيه بشار

اذا أيقظتك حروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم

وكان عالما ببلاد طبرستان فأخذ الجنود وقصد الرويان وفتحها وأخذ قلعة الطاق وما فيها وطالت الحرب فألح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فأكثر وسار الاصبهبذ الى قلعته فطلب الامان على ان يسلم القلعة بما فيها من الذخائر وكتب المهدى بذلك الى المنصور فوجه المنصور صالحا صاحب المصلى فاحصوا ما فى الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم فمات بها وأخذت ابنته وهى أم ابراهيم بن العباس بن محمد وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا به وبالبحيرة أم منصور بن المهدى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل زياد بن عبيد الله الحرثى عن مكة والمدينة والطائف واستعمل على المدينة محمد ابن خالد بن عبد الله القسرى فى رجب وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكى من أهل خراسان وفيها توفى موسى بن كعب وهو على شرط المنصور وعلى مصر والهند وخليفته على الهند عيينة ابنه وكان قد عزل موسى عن مصر ووليها محمد بن الاشعث ثم عزل ووليها نوفل بن محمد بن الفرات وحج بالناس هذه السنة صالح بن على بن عبد الله بن عباس وهو على الشام وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية وعلى خراسان المهدى وخليفته بها السرى بن عبد الله وعلى الموصل اسمعيل بن على وفيها مات سعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الانصارى وأبان ابن تغلب القارئ

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب﴾

فى هذه السنة خلع عيينة بن موسى بالسند وكان عاملا عليها وسبب خلعه ان أباه كان استخلف المسيب بن زهير على الشرط فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلى من الشرط وخاف ان يحضر المنصور عيينة فيوليه ما كان الى أبيه فكتب اليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب الى نفسه

فارضك أرضك ان تأتنا * تنم نومة ليس فيها حلم

فخلع الطاعة فلما بلغ الخبر الى المنصور سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة ووجه عمر بن حفص ابن أبى صفراء العتكى عاملا على السند والهند فحاربه عيينة فسار حتى ورد السند فغلب عليها

﴿ذكر نكث الاصبهبذ﴾

وفى هذه السنة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولاه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة وروح بن حاتم فأقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال أبو الخصيب فى ذلك فقال لاصحابه اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك به ولحق بالاصبهبذ فقال له فعل بى هذا تهمة منهم لى ان يكون هواى معك واخبره أنه معه وانه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله

ونكثوا بيعتى اللهم احقن دماء المسلمين وبعث اليهم من يناشدهم الله فى الدماء وقال علام يقاتلونى فأبوا الا الحرب فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو الى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل الى على وقالت أمه

يارب ان مسلما أتاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم
وأمه قائمة تراهم

وأمر على رضى الله عنه ان يصافوهم ولا يبدؤهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمى بسهم فقتل فقال على اللهم اشهدوا أعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كففتم عقائلكم فى الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل فى هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشى على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعيننى قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله فى هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أينا الممالئ فى قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل

فى خاصته وألطفه وكان باب حصنهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وكان الاصبهبذ يوكل به ثقات أصحابه نوبا بينهم فلما وثق الاصبهبذ الى أبى الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى أنس به ثم كتب أبو الخصيب الى روح وخازم وألقى الكتاب فى سهم واعلمهم انه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة فى فتح الباب فلما كان تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من فى الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية وأخذوا اسكلة أم ابراهيم بن المهدى وكان مع الاصبهبذ سم فشرب فمات وقد قيل ان ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة

(ذكر عدة حوادث)

وفيها مات سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وهو على البصرة فى جمادى الآخرة وعمره تسع وخمسون سنة وصلى عليه أخوه عبد الصمد وفيها عزل نوفل بن الفرات عن مصر وولها حميد بن قحطبة وحج بالناس اسمعيل بن على بن عبد الله وكان العمال من تقدم ذكرهم وولى المنصور الجزيرة والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد وعزل المنصور عمه اسمعيل بن على عن الموصل فاستعمل عليها مالك بن الهيثم الخزاعى جد احمد بن نصير الذى قتله الواثق وكان خير أمير وفيها مات يحيى بن سعد الانصارى أبو سعيد قاضى المدينة وقيل سنة ثلاث وقيل سنة أربع وأربعين وفيها مات موسى بن عتبة مولى آل الزبير وفيها توفى أيضا عاصم بن سليمان الاحول وقيل سنة ثلاث وأربعين وفيها مات حميد بن أبى حميد طرخان وقيل مهران مولى طلحة بن عبد الله الخزاعى وهو حميد الطويل يروى عن أنس بن مالك وعمره خمس وسبعون سنة

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة)

فى هذه السنة ثار الديلم بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ ذلك المنصور فندب الناس الى قتال الديلم وجهادهم وفيها عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف وولى ذلك السرى بن عبد الله بن الحرث بن العباس وكان على اليمامة فسار الى مكة واستعمل المنصور على اليمامة قثم بن عباس ابن عبد الله وفيها عزل حميد بن قحطبة عن مصر واستعمل عليها نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل واستعمل عليها يزيد بن حاتم وحج بالناس هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله وكان اليه ولاية الكوفة وفيها ثار بالاندلس رزق بن النعمان الغسانى على عبد الرحمن وكان رزق على الجزيرة الخضراء فاجتمع اليه خلق عظيم فسار الى شذونة فملكها ودخل مدينة اشبيلية وعاجله عبد الرحمن فحصره فيها وضيق على من بها فتقربوا اليه بتسليم رزق اليه فقتله فآمنهم ورجع عنهم وفيها مات عبد الرحمن بن عطاء صاحب الشارعة وهى نخل وسليمان بن طرخان التيمى وأشعث بن سوار ومجالد بن سعيد

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة)

فى هذه السنة سير أبو جعفر الناس من الكوفة والبصرة والجزيرة والموصل الى غزو الديلم واستعمل عليهم محمد بن أبى العباس السفاح وفيها رجع المهدى من خراسان الى العراق وبنى بريطة ابنة عمه السفاح وفيها حج المنصور واستعمل على عسكره والحيرة خازم بن خزيمة

(ذكر استعمال رياح بن عثمان المرى على المدينة وأمر محمد بن عبد الله بن الحسن)

وفيها استعمل المنصور على المدينة رياح بن عثمان المرى وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسرى عنها وكان سبب عزله وعزل زياد قبله ان المنصور أهمه أمر محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب وتخلفهما عن الحضور عنده مع من حضره من بنى هاشم عام حج أيام

ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام
وقاتله عندنا من أمر
وتواتر عليه الرمى واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام على رضى الله عنه فقال أيها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله وخرج على بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير اخرج الى فخرج شاكا فى سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحرباه يا اسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له على ويحك يا زبير ما الذى أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله أولانا بدم عثمان أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى بياضة وهو راكب حماره فضحك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت أنت معه فقلت أنت يا رسول الله ما يدع على زهوه فقال لك ليس به زهو أتحبه يا زبير فقلت انى والله لاحبه فقال لك انك والله ستقاتله

السفاح سنة ست وثلاثين وذكر ان محمد بن عبد الله كان يزعم ان المنصور ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر مروان بن محمد فلما حج المنصور سنة ست وثلاثين سأل عنهما فقال له زياد بن عبيد الله الحرثى ما يهمك من أمرهما انا آتيك بهما وكان معه بمكة فرده المنصور الى المدينة فلما استخلف المنصور لم يكن همه الا أمر محمد والمسئلة عنه وما يريد فدعا بنى هاشم رجلا رجلا يسأله سرا عنه فكلهم يقول قد علم انك عرفته يطلب هذا الامر فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافا وما أشبه هذا الكلام الا الحسن بن زيد بن الحسن بن على ابن أبى طالب فانه أخبره خبره وقال له والله ما آمن وثوبه عليك فانه لا ينام عنك فايقظ بكلامه من لا ينام فكان موسى بن عبد الله بن الحسن يقول بعد ذلك اللهم اطلب حسن بن زيد بدمائنا ثم ألح المنصور على عبد الله بن الحسن فى احضار ابنه محمد سنة حج فقال عبد الله لسليمان بن على بن عبد الله بن عباس يا أخى بيننا من الصهر والرحم ما تعلم فما ترى فقال سليمان والله لكأنى أنظر الى أخى عبد الله بن على حين حال المبنية بينه وبيننا وهو يشير الينا هذا الذى فعلتم بى فلو كان عافيا عفا عن عمه فقبل عبد الله رأى سليمان وعلم أنه قد صدقه ولم يظهر ابنه ثم ان المنصور اشترى رقيقا من رقيق الاعراب وأعطى الرجل منهم البعير والرجل البعيرين والرجل الذود وفرقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة وكان الرجل منهم يرد الماء كالمار وكالضال يسألون عنه وبعث المنصور عينا آخر وكتب معه كتابا على ألسن الشيعة الى محمد يذكرون طاعتهم ومسارعتهم وبعث معه بمال وألطاف وقدم الرجل المدينة فدخل على عبد الله بن الحسن فسأله عن ابنه محمد فذكر له فكتم له خبره فتردد الرجل اليه وألح فى المسئلة فذكر أنه فى جبل جهينة فقال له امرر بعلى ابن الرجل الصالح الذى يدعى الاغر وهو بذى الابر فهو يرشدك فاتاه فارشده وكان للمنصور كاتب على سره يتشيع فكتب الى عبد الله بن الحسن يخبره بذلك العين فلما قدم الكتاب ارتاعوا له وبعثوا أبا هبار الى محمد والى على بن الحسن يحذرهما الرجل فخرج أبو هبار فنزل بعلى بن الحسن وأخبره ثم سار الى محمد بن عبد الله فى موضعه الذى هو به فاذا هو جالس فى كهف ومعه جماعة من أصحابه وذلك العين معهم أعلاهم صوتا وأشدهم انبساطا فلما رأى أبا هبار خافه فقال أبو هبار لمحمد لى حاجة فقام معه وأخبره الخبر قال فما الرأى قال أرى احدى ثلاث قال وما هى قال تدعنى أقتل هذا الرجل قال ما أنا مقارف دما الا كرها قال أثقله حديدا وتنقله معك حيث تنقلب قال وهل لنا قرار مع الخوف والاعجال قال نشده ونودعه عند بعض أهلك من جهينة قال هذه اذا فرجعا فلم يريا الرجل فقال محمد أين الرجل قالوا تركوه مهملا وتوارى بهذا الطريق يتوضأ فطلبوه فلم يجدوه فكأن الارض التأمت عليه وسعى على قدميه حتى اتصل بالطريق فمر به الاعراب معهم حمولة الى المدينة فقال لبعضهم فرغ هذه الغرارة فادخلنيها أكن عدلا لصاحبتها ولك كذا وكذا ففعل وحمله حتى أقدمه المدينة ثم قدم على المنصور وأخبره خبره كله ونسى اسم أبى هبار وكنيته وقال وبار فكتب أبو جعفر فى طلب وبار المرى فحمل اليه رجل اسمه وبر فسأله عن قصة محمد فحلف له انه لا يعرف من ذلك شيأ فامر به وضرب سبعمائة سوط وحبس حتى مات المنصور ثم انه أحضر عقبة ابن سلم الازدى فقال أريدك لامر أنا به معنى لم أزل ارتاد له رجلا عسى ان تكونه وان كفيتنيه رفعتك فقال أرجو ان أصدق ظن أمير المؤمنين فى قال فأخف شخصك واستر أمرك وائتنى يوم كذا وكذا فى وقت كذا فأتاه ذلك الوقت فقال له ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتيالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف

وأنت له ظالم فقال الزبير أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت فقال يا زبير ارجع فقال وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذى لا يغسل فقال يا زبير ارجع بالعار قبل ان تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول
اخترت عارا على نار موججة
ما ان يقوم لها خلق من الطين
نادى على بامر لست أجهله
عار لعمرك فى الدنيا وفى الدين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن
بعض هذا الذى قد قلت يكفينى
فقال ابنه عبد الله أين تدعنا فقال يا بنى اذكرنى أبو حسن بأمر كنت قد أنسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال لا والله ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبالجبن تعيرنى لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على افرجوا له فقد هاجوه ثم رجع فشد فى الميسرة ثم رجع فشد فى القلب ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى أتى وادى السباع والاحنف بن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فأتاه آت فقال له هذا الزبير مار فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز

من ألطاف بلادهم فاخرج بكتبي وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكرا بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تعلم حالهم فان كانوا نزعوا عن رأيهم فاحبب والله بهم وأقرب وان كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر فاشخص حتى تلقى عبد الله بن الحسن متقشعا ومتقشفا فان جبهك وهو فاعل فاصبر وعاوده حتى يأنس بك ويلين لك ناحيته فاذا أظهر لك ما قبله فاعجل على فشخص حتى قدم على عبد الله فلقيه بالكتاب فأنكره ونهره وقال ما أعرف هؤلاء القوم فلم يزل يتردد اليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به فسأله عقبة الجواب فقال أما الكتاب فانى لا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فأقرئهم السلام وأعلمهم انى خارج لوقت كذا وكذا ورجع عقبة الى المنصور فأعلمه الخبر فأنشأ المنصور الحج وقال لعقبة اذا لقينى بنو الحسن فيهم عبد الله بن الحسن فأنا مكرمه ورافع مجلسه وداع بالغداء فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائما فانه سيصرف عنك بصره فاستدر حتى تغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم حسبك واياك ان يراك ما دام يأكل فخرج الى الحج فلما لقيه بنو الحسن أجلس عبد الله الى جانبه ثم دعا بالغداء فاصابوا منه ثم رفع فاقبل على عبد الله بن الحسن فقال له قد علمت ما أعطيتنى من العهود والمواثيق أن لا تبغينى بسوء ولا تكيد لى سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين فلحظ المنصور عقبة بن سلم فاستدار حتى وقف بين يدى عبد الله فاعرض عنه فاستدار حتى قام وراء ظهره فغمزه باصبعه فرفع رأسه فملأ عينه منه فوثب حتى قعد بين يدى المنصور فقال أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله قال لا أقالنى الله ان أقلتك ثم أمر بحبسه وكان محمد قد قدم قبل ذلك البصرة فنزلها فى بنى راسب يدعو الى نفسه وقيل نزل على عبد الله بن شيبان أحد بنى مرة بن عبيد ثم خرج منها فبلغ المنصور مقدمه البصرة فسار اليها مجدا فنزل عند الجسر الاكبر فلقيه عمرو بن عبيد فقال له يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا قال لا قال فاقتصر على قولك وانصرف قال نعم وكان محمد قد سار عنها قبل مقدم المنصور فرجع المنصور واشتد الخوف على محمد وابراهيم ابنى عبد الله فخرجا حتى أتيا عدن ثم سارا الى السند ثم الى الكوفة ثم الى المدينة وكان المنصور قد حج سنة أربعين ومائة فقسم أموالا عظيمة فى آل أبى طالب فلم يظهر محمد وابراهيم فسأل أباهما عبد الله عنهما فقال لا علم لى بهما فتغالظا فامصه أبو جعفر المنصور حتى قال له امصص كذا وكذا من أمك فقال يا أبا جعفر بأى أمهاتى تمصنى أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت الحسين بن على أم بأم اسحق بنت طلحة أم بخديجة بنت خويلد لا بواحدة منهن ولكن بالجرباء بنت قسامة بن زهير وهى امرأة من طيئ فقال المسيب بن زهير يا أمير المؤمنين دعنى أضرب عنق ابن الفاعلة فقام زياد ابن عبيد الله فالقى عليه رداءه وقال هبه الى يا أمير المؤمنين فاستخرج لك ابنيه فتخلصه وكان محمد وابراهيم ابنا عبد الله قد تغيبا حين حج المنصور سنة أربعين ومائة عن المدينة وحج أيضا فاجتمعوا بمكة وأرادوا اغتيال المنصور فقال لهم الاشتر عبد الله بن محمد أنا أكفيكموه فقال محمد لا والله لا أقتله أبدا غيلة حتى أدعوه لينقض ما كانوا أجمعوا عليه وكان قد دخل عليهم قائد من قواد المنصور من أهل خراسان اسمه خالد بن حسان يدعى أبا العساكر على ألف رجل فنمى الخبر الى المنصور فطلب فلم يظفر به فظفر باصحابه فقتلهم وأما القائد فانه لحق بمحمد بن عبد الله بن محمد ثم ان المنصور حث زياد بن عبيد الله على طلب محمد وابراهيم فضمن له ذلك ووعده به فقدم محمد المدينة قدمة فبلغ ذلك زيادا فتلطف له وأعطاه الامان على ان يظهر وجهه للناس فوعده محمد ذلك فركب زياد مع المساء ووعد محمد سوق الظهر وركب محمد فتصايح الناس يا أهل المدينة المهدى المهدى فوقف هو

وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمنى أو أؤمك فامه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقد رثته الشعراء وذكرت غدر ابن جرموز به وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقالت

غدر ابن جرموز بفارس بهمة
يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته
لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
هبلتك أمك أن قتلت لمسلما
حلت عليك عقوبة المتعمد
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله
فيمن مضى ممن يروح ويغتدى

وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل انه لم يأت برأسه فقال على سيف طال ما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه الجبن ومصارع السوء وقاتل ابن صفية فى النار فى ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمى

أتيت عليا برأس الزبير
وقد كنت أرجو به الزلفه
فبشر بالنار قبل العيان
وبئس بشارة ذى التحفه
لسيان عندى قتل الزبير
وضرطة عنز بذى الجحفه

ثم نادى على رضى الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد ما الذى أخرجك قال الطلب بدم عثمان قال على قتل الله

وزياد فقال زياد يا أيها الناس هذا محمد بن عبد الله بن الحسن ثم قال له الحق بأى بلاد الله شئت فتوارى محمد وسمع المنصور الخبر فارسل أبا الازهر فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ومائة الى المدينة فامره ان يستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب وان يقبض على زياد وأصحابه ويسير بهم اليه فقدم أبو الازهر المدينة ففعل ما أمره وأخذ زيادا وأصحابه وسار نحو المنصور وخلف زياد فى بيت مال المدينة ثمانين ألف دينار فسجنهم المنصور ثم من عليهم بعد ذلك واستعمل المنصور على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى وأمره بطلب محمد بن عبد الله وبسط يده فى النفقة فى طلبه فقدم المدينة فى رجب سنة احدى وأربعين فاخذ المال ورفع فى محاسبته أموالا كثيرة انفقها فى طلب محمد فاستبطأه أبو جعفر واتهمه فكتب اليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها فطاف ببيوت الناس فلم يجد محمدا فلما رأى المنصور ما قد أخرج من الاموال ولم يظفر بمحمد استشار أبا العلاء رجلا من قيس عيلان فى أمر محمد بن عبد الله وأخيه فقال أرى ان تستعمل رجلا من ولد الزبير أو طلحة فانهم يطلبونهما بذحل ويخرجونهما اليك فقال قاتلك الله ما أجود ما رأيت والله ما خفى على هذا ولكنى أعاهد الله لا انتقم من بنى عمى وأهل بيتى بعدوى وعدوهم ولكنى أبعث عليهم صعلوكا من العرب يفعل بهم ما قلت فاستشار يزيد بن يزيد السلمى وقال له دلنى على فتى عقل من قيس أعينه وأشرفه وأمكنه قال هو سيد اليمن يعنى ابن القشيرى وهو رياح بن عثمان بن حيان المرى فسيره أميرا على المدينة فى رمضان سنة أربع وأربعين وقيل ان رياحا ضمن للمنصور ان يخرج محمدا وابراهيم ابنى عبد الله ان استعمله على المدينة فاستعمله عليها فسار حتى دخلها فلما دخل دار مروان وهى التى كان ينزلها الامراء قال لحاجب كان له يقال له أبو البخترى هذه دار مروان قال نعم قال أما انها محلال مظعان ونحن أول من يظعن منها فلما تفرق الناس عنه قال لحاجبه يا أبا البخترى خذ بيدى ندخل على هذا الشيخ يعنى عبد الله بن الحسن فدخلا عليه فقال رياح أيها الشيخ ان أمير المؤمنين والله ما استعملنى لرحم قريبة ولا ليد سلفت اليه والله لا لعبت بى كما لعبت بزياد وابن القسرى والله لازهقن نفسك أو لتأتينى بابنيك محمد وابراهيم فرفع رأسه اليه وقال نعم أما والله انك لازيرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة قال أبو البخترى فانصرف والله رياح آخذا بيدى أجد برد يده وان رجليه لتخطان الارض مما كلمه قال فقلت له ان هذا ما اطلع على الغيب فقال ايها ويلك فوالله ما قال الا ما سمع فذبح كما تذبح الشاة ثم انه دعا بالقسرى وسأله عن الاموال وضربه وسجنه وأخذ كاتبه رزاما وعاقبه فاكثر وطلب اليه ان يذكر ما أخذ محمد بن خالد من الاموال وهو لا يجيبه فلما طال عليه العذاب أجابه الى ذلك فقال له رياح احضر الرقيعة وقت اجتماع الناس ففعل ذلك فلما اجتمع الناس احضره فقال أيها الناس ان الامير أمرنى ان أرفع على ابن خالد وقد كتبت كتابا خان فيه وانا اشهدكم ان كل ما فيه باطل فامر رياح فضرب مائة سوط ورد الى السجن وجد رياح فى طلب محمد فأخبر انه فى شعب من شعاب رضوى جبل جهينة وهو فى عمل ينبع فامر عامله فى طلب محمد فهرب منه راجلا فافلت وله ابن صغير ولد فى خوفه وهو مع جارية له فسقط من الجبل فتقطع فقال محمد

منخرق السربال يشكو الوجى * تنكبه أطراف مرو حداد
شرده الخوف فازرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

وبينا رياح يسير فى الحرة اذ لقى محمدا فعدل محمد الى بئر هناك فجعل يستقى فقال رياح قاتله الله أعرابيا

أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من بايعنى ثم نكثت وقد قال الله عز وجل ومن نكث فانما ينكث على نفسه فقال أستغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالى رميت ههنا أم ههنا فرماه فى أكحله فقتله فمر به على بعد الوقعة فى موضعه فى قنطرة قرة فوقف عليه فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت فى جبينه
وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول

ندامة ما ندمت وضل حلمى
ولهفى ثم لهف أبى وأمى
ندمت ندامة الكسعى لما
طلبت رضا بنى حزم بزعمى

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكحله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان ابن عبيد الله بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم الله وهو ابن عم أبى بكر الصديق ويكنى أبا محمد

ما أحسن ذراعه

ذكر حبس أولاد الحسن

قد ذكرنا قبل ان المنصور حبسهم وقد قيل أيضا ان رياحا هو الذى حبسهم قال على بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على حضرنا باب رياح فى المقصورة فقال الآذن من كان ههنا من بنى الحسين فليدخل فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان ثم قال من ههنا من بنى الحسن فليدخل فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدادون من باب مروان فدعا بالقيود فقيدهم وحبسهم وكانوا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على والحسن وابراهيم ابنى الحسن بن الحسن وجعفر بن الحسن بن الحسن وسليمان وعبد الله ابنى داود بن الحسن بن الحسن ومحمدا واسمعيل واسحق بنى ابراهيم بن الحسن بن الحسن وعباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على وموسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن فلما حبسهم لم يكن فيهم على بن الحسن بن الحسن بن على العابد فلما كان الغد بعد الصبح واذ قد أقبل رجل متلفف فقال له رياح مرحبا بك ما حاجتك قال جئتك لتحبسنى مع قومى فاذا هو على بن الحسن بن الحسن فحبسه معهم وكان محمد قد أرسل ابنه عليا الى مصر يدعو اليه فبلغ خبره عامل مصر وقيل انه على الوثوب بك والقيام عليك بمن شايعه فقبضه وأرسله الى المنصور فاعترف له وسمى أصحاب أبيه وكان فيمن سمى عبد الرحمن بن أبى الموالى وأبو حنين فضربهما المنصور وحبسهما وحبس عليا فبقى محبوسا الى ان مات وكتب المنصور الى رياح ان يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان المعروف بالديباج وكان أخا عبد الله بن الحسن بن الحسن لان امهما جميعا فاطمة بنت الحسين بن على فأخذه معهم وقيل ان المنصور حبس عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وحده وترك باقى أولاد الحسن فلم يزل محبوسا فبقى الحسن بن الحسن بن الحسن قد نصل خضابه حزنا على أخيه عبد الله وكان المنصور يقول ما فعلت الحادة ومر الحسن بن الحسن بن الحسن على ابراهيم بن الحسن وهو يعلف ابلا له فقال اتعلف ابلك وعبد الله محبوس يا غلام أطلق عقلها فأطلقها ثم صاح فى ادبارها فلم يوجد منها بعير فلما طال حبس عبد الله بن الحسن قال عبد العزيز بن سعيد للمنصور اتطمع فى خروج محمد وابراهيم وبنو الحسن مخلون والله للواحد منهم اهيب فى صدور الناس من الاسد فكان ذلك سبب حبس الباقين

ذكر حملهم الى العراق

ولما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ارسل محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس الى بنى الحسن وهم فى الحبس يسألهم ان يدفعوا اليه محمدا وابراهيم ابنى عبد الله فدخلا عليهم وعبد الله قائم يصلى فأبلغاهم الرسالة فقال الحسن بن الحسن أخو عبد الله هذا عمل ابنى المشؤومة اما والله ما هذا عن رأينا ولا عن ملإ منا ولنا فيه حكم فقال له أخوه ابراهيم علام تؤذى أخاك فى ابنيه وتؤذى ابن أخيك فى أمه ثم فرغ عبد الله من صلاته فأبلغاه الرسالة فقال لا والله لا أرد عليكما حرفا ان أحب ان يأذن لى فألقاه فليفعل فانطلق الرسولان فأبلغا المنصور فقال أيسحرنى لا والله لا ترى عينه عينى حتى يأتينى بابنيه وكان عبد الله لا يحدث أحدا قط الا فتله عن رأيه ثم سار المنصور لوجهه فلما حج ورجع لم يدخل المدينة ومضى الى الربذة فخرج اليه رياح الى الربذة فرده الى المدينة وأمره باشخاص بنى الحسن اليه ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أخو بنى الحسن لامهم فرجع رياح فأخذهم وسار بهم الى الربذة وجعلت القيود والسلاسل فى رجالهم وأعناقهم وجعلهم فى محامل بغير وطاء ولما خرج بهم رياح من المدينة وقف جعفر بن محمد من وراء ستر يراهم ولا يرونه وهو يبكى ودموعه تجرى على لحيته وهو يدعو الله ثم قال والله

وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى انساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر الزبير بوادى السباع وقتل محمد ابن طلحة مع أبيه فى ذلك اليوم ومر به على فقال هذا رجل قتله بره بأبيه وطاعته وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع فى كنيته فقال الواقدى كان يكنى بأبى سليمان وقال الهيثم بن عدى كان يكنى بأبى القاسم وفيه يقول قاتله

وأشعث سجاد بآيات ربه ... قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه ... فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شئ غير أن ليس تابعا ... عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرنى حاميم والرمح شارع ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها فأتاه بعض ولد عقيل وعلى يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له يا عم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وأنت تخفق نعاسا قال اسكت يا ابن اخى فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالى عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية وكان صاحب رايته احمل على القوم فأبطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من الرماة ينتظر

لا يحفظ الله حرمته بعد هؤلاء ولما ساروا كان محمد وابراهيم ابنا عبد الله يأتيان كهيئة الاعراب فيتسايران مع أبيهما ويستأذنان بالخروج ويقول لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك وقال لهما ان منعكما أبو جعفر يعنى المنصور ان تعيشا كريمين فلا يمنعكما ان تموتا كريمين فلما وصلوا الى الربذة أدخل محمد بن عبد الله العثمانى على المنصور وعليه قميص وازار رقيق فلما وقف بين يديه قال ايها يا ديوث قال محمد سبحان الله لقد عرفتنى بغير ذلك صغيرا وكبيرا قال فممن حملت ابنتك رقية وكانت تحت ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وقد أعطيتنى الأيمان ان لا تغشنى ولا تمالئ على عدوا أنت ترى ابنتك حاملا وزوجها غائب وأنت بين ان تكون حانثا أو ديوثا وايم الله انى لاهم برجمها قال محمد أما أيمانى فهى على ان كنت دخلت لك فى أمر غش علمته وأما ما رميت به هذه الجارية فان الله قد أكرمها بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها ولكنى ظننت حين ظهر حملها ان زوجها ألم بها على حين غفلة فاغتاظ المنصور من كلامه وأمر بشق ثيابه عن ازاره فحكى ان عورته قد كشفت ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط فبلغت منه كل مبلغ والمنصور يفترى عليه لا يكنى فأصاب سوط منها وجهه فقال ويحك اكفف عن وجهى فان له حرمة برسول الله صلى الله عليه وسلم فأغرى المنصور فقال للجلاد الرأس الرأس فضرب على رأسه نحوا من ثلاثين سوطا وأصاب احدى عينيه سوط فسالت ثم أخرج وكأنه زنجى من الضرب وكان من أحسن الناس وكان يسمى الديباج لحسنه فلما أخرج وثب اليه مولى له فقال ألا أطرح ردائى عليك قال بلى جزيت خيرا والله انك لمشغوف ازارى أشد على من الضرب وكان سبب أخذه ان رياحا قال للمنصور يا أمير المؤمنين أما أهل خراسان فشيعتك وأما أهل العراق فشيعة آل أبى طالب وأما أهل الشام فوالله ما على عندهم الا كافر ولكن محمد ابن عبد الله العثمانى لو دعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم أحد فوقعت فى نفس المنصور فأمر به فأخذ معهم وكان حسن الرأى فيه قبل ذلك ثم ان أبا عون كتب الى المنصور ان أهل خراسان قد تقاعسوا عنى وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله فأمر المنصور بمحمد بن عبد الله بن عمرو العثمانى فقتل وأرسل رأسه الى خراسان وأرسل معه من يحلف انه رأس محمد بن عبد الله وان أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل قال أخوه عبد الله بن الحسن انا لله وانا اليه راجعون ان كنا لنأمن به فى سلطانهم ثم قد قتل بنا فى سلطاننا ثم ان المنصور أخذهم وسار بهم من الربذة فمر بهم على بغلة شقراء فناداه عبد الله بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر فأخسأه أبو جعفر وثقل عليه ومضى فلما قدموا الى الكوفة قال عبد الله لمن معه أما ترون فى هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية قال فلقيه الحسن وعلى ابنا أخيه مشتملين على سيفين فقالا له قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذى تريد قال قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا فى هؤلاء شيأ فانصرفا ثم ان المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقى الكوفة وأحضر المنصور محمد بن ابراهيم بن الحسن وكان أحسن الناس صورة فقال له أنت الديباج الاصغر قال نعم قال لاقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا ثم أمر به فبنى عليه اسطوانة وهو حى فمات فيها وكان ابراهيم بن الحسن أول من مات منهم ثم عبد الله بن الحسن فدفن قريبا من حيث مات فان يكن فى القبر الذى يزعم الناس انه قبره والا فهو قريب منه ثم مات على بن الحسن وقيل ان المنصور أمر بهم فقتلوا وقيل بل أمر بهم فسقوا السم وقيل وضع المنصور على عبد الله من قال له ان ابنه محمدا قد خرج فقتل فانصدع قلبه فمات والله أعلم ولم ينج منهم الا سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن على واسحق واسمعيل ابنا ابراهيم بن الحسن بن الحسن وجعفر بن الحسن وانقضى أمرهم

نفاد سهامهم فأتاه على فقال هلا حملت فقال لا أجد متقدما الا على سهم أو سنان وانى لمنتظر نفاد سهامهم وأحمل فقال احمل بين الاسنة فان للموت عليك جنة فحمل محمد فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فأتاه على فضربه بقائم سيفه وقال أدركك عرق من أمك وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وطافت بنو أمية بالجمل وأقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل ... عثمان ردوه بأطراف الاسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة منهم كعب ابن سور القاضى متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام وقال انا الغلام الضبى ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده على تخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبى بكر فادخل يده فقالت من أنت قال أقرب الناس قرابة وأبغضهم اليك أنا محمد أخوك يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شئ قالت ما أصابنى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان على مكة هذه السنة السرى بن عبد الله وعلى المدينة رياح بن عثمان وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية وعلى مصر يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب بن أبى صفرة وهو الذى قال فيه يزيد بن ثابت يمدحه ويهجو يزيد بن أسيد السلمى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

فى أبيات كثيرة وكان محمد حاجوادا وفيها ثار هشام بن عذرة الفهرى وهو من بنى عمرو ويوسف ابن عبد الرحمن الفهرى بطليطلة على الامير عبد الرحمن الاموى فاتبعه من فيها فسار اليه عبد الرحمن فحاصره وشدد عليه الحصار فمال الى الصلح وأعطاه ابنه أفلح رهينة فأخذه عبد الرحمن ورجع الى قرطبة فرجع هشام وخلع عبد الرحمن فعاد اليه عبد الرحمن وحاصره ونصب عليه المجانيق فلم يؤثر فيها لحصانتها فقتل أفلح ابنه ورمى رأسه فى المنجنيق ورحل الى قرطبة ولم يظفر بهشام وفيها مات عبد الله بن شبرمة وعمرو بن عبيد المعتزلى وكان زاهدا ويزيد بن أبى مريم مولى سهل بن الحنظلية وعقيل بن خالد الايلى صاحب الزهرى وكان موته بمصر فجأة ومحمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى أبو الحسن المدنى وهاشم بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص المدنى (بريد بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وعقيل بضم العين المهملة وفتح القاف

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن﴾

فى هذه السنة كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة وقيل رابع عشر شهر رمضان قد ذكرنا فيما تقدم أخباره وتبعته وحمل المنصور أهله الى العراق فلما حملهم وسار بهم رد رياحا الى المدينة أميرا عليها فالح فى طلب محمد وضيق عليه وطلبه حتى سقط ابنه فمات وأرهقه الطلب يوما فتدلى فى بئر بالمدينة يناول أصحابه الماء وانغمس فى الماء الى حلقه وكان بدنه لا يخفى لعظمه وبلغ رياحا خبر محمد وانه بالمذار فركب نحوه فى جنده فتنحى محمد عن طريقه واختفى فى دار الجهنية فحيث لم يره رياح رجع الى دار مروان وكان الذى أعلم رياحا سليمان بن عبد الله بن أبى سبرة فلما اشتد الطلب بمحمد خرج قبل وقته الذى واعد أخاه ابراهيم على الخروج فيه وقيل بل خرج محمد لميعاده مع أخيه وانما أخوه تأخر لجدرى لحقه وكان عبيد الله بن عمرو بن أبى ذئب وعبد الحميد بن جعفر يقولان لمحمد بن عبد الله ما تنتظر بالخروج فوالله ما على هذه الامة أشأم منك اخرج ولو وحدك فتحرك بذلك أيضا وأتى رياحا الخبر ان محمدا خارج الليلة فأحضر محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد قاضى المدينة والعباس بن عبد الله بن الحرث بن العباس وغيرهما عنده فصمت طويلا ثم قال لهم يا أهل المدينة أمير المؤمنين يطلب محمدا فى شرق الارض وغربها وهو بين اظهركم واقسم بالله لئن خرج لاقتلنكم أجمعين وقال لمحمد بن عمران أنت قاضى أمير المؤمنين فادع عشيرتك فارسل فجمع بنى زهرة فارسل فجاؤا فى جمع كثير فاجلسهم بالباب فارسل فأخذ نفرا من العلويين وغيرهم فيهم جعفر بن محمد بن على ابن الحسين والحسين بن على بن الحسين بن على والحسن بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن على ورجال من قريش فيهم اسمعيل بن أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة وابنه خالد فبينماهم عنده اذ ظهر محمد فسمعوا التكبير فقال ابن مسلم بن عقبة المرى اطعنى فى هؤلاء واضرب أعناقهم فقال له الحسين بن على بن الحسين بن على والله ما ذاك اليك انا لعلى السمع والطاعة وأقبل محمد من

الاسهم لم يضرنى فجاء على حتى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال يا حميراء رسول الله أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقرى فى بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك اذ صانوا عقائلهم وأبرزوك وأمر أخاها محمدا فأنزلها فى دار صفية بنت الحرث بن أبى طلحة العبدى وهى أم طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعى وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهم يجولون وابن الزبير ينادى

اقتلونى ومالكا

واقتلوا مالكا معى

فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى على فقال يا أمير المؤمنين لا تنكس اليوم رأس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال اطعنهم طعن أبيك تحمد

لا خير فى حرب اذا لم توقد

بالمشرفى والقنا المسرد

ثم استسقى فأتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفى وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يابنى ما حلا بصدر عمك شئ قط من أمر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة

المذار فى مائة وخمسين رجلا فاتى فى بنى سلمة بهؤلاء تفاؤلا بالسلامة وقصد السجن فكسر بابه وأخرج من فيه وكان فيهم محمد بن خالد بن عبد الله القسرى وابن أخى النذير بن يزيد ورزام فأخرجهم وجعل على الرجالة خوات بن بكير بن خوات بن جبير وأتى دار الامارة وهو يقول لاصحابه لا تقتلوا الا ان يقتلوا فامتنع منهم رياح فدخلوا من باب المقصورة وأخذوا رياحا أسيرا وأخاه عباسا وابن مسلم بن عقبة المرى فحبسهم فى دار الامارة ثم خرج الى المسجد فصعد المنبر فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه قد كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبى جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندة لله فى ملكه وتصغير الكعبة الحرام وانما أخذ الله فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى وان احق الناس بالقيام فى هذا الدين ابناء المهاجرين والانصار المواسين اللهم انهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك وأمنوا من أخفت وأخافوا من أمنت اللهم فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا أيها الناس انى والله ما خرجت بين أظهركم وأنتم عندى أهل قوة ولا شدة ولكنى اخترتكم لنفسى والله ما جئت هذه وفى الارض مصر يعبد الله فيه الا وقد أخذ لى فيه البيعة وكان المنصور يكتب الى محمد على ألسن قواده يدعونه الى الظهور ويخبرونه انهم معه فكان محمد يقوله ويقول لو التقينا مال الى القواد كلهم واستولى محمد على المدينة واستعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومى وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراوردى وعلى الشرط أبا القلمس عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وقيل كان على شرطته عبد الحميد بن جعفر فعزله وأرسل محمد الى محمد بن عبد العزيز انى كنت لاظنك ستنصرنا وتقوم معنا فاعتذر اليه وقال افعل ثم انسل منه وأتى مكة ولم يتخلف عن محمد أحد من وجوه الناس الا نفر منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله ابن خالد وأبو سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر وحبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان أهل المدينة قد استفتوا مالك بن أنس فى الخروج مع محمد وقالوا ان فى أعناقنا بيعة لابى جعفر فقال انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فاسرع الناس الى محمد ولزم مالك بيته فارسل محمد الى اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وكان شيخا كبيرا فدعاه الى بيعته فقال يا ابن أخى أنت والله مقتول فكيف أبايعك فارتدع الناس عنه قليلا وكان بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر قد أسرعوا الى محمد فأتت حمادة بنت معاوية الى اسمعيل بن عبد الله وقالت له يا عم ان اخوتى قد اسرعوا الى ابن خالهم وانك ان قلت هذه المقالة ثبطت الناس عنه فيقتل ابن خالى واخوتى فأبى اسمعيل الا النهى عنه فيقال ان حمادة عدت عليه فقتلته فاراد محمد الصلاة عليه فمنعه عبد الله بن اسمعيل وقال أتأمر بقتل أبى وتصلى عليه فنحاه الحرس وصلى عليه محمد ولما ظهر محمد كان محمد بن خالد القسرى بالمدينة فى حبس رياح فاطلقه وقال ابن خالد فلما سمعت دعوته التى دعا اليها على المنبر قلت هذه دعوة حق والله لابلين لله فيها بلاء حسنا فقلت يا أمير المؤمنين انك قد خرجت بهذا البلد والله لو وقف على نقب من انقابه أحد مات أهله جوعا وعطشا فانهض معى فانما هى عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف فابى على فبينا انا عنده اذ قال ما وجدنا من خير المتاع شيأ أجود من شئ وجدناه عند ابن أبى فروة ختن أبى الخصيب وكان انتهبه قال فقلت الا أراك قد أبصرت خير المتاع فكتبت الى المنصور فاخبرته بقلة من معه فاخذنى محمد فحبسنى حتى أطلقنى عيسى بن موسى بعد قتله بايام وكان رجل من آل أويس بن أبى سرح العامرى عامر بن لؤى اسمه الحسين

فى الموضع المعروف بالحريبة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين على حسب ما قدمنا آنفا من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم رقاق واعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله بن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت ابيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى الى على فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك ان ترجعى فأنعمت وأجابت الى الخروج وجهزها على وأتاها فى اليوم الثانى ودخل عليها

ابن صخر بالمدينة لما ظهر محمد سار من ساعته الى المنصور فبلغه فى تسعة أيام فقدم ليلا فقام
على أبواب المدينة فصاح حتى علموا به وأدخلوه فقال الربيع ما حاجتك هذه الساعة وأمير
المؤمنين نائم قال لا بد لى منه فدخل الربيع على المنصور فأخبره خبره وانه قد طلب مشافهته
فاذن له فدخل عليه فقال يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينة قال قتلته والله ان كنت
صادقا أخبرنى من معه فسمى له من معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته قال أنت رأيته وعاينته
قال أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فادخله أبو جعفر بيتا فلما
أصبح جاء رسول لسعيد بن دينار غلام عيسى بن موسى يلى أمواله بالمدينة فاخبره بأمر محمد وتواترت
عليه أخباره فاخرج الاويسى فقال لاوطئن الرجال عقبيك ولا عينك فأمر له بتسعة آلاف
درهم لكل ليلة ألف درهم واشفق من محمد فقال له الحرثى المنجم يا أمير المؤمنين ما يجزعك منه
والله لو ملك الارض ما لبث الا تسعين يوما فارسل المنصور الى عمه عبد الله بن على وهو محبوس
ان هذا الرجل قد خرج فان كان عندك رأى فاشر به علينا وكان ذا رأى عندهم فقال ان المحبوس
محبوس الرأى فارسل اليه المنصور لو جاءنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك وأنا خير لك منه وهو
ملك أهل بيتك فاعاد عليه عبد الله ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة فاجثم على أكتافهم فانهم
شيعة أهل هذا البيت وأنصاره ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها الى وجه من الوجوه أو أتاها من
وجه من الوجوه فاضرب عنقه وابعث الى مسلم بن قتيبة يتحدر اليك وكان بالرى واكتب الى أهل
الشام فمرهم ان يحملوا اليك من أهل البأس والنجدة ما حمل البريد فاحسن جوائزهم ووجههم
مع سلم ففعل وقيل أرسل المنصور الى عبد الله مع اخوته يستشيرونه فى أمر محمد وقال لهم لا يعلم
عبد الله انى أرسلتكم اليه فلما دخلوا عليه قال لامر ما جئتم ما جاء بكم جميعا وقد هجرتمونى مذ دهر
قالوا انا استأذنا أمير المؤمنين فاذن لنا قال ليس هذا بشئ فما الخبر قالوا خرج محمد بن عبد الله قال
فما ترون ابن سلامة صانعا يعنى المنصور قالوا لا ندرى والله قال ان البخل قد قتله فمروه فليخرج
الاموال وليعط الاجناد فان غلب فما أسرع ما يعود اليه ماله وان غاب لم يقدم صاحبه على
دينار ولا درهم ولما ورد الخبر على المنصور بخروج محمد كان المنصور قد خط مدينة بغداد بالقصب
فسار الى الكوفة ومعه عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن المدان فقال له المنصور ان محمدا قد خرج
بالمدينة فقال عبد الله هلك وأهلك خرج فى غير عدد ولا رجال حدثنى سعيد بن عمرو بن جعدة
المخزومى قال كنت مع مروان يوم الزاب واقفا فقال لى مروان من هذا الذى يقاتلنى قلت عبد الله
ابن على بن عبد الله بن عباس قال وددت والله ان على بن أبى طالب يقاتلنى مكانه ان عليا وولده
لا حظ لهم فى هذا الامر وهل هو الا رجل من بنى هاشم وابن عم رسول الله معه ريح الشام ونصر
الشام يا ابن جعدة تدرى ما حملنى ان عقدت لعبد الله وعبيد الله بعدى وتركت عبد الملك وهو
أكبر من عبيد الله قال ابن جعدة لا قال وجدت الذى يلى هذا الامر عبد الله وعبيد الله وكان عبيد
الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك فعقدت له فاستحلفه المنصور على صحة ذلك فحلف له فسرى عنه
ولما بلغ المنصور خبر ظهور محمد قال لابى أيوب وعبد الملك هل من رجل تعرفانه بالرأى يجمع رأيه
الى رأينا قالا بالكوفة بديل بن يحيى وكان السفاح يشاوره فارسل اليه وقال له ان محمدا قد ظهر
بالمدينة قال فاشحن الاهواز بالجنود قال انه ظهر بالمدينة قال قد فهمت وانما الاهواز الباب الذى
تؤتون منه فلما ظهر ابراهيم بالبصرة قال له المنصور ذلك قال فعاجله بالجنود واشغل الاهواز
عليه وشاور المنصور أيضا جعفر بن حنظلة البهرانى عند ظهور محمد فقال وجه الجنود الى البصرة

ومعه الحسن والحسين وباقى
أولاده وأولاد اخوته وفتيان
أهله من بنى هاشم وغيرهم
من شيعته من همدان فلما
بصرت به النسوان صحن فى
وجهه وقلن يا قاتل الاحبة
فقال لو كنت قاتل الاحبة
لقتلت من فى هذا البيت واشار
الى بيت من تلك البيوت قد
اختفى فيه مروان بن الحكم
وعبد الله بن الزبير وعبد الله
ابن عامر وغيرهم فضرب من
كان معه بأيديهم الى قوائم
سيوفهم لما علموا من فى البيت
مخافة ان يخرجوا فيغتالوهم
فقالت لهم عائشة بعد خطب
طويل كان بينهما انى أحب
ان أقيم معك فاسير الى قتال
عدوك عند سيرك فقال بل
ارجعى الى البيت الذى تركك
فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسألته ان يؤمن ابن
أختها عبد الله بن الزبير فأمنه
وتكلم الحسن والحسين فى
مروان فأمنه وآمن الوليد
ابن عقبة وولد عثمان وغيرهم
من بنى أمية وأمن الناس
جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة
من ألقى سلاحه فهو آمن ومن
دخل داره فهو آمن واشتد
حزن على على من قتل من
ربيعة قبل ورود البصرة وهم
الذين قتلهم طلحة والزبير من
عبد القيس وغيرهم من ربيعة
وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان
قتله فى ذلك اليوم عمرو بن سبرة
ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن
سبرة فى ذلك اليوم أيضا وكان

قال انصرف حتى أرسل اليك فلما صار ابراهيم الى البصرة أرسل اليه فقال له ذلك فقال انى
خفت بادرة الجنود قال وكيف خفت البصرة قال لان محمدا ظهر بالمدينة وليسوا أهل الحرب
بحسبهم ان يقيموا شأن أنفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك وأهل الشام أعداء آل أبى طالب فلم
يبق الا البصرة ثم ان المنصور كتب الى محمد بسم الله الرحمن الرحيم انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
أو ينفوا من الارض الآيتين ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله ان أؤمنك وجميع ولدك
واخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوغك ما أصبت من دم أو مال
وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وان أطلق من
فى حبسى من أهل بيتك وان أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل فى شئ من أمرك ثم
لا أتبع أحدا منهم بشئ كان منه أبدا فان أردت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من أحببت يأخذ
لك منى الامان والعهد والميثاق ما تتوثق به والسلام فكتب اليه محمد طسم تلك آيات الكتاب
المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى يحذرون وأنا أعرض عليك من
الامان مثل ما عرضت على فان الحق حقنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم له بشيعتنا
وحظيتم بفضله فان أبانا عليا كان الوصى وكان الامام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ثم قد
علمت أنه لم يطلب الامر أحد مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا لسنا من أبناء اللعناء
ولا الطرداء ولا الطلقاء وليس يمت أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة
والفضل وانا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية وبنو بنته فاطمة
فى الاسلام دونكم ان الله اختارنا واختار لنا فوالدنا من النبيين محمد أفضلهم ومن السلف أولهم
اسلاما على ومن الازواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى الى القبلة ومن البنات
خيرهن فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة ومن المولودين فى الاسلام حسن وحسين سيدا
شباب أهل الجنة وان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين وانى أوسط بنى هاشم نسبا وأصرحهم أبا
لم تعرف فى العجمة ولم تنازع فى أمهات الاولاد فما زال يختار لى الآباء والامهات فى الجاهلية
والاسلام حتى يختار لى فى الاشرار فانا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة وأهونهم عذابا فى النار
ولك الله على ان دخلت فى طاعتى وأجبت دعوتى أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر
أحدثته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمنى من ذلك وأنا أولى بالامر
منك وأوفى بالعهد لانك أعطيتنى من الامان والعهد ما أعطيته رجالا قبلى فاى الامانات تعطينى
أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن على أم أمان أبى مسلم فلما ورد كتابه على المنصور قال له
أبو أيوب الورنانى دعنى أجيبه عليه قال لا اذا تقارعنا على الاحساب فدعنى واياه ثم كتب اليه
المنصور بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغنى كلامك وقرأت كتابك فاذا جل فخرك بقرابة
النساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والاولياء
لان الله جعل العم أبا وبدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا ولو كان اختار الله لهن على قدر قرابتهن
كانت آمنة أقربهن رحما وأعظمهن حقا وأولى من يدخل الجنة ولكن اختار الله لخلقه على
علمه فيما مضى منهم واصطفائه لهم وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب وولادتها فان الله لم
يرزق أحدا من ولدها الاسلام لا بنتا ولا ابنا ولو ان رجلا رزق الاسلام بالقرابة رزقه عبد الله

على يكثر من قوله
يا لهف نفسى على ربيعة
ربيعة السامعة المطيعة
وخرجت امرأة من عبد القيس
تطوف القتلى فوجدت ابنين
لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها
واخوان لها فيمن قتل قبل
مجئ على البصرة فانشأت تقول
شهدت الحروب فشيبننى
فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة
واقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة فى بيتها
وليتك عسكر لم ترتحل
وقد ذكر المدائنى أنه رأى
بالبصرة رجلا مصطلم الاذن
فسأله عن قصته فذكر انه خرج
يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر
الى رجل منهم يخفض رأسه
ويرفعه وهو يقول
لقد أوردتنا حومة الموت أمنا
فلم ننصرف الا ونحن رواء
أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا
وما تيم الا أعبد واماء
فقلت سبحان الله أتقول هذا
عند الموت قل لا اله الا الله فقال
يا ابن اللخناء اياى تأمر بالجزع
عند الموت فوليت عنه متعجبا
منه فصاح بى ادن منى لقنى
الشهادة فصرت اليه فلما
قربت منه استدنانى ثم التقم
أذنى فذهب بها فجعلت ألعنه
وأدعو عليه فقال اذا صرت الى
امك فقالت من فعل هذا بك
فقل عمير بن الاهلب الضبى
مخدوع المرأة التى أرادت أن
تكون أمير المؤمنين وخرجت
عائشة من البصرة وقد بعث

ولكان أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء قال الله تعالى انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ولقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة فانزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الاقربين فانذرهم ودعاهم فاجاب اثنان أحدهما أبي وأبى اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينه وبينهما الا ولا ذمة ولا ميراثا وزعمت انك ابن أخف أهل النار عذابا وابن خير الاشرار وليس في الكفر بالله صغير ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله ان يفخر بالنار وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا الآية وأما أمر حسن وان عبد المطلب ولده مرتين وان النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة ولا عبد المطلب الا مرة وزعمت انك أوسط بني هاشم وأصرحهم أما وأبا وأنه لم يلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا فانظر ويحك أين أنت من الله غدا فانك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفسا وأبا وأولادا وأخا ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات الاولاد وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين وهو لام ولد ولهو خير من جدك حسن بن حسين وما كان فيكم بعده مثل محمد بن علي وجدته أم ولد ولهو خير من أبيك ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد وهو خير منك وأما قولك انكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يقول في كتابه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكنكم بنو بنته وانها القرابة قريبة ولكنها لا يجوز لها الميراث ولا ترث الولاية ولا يجوز لها الامامة فكيف تورث بها ولقد طلبها أبوك بكل وجه فاخرج فاطمة نهارا ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا الشيخين ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها من المسلمين ان الجد أبا الام والخال والخالة لا يورثون وأما ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة فامر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه وكان في الستة فتركوه كلهم دفعا له عنها ولم يروا له حقا فيها وأما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وهو له متهم وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته فاغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل الحكومة ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهد الله وميثاقه فاجتمعا على خلعه ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير ولاية ولا حله فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم بلا وطاء في المحامل كالسبي المجلوب الى الشام حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم وسنينا سلفكم وفضلناه فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت انا انما ذكرنا أباك للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر وليس ذلك كما ظننت ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلما منهم مجتمعا عليهم بالفضل وابتلى أبوك بالقتال والحرب وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا وذكرناهم فضله وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه فلقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين أخوته فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر فلم نزل

نلها

معها على أخاها عبد الرحمن ابن أبي بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما ألبسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة أنكن نسوة كأنكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحماها فلما أتت المدينة قيل لها كيف رأيت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد أعطى علي بن أبي طالب فاكثر ولكنه بعث معي رجالا فعرفها النسوة أمرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن أبي طالب الا كرما ووددت أني لم أخرج وان أصابتني كيت وكيت من أمور ذكرتها وانما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن الذي قتل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقيل غير ذلك ووقف علي على عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت أنفي فقال له الاشتر ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لي انه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك وأصيب كف ابن

عتاب بمنى ألقاها عقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام ودخل على بيت مال الكوفة في جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول يا صفراء غري غيري وأدام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر ألفا وقبض ما كان في عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه وأخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله خمسمائة درهم فأتاه رجل من أصحابه فقال يا أمير المؤمنين اني لم آخذ شيئا وخلفني عن الحضور كذا وأدلى بعذر فأعطاه الخمسمائة التي كانت له وقيل لابي لبيد الجهضمي من الازد أتحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزي أحدا واشتغل أهل كل بيت بمن لهم وولى علي على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن قيس يعزله عن اذربيجان وأرمينية وكان عاملا لعثمان فكان في نفس الاشعث على علي ما ذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك

نلها في الجاهلية والاسلام ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر الى ربه ولم يتقرب اليه الا بأبينا حتى يغيثهم الله فسقاهم الغيث وأبوك حاضر لم يتوسل به ولقد علمت انه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره فكانت وراثته من عمومته ثم طلب هذا الامر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا اسلام في الدنيا والآخرة الا والعباس وارثه ومورثه وأما ما ذكرت من بدر فان الاسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للازمة التي أصابته ولولا ان العباس أخرج الى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعا وللحسا جفان عتبة وشيبة ولكنه كان من المطعمين فاذهب عنكم العار والسبة وكفاكم النفقة والمؤنة ثم فدى عقيلا يوم بدر فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر وفديناكم وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثناكم خاتم الانبياء وطلبنا بثأركم فادركنا منه ما عجزتم عنه ولم تدركوا لانفسكم والسلام عليكم ورحمة الله فكان محمد قد استعمل محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على مكة والقاسم بن اسحق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشام فاما محمد بن الحسن والقاسم فسارا الى مكة فخرج اليهما السري بن عبد الله عامل المنصور على مكة فلقيهما ببطن اذاخر فهزماه ودخل محمد مكة وأقام بها يسيرا فأتاه كتاب محمد بن عبد الله يأمره بالمسير اليه فيمن معه ويخبره بمسير عيسى بن موسى اليه لمحاربته فسار اليه من مكة هو والقاسم فبلغه بنواحي قديد قتل محمد فهرب هو وأصحابه وتفرقوا فلحق محمد بن الحسن بابراهيم فأقام عنده حتى قتل ابراهيم واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له ابنة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر امرأة عيسى الامان له ولاخوته معاوية وغيره وأما موسى بن عبد الله فسار نحو الشام ومعه رزام مولى محمد بن خالد القسري فانسل منه رزام تيمنا وسار الى المنصور برسالة من مولاه محمد القسري فظهر محمد بن عبد الله على ذلك فحبس محمدا القسري ووصل موسى الى الشام فرأى منهم سوء رد عليه وغلظة فكتب الى محمد أخبرك أني لقيت الشام وأهله فكان أحسنهم قولا الذي قال والله لقد مللنا البلاء وضقنا حتى ما فينا لهذا الامر موضع ولا لنا به حاجة ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا وأمسينا من غد ليرفعن أمرنا فكتبت اليك وقد غيبت وجهي وخفت على نفسي ثم رجع الى المدينة وقيل أتى البصرة وأرسل صاحبا له يشتري له طعاما فاشتراه وجاء به على حمار أسود فادخله الدار التي سكنها وخرج فلم يكن بأسرع من ان كبست الدار وأخذ موسى وابنه عبد الله وغلامه فأخذوا وحملوا الى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس فلما رأى موسى قال لا قرب الله قرابتكم ولا حيا وجوهكم تركت البلاد كلها الا بلدا أنا فيه فان وصلت أرحامكم أغضبت أمير المؤمنين وان أطعته قطعت أرحامكم ثم أرسلهم الى المنصور فأمر فضرب موسى وابنه كل واحد خمسمائة سوط فلم يتأوهوا فقال المنصور اعذرت أهل الباطل في صبرهم فما بال هؤلاء فقال موسى أهل الحق أولى بالصبر ثم أخرجهم وأمر بهم فحبسوا (خبيب بن ثابت بالخاء المعجمة المضمومة وبياءين موحدتين وبينهما ياء مثناة من تحتها)

(ذكر مسير عيسى بن موسى الى محمد بن عبد الله وقتله)

ثم ان المنصور أحضر ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأمره بالمسير الى المدينة لقتال محمد فقال شاور عمومتك يا أمير المؤمنين ثم قال فأين قول ابن هرمة

تزور امرأ لا يمحض القوم سره * ولا ينتجي الادنين عما يحاول
اذا ما أتى شيأ مضى كالذي أتى * وان قال اني فاعل فهو فاعل

فقال المنصور امض أيها الرجل فوالله ما يراد غيرى وغيرك وما هو الا ان تشخص أنت أو أشخص انا فسار وسير معه الجنود وقال المنصور لما سار عيسى لا أبالى أيهما قتل صاحبه وبعث معه محمد بن أبى العباس السفاح وكثير بن حصين العبدى وابن قحطبة وهزارمرد وغيرهم وقال له حين ودعه يا عيسى انى ابعثك الى ما بين هذين واشار الى جنبيه فان ظفرت بالرجل فاغمد سيفك وابذل الامان وان تغيب فضمنهم اياه فانهم يعرفون مذاهبه ومن لقيك من آل أبى طالب فاكتب الى باسمه ومن لم يلقك فاقبض ماله وكان جعفر الصادق تغيب عنه فقبض ماله فلما قدم المنصور المدينة قال له جعفر فى معنى ماله فقال قبضه مهديكم فلما وصل عيسى الى فيد كتب الى الناس فى خرق حرير منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومى وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحى وكتب الى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب يأمره بالخروج من المدينة فيمن أطاعه فخرج هو وعمر ابن محمد بن عمر وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل وأبو عيسى ولما بلغ محمدا قرب عيسى من المدينة استشار أصحابه فى الخروج من المدينة أو المقام بها فأشار بعضهم بالخروج عنها وأشار بعضهم بالمقام بها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتنى فى درع حصينة فأولتها المدينة فأقام ثم استشارهم فى حفر خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جابر بن أنس رئيس سليم يا أمير المؤمنين نحن اخوالك وجيرانك وفينا السلاح والكراع فلا تخندق الخندق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خندق خندقه لما الله أعلم به وان خندقته لم يحسن القتال رجالة ولم توجه لنا الخيل بين الازقة وان الذين تخندق دونهم هم الذين يحول الخندق دونهم فقال أحد بنى شجاع خندق خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتد به وتريد أنت أن تدع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك قال انه والله يا ابن شجاع ما شئ أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم وما شئ أحب الينا من مناجزتهم فقال محمد انما اتبعنا فى الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يردنى احد عنه فلست بتاركه وأمر به فحفر وبدأ هو فحفر بنفسه الخندق الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحزاب وسار عيسى حتى نزل الاعوص وكان محمد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون وخطبهم محمد بن عبد الله فقال لهم ان عدو الله وعدوكم قد نزل الاعوص وان أحق الناس بالقيام بهذا الامر لأبناء المهاجرين والانصار الا وانا قد جمعناكم وأخذنا عليكم الميثاق وعدوكم عدد كثير والنصر من الله والامر بيده وانه قد بدا لى أن آذن لكم فمن أحب منكم أن يقيم اقام ومن احب ان يظعن ظعن فخرج عالم كثير وخرج ناس من أهل المدينة بذراريهم واهليهم الى الاعراض والجبال وبقى محمد فى شرذمة يسيرة فأمر أبا القلمس برد من قدر عليه فأعجزه كثير منهم فتركهم وكان المنصور قد ارسل ابن الاصم مع عيسى ينزله المنازل فلما قدموا نزلوا على ميل من المدينة فقال ابن الاصم ان الخيل لا عمل لها مع الرجالة وانى اخاف ان كشفوكم كشفة أن يدخلوا عسكركم فتأخروا الى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرف وهى على أربعة أميال من المدينة وقال لا يهرول الراجل أكثر من ميلين وثلاث حتى يأخذه الخيل وأرسل عيسى خمسمائة رجل الى بطحاء ابن ازهر على ستة أميال من المدينة فأقاموا بها وقال أخاف ان ينهزم محمد فيأتى مكة فيرده هؤلاء فأقاموا بها حتى قتل وارسل عيسى الى محمد يخبره أن المنصور قد أمنه وأهله فأعاد الجواب يا هذا ان لك برسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة وانى ادعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته واحذرك نقمته وعذابه وانى والله ما أنا منصرف عن هذا الامر حتى ألقى الله عليه واياك أن يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل أو تقتله فيكون أعظم لوزرك فلما بلغته الرسالة قال عيسى ليس بيننا وبينه الا القتال وقال محمد للرسول علام تقتلوننى وانما أنا رجل

من الاموال ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى ابعثنى اليه فانه لم يزل لى مستنصحا ووادا فآتيه وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو أهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر لا تبعثه ولا تصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر ما يرجع به الينا فبعث به وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله أن ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ما قدمنا فى صدر هذا الباب فأشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وأن يلزم عليا دم عثمان ويقاتلوه به فقدم جرير على على فأخبره خبرهم واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله وأنهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم فقال الاشتر قد كنت أخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوته وغشه لو بعثتنى لكنت خيرا من هذا الذى أرخى خناقه وأقام حتى لم يدع بابا نرجو منه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعينى جوابهم ولا ثقل على خطابهم

فر من أن يقتل قال القوم يدعونك الى الامان فان أبيت الا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك طلحة والزبير على نكث بيعتهم وكيد ملكه فلما سمع المنصور قوله قال ما سرنى انه قال غير ذلك ونزل عيسى بالجرف لاثنتى عشرة من رمضان يوم السبت فأقام السبت والاحد وغدا يوم الاثنين فوقف على سلع فنظر الى المدينة ومن فيها فنادى يا أهل المدينة ان الله حرم دماء بعضنا على بعض فهلموا الى الامان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن خرج من المدينة فهو آمن خلوا بيننا وبين صاحبنا فامالنا واماله فشتموه وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فرق القواد من سائر جهات المدينة وأخلى ناحية مسجد أبى الجراح وهو على بطحان فانه أخلى تلك الناحية لخروج من ينهزم وبرز محمد فى أصحابه وكانت رايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وكان شعاره أحد أحد فبرز أبو القلمس وهو من أصحاب محمد فبرز اليه أخو أسد فاقتتلوا طويلا فقتله أبو القلمس وبرز اليه آخر فقتله فقال حين ضربه خذها وأنا ابن الفاروق فقال رجل من أصحاب عيسى قتلت خيرا من ألف فاروق وقاتل محمد بن عبد الله يومئذ قتالا عظيما فقتل بيده سبعين رجلا وأمر عيسى حميد بن قحطبة فتقدم فى مائة كلهم راجل سواه فزحفوا حتى بلغوا جدارا دون الخندق عليه ناس من أصحاب محمد فهدم حميد الحائط وانتهى الى الخندق ونصب عليه أبوابا وعبر هو وأصحابه عليها فجازوا الخندق وقاتلوا من ورائه أشد قتال من بكرة الى العصر وأمر عيسى أصحابه فألقوا الحقائب وغيرها فى الخندق وجعل الابواب عليها وجازت الخيل فاقتتلوا قتالا شديدا فانصرف محمد قبل الظهر فاغتسل وتحنط ثم رجع فقال له عبد الله بن جعفر بأبى أنت وأمى والله ما لك بما ترى طاقة فلو أتيت الحسن بن معاوية بمكة فان معه جل أصحابك فقال لو خرجت لقتل أهل المدينة والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل وأنت منى فى سعة فاذهب حيث شئت فمشى معه قليلا ثم رجع عنه وتفرق عنه جل أصحابه حتى بقى فى ثلثمائة رجل يزيدون قليلا فقال لبعض أصحابه نحن اليوم بعدة أهل بدر وصلى محمد الظهر والعصر وكان معه عيسى بن خضير وهو يناشده الا ذهبت الى البصرة أو غيرها ومحمد يقول والله لا تبتلون بى مرتين ولكن اذهب أنت حيث شئت فقال ابن خضير وأين المذهب عنك ثم مضى فأحرق الديوان الذى فيه أسماء من بايعه وأقبل رياح بن عثمان وأخوه عباس بن عثمان وأقبل ابن مسلم بن عقبة المرى ومضى الى محمد بن القسرى وهو محبوس ليقتله فعلم به فردم الابواب دونه فلم يقدر عليه ورجع الى محمد فقاتل بين يديه وتقدم حميد بن قحطبة وتقدم محمد فلما صار بنظر ميل سلع عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخميسيون دوابهم ولم يبق أحد الا كسر جفن سيفه فقال لهم محمد قد بايعتمونى ولست بارحا حتى أقتل فمن أحب أن ينصرف فقد أذنت له واشتد القتال فهزموا أصحاب عيسى مرتين وثلاثا وقال يزيد بن معاوية بن عباس بن جعفر ويل امه فتحا لو كان له رجال فصعد نفر من أصحاب عيسى على جبل سلع وانحدروا منه الى المدينة وأمرت أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بخمار أسود فرفع على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب محمد دخلت المدينة فهربوا فقال يزيد لكل قوم جبل يعصمهم ولنا جبل لا نؤتى الا منه يعنى سلعا وفتح بنو أبى عمرو الغفاريون طريقا فى بنى غفار لاصحاب عيسى ودخلوا منه أيضا وجاؤا من وراء أصحاب محمد ونادى محمد حميد بن قحطبة ابرز الى فانا محمد بن عبد الله فقال حميد قد عرفتك وأنت الشريف ابن الشريف الكريم ابن الكريم لا والله لا أبرز اليك وبين يدى من هؤلاء الاغمار أحد فاذا فرغت منهم فسأبرز اليك وجعل حميد يدعو ابن خضير الى الامان ويشح به على الموت وابن خضير يحمل على الناس راجلا لا يصغى الى

ولحلت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر ولو أطاعنى أمير المؤمنين قبل لحبسك وأشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه ما نزل به وأنه أحب مجاورته والمقام فى داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفى عند منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبى طالب ما كان يقدم من وعده لك فى طلحة والزبير فما الذى بقى فى رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فقال وما هى قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة ابن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية بعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك قال أما طلحة والزبير فسأرى رأيى فيهما وأما معاوية فلا والله لا يرانى الله أستعين به ما دام على أبدا ولكنى أدعوه الى ما عرفته فان أجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال

نصحت عليا فى ابن هند مقالة * فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له أرسل اليه بعهده * على الشام حتى يستقر معاويه
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته

أمانه وهو يأخذه بين يديه فضربه رجل من أصحاب عيسى على أليته فخلاها فرجع الى أصحابه فشدها بثوب ثم عاد الى القتال فضربه انسان على عينه فغاص السيف وسقط فابتدروه فقتلوه وأخذوا رأسه وكأنه باذنجانة مفلقة من كثرة الجراح فيه فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيفته فجعل يهد الناس هدا وكان أشبه الناس بقتال حمزة ولم يزل يقاتل حتى ضربه رجل دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبته وجعل يذب عن نفسه ويقول ويحكم ابن نبيكم مجرح مظلوم فطعنه ابن قحطبة فى صدره فصرعه ثم نزل اليه فاخذ رأسه وأتى به عيسى وهو لا يعرف من كثرة الدماء وقيل ان عيسى اتهم ابن قحطبة وكان فى الخيل فقال له ما أراك تبالغ فقال له اتهمنى فوالله لاضربن محمدا حين أراه بالسيف أو أقتل دونه قال فمر به وهو مقتول فضربه ليبر يمينه وقيل بل رمى بسهم وهو يقاتل فوقف الى جدار فتحاماه الناس فلما وجد الموت تحامل على سيفه فكسره وهو ذو الفقار سيف على وقيل بل أعطاه رجلا من التجار كان معه وله عليه أربعمائة دينار وقال خذه فانك لا تلقى أحدا من آل أبى طالب الا أخذه وأعطاك حقك فلم يزل عنده حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة فاخبر به فاخذ السيف منه وأعطاه أربعمائة دينار ولم يزل معه حتى أخذه منه المهدى ثم صار الى الهادى فجربه على كلب فانقطع السيف وقيل بل بقى الى أيام الرشيد وكان يتقلده وكان به ثمانى عشرة فقارة ولما أتى عيسى برأس محمد قال لاصحابه ما تقولون فيه فوقعوا فيه فقال بعضهم كذبتم ما لهذا قاتلناه ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين وان كان لصواما قواما فسكتوا فارسل عيسى الرأس الى المنصور مع محمد بن أبى الكرام بن عبد الله بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وأرسل معه رؤس بنى شجاع فامر المنصور فطيف برأس محمد فى الكوفة وسيره الى الآفاق ولما رأى المنصور رؤس بنى شجاع قال هكذا فليكن الناس طلبت محمدا فاشتمل عليه هؤلاء ثم نقلوه وانتقلوا معه ثم قاتلوا معه حتى قتلوا وكان قتل محمد وأصحابه يوم الاثنين بعد العصر لاربع عشرة خلت من شهر رمضان وكان المنصور قد بلغه ان عيسى قد هزم فقال كلا أين لعب أصحابنا وصبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ما أتى كذلك بعد ثم بلغه ان محمدا هرب فقال كلا انا أهل بيت لا نفر فجاءته بعد ذلك الرؤس ولما وصل رأس محمد الى المنصور كان الحسن بن زيد بن الحسن بن على عنده فلما رأى الرأس عظم عليه فتجلد خوفا من المنصور وقال لنقيب المنصور أهو قال هو فلقد هم وقال لوددت أنا الركانة الى طاعته وانه لم يكن فعل ولا قال والا فام موسى طالق وكانت غاية أيمانه ولكنه أراد قتله وكانت نفسه أكرم علينا من نفسه فبصق بعض الغلمان فى وجهه فامر المنصور بانفه فكسر عقوبة له ولما ورد الخبر بقتل محمد على أخيه ابراهيم بالبصرة كان يوم العيد فخرج فصلى بالناس ونعاه على المنبر وأظهر الجزع عليه وتمثل على المنبر

أبا المنازل يا خير الفوارس من * يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا
الله يعلم انى لو خشيتهم * وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخى أحدا * حتى نموت جميعا أو نعيش معا

ولما قتل محمد أرسل عيسى ألوية فنصبت فى مواضع بالمدينة ونادى مناديه من دخل تحت لواء منها فهو آمن وأخذ أصحاب محمد فصلبهم ما بين ثنية الوداع الى دار عمر بن عبد العزيز صفين ووكل بخشبة ابن خضير من يحفظها فاحتمله قوم من الليل فواروه سرا وبقى الآخرون ثلاثا فامر بهم عيسى فالقوا على مقابر اليهود ثم ألقوا بعد ذلك فى خندق فى أصل ذباب فارسلت زينب بنت عبد الله أخت محمد وابنته فاطمة الى عيسى انكم قد قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه فلو أذنتم لنا فى دفنه

وأم ابن هند عند ذلك هاويه * 204 فلم يقبل النصح الذى جئته به * وكانت له تلك النصيحة كافيه (قال المسعودى) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع على وما أشار به وهذا أحد الوجوه المروية فى ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من أخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد فى ذلك والله ولى التوفيق

﴿ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفين﴾

(قال المسعودى) رحمه الله وقد ذكرنا جملا وجوامع من أخبار على رضى الله عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان مسير على من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر الانصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هناك جسرا فعبر الى جانب الشام وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش فكثر ومقل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا وقال رجل من أصحاب على لما استقر وايابلى الشام من أبيات كتب بها الى معاوية

انبت معاوى قد اتاك الحافل * تسعون ألفا كلهم مقاتل * عما قليل يضمحل الباطل * وسار معاوية من فاذن

فأذن لها فدفن بالبقيع وقطع المنصور الميرة فى البحر الى المدينة ثم أذن فيها المهدى

﴿ذكر بعض المشهورين ممن كان معه﴾

وكان فيمن معه من بنى هاشم أخوه موسى بن عبد الله وحسين وعلى ابنا زيد بن على بن الحسين بن على ولما بلغ المنصور ان ابنى زيد اعانا محمدا عليه قال عجبا لهما قد خرجا على وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله وصلبناه كما صلبه وأحرقناه كما أحرقه وكان معه حمزة بن عبد الله بن محمد بن الحسين وعلى وزيد ابنا الحسن بن زيد بن على بن أبى طالب وكان أبوهما مع المنصور والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب والقاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر والمرجى على بن جعفر بن اسحق بن على بن عبد الله بن جعفر وكان أبوه مع المنصور ومن غيرهم محمد بن عبد الله ابن عمرو بن سعيد بن العباس ومحمد بن عجلان وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم أخذ أسيرا فاتى به المنصور فقال له أنت الخارج على قال لم أجد الا ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد وكان معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة وعبد الواحد بن أبى عون مولى الازد وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدراوردى وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بنى سباع وابراهيم واسحق وربيعة وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز بنو عبد الله بن عطاء وعيسى بن خضير وعثمان بن خضير وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير هرب بعد قتل محمد فاتى البصرة فأخذ منها وأتى به المنصور فقال له هيه يا عثمان أنت الخارج على مع محمد قال بايعته أنا وأنت بمكة فوفيت ببيعتى وغدرت ببيعتك قال يا ابن اللخناء قال ذاك من قامت عنه الاماء يعنى المنصور فامر به فقتل وكان مع محمد عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب وأخذ أسيرا فاطلقه المنصور وعبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وعلى ابن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب وابراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير وهشام بن عمارة ابن الوليد بن عدى بن الخيار وعبد الله بن يزيد بن هرمز وغيرهم ممن تقدم ذكرهم

﴿ذكر صفة محمد والاخبار بقتله﴾

كان محمد أسمر شديد السمرة وكان المنصور يسميه محمما وكان سمينا شجاعا كثير الصوم والصلاة شديد القوة كان يخطب على المنبر فاعترض فى حلقه بلغم فتنحنح فذهب ثم عاد فتنحنح فذهب ثم عاد فتنحنح فنظر فلم ير موضعا يبصق فيه فرمى بنخامته فى سقف المسجد فالصقها فيه وسئل جعفر الصادق عن أمر محمد فقال فتنة يقتل فيها محمد ويقتل أخوه لابيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه فى ماء فلما قتل محمد قبض عيسى أموال بنى الحسن كلها وأموال جعفر فلقى جعفر المنصور فقال له رد على قطيعتى من أبى زياد قال اياى تكلم بهذا والله لازهقن نفسك قال فلا تعجل على قد بلغت ثلاثا وستين سنة وفيها مات أبى وجدى وعلى بن أبى طالب وعلى كذا وكذا ان ربتك بشئ وان بقيت بعدك ان ربت الذى يقوم بعدك فرق له المنصور ولم يرد عليه قطيعته فردها المهدى على ولده وقال محمد لعبد الله بن عامر الاسلمى تغشانا سحابة فان أمطرتنا ظفرنا وان تجاوزتنا اليهم فانظر الى دمى عند أحجار الزيت قال فوالله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا وتجاوزتنا الى عيسى وأصحابه فظفروا وقتلوا محمدا ورأيت دمه عند أحجار الزيت وكان قتله يوم الاثنين لاربع عشرة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وكان يلقب المهدى والنفس الزكية ومما رثى به هو وأخوه قول عبد الله بن مصعب بن ثابت

يا صاحبى دعا الملامة واعلما * ان لست فى هذا بألوم منكما
وقفا بقبر للنبى فسلما * لا بأس ان تقفا به وتسلما

الشام وقد تنوزع فى مقدار من كان معه فمكثر ومقل والمتفق عليه من قول الجميع خمس 205 وثمانون ألفا فسبق عليا الى صفين وعسكر فى موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم على على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع أسهل منها للوارد الى الماء وما عداها أخراق عالية ومواضع الى الماء وعرة ووكل أبا الاعور السلمى بالشريعة مع أربعين ألفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لا يموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور فى عسكره بالليل فسمع قائلا وهو يقول

أيمنعنا القوم ماء الفرات
وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا على له صولة
اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير
وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا الامس أسد العرين
وما بالنا اليوم شاء النجف
وألقى فى فسطاط الاشعث ابن قيس رقعة فيها
لئن لم يجل الاشعث اليوم كربة
من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه
فهبنا أناسا قبل كانوا فموتت *

فلما قرأها حمى وأتى عليا رضى الله عنه فقال له اخرج فى أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط

قبر تضمن خير أهل زمانه * حسبا وطيب سجية وتكرما
رجل نفى بالعدل جور بلادنا * وعفا عظيمات الامور وأنعما
لم يجتنب قصد السبيل ولم يجز * عنه ولم يفتح بفاحشة فما
لو أعظم الحدثان شيأ قبله * بعد النبي به لكنت المعظما
أو كان أقنع بالسلامة قبله * أحدا لكان قصاره ان يسلما
ضحوا بابراهيم خير ضحية * فتصرمت أيامه فتصرما
بطلا يخوض بنفسه غمراته * لا طائشا رعشا ولا مستسلما
حتى مضت فيه السيوف وربما * كانت حتوفهم السيوف وربما
أضحى بنو حسن أبيح حريمهم * فينا وأصبح نهبهم متقسما
ونساؤهم في دورهن نوائح * سجع الحمام اذا الحمام ترنما
يتوصلون بقتله ويرونه * شرفا لهم عند الامام ومغنما
والله لو شهد النبي محمد * صلى الاله على النبي وسلما
اشراع أمته الاسنة لابنه * حتى تقطر من ظبائهم دما
حقا لايقن انهم قد ضيعوا * تلك القرابة واستحلوا المحرما

ولما قتل محمد قام عيسى بالمدينة أياما ثم سار عنها صبح تسع عشرة خلت من رمضان يريد مكة معتمرا واستخلف على المدينة كثير بن حضير فأقام بها شهرا ثم استعمل المنصور عليها عبد الله بن الربيع الحارثي

﴿ذكر وثوب السودان بالمدينة﴾

وفيها ثار السودان بالمدينة على عاملها عبد الله بن الربيع الحارثي فهرب منهم وسبب ذلك ان المنصور استعمل عبد الله بن الربيع على المدينة وقدمها لخمس بقين من شوال فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم فشكا ذلك التجار الى ابن الربيع فانتهرهم وشتمهم فتزايد طمع الجند فيهم فعدوا على رجل صير في فنازعوه كيسه فاستعان بالناس فخلص ماله منهم وشكا أهل المدينة ذلك منهم فلم ينكره ابن الربيع ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزار لحما يوم جمعة ولم يعطه ثمنه وشهر عليه السيف فضربه الجزار بشفرة في خاصرته فقتله واجتمع الجزارون وتنادى السودان على الجند وهم يروحون الى الجمعة فقتلوهم بالعمد ونفخوا في بوق لهم فسمعه السودان من العالية والسافلة فاقبلوا واجتمعوا وكان رؤساؤهم ثلاثة نفر ونيق ويعقل وزمعة ولم يزالوا على ذلك من قتل الجند حتى أمسوا فلما كان الغد قصدوا ابن الربيع فهرب منهم وأتى بطن نخل على ليلتين من المدينة فنزل به فانتهبوا طعاما للمنصور وزيتا وقصبا فباعوا الحمل الدقيق بدرهمين وراوية الزيت بأربعة دراهم وسار سليمان بن مليح ذلك اليوم الى المنصور فأخبره وكان أبو بكر بن أبي سبرة في الحبس قد أخذ مع محمد بن عبد الله فضرب وحبس مقيدا فلما كان من السودان ما كان خرج في حديده من الحبس فأتى المسجد فارسل الى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما فاحضرهم عنده فقال أنشدكم الله وهذه البلية التي وقعت فوالله ان ثبتت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الاولى انه لهلاك البلد وأهله والعبيد في السوق باجمعهم فاذهبوا اليهم فكلموهم في الرجعة والعود الى رأيكم فانهم أخرجتهم الحمية فذهبوا الى العبيد فكلموهم فقالوا مرحبا بموالينا والله ما قمنا الا انفة مما عمل بكم فأمرنا اليكم فاقبلوا بهم الى المسجد فخطبهم ابن أبي سبرة وحثهم على الطاعة فتراجعوا ولم يصل الناس يومئذ جمعة فلما كان وقت العشاء الآخرة لم يجب المؤذن أحد الى الصلاة بهم فتقدم الاصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فلما

عسكر معاوية فتشرب وتستقي لاصحابك أو تموتوا عن آخركم وانا أسير في خيل ورجالة وراءك فسار الاشعث وهو يقول مرتجزا

لاوردن خيلي الفراتا
شعث النواصي أو يقال ماتا

ثم دعا علي الاشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يوم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول

يا أشتر الخيرات يا خير النخع
وصاحب النصر اذا عال الفزع
قد خرج القوم وعالوا بالفزع
ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع

ثم سار علي رضي الله عنه وراء الاشتر في الجيش ومضى الاشعث فارد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية في هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول ارجموهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق

كشف الاشعث عنا
كربة الموت عيانا
بعدما طارت كلانا
طيرة مست لهانا
فله المن علينا
وبه درات رحانا

وارتحل معاوية عن الموضع وورد الاشتر وقد كشف الاشعث القوم عن الماء وازالهم عن مواضعهم وورد علي فنزل في الموضع الذي كان فيه

وقف للصلاة واستوت الصفوف أقبل عليهم بوجهه ونادى باعلى صوته أنا فلان بن فلان اصلى بالناس على طاعة أمير المؤمنين ثم يقول ذلك مرتين وثلاثا ثم تقدم فصلى بهم فلما كان الغد قال لهم ابن أبي سبرة انه قد كان منكم بالامس ما قد علمتم ونهبتم طعام أمير المؤمنين فلا يبقين عند أحد منه شئ الارده فردوه ورجع ابن الربيع من بطن نخل فقطع يد ونيق ويعقل وغيرهما

﴿ذكر بناء مدينة بغداد﴾

فيها ابتدأ المنصور في بناء مدينة بغداد وسبب ذلك أنه كان قد ابتنى الهاشمية بنواحي الكوفة فلما ثارت الراوندية فيها كره سكناها لذلك ولجوار أهل الكوفة أيضا فانه كان لا يأمن أهلها على نفسه وكانوا قد أفسدوا جنده فخرج بنفسه يرتاد له موضعا يسكنه هو وجنده فانحدر الى جرجرايا ثم اصعد الى الموصل وسار نحو الجبل في طلب منزل يبني به وكان قد تخلف بعض جنده بالمدائن لرمد لحقه فسأله الطبيب الذي يعالجه عن سبب حركة المنصور فاخبره فقال انا نجد في كتاب عندنا ان رجلا يدعى مقلاصا يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء فاذا أسسها وبنى بعضها أتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها وأصلح ذلك الفتق ثم أتاه فتق من البصرة أعظم منه فلم يلبث الفتقان ان يلتئما ثم يعود الى بنائها فيتمه ثم يعمر عمرا طويلا ويبقى الملك في عقبه فقدم ذلك الجندي الى عسكر المنصور وهو بنواحي الجبل فاخبره الخبر فرجع وقال اني أنا والله كنت أدعى مقلاصا وأنا صبي ثم زال عني وسار حتى نزل الدير الذي حذاء قصره المعروف بالخلد ودعا بصاحب الدير وبالبطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرم وصاحب بستان النفس وصاحب العتيقة فسألهم عن مواضعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام فاخبره كل منهم بما عنده ووقع اختيارهم على صاحب بغداد فاحضره وشاوره فقال يا أمير المؤمنين سألتني عن هذه الامكنة وما تختار منها واني أرى ان تنزل أربعة طساسيج في الجانب الغربي طسوجين وهما قطربل وبادوريا وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق وكلواذى فتكون بين نخل وقرب الماء وان اجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الشام والرقة والغرب في طرائف مصر وتجيئك الميرة من الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل وغيرها في دجلة وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تامرا حتى يتصل بالزاب فانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر أو قنطرة فاذا قطعت الجسر وأخربت القنطرة لم يصل اليك ودجلة والفرات والصراة خنادق هذه المدينة وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد وأنت قريب من البر والبحر والجبل فازداد المنصور عزما على النزول في ذلك الموضع وقيل ان المنصور لما أراد ان يبني مدينته بغداد رأى راهبا فناداه فاجابه فقال هل تجدون في كتبكم أنه يبني ههنا مدينة قال نعم يبنيها مقلاص قال فانا كنت أدعى مقلاصا في حداثتي قال فاذا أنت صاحبها فابتدأ المنصور بعملها سنة خمس وأربعين وكتب الى الشام والجبل والكوفة وواسط والبصرة في معنى انفاذ الصناع والفعلة وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه وأمر باختيار قوم من ذوي الامانة والمعرفة بالهندسة فكان ممن احضر لذلك الحجاج بن ارطاة وأبو حنيفة وأمر فخطت المدينة وحفر الاساس وضرب اللبن وطبخ الآجر فكان أول ما ابتدأ به منها أنه أمر بخطها بالرماد فدخلها من أبوابها وفصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ثم أمر ان يجعل على الرماد حب القطن ويشعل بالنار ففعلوا فنظر اليها وهي تشتعل ففهمها وعرف رسمها وأمر ان يحفر الاساس على ذلك الرسم ووكل بها أربعة من القواد كل قائد

معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحية في البر نائيا عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى تدخل في طاعته أو يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه على كل ما سأل وطلب منه ولما كان أول يوم من ذي الحجة بعد نزول علي على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقوا على الموادعة الى آخر المحرم سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي ولم يتم بين علي ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة في المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية

فما دون المنايا غير سبع
بقين من المحرم أو ثمان

ولما كان في اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى أهل الشام اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا

بربع ووكل أباحنيفة بعدد الآجر واللبن وكان قبل ذلك قد أراد أباحنيفة ان يتولى القضاء والمظالم فلم يجب فحلف المنصور انه لا يقلع عنه أو يعمل له فاجابه الى ان ينظر فى عمارة بغداد ويعد اللبن والآجر بالقصب وهو أول من فعل ذلك وجعل المنصور عرض أساس السور من أسفله خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين ذراعا وجعل فى البناء القصب والخشب ووضع بيده أول لبنة وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله فلما بلغ السور مقدار قامة جاءه الخبر بظهور محمد بن عبد الله فقطع البناء ثم أقام بالكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه ابراهيم ثم رجع الى بغداد فاتم بناءها وأقطع فيها القطائع لاصحابه وكان المنصور قد أعد جميع ما يحتاج اليه من بناء المدينة من خشب وساج وغير ذلك واستخلف حين شخص الى الكوفة على اصلاح ما اعدا سلم مولاه فبلغه ان ابراهيم قد هزم عسكر المنصور فاحرق ما كان خلفه عليه المنصور فبلغ المنصور ذلك فكتب اليه يلومه فكتب اليه أسلم يخبره انه خاف ان يظفر بهم ابراهيم فيأخذه فلم يقل له شيأ وسنذكر كيفية بنائها فى سنة ست وأربعين ان شاء الله

(ذكر ظهور ابراهيم بن عبد الله بن الحسن أخى محمد)

فيها كان ظهور ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو أخو محمد المقدم ذكره وكان قبل ظهوره قد طلب أشد الطلب فحكت جارية له انه لم تقرهم أرض خمس سنين مرة بفارس ومرة بكرمان ومرة بالجبل ومرة بالحجاز ومرة باليمن ومرة بالشام ثم انه قدم الموصل وقدمها المنصور فى طلبه فحكى ابراهيم قال اضطرنى الطلب بالموصل حتى جلست على مائدة المنصور ثم خرجت وقد كف الطلب وكان قوم من أهل العسكر يتشيعون فكتبوا الى ابراهيم يسألونه القدوم اليهم ليثبوا بالمنصور فقدم عسكر أبى جعفر وهو ببغداد وقد خطها وكانت له مرآة ينظر فيها فيرى عدوه من صديقه فنظر فيها فقال يا مسيب قد رأيت ابراهيم فى عسكرى وما فى الارض أعدى لى منه فانظر أى رجل يكون ثم ان المنصور أمر ببناء قنطرة الصراة العتيقة فخرج ابراهيم ينظر اليها مع الناس فوقعت عليه عين المنصور فجلس ابراهيم وذهب فى الناس فاتى فاميا فلجأ اليه فاصعده غرفة له وجد المنصور فى طلبه ووضع الرصد بكل مكان فنشب ابراهيم مكانه فقال له صاحبه سفيان بن حيان القمى قد نزل بنا ما ترى ولا بد من المخاطرة قال فانت وذاك فاقبل سفيان الى الربيع فسأله الاذن على المنصور فادخله عليه فلما رآه شتمه فقال يا أمير المؤمنين أنا أهل لما تقول غير انى أتيتك تائبا ولك عندى كل ما تحب وأنا آتيك بابراهيم بن عبد الله انى قد بلوتهم فلم أجد فيهم خيرا فاكتب لى جوازا ولغلام معى يحملنى على البريد ووجه معى جندا فكتب له جوازا ودفع اليه جندا وقال هذه ألف دينار فاستعن بها قال لا حاجة لى فيها وأخذ منها ثلثمائة دينار وأقبل والجند معه فدخل البيت وعلى ابراهيم جبة صوف وقباء كاقبية الغلمان فصاح به فوثب وجعل يأمره وينهاه وسار على البريد وقيل لم يركب البريد وسار حتى قدم المدائن فمنعه صاحب القنطرة بها فدفع جوازه اليه فلما جازها قال له الموكل بالقنطرة ما هذا غلام وانه لابراهيم بن عبد الله اذهب راشدا فاطلقهما فركبا سفينة حتى قدما البصرة فجعل يأتى بالجند الدار لها بابان فيقعد البعض منهم على أحد البابين ويقول لا تبرحوا حتى آتيكم فيخرج من الباب الآخر ويتركهم حتى فرق الجند عن نفسه وبقى وحده وبلغ الخبر سفيان بن معاوية أمير البصرة فارسل اليهم فجمعهم وتطلب القمى فأعجزه وكان ابراهيم قد قدم الاهواز قبل ذلك واختفى عند الحسن بن حبيب وكان محمد بن الحصين يطلبه فقال يوما ان أمير المؤمنين كتب الى يخبرنى ان المنجمين اخبروه ان ابراهيم نازل بالاهواز فى جزيرة بين نهرين وقد طلبته فى الجزيرة وليس هناك وقد عزمت ان

الا السيف بيننا وبينك أو يهلك الاعجز منا وأصبح على يوم الاربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ الجيش وأخرج الاشتر امام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب بن مسلم الفهرى وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثانى أخرج على هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى المرقال وهو ابن أخى سعد بن أبى وقاص وانما سمى المرقال لانه كان يرقل فى الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة على وقد أتينا على خبره فى اليوم الذى ذهبت فيه عينه وحسن بلائه فى ذلك اليوم فى الكتاب الاوسط فى فتوح الشام فاخرج اليه معاوية أبا الاعور السلمى وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن على وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا فى آخر يومهم عن قتلى كثير وأخرج على فى اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أبا اليقظان عمار بن ياسر فى عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو بن العاص فى تنوخ ونهر وغيرهما من أهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية

الطلبه

الطلبه غدا بالمدينة لعل أمير المؤمنين يعنى بقوله بين نهرين بين دجيل والمسرقان فرجع الحسن بن حبيب الى ابراهيم فاخبره وأخرجه الى ظاهر البلد ولم يطلبه محمد ذلك اليوم فلما كان آخر النهار خرج الحسن الى ابراهيم فادخله البلد وهما على حمارين وقت العشاء الآخرة فلقيه اوائل خيل ابن الحصين فنزل ابراهيم عن حماره كأنه يبول فسأل ابن الحصين الحسن بن حبيب عن مجيئه فقال من عند بعض أهلى فمضى وتركه ورجع الحسن الى ابراهيم فاركبه وأدخله الى منزله فقال له ابراهيم والله لقد بلت دما قال فأتيت الموضع فرأيته قد بال دما ثم ان ابراهيم قدم البصرة فقيل قدمها سنة خمس وأربعين بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة وقيل قدمها سنة ثلاث وأربعين ومائة وكان الذى أقدمه وتولى كراءه فى قول بعضهم يحيى بن زياد بن حيان النبطى وأنزله فى داره فى بنى ليث وقيل نزل فى دار أبى فروة ودعا الناس الى بيعة أخيه وكان أول من بايعه غيلة بن مرة العبشمى وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد بن زياد وعمرو بن سلمة الهجيمى وعبد الله بن يحيى بن حصين الرقاشى وندبوا الناس فاجابهم المغيرة بن الفزع واشباه له وأجابه أيضا عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ وعباد بن العوام واسحق بن يوسف الازرق ومعاوية بن هشيم بن بشير وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم حتى احصى ديوانه أربعة آلاف وشهر أمره فقالوا له لو تحولت الى وسط البصرة أتاك الناس وهم مستريحون فتحول فنزل دار أبى مروان مولى بنى سليم فى مقبرة بنى يشكر وكان سفيان بن معاوية قد مالأ على أمره ولما ظهر أخوه محمد كتب اليه يأمره بالظهور فوجم لذلك واغتم فجعل بعض أصحابه يسهل عليه ذلك وقال له قد اجتمع لك أمرك فتخرج الى السجن فتكسره من الليل فتصبح وقد اجتمع لك عالم من الناس وطابت نفسه وكان المنصور بظاهر الكوفة كما تقدم فى قلة من العساكر وقد أرسل ثلاثة من القواد الى سفيان بن معاوية بالبصرة مددا له ليكونوا عونا له على ابراهيم ان ظهر فلما اراد ابراهيم الظهور أرسل الى سفيان فأعلمه فجمع القواد عنده وظهر ابراهيم أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة فغنم دواب أولئك الجند وصلى بالناس الصبح فى الجامع وقصد دار الامارة وبها سفيان متحصنا فى جماعة فحصره وطلب سفيان منه الامان فامنه ابراهيم ودخل الدار ففرشوا له حصيرا فهبت الريح فقلبته قبل أن يجلس فتطير الناس بذلك فقال ابراهيم انا لا نتطير وجلس عليه مقلوبا وحبس القواد وحبس أيضا سفيان بن معاوية فى القصر وقيده بقيد خفيف ليعلم المنصور انه محبوس وبلغ جعفرا ومحمدا ابنى سليمان بن على ظهور ابراهيم فأتيا فى ستمائة رجل فارسل اليهما ابراهيم المضاء بن القاسم الجزرى فى خمسين رجلا فهزمهما ونادى منادى ابراهيم لا يتبع مهزوم ولا يذفف على جريح ومضى ابراهيم بنفسه الى باب زينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس واليها ينسب الزينبيون من العباسيين فنادى بالامان وان لا يعرض لهم أحد فصفت له البصرة ووجد فى بيت مالها ألفى ألف درهم فقوى بذلك وفرض لاصحابه لكل رجل خمسين خمسين فلما استقرت له البصرة أرسل المغيرة الى الاهواز فبلغها فى مائتى رجل وكان بها محمد بن الحصين عاملا للمنصور فخرج اليه فى أربعة آلاف فالتقوا فانهزم ابن الحصين ودخل المغيرة الاهواز وقيل انما وجه المغيرة بعد مسيره الى باخمرى وسير ابراهيم الى فارس عمرو بن شداد فقدمها وبها اسمعيل وعبد الصمد ابنا على بن عبد الله بن عباس فبلغهما دنو عمرو وهما باصطخر فقصدا دارابجرد فتحصنا بها فصارت فارس فى يد عمرو وأرسل ابراهيم مروان بن سعيد العجلى فى سبعة عشر ألفا الى واسط وبها هرون بن حميد الايادى من قبل المنصور فملكها العجلى وأرسل المنصور لحربه عامر بن اسمعيل المسلى فى خمسة آلاف وقيل فى عشرين ألفا فكانت بينهم وقعات ثم تهادنوا على ترك الحرب حتى ينظروا ما يكون من ابراهيم

واسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق وأخرج على فى اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد بن الحنفية فى همدان وغيرها ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى حمير ولخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من على ان يقيده بالهرمزان وذلك أن ابا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان فى أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا أترك بالمدينة فارسيا ولا فى غيرها الا قتلته وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى على اراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا فى ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر فى آخر النهار هربا واخرج على فى اليوم الخامس وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فاخرج اليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبى معيط فاقتتلوا واكثر الوليد من سب بنى عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الى يا صفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا واخرج على فى اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمدانى وهو سيد همدان يومئذ فاخرج

والمنصور فلما قتل ابراهيم هرب مروان بن سعيد عنهما فاختفى حتى مات فلم يزل ابراهيم بالبصرة يفرق العمال والجيوش حتى أتاه نعى أخيه محمد قبل عيد الفطر بثلاثة أيام فخرج بالناس يوم العيد وفيه الانكسار فصلى بهم وأخبرهم بقتل محمد فازدادوا فى قتال المنصور بصيرة وأصبح من الغد فعسكر واستخلف على البصرة نميلة وخلف ابنه حسنا معه

﴿ذكر مسير ابراهيم وقتله﴾

ثم ان ابراهيم عزم على المسير فأشار أصحابه البصريون أن تقيم وترسل الجنود فيكون اذا انهزم لك جند أمددتهم بغيرهم فخيف مكانك واتقاك عدوك وجبيت الاموال وثبتت وطأتك فقال من عنده من أهل الكوفة ان بالكوفة أقواما لو رأوك ماتوا دونك وان لم يروك قعدت بهم أسباب شتى فسار عن البصرة الى الكوفة وكان المنصور لما بلغه ظهور ابراهيم فى قلة من العسكر فقال والله ما أدرى كيف أصنع ما فى عسكرى الا ألفا رجل فرقت جندى مع المهدى بالرى ثلاثون ألفا ومع محمد ابن الاشعث بافريقية أربعون ألفا والباقون مع عيسى بن موسى والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفا ثم كتب الى عيسى بن موسى يأمره بالعود مسرعا فأتاه الكتاب وقد احرم بعمرة فتركها وعاد وكتب الى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الرى فقال له المنصور اعمد الى ابراهيم ولا يروعنك جمعه فوالله انهما جملا بنى هاشم المقتولان فثق بما أقول وضم اليه غيره من القواد وكتب الى المهدى يأمره بانفاذ خزيمة بن خازم الى الاهواز فسيره فى أربعة آلاف فارس فوصلها وقاتل المغيرة فرجع المغيرة الى البصرة واستباح خزيمة الاهواز ثلاثا وتوالت على المنصور الفتوق من البصرة والاهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد والى جانبه أهل الكوفة فى مائة ألف مقاتل ينتظرون به صيحة فلما توالت الاخبار عليه بذلك أنشد

وجعلت نفسى للرماح دريئة * ان الرئيس لمثل ذاك فعول

ثم انه رمى كل ناحية بحجرها وبقى المنصور على مصلاه خمسين يوما ينام عليه ويجلس عليه وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها ما غيرها ولا هجر المصلى الا أنه كان اذا ظهر للناس لبس السواد فاذا فارقهم رجع الى هيئته وأهديت اليه امرأتان من المدينة احداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله والاخرى أم الكريم ابنة عبد الله من ولد خالد بن أسيد فلم ينظر اليهما فقيل له انهما قد ساءت ظنونهما فقال ليست هذه أيام نساء ولا سبيل اليهما حتى انظر رأس ابراهيم لى أو رأسى له قال الحجاج بن قتيبة لما تتابعت الفتوق على المنصور دخلت مسلما عليه وقد أتاه خبر البصرة والاهواز وفارس وعساكر ابراهيم قد عظمت وبالكوفة مائة ألف سيف بازاء عسكره ينتظر صيحة واحدة فيثبون به فرأيته أحوذيا مشمرا قد قام الى ما نزل به من النوائب يعركها فقام بها ولم تقعد به نفسه وانه كما قال الاول

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته ملكا هماما

ثم وجه المنصور الى ابراهيم عيسى بن موسى فى خمسة عشر ألفا وعلى مقدمته حميد بن قحطبة فى ثلاثة آلاف وقال له لما ودعه ان هؤلاء الخبثاء يعنى المنجمين يزعمون انك اذا لقيت ابراهيم تجول أصحابك جولة حتى تلقاه ثم يرجعون اليك وتكون العاقبة لك ولما سار ابراهيم عن البصرة مشى ليلته فى عسكره سرا فسمع أصوات الطنابير ثم فعل ذلك مرة أخرى فسمعها أيضا فقال ما أطمع فى نصر عسكر فيه مثل هذا وسمع ينشد فى طريقه أبيات القطامى

أمور لو تدبرها حكيم * اذن لنهى وهيب ما استطاعا
ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعا

اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج على فى اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر فى النخع وغيرهم فاخرج اليه معاوية حبيب ابن مسلمة الفهرى فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح فى أهل الشام أعم وخرج فى اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء على رضى الله تعالى عنه بنفسه فى الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت فى هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس فى مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الى وأنا فى كثيف من الناس فقال يا معشر المسلمين عموا الاصوات وأكملوا اللامة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف فى الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر ونافحوا الصبا وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستقبحوا الفر فانه عار فى الاعقاب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكب صعيده مفترض ذراعيه قد قدم للوثبة يدا وخبر

وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا
ولكن الاديم اذا تفرى * بلى وتعيبا غلب الصناعا

فعلموا انه نادم على مسيره وكان ديوانه قد أحصى مائة ألف وقيل كان معه فى طريقه عشرة آلاف وقيل له فى طريقه ليأخذ غير الوجه الذى فيه عيسى ويقصد الكوفة فان المنصور لا يقوم له وينضاف أهل الكوفة اليه ولا يبقى للمنصور مرجع دون حلوان فلم يفعل فقيل له ليبيت عيسى فقال أكره البيات الا بعد الانذار وقام بعض أهل الكوفة ليأمره بالمسير اليها ليدعو اليه الناس وقال ادعوهم سرا ثم اجهر فاذا سمع المنصور الهيعة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شئ دون حلوان فاستشار بشيرا الرحال فقال لو وثقنا بالذى تقول لكان رأيا ولكنا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة فيرسل اليهم المنصور الخيل فيأخذ البرىء والصغير والمرأة فيكون ذلك تعرضا للمأثم فقال الكوفى كأنكم خرجتم لقتال المنصور وأنتم تتوقون قتل الضعيف والمرأة والصغير أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سراياه ليقاتل ويكون نحو هذا فقال بشير أولئك كفار وهؤلاء مسلمون واتبع ابراهيم رأيه وسار حتى نزل باخمرا وهى من الكوفة على ستة عشر فرسخا مقابل عيسى بن موسى فارسل اليه سلم بن قتيبة انك قد أصحرت ومثلك أنفس به عن الموت فخندق على نفسك حتى لا تؤتى الا من مأتى واحد فان أنت لم تفعل فقد أعرى أبو جعفر عسكره فتخفف فى طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه فدعا ابراهيم أصحابه وعرض عليهم ذلك فقالوا نخندق على أنفسنا ونحن الظاهرون عليهم لا والله لا نفعل قال فنأتى أبا جعفر قالوا ولم وهو فى أيدينا متى أردناه فقال ابراهيم للرسول أتسمع فارجع راشدا ثم انهم تصافوا فصف ابراهيم أصحابه صفا واحدا فأشار عليه بعض أصحابه بان يجعلهم كراديس فاذا انهزم كردوس ثبت كردوس فان الصف اذا انهزم بعضه تداعى سائره فقال الباقون لا نصف الا صف أهل الاسلام يعنى قول الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا الآية فاقتتل الناس قتالا شديدا وانهزم حميد بن قحطبة وانهزم الناس معه فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه فاقبل حميد منهزما فقال له عيسى الله الله والطاعة فقال لا طاعة فى الهزيمة ومر الناس فلم يبق مع عيسى الا نفر يسير فقيل له لو تنحيت عن مكانك حتى تثوب اليك الناس فتكر بهم فقال لا أزول عن مكانى هذا أبدا حتى اقتل أو يفتح الله على يدى والله لا ينظر أهل بيتى الى وجهى أبدا وقد انهزمت عن عدوهم وجعل يقول لمن يمر به اقرئ أهل بيتى السلام وقولوا لهم لم أجد فداء أفديكم به أعز من نفسى وقد بذلتها دونكم فبيناهم على ذلك لا يلوى أحد على أحد اذ أتى جعفر ومحمد ابنا سليمان بن على من ظهور أصحاب ابراهيم ولا يشعر باقى أصحابه الذين يتبعون المنهزمين حتى نظر بعضهم فرأى القتال من ورائهم فعطفوا نحوه ورجع أصحاب المنصور يتبعونهم فكانت الهزيمة على أصحاب ابراهيم فلولا جعفر ومحمد لتمت الهزيمة وكان من صنع الله للمنصور ان أصحابه لقيهم نهر فى طريقهم فلم يقدروا على الوثوب ولم يجدوا مخاضة فعادوا بأجمعهم وكان أصحاب ابراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحد فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار وثبت ابراهيم فى نفر من أصحابه يبلغون ستمائة وقيل أربعمائة وقاتلهم حميد وجعل يرسل بالرؤس الى عيسى وجاء ابراهيم سهم عائر فوقع فى حلقه فنحره فتنحى عن موقفه وقال انزلونى فانزلوه عن مركبه وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا أردنا أمرا وأراد الله غيره واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه فقال حميد بن قحطبة لاصحابه شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم وتعلموا ما اجتمعوا عليه فشدوا عليهم فقاتلوهم أشد قتال حتى أفرجوهم عن ابراهيم ووصلوا اليه وحزوا رأسه فاتوا به عيسى فأراه ابن

واخر للنكوص رجلا فصبرا جميلا حتى تنجلى عن وجه الحق وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم وتقدم على للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية فى عدد أهل الشام فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر وخرج فى اليوم التاسع على وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من الحضرمية معممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

انا عبيد الله ينمينى عمر
خير قريش من مضى ومن غبر
غير نبى الله والشيخ الاغر
قد أبطأت فى نصر عثمان مضر
والربعيون فلا أسقوا المطر

فناداه على ويحك يا ابن عمر علام تقاتلنى والله لو كان أبوك حيا ما قاتلنى قال أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وأمر على الاشتر النخعى بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى أنا الاشتر معروف السير
انى أنا الافعى العراقى الذكر
لست من الحى ربيع أو مضر
لكننى من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر انى لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على

الحق وكانوا على الباطل وتقدم ٢١٢ عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بنى شيبان

أبى الكرام الجعفرى فقال نعم هذا رأسه فنزل عيسى الى الارض فسجد وبعث برأسه الى المنصور وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائة وكان عمره ثمانيا وأربعين سنة ومكث منذ خرج الى ان قتل ثلاثة أشهر الاخمسة أيام وقيل كان سبب انهزام أصحابه انهم لما هزموا أصحاب المنصور وتبعوهم نادى منادى ابراهيم ألالا تتبعوا مدبرا فرجعوا فلما رآهم أصحاب المنصور راجعين ظنوهم منهزمين فعطفوا فى آثارهم وكانت الهزيمة وبلغ المنصور الخبر بهزيمة أصحابه أولا فعزم على اتيان الرى فاتاه نوبخت المنجم وقال يا أمير المؤمنين الظفر لك وسيقتل ابراهيم فلم يقبل منه فبينما هو كذلك اذ جاءه الخبر بقتل ابراهيم فتمثل

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فاقطع المنصور نوبخت ألفى جريب بنهر جوبرة وحمل رأس ابراهيم الى المنصور فوضع بين يديه فلما رآه بكى حتى خرجت دموعه على خد ابراهيم ثم قال أما والله انى كنت لهذا كارها ولكنك ابتليت بى وابتليت بك ثم جلس مجلسا عاما وأذن للناس فكان الداخل يدخل فيتناول ابراهيم ويسىء القول فيه ويذكر فيه القبيح التماسا لرضا المنصور والمنصور ممسك متغير لونه حتى دخل جعفر ابن حنظلة الدارمى فوقف فسلم ثم قال أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين فى ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك فاصفر لون المنصور وأقبل عليه وقال يا أبا خالد مرحبا ههنا فعلم الناس ان ذلك يرضيه فقالوا مثل قوله وقيل لما وضع الرأس بصق فى وجهه رجل من الحرس فامر به المنصور فضرب بالعمد فهشمت أنفه ووجهه وضرب حتى خمد وأمر به فجر برجله فالقوه خارج الباب قيل نظر المنصور الى سفيان بن معاوية بعد مدة راكبا فقال لله العجب كيف يفلتنى ابن الفاعلة انقضى أمر ابراهيم رضى الله عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب فقتلوا من المسلمين بارمينية جماعة كثيرة وحج بالناس هذه السنة السرى بن عبد الله بن الحرث بن العباس وكان على مكة وكان على المدينة عبد الله بن الربيع وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سلم بن قتيبة الباهلى وعلى قضائها عباد بن منصور وعلى مصر يزيد بن حاتم وفيها عزل المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل بابنه جعفر بن أبى جعفر المنصور وسير معه حرب بن عبد الله وهو من أكابر قواده وهو صاحب الحربية ببغداد وبنى باسفل الموصل قصرا وسكنه فهو يعرف الى اليوم بقصر حرب وفيه ولدت زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد وعنده يومنا هذا قرية كانت ملكا لنا فبنينا فيها رباطا للصوفية ووقفنا القرية عليه قد جمعت كثيرا من هذا الكتاب فى هذه القرية فى دار لنا بها وهى من أنزه المواضع وأحسنها وأثر القصر باق بها الى الآن سبحان من لا يزول ولا تغيره الدهور وفيها مات عمرو بن ميمون بن مهران والحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب وكان موته فى حبس المنصور لانه أخذه من المدينة كما ذكرناه وهو عم محمد وابراهيم وفيها مات عبد الملك بن أبى سليمان العرزمى ويحيى بن الحرث الذمارى وله سبعون سنة واسمعيل بن أبى خالد البجلى وحبيب بن الشهيد مولى الازد وكنيته أبو شهيد

﴿ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر انتقال المنصور الى بغداد وكيفية بنائها﴾

وفيها فى صفر تحول المنصور من مدينة ابن هبيرة الى بغداد وبنى مدينتها وقد ذكرنا فى سنة خمس وأربعين ومائة السبب الباعث للمنصور على بناء مدينة بغداد ونذكر الآن بناءها ولما عزم المنصور على بناء بغداد شاور أصحابه وكان فيهم خالد بن برمك فاشار أيضا بذلك وهو خطها فاستشاره فى نقض المدائن وايوان كسرى ونقل نقضه الى بغداد فقال لا أرى ذلك لانه علم من اعلام الاسلام

من مصافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله أكبر الله أكبر اليوم ألقى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذى وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله أو يرجع الحق الى سبيله فتوسط القوم واشتبكت عليه الاسنة فقتله أبو الغادية العاملى وأبو حواء السكسكى واختلفا فى سلبه فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجا عنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث قريش بعمار مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة وقبره بصفين وصلى عليه على عليه السلام ولم يغسله وكان يغير شيبه وقد تنوزع فى نسبه فمن الناس من الحقه ببنى مخزوم ومنهم من رأى انه من حلفائهم ومنهم من رأى غير ذلك وقد اتينا على خبره فى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار عند ذكرنا الاشراط الحسين

يستدل

الذين بايعوا عليا على الموت وفى قتله يقول الحجاج بن عرية الانصارى أبياتا ٢١٣ رثاه بها * يا للرجال لعين دمعها جارى

يستدل به الناظر على انه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بامر الدنيا وانما هو على أمر دين ومع هذا ففيه مصلى على بن أبى طالب قال المنصور لا أبيت يا خالد الا الميل الى أصحابك العجم وأمر بنقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر فكان مقدار ما يلزمهم له أكثر من ثمن الجديد فدعا خالد بن برمك فاعلمه ذلك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أرى أن لا تفعل فاما اذ فعلت فانى أرى ان تهدم لئلا يقال انك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فاعرض عنه وترك هدمه ونقل أبواب مدينة واسط فجعلها على بغداد وبابا جىء به من الشام وبابا آخر جىء به من الكوفة كان عمله خالد بن عبد الله القسرى وجعل المدينة مدورة لئلا يكون بعض الناس أقرب الى السلطان من بعض وعمل لها سورين السور الداخل أعلى من الخارج وبنى قصره فى وسطها والمسجد الجامع بجانب القصر وكان الحجاج بن ارطاة هو الذى خط المسجد وقبلته غير مستقيمة يحتاج المصلى ان ينحرف الى باب البصرة لانه وضع بعد القصر وكان القصر غير مستقيم على القبلة وكان اللبن الذى يبنى به ذراع فى ذراع ووزن بعضها لما نقض فكان وزن لبنة منه مائة رطل وستة عشر رطلا وكانت مقاصير جماعة من قواد المنصور وكتابه تشرع أبوابها الى رحبة الجامع فطلب اليه عمه عيسى بن على أن يأذن له فى الركوب من باب الرحبة الى القصر لضعفه فلم يأذن له قال فاحسبنى راوية فامر الناس باخراج أبوابهم من الرحبة الى فصلان الطاقات وكانت الاسواق فى المدينة فجاء رسول ملك الروم فامر الربيع فطاف به فى المدينة فقال كيف رأيت قال رأيت بناء حسنا الا انى رأيت أعداءك معك وهم السوقة فلما عاد الرسول عنه أمر باخراجهم الى ناحية الكرخ وقيل انما أخرجهم لان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها وربما كان فيهم الجاسوس وقيل ان المنصور كان يتتبع من خرج مع ابراهيم بن عبد الله وكان أبو زكريا يحيى بن عبد الله محتسب بغداد له مع ابراهيم ميل فجمع جماعة من السفلة فشغبوا على المنصور فسكنهم وأخذ أبا زكريا فقتله وأخرج الاسواق فكلم فى بقال فامر أن يجعل فى كل ربع بقال يبيع البقل والخل وحسب وجعل الطريق أربعين ذراعا وكان مقدار النفقة على بنائها وبناء المسجد والقصر والاسواق والفصلان والخنادق وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما وكان الاستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط فضة والروزكارى بحبتين وحاسب القواد عند الفراغ منها فالزم كلا منهم بما بقى عنده فاخذه حتى ان خالد بن الصلت بقى عليه خمسة عشر درهما فحبسه وأخذها منه

﴿ذكر خروج العلاء بالاندلس﴾

وفيها سار العلاء بن مغيث اليحصبى من افريقية الى مدينة بناحية من الاندلس ولبس السواد وقام بالدولة العباسية وخطب للمنصور واجتمع اليه خلق كثير فخرج اليه الامير عبد الرحمن الاموى فالتقيا بنواحى اشبيلية ثم تحاربا أياما فانهزم العلاء وأصحابه وقتل منهم فى المعركة سبعة آلاف وقتل العلاء وأمر بعض التجار بحمل رأسه ورؤس جماعة من مشاهير أصحابه الى القيروان والقائها بالسوق سرا ففعل ذلك ثم حمل منها شىء الى مكة فوصلت وكان بها المنصور وكان مع الرؤس لواء أسود وكتاب كتبه المنصور للعلاء

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل سلم بن قتيبة عن البصرة وكان سبب عزله ان المنصور كتب اليه يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم وبعقر نخلهم فكتب سلم باى ذلك أبدأ بالدور أم بالنخل فانكر المنصور ذلك عليه وعزله واستعمل محمد بن سليمان فعاث بالبصرة وهدم دار أبى مروان ودار عون بن مالك ودار عبد الواحد بن زياد وغيرهم وغزا الصائفة هذه السنة جعفر بن حنظلة البهرانى وفيها عزل

فقد هاج حزنى أبو اليقظان عمار أهوى اليه أبو حوا فوارسه يدعو السكون وللجيشين اعصار فاختل صدر أبى اليقظان معترضا للرمح قد وجبت فينا له النار الله عن جمعهم لاشك كان عفا أنت بذلك آيات وآثار من ينزع الله غلا من صدورهم على الاسرة لم تمسسهم النار قال النبى له تقتلك شرذمة سيطت لحومهم بالبغى فجار فاليوم يعرف أهل الشام أنهم أصحاب تلك وفيها النار والعار ولما صرع عمار تقدم سعيد ابن قيس الهمدانى فى همدان وتقدم سعد بن عبادة الانصارى فى الانصار وربيعة وعدى بن حاتم فى طىء وسعيد بن قيس الهمدانى فى أول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر على الاشتر ان يتقدم باللواء الى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين فاكثر القتل فى أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شىء وجعل يرقل كما يرقل الفحل فى قيده وعلى وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول قد أكثر القوم وما أقلا * أعور يبغى أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا

عن المدينة عبد الله بن الربيع الحرثي وولى مكانه جعفر بن سليمان فقدمها في ربيع الاول وفيها عزل عن مكة السرى بن عبد الله وولها عبد الصمد بن علي وحج بالناس هذه السنة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفيها مات هشام بن عروة بن الزبير وقيل سنة سبع وأربعين في شعبان وعوف الاعرابى وطلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التميمى الكوفي وفيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمى الذى يقال له مالك الصوائف وهو من أهل فلسطين بلاد الروم فغنم غنائم كثيرة ثم قفل فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلا بموضع يدعى الرهوة نزل بها ثلاثا وباع الغنائم وقسم سهام الغنيمة فسميت تلك الرهوة رهوة مالك وفيها توفى ابن السائب الكلبى النسابة

﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر قتل حرب بن عبد الله﴾

فيها أغار استرخان الخوارزمى في جمع من الترك على المسلمين بناحية أرمينية وسبى من المسلمين وأهل الذمة خلقا ودخلوا تفليس وكان حرب مقيما بالموصل في ألفين من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة وسير المنصور الى محاربة الترك جبرائيل بن يحيى وحرب بن عبد الله فقاتلوهم فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من أصحاب جبرائيل خلق كثير

﴿ذكر البيعة للمهدى وخلع عيسى بن موسى﴾

وفيها خلع عيسى بن موسى بن محمد بن علي من ولاية العهد وبويع للمهدى محمد بن المنصور وقد اختلف في السبب الذى خلع لاجله نفسه فقيل ان عيسى لم يزل على ولاية العهد وامارة الكوفة من أيام السفاح الى الآن فلما كبر المهدى وعزم المنصور على البيعة له كلم عيسى بن موسى في ذلك وكان يكرمه ويجلسه عن يمينه ويجلس المهدى عن يساره فلما قال له المنصور في معنى خلع نفسه وتقديم المهدى عليه أبى وقال يا أمير المؤمنين كيف بالايمان علىّ وعلى المسلمين من العتق والطلاق وغير ذلك ليس الى الخلع سبيل فتغير المنصور عليه وباعده بعض المباعدة وصار يأذن للمهدى قبله وكان يجلس عن يمينه في مجلس عيسى ثم يأذن لعيسى فيدخل فيجلس الى جانب المهدى ولم يجلس عن يسار المنصور فاغتاظ منه ثم صار يأذن للمهدى ولعمه عيسى بن علي ثم لعبد الصمد بن علي ثم لعيسى بن موسى وربما قدم وأخر الا انه يبدأ بالاذن للمهدى على كل حال وتوهم عيسى أنه يقدم اذنهم لحاجة له اليهم وعيسى صامت لا يشكو ثم صار حال عيسى الى أعظم من ذلك فكان يكون في المجلس معه بعض ولده فيسمع الحفر في أصل الحائط وينثر عليه التراب وينظر الى الخشبة من السقف قد حفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه فيأمر من معه من ولده بالتحول ويقوم هو يصلى ثم يأذن له فيدخل بهيئته والتراب على رأسه وثيابه لا ينفضه فيقول له المنصور يا عيسى ما يدخل على أحد بمثل هيئتك من كثرة الغبار والتراب أفكل هذا من الشارع فيقول أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ولا يشكو شيأ وكان المنصور يرسل اليه عمه عيسى بن علي في ذلك فكان عيسى بن موسى لا يؤثره ويتهمه فقيل ان المنصور أمر أن يسقى عيسى بن موسى بعض ما يتلفه فوجد الماء في بطنه فاستأذن في العود الى بيته بالكوفة فاذن له فمرض من ذلك واشتد مرضه ثم عوفي بعد ان أشفى وقال عيسى بن علي للمنصور ان ابن موسى انما يتربص بالخلافة لابنه موسى فابنه الذى يمنعه فقال له خوفه وتهدده فكلمه عيسى بن علي في ذلك وخوفه فخاف موسى بن عيسى وأتى العباس بن محمد فقال يا عم انى أرى ما يسئم أبى من اخراج هذا الامر من عنقه وهو يؤذى بصنوف الاذى بالمكروه فهو يهدد مرة ويؤخر اذنه مرة ويهدم عليه الحيطان مرة وتدس اليه الحتوف مرة وأبى لا يعطى على ذلك شيأ ولا يكون ذلك أبدا ولكن ههنا طريق لعله

لابدان يفل أو يفلا * أسامهم بذى الكعوب سلا

ثم قصد هاشم بن عتبة المرقال لذى الكلاع وهو من حمير فحمل عليه صاحب لواء ذى الكلاع وكان رجلا من عذرة وهو يقول

اثبت فانى لست من فرعى مضر

نحن اليمانيون ما فينا ضجر

كيف ترى وقع غلام من عذر

ينعى ابن عفان ويلحى من غدر

يا أعور العين رمى فيها العور

سيان عندى من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه في وسط المعركة وكر في العجاج وهو يقول

يا هاشم بن عتبة بن مالك

أعزز بشيخ من قريش هالك

يخبط الخيلين بالسنابك

أبشر بحور العين في الارائك

والروح والريحان عند ذلك

ووقف علىّ رضى الله عنه عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات

جزى الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

يزيد وعبد الله بشر بن معبد * وسفيان وابنا هاشم ذى المكارم

وعروة لا ينفد ثناه وذكره *

يعطى عليها والا فلا قال وما هو قال يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له انى أعلم انك لا تبخل بهذا الامر لنفسك لكبر سنك وانه لا تطول مدتك فيه وانما تبخل به لابنك افترانى أدع ابنك يبقى بعدك حتى يلى على ابنى كلا والله لا يكون ذلك أبدا ولا آمن على ابنك وأنت تنظر حتى ييأس منه فان فعل ذلك فاعله أن يجيب الى ما يراد منه فجاء العباس الى المنصور وأخبره بذلك فلما اجتمعوا عنده قال ذلك وكان عيسى بن علي حاضرا فقام ليبول فأمر عيسى بن موسى ابنه موسى ليقوم معه يجمع عليه ثيابه فقام معه فقال له عيسى بن علي بأبى أنت وبأبى ولدك والله انى لاعلم انه لا خير في هذا الامر بعدكما وانكما لأحق به ولكن المرء مغرى بما يجل فقال موسى أمكننى هذا والله من مقاتلته وهو الذى يغرى بأبى والله لاقتلنه فلما رجعا قال موسى لابيه ذلك سرا فاستأذنه في أن يقول للمنصور ما سمع منه فقال له أبوه ان لهذا رأيا ومذهبا أبا ائتمنك عمك على مقالة أراد أن يسرك بها فجعلتها سببا للمكروه لا يسمعن هذا أحد ارجع الى مكانك فلما رجع الى مكانه أمر المنصور الربيع فقام الى موسى فخنقه بحمائله وموسى يصيح الله الله في دمى يا أمير المؤمنين وما يبالى عيسى أن تقتلني وله بضعة عشر ذكرا والمنصور يقول يا ربيع ازهق نفسه والربيع يوهم أنه يريد تلفه وهو يرفق به وموسى يصيح فلما رأى ذلك أبوه قال والله يا أمير المؤمنين ما كنت أظن ان الامر يبلغ منك هذا كله فاكفف عنه فها أنا ذا أشهدك ان نسائى طوالق ومماليكى وما أملك في سبيل الله تصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين وهذه يدى بالبيعة للمهدى فبايعه للمهدى ثم جعل عيسى ابن موسى بعد المهدى فقال بعض أهل الكوفة هذا الذى كان غدا فصار بعد غد وقيل ان المنصور وضع الجند وكانوا يسمعون عيسى بن موسى ما يكره فشكا ذلك من فعلهم فنهاهم المنصور عنه وكانوا يكفون ثم يعودون ثم انهما تكاتبا مكاتبات أغضبت المنصور وعاد الجند معه لاشد ما كانوا منهم أسد بن المرزبان وعقبة بن سلم ونصر بن حرب بن عبد الله وغيرهم فكانوا يمنعون من الدخول عليه ويسمعونه فشكاهم الى المنصور فقال له يا ابن أخى انا والله أخافهم عليك وعلى نفسى فانهم يحبون هذا الفتى فلو قدمته بين يديك لكفوا فأجاب عيسى الى ذلك وقيل ان المنصور استشار خالد بن برمك في ذلك وبعثه الى عيسى فاخذ معه ثلاثين من كبار شيعة المنصور ممن يختارهم وقال لعيسى في أمر البيعة فامتنع فرجعوا الى المنصور وشهدوا على عيسى انه خلع نفسه فبايع للمهدى وجاء عيسى فانكر ذلك فلم يسمع منه وشكر لخالد صنيعه وقيل بل اشترى المنصور منه ذلك بمال قدره أحد عشر ألف ألف درهم له ولاولاده وأشهد على نفسه بالخلع وكانت مدة ولاية عيسى بن موسى الكوفة ثلاث عشرة سنة وعزله المنصور واستعمل محمد بن سليمان بن علي عليها ليؤذى عيسى ويستخف به فلم يفعل ولم يزل معظما له مبجلا

﴿ذكر موت عبد الله بن علي﴾

وكان المنصور قد احضر عيسى بن موسى بعد ان خلع نفسه وسلم اليه عمه عبد الله بن علي وأمره بقتله وقال له ان الخلافة صائرة اليك بعد المهدى فاضرب عنقه واياك ان تضعف فتنقض على أمرى الذى دبرته ثم مضى الى مكة وكتب الى عيسى من الطريق يستعلم منه ما فعل في الامر الذى أمره فكتب عيسى في الجواب قد انفذت ما أمرت به فلم يشك أنه قتله وكان عيسى حين أخذ عبد الله من عند المنصور دعا كاتبه يونس بن فروة وأخبره الخبر فقال أراد ان تقتله ثم يقتلك لانه أمر بقتله سرا ثم يدعيه عليك علانية فلا تقتله ولا تدفعه اليه سرا أبدا واكتم أمره ففعل ذلك عيسى فلما قدم المنصور وضع على أعمامه من يحركهم على الشفاعة في أخيهم عبد الله ففعلوا وشفعوا فشفعهم وقال لعيسى انى كنت دفعت اليك عمى وعمك عبد الله ليكون في منزلك وقد كلمنى

اذا سل بالبيض الخفاف الصوارم *

واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة في سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلىّ فقال أخرجونى وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقى الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أنى قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذى أبقانى الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملانى وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعى أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل ابن ورقاء الخزاعى في خلق من خزاعة وكان عبد الله في ميسرة على وهو يرتجز ويقول

لم يبق الا الصبر والتوكل

وأخذك الترس وسيف مصقل

ثم التمشى في الرعيل الاول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم

عمومتك فيه وقد صفحت عنه فأتنا به قال يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله فقتلته قال ما أمرتك قال بلى أمرتني قال ما أمرتك الا بحبسه وقد كذبت ثم قال المنصور لعمومته ان هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم قالوا فادفعه الينا نقيده به فسلمه اليهم وخرجوا به الى الرحبة واجتمع الناس وشهر الامر وقام أحدهم ليقتله فقال له عيسى أفاعل أنت قال اى والله قال ردوني الى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال له انما أردت بقتله ان تقتلني هذا عمك حي سوي قال ائتنا به فأتاه به فقال يدخل حتى أرى رأيي ثم انصرفوا ثم أمر به فجعل في بيت أساسه ملح وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فمات فدفن في مقابر باب الشام فكان أول من دفن فيها وكان عمره اثنتين وخمسين سنة قيل ركب المنصور يوما ومعه ابن عياش المنتوف فقال له المنصور تعرف ثلاثة خلفاء أسماؤهم على العين قتلت ثلاثة خوارج مبدأ أسمائهم على العين قال لا أعرف الا ما يقول العامة ان عليا قتل عثمان وكذبوا وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الاشعث وعبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد وعبد الله بن علي سقط عليه البيت فقال المنصور اذا سقط عليه فما ذنبي أنا قال ما قلت ان لك ذنبا قوله ابن الزبير قتل عمرو بن سعيد ليس بصحيح انما قتله عبد الملك (عياش بالياء المثناة من تحت والشين المعجمة)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ولى المنصور محمدا ابن أخيه أبي العباس السفاح البصرة فاستعفى منها فأعفاه فانصرف الى بغداد واستخلف بها عقبة بن سالم فأقره المنصور عليها فلما رجع الى بغداد مات بها وحج بالناس هذه السنة المنصور وكان عامله على مكة والطائف عمه عبد الصمد بن علي وعلى المدينة جعفر بن سليمان وعلى مصر يزيد بن حاتم المهلبي وفيها أغزى عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس مولاه بدرا وتمام بن علقمة طليطلة وبها هاشم بن عذرة وضيقا عليه ثم اسراه هو وحياة ابن الوليد اليحصبي وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وأتيا بهم الى عبد الرحمن في جباب صوف وقد حلقت رؤسهم ولحاهم وقد اركبوا الحمير وهم في السلاسل ثم صلبوا بقرطبة وفيها قدم رسول عبد الرحمن الذي أرسله الى الشام في احضار ولده الاكبر سليمان فحضر وسليمان معه وكان قد ولد لعبد الرحمن بالاندلس ولده هشام فقدمه الامير عبد الرحمن على سليمان فحصل بينهما حقد وغل أوجبا ما نذكره فيما بعد وفيها تناثرت النجوم وفيها مات أشعث بن عبد الملك الحراني البصري وهشام بن حسان مولى لعتيك وقيل مات سنة ثمان وأربعين وعبد الرحمن بن زبيد بن الحرث اليامي أبو الاشعث الكوفي

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر خروج حسان بن مجالد﴾

وفيها خرج حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الاجدع الهمداني ومالك هذا هو أخو مسروق ابن الاجدع وكان خروجه بنواحي الموصل بقرية تسمى بافخاري قريب من الموصل على دجلة فخرج اليه عسكر الموصل وعليها الصقر بن نجدة وكان قد وليها بعد حرب بن عبد الله فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل الى الجسر واحرق الخوارج أصحاب حسان السوق هناك ونهبوه ثم ان حسان سار الى الرقة ومنها الى البحر ودخل الى بلد السند وكانت الخوارج من أهل عمان يدخلونهم ويدعونهم فاستأذنهم في المصير اليهم فلم يجيبوه فعاد الى الموصل فخرج اليه الصقر أيضا والحسن بن صالح بن حسان الهمداني وبلال القيسي فالتقوا فانهزم الصقر وأسر الحسن بن صالح وبلال فقتل حسان بلالا واستبقى الحسن لانه من همدان ففارقه بعض أصحابه لهذا وكان حسان قد أخذ رأي الخوارج عن خاله حفص بن اشيم وكان من علماء الخوارج وفقهائهم ولما بلغ

استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي وكان صاحب راية قومه في تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولي قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان في الحكم بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوي بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسي وآثرت ملكك على ديني وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل في العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ حرمنا أثمار الجنة وأنهارها وخرج الى قومه وصمد الى الحرب وكان عبيد الله بن عمر اذا خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ما خلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها اني قد عبأت اليوم لقومك وايم الله اني لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطي سيدا منهم فقالت ما أبغض الا ان تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكأني بك قتيلا وقد أتيتهم

المنصور خروج حسان قال خارجي من همدان قالوا انه ابن أخت حفص بن اشيم فقال فمن هناك وانما انكر المنصور ذلك لان عامة همدان شيعة لعلي وعزم المنصور على انفاذ الجيوش الى الموصل والفتك بأهلها فاحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة وقال لهم ان أهل الموصل شرطوا الي انهم لا يخرجون علي فان فعلوا حلت دماؤهم وأموالهم وقد خرجوا فسكت أبو حنيفة وتكلم الرجلان وقالا رعيتك فان عفوت فأهل ذلك أنت وان عاقبت فبما يستحقون فقال لابي حنيفة أراك سكت يا شيخ فقال يا أمير المؤمنين أباحوك ما لا يملكون أرأيت لو أن امرأة أباحت فرجها بغير عقد نكاح وملك يمين أكان يجوز ان توطأ قال لا وكف عن أهل الموصل وأمر أبا حنيفة وصاحبيه بالعود الى الكوفة

﴿ذكر استعمال خالد بن برمك﴾

وفيها استعمل المنصور على الموصل خالد بن برمك وسبب ذلك انه بلغه انتشار الاكراد بولايتها وافسادهم فقال من لها فقالوا المسيب بن زهير فأشار عمارة بن حمزة بخالد بن برمك فولاه وسيره اليها وأحسن الى الناس وقهر المفسدين وكفهم وهابه أهل البلد هيبة شديدة مع احسانه اليهم وفيها ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك لسبع بقين من ذي الحجة قبل ان يولد الرشيد بن المهدي بسبعة أيام فأرضعته الخيزران أم الرشيد بلبن ابنها فكان الفضل بن يحيى أخا الرشيد من الرضاعة ولذلك يقول سلم الخاسر

أصبح الفضل والخليفة هرو * ن رضيعي لبان خير النساء

وقال أبو الجنوب

كفى لك فضلا ان أفضل حرة * غذتك بثدي والخليفة واحد

﴿ذكر ولاية الاغلب بن سالم افريقية﴾

لما بلغ المنصور خروج محمد بن الاشعث من افريقية بعث الى الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي عهدا بولاية افريقية وكان هذا الاغلب ممن قام مع أبي مسلم الخراساني وقدم افريقية مع محمد بن الاشعث فلما أتاه العهد قدم القيروان في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائة وأخرج جماعة من قواد المضرية وسكن الناس وخرج عليه أبو قرة في جمع كثير من البربر فسار اليه الاغلب فهرب أبو قرة من غير قتال وسار الاغلب يريد طنجة فاشتد ذلك على الجند وكرهوا المسير وتسللوا عنه الى القيروان فلم يبق معه الا نفر يسير وكان الحسن بن حرب الكندي بمدينة تونس وكاتب الجند ودعاهم الى نفسه فأجابوه فسار حتى دخل القيروان من غير مانع وبلغ الاغلب الخبر فعاد مجدا فقال له بعض أصحابه ليس من الرأي أن تعدل الى لقاء العدو في هذه العدة القليلة ولكن الرأي ان تعدل الى قابس فان أكثر من معه يجيء اليك لانهم انما كرهوا المسير الى طنجة لا غير وتقوى بهم وتقاتل عدوك ففعل ذلك وكثر جمعه وسار الى الحسن بن حرب فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحسن وقتل من أصحابه جمع كثير ومضى الحسن الى تونس في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة ودخل الاغلب القيروان وحشد الحسن وجمع فسار في عدة عظيمة فقصد الاغلب فخرج اليه الاغلب من القيروان فالتقوا واقتتلوا فأصاب الاغلب سهم فقتله وثبت أصحابه فتقدم عليهم المخارق بن غفار فحمل المخارق على الحسن وكان في ميمنة الاغلب فهزمه فمضى منهزما الى تونس في شعبان سنة خمسين ومائة وولي المخارق افريقية في رمضان ووجه الخيل في طلب الحسن فهرب الحسن من تونس الى كتامة فأقام شهرين ثم رجع الى تونس فخرج اليه من بها من الجند فقتلوه وقد قيل ان الحسن قتل بعد قتل الاغلب لان أصحاب الاغلب ثبتوا بعد قتله في المعركة فقتل الحسن بن حرب أيضا وولى أصحابه منهزمين وصلب الحسن ودفن الاغلب وسمي الشهيد وكانت هذه الوقعة في شعبان سنة خمسين ومائة

أسألهم ان يهبوا الى جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي وطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعي هو الذي قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره وكلمن نساؤه معاوية في جيفته فأمر ان تأتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن قد أجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته فقالوا للنسوة عبيد الله ان شئتن شددناه الى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل الى عسكر معاوية فصرخن وقلن هذا أشد علينا وأخبرن معاوية بذلك فقال لهن ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم قد حذرته ما صار اليه فهبوا لي جيفته ففعلوا والقت

﴿ذكر الفتن بالاندلس﴾

فى هذه السنة خرج سعيد اليحصبى المعروف بالمطرى بالاندلس بمدينة لبلة وسبب ذلك انه سكر يوما فذكر من قتل من أصحابه اليمانية مع العلاء وقد ذكرناه فعقد لواء فلما صحا رآه معقودا فسأل عنه فأخبر به فاراد حله ثم قال ما كنت أعقد لواء ثم أحله بغير شئ وشرع فى الخلاف فاجتمعت اليمانية اليه وقصد اشبيلية وتغلب عليها وكثر جمعه فبادره عبد الرحمن صاحب الاندلس فى جموعه فامتنع المطرى فى قلعة زعواق لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فحصره عبد الرحمن فيها وضيق عليه ومنع أهل الخلاف من الوصول اليه وكان قد وافقه على الخلاف غياث بن علقمة اللخمى وكان بمدينة شدونة وقد انضاف اليه جماعة من رؤساء القبائل يريدون امداد المطرى وهم فى جمع كثير فلما سمع عبد الرحمن ذلك سير اليهم بدرا مولاه فى جيش فحال بينهم وبين الوصول الى المطرى فطال الحصار عليه وقلت رجاله بالقتل ففارقه بعضهم فخرج يوما من القلعة وقاتل فقتل وحمل رأسه الى عبد الرحمن فقدم أهل القلعة عليهم خليفة بن مروان فدام الحصار عليهم فارسل أهلها يطلبون الامان من عبد الرحمن ليسلموا اليه خليفة فاجابهم الى ذلك وأمنهم فسلموا اليه الحصن وخليفة فخرب الحصن وقتل خليفة ومن معه ثم انتقل الى غياث وكان موافقا للمطرى على الخلاف فحصرهم وضيق عليهم فطلبوا الامان فامنهم الا نفرا كان يعرف كراهتهم لدولته فانه قبض عليهم وعاد الى قرطبة فلما عاد اليها خرج عليه عبد الله بن خراشة الاسدى بكورة جيان فاجتمعت اليه جموع فاغار على قرطبة فسير اليه عبد الرحمن جيشا فتفرق جمعه فطلب الامان فبذله له عبد الرحمن ووفى له

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها عسكر صالح بن على بدابق ولم يغز وحج بالناس أبو جعفر المنصور وكان ولاة الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات سليمان بن مهران الاعمش وكان مولده سنة ستين وفيها مات جعفر بن محمد الصادق وقبره بالمدينة يزار هو وأبوه وجده فى قبر واحد مع الحسن بن على بن أبى طالب وفيها مات زكريا بن أبى زائدة وأبو أمية عمرو بن الحرث بن يعقوب مولى قيس بن سعد بن عبادة وقيل غير ذلك وكان مولده سنة تسعين وعبد الله بن يزيد مولى الاسود بن سفيان ويقال مولى تيم وهو ثقة ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القاضى ومحمد بن الوليد الزبيدى ومحمد بن عجلان المدنى وعوام ابن حوشب بن يزيد بن رويم الشيبانى الواسطى ويحيى بن أبى عمرو السيبانى من أهل الرملة (وسيبان بالسين المهملة ثم الياء المثناة من تحت ثم الباء الموحدة بطن من حمير)

﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة﴾

وفيها غزا العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الاشعث فمات محمد فى الطريق وفيها استتم المنصور بناء سور بغداد وخندقها وفرغ جميع أمورها وسار الى حديثة الموصل ثم عاد وحج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وفيها عزل عبد الصمد بن على عن مكة فى قول بعضهم واستعمل محمد بن ابراهيم وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم سوى مكة والطائف وفيها أغزى عبد الرحمن صاحب الاندلس بدرا مولاه الى بلاد العدو فجاوز البه وأخذ جزيتها وكان أبو الصباح حى بن يحيى على اشبيلية فعزله فدعا الى الخلاف فأنفذ اليه عبد الرحمن وخدعه حتى حضر عنده فقتله وفيها مات سلم بن قتيبة الباهلى بالرى وكان مشهورا عظيم القدر وكهمس بن الحسن أبو الحسن التميمى البصرى وفيها توفى عيسى بن عمر الثقفى النحوى المشهور وعنه أخذ الخليل النحو وله فيه تصنيف

(ثم

اليهم بمطارف خز فادرجوه فيه ودفعوه اليه فقد شد رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا فى هذا اليوم حرض على عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعى ورمحى فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلى أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أى يومى من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشأم صف الا انتقض وأهمدوا كل ما أتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلى لا يمر بفارس الا قده وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاوية
الاخزر العين العظيم الحاوية
تهوى به فى النار أم هاوية

وقيل ان هذا الشعر للبديل بن ورقاء قاله فى ذلك اليوم ثم نادى على يا معاوية علام يقتل الناس بينى وبينك هلم أحاكمك الى الله فاينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو قد أنصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه

﴿ثم دخلت سنة خمسين ومائة﴾

﴿ذكر خروج استاذسيس﴾

وفيها خرج استاذسيس فى أهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من خراسان وكان فيما قيل فى ثلثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم وأهل مروالروذ فخرج اليهم الاجثم المروروذى فى أهل مروالروذ فقاتلوه قتالا شديدا فقتل الاجثم وكثر القتل فى أصحابه وهزم عدة من القواد منهم معاذ بن مسلم وجبرائيل بن يحيى وحماد بن عمرو وأبو النجم السجستانى وداود بن كرار فوجه المنصور وهو بالراذان خازم بن خزيمة الى المهدى فولاه المهدى محاربة استاذسيس وضم اليه القواد فسار خازم وأخذ معه من انهزم وجعلهم فى أخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون ألفا ثم انتخب منهم ستة آلاف رجل وضمهم الى اثنى عشر ألفا كانوا معه من المنتخبين وكان بكار بن مسلم فيمن انتخب وتعبى للقتال فجعل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته ونهار بن حصين السعدى على ميسرته وبكار بن سلم العقيلى فى مقدمته وكان لواؤه مع الزبرقان فمكر بهم وراوغهم فى ان ينقلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم وكان أكثرهم رجالة ثم سار خازم الى موضع فنزله وخندق عليه وعلى جميع أصحابه وجعل له أربعة أبواب وجعل على كل باب ألفا من أصحابه الذين انتخبوا وأتى أصحاب استاذسيس ومعهم الفؤس والمرور والزبل ليطموا الخندق فاتوا الخندق من الباب الذى عليه بكار بن سلم فحملوا على أصحاب بكار حملة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لاصحابه لا يؤتى المسلمون من ناحيتنا فترجل معه من أهله وعشيرته نحو من خمسين رجلا وقاتلوهم حتى ردوهم من بابهم ثم اقبل الى الباب الذى عليه خازم رجل من أصحاب استاذسيس من أهل سجستان اسمه الحريش وهو الذى كان يدبر أمرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان فى الميمنة يأمره ان يخرج من الباب الذى عليه بكار فان من بازائه قد شغلوا عنهم ويسير حتى يغيب عن أبصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم أبى عون وعمرو بن سلم بن قتيبة من طخارستان وبعث خازم الى بكار اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبروا وقولوا قد جاء أهل طخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم فى القلب على الحريش وشغلهم بالقتال وصبر بعضهم لبعض فبيناهم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم فتنادوا بينهم جاء أهل طخارستان فلما نظروا اليها حمل عليهم أصحاب خازم فكشفوهم ولقيهم أصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب وخرج نهار بن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن سلم وأصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون فاكثروا وكان عدد من قتل سبعين ألفا وأسروا أربعة عشر ألفا ونجا استاذسيس الى جبل فى نفر يسير فحصرهم خازم وقتل الاسرى ووافاه أبو عون وعمرو بن سلم ومن معهما فنزل استاذسيس على حكم أبى عون فحكم أن يوثق استاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد وان يعتق الباقون وهم ثلاثون ألفا فامضى خازم حكمه وكسا كل رجل ثوبين وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور وقيل ان خروج استاذسيس كان سنة خمسين وكانت هزيمته سنة احدى وخمسين ومائة وقد قيل ان استاذسيس ادعى النبوة وأظهر أصحابه الفسق وقطع السبيل وقيل انه جد المأمون أبو أمه مراجل وابنه غالب خال المأمون وهو الذى قتل ذا الرياستين الفضل بن سهل لمواطأة من المأمون وسيرد ذكره ان شاء الله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وما تجمل بك الا مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحول على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى مصافه وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن الشرقى ابن القطامى أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ما هو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما ان يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية يا عمرو الثانية أشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل ووجدت فى بعض النسخ

فى هذه السنة عزل المنصور جعفر بن سليمان عن المدينة وولاها الحسن بن زيد بن الحسن بن على وفيها خرج بالاندلس غياث بن المسير الاسدى بناحية فجمع العمال لعبد الرحمن جمعا كثيرا وسار الى غياث فواقعه فانهزم غياث ومن معه وقتل غياث وبعث برأسه الى عبد الرحمن بقرطبة وفيها مات جعفر بن أبى جعفر المنصور وصلى عليه أبوه ودفن ليلا فى مقابر قريش ولم يكن للناس صائفة وحج بالناس عبد الصمد بن على وكان هو العامل على مكة فى قول بعضهم وقال بعضهم بل كان العامل محمد بن ابراهيم وكان على الكوفة محمد بن سليمان بن على وعلى البصرة عقبة بن سلم وعلى قضائها سوار وعلى مصر يزيد بن حاتم وفى هذه السنة مات الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومعمر بن راشد وعمر بن ذر وقيل مات عمر سنة خمس وخمسين ومائة وكان من الصالحين يقول بالارجاء وفى سنة خمسين مات عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ومحمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازى وقيل مات سنة احدى وخمسين وفيها مات مقاتل بن سليمان البلخى المفسر وكان ضعيفا فى الحديث وأبو جناب الكلبى وعثمان بن الاسود وسعيد بن أبى عروبة واسم أبى عروبة مهران مولى بنى يشكر كنيته أبو النضر (يسار بالياء تحتها نقطتان وبالسين المهملة)

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائة﴾

فيها أغارت الكرك على جدة

﴿ذكر عزل عمر بن حفص عن السند وولاية هشام بن عمرو﴾

وفيها عزل المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صفرة المعروف بهزارمرد يعنى ألف رجل عن السند واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبى واستعمل عمر بن حفص على افريقية وكان سبب عزله عن السند انه كان عليها لما ظهر محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن فوجه محمد ابنه عبد الله المعروف بالاشتر الى البصرة فاشترى منها خيلا عتاقا ليكون سبب وصولهم الى عمر بن حفص لانه كان فيمن بايعه من قواد المنصور وكان يتشيع وسار وافى البحر الى السند فامرهم عمر أن يحضروا خيلهم فقال له بعضهم انا جئناك بما هو خير من الخيل وبما لك فيه خير الدنيا والآخرة فاعطنا الامان اما قبلت منا واما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج عن بلادك راجعين فامنه فذكر له حالهم وحال عبد الله بن محمد بن عبد الله أرسله أبوه اليه فرحب بهم وبايعهم وأنزل الاشتر عنده مختفيا ودعا كبراء أهل البلد وقواده وأهل بيته الى البيعة فاجابوه فقطع ألويتهم البيض وهيأ لبسه من البياض ليخطب فيه وتهيأ لذلك يوم الخميس فوصله مركب لطيف فيه رسول من امرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن عبد الله فدخل على الاشتر فاخبره وعزاه فقال له الاشتر ان أمرى قد ظهر ودمى فى عنقك قال عمر قد رأيت رأيا ههنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كثير المملكة وهو على شوكة أشد الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وفى أرسل اليه فاعقد بينك وبينه عقدا فاوجهك اليه فلست ترام معه ففعل ذلك وسار اليه الاشتر فاكرمه وأظهر بره وتسللت اليه الزيدية حتى اجتمع معه أربعمائة انسان من أهل البصائر فكان يركب فيهم ويتصيد فى هيئة الملوك وآلاتهم فلما انتهى ذلك الى المنصور بلغ منه ما بلغ وكتب الى عمر بن حفص يخبره ما بلغه فقرأ الكتاب على أهله وقال لهم ان أقررت بالقصة عزلنى وان صرت اليه قتلنى وان امتنعت حاربنى فقال له رجل منهم الق الذنب على وخذنى وقيدنى فانه سيكتب فى حملى اليه فاحملنى فانه لا يقدم على لمكانك فى السند وحال أهل بيتك بالبصرة فقال عمر أخاف عليك خلاف ما تظن قال ان قتلت فنفسى فداء لنفسك فقيده وحبسه وكتب الى المنصور بامره فكتب اليه المنصور يأمره بحمله فلما صار اليه ضرب عنقه ثم استعمل على

من أخبار صفين ان هاشما المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فجثا حتى دنا منه فلم يزل يعض على ثديه حتى نبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف الى عبيد الله فخشأه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم ومر معاوية فى خواص من أصحابه فى الموضع الذى كان ميمنته فنظر الى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة على فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ما قدمنا آنفا فاراد معاوية ان يمثل به فقال عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لا تركتك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لاكلونا ولو أنا فى جندل دون هذا الكبش وأنشأ يقول متمثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها

السند

السند هشام بن عمرو التغلبى وكان سبب استعماله ان المنصور كان تفكر فيمن يوليه السند فبيناهو راكب والمنصور ينظر اليه اذ غاب يسيرا ثم عاد فاستأذن على المنصور فأدخله فقال انى لما انصرفت من الموكب لقيتنى أختى فلانة فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها لامير المؤمنين فاطرق ثم قال اخرج يأتك أمرى فلما خرج قال المنصور لحاجبه الربيع لولا قول جرير

لا تطلبن خؤولة فى تغلب * فالزنج أكرم منهم أخوالا

لتزوجت اليه قل له لو كان لنا حاجة فى النكاح لقبلت فجزاك الله خيرا وقد وليتك السند فتجهز اليها وأمره ان يكاتب ذلك الملك بتسليم عبد الله فان سلمه والا حاربه وكتب الى عمر بن حفص بولايته افريقية فسار هشام الى السند فملكها وسار عمر الى افريقية فوليها فلما صار هشام بالسند كره أخذ عبد الله الاشتر وأقبل يرى الناس انه يكاتب ذلك الملك واتصلت الاخبار بالمنصور بذلك فجعل يكتب اليه يستحثه فبيناهو كذلك اذ خرجت خارجة ببلاد السند فوجه هشام أخاه سفنجا فخرج فى جيشه وطريقه بجنبات ذلك الملك فبيناهو يسير اذ غبرة قد ارتفعت فظن أنهم مقدمة العدو الذى يقصده فوجد طلائعه فزحفت اليه فقالوا هذا عبد الله بن محمد العلوى يتنزه على شاطئ مهران فمضى يريده فقال نصحاؤه هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تركه أخوك متعمدا مخافة ان يبوء بدمه فلم يقصده فقال ما كنت لادع أخذه ولا أدع احدا يحظى بأخذه أو قتله عند المنصور وكان عبد الله فى عشرة فقصده فقاتله عبد الله وقاتل أصحابه حتى قتل وقتلوا جميعا فلم يفلت منهم مخبر وسقط عبد الله بين القتلى فلم يشعر به وقيل ان أصحابه قذفوه فى مهران حتى لا يحمل رأسه فكتب هشام بذلك الى المنصور فكتب اليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك فحاربه حتى ظفر به وقتله وغلب على مملكته وكان عبد الله قد اتخذ سرارى فاولد واحدة منهن ولدا وهو محمد بن عبد الله الذى يقال له ابن الاشتر فأخذ هشام السرارى والولد معهن فسيرهن الى المنصور فسيرا المنصور الولد الى عامله بالمدينة وكتب معه بصحة نسبه وتسليمه الى أهله

﴿ذكر ولاية أبى جعفر عمر بن حفص افريقية﴾

وفى هذه السنة استعمل المنصور على افريقية أبا جعفر عمر بن حفص من ولد قبيصة بن أبى صفرة أخى المهلب وانما نسب لبيت المهلب لشهرته وكان سبب مسيره اليها ان المنصور لما بلغه قتل الاغلب بن سالم خاف على افريقية فوجه اليها عمر واليا فقدم القيروان فى صفر سنة احدى وخمسين ومائة فى خمسمائة فارس فاجتمع وجوه البلد فوصلهم وأحسن اليهم وأقام والامور مستقيمة ثلاث سنين فسار الى الزاب لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبى فخلت افريقية من الجند فثار بها البربر فخرج اليهم حبيب فقتل واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم الاباضى واسمه يعقوب بن حبيب مولى كندة وكان عامل عمر ابن حفص على طرابلس الجنيد بن بشار الاسادى وكتب الى عمر يستمده فامده بعسكر فالتقوا وقاتلوا أبا حاتم الاباضى فهزمهم فساروا الى قابس وحصرهم أبو حاتم وعمر مقيم بالزاب على عمارة طبنة وانتقضت افريقية من كل ناحية ومضوا الى طبنة فاحاطوا بها فى اثنى عشر عسكرا منهم أبو قرة الصفرى فى أربعين ألفا وعبد الرحمن بن رستم فى خمسة عشر ألفا وأبو حاتم فى عسكر كثير وعاصم السدرانى الاباضى فى ستة آلاف والمسعود الزناتى الاباضى فى عشرة آلاف فارس وغير من ذكرنا فلما رأى عمر بن حفص احاطتهم به عزم على الخروج الى قتالهم فمنعه أصحابه وقالوا ان أصبت تلف العرب فعدل الى اعمال الحيلة فأرسل الى أبى قرة مقدم الصفرية يبذل له ستين

وان شمرت يوما به الحرب شمر كليث هزبر كان يحمى ذماره رمته المنايا قصدها فتقطرا ونظر على الى غسان فى مصافهم لا يزولون فحرض أصحابه عليهم وقال ان هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح الطعام وتسقط منه المعاصم والاكف وحتى تشدخ جباههم بعمد الحديد وتنتثر حواجبهم على الصدور والاذقان أين أهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية وقال امش بها نحو هذه الراية مشيا رويدا حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فامسك حتى يأتيك أمرى ففعل وأتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة وقد كردس الخيل فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا وعادت الحرب فى آخر النهار كحالها فى أوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفا مقنعون فى الحديد على ميسرة على فاقتطعوا ألف فارس فانتدب من أصحاب على عبد العزيز بن الحرث الجعفى وقال لعلى مرنى

ألف درهم ليرجع عنه فقال بعد ان سلم على بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ولم يجبهم الى ذلك فأرسل الى اخي أبي قرة فدفع اليه أربعة آلاف درهم وثيابا على أن يعمل في صرف أخيه الصفرية فاجابهم وارتحل من ليلته وتبعه العسكر منصرفين الى بلادهم فاضطر أبو قرة الى اتباعهم فلما سارت الصفرية سير عمر جيشا الى ابن رستم وهو في تهوذا قبيلة من البربر فقاتلوه فانهزم ابن رستم الى تاهرت فضعف أمر الاباضية عن مقاومة عمر فسار واعن طبنة الى القيروان فحصرها أبو حاتم وعمر بطبنة يصلح أمورها ويحفظها ممن يجاوره من الخوارج فلما علم ضيق الحال بالقيروان سار اليها ولما سار عمر بن حفص الى القيروان استخلف على طبنة عسكرا فلما سمع أبو قرة بمسير عمر بن حفص سار هو الى طبنة فحصرها فخرج اليه من بها من العساكر وقاتلوه فانهزم منهم وقتل من عسكره خلق كثير وأما أبو حاتم فانه لما حصر القيروان كثر جمعه ولازم حصارها وليس في بيت مالها دينار ولا في اهرائها شئ من الطعام فدام الحصار ثمانية أشهر وكان الجند يخرجون فيقاتلون الخوارج طرفي النهار حتى جهدهم الجوع وأكلوا دوابهم وكلابهم ولحق كثير من أهلها بالبربر ولم يبق غير دخول الخوارج اليها فأتاهم الخبر بوصول عمر ابن حفص من طبنة فنزل الهريش وهو في سبعمائة فارس فزحف الخوارج اليه باجمعهم وتركوا القيروان فلما فارقوها سار عمر الى تونس فتبعه البربر فعاد الى القيروان مجدا وادخل اليها ما يحتاج من طعام ودواب وحطب وغير ذلك ووصل أبو حاتم والبربر اليه فحصروه فطال الحصار حتى أكلوا دوابهم وفي كل يوم يكون بينهم قتال وحرب فلما ضاق الامر بعمر وبمن معه قال لهم الرأى ان أخرج من الحصار واغير على بلاد البربر واحمل اليكم الميرة قالوا انا نخاف بعدك قال فارسل فلانا وفلانا يفعلان ذلك فاجابوه فلما قال للرجلين قالا لا نترك في الحصار ونسير عنك فعزم على القاء نفسه الى الموت فاتى الخبر ان المنصور قد سير اليه يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب في ستين ألف مقاتل وأشار عليه من عنده بالتوقف عن القتال الى ان يصل العسكر فلم يفعل وخرج وقاتل فقتل منتصف ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وقام بامر الناس حميد بن صخر وهو اخو عمر لامه فوادع أبا حاتم وصالحه على ان حميدا ومن معه لا يخلعون المنصور ولا ينازعهم أبو حاتم في سوادهم وسلاحهم وأجابهم الى ذلك وفتحت له القيروان وخرج أكثر الجند الى طبنة وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها وبلغه وصول يزيد بن حاتم فسار الى طرابلس وأمر صاحبه بالقيروان بأخذ سلاح الجند وان يفرق بينهم فخالف بعض أصحابه وقالوا لا نغدر بهم وكان المقدم على المخالفين عمر بن عثمان الفهري وقام في القيروان وقتل أصحاب أبي حاتم فعاد أبو حاتم فهرب عمر بن عثمان من بين يديه الى تونس وعاد أبو حاتم الى طرابلس لقتال يزيد بن حاتم فقيل كان بين الخوارج والجنود من لدن قاتلوا عمر بن حفص الى انقضاء أمرهم ثلثمائة وخمس وسبعون وقعة

﴿ذكر ولاية يزيد بن حاتم افريقية وقتال الخوارج﴾

لما بلغ المنصور ما حل بعمر بن حفص من الخوارج جهز يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة في ستين ألف فارس وسيره الى افريقية فوصلها سنة أربع وخمسين ومائة فلما قاربها سار اليه بعض جندها واجتمعوا به وساروا معه الى طرابلس فسار أبو حاتم الخارجي الى جبال نفوسة وسير يزيد طائفة من العسكر الى قابس فلقيهم أبو حاتم فهزمهم فعادوا الى يزيد ونزل أبو حاتم في مكان وعر وخندق على عسكره وعبا يزيد أصحابه وسار اليه فالتقوا في ربيع الاول سنة خمس وخمسين فاقتتلوا أشد قتال فانهزمت البربر وقتل أبو حاتم وأهل نجدته وطلبهم يزيد في كل سهل وجبل

بأمرك فقال شد الله ركبك سر حتى تنتهى الى اخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم على كبروا ثم احملوا ونحمل حتى نلتقى فحمل الجعفى فطعن في عرضهم حتى انتهى اليهم فاخبرهم بمقالة على فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلى وشدخوا سبعمائة من أهل الشام وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن في أهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرها من ربيعة الحضين ابن المنذر بن الحرث ابن وعلة الذهلى وفيه يقول على في هذا اليوم لمن راية سوداء يخفق ظلها اذا قلت قدمها حضين تقدما فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجنهم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا على الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم في اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبر اذا ضرب ولم يكن يضرب الا قتل ذكر ذلك عنه من كان يليه في

فقتلهم قتلا ذريعا وكان عدة من قتل في المعركة ثلاثين ألفا وجعل آل المهلب يقتلون الخوارج ويقولون يالثارات عمر بن حفص وأقام شهرا يقتل الخوارج ثم رحل الى القيروان فكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري مع أبي حاتم فهرب الى كتامة فسير اليهم يزيد بن حاتم جيشا فحصروا البربر وظفروا بهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وهرب عبد الرحمن وقتل جميع من كان معه وصفت افريقية وأحسن يزيد السيرة وامن الناس الى ان انتقضت ورفجومة سنة أربع وستين ومائة بأرض الزاب وعليها أيوب الهوارى فسير اليهم عسكرا كثيرا واستعمل عليهم يزيد بن مجزا المهلبي فالتقوا واقتتلوا فانهزم يزيد وقتل كثير من أصحابه وقتل المخارق بن عفار صاحب الزاب فولى مكانه المهلب بن يزيد المهلبي وأمدهم يزيد بن حاتم بجمع كثير واستعمل عليهم العلاء ابن سعيد المهلبي وانضم اليهم المنهزمون ولقوا ورفجومة واقتتلوا واشتد القتال فانهزمت البربر وأيوب وقتلوا بكل مكان حتى أتى على آخرهم ولم يقتل من الجند أحد ثم مات يزيد في رمضان سنة سبعين ومائة وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر واستخلف ابنه داود على افريقية

﴿ذكر بناء الرصافة للمهدى﴾

وفي هذه السنة قدم المهدى من خراسان في شوال فقدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤه بقدومه فاجازهم وحملهم وكساهم وفعل بهم المنصور مثل ذلك وبنى له الرصافة وكان سبب بنائها ان بعض الجند شغبوا على المنصور وحاربوه على باب الذهب فدخل عليه قثم بن العباس بن عبيد الله بن عباس وهو شيخهم وله الحرمة والتقدم عندهم فقال له المنصور أما ترى ما نحن فيه من التياث الجند علينا وقد خفت ان تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الامر من ايدينا فما ترى قال يا أمير المؤمنين عندى رأى ان أظهرته لك فسد وان تركته امضيته وصلحت خلافتك وهابك جندك قال له أفتمضى في خلافتي شيأ لا أعلمه فقال له ان كنت عندك متهما فلا تشاورني فان كنت مأمونا عليها فدعنى افعل رأيى قال له المنصور فامضه فانصرف قثم الى منزله فدعا غلاما له فقال اذا كان الغد فتقدمني واجلس في دار أمير المؤمنين فاذا رأيتني قد دخلت وتوسطت أصحاب المراتب فخذ بعنان بغلتى فاستحلفني بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق العباس وبحق أمير المؤمنين الا ما وقفت لك وسمعت مسئلتك واجبتك عنها فاني سأنتهرك واغلظ لك فلا تخف وعاود المسئلة فاني سأضربك فعاود وقل لى أى الحيين أشرف اليمن ام مضر فاذا أجبتك فاترك البغلة وأنت حر ففعل الغلام ما أمره وفعل قثم به ما قاله ثم قال مضر اشرف لان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وفيها بيت الله ومنها خليفة الله فامتعضت لذلك اليمن اذ لم يذكر لهم شيأ وقال بعض قوادهم ليس الامر كذلك مطلقا بغير فضيلة لليمن ثم قال لغلام له قم الى بغلة الشيخ فاكبحها ففعل حتى كاد يقعيها فامتعضت مضر وقالوا يفعل هذا بشيخنا فامر بعضهم غلامه فضرب يد ذلك الغلام فقطعها فنفر الحيان ودخل قثم على المنصور فافترق الجند فصارت مضر فرقة وربيعة فرقة والخراسانية فرقة فقال قثم للمنصور قد فرقت بين جندك وجعلتهم احزابا كل حزب منهم يخاف ان يحدث حدثا فتضربه بالحزب الآخر وقد بقى عليك في التدبير بقية وهى أن تعبر بابنك فتنزله في ذلك الجانب وتحول معه قطعة من جيشك فيصير ذلك بلدا وهذا بلدا فان فسد عليك أولئك ضربتهم بهؤلاء وان فسد عليك هؤلاء ضربتهم باولئك وان فسد عليك بعض القبائل ضربتهم بالقبيلة الاخرى فقبل رأيه واستقام ملكه وبنى الرصافة وتولى صالح صاحب المصلى ذلك

﴿ذكر قتل سليمان بن حكيم العبدى﴾

حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول

نحن قتلنا حوشبا لما غدا قد أعلما
وذا الكلاع قبله ومعبدا اذ قدما
ان تقتلوا منا أبا ال‍ يقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا منكم سبعين راسا مجرما
اضحوا بصفين وقد لاقوا نكالا مؤلما

وكان الاشتر في هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله في الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخبآتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر في الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة

فى هذه السنة سار عقبة بن سلم من البصرة واستخلف عليها نافع بن عقبة الى البحرين فقتل سليمان بن حكيم وسبى أهل البحرين وانفذ بعض السبى والاسارى الى المنصور فقتل بعضهم ووهب الباقين للمهدى فاطلقهم وكساهم ثم عزل عقبة عن البصرة لانه لم يستقص على أهل البحرين وزعم بعضهم ان المنصور استعمل معن بن زائدة الشيبانى على سجستان هذه السنة وحج بالناس هذه السنة محمد بن ابراهيم الامام وكان هو العامل بمكة والطائف وعلى المدينة الحسن ابن زيد وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابى وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى مصر يزيد بن حاتم

﴿ذكر ابتداء أمر شقنا وخروجه بالاندلس﴾

وفيها سار فى الشرق من الاندلس رجل من بربر مكناسة كان يعلم الصبيان وكان اسمه شقنا بن عبد الواحد وكانت أمه تسمى فاطمة وادّعى انه من ولد فاطمة عليها السلام ثم من ولد الحسين عليه السلام وتسمى بعبد الله بن محمد وسكن شنت برية واجتمع عليه خلق كثير من البربر وعظم أمره وسار اليه عبد الرحمن الاموى فلم يقف له وراغ فى الجبال فكان اذا أمن انبسط واذا خاف صعد الجبال بحيث يصعب طلبه فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك فاستعمل حبيب على شنت برية سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان وأمره بطلب شقنا فنزل شقنا الى شنت برية وأخذ سليمان فقتله واشتد أمره وطار ذكره وغلب على ناحية قورية وأفسد فى الارض فعاد عبد الرحمن الاموى فغزاه فى سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه فلم يثبت له فاعياه أمره فعاد عنه وسير اليه سنة ثلاث وخمسين بدرا مولاه فهرب شقنا وأخلى حصنه شطران ثم غزاه عبد الرحمن الاموى بنفسه سنة أربع وخمسين ومائة فلم يثبت له شقنا ثم سير اليه سنة خمس وخمسين أبا عثمان عبيد الله بن عثمان فخدعه شقنا وافسد عليه جنده فهرب عبيد الله وغنم شقنا عسكره وقتل جماعة من بنى أمية كانوا فى العسكر وفى سنة خمس وخمسين أيضا سار شقنا بعد ان غنم عسكر عبيد الله الى حصن الهوار بين المعروف بمدائن وبه عامل لعبد الرحمن فمكر به شقنا حتى خرج اليه فقتله شقنا وأخذ خيله وسلاحه وجميع ما كان معه

﴿ذكر قتل معن بن زائدة﴾

فى هذه السنة قتل معن بن زائدة الشيبانى بسجستان وكان المنصور قد استعمله عليها فلما وصلها أرسل الى رتبيل يأمره بحمل القرار الذى عليه كل سنة فبعث اليه عروضا وزاد فى ثمنها فغضب معن وسار الى الرخج وعلى مقدمته ابن أخيه معن بن زائدة فوجد رتبيل قد خرج عنها الى زابلستان ليصيف بها ففتحها وأصاب سبيا كثيرا وكان فى السبى فرج الرخجى وهو صبى وأبوه زياد فرأى معن غبارا ساطعا أثارته حمر الوحش فظن انه جيش أقبل نحوه ليخلص السبى والاسرى فأمر بوضع السيف فيهم فقتل منهم عدة كثيرة ثم ظهر له أمر الغبار فامسك فخاف معن الشتاء وهجومه فانصرف الى بست وأنكر قوم من الخوارج سيرته فاندسوا مع فعلة كانوا يبنون فى منزله فلما بلغوا التسقيف أخفوا سيوفهم فى القصب ثم دخلوا عليه بيته وهو يحتجم ففتكوا به وشق بعضهم بطنه بخنجر كان معه وقال أحدهم لما ضربه أنا الغلام الطاقى والطاق رستاق بقرب زرنج فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج منهم أحد ثم ان يزيد قام بأمر سجستان واشتدت على العرب والعجم من أهلها وطأته فاحتال بعض العرب فكتب على لسانه الى المنصور كتابا يخبره فيه ان كتب المهدى اليه قد حيرته وأدهشته ويسأل ان يعفيه من معاملته فاغضب ذلك المنصور وشتمه وأقرأ المهدى كتابه فعزله وأمر بحبسه وبيع كل شئ له ثم انه كلم فيه فأشخص الى مدينة

مصحف وفى ذلك يقول
النجاشى بن الحرث
فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد
أما تتقى أن تهلك الثقلان
فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه وأحب القوم الموادعة وقيل لعلى قد أعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على أيها الناس انه لم يكن من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وانى كنت أمس أميرا فاصبحت اليوم مأمورا وقد احببتم البقاء فقال الاشتر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعذ بالله وتكلم رؤساء أصحاب على بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندرى ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال على ويحكم ما رفعوها الا انكم

السلام فلم يزل بها مجفوا حتى لقيه الخوارج على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلا ثم وجه الى يوسف البرم بخراسان فلم يزل فى ارتفاع الى ان مات

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفيها استعمل المنصور على الموصل اسمعيل بن خالد بن عبد الله القسرى وفيها مات عبد الله بن عون وكان مولده سنة ست وستين وفيها مات أسيد بن عبد الله فى ذى الحجة وهو أمير خراسان وحنظلة بن أبى سفيان الجمحى وعلى بن صالح ابن حى أخو الحسن بن صالح وكانا فقيهين فيهما تشيع

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة﴾

فيها غزا حميد بن قحطبة كابل وكان قد استعمله المنصور على خراسان سنة احدى وخمسين وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم وقيل أخوه محمد بن ابراهيم الامام ولم يدرب وفيها عزل المنصور جابر بن توبة عن البصرة واستعمل عليها يزيد بن منصور وفيها قتل المنصور هاشم بن الاساجيج وقد خالف وعصى بافريقية فحمل اليه فقتله وحج بالناس هذه السنة المنصور وفيها عزل يزيد بن حاتم عن مصر واستعمل عليها محمد بن سعيد وكان عمال الامصار سوى ما ذكرنا الذين تقدم ذكرهم وفيها مات محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن شهاب وهو ابن أخى محمد بن شهاب الزهرى روى عنه عمه وفيها مات يونس بن يزيد الايلى روى عن الزهرى أيضا وفيها مات طلحة بن عمرو الحضرمى وابراهيم بن أبى عبلة واسم أبى عبلة شمر بن يقظان بن عامر العقيلى (الايلى بفتح الهمزة وبالياء تحتها نقطتان والعقيلى بضم العين وفتح القاف)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة﴾

فيها عاد المنصور من مكة الى البصرة فجهز جيشا فى البحر الى الكرك الذين تقدم ذكر اغارتهم على جدة وفيها قبض المنصور على أبى أيوب الموريانى وعلى أخيه وبنى أخيه وكانت منازلهم المناذر وكان قد سعى به كاتبه أبان بن صدقة وقيل كان سبب قبضه ان المنصور فى دولة بنى أمية ورد على الموصل وأقام بها مستترا وتزوج امرأة من الازد فحملت منه ثم فارق الموصل واعطاها تذكرة وقال لها اذا سمعت بدولة لبنى هاشم فارسلى هذه التذكرة الى صاحب الامر فهو يعرفها فوضعت المرأة ولدا سمته جعفرا فنشأ وتعلم الكتابة وما يحتاج اليه الكاتب وولى المنصور الخلافة فقدم جعفر الى بغداد واتصل بابى أيوب فجعله كاتبا بالديوان فطلب المنصور يوما من أبى أيوب كاتبا يكتب له شيأ فارسل جعفرا اليه فلما رآه المنصور مال اليه واحبه فلما أمره بالكتابة رآه حاذقا ماهرا فسأله من أين هو ومن أبوه فذكر له الحال وأراه التذكرة وكانت معه فعرفه المنصور وصار يطلبه كل وقت بحجة الكتابة فخافه أبو أيوب ثم ان المنصور احضره يوما واعطاه مالا وأمره ان يصعد الى الموصل ويحضر والدته فسار من بغداد وكان أبو أيوب قد وضع عليه العيون يأتونه باخباره فلما علم مسيره سير وراءه من اغتاله فى الطريق فقتله فلما ابطأ على المنصور ارسل الى أمه بالموصل من يسألها عنه فذكرت له انها لا علم لها به الا انه ببغداد يكتب فى ديوان الخليفة فلما علم المنصور ذلك أرسل من يقص أثره فانتهى الى موضع وانقطع خبره فعلم انه قتل هنالك وكشف الخبر فرأى ان قتله من يد أبى أيوب فنكبه وفعل به ما فعل وقبض المنصور أيضا على عباد مولاه وعلى هرثمة بن أعين بخراسان وأحضرا مقيدين لتعصبهما لعيسى بن موسى وفيها أخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال أبو دلامة

تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا له انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا فى قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وبنى النابغة وعدة غيرهؤلاء ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وانا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا بعضه وتهددوه ان يصنع به ما صنع بعثمان وقال الاشعث ان شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال ذلك اليك فأته ان شئت فأتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ما أمر به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما فى الكتاب ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوب الاشعث قوله وانصرف الى على فأخبره بذلك فقال

وكنا نرجى من امام زيادة * فزاد الامام المصطفى فى القلانس

وفيها توفى عبيد ابن بنت ابن أبى ليلى قاضى الكوفة فاستقضى شريك بن عبد الله النخعى وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجورى فوصل الى حصن من حصون الروم ليلا وأهله نيام فسبى وأسر من كان فيه ثم قصد اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين وحج بالناس هذه السنة المهدى وكان أمير مكة محمد بن ابراهيم وأمير المدينة الحسن بن زيد وأمير مصر محمد بن سعيد وكان يزيد بن منصور على اليمن فى قول بعضهم وعلى الموصل اسمعيل بن خالد بن عبد الله بن خالد وفيها مات هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى وقيل سنة ست وخمسين وقيل تسع وخمسين والحسن بن عمارة وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وثور بن يزيد وعبد الحميد بن جعفر بن عبد الله الانصارى والضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن خزام من ولد أخى حكيم بن خزام وفطر ابن خليفة الكوفى (فطر بالفاء والراء المهملة والجرشى بضم الجيم وبالشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة﴾

فى هذه السنة سار المنصور الى الشام وبيت المقدس وسير يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الى افريقية فى خمسين ألفا لحرب الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص وأراد المنصور بناء الرافقة فمنعه أهل الرقة فهم بمحاربتهم وسقطت فى هذه السنة الصاعقة فقتلت بالمسجد خمسة نفر وفيها هلك أبو أيوب الموريانى وأخوه خالد وأمر المنصور بقطع أيدى بنى أخيه وأرجلهم وفيها استعمل على البصرة عبد الملك بن ظبيان النميرى وغزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى فبلغ الفرات وحج بالناس محمد بن ابراهيم وهو على مكة وكان على افريقية يزيد بن حاتم وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو عمرو بن العلاء وقيل مات سنة سبع وخمسين وكان عمره ستا وثمانين سنة ومحمد بن عبد الله الشعيثى النصرى (بالنون) وفيها مات عثمان بن عطاء وجعفر بن برقان الجزرى وأشعب الطامع وعلى بن صالح بن حى وعمر بن اسحق بن يسار أخو محمد بن اسحق ووهيب بن الورد المكى الزاهد وقرة بن خالد أبو خالد السدوسى البصرى وهشام الدستوائى وهو هشام بن أبى عبد الله البصرى (الشعيثى بضم الشين المعجمة وفى آخره ثاء مثلثة)

﴿تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائه﴾

أكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا فاختار أهل الشام عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى رأى الخوارج رضينا نحن بأبى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى أول الامر فلا تعصونى الآن انى لا أرى ان أولى أبا موسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بأبى موسى الاشعرى قال ويحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر أشياء فعلها أبو موسى ثم انه هرب شهورا حتى أمنته لكن هذا عبد الله بن عباس أوليه ذلك فقال الاشعث وأصحابه والله لا يحكم فينا مضرى قال على فالاشتر قالوا وقد هاج هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ما أردتم وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه فبعثوا الى أبى موسى وكتبوا له القضية وقيل لابى موسى ان الناس قد اصطلحوا قال الحمد لله وقد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون

(فهرسة الجزء السادس من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير)

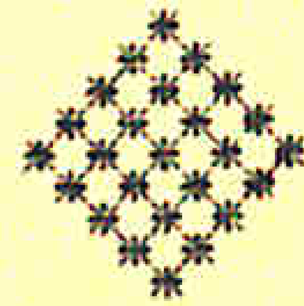
﴿فهرسة مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي الذي بهامش هذا الجزء﴾

صحيفة

﴿الجزء السادس﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة﴾

فيها دخل يزيد بن حاتم افريقية وقتل اباحاتم وملك القيروان وسائر العرب وقد تقدم ذكر مسيره وحروبه مستقصى وفيها سير المنصور المهدى لبناء الرافقة فسار اليها فبناها على بناء مدينة بغداد وعمل للكوفة والبصرة سورا وخندقا وجعل ما انفق فيه من الاموال على اهلها ولما اراد المنصور معرفة عددهم أمر أن يقسم فيهم خمسة دراهم خمسة دراهم فلما علم عددهم أمر بجبايتهم اربعين درهما لكل واحد فقال الشاعر

يالقوم ما لقينا * من امير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا * وجبانا الاربعينا

وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدى الجزية وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمى وعزل عبد الملك بن ايوب بن ظبيان عن البصرة واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكى

﴿ذكر عزل العباس بن محمد عن الجزيرة واستعمال موسى بن كعب﴾

وفيها عزل المنصور اخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغضب عليه وغرمه مالا فلم يزل ساخطا عليه حتى غضب على عمه اسمعيل بن على فشفع فيه عمومة المنصور وضيقوا عليه حتى رضى عنه فقال عيسى بن موسى للمنصور يا امير المؤمنين أرى آل على بن عبد الله وان كانت نعمك عليهم سابغة أنهم يرجعون الى الحسد لنا فمن ذلك انك غضبت على اسمعيل بن على منذ ايام فضيقوا عليك حتى رضيت عنه وانت غضبان على اخيك العباس منذ كذا وكذا فما كلمك فيه احد منهم فرضى عنه وكان المنصور قد استعمل العباس على الجزيرة بعد يزيد بن اسيد فشكا يزيد منه وقال انه اساء عزلى وشتم عرضى فقال له المنصور اجمع بين احسانى واساءته يعتدلا فقال له يزيد بن اسيد اذا كان احسانكم جزاء لاساءتكم كانت طاعتنا تفضلا منا عليكم ولما عزل المنصور اخاه عن الجزيرة استعمل عليها موسى بن كعب

﴿ذكر عزل محمد بن سليمان عن الكوفة واستعمال عمرو بن زهير﴾

وفيها عزل محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عن الكوفة واستعمل عليها عمرو بن زهير الضبى اخا المسيب بن زهير وقيل انما عزل سنة ثلاث وخمسين وكان عزله لاسباب بلغته عنه منها انه قتل عبد الكريم بن أبى العوجاء وكان قد حبسه على الزندقة وهو خال معن بن زائدة الشيبانى فكثر شفعاؤه عند المنصور ولم يتكلم فيه الاظنين منهم فكتب الى محمد بن سليمان بالكف عنه الى أن يأتيه رأيه وكان ابن أبى العوجاء قد أرسل الى محمد بن سليمان يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام ويعطيه مائة ألف فلما ذكر لمحمد أمر بقتله فلما أيقن انه مقتول قال والله لقد وضعت أربعة آلاف حديث حللت فيها الحرام وحرمت فيها الحلال والله لقد فطرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطركم فقتل وورد كتاب المنصور الى محمد يأمره بالكف عنه فوصل وقد قتله فلما بلغ قتله المنصور غضب وقال والله لقد هممت ان أقيده به ثم احضر عمه عيسى بن على وقال له هذا عملك أنت اشرت بتولية هذا الغلام الغر فقتل فلانا بغير أمرى وقد كتبت بعزله وتهديده فقال له عيسى ان محمدا انما قتله على الزندقة فان كان اصاب فهو لك وان أخطا فعليه وائن عزلته على أثر ذلك ليذهبن بالثناء والذكر ولترجعن بالمقالة من العامة عليك فخرق الكتاب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة انكرت الخوارج الصفرية المجتمعة بمدينة سجلماسة على اميرهم عيسى بن جرير أشياء فشدوه وثاقا وجعلوه على رأس الجبل فلم يزل كذلك حتى مات وقدموا على انفسهم ابا القاسم سمكو بن واسول المكناسى جد مدرار وفيها ولد ابو سنان الفقيه المالكى بمدينة القيروان من افريقية وفيها عزل الحسن بن زيد بن الحسن بن على عن المدينة واستعمل عليها عمه عبد الصمد بن على وكان على مكة والطائف محمد بن ابراهيم وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى البصرة الهيثم بن معاوية وعلى مصر محمد بن سعيد وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى الموصل خالد ابن برمك وقيل موسى بن كعب بن سفيان الخثعمى وفى هذه السنة مات مسعر بن كدام الكوفى الهلالى

﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة﴾

﴿ذكر عصيان اهل اشبيلية على عبد الرحمن الاموى﴾

فى هذه السنة سار عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس الى حرب شقنا وقصد حصن شيطران فحصره وضيق عليه فهرب الى المفازة كعادته وكان قد استخلف على قرطبة ابنه سليمان فاتاه كتابه يخبره بخروج أهل اشبيلية مع عبد الغفار وحيوة بن ملابس عن طاعته وعصيانهم عليه واتفق من بها من اليمانية معهما فرجع عبد الرحمن ولم يدخل قرطبة وهاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم فقدم ابن عمه عبد الملك بن عمر وكان شهاب آل مروان وبقى عبد الرحمن خلفه كالمدد له فلما قارب عبد الملك أهل اشبيلية قدم ابنه أمية ليعرف حالهم فرآهم مستيقظين فرجع الى أبيه فلامه أبوه على اظهار الوهن وضرب عنقه وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من المشرق الى أقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحمل بين أيديهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية فلم تقم بعدها لليمانية قائمة وجرح عبد الملك وبلغ الخبر الى عبد الرحمن فاتاه وجرحه يجرى دما وسيفه

﴿ذكر الحكمين وبدء التحكيم﴾

كان ابو موسى الاشعرى يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل فى بنى اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد ابن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان ان تكون أحد الحكمين قال أنا قال نعم أنت فكان يخلع قميصه ويقول لا جعل الله لى اذا فى السماء مصعدا ولا فى الارض مقعدا فلقيه سويد ابن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب فى الصحيفة ان يحيى الحكمان ما أحيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان فى شئ من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما برآء وقال ٢ على للحكمين حين أكره على أمرهما ورد الاشتر وكان قد أشرف فى ذلك اليوم على الفتح فاخبره بخبر ما قالوا فى على وانه لم يرد مسلم الى معاوية ويفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على على ٢ ان تحكما فى كتاب الله وكتاب الله كله لى فان لم تحكما بما فى كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل الى شهر رمضان على اجتماع الحكمين فى موضع بين الكوفة والشام وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها وخرج الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة بن الزبير التميمى وهو اخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث وبين اناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى امر الله وقال عروة بن أدية أتحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد بسيفه على الاشعث فغمز فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية ان تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة بن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى ابيات

بقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبله بين عينيه وجزاه خيرا وقال يا ابن عم قد انكحت ابنى وولى عهدى هشاما ابنتك فلانة واعطيتها كذا وكذا وأعطيتك كذا وأولادك كذا واقطعتك واياهم ووليتكم الوزارة وعبد الملك هذا هو الذى الزم عبد الرحمن بقطع خطبة المنصور وقال له اقطعها والاقتلت نفسى وكان قد خطب له عشرة أشهر فقطعها وكان عبد الغفار وحيوة بن ملابس قد سلما من القتل فلما كانت سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن الى أشبيلية فقتل خلقا كثيرا ممن كان مع عبد الغفار وحيوة ورجع وبسبب هذه الوقعة وغش العرب مال عبد الرحمن الى اقتناء العبيد

﴿ ذكر الفتنة بافريقية مع الخوارج ﴾

قد ذكرنا هرب عبد الرحمن بن حبيب الذى كان ابوه امير افريقية مع الخوارج واتصاله بكتامة وتسيير يزيد بن حاتم امير افريقية العسكر فى أثره وانهم قاتلوا كتامة فلما كانت هذه السنة سير يزيد عسكرا آخر مدد اللذين يقاتلون عبد الرحمن فاشتد الحصار على عبد الرحمن فمضى هاربا وفارق مكانه فعادت العساكر عنه ثم ثار فى هذه السنة على يزيد بن حاتم ابو يحيى بن فانوس الهوارى بناحية طرابلس فاجتمع عليه كثير من البربر وكان بها عسكر ليزيد بن حاتم مع عامل البلد فخرج العامل والجيش معه فالتقوا على شاطئ البحر من ارض هوارة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أبو يحيى ابن فانوس وقتل عامة أصحابه وسكن الناس بافريقية وصفت ليزيد بن حاتم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ظفر الهيثم بن معاوية عامل البصرة بعمرو بن شداد الذى كان عامل ابراهيم بن عبد الله على فارس وسبب ظفره به انه ضرب غلاما له فاتى الهيثم فدله عليه فاخذه فقتله وصلبه بالمربد وفيها عزل الهيثم عن البصرة واستعمل سوار القاضى على الصلاة مع القضاء واستعمل سعيد بن دعلج على شرط البصرة وأحداثها ولما وصل الهيثم الى بغداد مات بها وصلى عليه المنصور وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى وحج بالناس العباس بن محمد بن على وكان على مكة محمد بن ابراهيم الامام وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى الاحداث والجوالى والشرط بالبصرة سعيد بن دعلج وعلى الصلاة والقضاء سوار بن عبد الله وعلى كور دجلة والاهواز وفارس عمارة ابن حمزة وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سعيد وفيها سخط عبد الرحمن الاموى على مولاه بدر لفرط ادلاله عليه ولم يرع حق خدمته وطول صحبته وصدق مناصحته فاخذ ماله وسلبه نعمته ونفاه الى الثغر فبقى به الى ان هلك وفيها مات عبد الرحمن ابن زياد بن انعم قاضى افريقية وقد تكلم الناس فى حديثه وفيها توفى حمزة بن حبيب الزيات المقرئ احد القراء السبعة

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة ﴾

فى هذه السنة بنى المنصور قصره الذى يدعى الخلد وفيها حول المنصور الاسواق الى الكرخ وغيره وقد تقدم سبب ذلك واستعمل سعيد بن دعلج على البحرين فانفذ اليها ابنه تميما وعرض المنصور جنده فى السلاح وجاس لذلك وخرج هو لابسا درعا وبيضة وفيها مات عامر بن اسمعيل المسلى وصلى عليه المنصور وتوفى سوار بن عبد الله قاضى البصرة واستعمل مكانه عبيد الله ابن الحسن بن الحصين العنبرى وعزل محمد بن سليمان الكاتب عن مصر واستعمل مولاه مطرا واستعمل معبد بن الخليل على السند وعزل هشام بن عمرو وغزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمى

عروبا عرو كل فتنة قوم
سلفت انما تكون قتيه
ثم تنمى ويعظم الخطب فيها
فاحذرن غب ما أتيت عريه
أعلى الاشعث المعصب بالتا
ج حملت السلاح يا ابن أديه
انها فتنة كفتنة ذى العجـ
ل أبا عروة العصا والعصيه
فانظر اليوم ما يقول على
واتبعه فذاك خير البريه
وقد تنوزع فى مقدار من
قتل من أهل الشام
والعراق بصفين فذكر
أحمد بن الدورقى عن يحيى
ابن معين ان عدة من قتل
بها من الفريقين فى مائة
يوم وعشرة أيام مائة ألف
وعشرة آلاف من الناس
من أهل الشام تسعون
ألفا ومن أهل العراق
عشرون ألفا ونحن نذهب
الى ان عدد من حضر الحرب
من أهل الشام بصفين أكثر
مما قيل فى هذا الباب وهو
خمسون ومائة ألف مقاتل
سوى الخدم والاتباع وعلى
هذا يجب أن يكون مقدار
القوم جميعا من قاتل منهم
ومن لم يقاتل من الخدم
وغيرهم ثلثمائة ألف بل أكثر
من ذلك لان أقل من
فيهم معه واحد يخدمه
وفيهم من معه الخمسة
والعشرة من الخدم
والاتباع وأكثر من ذلك

فوجه سنانا مولى البطال الى حصن فسبى وغنم وقيل انما غزا الصائفة زفر بن عاصم وحج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكان على مكة وقيل كان عليها عبد الصمد بن على وعلى الامصار من ذكرنا وفيها قتل المنصور يحيى بن زكريا المحتسب وكان يطعن على المنصور ويجمع الجماعات فيما قيل وفيها مات عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وقيل سنة ثمان وخمسين وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى الفقيه واسمه عبد الرحمن بن عمرو وله سبعون سنة ومصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام جد الزبير بن بكار وفيها أخرج سليمان بن يقظان الكلبى قارله ملك الافرنج الى بلاد المسلمين من الاندلس ولقيه بالطريق وسار معه الى سرقسطة فسبقه اليها الحسين بن يحيى الانصارى من ولد سعد بن عبادة وامتنع بها فاتهم قارله ملك الافرنج سليمان فقبض عليه وأخذه معه الى بلاده فلما أبعد من بلاد المسلمين وأطمأن هجم عليه مطروح وعيشون ابنا سليمان فى أصحابهما فاستنقذا أباهما ورجعا به الى سرقسطة ودخلوا مع الحسين ووافقوا على خلاف عبد الرحمن

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة ﴾

﴿ ذكر عزل موسى عن الموصل وولاية خالد بن برمك ﴾

فى هذه السنة عزل المنصور موسى بن كعب عن الموصل وكان قد بلغه عنه ما اسخطه عليه فامر ابنه المهدى ان يسير الى الرقة واظهر أنه يريد بيت المقدس وأمره أن يجعل طريقه على الموصل فاذا صار بالبلد أخذ موسى وقيده واستعمل خالد بن برمك وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا قتله فقال لابنه يحيى يا بنى الق اخواننا عمارة بن حمزة ومباركا التركى وصالحا صاحب المصلى وغيرهم وأعلمهم حالنا قال يحيى فاتيتهم فمنهم من منعنى من الدخول عليه ووجه المال ومنهم من تجهمنى بالرد ووجه المال قال فاتيت عمارة ابن حمزة ووجهه الى الحائط فما أقبل به على فسلمت فرد ردا ضعيفا وقال كيف أبوك فعرفته الحال وطلبت قرض مائة ألف فقال ان أمكننى شئ فسيأتيك فانصرفت وانا العنه من تيهه وحدثت أبى بحديثه واذ قد أنفذ المال قال فجمعنا فى يومين ألفى ألف وسبعمائة ألف وبقى ثلثمائة ألف تبطل الجميع بتعذرها قال فعبرت على الجسر وأنا مهموم فوثب الى زاجر فقال فرخ الطائر أخبرك فطويته فلحقنى وأخذ بلجام دابتى وقال لى أنت مهموم والله لتفرحن ولتمرن غدا فى هذا الموضع واللواء بين يديك فعجبت من قوله فقال ان كان ذلك فلى عليك خمسة آلاف درهم فقلت نعم وأنا أستبعد ذلك وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الاكراد بها فقال من لها فقال المسيب بن زهير عندى رأى أعلم أنك لا تقبله منى وأعلم انك ترده على ولكنى لا أدع نصحك قال قل قال ما لها مثل خالد بن برمك قال فكيف يصلح لنا بعد ما فعلنا قال انا اقومه بذلك وأنا الضامن له قال فليحضرنى غدا فاحضره فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية وعقد له وعقد لابنه يحيى على اذربيجان فاجتاز يحيى بالزاجر فاخذه معه وأعطاه خمسين ألف درهم وأنفذ خالد الى عمارة بالمائة ألف التى أخذها منه مع ابنه يحيى فقال له صيرفيا كنت لابيك قم عنى لا قمت فعاد بالمال وسار مع المهدى فعزل موسى بن كعب وولاهما ولم يزل خالد على الموصل وابنه يحيى على اذربيجان الى ان توفى المنصور وذكر أحمد بن محمد بن سوار الموصلى ما هبنا أميرا قط هيبتنا خالدا من غير أن يشتد علينا ولا هيبة كانت له فى صدورنا

﴿ ذكر موت المنصور ووصيته ﴾

واهل العراق كانوا فى
عشرين ومائة الف مقاتل
دون الاتباع والخدم واما
الهيثم بن عدى الطائى
وغيره مثل الشرقى بن
القطامى وابى مخنف لوط
ابن يحيى فذكروا ما قدمنا
وهو ان جملة من قتل من
الفريقين جميعا سبعون
الفا من أهل الشام خمسة
وأربعون الفا ومن اهل
العراق خمسة وعشرون
الفا فيهم خمسة وعشرون
بدريا وان العدد كان يقع
بالقضيب والاحصاء للقتلى
فى كل وقعة وتحصيل هذا
يتفاوت لان فى قتلى
الفريقين من يعرف
ومن لا يعرف وفيهم من
غرق وفيهم من قتل فى
البر فاكلته السباع فلم
يدركهم الاحصاء وغير
ذلك مما يعسر ما وصفنا
وسمعت امرأة بصفين
وقد قتل لها ثلاثة أولاد
وهى تقول
أعينى جودا بدمع سرب
على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير جنى
النفوس
بأى امرئ من قريش
غلب
ولما وقع التحكيم تباغض
القوم جميعا يتبرأ الاخ من
أخيه والابن من أبيه
وأمر على بالرحيل لعلمه

وفى هذه السنة توفى المنصور لست خلون من ذى الحجة ببئر ميمون وكان على ماقيل قد هتف به هاتف من قصره فسمعه يقول

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
عليك يانفس ان أسأت وان * أحسنت بالقصد كل ذاك لك
ما اختلاف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا بنقل السلطان عن ملك * اذا انتهى ملكه الى ملك
حتى يصيرا به الى ملك * ما عز سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والارض والـ * ـمرسى الجبال المسخر الفلك

فقال المنصور هذا أوان أجلى قال الطبرى وقد حكى عبد العزيز بن مسلم انه قال دخلت على المنصور يوما اسلم عليه فاذا هو باهت لا يحير جوابا فوثبت لما أرى منه لانصرف فقال بعد ساعة انى رأيت فى المنام كان رجلا ينشدنى هذه

أأخىّ خفض من مناكا * فكأن يومك قد أتاكا
ولقد أراك الدهر من * تصريفه ماقد أراكا
فاذا أردت الناقص الـ * ـعبد الذليل فانت ذاكا
ملكت ماملكته * والامر فيه الى سواكا

هذا الذى ترى من قلقى وغمى لما سمعت ورأيت فقلت خيرا رأيت ياأمير المؤمنين فلم يلبث ان خرج الى مكة فلما سار من بغداد ليحج نزل قصر عبدويه فانقض فى مقامه هنالك كوكب لثلاث بقين من شوال بعد اضاءة الفجر فبقى اثره بينا الى طلوع الشمس فاحضر المهدى وكان قد صحبه ليودعه فوصاه بالمال والسلطان يفعل ذلك كل يوم من ايام مقامه بكرة وعشية فلما كان اليوم الذى ارتحل فيه قال له انى لم أدع شيأ الا وقد تقدمت اليك فيه وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره فقال للمهدى انظر الى هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة فان أحزنك امر فانظر فى الدفتر الكبير فان أصبت فيه ماتريد والا ففى الثانى والثالث حتى بلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد فيها ماتريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة واياك ان تستبدل بها غيرها وقد جمعت لك فيها من الاموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لارزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا مادام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل وأوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم وتحسن اليهم وتقدمهم وتوطئ الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر مواليك فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدة ان نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك باهل خراسان خيرا فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم فى دولتك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده وما أظنك تفعل واياك ان تبنى مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها وأظنك ستفعل واياك ان تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل واياك ان تدخل النساء فى أمرك وأظنك ستفعل وقيل قال له انى ولدت فى ذى الحجة ووليت فى ذى الحجة وقد هجس فى نفسى أنى اموت فى ذى الحجة من هذه السنة وانما احدانى على الحج ذلك فاتق الله فيما اعهد اليك من امور

باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم وكثرة التحكيم فى جيش اهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار على يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلحقوا حروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج علىّ اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا الكوفة وانما سموا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية وانحيازهم اليها وقد ذكر يحيى بن معين قال حدثنا وهب بن جابر ابن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية

المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب يابنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى امته يحفظك الله ويحفظ عليك امورك واياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار فى الدنيا لازم مقيم والزم الحدود فان فيها خلاصك فى الآجل وصلاحك فى العاجل ولا تعتد فيها فتبور فان الله تعالى لو علم ان شيأ أصلح منها لدينه وازجر عن معاصيه لامر به فى كتابه (واعلم) ان من شدة غضب الله لسلطانه أنه أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى فى الارض فسادا مع ماذخر له من العذاب العظيم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا او يصلبوا الآية فالسلطان يابنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القيم فاحفظه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما أمر الله به فى محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطط فان ذلك اقطع للشغب واحسم للعدو وأنجع فى الدواء وعف عن الفىء فليس بك اليه حاجة مع ماخلفه الله لك وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة واياك والاثرة والتبذير لاموال الرعية واشحن الثغور واضبط الاطراف وأمن السبل وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم وادفع المكاره عنهم وأعد الاموال واخزنها واياك والتبذير فان النوائب غير مأمونة وهى من شيم الزمان وأعد الكراع والرجال والجند ما استطعت واياك وتأخير عمل اليوم الى الغد فيتدارك عليك الامور وتضيع جد فى احكام الامور النازلات لاوقاتها اولا اولا واجتهد وشمر فيها واعدد رجالا بالليل لمعرفة مايكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة مايكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن الظن وأسئ الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من تثبت على بابك وسهل اذنك للناس وانظر فى أمر النزاع اليك ووكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير لاهية ولا تنم واياك فان أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى اليك والله خليفتى عليك ثم ودعه وبكى كل واحد منهما الى صاحبه ثم سار الى الكوفة وجمع بين الحج والعمرة وساق الهدى وأشعره وقلده لايام خلت من ذى القعدة فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذى مات به وهو القيام فلما اشتد وجعه جعل يقول للربيع بادرنى حرم ربى هاربا من ذنوبى وكان الربيع عديله ووصاه بما اراد فلما وصل الى بئر ميمون مات بها مع السحر لست خلون من ذى الحجة ولم يحضره عند وفاته الا خدمه والربيع مولاه فكتم الربيع موته ومنع من البكاء عليه ثم اصبح فحضر اهل بيته كما كانوا يحضرون وكان اول من دعا عمه عيسى بن على فمكث ساعة ثم اذن لابن اخيه عيسى ابن موسى وكان فيما خلا يقدم على عيسى بن على ثم اذن للاكابر وذوى الاسنان منهم ثم لعامتهم فبايعهم الربيع للمهدى ولعيسى بن موسى بعده على يدى موسى الهادى بن المهدى فلما فرغ من بيعة بنى هاشم بايع القواد وبايع عامة الناس وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان الى مكة ليبايعا الناس فبايعوا بين الركن والمقام واشتغلوا بتجهيز المنصور ففرغوا منه العصر وكفن وغطى وجهه وبدنه وجعل رأسه مكشوفا لاجل احرامه وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ودفن فى مقبرة المعلاة وحفر والله مائة قبر ليغموا على الناس ودفن فى غيرها ونزل فى قبره عيسى بن على وعيسى بن محمد والعباس بن محمد والربيع والريان مولياه ويقطين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل اربعا وستين وقيل ثمانيا وستين سنة فكانت

لا حكم الا لله فيقول حكم الله أنتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ماقدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث علىّ بعبد الله ابن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى اربعمائة رجل فيهم أبو موسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن الصمة فى اربعمائة فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس ابوا غيرك وانى لأظن ذلك لشر يراد بهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة وليس فى معاوية خصلة تقربه من الخلافة ووصى

مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا اربعة وعشرين يوما وقيل الا ثلاثة ايام وقيل الا ستة ايام وقيل الا يومين وقيل فى موته انه لما نزل آخر منزل بطريق مكة نظر فى صدر البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وامر الله لا بد واقع
ابا جعفر هل كاهن ام منجم * لك اليوم من حر المنية مانع

فاحضر متولى المنازل وقال له الم آمرك ان لا يدخل المنازل احد من الناس قال والله ما دخلها احد منذ فرغ فقال اقرأ ما فى صدر البيت فقال ما أرى شيأ فاحضر غيره فلم ير شيأ فاملى البيتين ثم قال لحاجبه اقرأ آية فقرأ وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فامر به فضرب ورحل من المنزل تطيرا فسقط عن دابته فاندق ظهره ومات فدفن ببئر ميمون والصحيح ما تقدم

﴿ذكر صفة المنصور وأولاده﴾

كان اسمر نحيفا خفيف العارضين ولد بالحميمة من ارض الشراة واما اولاده فالمهدى محمد وجعفر الاكبر وامهما اروى بنت منصور اخت يزيد بن منصور الحميرى وكانت تكنى ام موسى ومات جعفر قبل المنصور ومنهم سليمان وعيسى ويعقوب امهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله وجعفر الاصغر امه ام ولد كردية وكان يقال له ابن الكردية وصالح المسكين امه ام ولد رومية والقاسم مات قبل المنصور وله عشر سنين امه ام ولد تعرف بأم القاسم ولها بباب الشام بستان يعرف ببستان ام القاسم والعالية امها امرأة من بنى امية

﴿ذكر بعض سيرة المنصور﴾

قال سلام الابرش كنت اخدم المنصور داخلا وكان من احسن الناس خلقا ما لم يخرج الى الناس واشد احتمالا لما يكون من عبث الصبيان فاذا لبس ثوبه اربدّ لونه واحمرت عيناه فيخرج منه ما يكون وقال لى يوما يا بنى اذا رأيتنى قد لبست ثيابى او رجعت من مجلسى فلا يدنون منى منكم أحد مخافة ان اغره بشئ قال ولم ير فى دار المنصور لهو ولا شئ يشبه اللهو واللعب والعبث الا مرة واحدة رؤى بعض أولاده وقد ركب راحلة وهو صبى وتنكب قوسا فى هيئة الغلام الاعرابى بين جوالقين فيهما مقل ومساويك وما يهديه الاعراب فعجب الناس من ذلك وانكروه فعبر الى المهدى بالرصافة فاهداه له فقبله وملأ الجوالقين دراهم فعاد بينهما فعلم انه ضرب من عبث الملوك قال حماد التركى كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة فقال انظر ما هذا فذهبت فاذا خادم له قد جلس حوله الجوارى وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فاخبرته فقال واى شئ الطنبور فوصفته له فقال ما يدريك أنت ما الطنبور قلت رأيته بخراسان فقام ومشى اليهن فلما رأينه تفرقن فأمر بالخادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور واخرج الخادم فباعه قال وكان المنصور قد استعمل معن بن زائدة على اليمن لما بلغه من الاختلاف هناك فسار اليه وأصلحه وقصده الناس من أقطار الارض لاشتهار جوده ففرق فيهم الاموال فسخط عليه المنصور فأرسل اليه معن بن زائدة وفدا من قومه فيهم مجاعة بن الازهر وسيرهم الى المنصور ليزيلوا غيظه وغضبه فلما دخل على المنصور ابتدأ مجاعة بحمد الله والثناء عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم فاطنب فى ذلك حتى عجب القوم ثم ذكر المنصور وما شرفه الله به وذكر بعد ذلك صاحبه فلما انقضى كلامه قال اما ما ذكرت من حمد الله فالله اجل من ان تبلغه الصفات واما ما ذكرت من النبى صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله تعالى بأكثر مما قلت واما ما وصفت به أمير المؤمنين فانه فضله الله بذلك وهو

معاوية عمرا حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابى موسى فقال يا أبا عبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فاخذ الجد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهرى والمغيرة ابن شعبة الثقفى وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على فى آخرين من الناس وذلك فى شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لابى موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم أنت يا عمرو فقال عمرو ما كنت لافعل وأقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ضيف فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه وذكر الحديث الذى حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى أمر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام أولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خطبا لم نبلغ

معينه على طاعته ان شاء الله تعالى وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولؤمت اخرج فلا يقبل ما ذكرت فلما صار والباب آخر الابواب أمر برده مع أصحابه فقال ما قلت فأعاده عليه فأخرجوا ثم أمر بهم فأوقفوا ثم التفت الى من حضر من مضر فقال هل تعرفون فيكم مثل هذا والله لقد تكلم حتى حسدته وما منعنى ان اتم على رده الا انه قال حسده لانه من ربيعة وما رأيت مثله رجلا أربط جأشا ولا أظهر بيانا رده يا غلام فلما صار بين يديه قال اقصد بحاجتك قال يا أمير المؤمنين معن ابن زائدة عبدك وسيفك وسهمك رميت به عدوك فضرب وطعن ورمى حتى سهل ما حزن وذل ما صعب واستوى ما كان معوجا من اليمن فأصبحوا من خول أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فان كان فى نفس أمير المؤمنين هنة من ساع أو واش فأمير المؤمنين أولى بالفضل على عبده ومن أفنى عمره فى طاعته فقبل عذره وأمر بصرفهم اليه فلما قرأ معن الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه وشكر أصحابه واجازهم على اقدارهم وأمرهم بالرحيل الى المنصور فقال مجاعة

آليت فى مجلس من وائل قسما * ان لا أبيعك يا معن بأطماع
يا معن انك قد أوليتنى نعما * عمت لجيما وخصت آل مجاع
فلا أزال اليك الدهر منقطعا * حتى يشيد بهلكى هتفة الناعى

وكانت نعم معن على مجاعة أنه قضى له ثلاث حوائج منها أنه كان يتعشق جارية من أهل بيت معن اسمها زهراء فطلبها فلم يجب لفقره فطلبها من معن فأحضر أباها فزوجه اياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده ومنها انه طلب منه حائطا بعينه فاشتراه له ومنها انه استوهب منه شيأ فوهب له ثلاثين ألف درهم تمام مائة ألف قيل وكان المنصور يقول ما أحوجنى ان يكون على بابى أربعة نفر لا يكون على بابى اعف منهم هم أركان الدولة ولا يصلح الملك الا بهم اما احدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه آه قيل وما هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة وقيل دعا المنصور بعامل قد كسر خراجه فقال ادّ ما عليك فقال والله ما أملك شيأ وأذن مؤذن أشهد أن لا اله الا الله فقال يا أمير المؤمنين هب ما على لله وشهادة أن لا اله الا الله فخلى سبيله وقيل أتى بعامل فحبسه وطالبه فقال العامل عبدك يا أمير المؤمنين فقال بئس العبد أنت فقال لكنك نعم المولى قال أما لك فلا قيل وأتى بخارجى قد هزم له جيوشا فأراد ضرب رقبته ثم ازدراه فقال يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال له ويلك وسوأة لك أمس بينى وبينك السيف واليوم القذف والسب وما كان يؤمنك ان أرد عليك وقد يئست من الحياة فلا تستقيلها أبدا فاستحيا منه المنصور واطلقه قيل وكان شغل المنصور فى صدر نهاره بالامر والنهى والولايات والعزل وشحن الثغور والاطراف وأمن السبل والنظر فى الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية والتلطف بسكونهم وهديهم فاذا صلى العصر جلس لاهل بيته فاذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظر فيما ورد من كتب الثغور والاطراف والآفاق وشاور سماره فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره واذا مضى الثلث الثانى قام فتوضأ وصلى حتى يطلع الفجر ثم يخرج فيصلى بالناس ثم يدخل فيجلس فى ايوانه قيل وقال للمهدى لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكر العاقل مرآته تريه حسنه وسيئه يا بنى لا يصلح السلطان الا بالتقوى ولا تصلح رعيته الا بالطاعة ولا تعمر البلاد بمثل العدل وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة وأعجز الناس من ظلم من هو دونه

آخره حتى ننسى أوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به أولا دون أبى موسى لما أراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به احدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدأ بعمرو فقال له عمرو ولا ام لك اتقدمنى قبله كأنك جاهل بحقه فبدأ باسم عبد الله بن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذى عليه قال ابو موسى اكتب ثم قال فى عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان

واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختياره يا أبا عبد الله لا تجلس مجلسا الا ومعك من العلم من يحدثك ومن أحب ان يحمد أحسن السيرة ومن أبغض الحمد أساءها وما أبغض الحمد أحد الا استذم وما استذم الا كره يا أبا عبد الله ليس العاقل الذى يحتال للامر الذى غشيه بل العاقل الذى يحتال للامر حتى لا يقع فيه وقال للمهدى يوما كم راية عندك قال لا أدرى قال انا لله أنت لامر الخلافة أشد تضييعا ولكن قد جمعت لك مالا يضرك معه ما ضيعت فاتق الله فيما خولك قيل وقال اسحق بن عيسى لم يكن أحد من بنى العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة غير المنصور وأخيه العباس بن محمد وعمهما داود بن على قيل وخطب المنصور يوما فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فاعترضه انسان فقال أيها الانسان اذكرك من ذكرت به فقطع الخطبة ثم قال سمعا سمعا لمن حفظ عن الله وأعوذ بالله أن أكون جبارا عنيدا أو تأخذنى العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بهذا القول الله ولكنك أردت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها ويلك لقد هممت واغتنمها اذ عفوت واياك واياكم معشر المسلمين أختها فان الحكمة علينا نزلت ومن عندنا فصلت فردوا الامر الى أهله توردوه موارده وتصدروه مصادره ثم عاد الى خطبته كأنما يقرؤها فقال واشهد أن محمدا عبده ورسوله (وقال) عبد الله بن صاعد خطب المنصور بمكة بعد بنائه بغداد فكان مما قال ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون أمر مبرم وقول عدل وقضاء فصل والحمد لله الذى أفلج حجته وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفىء ارثا وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فكم من بئر معطلة وقصر مشيد أهملهم الله حين بدلوا السنة وأهملوا العبرة وعندوا واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (قال) وكتب اليه رجل يشكو بعض عماله فوقع الى العامل فى الرقعة ان آثرت العدل صحبتك السلامة وان آثرت الجور فما أقربك من الندامة فأنصف هذا المتظلم من الظلامة * قيل وكتب الى المنصور صاحب أرمينية يخبره أن الجند قد شغبوا عليه ونهبوا ما فى بيت المال فوقع فى كتابه اعتزل عملنا مذموما مدحورا فلو عقلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا وهذا وما تقدم من كلامه ووصاياه يدل على فصاحته وبلاغته وقد تقدم له أيضا من الكتب وغيرها ما يدل على أنه كان واحد زمانه الا انه كان يبخل وما نقل عنه من ذلك قال الوضين بن عطاء استزارنى المنصور وكان بينى وبينه خلة قبل الخلافة فخلونا يوما فقال يا أبا عبد الله ما لك قلت الخبر الذى تعرفه قال وما عيالك قلت ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن فقال أربع فى بيتك قلت نعم فردده حتى ظننت انه سيعيننى ثم قال أنت أيسر العرب أربع مغازل يدرن فى بيتك * قيل رفع غلام لابى عطاء الخراسانى ان له عشرة آلاف درهم فاخذها منه وقال هذا مالى قال من أين يكون مالك والله ما وليتك عملا قط ولا بينى وبينك رحم ولا قرابة قال بلى تزوجت امرأة لعيينة بن موسى بن كعب فورثتك مالا وكان قد عصى بالسند وأخذ مالى فهذا المال من ذلك وقيل لجعفر الصادق ان المنصور يكثر من لبس جبة هروية وانه يرقع قميصه فقال جعفر الحمد لله الذى لطف به حتى ابتلاه بفقر نفسه فى ملكه قيل وكان المنصور اذا عزل عاملا أخذ ماله وتركه فى بيت مال مفرد سماه بيت مال المظالم وكتب عليه اسم صاحبه وقال للمهدى قد هيأت لك شيأ فاذا أنا مت فادع من أخذت ماله فاردده عليه فانك تستحمد بذلك اليهم والى العامة ففعل المهدى ذلك وله فى ضد ذلك أشياء كثيرة قيل وذكر زيد مولى عيسى بن نهيك قال

عثمان ولى هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعرى ليس هذا مما تعمدناله قال عمرو والله لا بد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما قال عمرو أفليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال أبو موسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية ان يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وامره أبو موسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا امر قد حدث فى الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به امة محمد قال عمرو وما هو قال ابو موسى قد علمت ان أهل العراق لا يحبون معاوية أبدا وأن أهل الشام لا يحبون عليا ابدا فهل نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر

دعانى المنصور بعد موت مولاى فسألنى كم خلف من مال قلت ألف دينار وأنفقته امرأته فى مأتمه قال كم خلف من البنات قلت ستا فاطرق ثم رفع رأسه وقال اغد الى المهدى فغدوت اليه فاعطانى مائة ألف وثمانين ألف دينار لكل واحدة منهن ثلاثون ألفا ثم دعانى المنصور فقال عد على بأكفائهن حتى أزوجهن ففعلت فزوجهن وأمر أن تحمل اليهن صدقاتهن من ماله لكل واحدة منهن ثلاثون ألف درهم وأمرنى أن أشترى بمالهن ضياعا لهن يكون معاشهن منها قيل وفرق المنصور على جماعة من أهل بيته فى يوم واحد عشرة آلاف ألف درهم وأمر لجماعة من أعمامه منهم سليمان وعيسى وصالح واسمعيل لكل رجل منهم بألف ألف وهو أول من وصل بها وله فى ذلك ايضا أخبار كثيرة واما غير ذلك قال يزيد بن عمر بن هبيرة ما رأيت رجلا قط فى حرب ولا سمعت به فى سلم أنكر ولا أمكر ولا أشد تيقظا من المنصور لقد حصرنى تسعة أشهر ومعى فرسان العرب فجهدنا بكل الجهد أن ننال من عسكره شيأ فما تهيأ ولقد حصرنى وما فى رأسى شعرة بيضاء فخرجت اليه وما فى رأسى شعرة سوداء قيل وارسل ابن هبيرة الى المنصور وهو محاصره يدعوه الى المبارزة فكتب اليه انك متعد طورك جار فى عنان غيك يعدك الله ما هو مصدقه ويمنيك الشيطان ما هو مكذبه ويقرب ما الله مباعده فرويدا يتم الكتاب أجله وقد ضربت مثلى ومثلك بلغنى ان اسدا لقى خنزيرا فقال له الخنزير قاتلنى فقال الاسد انما انت خنزير ولست بكفء لى ولا نظير ومتى قاتلتك فقتلتك قيل لى قتل خنزيرا فلا أعتقد فخرا ولا ذكرا وان نالنى منك شىء كان سبة على فقال الخنزير ان لم تفعل أعلمت السباع انك نكلت عنى فقال الاسد احتمال عار كذبك على أيسر من لطخ شرابى بدمك قيل وكان المنصور أول من عمل الخيش فان الاكاسرة كانوا يطينون كل يوم بيتا يسكنونه فى الصيف وكذلك بنو أمية قيل وأتى برجل من بنى أمية فقال انى اسألك عن أشياء فاصدقنى ولك الامان قال نعم قال من أين أتى بنو أمية قال من تضييع الاخبار قال فاى الاموال وجدوها أنفع قال الجوهر قال فعند من وجدوا الوفاء قال عند مواليهم فاراد المنصور ان يستعين فى الاخبار باهل بيته فقال أضيع منهم فاستعان بمواليه

(ذكر خلافة المهدى والبيعة له)

ذكر على بن محمد النوفلى عن أبيه قال خرجت من البصرة حاجا فاجتمعت بالمنصور بذات عرق فكنت أسلم عليه كلما ركب وقد أشفى على الموت فلما صار ببئر ميمون نزل به ودخلنا مكة فقضيت عمرتى وكنت أختلف الى المنصور فلما كان فى الليلة التى مات فيها ولم نعلم صليت الصبح بمكة وركبت أنا ومحمد بن عون بن عبد الله بن الحرث وكان من مشايخ بنى هاشم وسادتهم فلما صرنا بالابطح لقينا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان فى خيل الى مكة فسلمنا عليهما ومضينا فقلت لمحمد أحسب الرجل قد مات فكان كذلك ثم أتينا العسكر فاذا موسى بن المهدى قد صدر عند عمود السرادق والقاسم بن المنصور فى ناحية من السرادق وقد كان قبل ذلك يسير بين المنصور وبين صاحب الشرطة ويرفع الناس اليه القصص فلما رأيته علمت ان المنصور قد مات وأقبل الحسن ابن زيد العلوى وجاء الناس حتى ملؤا السرادق وسمعنا همسا من بكاء وخرج أبو العنبر خادم المنصور مشقوق الاقبية وعلى رأسه التراب وصاح وا أميرالمؤمنيناه فما بقى أحد الا قام ثم تقدموا ليدخلوا عليه فمنعهم الخدم وقال ابن عياش المنتوف سبحان الله اما شهدتم موت خليفة قط اجلسوا فجلسوا وقام القاسم فشق ثيابه ووضع التراب على رأسه وموسى على حاله ثم خرج الربيع وفى يده قرطاس ففضه فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور امير

وكان عبد الله بن عمر على بيت أبى موسى قال عمرو أيفعل ذلك عبد الله بن عمر قال أبو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعمد عمرو الى كل ما اليه أبو موسى فصوبه وقال له هل لك فى سعد قال له أبو موسى لا فعدله عمرو جماعة وأبو موسى يأبى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد ان ختماها جميعا وقال عمرو أرأيت ان رضى اهل العراق بعبد الله بن عمر وأبى أهل الشام أيقاتل أهل الشام قال أبو موسى لا قال عمرو فان رضى أهل الشام وأبى أهل العراق أيقاتل أهل العراق قال أبو موسى لا قال عمرو وأما اذا رأيت الصلاح فى هذا الامر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا وتكلم باسم هذا الرجل الذى تستخلف فقال أبو موسى بل أنت قم فاخطب فانت أحق بذلك قال عمرو ما احب ان اتقدمك وما قولى وقولك للناس الا قول واحد فقم راشدا فقام أبو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها

المؤمنين الى من خلف من بنى هاشم وشيعته من اهل خراسان وعامة المسلمين ثم بكى وبكى الناس ثم قال قد امكنكم البكاء فانصتوا رحمكم الله ثم قرأ أما بعد فانى كتبت كتابى هذا وانا حى فى آخر يوم من أيام الدنيا واول يوم من أيام الآخرة أقرأ عليكم السلام واسأل الله ان لا يفتنكم بعدى ولا يلبسكم شيعا ولا يذيق بعضكم بأس بعض ثم اخذ فى وصيتهم بالمهدى واذكارهم البيعة له وحثهم على الوفاء بعهده ثم تناول يد الحسن بن زيد وقال قم فبايع فقام الى موسى فبايعه ثم بايعه الناس الاول فالاول ثم ادخل بنو هاشم على المنصور وهو فى اكفانه مكشوف الرأس فحملناه حتى أتينا به مكة ثلاثة أميال فكأنى انظر اليه والريح تحرك شعر صدغيه وذلك انه كان وفر شعره للحلاق وقد نصل خضابه حتى اتينا به حفرته وكان اول شئ ارتفع به على بن عيسى بن ماهان ان عيسى بن موسى أبى من البيعة فقال على بن عيسى بن ماهان والله لتبايعن أو لأضربن عنقك فبايع ثم وجه موسى ابن المهدى والربيع الى المهدى بخبر وفاة المنصور وبالبيعة له مع منارة مولى المنصور وبعثا أيضا بالقضيب وبردة النبى صلى الله عليه وسلم وبخاتم الخلافة وخرجوا من مكة فقدم الخبر على المهدى مع منارة منتصف ذى الحجة فبايعه أهل بغداد وقيل ان الربيع كتم موت المنصور وألبسه وسنده وجعل على وجهه كلة خفيفة يرى شخصه منها ولا يفهم أمره وادنى أهله منه ثم قرب منه الربيع كأنه يخاطبه ثم رجع اليهم وأمرهم عنه بتجديد البيعة للمهدى فبايعوا ثم أخرجهم وخرج اليهم باكيا مشقوق الجيب لاطما رأسه فلما بلغ ذلك المهدى انكره على الربيع وقال أما منعتك جلالة امير المؤمنين أن فعلت به مافعلت وقيل ضربه ولم يصح ضربه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة عزل المنصور المسيب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيدا وسبب ذلك انه ضرب أبان ابن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله لانه كان شريك أخيه عمرو بن زهير فى ولاية الكوفة واستعمل على شرطته الحكم بن يوسف صاحب الحراب ثم كلم المهدى أباه فى المسيب فرضى عنه وأعاده الى شرطته وفيها استعمل المنصور نصر بن حرب بن عبد الله على فارس وفيها اعاد المهدى من الرقة فى شهر رمضان وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقى العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفيها حبس محمد بن ابراهيم الامام وهو امير مكة جماعة أمر المنصور بحبسهم وهم رجل من آل على بن ابى طالب كان بمكة وابن جريج وعباد بن كثير وسفيان الثورى ثم أطلقهم من الحبس بغير أمر المنصور فغضب وكان سبب اطلاقهم انه انكر وقال عمدت الى ذى رحم فحبسته يعنى بعض ولد على والى نفر من اعلام المسلمين فحبستهم وتقدم أمير المؤمنين فلعله يأمر بقتلهم فيشتد سلطانه واهلك فاطلقهم وتحلل منهم فلما قارب المنصور مكة أرسل اليه محمد بن ابراهيم بهدايا فردها عليه وفيها شخص المنصور من بغداد الى مكة فمات فى الطريق قبل أن يبلغها وفى هذه السنة غزا عبد الرحمن صاحب الاندلس مدينة قورية وقصد البربر الذين كانوا أسلموا عامله الى شقنا فقتل منهم خلقا من أعيانهم واتبع شقنا حتى جاوز القصر الابيض والدرب ففاته وفيها مات أورالى ملك جليقية وكان ملكه ست سنين وملك بعده شيالون وفيها توفى مالك بن مغول الفقيه البجلى بالكوفة وحيوة بن شريح بن مسلم الحضرمى المصرى وكان العامل على مكة والطائف ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله وعلى المدينة عبد الصمد بن على وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبى وقيل اسمعيل بن اسمعيل الثقفى وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعى وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى خراسان حميد بن قحطبة وعلى قضاء بغداد

الناس انا قد نظرنا فى امرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الامن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتى هذه واهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبى صلى الله عليه وسلم فبرز فى سابقته وهو عبد الله بن عمر وأطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس ان اباموسى عبد الله بن قيس خلع عليا واخرجه من هذا الامر الذى يطلب وهو أعلم به ألا وانى خلعت عليا معه وأثبت معاوية على وعليكم وان اباموسى قد كتب فى الصحيفة ان عثمان قد قتل مظلوما شهيدا وان لوليه ان يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبى صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقال ابوموسى كذب عمرو لم نستخلف

عبد الله بن محمد بن صفوان وعلى الشرطة بها عمر بن عبد العزيز أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن وقيل موسى بن كعب وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة بن حمزة وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبرى وأصاب الناس هذه السنة وباء عظيم

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة﴾

﴿ ذكر الحسن بن ابراهيم بن عبد الله ﴾

فى هذه السنة حول المهدى الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على من محبسه وسبب ذلك أنه كان محبوسا مع يعقوب بن داود فى موضع واحد فلما أطلق يعقوب وبقى هو ساء ظنه فالتمس مخرجا فأرسل الى بعض من يثق اليه فحفر سربا الى الموضع الذى هو فيه فبلغ ذلك يعقوب فأتى ابن علاثة القاضى وكان قد اتصل به فقال عندى نصيحة للمهدى وطلب اليه ايصاله الى أبى عبيد الله وزيره ليرفعها اليه فاحضره عنده فلما سأله عن نصيحته سأله عن ايصاله الى المهدى ليعلمه بها فاوصله اليه فاستخلاه فاعلمه المهدى ثقته بوزيره وابن علاثة فلم يقبل شيأ حتى قاما فاخبره خبر الحسن فانفذ من يثق اليه فاتاه بتحقيق الحال فامر بتحويل الحسن فحول ثم احتيل له فيما بعد فهرب وطلب فلم يظفر به فاحضر المهدى يعقوب وسأله عنه فاخبره أنه لا يعلم مكانه وانه ان أعطاه الامان أتاه به فامنه وضمن له الاحسان فقال له اترك طلبه فان ذلك يوحشه فترك طلبه ثم ان يعقوب تقدم عند المهدى فاحضر الحسن بن ابراهيم عنده

﴿ ذكر تقدم يعقوب عند المهدى ﴾

قد تقدم ذكر وصوله اليه فلما أحضره المهدى عنده فى أمر الحسن بن ابراهيم كما تقدم قال له يا أمير المؤمنين انك قد بسطت عدلك لرعيتك وأنصفتهم وأحسنت اليهم فعظم رجاؤهم وقد بقيت أشياء لو ذكرتها لم تدع النظر فيها وأشياء خلف بابك تعمل ولا تعلم بها فان جعلت الى السبيل اليك رفعتها فامر بذلك فكان يدخل عليه كلما أراد ويرفع اليه النصائح فى الامور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب وفكاك الاسرى والمحبسين والقضاء عن الغارمين والصدقة على المتعففين فحظى عنده بذلك وعلت منزلته حتى سقطت منزلة أبى عبيد الله وحبس وكتب المهدى توقيعا بانه قد اتخذه أخا فى الله ووصله بمائة ألف

﴿ ذكر ظهور المقنع بخراسان ﴾

وفى هذه السنة قبل موت حميد بن قحطبة ظهر المقنع بخراسان وكان رجلا أعور قصيرا من أهل مرو ويسمى حكيما وكان اتخذ وجها من ذهب فجعله على وجهه لئلا يرى فسمى المقنع وادعى الالوهية ولم يظهر ذلك الى جميع أصحابه وكان يقول ان الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح وهلم جرا الى أبى مسلم الخراسانى ثم تحول الى هاشم وهاشم فى دعواه هو المقنع ويقول بالتناسخ وتابعه خلق من ضلال الناس وكانوا يسجدون له من أى النواحى كانوا وكانوا يقولون فى الحرب يا هاشم أعنا واجتمع اليه خلق كثير وتحصنوا فى قلعة بسيام وسنجردة وهى من رساتيق كش وظهرت المبيضة ببخارا والصغد معاونين له واعانه كفار الاتراك وأغاروا على أموال المسلمين وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم وكان ينكر قتل يحيى بن زيد وادعى انه يقتل قاتله واجتمعوا بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر مرة بعد مرة وقتلوا حسان بن تميم بن نصر بن سيار ومحمد بن نصر وغيرهما وأنفذ اليهم جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارا فقاتلوهم

معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع على ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو أباموسى فقال أبو موسى انى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا امركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وأنا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فقال ابو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وكز أباموسى فالقاه لجنبه فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحول ابو موسى فاستوى على راحلته ولحق بمكة ولم يعد الى الكوفة وقد كانت خطته واهله وولده بها وآلى ان لا ينظر الى وجه على مابقى ومضى ابن عمر وسعد الى

أربعة أشهر فى مدينة بو بحكث ونقبها عليهم فقتل منهم سبعمائة وقتل الحكم ولحق منهزموهم بالمقنع وتبعهم جبرائيل وحاربهم ثم سير المهدى أباعون لمحاربة المقنع فلم يبالغ فى قتاله واستعمل معاذ بن مسلم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل المهدى اسمعيل عن الكوفة واستعمل عليها اسحق بن الصباح الكندى ثم الاشعثى وقيل عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب الجمحى وفيها عزل سعيد بن دعلج عن احداث البصرة وعبيد الله بن الحسن عن الصلاة واستعمل مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميرى وأمره بانصاف من تظلم من سعيد بن دعلج ثم صرفت الاحداث فيها الى عمارة بن حمزة فولاها المسور بن عبد الله الباهلى وفيها عزل قثم بن العباس عن اليمامة فوصل كتاب عزله وقد مات واستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلى وفيها عزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة واستعمل عليها الفضل ابن صالح وفيها أعتق المهدى الخيزران أم ولده وتزوجها وتزوج أم عبد الله بنت صالح بن على أخت الفضل وعبد الملك وفيها احترقت السفن عند قصر عيسى ببغداد بما فيها واحترق ناس كثير وفيها عزل مطر مولى المنصور عن مصر واستعمل عليها أبو ضمرة محمد بن سليمان وفيها غزا العباس ابن محمد الصائفة الرومية وعلى المقدمة الحسن الوصيف فبلغوا انقرة وفتحوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من المسلمين أحد ورجعوا سالمين وفيها ولى حمزة بن يحيى سجستان وجبرائيل ابن يحيى سمرقند فبنى سورها وحفر خندقها وفيها عزل عبد الصمد بن على عن المدينة واستعمل عليها محمد بن عبد الله الكثيرى ثم عزله واستعمل مكانه محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحى وفيها بنى المهدى سور الرصافة ومسجدها وحفر خندقها وفيها توفى معبد بن الخليل بالسند وهو عامل المهدى عليها واستعمل مكانه روح بن حاتم أشار به أبو عبيد الله وزير المهدى وفيها أطلق المهدى من كان فى حبوس المنصور الا من كان عنده تبعة من دم أو مال أو من يسعى فى الارض بالفساد وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود مولى بنى سليم وفيها توفى حميد بن قحطبة وهو على خراسان واستعمل المهدى بعده عليها أباعون عبد الملك بن يزيد ❊ وحج بالناس هذه السنة يزيد ابن منصور خال المهدى عند قدومه من اليمن وكان المهدى قد كتب اليه بالقدوم عليه وتوليته الموسم وكان أمير المدينة عبد الله بن صفوان الجمحى وعلى احداث الكوفة اسحق بن الصباح الكندى وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها شريك وعلى صلاة البصرة عبد الملك ابن أيوب وعلى احداثها عمارة بن حمزة وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن وعلى كور دجلة وكور الاهواز وكور فارس عمارة بن حمزة وعلى السند بسطام بن عمرو وعلى اليمن رجاء بن روح وعلى اليمامة بشر بن المنذر وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد وكان حميد بن قحطبة قد مات فيها فولى المهدى أباعون وكان على الجزيرة الفضل بن صالح وعلى أفريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر أبو ضمرة محمد بن سليمان ❊ وفيها كان شقنا قد انتشر فى نواحى شنت برية فسير اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا ففارق مكانه وصعد الجبال كعادته فعاد الجيش عنه وفيها مات محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذئب الفقيه بالكوفة وهو مدنى وعمره تسع وسبعون سنة وفيها توفى عبد العزيز بن أبى دواد مولى المغيرة بن المهلب ويونس بن أبى اسحق السبيعى الهمدانى ومخرمة بن بكير بن عبد الله ابن الاشج المصرى وحسين بن واقد مولى بن عامر وكان على قضاء مرو وكان يشترى الشئ من السوق فيحمله الى عياله

﴿ثم دخلت سنة ستين ومائة﴾

﴿ذكر

بيت المقدس وفى فعل الحكمين يقول ايمن بن خريم بن فاتك الاسدى
لو كان للقوم رأى يعظمون به
عند الخطوب رموكم بابن عباس
لكن رموكم بوغد من ذوى يمن
لم يدر ما ضرب اخماس باسداس
وفى اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك
رضينا بحكم الله لا حكم غيره
وبالله ربا والنبى وبالذكر
وبالاصلع الهادى على امامنا
رضينا بذاك الشيخ فى العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا فانه
امام الهدى فى موقف النهى والامر
ولابى موسى يقول ابن عباس
أباموسى بليت وكنت شيخا
قريب العفو مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس
فيالله من شيخ يمانى
فأمسيت العشية ذا اعتذار
ضعيف الركن منكوب العنان
تعض الكف من ندم وماذا
يرد عليك عضك للبنان

﴿ذكر خروج يوسف البرم﴾

فى هذه السنة خرج يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم بخراسان منكرا هو ومن معه على المهدى سيرته التى يسير بها واجتمع معه بشر كثير فتوجه اليه يزيد بن مزيد الشيبانى وهو ابن أخى معن بن زائدة فلقيه فاقتتلا حتى صارا الى المعانقة فاسره يزيد بن مزيد وبعث به الى المهدى وبعث معه وجوه أصحابه فلما بلغوا النهروان حمل يوسف على بعير قد حول وجهه الى ذنبه وأصحابه مثله وأدخلوهم الرصافة على تلك الحال وقطعت يدا يوسف ورجلاه وقتل هو وأصحابه وصلبوا على الجسر وقد قيل انه كان حروريا وتغلب على بوشنج وعليها مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين فهرب منه وتغلب أيضا على مروالروذ والطالقان والجوزجان وقد كان من جملة أصحابه أبو معاذ الفريابى فقبض معه

﴿ذكر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى﴾

كان جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى قد خاضوا فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادى بن المهدى فلما علم المهدى بذلك سره وكتب الى عيسى بن موسى بالقدوم عليه وهو بقرية الرحبة من أعمال الكوفة فأحس عيسى بالذى يراد منه فامتنع من القدوم فاستعمل المهدى على الكوفة روح بن حاتم للاضرار به فلم يجد روح الى الاضرار به سبيلا لانه كان لا يقرب البلد الا كل جمعة أو يوم عيد وألح المهدى عليه وقال له انك ان لم تجبنى الى ان تنخلع من ولاية العهد لموسى وهرون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من أهل المعاصى وان أجبتنى عوضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعا فلم يقدم عليه وخيف انتقاضه فوجه اليه المهدى عمه العباس بن محمد برسالة وكتاب يستدعيه فلم يحضر معه فلما عاد العباس وجه المهدى اليه أباهريرة محمد بن فروخ القائد فى ألف من أصحابه ذوى البصائر فى التشيع للمهدى وجعل مع كل واحد منهم طبلا وأمرهم أن يضربوا طبولهم جميعا عند قدومهم اليه فوصلوا سحرا وضربوا طبولهم فارتاع عيسى روعا شديدا ودخل عليه أبو هريرة وأمره بالشخوص معه فاعتل بالشكوى فلم يقبل منه وأخذه معه فلما قدم عيسى بن موسى نزل دار محمد بن سليمان فى عسكر المهدى فأقام أياما يختلف الى المهدى ولا يتكلم بشئ ولا يرى مكروها فحضر الدار يوما قبل جلوس المهدى فجلس فى مقصورة للربيع وقد اجتمع شيعة ورؤساء المهدى على خلعه فثاروا به وهو فى المقصورة فاغلق الباب دونهم فضربوا الباب بالعمد حتى هشموه وشتموا عيسى أقبح الشتم وأظهر المهدى انكارا لما فعلوه فلم يرجعوا فبقوا فى ذلك أياما الى ان كاشفه أكابر اهل بيته وكان اشدهم عليه محمد بن سليمان وألح عليه المهدى فأبى وذكر أن عليه أيمانا فى أهله وماله فاحضر له من القضاة والفقهاء عدة منهم محمد ابن عبد الله بن علاثة ومسلم بن خالد الزنجى فافتوه بما رأوا فأجاب الى خلع نفسه فأعطاه المهدى عشرة آلاف الف درهم وضياعا بالزاب وكسكر وخلع نفسه لاربع بقين من المحرم وبايع للمهدى ولابنه موسى الهادى ثم جلس المهدى من الغد واحضر اهل بيته واخذ بيعتهم ثم خرج الى الجامع وعيسى معه فخطب الناس واعلمهم بخلع عيسى والبيعة للهادى ودعاهم الى البيعة فسارع الناس اليها واشهد على عيسى بالخلع فقال بعض الشعراء

كره الموت ابو موسى وقد ❊ كان فى الموت نجاة وكرم
خلع الملك وأضحى ملبسا ❊ ثوب لوم ما ترى منه القدم

(الرحبة بضم الراء قرية عند الكوفة وصبح بضم الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة)

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه فى الصحيفة واقرار أبى موسى بان عثمان قتل مظلوما وغير ذلك مما قدمنا وانهما لم يخطبا وذلك أن عمرا قال لابى موسى سم من شئت حتى أنظر معك فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمر وقد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمى لك أقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا وأعلمها بالسياسة معاوية بن أبى سفيان قال لا والله ما هو لذلك بأهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو ابن العاص قال فلما قالها علم أبو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت أجيئك اذا كانت لى اليك حاجة فاما اذا كانت الحاجة لك فانت أحق ان تأتينا فعلم معاوية ما قد وقع اليه فخد الرأى وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله فقال انى سأغدو الى هذا فاذا

﴿ذكر فتح مدينة باربد﴾

كان المهدى قد سير سنة تسع وخمسين ومائة جيشا فى البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعى الى بلاد الهند فى جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا أهلها ففتحها الله عليهم هذه السنة عنوة واحتمى اهلها بالبد الذى لهم فاحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأفاءها الله عليهم فهاج عليهم البحر فاقاموا الى ان يطيب فاصابهم مرض فى افواههم فمات منهم نحو من الف رجل فيهم الربيع ابن صبيح ثم رجعوا فلما بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حمران عصفت بهم الريح ليلا فانكسر عامة مراكبهم فغرق البعض ونجا البعض قيل وفيها جعل ابان بن صدقة كاتبا لهرون الرشيد ووزيرا له وفيها عزل أبو عون عن خراسان عن سخطة واستعمل عليها معاذ بن مسلم وفيها غزا ثمامة ابن الوليد العبسى الصائفة وغزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشام

﴿ذكر رد نسب آل ابى بكرة وآل زياد﴾

وفى هذه السنة امر المهدى برد نسب آل ابى بكرة من ثقيف الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان رجلا منهم رفع فى ظلامته الى المهدى وتقرب اليه بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المهدى ان هذا نسب ما تقرون به الا عند الحاجة والاضطرار الى التقرب الينا فقال له من جحد ذلك يا أمير المؤمنين فانا سنقر وانا اسألك ان تردنى ومعشر آل ابى بكرة الى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمر بآل زياد فيخرجوا من نسبهم الذى الحقوا به ورغبوا عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر ويردوا الى عبيد فى موالى ثقيف فأمر المهدى برد آل ابى بكرة الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب فيه الى محمد بن موسى بذلك وان من اقر منهم بذلك ترك ماله بيده ومن اباه اصطفى ماله فعرضهم فأجابوا جميعا الا ثلاثة نفر وكذلك ايضا امر برد نسب آل زياد الى عبيد واخرجهم من قريش فكان الذى حمل المهدى على ذلك مع الذى ذكرناه ان رجلا من آل زياد قدم عليه يقال له الصغدى بن سلم بن حرب بن زياد فقال له المهدى من أنت قال ابن عمك فقال له اى بنى عمى أنت فذكر نسبه فقال المهدى يا ابن سمية الزانية متى كنت ابن عمى وغضب وأمر به فوجئ فى عنقه وأخرج وسأل عن استلحاق زياد ثم كتب الى العامل بالبصرة باخراج آل زياد من ديوان قريش والعرب وردهم الى ثقيف وكتب فى ذلك كتابا بالغا يذكر فيه استلحاق زياد ومخالفة حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأسقطوا من ديوان قريش ثم انهم بعد ذلك رشوا العمال حتى ردوهم الى ما كانوا عليه فقال خالد النجار

ان زيادا ونافعا وابا * بكرة عندى من اعجب العجب
ذا قرشى كما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة توفى عبد الله بن صفوان الجمحى امير المدينة واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكثيرى ثم عزل واستعمل مكانه زفر بن عاصم الهلالى وجعل على القضاء عبد الله بن محمد ابن عمران الطلحى وفيها خرج عبد السلام الخارجى بنواحى الموصل وفيها عزل بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليها روح بن حاتم وحج بالناس هذه السنة المهدى واستخلف على بغداد ابنه

دعونه فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق فى البيت أحد فاغلقوا باب البيت واحذروا أن يدخل احد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو جالس على فرشه فلم يقم له عنها ولا دعاه اليها فجاء معاوية وجلس على الارض واتكأ على الفرش وذلك ان عمرا كان يحدث نفسه انه قد ملك الامر واليه العهد بضعها فمن يرى وينتدب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذى بينى وبينه عليه خاتمى وخاتمه وقد أقر بأن عثمان قتل مظلوما فأخرج عليا من هذا الامر وعرض على رجال لم أرهم أهلا لها وهذا الامر الى أستخلف من شئته قد أعطانى أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فحادثه معاوية ساعة واخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال يا أبا عبد الله هل من غداء قال اما والله شئ يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم يا غلام غداءك فجئ بالطعام المستعد فوضع فقال يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك فدعاهم

موسى وخاله يزيد بن منصور واستصحب معه جماعة من أهل بيته وابنه هرون الرشيد وكان معه يعقوب بن داود فاتاه بمكة بالحسن بن ابراهيم بن عبد الله العلوى الذى كان استأمن له فوصله المهدى وأقطعه وفيها نزع المهدى كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة وكان سبب نزعها ان حجبة الكعبة ذكروا له انهم يخافون على الكعبة ان تتهدم لكثرة ما عليها من الكسوة فنزعها وكانت كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين وما قبلها من عمل اليمن وقسم مالا عظيما كان معه من العراق ثلاثون ألف ألف درهم ووصل اليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار ففرق ذلك كله وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ خمسمائة من الانصار يكونون حرسا له بالعراق واقطعهم بالعراق وأجرى عليهم الارزاق وحمل اليه محمد بن سليمان الثلج الى مكة وكان أول خليفة حمل اليه الثلج الى مكة ورد المهدى على أهل بيته وغيرهم وظائفهم التى كانت مقبوضة عنهم وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس محمد بن سليمان وعلى خراسان معاذ بن مسلم وباقى الامصار على ما تقدم ذكره * وفيها أرسل عبد الرحمن الاموى بالاندلس ابا عثمان عبيد الله بن عثمان وتمام بن علقمة الى شقنا فحاصراه شهورا بحصن شبطران واعياهما امره فقفلا عنه ثم ان شقنا بعد عودهما عنه خرج من شبطران الى قرية من قرى شنت برية راكبا على بغلته التى تسمى الخلاصة فاغتاله ابو معن وابو خريم وهما من أصحابه فقتلاه ولحقا بعبد الرحمن ومعهما رأسه فاستراح الناس من شره وفيها مات داود بن نصير الطائى الزاهد وكان من أصحاب ابى حنيفة وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود المسعودى أيضا وشعبة بن الحجاج ابو بسطام وكان عمره سبعا وسبعين سنة واسرائيل بن يونس بن أبى اسحق السبيعى وقيل توفى سنة أربع وستين وفيها توفى الربيع بن مالك بن ابى عامر عم مالك بن أنس الفقيه كنيته ابو مالك وكانوا أربعة اخوة اكبرهم أنس والد مالك ثم أويس جد اسمعيل بن أويس ثم نافع ثم الربيع وفيها توفى خليفة بن خياط العصفرى الليثى وهو جد خليفة بن خياط (خياط بالخاء المعجمة وبالياء المثناة من تحت) وفيها توفى الخليل بن أحمد البصرى الفرهودى النحوى الامام المشهور فى النحو استاذ سيبويه

﴿ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة﴾

﴿ذكر هلاك المقنع﴾

فى هذه السنة سار معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر الى المقنع وعلى مقدمته سعيد الحرشى وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع فهزموهم فقصد المنهزمون الى المقنع بسنام فعمل خندقها وحصنها وأتاهم معاذ فحاربهم فجرى بينه وبين الحرشى نفرة فكتب الحرشى الى المهدى يقع فى معاذ ويضمن له الكفاية ان أفرده بحرب المقنع فاجابه المهدى الى ذلك فانفرد الحرشى بحربه وأمده معاذ بابنه رجاء فى جيش وبكل ما التمسه منه وطال الحصار على المقنع فطلب اصحابه الامان سرا منه فاجابهم الحرشى الى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفا وبقى معه زهاء ألفين من أرباب البصائر وتحول رجاء بن معاذ وغيره فنزلوا خندق المقنع فى أصل القلعة وضايقوه فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فأتى عليهم وامر ان يحرق هو بالنار لئلا يقدر على جثته وقيل بل أحرق كل ما فى قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ثم قال من أحب ان يرتفع معى الى السماء فليلق نفسه معى فى هذه النار وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا ودخل العسكر القلعة فوجدوها خالية خاوية وكان ذلك مما زاد

ثم قال له عمرو وادع أنت أصحابك قال نعم بأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية فقام الذى وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمرو فعلتها فقال اى والله بينى وبينك أمر ان اختر أيهما شئت البيعة لى أو أقتلك ليس والله غيرهما قال عمرو فاذن لغلامى وردان حتى اشاوره وأنظر رأيه قال لا تراه والله ولا يراك الا قتيلا أو على ما قلت لك قال فاولى اذا مصر قال هى لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه واحضر معاوية الخواص من اهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن ابايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه اهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبى موسى وعمرو قال انى كنت تقدمت اليكم فى هذه الحكومة ونهيتكم عنها فابيتم الا عصيانى فكيف

فى افتتان من بقى من أصحابه والذين يسمون المبيضة بما وراء النهر من اصحابه الا انهم يسرون اعتقادهم وقيل بل شرب هو أيضا من السم فمات فانفذ الحرشى رأسه الى المهدى فوصل اليه وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة فى غزواته

﴿ذكر تغير حال أبى عبيد الله﴾

فى هذه السنة تغيرت حال أبى عبيد الله وزير المهدى وقد ذكرنا فيما تقدم سبب اتصاله به أيام المنصور ومسيره معه الى خراسان فحكى الفضل بن الربيع ان الموالى كانوا يقعون فى أبى عبيد الله عند المهدى ويحرضونه عليه وكانت كتب أبى عبيد الله ترد على المنصور بما يفعل ويعرضها على الربيع ويكتب الكتب الى المهدى بالوصاية به وترك القول فيه ثم ان الربيع حج مع المنصور حين مات وفعل فى بيعة المهدى ما ذكرنا فلما قدم جاء الى باب ابى عبيد الله قبل المهدى وقبل ان يأتى أهله فقال له ابنه الفضل تترك أمير المؤمنين ومنزلك وتأتيه قال هو صاحب الرجل و ينبغى ان نعامله غير ما كنا نعامله به ونترك ذكر نصرتنا له فوقف على بابه من المغرب الى ان صليت العشاء الآخرة ثم أذن له فدخل فلم يقم له وكان متكئا فلم يجلس ولا أقبل عليه وأراد الربيع ان يذكر له ما كان منه فى أمر البيعة فقال قد بلغنا أمركم فأوغر صدر الربيع فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل لقد بلغ فعل هذا بك ما فعل وكان الرأى ان لا تأتيه وحيث أتيته وحجبك ان تعود وحيث دخلت عليه فلم يقم لك أن تعود فقال لابنه أنت أحمق حيث تقول كان ينبغى ان لا تجئ وحيث جئت وحجبت أن تعود ولما دخلت فلم يقم لك كان ينبغى ان تعود ولم يكن الصواب الا ما عملته ولكن والله وأكد اليمين لاخلعن جاهى ولانفقن مالى حتى أبلغ مكروهه وسعى فى امره فلم يجد عليه طريقا لاحتياطه فى أمر دينه وأعماله فأتاه من قبل ابنه محمد فلم يزل يحتال و يدس الى المهدى و يتهمه ببعض حرمه و بانه زنديق حتى استحكمت التهمة عند المهدى بابنه فامر به فأحضر وأخرج أبوه ثم قال له يا محمد اقرأ فلم يحسن يقرأ شيأ فقال لابيه ألم تعلمنى ان ابنك يحفظ القرآن قال بلى ولكنه فارقنى منذ سنين وقد نسى قال فقم فتقرب الى الله بدمه فقام ليقتل ولده فعثر فوقع فقال العباس بن محمد ان رأيت ان تعفى الشيخ فافعل فأمر بابنه فضربت عنقه وقال له الربيع يا أمير المؤمنين تقتل ابنه وتثق اليه لا ينبغى ذلك فاستوحش منه وكان من أمره ما نذكره

﴿ذكر عبور الصقلبى الى الاندلس وقتله﴾

وفى هذه السنة وقيل سنة ستين عبر عبد الرحمن بن حبيب الفهرى المعروف بالصقلبى واغا سمى به لطوله و زرقته وشقرته من افريقية الى الاندلس محاربا لهم ليدخلوا فى الطاعة للدولة العباسية وكان عبوره فى ساحل تدمير وكاتب سليمان بن يقظان بالدخول فى أمره ومحاربة عبد الرحمن الاموى والدعاء الى طاعة المهدى وكان سليمان ببرشلونة فلم يجبه فاغتاظ عليه وقصد بلده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان فعاد الصقلبى الى تدمير وسار عبد الرحمن الاموى نحوه فى العدد والعدة وأحرق السفن تضييقا على الصقلبى فى الهرب فقصد الصقلبى جبلا منيعا بناحية بلنسية فبذل الاموى ألف دينار لمن أتاه برأسه فاغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه الى عبد الرحمن فاعطاه ألف دينار وكان قتله سنة اثنتين وستين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها ظفر نصر بن محمد بن الاشعث بعبد الله بن مروان بالشام فأخذه وقدم به على المهدى فحبسه

رأيتم عاقبة أمركم اذ أبيتم على والله انى لاعرف من حملكم على خلافى والترك لامرى ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث ابن قيس والله أعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بنى خثعم

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ✽ فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتى هذه الا ان هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى انفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأماتا ما أحيى القرآن وأحييا ما أماته واختلف فى حكمهما كلاهما ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير وأصبحوا فى عساكرهم ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وقد اختلفت الفرق من اهل ملتنا فى الحكمين وقالوا فى ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ما ذهبوا اليه فى ذلك فى كتاب المقالات وما

فى المطبق وجاء عمرو بن سهلة الاشعرى فادعى ان عبد الله قتل أباه وحاكمه عند عافية القاضى فتوجه الحكم على عبد الله فجاء عبد العزيز بن مسلم العقيلى الى القاضى فقال زعم عمرو بن سهلة ان عبد الله قتل أباه وكذب والله ما قتل أباه غيرى أنا قتلته بأمر مروان وعبد الله برىء من دمه فترك عبد الله ولم يعرض المهدى لعبد العزيز لانه قتله بأمر مروان ✽ وفيها غزا الصائفة عمامة ابن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم مع ميخائيل فى ثمانين ألفا فأتى عمق مرعش فقتل وسبى وغنم وأتى مرعش فحاصرها فأتاهم فقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن على مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان وبلغ الخبر المهدى فعظم عليه وتجهز لغزو الروم على ما سنذكره سنة اثنتين وستين ومائة ولم يكن للمسلمين صائفة من أجل ذلك ✽ وفيها أمر المهدى ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التى بناها السفاح من القادسية الى زبالة وأمر باتخاذ المصانع فى كل منهل منها وبتجديد الاميال والبرك وبحفر الركايا وولى ذلك يقطين بن موسى وأمر بالزيادة فى مسجد البصرة وتقصير المنابر فى البلاد وجعلها بمقدار منبر النبى صلى الله عليه وسلم الى اليوم وفيها أمر المهدى يعقوب بن داود بتوجيه الامناء فى جميع الآفاق ففعل فكان لا ينفذ المهدى كتابا الى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب الى أمينه بانفاذ ذلك وفيها غزا الغمر بن العباس فى البحر وفيها ولى نصر بن محمد بن الاشعث السند ثم عزل بعبد الملك بن شهاب فبقى عبد الملك ثمانية عشر يوما ثم عزل وأعيد نصر من الطريق وفيها استقضى المهدى عافية القاضى مع ابن علاثة بالرصافة وفيها عزل الفضل بن صالح عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الصمد بن على واستعمل عيسى بن لقمان على مصر و يزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان الشروى على الموصل و بسطام بن عمرو التغلبى على اذربيجان وفيها توفى نصر بن مالك من فالج أصابه وولى المهدى بعده شرطته حمزة بن مالك وصرف أبان بن صدقة عن هرون الرشيد وجعل مع موسى الهادى وجعل مع هرون يحيى بن خالد بن برمك وفيها عزل محمد بن سليمان أبو ضمرة عن مصر فى ذى الحجة ووليها سلمة بن رجاء وحج بالناس موسى الهادى وهو ولى عهد وكان عامل مكة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان وعامل اليمن على بن سليمان وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى أحداثها اسحق بن منصور وفيها توفى سفيان الثورى وكان مولده سنة سبع وتسعين وزائدة ابن قدامة أبو الصلت الثقفى الكوفى وابراهيم بن أدهم بن منصور ابو اسحق الزاهد وكان مولده ببلخ وانتقل الى الشام فاقام به مرابطا وهو من بكر بن وائل ذكره ابو حاتم البستى

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة﴾

﴿ذكر قتل عبد السلام الخارجى﴾

وفى هذه السنة قتل عبد السلام بن هاشم اليشكرى بقنسرين وكان قد خرج بالجزيرة فاشتدت شوكته وكثر اتباعه فلقيه عدة من قواد المهدى فيهم عيسى بن موسى القائد فقتله فى عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المروروذى فندب المهدى الى شبيب ألف فارس وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة فوافوا شبيبا فخرج بهم فى طلب عبد السلام فهرب منه فادركه بقنسرين فقاتله فقتله بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وضع المهدى ديوان الازمة وولى عليها عمرو بن بزيع مولاه وأجرى المهدى على المجذمين واهل السجون فى جميع الآفاق وفيها خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا

قاله كل فريق منهم ممن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا فى كتاب أخبار الزمان قول على فى مواقفه وخطبه وما قاله فى ذلك وما أكره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وما تقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين ألحوا فى تحكيم أبى موسى الاشعرى وعمرو حيث قال الا ان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم أقرب الناس مما تكرهون اعماهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا فيها اوتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ فى مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام أبى موسى فى تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن أمير المؤمنين على فى حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ما قاله فى بعض مقاماته فى معاتبة قريش وقد بلغه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق فى خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش ان ابن

الصائفة الحسن بن قحطبة فى ثمانين ألف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ حمة ادرولية وأكثر التحريق والتخريب فى بلاد الروم ولم يفتح حصنا ولا لقى جمعا وسمته الروم التنين وقالوا انما أتى الحمة ليغتسل من مائها للوضح الذى به ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمى من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى وفيها عزل على بن سليمان عن اليمن واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان وعزل سلمة بن رجاء من مصر ووليها عيسى بن لقمان فى المحرم وعزل عنها فى جمادى الآخرة ووليها واضح مولى المهدى ثم عزل فى ذى القعدة ووليها يحيى الحرشى وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهار فغلب عليها وقتل بشرا كثيرا فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه وكان العمال من تقدم ذكرهم فكانت الجزيرة مع عبد الصمد بن على وطبرستان والرويان مع سعيد بن دعلج وجرجان مع مهلهل بن صفوان وفيها أرسل عبد الرحمن صاحب الاندلس شهيد بن عيسى الى دحية الغسانى وكان عاصيا فى بعض حصون البيرة فقتله وسير بدرا مولاه الى ابراهيم بن شجرة البرلسى وكان قد عصى فقتله وسير أيضا ثمامة بن علقمة الى العباس البربرى وهو فى جمع من البربر وقد أظهر العصيان فقتله أيضا وفرق جموعه وفيها سير جيشا مع حبيب بن عبد الملك القرشى الى القائد السلمى وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن امير الاندلس فشرب ليلة وقصد باب القنطرة ليفتحه على سكر منه فمنعه الحرس فعاد فلما صحى خاف فهرب الى طليطلة فاجتمع اليه كثير ممن يريد الخلاف والشر فعاجله عبد الرحمن بانفاذ الجيوش اليه فنازله فى موضع قد تحصن فيه وحصره ثم ان السلمى طلب البراز فبرز اليه مملوك أسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين ثم ماتا جميعا وفيها توفى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضى افريقية وقد جاوز تسعين سنة وسبب موته انه أكل عند يزيد بن حاتم سمكا ثم شرب لبنا وكان يحيى بن ماسويه الطبيب حاضرا فقال ان كان الطب صحيحا مات الشيخ الليلة فتوفى من ليلته تلك والله أعلم

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الروم﴾

فى هذه السنة تجهز المهدى لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها وكان قد توفى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس فى جمادى الآخرة وسار المهدى من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادى واستصحب معه ابنه هرون الرشيد وسار على الموصل والجزيرة وعزل عنها عبد الصمد بن على فى مسيره ذلك ولما حاذى قصر مسلمة بن عبد الملك قال العباس بن محمد بن على للمهدى ان لمسلمة فى أعناقنا منة كان محمد بن على مر به فأعطاه أربعة آلاف دينار وقال له اذا نفدت فلا تحتشمنا فأحضر المهدى ولد مسلمة ومواليه وأمر لهم بعشرين ألف دينار وأجرى عليهم الارزاق وعبر الفرات الى حلب وأرسل وهو بحلب فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين وسار عنها مشيعا لابنه هرون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان فسار هرون ومعه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والربيع والحسن بن قحطبة والحسن وسليمان بن برمك ويحيى بن خالد بن برمك وكان اليه أمر العسكر والنفقات والكتابة وغير ذلك فساروا فنزلوا على حصن سمالو فحصره هرون ثمانية وثلاثين يوما ونصب عليه المجانيق ففتحه الله عليهم بالامان ووفى لهم وفتحوا فتوحا كثيرة ولما عاد المهدى من الغزاة زار بيت المقدس ومعه يزيد بن منصور والعباس بن محمد بن على والفضل بن صالح بن على وعلى بن سليمان بن على وقفل المسلمون سالمين الا من قتل منهم وعزل المهدى ابراهيم

أبى طالب شجاع ولكن لاعلم له بالحروب تربت ايديهم وهل فيهم اشد مراسا لها منى لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا ذا قد أربيت على نيف وستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع (قال المسعودى) واذ قد تقدم ذكرنا لجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من اخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا فى هذا الكتاب وما تأخر فيما سلف من كتبنا والله اعلم

﴿ذكر حروبه رضى الله عنه مع اهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشتر النخعى وغير ذلك﴾

واجتمعت الخوارج فى اربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ولحقوا بالمداين وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها ذبحوه ذبحا وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين الفا واتاه من البصرة من

ابن صالح عن فلسطين ثم رده

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ولى المهدى ابنه هرون المغرب كله واذربيجان وارمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك وفيها عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الله بن صالح وفيها عزل المهدى معاذ بن مسلم عن خراسان واستعمل عليها المسيب بن زهير الضبى وعزل يحيى الحرشى عن اصبهان وولى مكانه الحكم بن سعيد وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان وولاهما عمر بن العلاء وعزل مهلهل بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد وكان على مكة والمدينة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان وكان على الكوفة اسحق بن الصباح وعلى البصرة وفارس والبحرين والاهواز محمد بن سليمان وعلى السند نصر بن محمد بن الاشعث وعلى الموصل محمد بن الفضل وحج بالناس هذه السنة على بن المهدى وفيها اظهر عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس التجهز للخروج الى الشام بزعمه لمحو الدولة العباسية وأخذ ثاره منهم فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصارى بسرقسطة واشتد أمرهما فترك ما كان عزم عليه وفيها مات موسى بن على بن رباح اللخمى (على بضم العين مصغرا ورباح بالباء الموحدة) وفيها مات ابراهيم بن طهمان وكان عالما فاضلا وكان مرجئا من اهل نيسابور ومات بمكة وفيها توفى ابو الاشهب جعفر بن حيان بالبصرة وفيها توفى بكار بن شريح قاضى الموصل بها وكان فاضلا وولى القضاء بها أبو مكرز الفهرى واسمه يحيى بن عبد الله بن كرز

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة﴾

فى هذه السنة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث فأتاه ميخائيل البطريق وطاراذ الارمنى البطريق فى تسعين ألفا فخاف عبد الكبير ومنع الناس من القتال ورجع بهم فأراد المهدى قتله فشفع فيه فحبسه وفيها عزل المهدى محمد بن سليمان عن البصرة وسائر أعماله واستعمل صالح بن داود مكانه وفيها سار المهدى ليحج فلما بلغ العقبة ورأى قلة الماء خاف ان الماء لا يحمل الناس وأخذته أيضا حمى فرجع وسير أخاه صالحا يحج بالناس ولحق الناس عطش شديد حتى كادوا يهلكون وغضب المهدى على يقطين لانه صاحب المصانع وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطة ووجه من يستقبله ويفتش متاعه واستعمل على اليمن منصور بن يزيد بن منصور وعلى افريقية يزيد بن حاتم وكان العمال من تقدم ذكرهم وعلى الموصل محمد بن الفضل وفيها سار عبد الرحمن الاموى الى سرقسطة بعد ان كان قد سير اليها ثعلبة بن عبيد فى عسكر كثيف وكان سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن كما ذكرناه وهما بها فقاتلهم ثعلبة قتالا شديدا وفى بعض الايام عاد الى مخيمه فاغتنم سليمان غرته فخرج اليه وقبض عليه وأخذه وتفرق عسكره واستدعى سليمان قارله ملك الافرنج ووعده بتسليم البلد وثعلبة اليه فلما وصل اليه لم بصح بيده غير ثعلبة فأخذه وعاد الى بلاده وهو يظن أنه يأخذ به عظيم الفداء فأهمله عبد الرحمن مدة ثم وضع من طلبه من الفرنج فأطلقوه فلما كان هذه السنة سار عبد الرحمن الى سرقسطة وفرق أولاده فى الجهات ليدفعوا كل مخالف ثم يجتمعون بسرقسطة فسبقهم عبد الرحمن اليها وكان الحسين بن يحيى قد قتل سليمان بن يقظان وانفرد بسرقسطة فوافاه عبد الرحمن على أثر ذلك فضيق على أهلها

قبل ابن عباس وكان عامله عليها عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة ابن قدامة السعدى وذلك فى سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار والتأمت اليه العساكر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قدما طالما سعوا فى اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الا أن رسول الله أمرنى بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دولا فأبوا الا أن يبدؤا بالخوارج فسار على اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدى رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى على ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك وان أبيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما

تضييقاشديدا وأتاه أولاده من النواحي ومعهم كل من كان خالفهم وأخبروه عن طاعة غيرهم فرغب الحسين في الصلح واذعن للطاعة فاجابه عبد الرحمن وصالحه وأخذ ابنه سعيدا رهينة ورجع عنه وغزا بلاد الفرنج فدوخها ونهب وسبي وبلغ قاهرة وفتح مدينة فكبيرة وهدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد البشكنس ونزل على حصن مثمين الاقرع فافتتحه ثم تقدم الى ملد وثون بن اطلال وحصر قلعته وقصد الناس جبلها وقاتلوهم فيه فملكوها عنوة وخربها ثم رجع الى قرطبة وفيها ثارت فتنة بين بربر بلنسية وبربر شنت برية من الاندلس وجرى بينهم حروب كثيرة قتل فيها خلق كثير من الطائفتين وكانت وقائعهم مشهورة وفيها مات شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية التيمي النحوي البصري وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور وقيل مات سنة ثلاث وستين وكان عمره ثمانيا وسبعين سنة وقيل ثمانين سنة وسعيد بن عبد العزيز الدمشقي وسلام بن مسكين النمري الازدي أبو روح والمبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي مولى عمر بن الخطاب

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الروم﴾

في هذه السنة سير المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم صائفة في جمادى الآخرة في خمسة وتسعين ألفا وتسعمائة وثلاثة وتسعين رجلا ومعه الربيع فاوغل هرون في بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد الشيباني فاثخنه يزيد وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وساروا الى الدمستق وهو صاحب المسالح فحمل لهم مائة ألف دينار وثلاثة وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين دينارا ومن الورق احدى وعشرين ألف ألف درهم وأربعمائة عشر ألف وثمانمائة درهم وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ عطسة امرأة أليون وذلك ان ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو في حجرها فجرى الصلح بينهما وبين الرشيد على الفدية وان تقيم له الادلاء والاسواق في الطريق وذلك انه دخل مدخلا ضيقا مخوفا فاجابته الى ذلك ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى ان اصطلحوا خمسة آلاف رأس سبي وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا ومن الدواب الذلل بادواتها عشرين ألف رأس وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفا وقتل من الاسارى صبرا ألفان وتسعون أسيرا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل خلف بن عبد الله عن الري ووليها عيسى مولى جعفر وحج بالناس هذه السنة صالح بن المنصور وكان العمال من تقدم ذكرهم غير أن البصرة كان على أحداثها والصلاة بها روح بن حاتم وكان على كور دجلة والبحرين وعمان وكسكر والاهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدي وكان على الموصل أحمد بن اسمعيل بن علي بن عبد الله بن عباس وفيها غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة فنكس مع عبد الرحمن فسير اليه عبد الرحمن غالب بن ثمامة بن علقمة في جند كثيف فاقتتلوا فاسر جماعة من أصحاب الحسين فيهم ابنه يحيى فسيرهم الى الامير عبد الرحمن فقتلهم وأقام ثمامة بن علقمة على الحسين يحصره ثم ان الامير عبد الرحمن سار سنة ست وستين ومائة الى سرقسطة بنفسه فحصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق ستة وثلاثين منجنيقا فملكها عنوة وقتل الحسين أقبح قتلة ونفى أهل سرقسطة منها اليمين تقدمت منه ثم ردهم اليها وفيها مات

فانا منك براء فبعث اليهم على أن ابعثوا الى بقتلة اخواني فاقتلهم ثم أتارككم الى ان أفرغ من قتال أهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون في قتلهم وأخبره الرسول وكان من يهود السواد ان القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال علي والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار علي فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما أشرف عليهم قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقيل له قد

يزيد

يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب وهو من ولد شهر ذي الجناح الحميري خال المهدي وقد كان ولي اليمن والبصرة والحج وفيها توفي فتح بن الوشاح الموصلي الزاهد

﴿ثم دخلت سنة ست وستين ومائة﴾

في هذه السنة أخذ المهدي البيعة لولده هرون الرشيد بولاية العهد بعد أخيه موسى الهادي ولقبه الرشيد وفيها عزل عبيد الله بن الحسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى أهل البصرة منه

﴿ذكر القبض على يعقوب بن داود﴾

وفي هذه السنة سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود بن طهمان وكان أول أمرهم أن داود بن طهمان وهو وأبو يعقوب كان يكتب لنصر بن سيار هو واخوته فلما كان أيام يحيى بن زيد كان داود يعلمه ما يسمعه من النصر فلما طلب أبو مسلم الخراساني بدم يحيى بن زيد أتاه داود ولما كان بينه وبين يحيى فامنه أبو مسلم في نفسه وأخذ ماله الذي استفاد أيام نصر فلما مات داود خرج أولاده أهل أدب وعلم ولم يكن لهم عند بني العباس منزلة فلم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر واظهروا مقالة الزيدية ودنوا من آل الحسين وطمعوا أن تكون لهم دولة فكان داود يصحب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن احيانا وخرج معه هو وعدة من اخوته فلما قتل ابراهيم طلبهم المنصور فاخذ يعقوب وعليا وحبسهما فلما توفي المنصور أطلقهما المهدي مع من أطلقه وكان معهما الحسن بن ابراهيم فاتصل الى المهدي بسببه كما تقدم ذكره وقيل اتصل به بالسعاية بآل علي ولم يزل أمره يرتفع حتى استوزره وكان المهدي يقول وصف لي يعقوب في منامي فقيل لي استوزره فلما رأيته رأيت الخلقة التي وصفت لي فاتخذته وزيرا فلما ولي الوزارة أرسل الى الزيدية فجمعهم وولاهم أمور الخلافة في المشرق والمغرب ولذلك قال بشار بن برد

بني أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود

فحسده موالي المهدي وسعوا به وقيل له ان الشرق والغرب في يد يعقوب وأصحابه وانما يكفيه أن يكتب اليهم فيثورون في يوم واحد فيأخذوا الدنيا فلاذ ذلك قلب المهدي ولما بنى المهدي عيساباذ أتاه خادم من خدمه فقال له ان أحمد بن اسمعيل بن علي قال لي ابنى متنزها أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت المال فحفظها المهدي ونسي أحمد بن اسمعيل وظن أن يعقوب قالها فبينما يعقوب بين يديه اذ لببه فضرب به الارض وقال ألست القائل كيت وكيت فقال والله ما قلته ولا سمعته قال وكان السعاة يسعون بيعقوب ليلا ويتفرقون وهم يعتقدون انه يقبضه بكرة فاذا أصبح غدا عليه فاذا نظر اليه تبسم وسأله عن مبيته وكان المهدي مستهترا بالنساء فيخوض يعقوب معه في ذلك فيفترقان عن رضا ثم انه كان ليعقوب برذون كان يركبه فخرج يوما من عند المهدي وعليه طيلسان يتقعقع من كثرة دقه والبرذون مع الغلام وقد نام الغلام فركب يعقوب وأراد تسوية الطيلسان فنفر من قعقعته فسقط فدنا من دابته فرفسه فانكسر ساقه فانقطع عن الركوب فعاده المهدي من الغد ثم انقطع عنه فتمكن السعاة منه فاظهر المهدي السخط عليه ثم أمر به فحبس في حبس نصر وأخذ عماله وأصحابه فحبسوا وقال يعقوب بن داود بعث الى المهدي يوما فدخلت عليه وهو في مجلس مفروش بفرش مورد على بستان فيه شجر ورؤس الشجر مع صحن المجلس وقد اكتسى ذلك الشجر بالازهار فما رأيت شيأ أحسن منه وعنده جارية عليها نحو ذلك الفرش ما رأيت

رمونا فقال كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يأمرهم بالكف حتى أتي برجل قتيل متشحط بدمه فقال علي الله أكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على أصحاب علي فجرح فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا

فخرج اليه علي رضي الله عنه وهو يقول

يا أيهذا المبتغي عليا * اني أراك جاهلا شقيا
قد كنت عن كفاحه غنيا * هلم فابرز ها هنا اليا

وحمل عليه علي فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول

أضربهم ولو أرى أبا حسن * ألبسته بصارمي ثوب غبن

فخرج اليه علي وهو يقول

يا أيهذا المبتغي أبا حسن * اليك فانظر أينا يلقى الغبن

وحمل عليه علي وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف علي وهو يقول لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره وحمل أبو أيوب الانصاري على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله بن وهب الذي قبل

احسن منها فقال لى يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قلت على غاية الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به قال هو لك بما فيه وهذه الجارية ليتم سرورك به قال فدعوت له ثم قال لى يا يعقوب ولى اليك حاجة أحب أن تضمن لى قضاءها قلت الامر لامير المؤمنين ولى السمع والطاعة فاستحلفنى بالله وبرأسه فحلفت لاعمان بما قال فقال هذا فلان بن فلان من ولد على بن ابى طالب واحب ان تكفينى مؤنته وتريحنى منه وتعجل ذلك قلت أفعل فاخذته واخذت الجارية وجميع ما فى المجلس وأمر لى بمائة الف درهم فلشدة سرورى بالجارية صيرتها فى مجلس بينى وبينها ستر وادخلت العلوى الى وسألته عن حاله فاخبرنى واذا هو أعقل الناس وأحسنهم ابانة عن نفسه ثم قال ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمى وانا رجل من ولد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم قلت لا والله فهل فيك أنت خير قال ان فعلت خيرا شكرت ولك عندى دعا واستغفار فقلت اى الطريق احب اليك قال كذا وكذا فأرسلت الى من يثق اليه العلوى فأخذه واعطيته مالا وأرسلت الجارية الى المهدى تعلمه الحال فارسل الى الطريق فاخذ العلوى وصاحبه والمال فلما كان الغد استحضرنى المهدى وسألنى عن العلوى فاخبرته أنى قتلته فاستحلفنى بالله وبرأسه فحلفت له فقال يا غلام اخرج الينا ما فى هذا البيت فاخرج العلوى وصاحبه والمال فبقيت متحيرا وامتنع منى الكلام فما أدرى ما أقول فقال المهدى قد حل لى دمك ولكن احبسوه فى المطبق ولا اذكر به فحبست فى المطبق وتخذلى فيه بئر فدليت فيها فبقيت مدة لا أعرف عددها وأصبت ببصرى قال فانى لكذلك اذ دعى بى وقيل لى سلم على أمير المؤمنين فسلمت قال اى امير المؤمنين انا قلت المهدى قال رحم الله المهدى قلت فالهادى قال رحم الله الهادى قلت فالرشيد قال نعم قال سل حاجتك قلت المقام بمكة فما بقى فى مستمتع لشئ ولا بلاغ فاذن لى فسرت الى مكة قال فلم تطل ايامه بها حتى مات وكان يعقوب قد ضجر بموضعه قبل حبسه وكان اصحاب المهدى يشربون عنده فكان يعقوب ينهاه عن ذلك ويعظه ويقول ليس على هذا استوزرتنى ولا عليه صحبتك بعد الصلوات الخمس فى المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ فضيق على المهدى حتى قيل

فدع عنك يعقوب بن داود جانبا * وأقبل على صهباء طيبة النشر

وقال يعقوب يوما للمهدى فى أمر أراده هذا والله السرف فقال المهدى ويحك يا يعقوب انما يحسن السرف باهل الشرف ولولا السرف لم يعرف المكثرون من المقلين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة سار المهدى الى جرجان وجعل على قضائه أبا يوسف وفيها أمر المهدى باقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن ببغال وابل ولم يكن هنالك بريد قبل ذلك وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير فولاها الفضل بن سليمان الطوسى أبا العباس وأضاف اليه سجستان فاستخلف على سجستان تميم بن سعيد بن دعلج وفيها أخذ المهدى داود بن روح بن حاتم واسمعيل بن مجالد ومحمد بن أبى أيوب المكى ومحمد بن طيفور فى الزندقة فاستتابهم وخلى سبيلهم وبعث داود الى أبيه وهو على البصرة وأمره بتأديبه وفيها استعمل ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله على المدينة وكان على مكة والطائف عبيد الله بن قثم وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن واستعمل عبد الله بن سليمان الربعى وفيها أطلق المهدى عبد الصمد بن على من حبسه وحج بالناس ابراهيم بن يحيى وكان على الكوفة هاشم بن سعيد وعلى البصرة روح بن حاتم وعلى قضائها خالد بن طليق وعلى كور دجلة وكسكر واعمال البصرة والبحرين والاهواز وفارس وكرمان المعلى مولى

هانئ بن حاطب الازدى وزياد بن حفصة وقتل حرقوص بن زهير السعدى وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى على على القوم وهم اربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الا من ذكرنا من هؤلاء العشرة وامر على بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام على وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال على رضى الله عنه الله أكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رؤسها معقفة ثم قال ائتونى به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وانفس السوء

المهدى وعلى مصر ابراهيم بن صالح وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشى وعلى دنباوند وقومس فراشة مولى المهدى وعلى الرى سعد مولاه وعلى الموصل أحمد ابن اسمعيل الهاشمى وقيل موسى بن كعب الخثعمى وعلى قضائها على بن مسهر بن عمير ولم يكن فى هذه السنة صائفة للهدنة وفيها قتل بشار بن برد الشاعر الاعمى على الزندقة وكان خلق ممسوح العينين وفيها توفى الجراح بن مليح الرؤاسى وهو والد وكيع وفيها توفى المبارك بن فضالة وحماد بن سلمة البصرى وفيها قتل عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام وهذيل بن الصميل وعمرة بن جبلة لانهم اجتمعوا على خلعه مع العلاء ابن حميد القشيرى فتقرب بهم

﴿ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة﴾

فى هذه السنة سار موسى الهادى الى جرجان فى جمع كثيف وجهاز لم يتجهز أحد مثله لمحاربة ونداد هرمز وشروين صاحبى طبرستان وجعل المهدى على رسائل موسى أبان بن صدقة ومحمد بن جميل على جنده ونفيعا مولى المنصور على حجابته وعلى بن عيسى بن ماهان على حرسه فسير الهادى الجنود اليهما وأمر عليهم يزيد بن مزيد فحاصرهما وفيها توفى عيسى بن موسى بالكوفة فاشهد روح بن حاتم على وفاته القاضى وجماعة من الوجوه ودفن وكان عمره خمسا وستين سنة ومدة ولايته العهد ثلاثا وعشرين سنة وقد تقدم ذكر ولايته العهد وعزله عنه وفيها جد المهدى فى طلب الزنادقة فاخذ يزيد بن الفيض فاقر فحبس فهرب فلم يقدر عليه وكان المتولى لامر الزنادقة الكلوذانى وفيها عزل المهدى ابا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع وفيها كان الوباء ببغداد والبصرة وفشا فى الناس سعال شديد وفيها توفى أبان بن صدقة كاتب الهادى فوجه المهدى مكانه أبا خالد الاحول وفيها أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم فدخلت فيه دور كثيرة وكان المتولى لبنائه يقطين بن موسى فبقى البناء فيه الى أن توفى المهدى وكذلك أمر بالزيادة فى المسجد الجامع بالموصل ورأيت لوحا فيه ذكر ذلك وهو فى حائط الجامع سنة ثلاث وستمائة وهو باق وفيها عزل يحيى الحرشى عن طبرستان والرويان وما كان اليه وولية عمر بن العلاء وولى جرجان فراشة مولى المهدى وفيها أظلمت الدنيا لثلاث مضين من ذى الحجة حتى تعالى النهار ولم يكن صائفة للهدنة وحج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وهو على المدينة ثم توفى بعد فراغه من الحج بايام وتولى مكانه اسحق بن عيسى بن على وفيها طعن عقبة بن سلم الهنائى اغتاله رجل بخنجر ذات ببغداد وكان على اليمن سليمان ابن يزيد الحارثى وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيرى وكان على البصرة محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان التميمى وعلى الموصل أحمد بن اسمعيل الهاشمى وقيل موسى بن كعب وباقى الامصار كما تقدم وفى هذه السنة توفى جعفر الاحمر ابو شيبة والحسن بن صالح بن حى وكان شيعيا عابدا وسعيد بن عبد الله بن عامر التنوخى وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن مسلم وفيها أفسد العرب فى بادية البصرة بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطريق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة فارسل المهدى اليهم جيشا فقاتلهم واشتد القتال وصبر العرب فظفروا وقتلوا عامة العسكر المنفذ اليهم فقويت شوكتهم وزاد شرهم

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة﴾

فى هذه السنة فى رمضان نقض الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين وكان من أوله الى ان

فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذى نفسى بيده انهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاشمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع على ما كان فى عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذى كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر على بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من الناس فارتدوا الى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤى عند أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من

نقضوه اثنان وثلاثون شهرا فوجه على بن سليمان وهو على الجزيرة وقنبر بن يزيد بن البدر بن البطال فى خيل فغنموا وظفروا

﴿ ذكر الخوارج بالموصل ﴾

وفيها خرج بارض الموصل خارجى اسمه ياسين من بنى تميم فخرج اليه عسكر الموصل فهزمهم وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة وكان يميل الى مقالة صالح بن مسرح الخارجى فوجه اليه المهدى أباهريرة محمد بن فروخ القائد وهرثمة بن أعين مولى بنى ضبة فحارباه فصبر لهما حتى قتل وعدة من أصحابه وانهزم الباقون

﴿ ذكر مخالفة أبى الاسود بالاندلس ﴾

فى هذه السنة ثار أبو الاسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى بالاندلس وكان من حديثه انه كان فى سجن عبد الرحمن بقرطبة من حين هرب أبوه وقتل أخوه عبد الرحمن على ماتقدم وحبس أبو الاسود وتمادى فى الحبس فصار يحاكى العميان ولا يطرف عينه لشئ وبقى دهرا طويلا حتى صح عند الامير عبد الرحمن الاموى ذلك وكان فى أقصى السجن سرداب يفضى الى النهر الاعظم يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره وكان الموكلون بهم ملون أبا الاسود لعماه فاذا رجع من النهر يقول من يدل الاعمى على موضعه وكان مولى له يحادثه على شاطئ النهر ولا ينكر عليه فواعده أن يأتيه بخيل يحمله عليها فخرج يوما ومولاه ينتظره فعبر النهر سباحة وركب الخيل ولحق بطليطلة فاجتمع له خلق كثير فرجع بهم الى قتال عبد الرحمن الاموى فالتقيا على الوادى الاحمر بقسطلونة واشتد القتال ثم انهزم أبو الاسود وقتل من أصحابه أربعة آلاف سوى من تردى فى النهر واتبعه الاموى يقتل من لحق حتى جاوز قلعة الرباح ثم جمع وعاد الى قتال الاموى فى سنة تسع وستين فلما أحس بمقدمة الاموى انهزم أصحابه وهو معهم فأخذ عياله وقتل أكثر رجاله وبقى الى سنة سبعين فهلك بقرية من أعمال طليطلة وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمعا فغزاه الامير فجاء اليه بغير أمان فقتله

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها هلك شيلون ملك جليقية فولوا مكانه اذفونش فوثب عليه مورقاط فقتله فاختل أمرهم فدخل عليهم نائب عبد الرحمن بطليطلة فى عساكره فقتل وغنم وسبى ثم عاد سالما وفيها توفى أبو القاسم بن واسول مقدم الخوارج الصفرية بسجلماسة فجأة فى صلاة العشاء الآخرة وكانت امارته اثنى عشرة سنة وشهرا وولى بعده ابنه الياس وفيها سير المهدى سعيدا الحرشى فى أربعين ألفا الى طبرستان وفيها مات عمر الكلوذانى صاحب الزنادقة وولى مكانه محمد بن عيسى بن حمدويه فقتل من الزنادقة خلقا كثيرا وحج بالناس على بن المهدى الذى يقال له ابن ريطة وفيها توفى يحيى بن سلمة بن كهيل وعبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة ومندل بن على ومحمد بن عبد الله ابن علاثة بن علقمة القاضى والحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان قد استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ثم عزله وحبسه ببغداد واخذ ماله فلما ولى المهدى أخرجه ورد عليه ماله وكان جوادا الا أنه كان منحرفا عن أهل بيته مائلا الى المنصور وفيها توفى بشر بن الربيع وعبثر بن القاسم (عبثر بفتح العين المهملة وبالباء الموحدة والثاء المثلثة)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة ﴾

﴿ ذكر موت المهدى ﴾

الناس وذكروا ان سامة ابن لؤى ما أعقب وقد حكى عن على فيهم ما قد ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن على من ذلك ما ظهر عن على بن الجهم الشاعر السامى من التعصب والانحراف وقد أتينا على لمع من شعره واخباره فى الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلى عليه السلام انه كان يلعن اباه فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياى عليا فسرح عليهم على معقل ابن قيس الرياحى فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبى القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيبانى عاملا لعلى فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة الف وأعتقهم وأدى من المال مائتى الف وهرب الى معاوية فقال على قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذنا ما قدرنا على اخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشئ

في

فى هذه السنة مات المهدى أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بماسبذان وسبب خروجه اليها انه قد عزم على خلع ابنه موسى الهادى والبيعة للرشيد بولاية العهد وتقديمه على الهادى فبعث اليه وهو بجرجان فى المعنى فلم يفعل فبعث اليه فى القدوم عليه فضرب الرسول وامتنع من القدوم عليه فسار المهدى يريده فلما بلغ ماسبذان أكل طعاما ثم قال انى داخل الى البهو أنام فلا توقظونى حتى أكون أنا الذى أنتبه فدخل فنام ونام أصحابه فاستيقظوا ببكائه فاتوه مسرعين فقال وقف على الباب رجل فقال

كأنى بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربعه ومنازله

وصار عميد القوم من بعد بهجة * وملك الى قبر عليه جنادله

فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى عليه معولات حلائله

فبقى بعد ذلك عشرة أيام ومات وقد اختلف فى سبب موته فقيل انه كان يتصيد فطردت الكلاب ظبيا وتبعته فدخل باب خربة ودخلت الكلاب خلفه ثم تبعها فرس المهدى فدخلها فدق الباب ظهره فمات من ساعته وقيل بل بعثت جارية من جواريه الى ضرة لها بانا فيه سم فدعا به المهدى فأكل منه فخافت الجارية ان تقول انه مسموم فمات من ساعته وقيل بل عمدت حسنة جارية له الى كمثرى فاهدته الى جارية أخرى كان المهدى يحظاها وسمت منه كمثراة هى أحسن الكمثرى فاجتاز بالمهدى فدعا به وكان يحب الكمثرى فأخذ تلك الكمثراة المسمومة فأكلها فلما وصلت الى جوفه صاح جوفى جوفى فسمعت صوته فجاءت تلطم وجهها وتبكى وتقول أردت ان أنفرد بك فقتلتك فمات من يومه ورجعت حسنة وعلى قبتها المسوح فقال أبو العتاهية فى ذلك

رحن فى الوشى وأقبلـ * ـن عليهن المسوح

كل نطاح من الدنـ * ـيا له يوم نطوح

لست بالباقى ولو عـ * ـمرت ما عمر نوح

فعلى نفسك نح ان * كنت لابد تنوح

وكان موته فى المحرم لثمان بقين منه وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وقيل عشر سنين وتسعا وأربعين يوما وتوفى وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ودفن تحت جوزة كان يجلس تحتها وصلى عليه ابنه الرشيد وكان أبيض طويلا وقيل أسمر باحدى عينيه نكتة بياض

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

كان المهدى اذا جلس للمظالم قال ادخلوا على القضاة فلو لم يكن ردى للمظالم الا للحياء منهم وعتب المهدى على بعض القواد غير مرة وقال له فى آخر ذلك الى متى تذنب قال الى أبد نبقى ويبقيك الله فتعفو عنا فاستحيا منه ورضى عنه وقال مسور بن مساور ظلمنى وكيل المهدى وغصبنى ضيعة لى فكتبت الى المهدى أتظلم فوصلت الرقعة وعنده عمه العباس ومحمد بن علاثة وعافية القاضى فاستدنانى المهدى وسألنى عن حالى فذكرته فقال أترضى باحد هذين قلت نعم فاستدنانى حتى التزقت بالفراش وحاكمنى فقال له القاضى أطلقها له يا أمير المؤمنين قال قد فعلت فقال عمه العباس والله لهذا المجلس أحب الى من عشرين ألف ألف درهم وخرج المهدى متنزها ومعه عمر بن ربيع مولاه فانقطعا فى الصيد من العسكر وأصاب المهدى جوع فقال هل من شئ فقيل له نرى كوخا فقصدوه فاذا فيه نبطى وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالوا هل من طعام فقال عندى ربيثاء وهو نوع من الصحناة وعندى خبز شعير فقال المهدى ان كان عندك

وانفذ العتق وفى ذلك يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات

تركت نساء الحى بكر بن وائل
واعتقت سبيا من لؤى بن غالب

وفارقت خير الناس بعد محمد
لمال قليل لامحالة ذاهب

وفى ذلك يقول الآخر

ومصقلة الذى قد باع بيعا *
ربيحا يوم ناجية ابن سام

ولمصقلة أفعال أتاها وحيل عملها قد ذكرناها وما قال فى ذلك من الشعر فى الكتاب الاوسط وقال على بن محمد بن جعفر العلوى فيمن انتمى الى سامة بن لؤى بن غالب بن

محمد
أسامة منا فاما بنوه *
فامرهم عندنا مظلم

أناس أتونا بانسابهم *
خرافة مضطجع يحلم

وقلنا لهم مثل قول الوصى *
وكل أقاويله محكم

اذا ما سئلت فلم تدر ما *
تقول فقل ربنا أعلم

وفى سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرا ابن العاص الى مصر فى أربعة آلاف ومعه معاوية بن خديج وأبو الاعور السلمى واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد بن أبى

زبت فقد أكلت قال نعم وكراث فاتاهما بذلك فأكلا حتى شبعا فقال المهدى لعمر بن ربيع قل فى هذا شعرا فقال

انّ من يطعم الربيثاء بالزيـ * ـت وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة أو بثنتيـ * ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدى بئس ما قلت انما هو

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ * ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

قال ووافاهم العسكر والخزائن والخدم فامر للنبطى بثلاث بدر وانصرف وقال الحسن الوصيف أصابتنا ريح شديدة ايام المهدى حتى ظننا انها تسوقنا الى المحشر فخرجت أطلب المهدى فوجدته واضعا خده على الارض وهو يقول اللهم احفظ محمدا فى أمته اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الامم اللهم ان كنت أخذت هذا العالم بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك قال فما لبثنا الا يسيرا حتى انكشفت الريح وزال عنا ما كنا فيه ولما حضرت القاسم بن مجاشع التميمى المروزى الوفاة أوصى الى المهدى فكتب شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم الآية ثم كتب والقاسم يشهد بذلك ويشهد ان محمدا عبده ورسوله وان على بن أبى طالب وصى رسول الله ووارث الامامة من بعده فعرضت الوصية على المهدى بعد موته فلما بلغ الى هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها وقال الربيع رأيت المهدى يصلى فى بهو له فى ليلة مقمرة فما أدرى أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه فقرأ فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال فاتم صلاته ثم التفت وقال يا ربيع قلت لبيك قال موسى فقلت فى نفسى من موسى ابنه أم موسى بن جعفر وكان محبوسا عندى فجعلت أفكر فقلت ما هو الا موسى بن جعفر فاحضرته فقطع صلاته ثم قال يا موسى انى قرأت هذه الآية فخفت ان أكون قد قطعت رحمك فوثق لى انك لا تخرج قال نعم فوثق له فخلاه وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رأيت فيما يرى النائم فى آخر سلطان بنى أمية كأنى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسى فنظرت فى الكتاب الذى فى المسجد بالفسيفساء فاذا فيه مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك واذا قائل يقول يمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بنى هاشم يقال له محمد قلت فانا من بنى هاشم واسمى محمد فابن من قال ابن عبد الله قال قلت وأنا ابن عبد الله فابن من قال ابن محمد قلت فانا ابن محمد فابن من قال ابن على قلت فانا ابن على فابن من قال ابن عبد الله قلت فانا ابن عبد الله فابن من قال ابن عباس فلو لم يبلغ العباس ما شككت انى صاحب الامر قال فتحدثت بها ذلك الزمان ونحن لا نعرف المهدى حتى ولى المهدى فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فرأى اسم الوليد فقال أرى اسم الوليد الى اليوم فدعا بكرسى فالقى فى صحن المسجد وقال ما أنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمى مكانه ففعل ذلك وهو جالس وخرج المهدى يطوف بالبيت ليلا فسمع اعرابية تقول

قومى مقترون نبت عنهم العيون فدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم وكثرت عيالهم أبناء سبيل وأنضاء طريق وصية الله ووصية الرسول فهل من آمر لى بخير كلأه الله فى سفره وخلفه فى أهله قال فامر لها بخمسمائة درهم وقال المهدى ما توسل أحد الى بوسيلة هى أقرب من تذكيرى يدا سلفت منى اليه أتبعها أختها وأحسن ربها فان منع الاواخر يقطع شكر الاوائل وكان بشار بن برد قد هجا صالح بن داود أخا يعقوب حين ولى فقال

هم حملوا فوق المنابر صالحا * أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ

بكر وكان عامل على عليها بالموضع المعروف بالمنشأة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فاحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه من أصحابه فقاتلهم حتى قتل فاخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه فى جلد حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع فى مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شئ من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا كان بى برا وكان ابن أخى فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى على الاشتر مصر وانفذه اليها فى جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال اترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم فى طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان أى الطعام والشراب أحب اليه قيل

فبلغ يعقوب هجاؤه فدخل على المهدى فقال له ان هذا الاعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين قال وما قال قال يعفينى أمير المؤمنين من انشاده فأبى أن يعفيه فانشده

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

فوجه فى حمله فخاف يعقوب أن يقدم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه فوجه اليه من يلقيه فى البطيحة فى الحارة وماتت الياقوتة بنت المهدى وكان معجبا بها لا يطيق الصبر عنها حتى انه كان يلبسها لبسة الغلمان ويركبها معه فلما ماتت وجد عليها وأمر أن لا يحجب عنه أحد فدخل الناس يعزونه وأجمعوا على أنهم لم يسمعوا تعزية أبلغ ولا أوجز من تعزية شبيب بن شيبة فانه قال يا أمير المؤمنين ما عند الله مما عندك خير لها منك وثواب الله خير لك منها وأنا أسأل الله أن لا يحزنك ولا يفتنك وأن يعطيك على ما رزئت أجرا ويعقبك صبرا ولا يجهدك بلاء ولا ينزع منك نعمة وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل الى رده

﴿ ذكر خلافة الهادى ﴾

وبويع لابنه موسى الهادى فى اليوم الذى مات فيه المهدى وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان ولما توفى المهدى كان الرشيد معه بماسبذان فاتاه الموالى والقواد وقالوا له ان علم الجند بوفاة المهدى لم يؤمن الشغب والرأى ان تنادى فيهم بالرجوع حتى تواريه ببغداد فقال هرون ادعوا الى أبى يحيى بن خالد وكان يحيى يتولى ما كان الى الرشيد من أعمال المغرب من الانبار الى افريقية فاستدعى يحيى الى الرشيد فقال ما تقول فيما رأى هؤلاء وأخبره الخبر قال لا أرى ذلك لان هذا لا يخفى ولا آمن اذا علم الجند أن يتعلقوا بمحمله ويقولوا لا نخلى حتى يعطى لثلاث سنين وأكثر أو يتحكموا ويشتطوا ولكنى أرى أن يوارى رحمه الله ههنا وتوجه نصيرا الى أمير المؤمنين الهادى بالخاتم والقضيب والتعزية والتهنئة فان الناس لا ينكرون خروجه اذ هو على بريد الناحية وأن تأمر لمن تبعك من الجند بجوائز مائتين مائتين وتنادى فيهم بالرجوع فلا تكون لهم همة سوى اهلهم ففعل ذلك فلما قبض الجند الدراهم تنادوا ببغداد واسرعوا اليها فلما بلغوها وعلموا خبر المهدى اتوا باب الربيع واحرقوه واخرجوا من كان فى الحبوس وطالبوا بالارزاق فلما قدم الرشيد بغداد ارسلت الخيزران الى الربيع والى يحيى بن خالد تستدعيهما لتشاورهما فى ذلك فاما الربيع فدخل عليها واما يحيى فامتنع لما يعلم من غيرة الهادى وجمع الاموال حتى اعطى الجند لسنتين فسكتوا وكتب الهادى الى الربيع كتابا يتهدده بالقتل وكتب الى يحيى يشكره ويأمره بان يقوم بامر الرشيد وكان الربيع يود يحيى ويثق به فاستشاره فيما يفعل خوفا من الهادى فاشار عليه بان يرسل ولده الفضل الى طريق الهادى بالهدايا والتحف ويعتذر اليه ففعل ورضى الهادى عنه وكان الربيع قد أوصى الى يحيى بن خالد وأخذت البيعة للهادى ببغداد وكتب الرشيد الى الآفاق بوفاة المهدى وأخذ البيعة للهادى وسار نصير الوصيف الى الهادى بجرجان فعلم بوفاة المهدى والبيعة له فنادى بالرحيل وركب على البريد مجدا فبلغ بغداد فى عشرين يوما ولما قدمها استوزر الربيع وفى هذه السنة أيضا هلك الربيع وفيها اشتد طلب المهدى للزنادقة فقتل منهم جماعة منهم على بن يقطين وقتل أيضا يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان سبب قتله انه أتى به الى المهدى فاقر بالزندقة فقال لو كان ما تقول حقا لكنت حقيقا ان لا تتعصب لمحمد ولولا محمد ما كنت أما

العسل فاهدى له عسلا وقال ان من أمره وشأنه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت فى جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض أصحابه عن على فى هذه السنة ثلاثة ارزاق على حسب ما كان يحمل اليه من المال من أعماله ثم ورد عليه مال من اصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رابع فوالله ما انا لكم بخازن وكان فى عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين على ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية فى بقية أعمال على يبعث سرايا تغير وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودى رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء فى الخوارج وغيرهم

والله لولا انى جعلت على نفسى ان لا أقتل هاشميا لقتلتك ثم قال للهادى أقسمت عليك ان وليت هذا الامر لتقتلنه ثم حبسه فلما مات المهدى قتله الهادى وكذلك أيضا كان عهد اليه بقتل ولد لداود بن على بن عبد الله بن عباس كان زنديقا فمات فى الحبس قبل الهادى ولما قتل يعقوب ادخل اولاده على الهادى فاقرت ابنته فاطمة انها حبلى من ابيها فخوفت فماتت من الفزع

﴿ذكر ظهور الحسين بن على بن الحسن﴾

وفى هذه السنة ظهر الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة وهو المقتول بفخ عند مكة وكان سبب ذلك ان الهادى استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلما وليها أخذ ابا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلى وعمر بن سلام مولى آل عمر على نبيذ لهم فأمر بهم فضربوا جميعا وجعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة فجاء الحسين بن على الى العمرى وقال له قد ضربتهم ولم يكن لك ان تضربهم لان أهل العراق لا يرون به بأسا فلم تطوف بهم فأمر بهم فردوا وحبسهم ثم ان الحسين بن على ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفلا الحسن بن محمد فاخرجه العمرى من الحبس وكان قد ضمن بعض آل أبى طالب بعضا وكانوا يعرضون فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين فاحضر الحسين ابن على ويحيى بن عبد الله وسألهما عنه وأغلظ لهما فحلف له يحيى أنه لا ينام حتى يأتيه به أو يدق عليه باب داره حتى يعلم انه جاءه به فلما خرجا قال له الحسين سبحان الله ما دعاك الى هذا ومن أين تجد حسنا حلفت له بشئ لا تقدر عليه فقال والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف فقال له الحسين ان هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد وكانوا قد تواعدوا على ان يظهروا بمنى وبمكة فى الموسم فقال يحيى قد كان ذلك فانطلقا وعملا فى ذلك من ليلتهم وخرجوا آخر الليل وجاء يحيى حتى ضرب على العمرى باب داره فلم يجده وجاؤا فاقتحموا المسجد وقت الصبح فلما صلى الحسين وقت الصبح أتاه الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد وجاء خالد البريدى فى مائتين من الجند وجاء العمرى ووزير بن اسحق الازرق ومحمد بن واقد الشروى ومعهم ناس كثير فدنا خالد منهم فقام اليه يحيى وادريس ابنا عبد الله بن الحسن فضربه يحيى على انفه فقطعه ودار له ادريس من خلفه فضربه فصرعه ثم قتلاه فانهزم أصحابه ودخل العمرى فى المسودة فحمل عليهم أصحاب الحسين فهزموهم من المسجد وانتهبوا بيت المال وكان فيه بضعة عشر الف دينار وقيل سبعون ألفا وتفرق الناس وأغلق أهل المدينة أبوابهم فلما كان الغد اجتمع عليهم شيعة بنى العباس فقاتلوهم وفشت الجراحات فى الفريقين واقتتلوا الى الظهر ثم افترقوا ثم ان مباركا التركى أتى شيعة بنى العباس من الغد وكان قدم حاجا فقاتل معهم فاقتتلوا أشد قتال الى منتصف النهار ثم تفرقوا ورجع أصحاب الحسين الى المسجد وواعد مبارك الناس فى الرواح الى القتال فلما غفلوا عنه ركب رواحله وانطلق وراح الناس فلم يجدوه فقاتلوا شيأ من قتال الى المغرب ثم تفرقوا وقيل ان مباركا أرسل الى الحسين يقول له والله لان أسقط من السماء فتخطفنى الطير أيسر على من أن تشوكك شوكة أو أقطع من رأسك شعرة ولكن لا بد من الاعذار فبيتنى فانى منهزم عنك فوجه اليه الحسين وخرج اليه فى نفر فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا فانهزم هو وأصحابه وأقام الحسين وأصحابه أياما يتجهزون فكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوما ثم خرجوا الست بقين من ذى القعدة فلما خرجوا عاد الناس الى المسجد فوجدوا فيه العظام التى كانوا يأكلون وآثارهم فدعوا عليهم ولما فارق المدينة قال يا أهل المدينة لا أخلف الله عليكم

من فعل على يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا اجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة على فى تباين حكم على فى هذين اليومين لاختلاف حكميهما وهو أن اصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسنى لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب ما ليس له قائلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكماهما لما ذكرنا

بخير فقالوا بل انت لا أخلف الله عليك ولا ردك علينا وكان أصحابه يحدثون فى المسجد فغسله اهل المدينة ولما أتى الحسين مكة أمر فنودى ايما عبد أتانا فهو حر فأتاه العبيد فانتهى الخبر الى الهادى وكان قد حج تلك السنة رجال من اهل بيته منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن على والعباس بن محمد بن على وموسى واسمعيل ابنا عيسى بن موسى فكتب الهادى الى محمد بن سليمان بتوليته على الحرب وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق فاجتمعوا بذى طوى وكانوا قد أحرموا بعمرة فلما قدموا مكة طافوا وسعوا وحلوا من العمرة وعسكروا بذى طوى وانضم اليه من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم ثم انهم اقتتلوا يوم التروية فانهزم أصحاب الحسين وقتل منهم وجرح وانصرف محمد بن سليمان ومن معه الى مكة ولا يعلمون ما حال الحسين فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول البشرى البشرى هذا رأس الحسين فاخرجه وبجبهته ضربة طولى وعلى قفاه ضربة أخرى وكانوا قد نادوا بالامان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فاخذه موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس بن محمد فقتلاه فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا وأخذ رؤس القتلى فكانت مائة رأس ونيفا وفيها رأس الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على وأخذت أخت الحسين فتركت عند زينب بنت سليمان واختلط المنهزمون بالحاج وأتى الهادى بستة أسرى فقتل بعضهم واستبقى بعضهم وغضب على موسى بن عيسى فى قتل الحسن بن محمد وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات وغضب على مبارك التركى وأخذ ماله وجعله سائس الدواب فبقى كذلك حتى مات الهادى وافلت من المنهزمين ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على فاتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور وكان شيعيا لعلى فحمله على البريد الى أرض المغرب فوقع بارض طنجة بمدينة وايلة فاستجاب له من بها من البربر فضرب الهادى عنق واضح وصلبه وقيل ان الرشيد هو الذى قتله وان الرشيد دس الى ادريس الشماخ اليمامى مولى المهدى فاتاه وأظهر انه من شيعتهم وعظمه وآثره على نفسه فمال اليه ادريس وأنزله عنده ثم ان ادريس شكا اليه مرضا فى اسنانه فوصف له دواء وجعل فيه سما وأمره ان يستن به عند طلوع الفجر فاخذه منه وهرب الشماخ ثم استعمل ادريس الدواء فمات منه فولى الرشيد الشماخ بريد مصر ولما مات ادريس بن عبد الله خلف مكانه ابنه ادريس بن ادريس واعقب بها وملكوها ونازعوا بنى أمية فى امارة الاندلس على ما نذكره ان شاء الله تعالى وحملت الرؤس الى الهادى فلما وضع رأس الحسين بين يدى الهادى قال كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ان اقل ما اجزيكم أن أحرمكم جوائزكم فلم يعطهم شيأ وكان الحسين شجاعا كريما قدم على المهدى فاعطاه اربعين ألف دينار ففرقها فى الناس ببغداد والكوفة وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه الا فروا ليس تحته قميص

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وغزا الصائفة هذه السنة معيوف بن يحيى من درب الراهب وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحدث فهرب الوالى واهل السوق فدخلها الروم فقصدهم معيوف فبلغ مدينة أشنة فغنم وسبى وحج بالناس هذه السنة سليمان بن منصور وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمرى وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم وعلى اليمن ابراهيم بن سلم بن قتيبة وعلى اليمامة والبحرين سويد بن ابى سويد القائد الخراسانى وعلى عمان الحسن بن نسيم الحوارى وعلى

ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد أتينا على استيعابه وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

﴿ذكر مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه﴾

وفى سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثة منهم على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى يتوجه اليه حتى يقتله او يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عدادهم فى مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمى ولقبه البرك وزادويه مولى بنى العنبر فقال ابن ملجم أنا اقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية وقال زادويه أنا أقتل عمرو بن العاص واتعدوا ان يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادى الى على فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان

الكوفة موسى بن عيسى وعلى البصرة محمد بن سليمان وعلى جرجان الحجاج مولى الهادى وعلى قومس زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن شيخ بن عميرة الاسدى وعلى اصبهان طيفور مولى الهادى وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد فاساء السيرة فى أهلها فعزله الهادى وولاها عبد الملك بن صالح الهاشمى وفيها خرج بالجزيرة حمزة بن مالك الخزاعى وعلى خراجها منصور بن زياد فسير جيشا الى الخارجى فالتقوا بباعربايا من بلد الموصل فهزمهم الخارجى وغنم أموالهم وقوى أمره فأتى رجلان وصحباه ثم اغتالاه فقتلاه وفيها مات مطيع بن اياس الليثى الكنانى الشاعر وابو عبيد الله معاوية بن عبد الله بن بشار الاشعرى مولاهم وكان وزير المهدى وقيل مات سنة سبعين ومائة وفيها توفى نافع بن عبد الرحمن بن ابى نعيم المقرى صاحب القراءة أحد القراء السبعة والربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه

﴿ثم دخلت سنة سبعين ومائة﴾

﴿ذكر ماجرى للهادى فى خلع الرشيد﴾

كان الهادى قد جد فى خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر وكان سبب ذلك ان الهادى لما عزم على خلعه ذكره لقواده فأجابه اليه يزيد بن مزيد الشيبانى وعبد الله بن مالك وعلى بن عيسى وغيرهم فخلعوا هرون وبايعوا لجعفر ووضعوا الشيعة فتكلموا فى ذلك وتنقصوا الرشيد فى مجلس الجماعة وقالوا لا نرضى به وصعب أمرهم وأمر الهادى ان لا يسار بين يدى هرون بالحربة فاجتنبه الناس وتركوا السلام عليه وكان يحيى بن خالد بن برمك يتولى أمور الرشيد بأمر الهادى فقيل للهادى ليس عليك من أخيك خلاف انما يحيى يفسده فبعث اليه وتهدده ورماه بالكفر ثم انه استدعاه ليلة فخاف وأوصى وتحنط وحضر عنده فقال له يا يحيى مالى ولك قال ما يكون من العبد الى مولاه الا طاعته فقال لم تدخل بينى وبين أخى وتفسده على فقال من أنا حتى أدخل بينكما انما صيرنى المهدى معه ثم أمرتنى أنت بالقيام بأمره فانتهيت الى أمرك فسكن غضبه وقد كان هرون طاب نفسا بالخلع فمنعه يحيى عنه فلما أحضره الهادى وقال له فى ذلك قال يحيى يا أمير المؤمنين انك ان حملت الناس على نكث الايمان هانت عليهم أيمانهم وان تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد للبيعة قال صدقت وسكت عنه فعاد أولئك الذين بايعوه من القواد والشيعة فحملوه على معاودة الرشيد بالخلع فاحضر يحيى وحبسه فكتب اليه ان عندى نصيحة فاحضره فقال له يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان الامر الذى لا تبلغه ونسأل الله ان يقدمنا قبله يعنى موت الهادى اتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو لم يبلغ الحنث أو يرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما أظن ذلك قال يا أمير المؤمنين أفتأمن ان يسمو اليها أكابر اهلك مثل فلان ويطمع فيها غيرهم فتخرج من ولد أبيك والله لو ان هذا الامر لم يعقده المهدى لاخيك لقد كان ينبغى ان تعقده انت له فكيف بان تحله عنه وقد عقده المهدى ولكنى أرى ان تقر الامر على أخيك فاذا بلغ جعفر أتيت بالرشيد فخلع نفسه له وبايعه فقبل قوله وقال نبهتنى على أمر لم أنتبه له وأطلقه ثم ان أولئك القواد عاودوا القول فيه فأرسل الهادى الى الرشيد فى ذلك وضيق عليه فقال له يحيى استأذنه فى الصيد فاذا خرجت فأبعد ودافع الايام ففعل ذلك وأذن له فمضى الى قصر بنى مقاتل فقام أربعين يوما فانكر الهادى امره وخافه فكتب اليه بالعود فتعلل عليه فاظهر الهادى شتمه وبسط مواليه وقواده فيه ألسنتهم فلما طال الامر عاد الرشيد وقد كان

على قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت أجمل أهل زمانها فخطبها فقالت لا أتزوج حتى تسمى لى قال لا تسألينى شيأ الا أعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال ما سألت هولك مهر الا قتل على فلا أراك تدركينه قالت فالتمس غرة فان أصبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بى الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه الا ذلك وقد أعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من على وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة فقال وماذاك قال تساعدنى على قتل على قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ ادّا قد عرفت غناءه فى الاسلام وسابقته مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال فى كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله

الهادى فى أول خلافته جالس وعنده نفر من قواده وعنده الرشيد وهو ينظر اليه ثم قال له ياهرون كأنى بك وأنت تحدث نفسك بتمام الرؤيا ودون ذلك خرط القتاد فقال له هرون ياموسى انك ان تجبرت وضعت وان تواضعت رفعت وان ظلمت قتلت وان أنصفت سلمت وانى لارجو ان يفضى الامر الى فانصف من ظلمت وأصل من قطعت واجعل أولادك أعلى من أولادى وأزوجهم بناتى وأبلغ ما تحب من حق الامام المهدى فقال له الهادى ذلك الظن بك يا أبا جعفر ادن منى فدنا منه فقبل يده ثم أراد العود الى مكانه فقال لا والشيخ الجليل والملك النبيل أعنى المنصور لا جلست الا معى فاجلسه فى صدر مجلسه ثم أمر ان يحمل اليه ألف ألف دينار وان يحمل اليه نصف الخراج وقال لابراهيم الحرانى اعرض عليه ما فى الخزائن من مالنا وما أخذ من أهل بيت اللعنة يعنى بنى أمية فليأخذ منه ما أراد ففعل ذلك فقام عنه وسئل الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت فى منامى كأنى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فاورق من قضيب موسى أعلاه وأورق قضيب هرون من أوله الى آخره فعبرت لهما أنهما يملكان معا فاما موسى فتقل أيامه وأما هرون فيبلغ آخر ما عاش خليفة وتكون أيامه أحسن أيام ودهره أحسن دهر فكان كذلك وذكر ان الهادى خرج الى حديثة الموصل فمرض بها واشتد مرضه فانصرف وكتب الى جميع عماله شرقا وغربا بالقدوم عليه فلما ثقل أجمع القواد الذين كانوا بايعوا جعفرا وتآمروا فى قتل يحيى بن خالد وقالوا ان صار الامر اليه قتلنا وعزموا على ذلك ثم قالوا لعل الهادى يفيق فما عذرنا عنده فامسكوا ولما اشتد مرض الهادى أرسلت الخيزران الى يحيى تامره بالاستعداد فاحضر يحيى كتابا فكتبوا الكتب من الرشيد الى العمال بوفاة الهادى وأنه قد ولاهم ما كان ويكون فلما مات الهادى سيرت الكتب وقيل ان يحيى كان محبوسا وكان الهادى قد عزم على قتله تلك الليلة وان هرثمة بن أعين هو الذى أقعد الرشيد على ما سنذكره ولما مات الهادى قالت الخيزران قد كنا نتحدث انه يموت فى هذه الليلة خليفة ويملك خليفة ويولد خليفة فمات الهادى وولى الرشيد وولد المأمون وكانت الخيزران قد أخذت العلم عن الاوزاعى وكان موت الهادى بعيساباذ

﴿ذكر وفاة الهادى﴾

وفى هذه السنة توفى الهادى موسى بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس فى شهر ربيع الاول واختلف فى سبب وفاته فقيل كان سببها قرحة كانت فى جوفه وقيل مرض بحديثة الموصل وعاد مريضا فتوفى على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقيل ان وفاته كانت من قبل جوار لامه الخيزران كانت أمرتهن بقتله وكان سبب أمرها بذلك أنه لما ولى الخلافة كانت تستبد بالامور دونه وتسلك به مسلك المهدى حتى مضى أربعة أشهر فانثال الناس الى بابها وكانت المواكب تغدو وتروح الى بابها فكلمته يوما فى أمر لم يجد الى اجابتها اليه سبيلا فقالت لابد من اجابتى اليه فاننى قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادى وقال ويلى على ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها والله لا قضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال لا أبالى والله فغضبت وقامت مغضبة فقال مكانك والله والا انا نفى من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى انه وقف ببابك أحد من قوادى وخاصتى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله ما هذه المواكب التى تغدو وتروح الى بابك أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك واياك لا تفتحى بابك لمسلم ولا ذمى فانصرفت وهى لا تعقل فلم تنطق عنده بعدها ثم انه قال لاصحابه ايما خير انا أم أنتم وأمى أم أمهاتكم قالوا بل أنت وأمك خير قال فايكم يحب أن يتحدث

بعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهى فى المسجد الاعظم وقد ضربت كلة بها وهى معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فأعلمتهما ان مجاشع ابن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التى يخرج منها على للمسجد وكان على يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو فى المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدى فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج على رضى الله عنه ينادى أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف فى قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال على لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

الرجال بخبر أمه فيقال فعلت أم فلان وصنعت قالوا الانحب ذلك قال فما بالكم تأتون أمي فتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ثم بعث بأرز وقال قد استطبتها فكلي منها فقيل لها أمسكي حتى تنظري فجاؤا بكلب فأطعموه فسقط لحمه لوقته فارسل اليها كيف رأيت الارز قالت طيبا قال ما أكلت منها ولو أكلت منها لاسترحت منك متى افلح خليفة له أم وقيل كان سبب أمرها بذلك ان الهادي لما جد في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جواريها عليه لما مرض فقتلته بالغم والجلوس على وجهه فمات فارسلت الى يحيى بن خالد تعلمه بموته

﴿ذكر وفاته ومبلغ سنه وصفته وأولاده﴾

كانت وفاته ليلة الجمعة للنصف من ربيع الاول وقيل لاربع عشرة خلت من ربيع الاول وقيل لست عشرة منه قيل وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وقيل كانت أربعة عشر شهرا وكان عمره ستا وعشرين سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة وصلى عليه الرشيد وكانت كنيته أبا محمد وأمه الخيزران أم ولد ودفن بعيساباذ الكبرى في بستانه وكان طويلا جسيما أبيض مشربا بحمرة وكان بشفته العليا نقص وتقلص وكان المهدي قد وكل به خادما يقول له موسى أطبق فيضم شفته فلقب موسى أطبق وكان له من الاولاد تسعة سبعة ذكور وابنتان فمن الذكور جعفر وهو الذي كان يريد البيعة له والعباس وعبد الله واسحق واسمعيل وسليمان وموسى بن موسى الاعمى كلهم لامهات أولاد والابنتان أم عيسى كانت عند المأمون وأم العباس وكانت تلقب نونة

﴿ذكر بعض سيرته﴾

تأخر الهادي عن المظالم ثلاثة أيام فقال له الحراني يا أمير المؤمنين ان العامة لاتحتمل هذا فقال لعلي بن صالح ائذن للناس على الجفلى لا النقرى فخرج من عنده ولم يفهم قوله ولم يجسر على مراجعته فاحضر اعرابيا فسأله عن ذلك فقال الجفلى ان تاذن لعامة الناس فاذن لهم فدخل الناس عن آخرهم ونظر في أمورهم الى الليل فلما تقوض المجلس قال له علي بن صالح ما جرى له وسأله مجازاة الاعرابي فأمر له بمائة ألف درهم فقال علي يا أمير المؤمنين انه اعرابي ويغنيه عشرة آلاف فقال يا علي أجود أنا وتبخل أنت وقيل خرج يوما الى عيادة أمه الخيزران وكانت مريضة فقال له عمر بن ربيع يا أمير المؤمنين لا أدلك على ما هو انفع لك من هذا تنظر في المظالم فرجع الى دار المظالم واذن للناس وارسل الى امه يتعرف أخبارها وقيل كان عبد الله بن مالك يتولى شرطة المهدي قال فكان المهدي يأمرني بضرب ندماء الهادي ومغنيه وحبسهم صيانة له عنهم فكنت افعل وكان الهادي يرسل الي بالتخفيف عنهم ولا افعل فلما ولي الهادي أيقنت بالتلف فاستحضرني يوما فدخلت اليه متحنطا متكفنا وهو على كرسي والسيف والنطع بين يديه فسلمت فقال لا سلم الله عليك أتذكر يوم بعثت اليك في أمر الحراني وضربه فلم تجبني وفي فلان وفلان فعددت ندماءه فلم تلتفت الى قولي فقلت نعم أفتاذن في ذكر الحجة قال نعم قلت نشدتك الله ايسرك انك وليتني ما ولاني المهدي وامرتني بما أمر فبعث الي بعض بنيك بما يخالف امرك فاتبعت امره وخالفت امرك قال لا قلت فكذلك انا لك وكذا كنت لابيك فاستدناني فقبلت يده ثم أمر لي بالخلع وقال وليتك ما كنت تتولاه فامض راشدا فصرت الى منزلي مفكرا في امري وامره وقلت حدث يشرب والقوم الذين عصيته في امرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكاني بهم حين يغلب عليه الشراب قد ازالوه عن رأيه قال فاني لجالس وبنية لي والكانون بين يدي ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه واطعم الصبية وآكل واذا بوقع الحوافر فظننت ان الدنيا قد زلزلت

وجهه فصرعه وأقبل به الى الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبد الله بن بجرة وهو أحد بني أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبد الله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من في الدار فقال علي ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس ان عليا رضي الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه في آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها قولا الحق وارحما

لوقعها ولكثرة الضوضاء فقلت هذا ما كنت اخافه واذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا واذا الهادي في وسطهم على دابته فلما رأيته وثبت فقبلت يده ورجله وحافر دابته فقال لي يا عبد الله اني فكرت في امرك فقلت يسبق الى وهمك انني اذا شربت وحولي اعداؤك ازالوا حسن رأيي فيك فيقلقك ذلك فصرت الى منزلك لاونسك واعلمك ان ما كان عندي لك من الحقد قد زال فهات واطعمني مما كنت تأكل لتعلم اني قد تحرمت بطعامك فيزول خوفك فادنيت اليه من ذلك الرقاق والكامخ فأكل ثم قال هاتوا الزلة التي ازللتها لعبد الله من مجالسي فأدخلت الى اربعمائة بغل موقرة دراهم وغيرها فقال هذه لك فاستعن بها على امرك واحفظ هذه البغال عندك لعلي احتاج اليها لبعض اسفاري ثم انصرف قيل وكان يعقوب بن داود يقول ما العربي ولا العجمي عندي مالعلي بن عيسى بن ماهان فانه دخل الى الحبس وقال لي امرني أمير المؤمنين الهادي ان اضربك مائة سوط فاقبل يضع السوط على يدي ومنكبي يمسني به مسا الى ان عد مائة سوط ثم خرج فقال له الهادي ما صنعت به قال صنعت الذي امرتني به وقد مات الرجل فقال الهادي انا لله وانا اليه راجعون فضحتني والله عند الناس يقولون قتل يعقوب بن داود فلما رأى شدة جزعه قال هو والله حي يا أمير المؤمنين قال الحمد لله على ذلك وقيل كان ابراهيم بن مسلم بن قتيبة من الهادي بمنزلة عظيمة فمات له ولد فاتاه الهادي يعزيه فقال له يا ابراهيم سرك وهو عدو وفتنة وحزنك وهو صلاة ورحمة فقال يا أمير المؤمنين ما بقي مني جزء فيه حزن الا وقد امتلأ عزاء فلما مات ابراهيم صارت منزلته لسعيد بن مسلم قيل كان علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي يلقب الجزري قد تزوج رقية بنت عمرو العثمانية وكانت قبله تحت المهدي فبلغ ذلك الهادي فارسل اليه فحمل اليه فقال له اعياك النساء الا امرأة أمير المؤمنين فقال ما حرم الله على خلقه الا نساء جدي صلى الله عليه وسلم فاما غيرهن فلا فشجه بمخصرة كانت في يده وجلده خمسمائة سوط واراده ان يطلقها فلم يفعل وكان قد غشي عليه من الضرب وكان في يده خاتم نفيس فاهوى بعض الخدم الى الخاتم ليأخذه فقبض على يده فدقها فصاح واتى الهادي فاراه يده فغضب وقال تفعل هذا بخادمي مع استخفافك بابي وقولك لي ما قلت فقال سله واستحلفه ان يصدقك ففعل فاخبره الخادم وصدقه فقال احسن والله اشهد انه ابن عمي ولو لم يفعل ذلك لانتفيت منه وامر باطلاقه قيل وكان المهدي قد قال للهادي يوما وقد قدم اليه زنديق فقتله وامر بصلبه يا بني اذا صار الامر اليك فتجرد لهذه العصابة يعني اصحاب ماني فانها تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها من هذا الى تحريم اللحوم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا ثم تخرجها الى عبادة اثنين احدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الاخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الاطفال من الطرق لينقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور فارفع فيها الخشب وجرد السيف فيها وتقرب بامرها الى الله فاني رأيت جدي العباس رضي الله عنه في المنام قلدني سيفين لقتل اصحاب الاثنين فلما ولي الهادي قال لاقتلن هذه الفرقة وامر أن يهيأ له ألف جذع فمات بعد هذا القول بشهرين قيل وكان عيسى بن داب من اكثر أهل الحجاز ادبا واعذبهم ألفاظا وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن لاحد قبله وكان يدعو له بمتكئ عليه في مجلسه وما كان يفعل ذلك بغيره وكان يقول له ما استطلت بك يوما ولا ليلا ولا غبت عن عيني الا تمنيت ان لا أرى غيرك وامر له بثلاثين ألف دينار في دفعة واحدة فلما اصبح ابن داب ارسل قهرمانه الى الحاجب في قبضها فقال الحاجب هذا ليس الي فانطلق الى صاحب التوقيع

اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تاخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه سيفكما وابن أبيكما فاكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم ألا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن اتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتني فيهم ما شئت ان تبقيني ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت افسدتهم وان شئت اصلحتهم ثم قال اما والله انها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقي على الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في اخبار تنازع الناس في موضع قبره وما قيل في ذلك وقبض وقد اتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان

والى الديوان فعاد الى ابن داب فاخبره فقال اتركها فبينما الهادى فى مستشرف له ببغداد رأى ابن داب وليس معه الاغلام واحد فقال للحرانى ألا ترى ابن داب ماغير حاله وقد وصلناه ليرى أثرنا عليه فقال ان امرتنى عرضت له بالحال فقال لا هو اعلم بحاله ودخل ابن داب واخذ فى حديثه فعرض له الهادى بشئ وقال أرى ثوبك غسيلا وهذا شتاء يحتاج فيه الى الجديد فقال باعى قصير فقال وكيف وقد صرفنا اليك مافيه صلاح شأنك فقال ماوصل الى فدعا صاحب بيت مال الخاصة فقال عجل الساعة ثلاثين ألف دينار فأحضرت وحملت بين يديه

(ذكر خلافة الرشيد بن المهدى)

وفى هذه السنة بويع الرشيد هرون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بالخلافة فى الليلة التى مات فيها الهادى وكان عمره حين ولى اثنين وعشرين سنة وأمه الخيزران أم ولد يمانية جرشية وكان مولده بالرى فى آخر ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وقيل ولد مستهل محرم سنة تسع واربعين وكان مولد الفضل بن يحيى البرمكى قبله بسبعة أيام وارضعت ام ابن يحيى الرشيد وارضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد ولما مات الهادى كان يحيى بن خالد البرمكى محبوسا فى قول بعضهم وكان الهادى عازما على قتله فجاء هرثمة بن اعين الى الرشيد فاخرجه واجلسه للخلافة فارسل الرشيد الى يحيى فاخرجه من الحبس واستوزره وامر بانشاء الكتب الى الاطراف بجلوسه للخلافة وموت الهادى وقيل لما مات الهادى جاء يحيى بن خالد الى الرشيد وهو نائم فى فراشه فقال له قم يا أمير المؤمنين فقال كم تروعنى اعجابا منك بخلافتى فكيف يكون حالى مع الهادى ان بلغه هذا فاعلمه بموته واعطاه خاتمه فبينما هو يكلمه اذ اتاه رسول آخر يبشره بمولود فسماه عبد الله وهو المأمون ولبس ثيابه وخرج فصلى على الهادى بعيساباذ وقتل اباعصمة وسار الى بغداد وكان سبب قتل أبى عصمة ان الرشيد كان سائرا هو وجعفر بن الهادى فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ فقال له أبو عصمة مكانك حتى يجوز ولى العهد فقال الرشيد السمع والطاعة للامير ووقف حتى جاز جعفر فكان هذا سبب قتله ولما وصل الرشيد الى بغداد وبلغ الجسر دعا الغواصين وقال كان المهدى قد وهب لى خاتما شراؤه مائة الف دينار يسمى الجبل فاتانى رسول الهادى يطلب الخاتم وانا ههنا فالقيته فى الماء فغاصوا عليه واخرجوه فسر به ولما مات الهادى هجم خزيمة بن خازم تلك الليلة على جعفر بن الهادى فاخذه من فراشه وقال له لتخلعنها أو لاضربن عنقك فاجاب الى الخلع وركب من الغد خزيمة وأظهر جعفر للناس فاشهدهم بالخلع وأقال الناس من بيعتهم فحظى بها خزيمة

(ذكر عدة حوادث)

وفيها ولد الامين واسمه محمد فى شوال فكان المأمون أكبر منه وفيها استوزر الرشيد يحيى بن خالد وقال له قد قلدتك أمر الرعية فاحكم فيها بما ترى واعزل من رأيت واستعمل من رأيت ودفع اليه خاتمه فقال ابراهيم الموصلى فى ذلك

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وكان يحيى يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد وفيها توفى يزيد بن حاتم المهلبى والى افريقية واستخلف عليها ابنه داود وانتقضت جبال باجة وخرج فيها الاباضية فسير اليهم داود جيشا فظفر بهم الاباضية وهزموهم فجهز اليهم جيشا آخر فهزمت الاباضية فتبعهم الجيش فقتلوا منهم

وستون وقد قدمنا تنازع الناس فى مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذى صلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه اراد ان يشترى بها خادما لاهله وقال بعضهم ترك لاهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله ابن جعفر دعونى حتى أشفى نفسى منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذى خلق الانسان انك لتكحل عمك بملمول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه فى بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشى يمدحه فى ضربته من شعر له طويل
يا ضربة من تقى ما أراد بها

فاكثروا وبقى داود اميرا الى ان استعمل الرشيد عمه روح بن حاتم المهلبى اميرا على افريقية وكانت امارة داود تسعة أشهر وفيها عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العمرى عن المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام واستعمل عليها اسحق بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وفيها ظهر من كان مستخفيا منهم طباطبا العلوى وهو ابراهيم بن اسمعيل بن على بن الحسين بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وبقى نفر من الزنادقة لم يظهروا منهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحدا وسميت العواصم وامر بعمارة طرسوس على يدى فرج الخادم التركى ونزلها الناس وحج بالناس الرشيد وقسم بالحرمين عطاء كثيرا وقيل انه غزا الصائفة بنفسه وغزا الصائفة سليمان بن عبد الله البكائى وكان على مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى الكوفة موسى بن عيسى وعلى البصرة والبحرين واليمامة وعمان والاهواز وفارس محمد بن سليمان بن على وكان على خراسان الفضل بن سليمان الطوسى وعلى الموصل عبد الملك وفيها أوقع عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس ببرابر نفزة فاذلهم وقتل فيهم وفيها امر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة وكان موضعه كنيسة واخرج عليه مائة الف دينار

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة)

(ذكر وفاة عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس)

فيها مات عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك صاحب الاندلس فى ربيع الآخر وقيل سنة اثنتين وسبعين ومائة وهو اصح وكان مولده بارض دمشق وقيل بالعلياء من ناحية تدمر سنة ثلاث عشرة ومائة وكان موته بقرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان عهد الى ابنه هشام وكان هشام بمدينة ماردة واليا عليها وكان ابنه سليمان بن عبد الرحمن وهو الاكبر بطليطلة واليا عليها فلم يحضرا موت ابيهما وحضره عبد الله المعروف بالبلنسى واخذ البيعة لاخيه هشام وكتب اليه بنعى ابيه وبالامارة فسار الى قرطبة وكانت دولة عبد الرحمن ثلاثا وثلاثين سنة وأشهرا وكانت كنيته ابا المطرف وقيل اباسليمان وقيل ابا زيد وكان له من الولد احد عشر ذكرا وتسع بنات وكانت امه بربرية من سبى افريقية وكان اصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم اعور له ضفيرتان وكان فصيحا لسنا شاعرا حليما عالما حازما سريع النهضة فى طلب الخارجين عليه لايخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد فى الامور برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحذر سخيا جوادا يكثر لبس البياض وكان يقاس بالمنصور فى حزمه وشدته وضبط المملكة * وبنى الرصافة بقرطبة تشبيها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ولما سكنها رأى فيها نخلة منفردة فقال

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى * وطول التنائى عن بنى وعن اهلى
نشأت بارض انت فيها غريبة * فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى
سقتك غوادى المزن من صوبها الذى * يسح ويستمرى السماكين بالوبل

وقصده بنو أمية من المشرق فمن المشهورين عبد الملك بن عمر بن مروان وهو عميد بنى امية وهو الذى كان سبب قطع الدعوة العباسية بالاندلس على ما تقدم وكان معه احد عشر ولدا له

(ذكر امارة ابنه هشام)

كان عبد الرحمن قد عهد الى ابنه هشام ولم يكن اكبر ولده فان سليمان كان اكبر منه وانما كان

الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا
فأجابه القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى
انى لابرأ مما أنت قائله
عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقى ما أراد بها
الا ليهدم للاسلام أركانا
انى لاذكره يوما فالعنه
دنيا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا
لعائن الله اسرارا واعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به
نص الشريعة برهانا وتبيانا
وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو
عليكما لعنة الجبار ما طلعت
شمس وما أوقدوا فى الكون نيرانا
معارضة ابيتى اللعين بن حطان لعنه الله فى ابن ملجم أخزاه الله
قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت ويلك للاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم
وأول الناس اسلاما وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا

بتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الامر فلهذا عهد اليه ولما توفى أبوه كان هو بماردة متوليا لها وناظرا فى امرها وكان اخوه سليمان وهو اكبر منه بمدينة طليطلة وكان يروم الامر لنفسه ويحسد اخاه هشاما على تقديم والده له عليه وأضمر له الغش والعصيان وكان اخوه عبد الله المعروف بالبلنسى حاضرا بقرطبة عند والده فلما توفى جدد عبد الله البيعة لاخيه هشام بعد ان صلى على والده وكتب الى اخيه هشام يعرفه موت والده والبيعة له فسار من ساعته الى قرطبة فدخلها فى ستة ايام واستولى على الملك وخرج عبد الله الى داره مظهر الطاعته وفى نفسه غير هذا وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر الصحصح الخارجى﴾

وفيها خرج الصحصح الخارجى بالجزيره وكان عليها أبو هريرة فوجه عسكرا الى الصحصح فقوه فهزمهم وسار الصحصح الى الموصل فلقيه عسكرها بباجرمى فقتل منهم كثيرا ورجع الى الجزيرة فغلب على ديار ربيعة فسير الرشيد اليه جيشا فلقوه بدورين فقتلوه وعزل الرشيد أبا هريرة عن الجزيرة

﴿ذكر قتل روح بن صالح﴾

وفيها استعمل الرشيد على صدقات بنى تغلب روح بن صالح الهمدانى وهو من قواد الموصل فجرى بينه وبين تغلب خلاف فجمع جمعا وقصدهم فبلغهم الخبر فاجتمعوا وساروا الى روح فبيتوه فقتل هو وجماعة من اصحابه فسمع حاتم بن صالح وهو بالسكير فجمع جمعا كثيرا وسار الى تغلب فبيتهم وقتل منهم خلقا كثيرا واسر مثلهم وفيها عزل الرشيد عبد الملك بن صالح الهاشمى عن الموصل واستعمل عليها اسحق بن محمد

﴿ذكر استعمال روح بن حاتم على افريقية﴾

وفيها استعمل الرشيد على افريقية روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة لما بلغه وفاة اخيه يزيد بن حاتم بها على ما ذكرناه فقدمها فى رجب وكان داود بن يزيد اخيه على افريقية فلما وصل عمه روح سار داود الى الرشيد فاستعمله قال روح كنت عاملا على فلسطين فأحضرنى الرشيد فوصلت وقد بلغه موت أخى يزيد فقال أحسن الله عزاءك فى أخيك وقد وليتك مكانه لتحفظ صنائعه ومواليه فسار اليها ولم تزل البلاد معه آمنة ساكنة من فتنة لان أخاه يزيد كان قد أكثر القتل فى الخوارج بافريقية فذلوا ثم توفى روح بالقيروان ودفن الى جانب قبر أخيه يزيد وكانت وفاته فى رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ولما استعمل المنصور يزيد بن حاتم على افريقية استعمل أخاه روحا على السند فقيل له يا أمير المؤمنين لقد باعدت ما بين قبريهما فتوفى يزيد بالقيروان ثم وليها روح فتوفى بها ودفن الى جانب أخيه يزيد وكان روح أشهر بالشرق من يزيد ويزيد أشهر بالغرب من روح لطول مدة ولايته وكثرة خروجه فيها والخارجين عليه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها قدم أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسى من خراسان واستعمل الرشيد عليها جعفر بن محمد بن الاشعث فلما قدم خراسان سير ابنه العباس الى كابل فقاتل أهلها حتى افتتحها ثم افتتح سانهار وغنم ما كان بها وفيها قتل الرشيد أبا هريرة محمد بن فروخ وكان على الجزيرة فوجه اليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره الى بغداد وقتله وفيها أمر الرشيد باخراج الطالبيين من بغداد الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن عباس وفيها خرج الفضل بن سعيد الحرورى فقتله أبو خالد المروروذى * وفيها قدم روح بن حاتم افريقية وحج

صهر النبى ومولانا وناصره
أضحت مناقبه نورا
وبرهانا
وكان منه على رغم
الحسود له
مكان هرون من موسى
ابن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا صارما
ذكرا
ليثا اذا ما لقى الاقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب الناس
سبحانا
انى لاحسبه ما كان من
بشر
يخشى المعاد ولكن كان
شيطانا
أشقى مرادا اذا عدت قبائلها
وأخسر الناس عند الله
ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التى
جلبت
على ثمود بأرض الحجر
خسرانا
قد كان يخبرهم ان سوف
يخضبها
قبل المنية ازمانا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله
ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله فى شقى ظل مجترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقى ما أراد بها
الا ليبلغ من ذى العرش
رضوانا
بل ضربة من غوى أورثته
لظى

بالناس هذه السنة عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة﴾

ذكر خروج سليمان وعبد الله ابنى عبد الرحمن على أخيهما هشام فى هذه السنة وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائة وهو الصحيح خرج سليمان وعبد الله ابنا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أمير الاندلس عن طاعة أخيهما هشام بالاندلس وكان هشام قد ملك بعد أبيه كما ذكرناه فلما استقر له الملك كان معه أخوه عبد الله المعروف بالبلنسى وكان هشام يؤثره ويبره ويقدمه فلم يرض عبد الله الا بالمشاركة فى أمره ثم انه خاف من أخيه هشام فمضى هاربا الى أخيه سليمان وهو بطليطلة فلما خرج من قرطبة ارسل هشام جمعا فى أثره ليردوه فلم يلحقوه فجمع هشام عساكره وسار الى طليطلة فحصر أخويه بها وكان سليمان قد جمع وحشد خلقا كثيرا فلما حصرهما هشام سار سليمان من طليطلة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلد وسار هو الى قرطبة ليملكها فعلم هشام الحال فلم يتحرك ولا فارق طليطلة بل أقام يحصرها وسار سليمان فوصل الى شقندة فدخلها وخرج اليه أهل قرطبة مقاتلين ودافعين عن أنفسهم ثم ان هشاما سير فى اثره ابنه عبد الملك فى قطعة من الجيش فلما قارب ه مضى سليمان هاربا فقصد مدينة ماردة فخرج اليه الوالى بها لهشام فحاربه فانهزم سليمان وبقى هشام على طليطلة شهرين وأياما محاصرا لها ثم عاد عنها وقد قطع اشجارها وسار الى قرطبة فأتاه أخوه عبد الله بغير أمان فأكرمه وأحسن اليه فلما دخلت سنة اربع وسبعين سير هشام ابنه معاوية فى جيش كثيف الى تدمير وبها سليمان فحاربه وخربوا أعمال تدمير ودوخوا أهلها ومن بها وبلغوا البحر فخرج سليمان من تدمير هاربا فالتجأ الى البرابر بناحية بلنسية فاعتصم بتلك الناحية الوعرة المسلك فعاد معاوية الى قرطبة ثم ان الحال استقر بين هشام وسليمان أن يأخذ سليمان أهله وأولاده وأمواله ويفارق الاندلس وأعطاه هشام ستين الف دينار مصالحة عن تركة أبيه عبد الرحمن فسار الى بلد البرابر فأقام بها

﴿ذكر خروج جماعة على هشام أيضا﴾

وفيها خرج بالاندلس أيضا سعيد بن الحسين بن يحيى الانصارى بشاغنت من اقاليم طرطوشة فى شرق الاندلس وكان قد التجأ اليها حين قتل أبوه كما تقدم ودعا الى اليمانية وتعصب لهم فاجتمع له خلق كثير وملك مدينة طرطوشة وأخرج عاملها يوسف القيسى فعارضه موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ووافقه مضر فاقتتلا فانهزم سعيد وقتل وسار موسى الى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى الحسين بن يحيى اسمه جحدر فى جمع كثير فقاتلوه وقتل موسى وخرج أيضا مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة وخرج معه جمع كثير فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقه وتغلب على تلك الناحية وقوى امره وكان هشام مشغولا بمحاربة أخويه سليمان وعبد الله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها عزل الرشيد اسحق بن محمد عن الموصل واستعمل سعيد بن سلم الباهلى وعزل الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة وهو ابن أخى معن بن زائدة عن أرمينية واستعمل عليها أخاه عبيد الله بن المهدى وفيها غزا الصائفة اسحق بن سليمان بن على وفيها وضع الرشيد على أهل السواد العشر الذى كان يؤخذ منهم بعد النصف وحج بالناس يعقوب بن المنصور وفيها مات الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس وهو أخو عبد الملك وتوفى سليمان بن بلال مولى ابن أبى عتيق وتوفى أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمى الزاهد بمدينة القيروان وكان مجاب الدعوة

مخلدا قد أتى الرحمن
غضبانا
كانه لم يرد قصدا بضربته
الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا
ولعمران بن حطان ولابيه
حطان أخبار كثيرة قد
أتينا على ذكرها فى كتابنا
أخبار الزمان فى باب
أخبار الخوارج من
الازارقة والاباضية
والحمرية والصفرية
والبيجرية وغيرهم من فرق
الخوارج الى سنة ثمان
عشرة وثلثمائة وكان آخر
من خرج منهم ربيعة
المعروف بفروان فادخل
على المقتدر بالله بعث به ابن
حمدان من هرموناه وقد
كان خرج فى أيامه أيضا
المعروف بابى شعيب وقد
رثى الناس أمير المؤمنين
عليا رضى الله عنه فى ذلك
الوقت والى هذه الغاية
وذكروا مقتله وممن رثاه
فى ذلك الوقت أبو الاسود
الدؤلى من أبيات
ألا أبلغ معاوية بن حرب
فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا
بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا
وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن
حذاها
ومن قرأ المثانى والمئينا

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة﴾

فيها توفي محمد بن سليمان بن علي بالبصرة فارسل الرشيد من قبض تركته وكانت عظيمة من المال والمتاع والدواب فحملوا منه ما يصلح للخلافة وتركوا ما لا يصلح وكان من جملة ما اخذوا ستون الف ألف فلما قدموا بذلك عليه اطلق منه للندماء والمغنين شيأ كثيرا ورفع الباقي الى خزانته وكان سبب أخذ الرشيد تركته ان أخاه جعفر بن سليمان كان يسعى به الى الرشيد حسدا له ويقول انه لا مال له ولا ضيعة الا وقد أخذ أكثر من ثمنها ليتقوى به على ما تحدث به نفسه يعني الخلافة وان أمواله حل طلق لامير المؤمنين وكان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه فلما توفي محمد بن سليمان أخرجت كتبه الى جعفر أخيه واحتج عليه بها ولم يكن له أخ لابيه وأمه غير جعفر فاقر بها فلهذا قبضت أمواله وفيها ماتت الخيزران أم الرشيد فحمل الرشيد جنازتها ودفنها في مقابر قريش ولما فرغ من دفنها أعطى الخاتم الفضل بن الربيع وأخذه من جعفر بن يحيى بن خالد وفيها استقدم الرشيد جعفر بن محمد بن الاشعث من خراسان واستعمل عليها ابنه العباس بن جعفر وحج بالناس الرشيد احرم من بغداد وفيها مات موركاط ملك جليقية من بلاد الاندلس وولي بعده برمند بن قلوريه القس ثم تبرأ من الملك وترهب وجعل ابن أخيه في الملك وكان ملك ابن أخيه سنة خمس وسبعين ومائة وفيها توفي سلام بن أبي مطيع (بتشديد اللام) وجويرية بن اسماء بن عبيد البصري ومروان بن معاوية بن الحرث بن اسماء الفزاري أبو عبد الله وكان موته بمكة فجأة

﴿ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة﴾

فيها استعمل الرشيد اسحق بن سليمان على السند ومكران وفيها استقضى الرشيد يوسف بن أبي يوسف وأبوه حي وفيها هلك روح بن حاتم وسار الرشيد الى الجودي ونزل بقردى وباذبدى من اعمال جزيرة ابن عمر فابتنى بها قصرا وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح وحج بالناس الرشيد فقسم في الناس مالا كثيرا وفيها عزل علي بن مسهر عن قضاء الموصل وولي القضاء بها اسمعيل بن زياد الدولابي

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة﴾

في هذه السنة عقد الرشيد لابنه محمد ابن زبيدة بولاية العهد ولقبه الامين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين وكان سبب البيعة ان خاله عيسى بن جعفر بن المنصور جاء الى الفضل بن يحيى بن خالد فسأله في ذلك وقال له انه ولدك وخلافته لك فوعده بذلك وسعى فيها حتى بايع الناس له بولاية العهد وفيها عزل الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر وولاها خاله الغطريف بن عطاء وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ أقريطية وقيل غزاها عبد الملك نفسه فاصابهم برد شديد يسقط منه كثير من أيدي الجند وأرجلهم وفيها سار يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي الى الديلم فتحرك هناك وحج بالناس هذه السنة هرون الرشيد

﴿ذكر ظفر هشام باخويه ومطروح﴾

وفيها فرغ هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس من اخويه سليمان وعبد الله واجلاهما عن الاندلس فلما خلا سره منهما انتدب لمطروح بن سليمان بن يقظان فسير اليه جيشا كثيفا وجعل عليهم ابا عثمان عبيد الله بن عثمان فساروا الى مطروح وهو بسرقسطة فحصروه بها فلم يظفروا به فرجع أبو عثمان عنه ونزل بحصن طرسونة بالقرب من سرقسطة وبث سراياه على أهل سرقسطة يغيرون ويمنعون عنهم الميرة ثم ان مطروحا خرج في بعض الايام آخر النهار يتصيد وارسل البازي على طائر فاقتنصه فنزل مطروح ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن

اذا استقبلت وجه أبي حسين
رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرهم حسبا ودينا

وانطلق البرك الصريمي الى معاوية فطعنه بخنجر في أليته وهو يصلي فأخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما أنت وما خبرك قال لا تقتلني وأخبرك قال انا تبايعنا في هذه الليلة عليك وعلى علي وعلى عمرو فان أردت فاحبسني عندك فان كانا قتلا والا خليت سبيلي فطلبت قتل علي ولك علي ان أقتله وأن آتيك حتى أضع يدي في يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل علي فاطلقه وانطلق زادويه عمرو بن بكر التميمي الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه

اصحابه فقتلاه وأخذا رأسه واتيا به أبا عثمان فسار الى سرقسطة فكاتبه اهلها بالطاعة فقبل منهم وسار اليها فنزلها وأرسل رأس مطروح الى هشام

﴿ذكر غزاة هشام بالاندلس﴾

ثم ان أبا عثمان لما فرغ من مطروح أخذ الجيش وسار بهم الى بلاد الفرنج فقصد ألبة والقلاع فلقيه العدو فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفيها اسير هشام أيضا يوسف بن بخت في جيش الى جليقية فلقي ملكهم وهو برمند الكبير فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الجلالقة وقتل منهم عالم كثير وفيها انقاد أهل طليطلة الى طاعة الامير هشام فأمنهم وفيها سجن هشام أيضا ابنه عبد الملك لشيء بلغه عنه فبقي مسجونا حياة أبيه وبعض ولاية أخيه فتوفي محبوسا سنة ثمان وتسعين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها خرج بخراسان حصين الخارجي وهو من موالي قيس بن ثعلبة من أهل أوق وكان على سجستان عثمان بن عمارة فارسل جيشا فلقيهم حصين فهزمهم ثم أتى خراسان وقصد باذغيس وبوشنج وهراة وكتب الرشيد الى الغطريف في طلبه فسير اليه الغطريف داود بن يزيد في اثني عشر ألفا فلقيهم حصين في ستمائة فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا ثم سار في خراسان الى ان قتل سنة سبع وسبعين ومائة * وفيها مات الليث بن سعد الفقيه بمصر ومحمد بن اسحق بن ابراهيم أبو العنبس الشاعر وفيها توفي المسيب بن زهير بن عمر بن مسلم الضبي وقيل سنة ست وسبعين وكان على شرط المنصور والمهدي وولاه المهدي خراسان وفيها ولد ادريس بن ادريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة﴾

﴿ذكر ظهور يحيى بن عبد الله بالديلم﴾

في هذه السنة ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم واشتدت شوكته وكثر جموعه وأتاه الناس من الامصار فاغتم الرشيد لذلك فندب اليه الفضل بن يحيى في خمسين الفا وولاه جرجان وطبرستان والري وغيرها وحمل معه الاموال فكاتب يحيى بن عبد الله ولطف به وحذره وأشار عليه وبسط أمله ونزل الفضل بالطالقان بمكان يقال له اشب ووالى كتبه الى يحيى وكاتب صاحب الديلم وبذل له ألف ألف درهم على ان يسهل له خروج يحيى بن عبد الله فاجاب يحيى الى الصلح على ان يكتب له الرشيد امانا بخطه يشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم ومشايخهم منهم عبد الصمد بن علي فاجابه الرشيد الى ذلك وسر به وعظمت منزلة الفضل عنده وسير الامان مع هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل بغداد فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بمال كثير ثم ان الرشيد حبسه فمات في الحبس وكان الرشيد قد عرض كتاب امان يحيى على محمد بن الحسن الفقيه وعلى أبي البختري القاضي فقال محمد الامان صحيح فحاجه الرشيد فقال محمد وما يصنع بالامان لو كان محاربا ثم ولي وكان آمنا وقال أبو البختري هذا أمان منتقض من وجه كذا فخرقه الرشيد

﴿ذكر ولاية عمر بن مهران مصر﴾

وفيها عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر ورد امرها الى جعفر بن يحيى بن خالد فاستعمل عليها جعفر عمر بن مهران وكان سبب عزله ان الرشيد بلغه ان موسى عازم على الخلع فقال والله لا أعزله الا باخس من على بابي فامر جعفر فاحضر عمر بن مهران وكان أحول مشوه الخلق وكان لباسه

عمرو وبه رمق فقال له خارجة والله ما اراد غيرك فقال عمرو ولكن الله اراد خارجة واوقف الرجل بين يدي عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة واخبره ان عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة فقال ان قتلا أو لم يقتلا فلا بد من قتلك فبكى فقيل له اجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما ان يفوز صاحبي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو فضرب عنقه وصلب وكان علي رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل

تلكم قريش تمناني لتقتلني
فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم
بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
اذا حل بواديكا

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس اناسا الى الكوفة

خسيساوكان يردف غلامه خلفه فلما قال له الرشيد تسير الى مصر أميرا فقال أتولاها على شرائط احداها ان يكون اذنى الى نفسى اذا أصلحت البلاد انصرفت فاجابه الى ذلك فسار فلما وصل اليها اتى دار موسى فجلس فى أخريات الناس فلما انفرقوا قال الك حاجة قال نعم ثم دفع اليه الكتب فلما قرأها قال هل يقدم أبوحفص ابقاه الله قال انا أبوحفص قال موسى لعن الله فرعون حيث قال اليس لى ملك مصر ثم سلم له العمل فتقدم عمر الى كاتبه ان لا يقبل هدية الا ما يدخل فى الكيس فبعث الناس بهداياهم فلم يقبل دابة ولا جارية ولم يقبل الا المال والثياب فاخذها وكتب عليها اسماء اصحابها وتركها وكان أهل مصر قد اعتادوا المطل بالخراج وكسره فبدأ عمر برجل منهم فطالبه بالخراج فلواه فاقسم ان لا يؤديه الا بمدينة السلام فبذل الخراج فلم يقبله منه وحمله الى بغداد فادى الخراج بها فلم يمطله احد فاخذ النجم الاول والنجم الثانى فلما كان النجم الثالث وقعت المطاولة والمطل وشكوا الضيق فاحضر تلك الهدايا وحسبها لاربابها وأمرهم بتعجيل الباقى فاسرعوا فى ذلك فاستوفى خراج مصر عن آخره ولم يفعل ذلك غيره ثم انصرف الى بغداد

﴿ ذكر الفتنة بدمشق ﴾

وفى هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية وكان رأس المضرية أبو الهيذام واسمه عامر بن عمارة بن خريم الناعم بن عمرو بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان المرى أحد فرسان العرب المشهورين وكان سبب الفتنة ان عاملا للرشيد بسجستان قتل اخا لابى الهيذام فخرج أبو الهيذام بالشام وجمع جمعا عظيما وقال يرثى أخاه

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا * فان بها مايدرك الطالب الوترا
ولسنا كمن ينعى أخاه بغيره * يعصرها من ماء مقلته عصرا
وانا أناس ماتفيض دموعنا * على هالك منا وان قصم الظهرا
ولكننى اشفى الفؤاد بغارة * الهب فى قطرى كتائبها جمرا

وقيل ان هذه الابيات لغيره والصحيح انها له ثم ان الرشيد احتال عليه باخ له كتب اليه فارغبه ثم شد عليه فكتفه واتى به الرشيد فمن عليه واطلقه وقيل كان اول ماهاجت الفتنة فى الشام ان رجلا من بنى القين خرج بطعام له يطحنه فى الرحى بالبلقاء فمر بحائط رجل من لخم او جذام وفيه بطيخ وقثاء فتناول منه فشتمه صاحبه وتضاربا وسار القينى فجمع صاحب البطيخ قوما من اهل اليمن ليضربوه اذا عاد فلما عاد ضربوه واعانه قوم آخرون فقتل رجل من اليمانية وطلبوا بدمه فاجتمعوا لذلك وكان على دمشق حينئذ عبد الصمد بن على فلما خاف الناس ان يتفاقم ذلك اجتمع اهل الفضل والرؤساء ليصلحوا بينهم فاتوا بنى القين فكلموهم فاجابوهم الى ماطلبوا فاتوا اليمانية فكلموهم فقالوا انصرفوا عنا حتى ننظر ثم ساروا فبيتوا بنى القين فقتلوا منهم ستمائة وقيل ثلثمائة فاستنجد بنو القين قضاعة وسليحا فلم ينجدوهم فاستنجدوا قيسا فاجابوهم وساروا معهم الى الصواليك من أرض البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وكثر القتال بينهم فالتقوا مرات وعزل عبد الصمد عن دمشق واستعمل عليها ابراهيم بن صالح بن على فدام ذلك الشر بينهم نحو سنتين والتقوا بالبثنية فقتل من اليمانية نحو ثمانمائة ثم اصطلحوا بعد شر طويل ووفد ابراهيم بن صالح على الرشيد وكان ميله مع اليمانية فوقع فى قيس عند الرشيد فاعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر

يشيعون موته واكثر الناس القول فى ذلك حتى بلغ عليا فقال فى مجلسه قد أكثرتم من نعى معاوية والله مامات ولا يموت حتى يملك ماتحت قدمى وانما اراد ابن اكلة الاكباد ان يعلم ذلك منى فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ماعندى فيه ومايكون من أمره فى المستقبل من الزمان ومر فى كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال ياأمير المؤمنين لقد وصفت امورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال على والله ان ذلك لكائن ماكذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك ياأمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فاكثر الناس من البكاء فقال لاتبكوا فى وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلا فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا فى أمورهم واتخذوا عنده الايادى

النصرى من بنى نصر فقبل عذرهم ورجعوا واستخلف ابراهيم بن صالح على دمشق ابنه اسحق وكان ميله أيضا مع اليمانية فاخذ جماعة من قيس فحبسهم وضربهم وحلق لحاهم فنفر الناس ووثبت غسان برجل من ولد قيس بن العبسى فقتلوه فجاء أخوه الى ناس من الزواقيل بحوران فاستنجدهم فانجدوه وقتلوا من اليمانية نفرا ثم سارت اليمانية بكليب بن عمرو بن الجنيد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوه فجاءت أم الغلام بثيابه الى أبى الهيذام فالقتها بين يديه فقال انصرفى حتى ننظر فانى لا أخبط خبط العشواء حتى يأتى الامير ونرفع اليه دماءنا فان نظر فيها والا فامير المؤمنين ينظر فيها ثم أرسل اسحق فاحضر ابا الهيذام فحضر فلم يأذن له ثم ان ناسا من الزواقيل قتلوا رجلا من اليمانية وقتلت اليمانية رجلا من سليم ونهبت أهل تلفياثا وهم جيران محارب فجاءت محارب الى أبى الهيذام فركب معهم الى اسحق فى ذلك فوعدهم الجميل فرضى فلما انصرف أرسل اسحق الى اليمانية يغريهم بابى الهيذام فاجتمعوا وأتوا أبا الهيذام من باب الجابية فخرج اليهم فى نفر يسير فهزمهم واستولى على دمشق وأخرج أهل السجون عامة ثم ان أهل اليمانية استجمعت واستنجدت كلبا وغيرهم فامدوهم وبلغ الخبر أبا الهيذام فارسل الى المضرية فاتته الامداد وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فانهزمت اليمانية ثم ان اليمانية أتت قرية لقيس عند دمشق فارسل أبو الهيذام اليهم الزواقيل فقاتلوهم فانهزمت اليمانية أيضا ثم لقيهم جمع آخر فانهزموا أيضا ثم أتاهم الصريخ أدركوا باب توما فاتوه فقاتلوا اليمانية فانهزمت أيضا فهزموهم فى يوم واحد أربع مرات ثم رجعوا الى أبى الهيذام ثم أرسل اسحق الى أبى الهيذام يأمره بالكف ففعل وأرسل الى اليمانية قد كففته عنكم فدونكم الرجل فهو غار فاتوه من باب شرقى متسللين فاتى الصريخ أبا الهيذام فركب فى فوارس من أهله فقاتلهم فهزمهم ثم بلغه خبر جمع آخر لهم على باب توما فاتاهم فهزمهم أيضا ثم جمعت اليمانية أهل الاردن والخولان وكلبا وغيرهم وأتى الخبر أبا الهيذام فارسل من يأتيه بخبرهم فلم يقف لهم على خبر فى ذلك وجاؤا من جهة أخرى كان آمنا منها البناء فيها فلما انتصف النهار ولم يرشيأ فرق أصحابه فدخلوا المدينة ودخلها معهم وخلف طليعة فلما رآه اسحق قد دخل أرسل الى ذلك البناء فهدمه وأمر اليمانية بالعبور ففعلوا فجاءت الطليعة الى أبى الهيذام فاخبروه الخبر وهو عند باب الصغير ودخلت اليمانية المدينة وحملوا على ابى الهيذام فلم يبرح وامر بعض اصحابه ان يأتى اليمانية من ورائهم ففعلوا فلما رأتهم اليمانية تنادوا الكمين الكمين وانهزموا وأخذ منهم سلاحا وخيلا فلما كان مستهل صفر جمع اسحق الجنود فعسكر واعتمد قصر الحجاج وأعلم أبو الهيذام أصحابه فجاءته بنو القين وغيرهم واجتمعت اليمن الى اسحق فالتقى بعض العسكر فاقتتلوا فانهزمت اليمانية وقتل منهم ونهب أصحاب أبى الهيذام بعض داريا وأحرقوا فيها ورجعوا وأغار هؤلاء فنهبوا وأحرقوا واقتتلوا غير مرة فانهزمت اليمانية أيضا فارسلت ابنة الضحاك بن رمل السكسكى وهى يمانية الى أبى الهيذام تطلب منه الامان فاجابها وكتب لها ونهب القرى التى لليمانية بنواحى دمشق وأحرقها فلما رأت اليمانية ذلك أرسل اليه ابن خارجة الحرشى وابن عزة الخشنى وأتاه الاوزاع والاوصاب ومقرا وأهل كفرسوسية والحميريون وغيرهم يطلبون الامان فامنهم فسكن الناس وأمنوا وفرق أبو الهيذام أصحابه وبقى فى نفر يسير من أهل دمشق فطمع فيه اسحق فبذل الاموال للجنود ليواقع أبا الهيذام فارسل العذافر السكسكى فى جمع الى أبى الهيذام فقاتلوهم فانهزم العذافر ودامت الحرب بين أبى الهيذام وبين الجنود من الظهر الى المساء وحمل خيل أبى

فوالله مامضت الأيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا زهده ولمع من كلامه وجمل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبى سفيان والله ولى التوفيق

﴿ ذكر لمع من كلامه واخباره وزهده رضوان الله عليه ﴾

لم يلبس عليه السلام فى ايامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا الا شيأ كان له بينبع مما تصدق به وحبسه والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته اربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا (وقيل) له من خيار العباد قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها

الهيذام على الجند فحالوا ثم تراجعوا وانصرفوا وقد جرح منهم أربعمائة ولم يقتل منهم أحد وذلك نصف صفر فلما كان الغد لم يقتتلوا الى المساء فلما كان آخر النهار تقدم اسحق فى الجند فقاتلهم عامة الليل وهم بالمدينة واستمد أبو الهيذام أصحابه وأصبحوا من الغد فاقتتلوا والجند فى اثنى عشر ألفا وجاءتهم اليمانية وخرج أبو الهيذام من المدينة فقال لاصحابه وهم قليلون انزلوا فنزلوا وقاتلوهم على باب الجابية حتى أزالوهم عنه ثم ان جمعا من أهل حمص أغاروا على قرية لابى الهيذام فأرسل طائفة من أصحابه اليهم فقاتلوهم فانهزم أهل حمص وقتل منهم بشر كثير وأحرقوا قرى فى الغوطة لليمانية وأحرقوا داريا ثم بقوا نيفا وسبعين يوما لم تكن حرب فقدم السندى مستهل ربيع الآخر فى الجنود من عند الرشيد فاتته اليمانية تغريه بابى الهيذام وأرسل أبو الهيذام اليه يخبره انه على الطاعة فاقبل حتى دخل دمشق واسحق بدار الحجاج فلما كان الغد أرسل السندى قائدا فى ثلاثة آلاف وأخرج اليهم ابو الهيذام ألفا فلما رآهم القائد رجع الى السندى فقال أعط هؤلاء ما أرادوا فقد رأيت قوما الموت أحب اليهم من الحياة فصالح أبا الهيذام وأمن أهل دمشق والناس وسار أبو الهيذام الى حوران وأقام السندى بدمشق ثلاثة ايام وقدم موسى بن عيسى واليا عليها فلما دخلها اقام بها عشرين يوما واغتنم غرة أبى الهيذام فارسل من يأتيه به فكبس داره فخرج هو وابنه خريم وعبد له فقاتلوهم ونحاهم عنهم وانهزم الجند وسمعت خيل ابى الهيذام فجاءته من كل ناحية وقصد بصرى وقاتل جنود موسى بطرف اللجاه فقتل منهم وانهزموا ومضى أبو الهيذام فلما أصبح أتاه خمسة فوارس فكلموه فاوصى أصحابه بما أراد وتركهم ومضى وذلك لعشر بقين من رمضان سنة سبع وسبعين ومائة وكان اولئك النفر قد اتوه من عند اخيه يأمره بالكف ففعل ومضى معهم وامر اصحابه بالتفرق وكان آخر الفتنة ومات ابو الهيذام سنة اثنتين وثمانين ومائة هذا ما أردنا ذكره على سبيل الاختصار (خريم) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء وحارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة ونشبة بضم النون وسكون الشين المعجمة وبعده باء موحدة وبغيض بالباء الموحدة وكسر الغين المعجمة وآخره ضاد معجمة وريث بالراء والياء تحتها نقطتان وآخره ثاء مثلثة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بجيش صاحب الاندلس بلاد الفرنج فبلغ ألبة والقلاع فغنم وسلم وفيها استعمل هشام ابنه الحكم على طليطلة وسيره اليها فضبطها واقام بها وولد له بها ابنه عبد الرحمن بن الحكم وهو الذى ولى الاندلس بعد أبيه وفيها استعمل الرشيد على الموصل الحاكم بن سليمان وفيها خرج الفضل الخارجى بنواحى نصيبين فاخذ من أهلها مالا وسار الى دارا وآمد وارزن فاخذ منهم مالا وكذلك فعل بالخلاط ثم رجع الى نصيبين وأتى الموصل فخرج اليه عسكرها فهزمهم على الزاب ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه وفيها مات الفرج بن فضالة وصالح بن بشر المرى القارئ وكان ضعيفا فى الحديث وفيها توفى عبد الملك بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم أبو طاهر الانصارى وكان قاضيا ببغداد وفيها توفى نعيم بن ميسرة النحوى الكوفى وأبو الاحوص وأبو عوانة واسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء الليثى وكان مولده سنة اثنتين وتسعين

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الفرنج بالاندلس﴾

فيها سير هشام صاحب الاندلس جيشا كثيفا واستعمل عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فدخلوا بلاد العدو فبلغوا اربونة وجرندة فبدأ بجرندة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم

الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا واتصار يفها وصدقتهم فصدقوا حديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استدامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى أم بمصارع امهاتك من الثرى كم قد عللت بكفيك ومرضت بيديك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تسعف له بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك احباؤك ولا تسمع فى مدح الدنيا أحسن من هذا (ومما) حفظ من كلامه فى بعض مقاماته فى صفة الدنيا انه قال ألا ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه أبناء ولهذه أبناء

أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها الى اربونة ففعل مثل ذلك وأوغل فى بلادهم ووطئ أرض شرطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل فى بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم ما لا يعلمه الا الله تعالى وهى من أشهر مغازى المسلمين بالاندلس

﴿ذكر استعمال الفضل بن روح بن حاتم على افريقية﴾

وفى هذه السنة وهى سنة سبع وسبعين استعمل الرشيد على افريقية الفضل بن روح بن حاتم وكان الرشيد لما توفى روح استعمل بعده حبيب بن نصر المهلبى فسار الفضل الى باب الرشيد وخطب ولاية افريقية فولاه فعاد اليها فقدم فى المحرم سنة سبع وسبعين ومائة فاستعمل على مدينة تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح وكان غارا فاستخف بالجند وكان الفضل أيضا قد أوحشهم وأساء السيرة معهم بسبب ميلهم الى نصر بن حبيب الوالى قبله فاجتمع من بتونس وكتبوا الى الفضل يستعفون من ابن أخيه فلم يجبهم عن كتابهم فاجتمعوا على ترك طاعته فقال لهم قائد من الخراسانية يقال له محمد بن الفارسى كل جماعة لا رئيس لها فهى الى الهلاك أقرب فانظروا رجلا يدبر أمركم قالوا صدقت فاتفقوا على تقديم قائد منهم يقال له عبد الله بن الجارود يعرف بعبدويه الانبارى فقدموه عليهم وبايعوه على السمع والطاعة واخرجوا المغيرة عنهم وكتبوا الى الفضل يقولون انا لم نخرج يدا عن طاعته ولكنه اساء السيرة فاخرجناه فول علينا من نرضاه فاستعمل عليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن حاتم وسيره اليهم فلما كان على مرحلة من تونس ارسل اليه ابن الجارود جماعة لينظروا فى أى شئ قدم ولا يحدثوا حدثا الا بامره فساروا اليه وقال بعضهم لبعض ان الفضل يخدعكم بولاية هذا ثم ينتقم منكم باخراجكم اخاه فعدوا على عبد الله بن يزيد فقتلوه وأخذوا من معه من القواد اسارى فاضطر حينئذ عبد الله بن الجارود ومن معه الى القيام والجد فى ازالة الفضل فتولى ابن الفارسى الامر وصار يكتب الى كل قائد بافريقية ومتولى مدينة يقول له انا نظرنا فى صنيع الفضل فى بلاد امير المؤمنين وسوء سيرته فلم يسعنا الا الخروج عليه لنخرجه عنا ثم نظرنا فلم نجد احدا اولى بنصيحة امير المؤمنين لبعد صونه وعطفه على جنده منك فرأينا ان نجعل نفوسنا دونك فان ظفرنا جعلناك اميرنا وكتبنا الى امير المؤمنين نسأله ولايتك وان كانت الاخرى لم يعلم احد انا اردناك والسلام فافسد بهذا كافة الجند على الفضل وكثر الجمع عندهم فسير اليهم الفضل عسكرا كثيرا فخرجوا اليه فقاتلوه فانهزم عسكره وعاد الى القيروان منهزما وتبعهم اصحاب ابن الجارود فحاصروا القيروان يومهم ذلك ثم فتح اهل القيروان الابواب ودخل ابن الجارود وعسكره فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين ومائة واخرج الفضل من القيروان ووكل به وبمن معه من اهله ان يوصلهم الى قابس فساروا يومهم ثم ردهم ابن الجارود وقتل الفضل بن روح بن حاتم فلما قتل الفضل غضب جماعة من الجند واجتمعوا على قتال ابن الجارود فسير اليهم عسكرا فانهزم عسكره وعاد اليه بعد قتال شديد واستولى أولئك الجند على القيروان وكان ابن الجارود بمدينة تونس فسار اليهم وقد تفرقوا بعد دخول القيروان فوصل اليهم ابن الجارود فلقوه واقتتلوا فهزمهم ابن الجارود وقتل جماعة من اعيانهم فانهزموا فلحقوا بالاربس وقدموا عليهم العلاء بن سعيد والى بلد الزاب وساروا الى القيروان

﴿ذكر ولاية هرثمة بن اعين بلاد افريقية﴾

اتفق وصول يحيى بن موسى من عند الرشيد لما قصد العلاء ومن معه القيروان وكان سبب وصوله

فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة اما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم واما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم امر عظيم من ذكر النار ومن فيها (وقال لابنه الحسن) يا بنى استغن عن من شئت تكن نظيره وسل من شئت

ان الرشيد بلغه ما صنع ابن الجارود وافساده افريقية فوجه هرثمة بن اعين ومعه يحيى بن موسى لمحله عند اهل خراسان وامر ان يتقدم يحيى فيتلطف بابن الجارود ويستميله ليعاود الطاعة قبل وصول هرثمة فقدم يحيى القيروان فجرى بينه وبين ابن الجارود كلام كثير ودفع اليه كتاب الرشيد فقال انا على السمع والطاعة وقد قرب منى العلاء بن سعيد ومعه البربر فان تركت القيروان وثب البربر فملكوها فاكون قد ضيعت بلاد امير المؤمنين ولكنى اخرج الى العلاء فان ظفر بى فشأنكم والثغور وان ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة فاسلم البلاد اليه وأسير الى أمير المؤمنين وكان قصده المغالطة فان ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد فعلم يحيى ذلك وخلا بابن الفارسى وعاتبه على ترك الطاعة فاعتذر وحلف انه عليها وبذل من نفسه المساعدة على ابن الجارود فسعى ابن الفارسى فى افساد حاله واستمال جماعة من اجناده فاجابوه وكثر جمعه وخرج الى قتال ابن الجارود فقال ابن الجارود لرجل من اصحابه اسمه طالب اذا تواقفنا فانى سأدعو ابن الفارسى لاعاتبه فاقصده انت وهو غافل فاقتله فاجابه الى ذلك وتواقف العسكران ودعا ابن الجارود محمد بن الفارسى وكلمه وحمل طالب عليه وهو غافل فقتله وانهزم اصحابه وتوجه يحيى بن موسى الى هرثمة بطرابلس واما العلاء ابن سعيد فانه لما علم الناس بقرب هرثمة منهم كثر جمعه واقبلوا اليه من كل ناحية وسار الى ابن الجارود فعلم ابن الجارود انه لا قوة له به فكتب الى يحيى بن موسى يستدعيه ليسلم اليه القيروان فسار اليه فى جند طرابلس فى المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فلما وصل قابسا تلقاه عامة الجند وخرج ابن الجارود من القيروان مستهل صفر وكانت ولايته سبعة أشهر وأقبل العلاء بن سعيد ويحيى بن موسى يستبقان الى القيروان كل منهما يريد ان يكون الذكر له فسبقه العلاء ودخلها وقتل جماعة من أصحاب ابن الجارود وسار الى هرثمة وسار ابن الجارود أيضا الى هرثمة فسيره هرثمة الى الرشيد وكتب اليه يعلمه ان العلاء كان سبب خروجه فكتب الرشيد يأمره بارسال العلاء اليه فسيره فلما وصل لقيه صلة كثيرة من الرشيد وخلع فلم يلبث بمصر الا قليلا حتى توفى وأما ابن الجارود فانه اعتقل ببغداد وسار هرثمة الى القيروان فقدمها فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة فأمن الناس وسكنهم وبنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين ومائة وبنى سور مدينة طرابلس مما يلى البحر وكان ابراهيم بن الاغلب بولاية الزاب فاكثر الهدية الى هرثمة ولاطفه فولاه هرثمة ناحية من الزاب فحسن اثره فيها ثم ان عياض بن وهب الهوارى وكليب بن جميع الكلبى جمعا جموعا وأرادا قتال هرثمة فسير اليهما يحيى بن موسى فى جيش كثير ففرق جموعهما وقتل كثيرا من أصحابهما وعاد الى القيروان ولما رأى هرثمة ما بافريقية من الاختلاف واصل كتبه الى الرشيد يستعفى فأمره بالقدوم عليه الى العراق فسار عن افريقية فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا

❁(ذكر الفتنة بالموصل)❁

وفيها انانف العطاف بن سفيان الازدى على الرشيد وكان من فرسان أهل الموصل واجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج وكان عامل الرشيد على الموصل محمد بن العباس الهاشمى وقيل عبد الملك بن صالح والعطاف غالب على الامر كله وهو يجبى الخراج وأقام على هذا سنتين حتى خرج الرشيد الى الموصل فهدم سورها بسببه

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة عزل الرشيد جعفر بن يحيى عن مصر واستعمل عليها اسحق بن سليمان وعزل حمزة

تكن حقيره وأعط من شئت تكن أميره (ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقى وأنتظر أجلى قال وما تقول فى الدنيا قال وما أقول فى دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فأى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد امنت العقاب وهى تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص على على معاوية وافدا فقال له صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لا بد من ذلك فقال اما اذا كان لا بد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتديه لعظمه فى نفوسنا يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين

ابن مالك عن خراسان واستعمل عليها الفضل بن يحيى البرمكى مضافا الى ما كان اليه من الاعمال وهى الرى وسجستان وغيرهما وفيها غزا الصائفة عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبى وفيها فى المحرم هاجت ريح شديدة وظلمة ثم عادت مرة ثانية فى صفر وحج بالناس الرشيد وفيها توفى عبد الواحد ابن زيد وقيل سنة ثمان وسبعين وفيها توفى شريك بن عبد الله النخعى وجعفر بن سليمان

❁ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة ❁

❁(ذكر الفتنة بمصر)❁

فى هذه السنة وثبت الحوفية بمصر على عاملهم اسحق بن سليمان وقاتلوه وامده الرشيد بهرثمة ابن أعين وكان عامل فلسطين فقاتلوا الحوفية وهم من قيس وقضاعة فاذعنوا بالطاعة وادوا ما عليهم للسلطان فعزل الرشيد اسحق عن مصر واستعمل عليها هرثمة مقدار شهر ثم عزله واستعمل عليها عبد الملك بن صالح

❁(ذكر خروج الوليد بن طريف الخارجى)❁

وفيها خرج الوليد بن طريف التغلبى بالجزيرة ففتك بابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ثم قويت شوكة الوليد فدخل الى أرمينية وحصر خلاط عشرين يوما فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفا ثم سار الى اذربيجان ثم الى حلوان وأرض السواد ثم عبر الى غرب دجلة وقصد مدينة بلد فافتدوا منه بمائة ألف وعاث فى أرض الجزيرة فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وهو ابن أخى معن بن زائدة فقال الوليد

ستعلم يا يزيد اذا التقينا ❊ بشط الزاب أى فتى يكون

فجعل يزيد يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فقالوا للرشيد انما يتجافى يزيد عن الوليد للرحم لانهما كلاهما من وائل وهونوا أمر الوليد فكتب اليه الرشيد كتاب مغضب وقال له لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب واقسم بالله ان أخرت مناجزته لاوجهن اليك من يحمل رأسك فلقى الوليد عشية خميس فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين فيقال جهد عطشا حتى رمى بخاتمه فى فيه وجعل يلوكه ويقول اللهم انها شدة شديدة فاسترها وقال لاصحابه فدا كم أبى وأمى انما هى الخوارج ولهم حملة فاثبتوا فاذا انقضت حملتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا فكان كما قال حملوا عليهم حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته ثم حمل عليهم فانكشفوا فيقال ان أسد بن يزيد كان شبيها بابيه جدا لا يفصل بينهما الا ضربة فى وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره منحرفة على جبهته فكان أسد يتمنى مثلها فهوت اليه ضربة فاخرج وجهه من الترس فاصابته فى ذلك الموضع فيقال لو خطت على ضربة أبيه ما عدا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه فاخذ رأسه فقال بعض الشعراء

وائل بعضهم يقتل بعضا ❊ لا يفل الحديد الا الحديد

فلما قتل الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال اعزبى عزب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهى تقول ترثى الوليد

بتل تبا نا رسم قبر كأنه ❊ على علم فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميا ونائلا ❊ وسورة مقدام وقلب حصيف
ألا قاتل الله الجثى كيف أضمرت ❊ فتى كان بالمعروف غير عفيف

ويرحم المساكين ويطعم فى المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويانس بالليل وظلمته وكأنى به وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو فى محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرى غيرى الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات لا حان حينك قد ابنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدنى شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول اعجب ما فى الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسى التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان اجهده الجوع اقعده الضعف وان افرط به

فان يك أرداه يزيد بن مزيد * فيارب خيل فضها وصفوف
ألا يالقومى للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب قدهوى * وللشمس همت بعده بكسوف
فياشجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الخيل الا كل جرداء شطبة * وكل حصان باليدين عروف
فلا تجزعا يا ابنى طريف فاننى * أرى الموت نزالا بكل شريف
فقد نال فقدان الربيع فليتنا * فديناك من دهمائنا بالوف

وقال مسلم بن الوليد فى قتل الوليد ورفق يزيد فى قتاله من قصيدة هذه الابيات

يفتر عند افترار الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل
ينال بالرفق ما يعيى الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

وهى حسنة جدا

(ذكر غزو الفرنج والجلالقة بالاندلس)

فيها سير هشام صاحب الاندلس عسكرا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الى بلاد الفرنج فغزا ألبة والقلاع فغنم وسلم وسير أيضا جيشا آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد الجلالقة فخرب دار ملكهم اذفونش وكنائسه وغنم فلما قفل المسلمون ضل الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة ومات منهم بشر كثير ونفقت دوابهم وتلفت آلاتهم ثم سلموا وعادوا

(ذكر فتنة تاكرنا)

وفيها هاجت فتنة تاكرنا بالاندلس وخلع بربرها الطاعة وأظهروا الفساد وأغاروا على البلاد وقطعوا الطريق فسير هشام اليهم جندا كثيفا عليهم عبد القادر بن أبان بن عبد الله مولى معاوية بن أبى سفيان فقصدوها وتابعوا قتال من فيها الى ان أبادوهم قتلا وسبيا وفر من بقى منهم فدخل فى سائر القبائل وبقيت كورة تاكرنا وجبالها خالية من الناس سبع سنين

(ذكر عدة حوادث)

وفيها غزا الصائفة معاوية بن زفر بن عاصم وغزا الشاتية سليمان بن راشد ومعه البند بطريق صقلية وحج بالناس هذه السنة محمد بن ابراهيم بن محمد بن على وفيها فوض الرشيد أمور دواته كلها الى يحيى بن خالد البرمكى وفيها وصل الفضل بن يحيى الى خراسان وغزا ما وراء النهر من بخارى فحضر عنده صاحب اشروسنة وكان ممتنعا وبنى الفضل بخراسان المساجد والرباطات وفيها توفى عبد الوارث بن سعيد والمفضل بن يونس وجعفر بن سليمان الضبعى

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة)

(ذكر غزو الفرنج بالاندلس)

فيها سير هشام صاحب الاندلس جيشا كثيفا عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الى جليقية فساروا حتى انتهوا الى استرقة وكان اذفونش ملك الجلالقة قد جمع وحشد وامده ملك البشكنس وهم جيرانه ومن يليهم من المجوس واهل تلك النواحى فصار فى جمع عظيم فاقدم عليه عبد الملك فرجع اذفونش هيبة له وتبعهم عبد الملك يقفو أثرهم ويهلك كل من تخلف منهم فدوخ

الشبع كظنه البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدنى كلما وعيته من كلامه قال هيهات ان آتى على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته يوصى كميل ابن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله وأحذركم من ليس له ناصر الا الله قال وسمعته يقول ذات يوم ان هذه الدار اذا اقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم قال وسمعته يقول بطر الغنى يمنع من عز الصبر قال وسمعته يقول ينبغى للمؤمن ان يكون نظره عبرة وسكوته فكره وكلامه حكمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قتل جعفر بن أبى طالب الطيار بمؤتة من ارض الشام لا يبعث بعلى فى وجهة من الوجوه الا يقول رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين وحمل على يوم احد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم فقال جبريل يا محمد ان هذه لهى المواساة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عليا

بلادهم واوغل فيها واقام فيها يغنم ويقتل ويخرب وهتك حريم اذفونش ورجع سالما وكان قد سير هشام جيشا آخر من ناحية أخرى فدخلوا ايضا على ميعاد من عبد الملك فاخربوا ونهبوا وغنموا فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو اعترضهم عسكر الفرنج فنال منهم وقتل نفرا من المسلمين ثم تخلصوا وسلموا وعادوا سالمين سوى من قتل منهم

(ذكر عدة حوادث)

فيها عاد الفضل بن يحيى من خراسان فاستعمل الرشيد منصور بن يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى واعتمر الرشيد فى شهر رمضان شكرا لله تعالى على قتل الوليد بن طريف وعاد الى المدينة فاقام بها الى وقت الحج وحج بالناس ومشى من مكة الى منى ثم الى عرفات وشهد المشاعر كلها ماشيا ورجع على طريق البصرة وفيها خرج بخراسان حمزة بن اترك السجستانى وفيها توفى حماد بن زيد بن درهم الازدى مولاهم ابو اسمعيل ومالك بن أنس الاصبحى الامام استاذ الشافعى وفيها توفى مسلم بن خالد الزنجى ابو عبد الله الفقيه المكى وصحبه الشافعى قبل مالك واخذ عنه الفقه وانما قيل له الزنجى لانه كان ابيض مشربا بحمرة وعباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة المهلبى البصرى وابو الاحوص سلام بن سليم الحنفى (سلام بتشديد اللام)

(ثم دخلت سنة ثمانين ومائة)

(ذكر وفاة هشام)

فيها مات هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان صاحب الاندلس فى صفر وكانت امارته سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وقيل تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر وكان عمره تسعا وثلاثين سنة واربعة أشهر وكنيته ابو الوليد وكانت أمه أم ولد وكان أبيض اشهل مشربا بحمرة بعينيه حول وخلف خمسة بنين وكان عاملا حازما ذا رأى وشجاعة وعدل خيرا محبا لاهل الخير والصلاح شديدا على الاعداء راغبا فى الجهاد ومن احسن عمله انه أخرج مصدقا يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه أيام ولايته وهو الذى تمم بناء الجامع بمدينة قرطبة وكان أبوه قد مات قبل فراغه منه وبنى عدة مساجد معه وبلغ من عز الاسلام فى أيامه وذل الكفران رجلا مات فى ايامه وكان وصى ان يفك أسير من المسلمين من تركته فطلب ذلك فلم يوجد فى دار الكفار أسير يشترى ويفك لضعف العدو وقوة المسلمين ومناقبه كثيرة قد ذكرها أهل الاندلس كثيرا وبالغوا حتى قالوا كان يشبه فى سيرته بعمر بن عبد العزيز رحمه الله

(ذكر ولاية ابنه الحكم ولقبه المنتصر)

ولما مات استخلف بعده ابنه الحكم وكان الحكم صارما حازما وهو أول من استكثر من المماليك بالاندلس وارتبط الخيل ببابه وتشبه بالجبابرة وكان يباشر الامور بنفسه وكان فصيحا شاعرا ولما ولى خرج عليه عماه سليمان وعبد الله وكانا فى بر العدوة الغربية فعبر عبد الله البلنسى الى الاندلس فتولى بلنسية وتبعه أخوه سليمان وكان بطنجة وأقبلا يؤلبان الناس على الحكم ويثيران الفتنة فتحاربوا مدة والظفر للحكم ثم ان الحكم ظفر بعمه سليمان فقتله سنة أربع وثمانين ومائة (واما عبد الله) فاقام ببلنسية وقد كف عن الفتنة وخاف فراسل الحكم فى الصلح فأجابه الى ذلك فوقع الصلح بينهما سنة ست وثمانين وزوج اولاد عبد الله باخواته وسكنت الفتنة ولما اشتغل الحكم بالفتنة مع عميه اغتنم الفرنج الفرصة فقصدوا بلاد الاسلام واخذوا مدينة برشلونة واتخذوها دارا ونقلوا أصحابهم اليها وتأخرت عساكر المسلمين عنها وكان اخذها سنة

منى قال جبريل وانا منكم كذلك ذكره اسحق ابن ابراهيم وغيره ووقف على على سائل فقال للحسن قل لامك تدفع اليه درهما فقال انما عندنا ستة دراهم للدقيق فقال على لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ثم امر للسائل بالستة الدراهم كلها فما برح على رضى الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما وانسأ أجله ثمانية ايام فلم يحل اجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتى درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع على منه مائة وأربعين درهما للذى ابتاعه منه ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام فسألته من اين هى فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومر ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونه فقال لقائده أدننى منهم فادناه فقال أيكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

خمس وثمانين ومائة

﴿ذكر غزو الفرنج بالاندلس﴾

فى هذه السنة سير الحكم صاحب الاندلس جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فدخل البلاد وبث السرايا ينهبون و يقتلون ويحرقون البلاد وسير سرية تجاز وا خليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه وكان الفرنج قد جعلوا أموالهم وأهليهم وراء ذلك الخليج ظنا منهم ان أحدا لا يقدر ان يعبر اليهم فجاءهم مالم يكن فى حسابهم فغنم المسلمون جميع مالهم وأسروا الرجال وقتلوا منهم فاكثروا وسبوا الحريم وعادوا سالمين الى عبد الكريم وسير طائفة أخرى فخربوا كثيرا من بلاد فرنسية وغنم أموال أهلها وأسروا الرجال فاخبره بعض الاسرى ان جماعة من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين الى وادوعر المسالك على طريقهم فجمع عبد الكريم عساكره وسار على تعبية وجد السير فلم يشعر الكفار الا وقد خالطهم المسلمون فوضعوا السيف فيهم فانهزموا وغنم مامعهم وعاد سالما هو ومن معه

﴿ذكر ولاية على بن عيسى خراسان﴾

وفيها عزل الرشيد منصور بن يزيد عن خراسان واستعمل عليها على بن عيسى بن ماهان فوليها عشر سنين وفى ولايته خرج حمزة بن اترك الخارجى أيضا فجاء الى بوشنج فخرج اليه عمرويه بن يزيد الازدى وكان على هراة فى ستة آلاف فقاتله فهزمه حمزة وقتل من أصحابه جماعة ومات عمرويه فى الزحام فوجه اليه على بن عيسى ابنه الحسين فى عشرة آلاف فلم يحارب حمزة فعزله وسير عوضه ابنه عيسى بن على فقاتل حمزة فهزمه حمزة فرده أبوه اليه أيضا فقاتله بباخرز وكان حمزة بنيسابور فانهزم حمزة وقتل أصحابه وبقى فى أربعين رجلا فقصد قهستان وأرسل عيسى أصحابه الى أوق وجوين فقتلوا من بها من الخوارج وقصد القرى التى كان أهلها يعينون حمزة فاحرقها وقتل من فيها حتى وصل الى زرنج فقتل ثلاثين ألفا ورجع وخلف بزرنج عبد الله بن العباس النسفى فجبى الاموال وسار بها فلقيه حمزة باسفزار فقاتله فصبر له عبد الله ومن معه من الصغد فانهزم حمزة وقتل كثير من أصحابه وجرح فى وجهه واختفى هو ومن سلم من اصحابه فى الكروم ثم خرج وسار فى القرى يقتل ولا يبقى على احد وكان على بن عيسى قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فسار اليه حمزة وانتهى الى مكتب فيه ثلاثون غلاما فقتلهم وقتل معلمهم و بلغ طاهرا الخبر فاتى قرية فيها قعد الخوارج وهم الذين لا يقاتلون ولا ديوان لهم فقتلهم طاهر وأخذ أموالهم وكان يشد الرجل منهم فى شجرتين يجمعهما ثم يرسلهما فتأخذ كل شجرة نصفه فكتب القعد الى حمزة بالكف فكف وواعدهم وأمن الناس مدة وكانت بينه وبين أصحاب على بن عيسى حروب كثيرة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها سار جعفر بن يحيى بن خالد الى الشام للعصبية التى بها ومعه القواد والعساكر والسلاح والاموال فسكن الفتنة وأطفأ النائرة وعاد الناس الى الامن والسكون وفيها اخذ الرشيد الخاتم من جعفر فدفعه الى يحيى بن خالد وفيها ولى جعفر خراسان وسجستان ثم عزله عنها بعد عشرين ليلة واستعمل عليها عيسى بن جعفر وولى جعفر بن يحيى الحرس وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب العطاف بن سفيان الازدى سار اليها بنفسه وهدم سورها واقسم ليقتلن من لقى من اهلها فافتاه القاضى ابو يوسف ومنعه من ذلك وكان العطاف قد سار عنها نحو ارمينية فلم يظفر به الرشيد ومضى الى الرقة فاتخذها وطنا وفيها عزل هرثمة بن اعين عن افريقية واستقدمه الى بغداد

واستخلفه

نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم الساب على بن أبى طالب قالوا أما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبنى فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبنى فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك بأعين مزورة
نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدنى فداك أبى وأمى فقال

خزر العيون منكسى اذقانهم
نظر الذليل الى العزيز القاهر

قال زدنى فداك أبى وأمى قال ماعندى مزيد ولكن عندى

أحياؤهم تخزى على أمواتهم
والميتون فضيحة للغابر

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد ابن على بن الحسين بن على ان عليا قال فى صبيحة الليلة التى ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه مايفر منه والاجل تساق

واستخلفه جعفر بن يحيى على الحرس وفيها كانت بمصر زلزلة عظيمة سقط منها رأس منارة الاسكندرية وفيها خرج خراشة الشيبانى بالجزيرة فقتله مسلم بن بكار العقيلى وفيها خرجت المحمرة بجرجان وفيها عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان ووليها عبد الله بن خازم وولى سعيد بن سلم الجزيرة وغزا الصائفة محمد بن معاوية بن زفر بن عاصم وفيها سار الرشيد الى الحيرة وابتنى بها المنازل فاقطع أصحابه القطائع فثار بهم أهل الكوفة وأساؤا مجاورته فعاد الى بغداد وحج بالناس هذه السنة موسى بن عيسى بن محمد بن على وفيها استعمل الرشيد على الموصل يحيى بن سعيد الحرشى فاساء السيرة فى أهلها وظلمهم وطالبهم بخراج سنين مضت فجلا اكثر أهل البلد وفى هذه السنة توفى المبارك بن سعيد الثورى أخو سفيان وسلمة الاحمر وسعيد بن خيثم وأبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد وعبد العزيز بن أبى حازم وتوفى وهو ساجد وأبو ضمرة أنس بن عياض الليثى المدنى وفيها أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة وحصنها وسير اليها جندا من أهل خراسان وغيرهم فاقطعهم بها المنازل

﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة﴾

﴿ذكر ولاية محمد بن مقاتل افريقية﴾

وفى هذه السنة استعمل الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكى لما استعفى منها هرثمة ابن أعين على ماذكرناه سنة سبع وسبعين ومائة وكان محمد هذا رضيع الرشيد فقدم القيروان أول رمضان فتسلمها وعاد هرثمة الى الرشيد فلما استقر فيها لم يكن بالمحمود السيرة فاختلف الجند عليه واتفقوا على تقدم مخلد بن مرة الازدى واجتمع كثير من الجند والبربر وغيرهم فسير اليه محمد بن مقاتل جيشا فقاتلوه فانهزم مخلد واختفى فى مسجد فاخذ وذبح وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمى فى جمع كثير وسار الى القيروان فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وخرج اليه محمد بن مقاتل العكى فى الذين معه فاقتتلوا بمنية الخيل فانهزم ابن العكى الى القيروان وسار تمام فدخل القيروان وآمن ابن العكى على ان يخرج عن أفريقية فسار فى رمضان الى طرابلس فجمع ابراهيم بن الاغلب التميمى جمعا كثيرا وسار الى القيروان منكرا لما فعله تمام فلما قاربها سار عنها الى تونس ودخل ابراهيم القيروان وكتب الى محمد بن مقاتل يعلمه الخبر و يستدعيه الى عمله فعاد الى القيروان فثقل ذلك على أهل البلد وبلغ الخبر الى تمام فجمع جمعا وسار الى القيروان ظنا منه ان الناس يكرهون محمدا و يساعدونه عليه فلما وصل قال ابن الاغلب لمحمد ان تماما انهزم منى وانا فى قلة فلما وصلت الى البلاد تجددله طمع لعلمه ان الجند يخذلونك والرأى ان اسير أنا ومن معى من اصحابى فنقاتله ففعل ذلك وسار اليه فقاتله فانهزم تمام وقتل جماعة من اصحابه ولحق بمدينة تونس فسار ابراهيم بن الاغلب اليه ليحصره فطلب منه الامان فآمنه

﴿ذكر ولاية ابراهيم بن الاغلب افريقية﴾

لما استقر الامر لمحمد بن مقاتل ببلاد أفريقية وأطاعه تمام كره أهل البلاد ذلك وحملوا ابراهيم ابن الاغلب على ان كتب الى الرشيد يطلب منه ولاية أفريقية فكتب اليه فى ذلك وكان على ديار مصر كل سنة مائة ألف دينار تحمل الى أفريقية معونة فنزل ابراهيم عن ذلك وبذل ان يحمل كل سنة أربعين ألف دينار فاحضر الرشيد ثقاته واستشارهم فيمن يوليه أفريقية وذكر لهم كراهة أهلها ولاية محمد بن مقاتل فاشار هرثمة بابراهيم بن الاغلب وذكر له مارآه من عقله ودينه وكفايته وانه قام بحفظ أفريقية على ابن مقاتل فولاه الرشيد فى المحرم سنة أربع وثمانين

النفس اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله عز وجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون أما وصيتى فلا تشركوا به شيأ ومحمد لا تضيعوا سنته أقيموا هذين العمودين حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كنا فى اعصار وذوى رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فحطها من الارض حيا وبقى من بعدى خبرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوئى وخفوت اطرافى انه أوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا أفارقكم ان أفق فانا ولى دمى وان أمت فالقيامة ميعادى والعفو اقرب للتقوى ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم

ومن خطبه قبل هذا وتزهيده فى هذه الدنيا قوله فى بعض مقاماته وخطبه ان الدنيا قد أدبرت

ومائة فانقمع الشر وضبط الامر وسيرة تماما وكل من يتوثب على الولاة الى الرشيد فسكنت البلاد وابتنى مدينة سماها العباسية بقرب القيروان وانتقل اليها باهله وعبيده وخرج عليه سنة ست وثمانين ومائة رجل من ابناء العرب بمدينة تونس اسمه حمديس فنزع السواد وكثر جمعه فبعث اليه ابن الاغلب عمران بن مخلد فى عساكر كثيرة وأمره ان لا يبقى على أحد منهم ان ظفر بهم فسار عمران والتقوا واقتتلوا وصار أصحاب حمديس يقولون بغداذ بغداذ وصبر الفريقان فانهزم حمديس ومن معه وأخذهم السيف فقتل منهم عشرة آلاف رجل ودخل عمران تونس ثم بلغ ابن الاغلب ان ادريس بن ادريس العلوى قد كثر جمعه باقاصى المغرب فاراد قصده فنهاه أصحابه وقالوا اتركه ما تركك فاعمل الحيلة وكاتب القيم بامره من المغاربة واسمه بهلول بن عبد الواحد واهدى اليه ولم يزل به حتى فارق ادريس وأطاع ابراهيم وتفرق جمع ادريس فكتب الى ابراهيم يستعطفه ويسأله الكف عن ناحيته ويذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه ثم ان عمران بن مخلد المقدم ذكره وكان من بطانة ابراهيم بن الاغلب وينزل معه فى قصره ركب يوما مع ابراهيم وجعل يحدثه فلم يفهم من حديثه شيأ لاشتغال قلبه بهم كان له فاستعاد الحديث من عمران فغضب وفارق ابراهيم وجمع جمعا كثيرا وثار عليه فنزل بين القيروان والعباسية وصارت القيروان وأكثر بلاد افريقية معه فخندق ابراهيم على العباسية وامتنع فيها ودامت الحرب بينهما سنة كاملة فسمع الرشيد الخبر فأنفذ الى ابراهيم خزانة مال فلما صارت اليه الاموال أمر مناديا ينادى من كان من جند أمير المومنين فليحضر لاخذ العطاء ففارق عمران أصحابه وتفرقوا عنه فوثب عليهم أصحاب ابراهيم فانهزموا فنادى ابراهيم بالامان والحضور لقبض العطاء فحضروا فاعطاهم وقلع أبواب القيروان وهدم فى سورها وأما عمران فسار حتى لحق بالزاب فاقام به حتى مات ابراهيم وولى بعده ابنه عبد الله فأمن عمران فحضر عنده وأسكنه معه فقيل لعبد الله ان هذا ثار بابيك ولا نأمنه عليك فقتله ولما انهزم عمران سكن الشر بافريقية وأمن الناس فبقى كذلك الى ان توفى ابراهيم فى شوال سنة ست وتسعين ومائة وعمره ست وخمسون سنة وامارته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام

﴿ذكر ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية﴾

ولما توفى ابراهيم بن الاغلب ولى بعده ابنه عبد الله وكان عبد الله غائبا بطرابلس قد حصره بربر على ما نذكره سنة ست وتسعين ومائة فعهد اليه أبوه بالامارة وأمر ابنه زيادة الله بن ابراهيم ان يبايع لاخيه عبد الله بالامارة فكتب الى أخيه بموت أبيه وبالامارة ففارق طرابلس ووصل الى القيروان فاستقامت الامور ولم يكن فى ايامه شر ولا حرب وسكن الناس فعمرت البلاد وتوفى فى ذى الحجة سنة احدى ومائتين

﴿ذكر من خالف بالاندلس على صاحبها﴾

وفى هذه السنة خالف بهلول بن مرزوق المعروف بابى الحجاج فى ناحية الثغر من بلاد الاندلس ودخل سرقسطة وملكها فقدم على بهلول فيها عبد الله بن عبد الرحمن عم صاحبها الحكم ويعرف بالبلنسى وكان متوجها الى الفرنج وخالف فيها عبيدة بن حميد بطليطلة وأمر الحكم القائد عمروس بن يوسف وهو بمدينة طلبيرة أن يحارب اهل طليطلة فكان يكثر قتالهم وضيق عليهم ثم ان عمروس بن يوسف كاتب رجالا من أهل طليطلة يعرفون ببنى مخشى واستمالهم فوثبوا على عبيدة بن حميد وقتلوه وحملوا رأسه الى عمروس فسير الرأس الى الحكم وانزل بنى مخشى عنده

وكان

وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غدا ألا انكم فى أيام امل وراءه اجل فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة ألا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ألا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يجر به الضلال وقد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد فان اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتى عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب أو يبلغه اسهاب مسهب أو اطناب مطنب وقد أتينا على جمل من أخباره وزهده وسيره وأنواع من كلامه وخطبه فى كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان فى اخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودى) والاشياء التى استحق بها أصحاب رسول

وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طلبيرة ذحول فتسوّر البربر عليهم فقتلوهم فسير عمروس رؤسهم مع رأس عبيدة الى الحكم وأخبره الخبر من باب آخر فمن دخل منهم عدل به الى موضع آخر فقتلوه حتى قتل منهم سبعمائة رجل فاستقامت تلك الناحية

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها غزا الرشيد أرض الروم فافتتح حصن الصفصاف وفيها غزا عبد الملك بن صالح أرض الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفيها توفى حمزة بن مالك وفيها غلبت المحمرة على خراسان وفيها احدث الرشيد فى صدر كتبه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج بالناس الرشيد وفى هذه السنة كان الفداء بين الروم والمسلمين وهو أول فداء كان أيام بنى العباس وكان القاسم بن الرشيد هو المتولى له وكان الملك نقفور ففرح بذلك الناس ففودى بكل أسير فى بلاد الروم وكان الفداء باللامس على جانب البحر بينه وبين طرسوس اثنا عشر فرسخا وحضر ثلاثون ألفا من المرتزقة مع أبى سليمان فرج الخادم متولى طرسوس وخلق كثير من اهل الثغور وغيرهم من العلماء والاعيان وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وقيل أكثر من ذلك وفيها توفى الحسن بن قحطبة وهو من قواد المنصور هو وابوه وكان عمره اربعا وثمانين سنة وعبد الله بن المبارك المروزى توفى فى رمضان بهيت وعمره ثلاث وستون سنة وعلى بن حمزة أبو الحسن الازدى المعروف بالكسائى المقرى النحوى بالرى وقيل مات سنة ثلاث وثمانين وفيها توفى مروان بن سليمان بن يحيى ابن أبى حفصة الشاعر وكان مولده سنة خمس ومائة وفيها توفى أبو يوسف القاضى واسمه يعقوب ابن ابراهيم وهو أكبر أصحاب أبى حنيفة وفيها توفى يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان مولى عبد الله ابن خازم السلمى وكان يعقوب وزير المهدى وهاشم بن البريد ويزيد بن زريع وحفص بن ميسرة الصنعانى من صنعاء دمشق (البريد بفتح الباء الموحدة وكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة﴾

فى هذه السنة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الامين وولاه خراسان وما يتصل بها الى همدان ولقبه المأمون وسلمه الى جعفر بن يحيى وهذا من العجائب فان الرشيد قد رأى ما صنع أبوه وجده المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد وما صنع اخوه الهادى ليخلع نفسه من العهد فلو لم يعاجله الموت لخلعه ثم هو يبايع للمأمون بعد الامين وحبك الشئ يعمى ويصم وفيها حملت ابنة خاقان ملك الخزر الى الفضل بن يحيى فماتت ببرذعة فرجع من معها الى أبيها فاخبروه انها قتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح فبلغ افسوس مدينة أصحاب الكهف وفيها سملت الروم عينى ملكهم قسطنطين بن اليون وأقروا أمه رينى وتلقب اغسطة وحج بالناس موسى بن عيسى بن موسى وكان على الموصل هرثمة ابن أعين وفيها جاز سليمان بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الاندلس من الشرق وتعرض لحرب ابن أخيه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب البلاد فسار اليه الحكم فى جيوش كثيرة وقد اجتمع الى سليمان كثير من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة فالتقيا واقتتلا واشتدت الحرب فانهزم سليمان واتبعه عسكر الحكم وعادت الحرب بينهم ثانية فى ذى الحجة فانهزم فيها سليمان واعتصم بالوعر والجبال فعاد الحكم ثم عاد سليمان فجمع برابر وأقبل الى جانب استجة فسار اليهم الحكم فالتقوا واقتتلوا سنة ثلاث وثمانين ومائة واشتد القتال فانهزم سليمان واحتمى بقرية فحصره الحكم وعاد سليمان منهزما الى ناحية قريش وفيها كان بقرطبة سيل عظيم فغرق كثير من ربضها

الله صلى الله عليه وسلم الفضل هى السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقربى منه والقناعة وبذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد فى سبيل الله والورع والزهد والقضاء والحكم والعفة والعلم وكل ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه أنت اخى وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه أنس الطائر اللهم ادخل الى احب خلقك اليك يأكل معى من هذا الطائر فدخل عليه على الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره ولكل فضائل ممن تقدم وتاخر وقبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم

القبلى وخرب كثير منه و بلغ السيل شقندة وفى هذه السنة مات جعفر الطيالسى المحدث وعمار بن محمد بن أخت سفيان الثورى وعبد العزيز بن محمد بن ابى عبيد الدراوردى مولى جهينة وكان ابوه من دارابجرد فاستثقلوا ان نسبته اليها فقالوا دراوردى وفيها توفى دراج أبو السمح واسمه عبد الله بن السمح وقيل عبد الرحمن بن السمح بن أسامة التجيبى المصرى وكان مولده سنة خمس وعشرين ومائة وعفيف بن سالم الموصلى

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام﴾

وفيها خرج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الابواب فاوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وانتهكوا أمرا عظيما لم يسمع بمثله فى الارض فولى الرشيد ارمينية يزيد بن مزيد مضافا الى اذربيجان ووجهه اليهم وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين ردأ لاهل ارمينية وقيل ان سبب خروجهم ان سعيد بن سلم قتل المنجم السلمى فدخل ابنه الخزر واستجاشهم على سعيد فخرجوا ودخلوا ارمينية من الثلمة فانهزم سعيد وأقاموا نحو سبعين يوما فوجه الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد فاصلحا ما أفسد سعيد وأخرجا الخزر وسدا الثلمة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها استقدم الرشيد على بن عيسى من خراسان ثم رده عليها من قبل ابنه المأمون وأمره بحرب أبى الخصيب وفيها خرج بنسا من خراسان أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائى وحج بالناس العباس بن الهادى وفيها مات موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ببغداد فى حبس الرشيد وكان سبب حبسه ان الرشيد اعتمر فى شهر رمضان من سنة تسع وسبعين ومائة فلما عاد الى المدينة على ساكنها الصلاة والسلام دخل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم يزوره ومعه الناس فلما انتهى الى القبر وقف فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فدنا موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا ابت فتغير وجه الرشيد وقال هذا الفخر يا أبا الحسن جدا ثم أخذه معه الى العراق فحبسه عند السندى بن شاهك وتولى حبسه أخت السندى بن شاهك وكانت تتدين فحكت عنه انه كان اذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه الى ان يزول الليل ثم يقوم فيصلى حتى يصلى الصبح ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال ثم يتوضأ ويصلى حتى يصلى العصر ثم يذكر الله حتى يصلى المغرب ثم يصلى ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه الى ان مات وكانت اذا رأته قالت خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح وكان يلقب الكاظم لانه كان يحسن الى من يسىء اليه كان هذا عادته أبدا ولما كان محبوسا بعث الى الرشيد رسالة أنه لن ينقضى عنى يوم من البلاء الا ينقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضيا جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون وفيها كانت بالاندلس فتنة وحرب بين قائد كبير يقال له أبو عمران وبين بهلول بن مرزوق وهو من أعيان الاندلس وكان عبد الله البلنسى مع أبى عمران فانهزم أصحاب بهلول وقتل كثير منهم وفيها توفى يونس بن حبيب النحوى المشهور أخذ العلم عن أبى عمرو ابن العلاء وغيره وكان عمره قد زاد على مائة سنة وفيها مات موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس ومحمد بن صبيح أبو العباس المذكر المعروف بابن السماك وهشيم بن بشير الواسطى توفى فى شعبان وكان ثقة الا انه كان يصحف ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة قاضى المدائن

بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت امور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من امورهم ما تقدم وما روى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد فيهم ما تقدم والله أعلم بما حدث والله ولى التوفيق

(ذكر خلافة الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه)

ثم بويع الحسن بن على بن أبى طالب بالكوفة بعد وفاة على أبيه بيومين فى شهر رمضان من سنة أربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ما ذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن على لخمس بقين من شهر ربيع فى سنة احدى وأربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولى التوفيق

بها وكان عمره ثلاثا وستين سنة ويوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون (صبيح بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة وبشر بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة﴾

وفيها ولى الرشيد حمادا البربرى اليمن ومكة وولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى السند ويحيى الحرشى الجبل ومهرويه الرازى طبرستان وقام بامر افريقية ابراهيم بن الاغلب فولاه اياها الرشيد وفيها خرج أبو عمرو الشارى فوجه اليه زهيرا القصاب فقتله بشهرزور وفيها طلب أبو الخصيب الامان فامنه على بن عيسى بن ماهان وحج بالناس ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على وكان على الموصل وأعمالها يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وفيها سار عبد الله بن عبد الرحمن البلنسى الى مدينة اشقة من الاندلس فنزل بها مع أبى عمران ومع العرب فسار اليهم بهلول بن مرزوق وحاصرهم فيها فتفرق العرب عنهم ودخل بهلول مدينة أشقة وسار عبد الله الى مدينة بلنسية فاقام بها وفيها توفى المعافى بن عمران الموصلى الازدى وقيل سنة خمس وثمانين وفيها توفى عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب الذى يقال له العابد وعبد السلام بن شعيب بن الحبحاب الازدى وعبد الاعلى بن عبد الله الشامى المصرى من بنى شامة بن لؤى وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى أبو محمد

﴿ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة﴾

فى هذه السنة قتل أهل طبرستان مهرويه الرازى وهو واليها فولى الرشيد مكانه عبد الله بن سعيد الحرشى وفيها قتل عبد الرحمن الانبارى ابان بن قحطبة الخارجى بمرج القلعة وفيها مات حمزة الخارجى بباذغيس فقتل عيسى بن على بن عيسى من أصحابه عشرة آلاف وبلغ عيسى كابل وزابلستان وفيها غدر أبو الخصيب بابنه وغلب على ابيورد وطوس ونيسابور وحصر مرو ثم انهزم عنها وعاد الى سرخس وعاد أمره قويا وفيها استأذن جعفر بن يحيى فى الحج والمجاورة فاذن له فخرج فى شعبان واعتمر فى رمضان وأقام بجدة مرابطا الى ان حج وفيها جمع الحكم صاحب الاندلس عساكره وسار الى عمه سليمان بن عبد الرحمن وهو بناحية قريش فقاتله فانهزم سليمان وقصد ماردة فتبعه طائفة من عسكر الحكم فاسروه فلما حضر عند الحكم قتله وبعث برأسه الى قرطبة وكتب الى أولاد سليمان وهم بسرقسطة كتاب أمان واستدعاهم فحضروا عنده بقرطبة وفيها وقعت فى المسجد الحرام صاعقة قتلت رجلين وحج بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن على وفيها مات عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس ولم يكن سقط له سن وقيل كانت أسنانه قطعة واحدة من أسفل وقطعة واحدة من فوق وهو قعدد بنى عبد مناف لانه كان فى القرب الى عبد مناف بمنزلة يزيد بن معاوية وبين موتهما ما يزيد على مائة وعشرين سنة وفيها املاث الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس وأخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وتأخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشتغال الحكم صاحب الاندلس بمحاربة عميه عبد الله وسليمان على ما تقدم وفيها سار الرشيد من الرقة الى بغداد على طريق الموصل وفيها مات يقطين بن موسى ببغداد وفيها أيضا توفى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وهو ابن أخى معن بن زائدة بمدينة برذعة وولى مكانه أسد بن يزيد وكان يزيد ممدحا جوادا كريما شجاعا وأكثر الشعراء مراثيه ومن أحسن ما قيل فى هذه المراثى ما قاله أبو محمد التيمى يرثيه به فانه بجودته

أحقا انه أودى يزيد * تبين أيها الناعى المشيد
أتدرى من نعيت وكيف فاهت * به شفتاك كان بها الصعيد

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره رضى الله عنه﴾

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال دخل الحسين على عمى الحسن بن على لما سقى السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدى فرأيتنى أقلبه بعود فى يدى فقال له الحسين يا أخى من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذى أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بى برىء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى توفى رضى الله عنه (وذكر) أن امرأته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى سقته السم وقد كان معاوية دس اليها انك ان احتلت فى قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذى بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته

أحامى المجد والاسلام أودى * فما للارض ويحك لاتميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل مالت سيوف بنى نزار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * بدرتها وهل يخضر عود
أماهدت لمصرعه نزار * بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه اذ حل فيه * طريف المجد والحسب التليد
أما والله ماتنفك عينى * عليك بدمعها أبدا تجود
فان تجمد دموع لئيم قوم * فليس دموع ذى حسب جمود
أبعد يزيد تختزن البواكى * دموعا أو يصان لها خدود
لتبكك قبة الاسلام لما * وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر * له نسبا وقد كسد القصيد
فمن يدعو الامام لكل خطب * ينوب وكل معضلة تؤد
ومن يحمى الخميس اذا تعايا * بحيلة نفسه البطل النجيد
فان يهلك يزيد فكل حى * فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا * فتكن به وهن له جنود
قصدن له وكن يحدن عنه * اذا ما الحرب شب لها وقود
لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

وكان الرشيد اذا سمع هذه المرثية بكى وكان يستجيدها ويستحسنها وفيها توفى محمد بن ابراهيم الامام ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ببغداد وعبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير والمغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن عياش المخزومى ويعرف بالحزامى وكان مولده سنة أربع وعشرين ومائة وحاج الصواف وهو ابن أبى عثمان ميسرة (عياش بالشين المعجمة والياء المثناة من تحت الحزامى بالحاء المهملة والزاى)

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة﴾

﴿ذكر اتفاق الحكم صاحب الاندلس وعمه عبد الله﴾

فى هذه السنة اتفق الحكم بن هشام بن عبد الرحمن أمير الاندلس وعمه عبد الله بن عبد الرحمن البلنسى وسبب ذلك ان عبد الله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه وخاف على نفسه ولزم بلنسية ولم يفارقها ولم يتحرك لاثارة فتنة وأرسل الى الحكم يطلب المسالمة والدخول فى طاعته وقيل بل الحكم أرسل اليه رسلا وكتب اليه يعرض عليه المسالمة ويؤمنه ويبذل له الارزاق الواسعة ولاولاده فاجاب عبد الله الى الاتفاق واستقرت القاعدة بينهم على يد يحيى بن يحيى صاحب مالك وغيره من العلماء وزوج الحكم اخواته من أولاد عمه عبد الله وسار اليه عبد الله فاكرمه الحكم وعظم محله واجرى له ولاولاده الارزاق الواسعة والصلات السنية وقيل ان المراسلة فى الصلح كانت هذه السنة واستقر الصلح سنة سبع وثمانين ومائة

﴿ذكر حج الرشيد وأمر كتاب ولاية العهد﴾

فى هذه السنة حج بالناس هرون الرشيد سار الى مكة من الانبار فبدأ بالمدينة فاعطى فيها ثلاثة أعطية أعطى هو عطاء ومحمد الامين عطاء وعبد الله المأمون عطاء وسار الى مكة فاعطى أهلها

والله ماوفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفى فعل جعدة يقول النجاشى الشاعر وكان من شيعة على فى شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تسأمى
بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله
فى الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره
يرفعها بالسند الغاتل
كيما يراها بائس مرمل
وفرد قوم ليس بالآهل
يغلى بنىء اللحم حتى اذا
أنضجه لم يغل كل آكل
اعنى الذى اسلمناه لكه
للزمن المستخرج الماحل

وفى ذلك يقول آخر من شيعة على رضى الله عنه

تأس فكم لك من سلوة
تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى وقتل الوصى
وقتل الحسين وسم الحسن

(قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى كتاب الاخبار لابى الحسن على ابن محمد بن سليمان النوفلى عن صالح بن على بن عطية الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمى عن أبى عون صاحب الدوله عن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند

فبلغ ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار وكان الرشيد قد ولى الامين العراق والشام والى آخر المغرب وضم الى المأمون من همدان الى آخر المشرق ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ولقبه المؤتمن وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم وكان فى حجر عبد الملك بن صالح وجعل خلعه واثباته الى المأمون ولما وصل الرشيد الى مكة ومعه أولاده والفقهاء والقضاة والقواد كتب كتابا أشهد فيه على محمد الامين وأشهد فيه من حضر بالوفاء للمأمون وكتب كتابا للمأمون أشهدهم عليه فيه بالوفاء للامين وعلق الكتابين فى الكعبة وجدد العهود عليهما فى الكعبة ولما فعل الرشيد ذلك قال الناس قد ألقى بينهم شرا وحربا وخافوا عاقبة ذلك فكان ماخافوه ثم ان الرشيد فى سنة تسع وثمانين شخص الى قرماسين ومعه المأمون وأشهد على نفسه من عنده من القضاة والفقهاء ان جميع مافى عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمأمون وجدد له البيعة عليهم وأرسل الى بغداد فجدد له البيعة على محمد الامين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سار على بن عيسى بن ماهان من مرو الى نسا لحرب أبى الخصيب فحاربه فقتله وسبى نساءه وذراريه واستقامت خراسان وفيها توفى خالد بن الحرث وبشر بن المفضل وأبو اسحق ابراهيم بن محمد الفزارى وفيها مات عبد الله بن صالح بن عبد الله بن عباس بسلمية فى ربيع الاول وفيها توفى على بن عباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى رجب وعمره خمس وستون سنة وستة أشهر وهو ابن اخى السفاح والمنصور وفيها توفى عمر بن يونس منصرفه من الحج باليمامة وفيها توفى عباد بن عباد بن العوام الفقيه ببغداد وتوفى شقران بن على الزاهد بالاندلس وكان فقيها وفيها توفى راشد مولى عيسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان قد دخل المغرب مع ادريس بن عبد الله بن الحسن وقام بعده بامر البربر أبو خالد يزيد بن الياس

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة﴾

﴿ذكر ايقاع الرشيد بالبرامكة﴾

وفى هذه السنة أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وكان سبب ذلك ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدى وكان يحضرهما اذا جلس للشرب فقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فانى لا أطيق الصبر عنها فاجابه الى ذلك فزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاما فخافت الرشيد فسيرته مع حواضن له الى مكة فاعطته الجواهر والنفقات ثم ان عباسة وقع بينها وبين بعض جواريها شر فانهت الى الرشيد فحج هرون هذه السنة وبحث عن الامر فعلمه وكان جعفر يصنع للرشيد طعاما بعسفان اذا حج فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده فكان ذلك أول تغير أمرهم وقيل كان سبب ذلك ان الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على الى جعفر بن يحيى بن خالد فحبسه ثم دعا به ليلة وسأله عن بعض أمره فقال له اتق الله فى أمرى ولا تتعرض ان يكون غدا خصمك محمد صلى الله عليه وسلم فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق له وقال اذهب حيث شئت من بلاد الله قال فكيف اذهب ولا آمن ان أوخذ فوجه معه من أداه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد فقال ما أنت وهذا فلعله عن أمرى ثم أحضر جعفر الطعام فجعل يلقمه ويحادثه ثم سأله عن يحيى فقال هو بحاله فى الحبس فقال بحياتى ففطن جعفر فقال لا وحياتك وقص عليه أمره وقال علمت انه

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل على بن أبى طالب فلما رآه اسفر فى وجهه فقلت يارسول الله انك لتسفر فى وجه هذا الغلام فقال ياعم رسول الله والله لله أشد حبا له منى ولم يكن نبى الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتى بعدى من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعى الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضى الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال ائن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لاتكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى اكف الحق وارضعتك ثدى الايمان وربيت فى حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) فى وجه آخر من الروايات فى أخبار أهل البيت ان محمدا وقف

لا مكروه عنده فقال نعم ما فات ما عدوت ما فى نفسى فلما قام عنه قال تعالى الله ان لم أقتلك فكان من أمره ما كان وقيل كان من الاسباب ان جعفرا ابتنى دارا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم فرفع ذلك الى الرشيد وقيل هذه غرامته على دار فما ظنك بنفقاته وصلاته وغير ذلك فاستعظمه وكان من الاسباب أيضا الا انه مما لا تعده العامة سببا وهو أقوى الاسباب ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول وقد تعلق باستار الكعبة فى حجته هذه اللهم ان كان رضاك ان تسلبنى نعمك عندى فاسلبنى اللهم ان كان رضاك ان تسلبنى مالى وأهلى وولدى فاسلبنى الا الفضل ثم ولى فلما كان عند باب المسجد رجع فقال مثل ذلك وجعل يقول اللهم انه سمج بمثلى ان يستثنى عليك اللهم والفضل وسمع أيضا يقول فى ذلك المقام اللهم ان ذنوبى جمة عظيمة لا يحصيها غيرك اللهم ان كنت تعاقبنى فاجعل عقوبتى بذلك فى الدنيا وان أحاط ذلك بسمعى وبصرى وولدى ومالى حتى يبلغ رضاك ولا تجعل عقوبتى فى الآخرة فاستجيب له فلما انصرفوا من الحج ونزلوا الانبار ونزل الرشيد العمر نكبهم وكان أول ما ظهر من فساد حالهم ان على بن عيسى بن ماهان سعى بموسى بن يحيى بن خالد واتهمه فى أمر خراسان وأعلم الرشيد انه يكاتبهم ليسير اليهم ويخرجهم عن الطاعة فحبسه ثم أطلقه وكان يحيى بن خالد يدخل على الرشيد بغير اذن فدخل عليه يوما وعنده جبرئيل بن بختيشوع الطبيب فسلم فرد الرشيد ردا ضعيفا ثم أقبل الرشيد على جبرئيل فقال أيدخل عليك منزلك احد بغير اذن فقال لا قال فما بالنا يدخل علينا بغير اذن فقال يحيى يا أمير المؤمنين ما ابتدأت ذلك الساعة ولكن أمير المؤمنين خصنى به حتى ان كنت لادخل وهو فى فرشه مجردا وما علمت ان أمير المؤمنين كره ما كان يحب فاذا قد علمت فانى سأكون فى الطبقة التى تجعلنى فيها فاستحيى هرون وقال ما أردت ما تكره وكان يحيى اذا دخل على الرشيد قام له الغلمان فقال الرشيد لمسرور مر الغلمان لا يقومون ليحيى اذا دخل الدار فدخلها فلم يقوموا فتغير لونه وكانوا بعد ذلك اذا رأوه أعرضوا عنه فلما رجع الرشيد من الحج نزل العمر الذى عند الانبار سلخ المحرم وأرسل مسرورا الخادم ومعه جماعة من الجند الى جعفر ليلا وعنده ابن بختيشوع الطبيب وأبو زكار المغنى وهو فى لهوه وأبو زكار يغنى

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

وكل ذخيرة لابد يوما * وان كرمت تصير الى نفاد

قال مسرور فقلت له يا أبا الفضل الذى جئت له هو والله ذاك قد طرقك أجب أمير المؤمنين فوقع على رجلى يقبلها وقال حتى ادخل فأوصى فقلت أما الدخول فلا سبيل اليه وأما الوصية فاصنع ما شئت فأوصى بما أراد وأعتق مماليكه وأتتنى رسل الرشيد تستحثنى فمضيت به اليه فأعلمته وهو فى فراشه فقال ائتنى برأسه فأتيت جعفرا فأخبرته فقال الله الله والله ما أمرك الا وهو سكران فدافع حتى أصبح أو راجعه فى ثانية فعدت لاراجعه فلما سمع حسى قال يا ماص بظر أمه ائتنى برأسه فرجعت اليه فاخبرته فقال آمره فرجعت فحذفنى بعمود كان فى يده وقال نفيت من المهدى ان لم تأتنى برأسه لاقتلنك قال فخرجت فقتلته وحملت رأسه اليه وأمر بتوجيه من أحاط بيحيى وولده وجميع أسبابه وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبس فى بعض منازل الرشيد وحبس يحيى فى منزله وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك وأرسل من ليلته الى سائر البلاد فى قبض أموالهم ووكلائهم ورقيقهم وأسبابهم وكل ما لهم فلما أصبح أرسل جيفة جعفر الى بغداد وأمر ان ينصب رأسه على جسر ويقطع بدنه قطعتين تنصب كل قطعة على جسر ولم يتعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك وولده وأسبابه لانه علم براءته مما دخل فيه أهله وقيل

على قبره فقال أبا محمد لئن طابت حياتك لقد فجع مماتك وكيف لا تكون كذلك وأنت خامس أهل الكساء وابن محمد المصطفى وابن على المرتضى وابن فاطمة الزهراء وابن شجرة طوبى ثم انشا يقول رضى الله عنه

أأدهن رأسى أم تطيب مجالسى
وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه
وقد ضمن الاحشاء منك لهيب
سابكيك ما ناحت حمامة أيكة
وما اخضر فى دوح الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه
الا كل من تحت التراب غريب

(ووجدت) فى بعض كتب التواريخ فى أخبار الحسن ومعاوية ان بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة لان أبا بكر الصديق رضى الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية أيام وعمر رضى الله عنه عشر سنين

كان يسعى بهم ثم حبس يحيى وبقية الفضل ومحمدا وموسى محبسا سهلا ولم يفرق بينهم وبين عدة من خدمهم ولا ما يحتاجون اليه من جارية وغيرها ولم تزل حالهم سهلة حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح فعمهم بسخطه وجدد له ولهم التهمة عند الرشيد فضيق عليهم ولما قتل جعفر بن يحيى قيل لابيه قتل الرشيد ابنك قال كذلك يقتل ابنه قيل وقد أخرب ديارك قال كذلك تخرب دياره فلما بلغ ذلك الرشيد قال قد خشيت ان يكون ما قاله لانه ما قال شيأ الا ورأيت تاويله قال سلام الابرش دخلت على يحيى بن خالد وقت قبضه وقد هتكت الستور وجمع المتاع فقال هكذا تقوم القيامة قال فحدثت الرشيد فاطرق مفكرا وكان قتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وكانت الوزارة اليهم سبع عشرة سنة ولما نكبوا قال الرقاشى وقيل ابونواس

الان استرحنا واستراحت ركابنا * وامسك من يجدى ومن كان يجتدى

فقل للمطايا قد امنت من السرى * وطى الفيافى فدفدا بعد فدفد

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولن تظفرى من بعده بمسود

وقل للعطايا بعد فضل تعطلى * وقل للرزايا كل يوم تجددى

ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمى مهند

وقال يحيى بن خالد لما نكب الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا اسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ووقع يحيى على قصة محبوس العدوان اوبقه والتوبة تطلقه وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به تفصل شذورها وينظم منثورها قال ثمامة قلت لجعفر ما البيان قال ان يكون الاسم محيطا بمعناك مخبرا عن مغزاك مخرجا من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة

﴿ذكر القبض على عبد الملك بن صالح﴾

وفى هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس وكان سبب ذلك انه كان له ولد اسمه عبد الرحمن وبه كان يكنى وكان من رجال الناس فسعى بابيه هو وقمامة كاتب أبيه وقالا للرشيد انه يطلب الخلافة ويطمع فيها فاخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع وأحضره يوما حين سخط عليه وقال له كفرا بالنعمة وجحودا لجليل المنة والتكرمة فقال يا أمير المؤمنين لقد بؤت اذا بالندم وتعرضت لاستحلال النقم وما ذاك الا بغى حاسد نافسنى فيك مودة القرابة وتقديم الولاية انك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله على أمته وأمينه على عترته لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك العدل فى حكمها والغفران لذنوبها والتثبت فى حادثها فقال له الرشيد اتضع من لسانك وترفع من جنانك هذا كاتبك قمامة يخبر بغلك وفساد نيتك فاسمع كلامه فقال عبد الملك اعطاك ما ليس فى عقده ولعله لا يقدر ان يعضهنى أو يبهتنى بما لم يعرفه منى فاحضر قمامة فقال له الرشيد تكلم غير هائب ولا خائف فقال أقول انه عازم على الغدر بك والخلاف عليك فقال عبد الملك كيف لا يكذب على من خلفى من يبهتنى فى وجهى فقال الرشيد فهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعتوك وفساد نيتك ولو أردت ان احتج عليك لم اجد اعدل من هذين الاثنين لك فلم تدفعهما عنك فقال عبد الملك هو مأمور أو عاق مجبور فان كان مأمورا فمعذور وان كان عاقا ففاجر كفور اخبر الله عز وجل بعداوته وحذر منه بقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فنهض الرشيد وهو يقول ما امرك الا قد وضح ولكنى لا اعجل حتى اعلم الذى يرضى الله عز وجل فيك فانه الحكم بينى وبينك فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبامير المؤمنين حاكما فانى اعلم انه لن يؤثر هواه على رضا ربه واحضره الرشيد يوما آخر فكان مما

واحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه أربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام فذلك ثلاثون سنة (وحدث) محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن على بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة ابن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذى بلغك فسررت به قال موت الحسن بن على فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعما والله ما فعلت انه كان كذلك اهلا أن يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن

قال له
أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال اما والله لكأني انظر الى شؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكأني بالوعيد قد أورى زناداً يسطع فأقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم فمهلاً مهلاً بني هاشم فبي والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور أزمتها فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد لبوط بالرجل فقال عبد الملك اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك من رعيته التي استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت أواخي ملكك بأثقل من ركني يلملم وتركت عدوك مشتغلاً فالله الله في ذي رحمك ان تقطعه بعد ان وصلته بظن أوضح الكتاب بعضه أو ببغي باغ ينهس اللحم ويلغ الدم فقد والله سهلت لك الوعور وذللت لك الامور وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور فكم ليل تمام فيك كابدته ومقام ضيق قمته كنت كما قال اخو بني جعفر بن كلاب يعني لبيدا

ومقام ضيق فرجته * ببنان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي ورحل

فقال له الرشيد والله لولا ابقائي على بني هاشم لضربت عنقك ثم اعاده الى محبسه فدخل عبد الله ابن مالك على الرشيد كان على شرطته فقال له والله العظيم يا أمير المؤمنين ما علمت عبد الملك الا ناصحاً فلم حبسته فقال بلغني عنه ما أوحشني ولم آمنه ان يضرب بين ابني هذين يعني الامين والمأمون فان كنت ترى ان نطلقه من الحبس اطلقناه فقال اما اذا حبسته فلست أرى في قرب المدة ان نطلقه ولكن تحبسه محبساً كريماً قال فاني افعل فأمر الفضل بن الربيع ان يمضي اليه وينظر ما يحتاج اليه فيوظفه له ففعل ولم يزل عبد الملك محبوساً حتى مات الرشيد فأخرجه الامين واستعمله على الشام فأقام بالرقة وجعل لمحمد الامين عهد الله لئن قتل وهو حي لا يعطي المأمون طاعة ابداً فمات قبل الامين وكان ما قال للامين ان خفت فالجأ الي فوالله لاصوننك وقال الرشيد يوماً لعبد الملك ما انت لصالح قال فلمن انا قال لمروان الجعدي قال ما ابالي اي الفحلين غلب علي وارسل الرشيد يوماً الى يحيى بن خالد بن برمك ان عبد الملك اراد الخروج علي ومنازعتي في الملك وعلمت ذلك فاعلمني ما عندك فيه فانك ان صدقتني اعدتك الى حالك فقال والله ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا ولو اطلعت عليه لكنت صاحبه دونك لان ملكك كان ملكي وسلطانك كان سلطاني والخير والشر كان فيه علي وكيف يطمع عبد الملك في ذلك مني وهل كان اذا فعلت به ذلك يفعل معي اكثر من فعلك واعيذك بالله ان تظن بي هذا الظن ولكنه كان رجلاً متحملاً يسرني ان يكون في اهلك مثله فوليته لما حمدت أثره ومذهبه وملت اليه لادبه واحتماله فلما اتاه الرسول بهذا اعاده عليه فقال له ان انت لم تقر عليه قتلت الفضل ابنك فقال له انت مسلط علينا فافعل ما اردت فاخذ الرسول الفضل فاقامه فودع اباه وقال له الست راضياً عني قال بلى فرضي الله عنك ففرق بينهما ثلاثة أيام فلما لم يجد عندهما في ذلك شيأ جمعهما

❁(ذكر غزو الروم)❁

وفي هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان فاناخ على قرة وحصرها ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد أهلها فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على ان يرحل عنهم فاجابهم ورحل عنهم صلحاً ومات علي بن عيسى في هذه الغزاة بارض الروم وكان ملك الروم حينئذ امرأة اسمها ريني فخلعتها الروم

عباس ان الحسن توفي قال لذلك كبرت قال نعم قال والله ما موته بالذي يؤخر أجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا (وفي نسخة) انه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية في الخضراء وكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك قال أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذي جعل فئتي احدى الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من اهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال

وملكت نقفور وتزعم الروم انه من أولاد جفنة بن غسان وكان قبل ان يملك يلي ديوان الخراج وماتت ريني بعد خمسة أشهر من خلعها فلما استوثقت الروم لنقفور كتب الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هرون ملك العرب أما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل اضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح وغنم وأحرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقة نقض نقفور العهد وكان البرد شديداً فامن رجعة الرشيد اليه فلما جاء الخبر بنقضه ما جسر احد على اخبار الرشيد خوفاً على انفسهم من العود في مثل ذلك البرد واشفاقاً من الرشيد فاحتيل له بشاعر من أهل جنده وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف وقيل هو الحجاج بن يوسف التيمي فقال أبياتاً منها

نقض الذي أعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور
ابشر أمير المؤمنين فانه * فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لواؤك المنصور

في أبيات غيرها فلما سمع الرشيد ذلك قال أوقد فعل ذلك نقفور وعلم ان الوزراء قد احتالوا له في ذلك فرجع الى بلاد الروم في أشد زمان وأعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فاقام بها حتى شفى واشتفى وبلغ ما أراد وقيل كان فعل نقفور وهذه الابيات سبب السير الرشيد وفتح هرقلة على ما نذكره سنة تسعين ومائة ان شاء الله تعالى

❁(ذكر قتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك)❁

وفيها قتل الرشيد ابراهيم بن عثمان بن نهيك وسبب قتله انه كان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيى والبرامكة ويبكي عليهم الى ان خرج من البكاء الى حد طالب الثار فكان اذا شرب النبيذ مع جواريه أخذ سيفه ويقول واجعفراه واسيداه والله لاقتلن قاتلك ولاثارن بدمك فلما كثر هذا منه جاء ابنه فاعلم الرشيد هو وخصي كان لابراهيم فاحضر ابراهيم وسقاه نبيذاً فلما أخذ منه النبيذ قال له اني قد ندمت على قتل جعفر بن يحيى ووددت اني خرجت من ملكي وانه كان بقي لي فما وجدت طعم النوم مذ فارقته فلما سمعها ابراهيم أسبل دموعه وقال رحم الله أبا الفضل والله يا سيدي لقد اخطأت في قتله وأوطأت العشوة في أمره وأين يوجد في الدنيا مثله فقال الرشيد قم عليك لعنة الله يا ابن اللخناء فقام وما يعقل فما كان بين هذا وبين ان دخل عليه ابنه وضربه بالسيف الا ليال قلائل

❁(ذكر ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس)❁

في هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس وسبب ذلك ان الحكم صاحب الاندلس استعمل على ثغور الاندلس قائداً كبيراً من اجناده اسمه عمروس بن يوسف فاستعمل ابنه يوسف على تطيلة وكان قد انهزم من الحكم أهل بيت من الاندلس أولوا قوة وبأس لانهم خرجوا عن

عمرو ولكني أريد أن يبدو عيه في الناس بانه يتكلم في امور لا يدرى ماهي ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلاً أن ينادي بالحسن بن علي فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد في بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل ان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم قال في كلامه ذلك يا أهل الكوفة لم تذهب نفسي عنكم الا لثلاث خصال أذهلت مقتلكم لابي وسلبكم ثقلي وطعنكم في بطني واني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر في جوفه فلما تيقن ما نزل به انقاد الى الصلح وقد كان علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله واثنى

طاعته فالتحقوا بالمشركين فقوى أمرهم واشتدت شوكتهم وتقدموا الى مدينة تطيلة فحصروها وملكوها من المسلمين فاسر واميرها يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس واستقر عمروس ابن يوسف بمدينة سرقسطة ليحفظها من الكفار وجمع العساكر وسيرها مع ابن عم له فالتقى المشركين وقاتلهم ففض جموعهم وهزمهم وقتل أكثرهم ونجا الباقون منكوبين وسار الجيش الى صخرة قيس فحصروها وافتتحوها ولم يقدر المشركون على منعها منهم لما نالهم من الوهن بالهزيمة ولما افتتحها المسلمون خلصوا يوسف بن عمروس أمير الثغر وسيروه الى أبيه وعظم أمر عمروس عند المشركين وبعد صوته فيهم وأقام في الثغر أميرا عليه

﴿ ذكر ايقاع الحكم باهل قرطبة ﴾

كان الحكم في صدر ولايته تظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللذات وكانت قرطبة دار علم وبها فضلاء في العلم والورع منهم يحيى بن يحيى الليثي راوي موطأ مالك عنه وغيره فثار أهل قرطبة وأنكروا فعله ورجموه بالحجارة وأرادوا قتله فامتنع منهم بمن حضر من الجند وسكن الحال ثم بعد أيام اجتمع وجوه أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني عم هشام ابن حمزة وأخذوا له البيعة على أهل البلد وعرفوه ان الناس قد ارتضوه كافة فاستنظرهم ليلة ليرى رأيه ويستخير الله سبحانه وتعالى فانصرفوا فحضر عند الحكم وأطلعه على الحال وأعلمه انه على بيعته فطلب الحكم تصحيح الحال عنده فاخذ معه بعض ثقات الحكم وأجلسه في قبة في داره واخفى أمره وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل تقلد أمرهم أم لا فاراهم المخافة على نفسه وعظم الخطب عليهم وسألهم تعداد أسمائهم ومن معهم فذكروا له جميع من معهم من أعيان البلد وصاحب الحكم يكتب اسماءهم فقال لهم محمد بن القاسم يكون هذا الامر يوم الجمعة ان شاء الله في المسجد الجامع ومشى الى الحكم مع صاحبه فاعلماه جلية الحال وكان ذلك يوم الخميس فما أتى عليه الليل حتى حبس الجماعة المذكورين عن آخرهم ثم أمر بهم بعد أيام فصلبوا عند قصره وكانوا اثنين وسبعين رجلا منهم أخو يحيى بن يحيى وابن أبي كعب وكان يومهم يوما شنيعا فعظمت عداوة الناس للحكم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين المضرية واليمانية فارسل الرشيد فاصلح بينهم وفيها زلزلت المصيصة فانهدم سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل وفيها خرج عبد السلام بآمد فحكم فقتله يحيى بن سعيد العقيلي وفيها غزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة ووهبه لله وجعله قربانا له وولاه العواصم وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن العباس بن محمد بن علي وفيها توفي الفضيل بن عياض الزاهد وكان مولده بسمرقند وانتقل الى مكة فمات بها وفيها توفي المعمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري وكان مولده سنة ست أو سبع ومائة وعمر بن عبيد الطنافسي الكوفي وفيها توفي أبو مسلم معاذ الهراء النحوي وقيل كنيته أبو علي وعنه أخذ الكسائي النحو وولد أيام يزيد بن عبد الملك

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة ﴾

في هذه السنة غزا ابراهيم بن جبرئيل الصائفة فدخل أرض الروم من درب الصفصاف فخرج اليه نقفور ملك الروم فاتاه من ورائه امر صرفه عنه ولقي جمعا من المسلمين فجرح ثلاث جراحات وقتل من الروم فيما قيل اربعون الفا وسبعمائة وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدابق وحج بالناس فيها الرشيد فقسم اموالا كثيرة وهي آخر حجة حجها في قول بعضهم وفيها توفي جرير بن عبد

عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا فو الذي بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا نقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين * ومن خطب الحسن رضي الله عنه في أيامه في بعض مقاماته أنه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون واهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول عليه في كل شئ لا يخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فاطاعتنا مفروضة اذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الامر مقرونة فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كاوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار

الحميد الضبي الرازي وله ثمان وسبعون سنة وفيها توفي العباس بن الاحنف الشاعر وقيل سنة ثلاث وتسعين ومات ابوه الاحنف سنة خمسين ومائة وفيها توفي شهيد بن عيسى بالاندلس وعمره ثلاث وتسعون سنة وكان دخوله الاندلس مع عبد الرحمن بن معاوية (شهيد بضم الشين المعجمة وفتح الهاء)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة ﴾

﴿ ذكر مسير هرون الرشيد الى الري ﴾

وفي هذه السنة سار الرشيد الى الري وسبب ذلك ان الرشيد لما استعمل علي بن عيسى بن ماهان على خراسان ظلم أهلها وأساء السيرة فيهم فكتب كبراء أهلها واشرافها الى الرشيد يشكون سوء سيرته وظلمه واستخفافه بهم وأخذ اموالهم وقيل للرشيد ان علي بن عيسى قد أجمع على الخلاف فسار الى الري في جمادى الاولى ومعه ابناه عبد الله المأمون والقاسم وكان قد جعله ولي عهد بعد المأمون وجعل أمره الى المأمون ان شاء أقره وان شاء خلعه وأحضر القضاة والشهود وأشهدهم ان جميع ما في عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمأمون وليس له فيه شئ وأقام الرشيد بالري أربعة أشهر حتى اتاه علي بن عيسى من خراسان فلما قدم عليه اهدى له الهدايا الكثيرة والاموال العظيمة واهدى لجميع من معه من اهل بيته وولده وكتابه وقواده من الطرف والجواهر وغير ذلك ورأى الرشيد خلاف ما كان يظن فرده الى خراسان ولما أقام الرشيد بالري سير حسينا الخادم الى طبرستان وكتب معه امانا لشروين بن أبي قارن وامانا لونداهرمز جد مازيار واما نالمرزبان بن جستان صاحب الديلم فقدم جستان وونداهرمز فاكرمهما واحسن اليهما وضمن ونداهرمز السمع والطاعة واداء الخراج عن شروين ورجع الرشيد الى العراق ودخل بغداد في آخر ذي الحجة فلما مر بالجسر امر باحراق جثة جعفر بن يحيى ولم ينزل بغداد ومضى من فوره الى الرقة ولما جاز بغداد قال والله اني لاطوي مدينة ما وضع بشرق ولا غرب مدينة أيمن ولا أيسر منها وانها الدار مملكة بني العباس ما بقوا وحافظوا عليها ولا رأى أحد من آبائي سوأ ولا نكبة منها ونعم الدار هي ولكني اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق والنفاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة بني امية مع ما فيها من المارقة والمتلصصة ومخيفي السبيل ولولا ذلك ما فارقت بغداد فقال العباس بن الاحنف في طي الرشيد بغداد

ما انخنا حتى ارتحلنا فما نفـ * ـرق بين المناخ والارتحال
سألونا عن حالنا اذ قدمنا * فقرنا وداعهم بالسؤال

﴿ ذكر الفتنة بطرابلس الغرب ﴾

في هذه السنة كثر شغب اهل طرابلس الغرب على ولاتهم وكان ابراهيم بن الاغلب امير افريقية قد استعمل عليهم عدة ولاة فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم ويولي غيرهم فاستعمل عليهم هذه السنة سفيان بن المضاء وهي ولايته الرابعة فاتفق اهل البلد على اخراجه عنهم واعادته الى القيروان فزحفوا اليه فاخذ سلاحه وقاتلهم هو وجماعة ممن معه فاخرجوه من داره فدخل المسجد الجامع فقاتلهم فيه فقتلوا اصحابه ثم آمنوه فخرج عنهم في شعبان من هذه السنة وكانت ولايته سبعا وعشرين يوما واستعمل الجند الذين بطرابلس على البلد واهله ابراهيم بن سفيان التميمي ثم وقع بين الابناء بطرابلس أيضا وبين قوم يعرفون ببني أبي كنانة وبني يوسف حروب كثيرة وقتال حتى فسدت طرابلس فبلغ ذلك ابراهيم بن الاغلب فارسل جمعا من الجند وامرهم ان يحضروا الابناء وبني أبي كنانة وبني يوسف فاحضروهم عنده بالقيروان في ذي الحجة فلما

لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني برئ منكم اني أرى ما لا ترون فتلقون الرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا والله أعلم

﴿ ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان ﴾

بويع معاوية في شوال سنة احدى وأربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي في رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس

﴿ ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله ﴾

وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وهو أول من قتل صبرا في الاسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق

قدموا عليه يسألوه العفو عنهم فى الذى فعلوه فعفا عنهم فعادوا الى بلدهم

❁﴿ذكر عدة حوادث﴾❁

بها كان الفداء بين المسلمين والروم ولم يبق بارض الروم مسلم الا فودى وحج بالناس العباس بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وفيها ولى الرشيد عبد الله بن مالك طبرستان والرى ودنباوند وقومس وهمذان وهو متوجه الى الرى فقال ابو العتاهية فى مسيره اليها وكان الرشيد ولد بها

ان أمين الله فى خلقه * حسن به البر الى مولده
ليصلح الرى واقطارها * ويمطر الخير بها من يده

وفيها مات محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه صاحب أبى حنيفة وحميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى أبو عوف وسابق بن عبد الله الموصلى وكان من الصالحين البكائين من خشية الله تعالى

❁ثم دخلت سنة تسعين ومائة❁

❁﴿ذكر خلع رافع بن الليث بن نصر بن سيار﴾❁

وفى هذه السنة ظهر رافع بن الليث بن نصر بما وراء النهر مخالفا للرشيد بسمرقند وكان سبب ذلك ان يحيى بن الاشعث بن يحيى الطائى تزوج ابنة لعمه أبى النعمان وكانت ذات يسار ولسان ثم تركها بسمرقند واقام ببغداد واتخذ السرارى فلما طال ذلك عليها ارادت التخلص منه وبلغ رافعا خبرها فطمع فيها وفى مالها فدس اليها من قال لها انه لا سبيل الى الخلاص من زوجها الا ان تشهد عليها قوما انها اشركت بالله ثم تتوب فينفسخ نكاحها وتحل للازواج ففعلت ذلك وتزوجها رافع فبلغ الخبر يحيى بن الاشعث فشكا الى الرشيد فكتب الى على بن عيسى بن ماهان يأمره ان يفرق بينهما وان يعاقب رافعا ويجلده الحد ويقيده ويطوف به فى سمرقند على حمار ليكون عظة لغيره ففعل به ذلك ولم يحده وطلقها رافع وحبس بسمرقند فهرب من الحبس فلحق بعلى بن عيسى ببلخ فاراد ضرب عنقه فشفع فيه عيسى بن على بن عيسى وامره بالانصراف الى سمرقند فرجع اليها ووثب بعامل على بن عيسى عليها فقتله واستولى عليها فوجه اليه ابنه فلقيه فهزمه رافع فاخذ على بن عيسى فى جمع الرجال والتأهب لمحاربته وانقضت السنة

❁﴿ذكر فتح هرقلة﴾❁

وفى هذه السنة فتح الرشيد هرقلة واخربها وكان سبب مسيره اليها ما ذكرناه سنة سبع وثمانين ومائة من غدر نقفور وكان فتحها فى شوال وكان حصرها ثلاثين يوما وسبى أهلها وكان قد دخل البلاد فى مائة الف وخمسة وثلاثين الفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة ومن لا ديوان له واناخ عبد الله بن مالك على ذى الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائرا فى أرض الروم فى سبعين ألفا يخرب وينهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس فهدم واحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا فاقدمهم الرافقة فبيعوا بها وبلغ فداء اسقف قبرس الفى دينار ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك وكتب نقفور الى الرشيد فى جارية من سبى هرقلة كان خطبها لولده فأرسلها اليه

❁﴿ذكر عدة حوادث﴾❁

وخرج فى هذه السنة خارجى من ناحية عبد القيس يقال له سيف بن بكير فوجه اليه الرشيد محمد

أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع أيها القمر المنير
لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب
ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على بابى دمشق
وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت الخبائث بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بنى عدى
تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما اردى عليا
وشيخا فى دمشق له زئير
ألا يا ليت حجرا مات موتا
ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد باخبارهم الى معاوية فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرنى بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولى لابى تراب وقتل

ابن يزيد بن مزيد فقتله بعين النورة وفيها انتقض أهل قبرس العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها وحج بالناس عيسى بن موسى الهادى وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون وقيل بل أبوه سهل على يد المهدى وكان مجوسا وقيل أسلم الفضل وأخوه الحسن على يد يحيى بن خالد فاختاره يحيى لخدمة المأمون فلهذا كان الفضل يرعى البرامكة ويثنى عليهم ولقب بذى الرياستين لانه تقلد الوزارة والسيف وكان يتشيع وهو الذى اشار على المأمون بالعهد لعلى بن موسى الرضا عليه السلام وكان على الموصل هذه السنة خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ولما دخل الموصل انكسر لواؤه فى باب المدينة فتطير منه وكان معه أبو الشيص الشاعر فقال فى ذلك

ما كان منكسر اللواء لطيرة * تخشى ولا أمر يكون مويلا
لكن هذا الرمح أضعف ركنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسرى عن خالد وفيها غزا الرشيد الصائفة واستخلف المأمون بالرقة وفوض اليه الامور وكتب الى الآفاق بذلك ودفع اليه خاتم المنصور يتيمن به ونقشه الله ثقتى آمنت به وفيها خرجت الروم الى عين زربة والكنيسة السوداء واغاروا فاستنقذ أهل المصيصة ما كان معهم من الغنيمة وفيها توفى اسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلى الكوفى صاحب أبى حنيفة وفيها توفى يحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرافقة فى المحرم وعمره سبعون سنة وعمر بن على بن عطاء بن مقدم المقدمى البصرى

❁ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة❁

❁﴿ذكر النقمة من أهل طليطلة وهو وقعة الحفرة﴾❁

فى هذه السنة أوقع الامير الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس باهل طليطلة فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها وسبب ذلك ان أهل طليطلة كانوا قد طمعوا فى الامراء وخلعوهم مرة بعد أخرى وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة أموالهم فلم يكونوا يطيعون أمراءهم طاعة مرضية فلما اعيا الحكم شأنهم أعمل الحيلة فى الظفر بهم فاستعان فى ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد وكان قد ظهر فى هذا الوقت بالثغر الاعلى فاظهر طاعة الحكم ودعا اليه فاطمأن اليه بهذا السبب وكان من أهل مدينة وشقة فاستحضره فحضر عنده فاكرمه الحكم وبالغ فى اكرامه وأطلعه على عزمه فى أهل طليطلة وواطأه على التدبير عليهم فولاه طليطلة وكتب الى أهلها يقول انى قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمئن قلوبكم اليه وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا وموالينا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم فمضى عمروس اليهم ودخل طليطلة فانس به اهلها واطمأنوا اليه وأحسن عشرتهم وكان أول ما عمل عليهم من الحيلة ان أظهر لهم موافقتهم على بغض بنى أمية وخلع طاعتهم فمالوا اليه ووثقوا بفعله ثم قال لهم ان سبب الشر بينكم وبين أصحاب الامير انما هو اختلاطهم بكم وقد رأيت ان أبنى بناء اعتزل فيه أنا وأصحاب السلطان رفقا بكم فاجابوه الى ذلك فبنى فى وسط البلد ما أراد فلما مضى لذلك مدة كتب الامير الحكم الى عامل له على الثغر الاعلى سرا يأمره أن يرسل اليه يستغيث من جيوش الكفرة ويطلب النجدة والعساكر ففعل العامل ذلك فحشد الحكم الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قواده ووزراءه فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها فاتاه وهو عندها الخبر من ذلك العامل ان عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها فتفرق العسكر وعزم عبد الرحمن على العود الى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لاهل طليطلة قد ترون نزول ولد الحكم الى جانبى وانه يلزمنى الخروج اليه وقضاء حقه فان نشطتم لذلك والا سرت

أصحابك الا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤن منه فقال حجر وجماعة ممن كان معه ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من على فلما قدم حجر ليقتل قال دعونى أصلى ركعتين فجعل يطول فى صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكنى ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وانى لأرى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر وألحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان فى سنة خمسين وذكر أن عدى ابن حاتم الطائى دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعنى اولاده قال قتلوا مع على قال ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدى ما أنصفت على اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقى قطرة من دم عثمان ما يمحوها

اليه وحدى فخرج معه وجوه أهل طليطلة فاكرمهم عبد الرحمن واحسن اليهم وكان الحكم قد ارسل مع ولده خادما له ومعه كتاب لطيف الى عمروس فاتاه الخادم وصافحه وسلم الكتاب اليه من غيران يحادثه فلما قرأ عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة فاشار الى أعيان أهلها بان يسألوا عبد الرحمن الدخول اليهم ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم ومنعتهم وقوتهم فظنوه ينصحهم ففعلوا ذلك وادخلوا عبد الرحمن البلد ونزل مع عمروس فى داره واتاه أهل طليطلة ارسالا يسلمون عليه واشاع عمروس ان عبد الرحمن يريدان يتخذ لهم وليمة عظيمة وشرع فى الاستعداد لذلك وواعدهم يوما ذكره وقرر معهم انهم يدخلون من باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام ففعلوا ذلك فلما كان اليوم المذكور اتاه الناس افواجا فكان كلما دخل فوج أخذوا وحملوا الى جماعة من الجند على حفرة كبيرة فى ذلك القصر فضربت رقابهم عليها فلما تعالى النهار أتى بعضهم فلم يرا احدا فقال أين الناس فقيل انهم يدخلون من هذا الباب ويخرجون من الباب الآخر فقال مالقينى منهم أحد وعلم الحال وصاح واعلم الناس هلاك أصحابهم فكان سبب نجاة من بقى منهم فذلت رقابهم بعدها وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وايام ولده عبد الرحمن ثم انجبرت مصيبتهم وكثروا فلما هلك عبد الرحمن وولى ابنه محمد عاجلوه بالخلع على ماند كره

❁(ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله باهل قرطبة)❁

وفيها عصى اصبغ بن عبد الله ووافقه أهل مدينة ماردة من الاندلس على الحكم واخرجوا عامله واتصل الخبر بالحكم فسار اليها وحاصرها فبينما هو مجد فى الحصار اتاه الخبر عن أهل قرطبة انهم اعلنوا بالعصيان له فرجع مبادرا فوصل الى قرطبة فى ثلاثة أيام وكشف عن الذين اثاروا الفتنة فصلبهم منكسين وضرب اعناق جماعة فارتدع الباقون بذلك واشتدت كراهيتهم له ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون ومرة يعصون الى سنة اثنتين وتسعين فضعف امر اصبغ لان الحكم تابع ارسال الجيوش اليه واستعمل جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه فقالوا اليه وفارقوا اصبغ حتى أخوه فصار اصبغ وضعفت نفسه فارسل يطلب الامان فامنه الحكم ففارق ماردة وحضر عند الحكم واقام عنده بقرطبة

❁(ذكر غزو الفرنج الاندلس)❁

فى هذه السنة تجهز لذريق ملك الافرنج بالاندلس وجمع جموعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا فى جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فساروا فالتقوا الافرنج فى أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيأ فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فانزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت أموالهم وأثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين

❁(ذكر عصيان حزم على الحكم)❁

فى هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافقه غيره وقصدوا الشبونة وكان الحكم يسمى حزما فى كتبه النبطى فلما سمع الحكم خبره سيراليه ابنه هشاما فى جمع كثير فأذله ومن معه وقطع الاشجار وضيق عليهم حتى أذعنوا وطلبوا الامان فأمنه

❁(ذكر عزل على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرثمة)❁

وفيها عزل الرشيد على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وكان سبب ذلك ماذكرناه من قتل ابنه عيسى فلما قتل جزع عليه أبوه فخرج عن بلخ الى مرو مخافة عليها أن يسير اليها رافع بن الليث

الادم شريف من أشراف اليمن فقال عدى والله ان قلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا وان أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لاهون علينا من أن نسمع المساءة فى على فسلم السيف يامعاوية لباعث السيف فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدى محادثا له كانه ماخاطبه بشئ (وذكر) ان معاوية ابن أبى سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال عمرو لاسامة كانك تنكرنى فقال اسامة مايسرنى نسبك بولائى فقام مروان بن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب اسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله ابن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن

ليأخذها وكان ابنه عيسى قد دفن فى بستان فى داره ببلخ أموالا عظيمة قيل كانت ثلاثين ألف ألف ولم يعلم بها أبوه ولم يطلع عليها الا جارية له فلما سار على بن عيسى الى مرو أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم وتحدث به الناس واجتمعوا ودخلوا البستان ونهبوا المال وبلغ الرشيد الخبر فقال خرج عن بلخ من غير أمرى وخاف مثل هذا المال وهو يزعم انه قد باع حلى نسائه فيما انفق على محاربة رافع فعزله واستعمل هرثمة بن أعين وكان قد نقم الرشيد عليه ما كان يبلغه من سوء سيرته واهانته اعيان الناس واستخفافه بهم فمن ذلك أنه دخل عليه يوما الحسين بن مصعب والد طاهر بن الحسين وهشام بن فرخسرو فسلما عليه فقال للحسين لاسلم الله عليك ياملحد ابن الملحد والله انى لاعرف ما أنت عليه من عداوة الاسلام والطعن فى الدين ولم انتظر بقتلك الاامر الخليفة ألست المرجف فى منزلى هذا بعد أن ثملت من الخمر وزعمت أنك جاءتك كتب من بغداد بعزلى اخرج الى سخط الله لعنك الله فعن قريب مايكون منها فاعتذر اليه فلم يقبل عذره وامر باخراجه فأخرج وقال لهشام بن فرخسرو صارت دارك دار الندوة يجتمع اليك السفهاء تطعن على الولاة سفك الله دمى ان لم اسفك دمك فاعتذر اليه فلم يعذره فأخرجه فاما الحسين فسار الى الرشيد فاستجار به وشكا اليه فاجاره واما هشام فانه قال لبنت له انى أخاف الامير على دمى وانا مفض اليك بامر ان أنت اظهرته قتلت وان أنت كتمتيه سلمت قالت وماهو قال قد عزمت على ان اظهر ان الفالج قد أصابنى فاذا كان فى السحر فاجمعى جواريك واقصدى فراشى وحركينى فاذا رأيت حركتى ثقلت فصيحى أنت وجواريك وابعثى اخوتك فأعلميهم علتى ففعلت ماامرها وكانت عاقلة فاقام مطروحا على فراشه حينا لايتحرك الى أن جاء هرثمة والبا فركب الى لقائه فرآه على بن عيسى بن ماهان فقال الى اين فقال أتلقى الامير أباحاتم قال ألم تكن عليلا فقال وهب الله العافية وعزل الطاغية فى ليلة واحدة فعلى هذا تكون ولاية هرثمة ظاهرا وقيل بل كانت ولايته سرالم يطلع الرشيد عليها أحدا فقيل انه لما أراد عزل على بن عيسى استدعى هرثمة واسر اليه ذلك وقال له ان على بن عيسى قد كتب يستمدنى بالعساكر والاموال فاظهر للناس انك تسير اليه نجدة له وكتب له الرشيد كتابا بولايته بخط يده وامر كتابه ان يكتبوا الى على بن عيسى بانه قد سير هرثمة نجدة له فسار هرثمة ولا يعلم بامره أحد حتى ورد نيسابور فلما وردها استعمل أصحابه على كورها وسار مجدا يسبق الخبر فاتى مرو والتقاه على بن عيسى فاحترمه هرثمة وعظمه حتى دخل البلد ثم قبض عليه وعلى أهله واصحابه واتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف وكانت خزائنه واثاثه على ألف وخمسمائة بعير فاخذ الرشيد ذلك كله وكان وصول هرثمة الى خراسان سنة اثنتين وتسعين فلما فرغ هرثمة من اخذ أموالهم اقامهم لمطالبة الناس وكتب الى الرشيد بذلك وسير على بن عيسى اليه على بعير بغير وطاء ولا غطاء

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فيها خرج خارجى يقال له بزوان بن سيف بناحية حولايا وتنقل فى السواد فوجه اليه طوق بن مالك فهزمه طوق وجرحه وقتل عامة أصحابه وفيها خرج أبو الوليد بالشام فسير الرشيد فى طلبه يحيى بن معاذ وعقد له على الشام وفيها ظفر حماد البربرى بهيصم اليمانى وفيها أرسل أهل نسف الى رافع بن الليث يسألونه أن يوجه اليهم من يعينهم على قتل عيسى بن على بن عيسى وعلى بن عيسى فارسل اليهم جمعا فقتلوا عيسى وحده فى ذى القعدة وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيرى أرض الروم فى عشرة آلاف فاخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخمسين رجلا وسلم الباقون وكان ذلك على

ابن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الرحمن ابن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لاتعجلوا انا كنت شاهدا اذأقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعونى فوالله ماذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الالبس على عقلى وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها بلوى وتمثل بأبيات امرئ القيس المتقدمة فى هذا الكتاب فى أخبار عمر رضى الله عنه وأولها

الحرب أول ماتكون فتية
تدنو بزينتها لكل جهول

ثم قال مافى القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل

قد يلحق الصغير بالجليل
وانما القرم من الافيل
وتسحق النخل من الفسيل

(قال المسعودى) ولما هم معاوية بالحاق زياد بأبى سفيان أبيه وذلك فى سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى ومالك ابن ربيعة السلولى والمنذر

مرحلتين من طرسوس وفيها استعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل ان يوليه خراسان وضم اليه ثلاثين ألفا من أهل خراسان ورتب الرشيد بدرب الحدث عبد الله بن مالك وبمرعش سعيد بن سلم بن قتيبة فأغارت الروم عليها فأصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك سعيد من موضعه وبعث محمد بن يزيد بن مزيد الى طرسوس وأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من رمضان وعاد الى الرقة وأمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور وأخذ أهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتمصيرها ففعل وتولى ذلك فرج الخادم بأمر الرشيد وسير اليها جندا من أهل خراسان ثلاثة آلاف ثم أشخص اليهم ألفا من أهل المصيصة وألفا من أهل انطاكية وتم بناؤها سنة اثنتين وتسعين ومائة وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن على وكان أميرا على مكة وكان على الموصل محمد بن الفضل ابن سليمان وفيها توفى الفضل بن موسى السينانى أبو عبد الله المروزى مولى بنى قطيعة وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة (السينانى بكسر السين المهملة وبالياء المثناة من تحت وبالنون قبل الالف ثم بنون بعده منسوب الى سينان وهى قرية من قرى مرو)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر مسير الرشيد الى خراسان﴾

فيها سار الرشيد من الرقة الى بغداد يريد خراسان لحرب رافع بن الليث وكان مريضا واستخلف على الرقة ابنه القاسم وضم اليه خزيمة بن خازم وسار من بغداد الى النهروان لخمس خلون من شعبان واستخلف على بغداد ابنه الامين وأمر المأمون بالمقام ببغداد فقال الفضل بن سهل للمأمون حين أراد الرشيد المسير الى خراسان لست تدرى ما يحدث بالرشيد وخراسان ولايتك ومحمد الامين المقدم عليك وان أحسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيدة وأموالها فاطلب الى أمير المؤمنين ان تسير معه فطلب اليه ذلك فأجابه بعد امتناع فلما سار الرشيد سايره الصباح الطبرى فقال له يا صباح لا أظنك ترانى أبدا فدعا فقال ما أظنك تدرى ما أجد قال الصباح لا والله فعدل عن الطريق واستظل بشجرة وأمر خواصه بالبعد فكشف عن بطنه فاذا عليه عصابة حرير فقال هذه علة أكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدى على رقيب فمسرور رقيب المأمون وجبرائيل بن بختيشوع رقيب الامين وما منهم احد الا وهو يحصى أنفاسى ويستطيل دهرى وان اردت أن تعلم ذلك فالساعة ادعو بداية فيأتونى بداية أعجف قطوف لتزيد بى علتى فاكتم على ذلك فدعا له بالبقاء ثم طلب الرشيد دابة فجاؤا بها على ما وصف فنظر الى الصباح وركبها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها تحركت الخرمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر ووافاه بقرماسين فأمره بقتل الاسرى وبيع السبى وفيها قدم يحيى بن معاذ على الرشيد بأبى النداء فقتله وفيها فارق جماعة من القواد رافع بن الليث وصاروا الى هرثمة منهم عجيف بن عنبسة وغيره وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن نصر بن مالك فافتتح مطمورة وفيها كان الفداء بالبذندون وفيها خرج ثروان الحرورى بطف البصرة فقاتل عامل السلطان بها وفيها مات عيسى بن جعفر بن المنصور بالدسكرة وهو يريد اللحاق بالرشيد وفيها قتل الرشيد الهيصم الكنانى وحج بالناس هذه السنة العباس بن عبد الله بن جعفر بن المنصور وفيها كان وصول هرثمة الى خراسان كما تقدم وحصر هرثمة رافع بن الليث بسمرقند وضايقه واستقدم

ابن الزبير بن العوام ان أبا سفيان أخبراه ابنه وان أبا سفيان قال لعلى عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب

أما والله لولا خوف شخص
يرانى يا على من الاعادى
لبين أمره صخر بن حرب
ولم يكن المجمجم عن زياد
ولكنى أخاف صروف كف
لها نقم ونفيى عن بلادى
فقد طالت مجاولتى ثقيفا
وتركى فيهم ثمر الفؤاد

ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة أبى مريم السلولى وكان أخبر الناس ببدء الامر وذلك انه جمع بين أبى سفيان وسمية أم زياد فى الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدى الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر فى محلة يقال لها حارة البغايا وكان سبب ادعاء معاوية فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن عليا كان ولاه فارس حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد بعضهم ببعض حتى غلب عليها وما زال يتنقل فى كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر

طاهر بن الحسين فحضر عنده وخلت خراسان لحمزة الخارجى حتى دخلها وصار يقتل ويجمع الاموال ويحملها اليه عمال هراة وسجستان فخرج اليه عبد الرحمن النيسابورى فاجتمع اليه نحو عشرين ألفا فسار الى حمزة فقاتله قتالا شديدا فقتل من أصحاب حمزة خلقا وسار خلفه حتى بلغ هراة وكان ذلك سنة أربع وتسعين فكتب اليه المأمون فرده وادام هرثمة على حصار سمرقند حتى فتحها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقتل رافع بن الليث وجماعة من أقربائه واستعمل على ماوراء النهر ابن يحيى فعاد وكان قتله رافعا سنة خمس وتسعين وفى هذه السنة توفى عبد الله بن ادريس بن يزيد الاودى الكوفى ويوسف بن أبى يوسف القاضى وفيها كان الفداء الثانى بين المسلمين والروم وكان القيم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى وكان عدة الاسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر موت الفضل بن يحيى﴾

فى هذه السنة مات الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك فى الحبس بالرقة وكانت علته انه أصابه ثقل فى لسانه وشقه فعولج أشهرا فبرأ وكان يقول ما أحب أن يموت الرشيد لان أمرى قريب من أمره فلما صح من علته وتحدث عادته العلة واشتدت عليه وانعقد لسانه وطرفه فمات فى المحرم وصلى عليه اخوانه فى القصر الذى كانوا فيه ثم أخرج فصلى عليه الناس وجزع الناس عليه وكان موته قبل الرشيد بخمسة أشهر وهو ابن خمس وأربعين سنة وكان من محاسن الدنيا لم ير فى العالم مثله ولاشتهار أخباره وأخبار أهله وحسن سيرتهم لم نذكرها وفيها مات سعيد الطبرى المعروف بالجوهرى وفيها كانت وقعة بين هرثمة وأصحاب رافع كان الظفر لهرثمة وافتتح بخارا وأسر بشيرا أخا رافع فبعث به الى الرشيد

﴿ذكر موت الرشيد﴾

وفى هذه السنة مات الرشيد أول جمادى الآخرة لثلاث خلون منه وكانت قد اشتدت علته بالطريق بجرجان فسار الى طوس فمات بها قال جبرئيل بن بختيشوع كنت مع الرشيد بالرقة وكنت أول من يدخل عليه فى كل غداة أتعرف حاله فى ليلته ثم يحدثنى وينبسط الى ويسألنى عن أخبار العامة فدخلت عليه يوما فسلمت عليه فلم يكد يرفع طرفه ورأيته عابسا مفكرا مهموما فوقفت مليا من النهار وهو على تلك الحال فلما طال ذلك أقدمت فسألته عن حاله وما سببه فقال ان فكرى وهمى لرؤيا رأيتها فى ليلتى هذه قد أفزعتنى وملأت صدرى فقلت فرجت عنى يا أمير المؤمنين ثم قبلت يده ورجله وقلت الرؤيا انما تكون لخاطر أو بخارات رديئة وتهاويل السوداء وهى أضغاث أحلام قال فانى أقصها عليك رأيت كأنى جالس على سريرى هذا اذ بدت من تحتى ذراع أعرفها وكف أعرفها لا أفهم اسم صاحبها وفى الكف تربة حمراء فقال لى قائل أسمعه ولا أرى شخصه هذه التربة التى تدفن فيها فقلت واين هذه التربة قال طوس وغابت اليد وانقطع الكلام فقلت أحسبك لما أخذت مضجعك فكرت فى خراسان وما ورد عليك منها وانتقاض بعضها فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا فقال كان ذلك فأمرته باللهو والانبساط ففعل ونسينا الرؤيا وطالت الايام ثم سار الى خراسان لحرب رافع فلما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلة فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس فبيناهو يمرض فى بستان فى ذلك القصر الذى هو فيه اذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملا يقوم ويسقط فاجتمعنا نسأله فقال اتذكر رؤياى بالرقة فى طوس ثم رفع

وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل فى طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد اليه أحد يدا الا الحسن بن على وقد بايع لمعاوية فخذها لنفسك قبل التوطين قال زياد فأشر على قال أرى أن تنقل أصلك الى أصله وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك اذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا فى غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأى ابن شعبة وأرسلت اليه جويرية بنت أبى سفيان عن أمر أخيها فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت أنت أخى أخبرنى بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام أبو مريم السلولى فقال أشهد أن أبا سفيان

رأسه الى مسرور فقال جئنى من تربة هذا البستان فاتاه بها فى كفه حاسرا عن ذراعيه فلما نظر اليه قال هذه والله الذراع التى رأيتها فى منامى وهذه الكف بعينها وهذه التربة الحمراء ما خرمت شيأ وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بعد ثلاثة قال أبو جعفر لما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان فى صفر وقد اشتدت علته فسير ابنه المأمون الى مرو وسير معه من القواد عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ واسد بن يزيد والعباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث والسندى الحرشى ونعيم ابن حازم وسار الرشيد الى طوس واشتد به الوجع حتى ضعف عن الحركة فلما أثقل أرجف به الناس فبلغه ذلك فامر بمركوب ليركبه ليراه الناس فاتى بفرس فلم يقدر على النهوض فاتى ببرذون فلم يطق النهوض فاتى بحمار فلم ينهض فقال ردونى صدق والله الناس ووصل اليه وهو بطوس بشير بن الليث أخو رافع اسيرا فقال الرشيد والله لو لم يبق من أجلى الا أن أحرك شفتى بكلمة لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب فامر به ففصل اعضاءه فلما فرغ منه اغمى عليه وتفرق الناس عنه فلما ايس من نفسه أمر بقبره فحفر فى موضع من الدار التى كان فيها وانزل اليه قوما فقرؤا فيه القرآن حتى ختموا وهو فى محفة على شفير القبر يقول ابن آدم تصير الى هذا وكان يقول فى تلك الحال واسوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم بن عدى لما حضرت الرشيد الوفاة غشى عليه ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه فقال يا فضل

احين دنا ما كنت أرجو دنوه * رمتنى عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوما وكنت محسدا * فصبرا على مكروه أمر العواقب
سأبكى على الوصل الذى كان بيننا * واندب أيام السرور الذواهب

قال سهل بن صاعد كنت عند الرشيد وهو يجود بنفسه فدعا بملحفة غليظة فاحتبى بها وجعل يقاسى ما يقاسى فنهضت فقال اقعد فقعدت طويلا لا يكلمنى ولا أكلمه فنهضت فقال أين يا سهل فقلت ما يتسع قلبى يا أمير المؤمنين يعانى من المرض ما يعانى فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين فضحك ضحكا صحيحا ثم قال يا سهل اذكر فى هذه الحال قول الشاعر

وانى من قوم كرام يزيدهم * شماسا وصبرا شدة الحدثان

ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسمعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وقيل ملك ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وكان عمره سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام وكان جميلا وسيما أبيض جعدا قد وخطه الشيب قال وكان فى بيت المال لما توفى تسعمائة ألف ألف ونيف

(ذكر ولاة الامصار أيام الرشيد)

(ولاة المدينة) اسحق بن على عبد الملك بن صالح بن على محمد بن عبد الله موسى بن عيسى ابن موسى ابراهيم بن محمد بن ابراهيم على بن عيسى بن موسى محمد بن ابراهيم عبد الله بن مصعب بكار بن عبد الله بن مصعب محمد بن على ابو البخترى وهب بن منبه (ولاة مكة) العباس بن محمد ابن ابراهيم سليمان بن جعفر بن سليمان موسى بن عيسى بن موسى عبد الله بن محمد بن ابراهيم عبد الله بن قثم بن العباس عبيد الله بن قثم عبد الله بن محمد بن عمران عبيد الله بن محمد بن ابراهيم العباس بن موسى بن عيسى على بن موسى بن عيسى محمد بن عبد الله العثمانى حماد البربرى سليمان بن جعفر بن سليمان الفضل بن العباس بن محمد احمد بن اسمعيل بن على (ولاة الكوفة) موسى بن عيسى بن موسى محمد بن ابراهيم عبيد الله بن محمد بن ابراهيم يعقوب بن ابى جعفر

موسى

قدم علينا بالطائف وأنا خمار فى الجاهلية فقال ابغنى بغيا فاتيته لم وقلت لم أجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال أئتنى بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتمونى لكان أحب الى وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد أخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشانا فلم ألبث أن خرج على يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثدييها ودفر من فيها فقام زياد فقال أيها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست أدرى حق ذلك من باطله وانما كان عبيد مبرورا أو وليا مشكورا والشهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفى وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت أنت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة

موسى بن عيسى بن موسى العباس بن عيسى بن موسى اسحق بن الصباح الكندى موسى بن عيسى بن موسى العباس بن عيسى بن موسى موسى بن عيسى بن موسى جعفر بن ابى جعفر (ولاة البصرة) محمد بن سليمان بن على سليمان بن ابى جعفر عيسى بن جعفر بن ابى جعفر خزيمة بن خازم عيسى بن جعفر جرير بن يزيد جعفر بن سليمان جعفر بن ابى جعفر عبد الصمد بن على مالك بن على الخزاعى اسحق بن سليمان بن على سليمان بن ابى جعفر عيسى بن جعفر الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين عيسى بن جعفر بن ابى جعفر جرير بن يزيد عبد الصمد بن على اسحق بن عيسى بن على (ولاة خراسان) أبو العباس الطوسى جعفر بن محمد بن الاشعث العباس بن جعفر الغطريف بن عطاب سليمان بن راشد على الخراج حمزة بن مالك الفضل بن يحيى بن خالد منصور بن يزيد بن منصور جعفر بن يحيى وخليفته بها على ابن عيسى بن ماهان هرثمة بن أعين العباس بن جعفر للمأمون بها على بن الحسين بن قحطبة

(ذكر نسائه وأولاده)

قيل تزوج زبيدة وهى ام جعفر بنت جعفر بن المنصور واعرس بها سنة خمس وستين ومائة فولدت محمد الامين وماتت سنة ست وعشرين ومائتين وتزوج امة العزيز ام ولد الهادى فولدت له على بن الرشيد وتزوج ام محمد بنت صالح المسكين وتزوج العباسة بنت سليمان بن المنصور وتزوج عزيزة ابنة خاله الغطريف وتزوج العثمانية وهى ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وجدة ابيها فاطمة بنت الحسين بن على ومات الرشيد عن أربع مهائر زبيدة وام محمد بنت صالح وعباسة والعثمانية وكان قد ولد له من الذكور محمد الامين من زبيدة وعبد الله المأمون لام ولد اسمها مراجل والقاسم المؤتمن وابو اسحق محمد المعتصم وصالح وأبو عيسى محمد وأبو يعقوب محمد وأبو العباس محمد وابو سليمان محمد وأبو على محمد وأبو محمد وهو اسمه وابو أحمد محمد كلهم لامهات اولاد وله من البنات سكينة وأم حبيب وأروى وام الحسن وام محمد وهى حمدونة وفاطمة وأم ابيها وأم سلمة وخديجة وام القاسم ورملة وام جعفر وام على والعالية وريطة كلهن لامهات أولاد

(ذكر بعض سيرته)

قيل كان الرشيد يصلى كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا الا من مرض وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم بعد زكاته وكان اذا حج معه مائة من الفقهاء وابنائهم فاذا لم يحج احج ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة وكان يطلب العمل بآثار المنصور الا فى بذل المال فانه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال وكان لا يضيع عنده احسان محسن ولا يؤخر ذلك وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى أهل الادب والفقه ويكره المراء فى الدين وكان يحب المديح لا سيما من شاعر فصيح ويجزل العطاء عليه ولما مدحه مروان بن ابى حفصة بقصيدته التى منها

وسدت بهرون الثغور فاحكمت * به من امور المسلمين المرائر

أعطاه خمسة آلاف دينار وخلعة وعشرة من الرقيق الرومى وبرذونا من خاص مركبه وقيل كان مع الرشيد ابن أبى مريم المدنى وكان مضحكا فكها يعرف أخبار أهل الحجاز والقاب الاشراف ومكايد المجان فكان الرشيد لا يصبر عنه واسكنه فى قصره فجاء ذات ليلة وهو نائم فقام الرشيد الى صلاة الفجر فكشف اللحاف عنه وقال كيف أصبحت فقال ما أصبحت بعد اذهب الى عملك قال قم الى الصلاة قال هذا وقت صلاة أبى الجرود وأنا من أصحاب أبى يوسف فضى

لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة أبى مريم على زنا أبى سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها فقال يونس هل الا الى الله ثم أقع قال نعم وأستغفر الله فقال عبد الرحمن بن أم الحكم فى ذلك ويقال انه ليزيد بن مفرغ الحميرى

ألا أبلغ معاوية بن حرب
مغلغلة عن الرجل اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عف
وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهد ان رحمك من زياد
كرحم الفيل من ولد الاتان

وفى زياد واخوته يقول خالد النجارى

ان زيادا ونافعا وأبا
بكرة عندى من أعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا
من رحم أنثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا
مولى وذا ابن عمه عربى

ولما قتل على كرم الله وجهه كان فى نفس معاوية من يوم صفين على هاشم ابن عتبة بن أبى وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق

الرشيد يصلى وقام ابن أبى مريم وأتى الرشيد فرآه يقرأ فى الصلاة (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) فقال ما أدرى والله فما تمالك الرشيد ان ضحك ثم قال وهو مغضب فى الصلاة أيضا قال ما صنعت قال قطعت على صلاتى قال والله ما فعلت انما سمعت منك كلاما غمنى حين قلت ومالى لا أعبد الذى فطرنى فقلت لا أدرى فعاد الرشيد فضحكه ثم قال له اياك والقرآن والدين ولك ماشئت بعدهما وقيل استعمل يحيى بن خالد رجلا على بعض أعمال الخراج فدخل على الرشيد يودعه وعنده يحيى وجعفر فقال لهما الرشيد أوصياه فقال يحيى وفر واعمر وقال جعفر انصف وانتصف فقال الرشيد اعدل وأحسن وقيل حج الرشيد مرة فدخل الكعبة فرآه بعض الحجبة وهو واقف على اصابعه يقول يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك ردا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا يامن لا تضره الذنوب ولا تخفى عليه العيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا يامن كبس الارض على الماء وسد الهواء بالسماء واختار لنفسه أحسن الاسماء صل على محمد وعلى آل محمد وخرلى فى جميع أمورى يامن خشعت له الاصوات بانواع اللغات يسألونه الحاجات ان من حاجتى اليك أن تغفرلى ذنوبى اذا توفيتنى وصيرت فى لحدى وتفرق عنى أهلى وولدى اللهم لك الحمد حمدا يفضل كل حمد كفضلك على جميع الخلق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضا وصل عليه صلاة تكون له ذخرا واجزه عنا الجزاء الاوفى اللهم احينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ولا تجعلنا أشقياء مرجومين وقيل دخل ابن السماك على الرشيد فبينما هو عنده اذ طلب ماء فلما أراد شربه قال له ابن السماك مهلا يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكى قال اشرب فلما شرب قال اسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها قال بجميع ملكى قال ان ملكا لا يساوى شربة ماء وخروج بولة لجدير أن لا ينافس فيه فبكى الرشيد وقيل كان الفضيل بن عياض يقول ما من نفس أشد على موتا من هرون الرشيد ولوددت ان الله زاد من عمرى فى عمره فعظم ذلك على أصحابه فلما مات وظهرت الفتن وكان من المأمون ما حمل الناس عليه من القول بخلق القرآن قالوا الشيخ اعلم بما تكلم به وقال محمد بن منصور البغدادى لما حبس الرشيد أبا العتاهية جعل عليه عينا يأتيه بما يقول فرآه يوما قد كتب على الحائط

أما والله ان الظلم لوم * وما زال المسىء هو الظلوم

الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

فاخبر بذلك الرشيد فبكى واحضره واستحله وأعطاه ألف دينار وقال الاصمعى صنع الرشيد يوما طعاما كثيرا وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية فقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدالك سالما * فى ظل شاهقة القصور

فقال أحسنت ثم قال ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفى البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت * فى ظل حشرجة الصدور

فهنالك

كتب اليه أما بعد فانظر عبدالله بن هاشم بن عتبة فشديده الى عنقه ثم ابعث به الى فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل فى منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو ابن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذى يقول أبوه يوم صفين

انى شريت النفس لما اعتلا
وأكثر اللوم وما أقلا
أعور يبغى أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل أو يفلا
أسلهم بذى الكعوب سلا
لا خير عندى فى كريم ولى

فقال عمرو متمثلا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب الضب فاشخب أوداجه على أسباجه ولا ترده الى أهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم أهل غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبدالله يا عمرو ان اقتل

فهنالك تعلم موقنا * ما كنت الا فى غرور

فبكى الرشيد وقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال دعه فانه رآنا فى عمى فكره ان يزيدنا

(خلافة الامين)

وفى هذه السنة بويع الامين بالخلافة فى عسكر الرشيد صبيحة الليلة التى توفى فيها وكان المأمون حينئذ بمرو فكتب حمويه مولى المهدى صاحب البريد الى نائبه ببغداد وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد فدخل أبو مسلم على الامين فعزاه وهنأه بالخلافة فكان أول الناس فعل ذلك وكتب صالح بن الرشيد الى أخيه الامين يخبره بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم وأرسل معه الخاتم والقضيب والبردة فلما وصل رجاء انتقل الامين من قصره بالخلد الى قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فنعى الرشيد وعزى نفسه والناس ووعدهم الخير وأمن الابيض والاسود وفرق فى الجند الذين ببغداد رزق أربعة وعشرين شهرا ودعا الى البيعة فبايعه جلة أهل بيته وكل عم ابيه وأمر سليمان بن المنصور بأخذ البيعة على القواد وغيرهم فأمر السندى أيضا بأخذ البيعة من عداهم

(ذكر ابتداء الاختلاف بين الامين والمأمون)

فى هذه السنة ابتدأ الاختلاف بين الامين والمأمون ابنى الرشيد وكان سبب ذلك ان الرشيد لما سار نحو خراسان وأخذ البيعة للمأمون على جميع من فى عسكره من القواد وغيرهم وأقر له بجميع ما معه من الاموال وغيرها على ما سبق ذكره عظم على الامين ذلك ثم بلغه شدة مرض الرشيد فارسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتبا وجعلها فى قوائم صناديق المطبخ وكانت منقورة وألبسها جلود البقر وقال لا تظهرن أمير المؤمنين ولا غيره على ذلك ولو قتلت فاذا مات فادفع الى كل انسان منهم ما معك فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هرون قدومه فدعا به وسأله عن سبب قدومه فقال بعثنى الامين لآتيه بخبرك قال فهل معك كتاب قال لا فامر بما معه ففتش فلم يصيبوا شيأ فامر به فضرب فلم يقر بشىء فحبسه وقيده ثم أمر الفضل بن الربيع بتقريره فان أقر والا ضرب عنقه فقرره فلم يقر بشىء ثم غشى على الرشيد فصاح النساء فامسك الفضل عن قتله وحضر عند الرشيد فأفاق وهو ضعيف قد شغل عن بكر وغيره ثم مات وكان بكر قد كتب الى الفضل يسأله ان لا يعجل فى أمره بشىء فان عنده أشياء يحتاج الى علمها فاحضره الفضل واعلمه بموت الرشيد وسأله عما عنده فخاف أن يكون الرشيد حيا فلما تيقن موته اخرج الكتب التى معه وهى كتاب الى أخيه المأمون يأمره بترك الجزع وأخذ البيعة على الناس لهما ولاخيهما المؤتمن ولم يكن المأمون حاضرا كان بمرو وكتاب الى أخيه صالح يأمره بتسيير العسكر واستصحاب ما فيه وان يتصرف هو ومن معه برأى الفضل وكتاب الى الفضل يأمره بالحفظ والاحتياط على ما معه من الحرم والاموال وغير ذلك وأقر كل من كان اليه عمل على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحجابة فلما قرؤا الكتب تشاوروا هم والقواد فى اللحاق بالامين فقال الفضل بن الربيع لا أدع ملكا حاضرا لآخر ما أدرى ما يكون من أمره وأمر الناس بالرحيل فرحلوا محبة منهم لاهلهم ووطنهم وتركوا العهود التى كانت أخذت عليهم للمأمون فلما بلغ المأمون ذلك جمع من عنده من قواد أبيه وهم عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن قحطبة والعلاء مولى هرون وهو على حجابته والعباس بن المسيب بن زهير وهو على شرطته وأيوب بن أبى سمير وهو على كتابته وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وذو الرياستين وهو أعظمهم عنده قدرا وأخصهم به

رجل اسلمه قومه وادركه يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وأنت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت فى لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولا أحسبك منفلتا من مخاليب أمير المؤمنين فقال عبدالله أما والله يا ابن العاص انك لبطر فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول لا يستعجل فى المدة ولا يرتجى فى الشدة أفلا كان هذا منك اذ غمرك أقوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا كبارا لهم أيد شداد وألسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت اباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كانما انطبق عليه ضمد فقال عبدالله يا عمرو انا قد بلونا ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت بأقوام

واستشارهم فاشاروا أن يلحقهم فى ألفى فارس جريدة فيردهم فخلا به ذو الرياستين وقال ان فعلت ما أشار به هؤلاء جعلوك هدية الى أخيك ولكن الرأى ان تكتب اليهم كتابا وتوجه رسولا يذكرهم البيعة ويسألهم الوفاء ويحذرهم الحنث وما فيه دنيا وآخرة ففعل ذلك ووجه سهل ابن صاعد ونوفلا الخادم ومعهما كتاب فلحقا الجند والفضل بنيسابور فأوصلا الى الفضل كتابه فقال انما أنا واحد من الجند وشد عبد الرحمن بن جبلة الانبارى على سهل بالرمح ليطعنه فامره على جنبه وقال له قل لصاحبك لو كنت حاضرا لوضعته فيك وسب المأمون فرجعا اليه بالخبر فقال ذو الرياستين اعداء استرحت منهم ولكن افهم عنى ان هذه الدولة لم تكن قط أعز منها أيام المنصور فخرج عليه المقنع وهو يدعى الربوبية وقيل طلب بدم أبى مسلم فضعضع العسكر بخروجه بخراسان وخرج بعده يوسف البرم وهو عند المسلمين كافر فتضعضعوا أيضا له فاخبرنى أنت أيها الامير كيف رأيت الناس عندما ورد عليهم خبر رافع قال رأيتهم اضطربوا اضطرابا شديدا قال فكيف بك وأنت نازل فى اخوالك وبيعتك فى اعناقهم كيف يكون اضطراب أهل بغداد اصبر وأنا اضمن لك الخلافة قال المأمون قد فعلت وجعلت الامر اليك فقم به قال ذو الرياستين والله لاصدقنك ان عبد الله بن مالك ومن معه من القواد ان قاموا لك بالامر كانوا أنفع لك منى برياستهم المشهورة وبما عندهم من القوة فمن قام بالامر كنت خادما له حتى تبلغ أملك وترى رأيك وقام ذو الرياستين واتاهم فى منازلهم وذكرهم ما يجب عليهم من الوفاء قال فكانى جئتهم بجيفة على طبق فقال بعضهم هذا لا يحل اخرج وقال بعضهم من الذى يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه فجئت وأخبرته فقال قم بالامر قال قلت له قرأت القرآن وسمعت الاحاديث وتفقهت فى الدين فارى ان تبعث الى من بحضرتك من الفقهاء فتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السنة وتقعد على الصوف وترد المظالم ففعل ذلك جميعه واكرم القواد والملوك وابناء الملوك وكان يقول للتميمى نقيمك مقام موسى بن كعب وللربعى نقيمك مقام أبى داود وخالد بن ابراهيم ولليمانى نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم وكل هؤلاء نقباء الدولة العباسية ووضع عن خراسان ربع الخراج فحسن ذلك عند اهلها وقالوا ابن أختنا وابن عم نبينا وأما الامين فلما سكن الناس ببغداد أمر ببناء ميدان حول قصر المنصور بعد بيعته بيوم فقال شاعرهم

بنى أمين الله ميدانا ✻ وصير الساحة بستانا

وكانت الغزلان فيه بانا ✻ تهدى اليه فيه غزلانا

وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والرى وأهدى الى الامين وكتب اليه وعظمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة دخل هرثمة بن اعين حائط سمرقند فارسل رافع بن الليث الى الترك فاتوه وصار هرثمة بين رافع والترك ثم ان الترك انصرفوا فضعف رافع وفيها قدمت زبيدة امرأة الرشيد من الرقة الى بغداد فلقيها ابنها الامين بالانبار ومعه جمع من بغداد من الوجوه وكان معه أخوه ابن الرشيد وفيها قتل نقفور ملك الروم فى حرب برجان وكان ملك سبع سنين وملك بعده ابنه استبراق وكان مجروحا فبقى شهرين ومات فملك بعده ميخائيل بن جورجس ختنه على أخته وفيها عزل الامين أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة وأقره على قنسرين والعواصم واستعمل على الجزيرة خزيمة بن خازم وحج بالناس هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد وهو أمير مكة وفيها توفى صقلاب بن زياد الاندلسى وهو من أصحاب مالك وكان فقيها زاهدا وفى هذه السنة مات مروان

ابن

لا يغمر فونك وجند
لا يسأمونك ولو رمت
المنطق فى غير أهل الشام
لخط اليك عقالك والتلجلج
لسانك ولاضطرب فخذاك
اضطراب القعود الذى
أثقله حمله فقال معاوية
ايها عنكما وأمر باطلاق
عبد الله فقال عمرو لمعاوية
أمرتك أمرا حازما فعصيتنى
وكان من التوفيق قتل ابن
هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذى
أعان علينا يوم حز الغلاصم
فلم ينثنى حتى جرت من دمائنا
بصفين أمثال البحور
الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه
ويوشك أن تقرع به سن نادم
فقال عبد الله يجيبه
معاوى ان المرء عمرا أبت له
ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلى يا ابن هند وانما
يرى ما يرى عمرو ملوك
الاعاجم
على انهم لا يقتلون أسيرهم
اذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نقرة
عليك جناها هاشم وابن
هاشم
قضى ما انقضى منها وليس
الذى مضى
ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عنى تعف عن
ذى قرابة
وان ترقتلى تستحل محارمى

ابن معاوية الفزارى وقيل سنة أربع وتسعين فى ذى الحجة وفيها توفى اسمعيل بن علية وأبو بكر بن عياش وله ست وتسعون سنة (عياش بالياء المثناة من تحت والشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر خلاف أهل حمص على الامين﴾

فى هذه السنة خالف اهل حمص على الامين وعلى عاملهم اسحق بن سليمان فانتقل عنهم الى سلمية فعزله الامين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشى فقتل عدة من وجوههم وحبس عدة وألقى النار فى نواحيها فسألوا الامان فاجابهم ثم هاجوا بعد ذلك فقتل عدة منهم

﴿ذكر ظهور الخلاف بين الامين والمأمون﴾

وفى هذه السنة أمر الامين بالدعاء على المنابر لابنه موسى وكان السبب فى ذلك أن الفضل بن الربيع لما قدم العراق من طوس ونكث عهد المأمون أفكر فى أمره وعلم ان المأمون ان افضت اليه الخلافة وهو حى لم يبق عليه فسعى فى اغراء الامين وحثه على خلع المأمون والبيعة لابنه موسى بولاية العهد ولم يكن ذلك فى عزم محمد الامين فلم يزل الفضل يصغر عنده امر المأمون ويزين له خلعه وقال له ما تنتظر بعبد الله والقاسم فان البيعة كانت لك قبلهما وانما أدخلا فيها بعدك ووافقه على هذا على بن عيسى بن ماهان والسندى وغيرهما فرجع الامين الى قولهم ثم انه احضر عبد الله بن خازم فلم يزل فى مناظرته حتى انقضى الليل وكان مما قال عبد الله انشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تكون اول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه ورد رأى الخليفة قبله فقال اسكت فعبد الملك كان أفضل منك رأيا وأكمل نظرا يقول لا يجتمع فحلان فى اجمة ثم جمع القواد وعرض عليهم خلع المأمون فابوا ذلك وربما ساعده قوم حتى بلغ الى خزيمة بن خازم فقال يا أمير المؤمنين لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر مخذول والناكث مغلول فاقبل الامين على على ابن عيسى بن ماهان فتبسم وقال لكن شيخ الدعوة وناب هذه الدولة لا يخالف على امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع لم يرفعه اليه قبلها لانه كان هو والفضل بن الربيع يعينانه على الخلع ولج الامين فى خلع المأمون حتى انه قال يوما للفضل بن الربيع يا فضل أحياة مع عبد الله لا بد من خلعه والفضل يغريه ويقول فمتى ذلك اذا غلب على خراسان وما فيها فاول ما فعله ان كتب الى جميع العمال بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء للمأمون وللمؤتمن فلما بلغ ذلك المأمون مع عزل المؤتمن عما كان بيده وأسقط اسم الامين من الطرز وقطع البريد عنه وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما بلغه حسن سيرة المأمون طلب الامان فاجابه الى ذلك فحضر عند المأمون وأقام هرثمة بسمرقند ومعه طاهر بن الحسين ثم قدم هرثمة على المأمون فاكرمه وولاه الحرس فانكر ذلك كله الامين فكان مما وتر عليه ان كتب الى العباس بن عبد الله بن مالك وهو عامل المأمون على الرى يأمره ان ينفذ بغرائب غروس الرى يريد امتحانه فبعث اليه بما امره وكتم ذلك عن المأمون وذى الرياستين فبلغ المأمون فعزله بالحسن بن على المأمونى ثم وجه الامين الى المأمون أربعة انفس وهم العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على وعيسى بن جعفر بن المنصور وصالح صاحب المصلى ومحمد بن عيسى بن نهيك يطلب اليه ان يقدم ابنه موسى على نفسه ويحضر عنده فقد استوحش لبعده فبلغ الخبر المأمون فكتب الى عماله بالرى ونيسابور وغيرهما يأمرهم باظهار العدة والقوة ففعلوا ذلك وقدم الرسل على المأمون وابلغوه الرسالة وكان ابن ماهان أشار

فقال معاوية
أرى العفو عن عليا قريش
وسيلة
الى الله فى يوم العصيب
القماطر
ولست أرى قتل العداة
ابن هاشم
بادراك ثارى فى لؤى وعامر
بل العفو عنه بعدما بان
جرمه
وزلت به احدى الجدود
العوائر
فكان أبوه يوم صفين جمرة
علينا فأردته رماح شهابر
وحضر عبد الله بن هاشم
ذات يوم مجلس معاوية
فقال معاوية من يخبرنى
عن الجود والنجدة والمروءة
فقال عبد الله يا أمير المؤمنين
أما الجود فابتذال المال
والعطية قبل السؤال وأما
النجدة فالجراءة على
الاقدام والصبر عند ازورار
الاقدام وأما المروءة
فالصلاح فى الدين والاصلاح
للمال والمحاماة عن الجار
ولما صرف على رضى الله
عنه قيس بن سعد بن عبادة
عن مصر وجه مكانه محمد
ابن أبى بكر فلما وصل اليها
كتب الى معاوية كتابا فيه
من محمد بن أبى بكر الى
الغاوى معاوية بن صخر
أما بعد فان الله بعظمته
وسلطانه خلق خلقه

بذلك وأخبر الامين ان أهل خراسان معه فلما سمع المأمون هذه الرسالة استشار الفضل بن سهل فقال له احضر هشاما والدعلى وأحمد ابنى هشام واستشره فاحضره واستشاره فقال له انما أخذت البيعة علينا على ان لا نخرج من خراسان فتى فعلت ذلك فلا بيعة لك فى اعناقنا والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومتى هممت بالمسير اليه تعلقت بك بيمينى فاذا قطعت تعلقت بيسارى فاذا قطعت تعلقت بلسانى فاذا ضربت عنقى كنت أديت ما على فقوى عزم المأمون على الامتناع فاحضر العباس وأعلمه انه لا يحضر وانه لا يقدم موسى على نفسه فقال العباس بن موسى ما عليك أيها الامير من ذلك فهذا جدى عيسى بن موسى قد خلع فما ضره فصاح به ذو الرياستين اسكت ان جدك كان أسيرا فى أيديهم وهذا بين أخواله وشيعته ثم قاموا انخلا ذو الرياستين بالعباس بن موسى واستماله ووعده امرة الموسم ومواضع من مصر فاجاب الى بيعة المأمون ودعى المأمون ذلك الوقت بالامام فكان العباس يكتب اليهم بالاخبار من بغداد ورجع الرسل الى الامين فأخبروه بامتناع المأمون وألح الفضل وعلى بن عيسى على الامين فى خلع المأمون والبيعة لابنه موسى بن الامين وكان الامين قد كتب الى المأمون يطلب منه ان ينزل عن بعض كور خراسان وان يكون له عنده صاحب البريد يكاتبه بالاخبار فاستشار المأمون خواصه وقواده فاشاروا باحتمال هذا الشر والاجابة اليه خوفا من شر هو أعظم منه فقال لهم الحسن بن سهل أتعلمون ان الامين طلب ما ليس له قالوا نعم ويحتمل ذلك لضرر منعه قال فهل تثقون بكفه بعد اجابته فلا يطلب غيرها قالوا لا قال فان طلب غيرها فما ترون قالوا نمنعه قال فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض من مكروه فى يومك ولا تلتمس هدنة يومك باخطار أدخلته على نفسك فى غدك فقال المأمون لذى الرياستين ما تقول أنت فقال اسعدك الله هل تأمن ان يكون الامين طالبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك بل انما أشار الحكماء بحمل ثقل ترجون به صلاح العاقبة فقال المأمون بايثار دعة العاجل صار الى فساد العاقبة فى دنياه وآخرته فامتنع المأمون من اجابته الى ما طلب وأنفذ المأمون ثقته الى الحد فلا يمكن أحدا من العبور الى بلاده الا مع ثقة من ناحيته وحصر أهل خراسان ان يستمالوا برغبة أو رهبة وضبط الطرق بثقات أصحابه فلم يمكنوا من دخول خراسان الا من عرفوه وأتى بجواز أو كان تاجرا معروفا وفتشت الكتب وقيل لما أراد الامين ان يكتب الى المأمون يطلب بعض كور خراسان قال له اسمعيل بن صبيح يا أمير المؤمنين ان هذا مما يقوى التهمة وينبه على الحذر ولكن اكتب اليه فاعلمه حاجتك وما تحب من قربه والاستعانة به على ما ولاك الله واسأله القدوم عليك لترجع الى رأيه فيما تفعل فكتب اليه بذلك وسير الكتاب مع نفر وأمرهم ان يبلغوا الجهد فى احضاره وسير معهم الهدايا الكثيرة فلما حضر الرسل عنده وقرأ الكتاب أشاروا عليه باجابة الامين وأعلموه ما فى اجابته من المصلحة العامة والخاصة فاحضر ذا الرياستين وأقرأه الكتاب واستشاره فاشار عليه بملازمة خراسان وخوفه من القرب من الامين فقال لا يمكننى مخالفته واكثر القواد والاموال معه والناس مائلون الى الدرهم والدينار لا يرغبون فى حفظ عهد ولا امانة ولست فى قوة حتى امتنع وقد فارق جبغويه الطاعة والتوى خاقان ملك التبت وملك كابل قد استعد للغارة على ما يليه وملك اترار بنده قد منع الضريبة ومالى بواحد من هذه الامور يد ولا أرى الا تخلية ما أنا فيه واللحاق بخاقان ملك الترك والاستجارة به لعلى آمن على نفسى فقال ذو الرياستين ان عاقبة الغدر شديدة وتبعة البغى غير مأمونة ورب مقهور قد عاد قاهرا وليس النصر

بالكثرة

بلا عبث منه ولا ضعف فى قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه على بن أبى طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له فى فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نية وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم اخوه الشارى بنفسه يوم موته وعمه سيد الشهداء يوم أحد وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان فى

بالكثرة والقلة والموت أيسر من الذل والضيم وما أرى ان تصير الى أخيك متجردا من قوادك وجندك كالرأس الذى فارق بدنه فتكون عنده كبعض رعيته يجرى عليك حكمه من غير ان تبدى عذرا فى قتال واكتب الى جبغويه وخاقان فولهما بلادهما وابعث الى ملك كابل بعض هدايا خراسان ووادعه واترك لملك اترار بنده ضريبته ثم اجمع اطرافك وضم جندك واضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال فان ظفرت والا لحقت بخاقان فعرف المأمون صدقه ففعل ما أشار به فرضى أولئك الملوك العصاة وضم جنده وجمعهم عنده وكتب الى الامين أما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين وانما أنا عامل من عماله وعون من أعوانه أمرنى الرشيد بلزوم الثغر ولعمرى ان مقامى به أرد على أمير المؤمنين واعظم غناء للمسلمين من الشخوص الى أمير المؤمنين فان كنت مغتبطا بقربه مسرورا بمشاهدة نعمة الله عنده فان رأى أمير المؤمنين ان يقرنى على عملى ويعفينى من الشخوص فعل ان شاء الله فلما قرأ الامين كتاب المأمون علم انه لا يتابعه على ما يريده فكتب اليه يسأله ان ينزل عن بعض كور خراسان كما تقدم ذكره فلما امتنع المأمون أيضا من اجابته الى ما طلب أرسل جماعة ليناظروه فى منع ما طلب منه فلما وصلوا الى الرى منعوا ووجدوا تدبيره محكما وحفظوا فى حال سفرهم واقامتهم من ان يخبروا او يستخبروا وكانوا معدين لوضع الاخبار فى العامة فلم يمكنهم ذلك فلما رجعوا أخبروا الامين بما رأوا وقيل ان الامين لما عزم على خلع المأمون وزين له ذلك الفضل وابن ماهان دعا يحيى بن سليم وشاوره فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين كيف تفعل ذلك مع ما قد أكد الرشيد من بيعته وأخذ الشرائط والايمان فى الكتاب الذى كتبه فقال الامين ان رأى الرشيد كان فلتة شبهها عليه جعفر بن يحيى فلا ينفعنا ما نحن فيه الا بخلعه وقلعه واحتشاشه فقال يحيى اذا كان رأى أمير المؤمنين خلعه فلا تجاهره فيستنكر الناس ذلك ولكن تستدعى الجند بعد الجند والقائد بعد القائد وتؤنسهما بالالطاف والهدايا وتفرق ثقاته ومن معه وترغبهم بالاموال فاذا وهنت قوته واستفرغت رجاله أمرته بالقدوم عليك فان قدم صار الى الذى تريد منه وان أبى كنت قد تناولته وقد كل حده وانقطع عزه فقال الامين أنت مهذار خطيب ولست بذى رأى مصيب قم فالحق بمدادك وأقلامك وكان ذو الرياستين الفضل بن سهل قد اتخذ قوما يثق بهم ببغداد يكاتبونه بالاخبار وكان الفضل بن الربيع قد حفظ الطرق وكان أحد أولئك النفر اذا كاتب ذا الرياستين بما تجدد ببغداد يسير الكتاب مع امرأة ويجعله فى عود اكفاف وتسير كالمجتازة من قرية الى قرية فلما ألح الفضل بن الربيع فى خلع المأمون أجابه الامين الى ذلك وبايع لولده موسى فى صفر وقيل فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين ومائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسماه الناطق بالحق ونهى عن ذكر المأمون والمؤتمن على المنابر وأرسل الى الكعبة بعض الحجبة فاتاه بالكتابين اللذين وضعهما الرشيد فى الكعبة ببيعة الامين والمأمون فاحضرهما عنده فخرقهما الفضل فلما أتت الاخبار الى المأمون بذلك قال لذى الرياستين هذه امور أخبر الرأى عنها وكفانا ان نكون مع الحق فكان أول ما دبره ذو الرياستين حين بلغه ترك الدعاء للمأمون وصح عنده ان جمع الاجناد الذين كان اتخذهم بجنبات الرى مع الاجناد الذين كانوا بها وأمدهم بالاقوات وغيرها وكانت البلاد عندهم قد اجدبت فاكثر عندهم ما يريدونه حتى صاروا فى ارغد عيش واقاموا بالحد لا يتجاوزونه ثم أرسل اليهم طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن اسعد أبا العباس الخزاعى أميرا فيمن ضم اليه من قواده وأجناده فسار مجدا حتى ورد الرى فنزلها فوضع المسالح والمواصل فقال بعض شعراء خراسان

اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات أبوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلى مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق فى اتباعه والشقاء فى خلافه فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلى وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وأبو ولده أول الناس له اتباعا وأقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على أمره وأنت عدوه وابن عدوه فتمتع فى دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص فى غوايتك فكان أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذى آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وأنت منه فى غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر

رمى اهل العراق ومن عليها * امام العدل والملك الرشيد
باحزم من نشا رأيا وحزما * وكيدا نافذا مما يكيد
بداهية تؤدخينفقيق * يشيب لهول صولتها الوليد

فاما الامين فانه وجه عصمة بن حماد بن سالم الى همذان فى ألف رجل وأمره ان يوجه مقدمته الى ساوة ويقيم بهمذان وجعل الفضل بن الربيع وعلى بن عيسى يبعثان الامين ويغريانه بحرب المأمون ولما بايع الامين لولده موسى جعله فى حجر على بن عيسى وجعل على شرطه محمد بن عيسى ابن نهيك وعلى حرسه عثمان بن عيسى بن نهيك وعلى رسائله على بن صالح صاحب المصلى

﴿ذكر خلاف أهل تونس على ابن الاغلب﴾

فى هذه السنة عصى عمران بن مجالد الربيعى وقريش بن التونسى بتونس على ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية واجتمع فيها خلق كثير وحصر ابراهيم بن الاغلب بالقصر وجمع من أطاعه وخالف عليه أيضا أهل القيروان فى جمادى الآخرة فكانت بينهم وقعة وحرب قتل فيها جماعة من رجال ابن الاغلب وقدم عمران بن مجالد فيمن معه فدخل القيروان عاشر رجب وقدم قريش من تونس اليه فكانت بينهم وبين ابن الاغلب وقعة فى رجب فانهزم أصحاب ابن الاغلب ثم التقوا فى العشرين منه فانهزموا ثانية أيضا ثم التقوا ثالثة فيه أيضا فكان الظفر لابن الاغلب وأرسل عمران بن مجالد الى أسد بن الفرات الفقيه ليخرج معهم فامتنع فاعاد الرسول يقول له تخرج معنا والا أرسلت اليك من يجر برجلك فقال أسد للرسول قل له والله ان خرجت لاقولن للناس ان القاتل والمقتول فى النار فتركه

﴿ذكر عصيان أهل ماردة وغزو الحكم بلاد الفرنج﴾

فى هذه السنة عاود أهل ماردة الخلاف على الحكم بن هشام أمير الاندلس وعصوا عليه فسار بنفسه اليهم وقاتلهم ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد الى مقاتلتهم هذه السنة وسنة خمس وسنة ست وتسعين ومائة وطمع الفرنج فى ثغور المسلمين وقصدوها بالغارة والقتل والنهب والسبى وكان الحكم مشغولا باهل ماردة فلم يتفرغ للفرنج فاتاه الخبر بشدة الامر على أهل الثغور وما بلغ العدو منهم وسمع ان امرأة مسلمة أخذت سبية فنادت واغوثاه يا حكم فعظم الامر عليه وجمع عسكره واستعد وحشد وسار الى بلد الفرنج سنة ست وتسعين ومائة واثخن فى بلادهم وافتتح عدة حصون وخرب البلاد ونهبها وقتل الرجال وسبى الحريم ونهب الاموال وقصد الناحية التى كانت بها تلك المرأة فامر لهم من الاسرى بما يفادون به أسراهم وبالغ فى الوصية فى تخليص تلك المرأة فتخلصت من الاسر وقتل باقى الاسرى فلما فرغ من غزاته قال لاهل الثغور هل أغاثكم الحكم فقالوا نعم ودعوا له وأثنوا عليه خيرا وعاد الى قرطبة مظفرا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها وثبت الروم على ملكهم ميخائيل فهرب وترهب وكان ملك نحو سنتين وملك بعده أليون القائد وكان على الموصل ابراهيم بن العباس استعمله الامين وفى هذه السنة قتل شقيق البلخى الزاهد فى غزاة كولان من بلاد الترك وفيها مات الوليد بن مسلم صاحب الاوزاعى وقيل سنة خمس وتسعين وكان مولده سنة عشر ومائة وفيها مات حفص بن غياث النخعى قاضى الكوفة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة (غياث بالغين المعجمة) وفيها توفى عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى وكان مولده سنة ست عشرة ومائة وكان قد اختلط فى آخر عمره وكان حديثه صحيحا الى ان

الى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر فيه ما الله أهله فى عظمته وقدرته وسلطانه وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن أبى طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه فى كل هول وخوف فكان احتجاجك على وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته فابلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لا يشركانه فى أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار

اختلط وفيها توفى سيبويه النحوى واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر وقيل كان توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة قيل وكان عمره قد زاد على أربعين سنة وقيل كان عمره اثنتين وثلاثين سنة وفيها توفى يحيى بن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاص وعمره أربع وسبعون سنة

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر قطع خطبة المأمون﴾

فى هذه السنة أمر الامين باسقاط ما كان ضرب لاخيه المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان فى سنة أربع وتسعين ومائة لانها لم يكن عليها اسم الامين وامر فدعى لموسى بن الامين على المنابر ولقبه الناطق بالحق وقطع ذكر المأمون لقول بعضهم وكان موسى طفلا صغيرا ولابنه الآخر عبد الله ولقبه القائم بالحق

﴿ذكر محاربة على بن عيسى وطاهر﴾

ثم ان الامين أمر على بن عيسى بن ماهان بالمسير لحرب المأمون وكان سبب مسيره دون غيره ان ذا الرياستين كان له عين عند الفضل بن الربيع يرجع الى قوله ورأيه فكتب ذو الرياستين الى ذلك الرجل يأمره أن يشير بانفاذ ابن ماهان لحربهم وكان مقصوده ان ابن ماهان لما ولى خراسان أيام الرشيد أساء السيرة فى أهلها فظلمهم فعزله الرشيد لذلك ونفر أهل خراسان عنه وأبغضوه فاراد ذو الرياستين ان يزداد اهل خراسان جدا فى محاربة الامين وأصحابه ففعل ذلك الرجل ما أمر ذو الرياستين فامر الامين ابن ماهان بالمسير وقيل كان سببه ان عليا قال للامين ان أهل خراسان كتبوا اليه يذكرون أنه ان قصدهم هو أطاعوه وانقادوا له وان كان غيره فلا فامره بالمسير وأقطعه كور الجبل كلها نهاوند وهمذان وقم واصبهان وغير ذلك وولاه حربها وخراجها وأعطاه الاموال وحكمه فى الخزائن وجهز معه خمسين ألف فارس وكتب الى أبى دلف القاسم ابن ادريس بن عيسى العجلى وهلال بن عبد الله الحضرمى بالانضمام اليه وامدته بالاموال والرجال شيأ بعد شئ فلما عزم على المسير من بغداد ركب الى باب زبيدة أم الامين ليودعها فقالت له يا على ان أمير المؤمنين ان كان ولدى واليه انتهت شفقتى فانى على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى وانما ابنى ملك نافس أخاه فى سلطانه الكريم يأكل لحمه ويحقيه غيره فاعرف لعبد الله حق ولادته واخوته ولا تجبهه بالكلام فانك لست بنظيره ولا تقتسره اقتسار العبيد ولا توهنه بقيد ولا غل ولا تمنع عنه جارية ولا خادما ولا تعنف عليه فى السير ولا تساوه فى المسير ولا تركب قبله وخذ بركابه وان شتمك فاحتمل منه ثم دفعت اليه قيدا من فضة وقالت ان صار اليك فقيده بهذا القيد فقال لها سأفعل مثل ما أمرت ثم خرج على بن عيسى فى شعبان وركب الامين يشيعه ومعه القواد والجنود وذكر مشايخ بغداد انهم لم يروا عسكرا أكثر رجالا وأفره كراعا وأتم عدة وسلاحا من عسكره ووصاه الامين وأمره ان قاتله المأمون ان يحرص على اسره ثم سار فلقيه القوافل عند جلولاء فسألهم فقالوا له ان طاهرا مقيم بالرى يعرض أصحابه ويرم آلته والامداد تأتيه من خراسان وهو يستعد للقتال فيقول انما طاهر شوكة من اغصانى وما مثل طاهر يتولى الجيوش ثم قال لاصحابه ما بينكم وبين ان ينقصف انقصاف الشجر من الريح العاصف الا ان يبلغه عبورنا عقبة همذان فان السخال لا تقوى على النطاح والبغال لا صبر لها على لقاء الاسد وان اقام تعرض لحد السيف واسنة الرماح واذا قاربنا الرى ودنونا منهم فت ذلك فى اعضادهم ثم انفذ الكتب الى ملوك الديلم وطبرستان وما والاها من الملوك يعدهم الصلات

بسيرهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصى من أهل المعاصى فطلبتما له الغوائل وأظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه مناكما فخذ حذرك يا ابن أبى بكر وقس شبرك بفترك يقصر عن أن توازى أو تساوى من يزن الجبال بحلمه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال أناته مهد مهاده وبنى لملكه وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فابوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبى طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فاخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أودع ذلك والسلام على من أناب (ومما كتب به معاوية الى على) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشام على ان لا تلزمنى لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت

واهدى لهم التيجان والاسورة وغيرها وامرهم أن يقطعوا طريق خراسان فاجابوه الى ذلك وسار حتى اتى اوّل اعمال الرى وهو قليل الاحتيال فقال له جماعة من اصحابه لو أركبت العيون وعملت خندقا لاصحابك وبعثت الطلائع لامنت البيات وفعلت الرأى فقال مثل طاهر لا يستعد له وان حاله يؤل الى امرين اما ان يتحصن بالرى فيبيته اهلها فيكفونا امره واما ان يرجع ويتركها اذا قربت خيلنا منه فقالوا له لو كان عزمه تركها والرجوع لفعل فانا اقد قربنا منه فلم يفعل ولما صار بينه وبين الرى عشرة فراسخ استشار طاهر اصحابه فاشاروا عليه ان يقيم بالرى ويدافع القتال الى ان يأتيه من خراسان المدد وقائد يتولى الامور دونه وقالوا له ان مقامك ارفق باصحابك واقدر لهم على الميرة واكن من البرد فنعتصم بالبيوت ونقدر على المماطلة فقال طاهر ان الرأى ليس ما رأيتم ان أهل الرى لعلى هائبون ومن سطوته مشفقون ومعه من اعراب البوادى وصعاليك الجبال والقرى كثير ولست آمن ان اقمت بالرى أن يثب أهلها بنا خوفا من على وما الرأى الا ان نسير اليه فان ظفرنا والا عوّلنا عليها فقاتلناه فيها الى ان يأتينا مدد فنادى طاهر فى أصحابه فخرج من الرى فى أقل من أربعة آلاف فارس وعسكر على خمسة فراسخ فأتاه احمد بن هشام وكان على شرطة طاهر فقال له ان أتانا على بن عيسى فقال أنا عامل امير المؤمنين واقررنا له بذلك فليس لنا ان نحاربه فقال طاهر لم يأتنى فى ذلك شئ فقال دعنى وما أريد فقال افعل فصعد المنبر فخلع محمدا ودعا للمأمون بالخلافة وسار واعتسا وقال له بعض اصحابه ان جندك قد هابوا هذا الجيش فلو أخرت القتال الى ان يشامهم اصحابك ويأنسوا بهم ويعرفوا وجه المأخذ فى قتالهم فقال انى لا أوتى من قلة تجربة وحزم ان اصحابى قليل والقوم عظيم سوادهم كثير عددهم فان أخرت القتال اطلعوا على قلتنا واستمالوا من معى برغبة ورهبة فيخذلنى أهل الصبر والحفاظ ولكن الف الرجال بالرجال والحم الخيل على الخيل واعتمد على الطاعة والوفاء واصبر صبر محتسب للخير حريص على الفوز بالشهادة فان نصرنا الله فذلك الذى نريده ونرجوه وان تكن الاخرى فلست باوّل من قاتل وقتل وما عند الله أجزل وافضل وقال على لاصحابه بادروهم فانهم قليلون ولو وجدوا حرارة السيوف وطعن الرماح لم يصبروا عليها وعبا جنده ميمنة وميسرة وقلبا وعبا عشر رايات مع كل راية مائة رجل وقدمها راية راية وجعل بين كل رايتين غلوة سهم وأمر أمراءها اذا قاتلت الراية الاولى وطال قتالهم ان تتقدم التى تليها وتتأخر هى حتى تستريح وجعل أصحاب الجواشن امام الرايات ووقف فى شجعان أصحابه وعبا طاهر أصحابه كراديس وسار بهم يحرضهم ويوصيهم ويرجيهم وهرب من اصحاب طاهر نفر الى على فجلد بعضهم واهان الباقين فكان ذلك مما ألب الباقين على قتاله وزحف الناس بعضهم الى بعض فقال احمد بن هشام لطاهر ألا تذكر على بن عيسى البيعة التى أخذها هو علينا للمأمون خاصة معاشر أهل خراسان قال افعل فاخذ البيعة فعلقها على رمح وقام بين الصفين وطلب الامان فأمنه على بن عيسى فقال له ألا تتقى الله عز وجل اليس هذه نسخة البيعة التى أخذتها انت خاصة اتق الله فقد بلغت باب قبرك فقال على من اتانى به فله ألف درهم فشتمه أصحاب أحمد وخرج من أصحاب على رجل يقال له حاتم الطائى فحمل عليه طاهر وأخذ السيف بيديه وضربه فصرعه فلذلك سمى طاهر ذا اليمينين ووثب أهل الرى فاغلقوا باب المدينة فقال طاهر لاصحابه اشتغلوا بمن امامكم عمن خلفكم فانه لا ينجيكم الا الجد والصدق ثم اقتتلوا قتالا شديدا وحملت ميمنة على على ميسرة طاهر فانهزمت هزيمة منكرة وميسرته على ميمنة طاهر فازالتها أيضا عن موضعها فقال طاهر اجعلوا جدكم وبأسكم على القلب

واجملوا

الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام (فكتب اليه على كرم الله وجهه) من على بن أبى طالب الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وأنا وإياك نلتمس منها غاية لم نبلغها بعد فاما طلبك منى الشأم فانى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشأم على الدنيا باحرص من أهل العراق على الآخرة وأما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كابى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام (وحدث) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن أبى مجاهد عن محمد بن اسحق بن أبى

واجملوا حملة خارجية فانكم متى فضضتم منها راية واحدة رجعت أوائلها على اواخرها فصبر أصحابه صبرا صادقا وحملوا على اول رايات القلب فهزموهم واكثروا فيهم القتل ورجعت الرايات بعضها على بعض فانتقضت ميمنة على ورأى ميمنة طاهر وميسرته ما فعل اصحابهم فرجعوا على من بازائهم فهزموهم وانتهت الهزيمة الى على فجعل ينادى اصحابه اين اصحاب الخواص والجوائز والاسورة والاكاليل الى الكرة بعد الفرة فرماه رجل من اصحاب طاهر بسهم فقتله وقيل داود سياه هو الذى حمل رأسه الى طاهر وشدت يداه الى رجليه وحمل على خشبة الى طاهر فأمر به فألقى فى بئر فاعتق طاهر من كان عنده من غلمانه شكرا لله تعالى وتمت الهزيمة ووضع أصحاب طاهر فيهم السيوف وتبعوهم فرسخين واقعوهم فيها اثنتى عشرة مرة فى كل ذلك ينهزم عسكر الامين واصحاب طاهر يقتلون ويأسرون حتى حال الليل بينهم وغنموا غنيمة عظيمة ونادى طاهر من ألقى سلاحه فهو آمن فطرحوا أسلحتهم ونزلوا عن دوابهم ورجع طاهر الى الرى وكتب الى المأمون وذى الرياستين بسم الله الرحمن الرحيم كتابى الى أمير المؤمنين ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى وجنده مصرفون تحت أمرى والسلام فورد الكتاب مع البريد فى ثلاثة ايام وبينهما نحو من خمسين ومائتى فرسخ فدخل ذو الرياستين على المأمون فهناه بالفتح وأمر الناس فدخلوا عليه فسلموا عليه بالخلافة ثم وصل رأس على بعد الكتاب بيومين فطيف به فى خراسان ولما وصل الكتاب بالفتح كان المأمون قد جهز هرثمة فى جيش كثير ليسيره نجدة لطاهر فأتاه الخبر بالفتح وأما الأمين فانه أتاه نعى على بن عيسى وهو يصطاد السمك فقال للذى اخبره ويلك دعنى فان كوثرا قد اصطاد سمكتين وانا ما اصطدت شيأ بعد ثم بعث الفضل الى نوفل الخادم وهو وكيل المأمون على ملكه بالسواد والناظر فى أمر أولاده ببغداد وكان للمأمون معه الف الف درهم كان قد وصله بها الرشيد فاخذ جميع ما عنده وقبض ضياعه وغلاته فقال بعض شعراء بغداد فى ذلك

اضاع الخلافة غش الوزير * وفسق الامير وجهل المشير
ففضل وزير وبكر مشير * يريدان ما فيه حتف الامير
وما ذاك الا طريق غرور * وشر المسالك طرق الغرور

فى عدة أبيات تركنها لما فيها من القذف الفاحش ولقد عجبت لابى جعفر حيث ذكرها مع ورعه وندم الامين على نكثه وغدره ومشى القواد بعضهم الى بعض فى النصف من شوال فاتفقوا على طلب الارزاق والشغب ففعلوا ذلك ففرق فيهم مالا كثيرا بعد أن قاتلهم عبد الله بن خازم فمنعه الامين

﴿ذكر توجيه عبد الرحمن بن جبلة﴾

لما اتصل بالامين قتل على بن عيسى وهزيمة عسكره وجه عبد الرحمن بن جبلة الانبارى فى عشرين ألف رجل نحو همذان واستعمله عليها وعلى كل ما يفتحه من ارض خراسان وأمره بالجد وامده بالاموال فسار حتى نزل همذان وحصنها ورم سورها وأتاه طاهر الى همذان فخرج اليه عبد الرحمن على تعبية فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان وكثر القتل والجراح فيهم ثم انهزم عبد الرحمن ودخل همذان فاقام بها أياما حتى قوى أصحابه واندمل جراحهم ثم خرج الى طاهر فلما رآهم قال لاصحابه ان عبد الرحمن يريد ان يتراءى لكم فاذا قربتم منه قاتلكم فان هزمتموه ودخل المدينة قاتلكم على خندقها وان هزمكم اتسع له المجال ولكن قفوا قريبا من عسكرنا وخندقنا فان قرب منا قاتلناه فوقفوا فظن عبد الرحمن ان الهيبة منعتهم فتقدم اليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان وكثر القتل فى أصحاب عبد الرحمن فجعل يطوف عليهم ويحرضهم ويأمرهم بالصبر

نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه فزحف سعد ثم قال أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على والله لأن يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لأن أكون صهر الرسول صلى الله عليه وسلم لى من الولد ما لعلى أحب الى من يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما قاله يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما قال له فى غزوة تبوك الا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى أحب الى من أن

ثم ان رجلا من أصحاب طاهر حمل على صاحب علم عبد الرحمن فقتله وزحمهم أصحاب طاهر فانهزموا ووضع فيهم أصحاب طاهر السيوف يقتلونهم حتى انتهوا الى المدينة وأقام طاهر على بابها محاصرا لها فاشتد بهم الحصار وضجر أهل المدينة فخاف عبد الرحمن ان يثب به أهل المدينة مع ما فيه أصحابه من الجهد فارسل الى طاهر يطلب الامان لنفسه ولمن معه فامنه فخرج عن همذان

﴿ذكر استيلاء طاهر على أعمال الجبل﴾

لما نزل طاهر باب همذان وحصر عبد الرحمن بها تخوف ان يأتيه كثير بن قادرة من ورائه وكان بقزوين فامر أصحابه بالقيام وسار فى ألف فارس نحو قزوين فلما سمع به كثير بن قادرة وكان فى جيش كثيف هرب من بين يديه واجلى قزوين وجعل طاهر فيها جندا واستعمل عليها رجلا من أصحابه وأمره ان يمنع من أراد دخولها واستولى على سائر أعمال الجبل معها

﴿ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة﴾

فى هذه السنة قتل عبد الرحمن بن جبلة الانبارى وكان سبب قتله انه لما خرج فى أمان طاهر أقام يرى طاهرا وأصحابه انه مسلم لهم راض بأمانهم ثم اغترهم وهم آمنون فركب فى أصحابه وهجم على طاهر وأصحابه ولم يشعروا فثبت له رجالة طاهر وقاتلوه حتى أخذت الفرسان اهبتها واقتتلوا أشد قتال رآه الناس حتى تقطعت السيوف وتكسرت الرماح وانهزم عبد الرحمن وبقى فى نفر من أصحابه فقاتل وأصحابه يقولون له قد أمكنك الهرب فاهرب فقال لا يرى أمير المؤمنين وجهى منهزما أبدا ولم يزل يقاتل حتى قتل وانتهى من انهزم من أصحابه الى عبد الله وأحمد ابنى الحرشى وكانا فى جيش عظيم بقصر الله وص قد سيره الامين معونة لعبد الرحمن فلما بلغ المنهزمون اليهما انهزما أيضا فى جندهما من غير قتال حتى دخلوا بغداد وخلت البلاد لطاهر فاقبل يحوزها بلدة بلدة وكورة كورة حتى انتهى الى شلاشان من قرى حلوان فخندق بها وحصن عسكره وجمع أصحابه

﴿ذكر خروج السفيانى﴾

فى هذه السنة خرج السفيانى وهو على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية وأمه نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب وكان يقول انا من شيخى صفين يعنى عليا ومعاوية وكان يلقب بابى العميطر لانه قال يوما لجلسائه أى شئ كنية الحرذون قالوا لا ندرى قال هو أبو العميطر فلقبوه به ولما خرج دعا لنفسه بالخلافة فى ذى الحجة وقوى على سليمان بن المنصور عامل دمشق فاخرجه عنها واعانه الخطاب بن وجه الفلس مولى بنى أمية وكان قد تغلب على صيدا ولما خرج سير اليه الامين الحسين بن على بن عيسى بن ماهان فبلغ الرقة ولم يسر الى دمشق وكان عمر أبى العميطر حين خرج تسعين سنة وكان الناس قد أخذوا عنه علما كثيرا وكان حسن السيرة فلما خرج ظلم وأساء السيرة فتركوا ما نقلوا عنه وكان أكثر أصحابه من كلب وكتب الى محمد بن صالح بن بيهس الكلابى يدعوه الى طاعته ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه الى ذلك فاقبل السفيانى على قصد القيسية فكتبوا الى محمد بن صالح فاقبل اليهم فى ثلثمائة فارس من الضباب ومواليه واتصل الخبر بالسفيانى فوجه اليه يزيد بن هشام فى اثنى عشر الفا فالتقوا فانهزم يزيد ومن معه وقتل منهم الى ان دخلوا أبواب دمشق زيادة على الفى رجل واسر ثلاثة آلاف فاطلقهم ابن بيهس وحلق رؤسهم ولحاهم وضعف السفيانى وحصر بدمشق ثم جمع جمعا وجعل عليهم ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بيهس فالتقوا فقتل القاسم وانهزم اصحاب السفيانى وبعث رأسه الى الامين ثم جمع جمعا آخر وسيرهم مع مولاه المعتمر فلقيهم ابن بيهس فقتل المعتمر وانهزم اصحابه فوهن امر ابى العميطر

يكون لى ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) فى وجه آخر من الروايات وذلك فى كتاب على بن محمد بن سليمان النوفلى فى الاخبار عن ابن عائشه وغيره ان سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندى قط ألأم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فانى لو سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مثل الذى سمعت فيه لكنت خادما لعلى ما عشت فقال سعد والله انى لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بنى عذرة قال النوفلى وفى ذلك يقول السيد محمد الحميرى

سائل قريشا بها ان كنت ذا عمه
من كان أثبتها فى الدين أوتادا
من كان أقدمها سلما وأكثرها

وطمع فيه قيس ثم مرض ابن بيهس فجمع رؤساء بنى نمير فقال لهم ترون ما اصابنى من علتى هذه فارفقوا ببنى مروان وعليكم بمسلمة بن يعقوب بن على بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك فانه ركيك وهو ابن أختكم واعلموه انكم لا تتبعون بنى أبى سفيان وبايعوه بالخلافة وكيدوا به السفيانى وعاد ابن بيهس الى حوران واجتمعت نمير على مسلمة وبذلوا له البيعة فقبل منهم وجمع مواليه ودخل على السفيانى فقبض عليه وقيده وقبض على رؤساء بنى أمية فبايعوه وأدنى قيسا وجعلهم خاصته فلما عوفى ابن بيهس عاد الى دمشق فحصرها فاسلمها اليه القيسية وهرب مسلمة والسفيانى فى ثياب النساء الى المزة وكان ذلك فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ودخل ابن بيهس دمشق وغلب عليها وبقى بها الى ان قدم عبد الله بن طاهر دمشق ودخل الى مصر وعاد الى دمشق فأخذ ابن بيهس معه الى العراق فمات بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وكان العامل على مكة والمدينة لمحمد الامين داود بن عيسى بن موسى وهو الذى حج بالناس سنة ثلاث وتسعين أيضا وكان على الكوفة العباس بن الهادى للامين وعلى البصرة له أيضا منصور ابن المهدى * وفيها مات محمد بن خازم أبو معاوية الضرير وكان يتشيع وهو ثقة فى الحديث وفيها توفى أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المشهور وكان عمره تسعا وخمسين سنة ودفن بالشونيزى ببغداد ومحمد بن فضل بن غزوان بن جرير الضبى مولاهم ويوسف بن اسباط أبو يعقوب

﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر توجيه الامين الجيوش الى طاهر وعودهم من غير قتال﴾

فى هذه السنة سير الامين اسد بن يزيد بن مزيد وسير عمه أحمد بن مزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة الى حلوان لحرب طاهر وكان سبب ذلك ما ذكره اسد قال انه لما قتل عبد الرحمن أرسل الى الفضل بن الربيع يستدعينى فجئته ودخلت عليه وهو قاعد بيده رقعة قد قرأها وقد احمرت عيناه فاشتد غضبه وهو يقول ينام نوم الطائر وينتبه انتباه الذئب همه بطنه يقاتل الرعاء والكلاب ترصده لا يفكر فى زوال نعمة ولا يروى فى امضاء رأى قد ألهاه كاسه وشغله قدحه فهو يجرى فى لهوه والايام توضع فى هلاكه قد شمر له عبد الله عن ساق وفوق له اصوب اسهمه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت القاصد وقد عبى له المنايا على ظهور الخيل وناط له البلاء فى اسنة الرماح وشفار السيوف ثم استرجع وتمثل بشعر البعيث

ومجدولة جدل العنان خريدة * لها شعر جعد ووجه مقسم
وثغر نقى اللون عذب مذاقه * تضئ له الظلماء ساعة تبسم
وثديان كالحقين والبطن ضامر * خميص ووجه ناره تتضرم
لهوت بها ليل التمام ابن خالد * وانت بمروالروذ غيظا تجرم
اظل اناغيها وتحت ابن خالد * امية نهد المركلين عثمثم
طواه طراد الخيل فى كل غارة * لها عارض فيه الاسنة ترزم
يقارع اتراك ابن خاقان ليلة * الى ان يرى الاصباح ما يتلعثم
فيصبح من طول الطراد وجسمه * نحيل واضحى فى النعيم اصمم
اباكرها صهباء كالمسك ريحها * لها أرج فى دنها حين يرسم

علما وأطهرها أهلا وأولادا
من وحد الله اذ كانت مكذبة
تدعو مع الله أوثانا وأندادا
من كان يقدم فى الهيجاء ان نكلوا
عنها وان بخلوا فى أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها
حلما وأصدقها وعدا وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف
ومن عدى لحق الله جحادا
أو من بنى عامر أو من بنى أسد
رهط العبيد ذوى جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا
عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم
لولا خمول بنى زهر لما سادا

وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن

فشتان مابيني وبين ابن خالد * امية في الرزق الذي الله يقسم

ثم التفت الي فقال ابا الحرث انا واياك نجري الى غاية ان قصرنا عنها ذممنا وان اجتهدنا في بلوغها انقطعنا وانما نحن شعب من أصل ان قوى قوينا وان ضعف ضعفنا ان هذا الرجل قد القى بيده القاء الامة الوكعاء يشاور النساء ويعتزم على الرويا وقد امكن ما معه من اهل اللهو والجسارة فهم يعدونه الظفر ويمنونه عقب الايام والهلاك اسرع اليه من السيل الى قيعان الوحل وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ونعطب بعطبه وأنت فارس العرب وابن فارسها وقد فزع اليك في هذا الامر ولقاء هذا الرجل وأطمعه فيما قبلك أمران أحدهما صدق الطاعة وفضل النصيحة والثاني يمن نقيبتك وشدة بأسك وقد أمرني بازاحة ماعليك وبسط يدك فيما أحببت غير ان الاقتصاد رأس النصيحة ومفتاح اليمن والبركة انجز حوائجك وعجل المبادرة الى عدوك فاني أرجو ان يوليك الله هذا الفتح ويلم بك شعث هذه الخلافة والدولة فقلت انا الطاعة أمير المؤمنين وطاعتك مقدم ولكل ما دخل فيه الوهن على عدوه وعدوك حريص غير أن المحارب لا يعمل بالغدر ولا يفتح أمره بالتقصير والخلل وانما ملاك المحارب الجنود وملاك الجنود المال والذى أسأل أن يؤمر لاصحابي برزق سنة وتحمل معهم ارزاق سنة وتخص أهل الغناء والبلاء وأبدل من فيهم من الضعفى واحمل ألف رجل ممن معي على الخيل ولا أسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور فقال قد اشططت ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب وركبت معه فدخل قبلي على الامين واذن لي فدخلت فما كان الا كلمتان حتى غضب وامر بحبسي وقيل انه طلب ان يدفع ولد المأمون فان أطاعه والا قتلهما فقال الامين أنت اعرابي مجنون أدعوك الى ولاية أعنة العرب والعجم وأطعمك خراج كور الجبال الى خراسان وارفع منزلتك على نظرائك من ابناء القواد والملوك وتدعوني الى قتل ولدي وسفك دماء أهل بيتي ان هذا للخرف والتخليط وكان ببغداد ابنان للمأمون مع أمهما أم عيسى ابنة الهادي وقد طلبهما المأمون من أخيه في حال السلام فمنعه مادن المال الذي كان له فلما حبس اسدا قال هل في أهل بيته من يقوم مقامه فاني أكره أن أفسدهم مع نباهتهم وما تقدم من طاعتهم ونصيحتهم قالوا نعم عمه أحمد بن مزيد وهو أحسنهم طريقة له بأس ونجدة وبصر بسياسة الحرب فانفذ اليه احضره فأتى الفضل فدخل عليه وعنده عبد الله بن حميد بن قحطبة وهو يريده على المسير الى طاهر وعبد الله يشط قال أحمد فلما رآني الفضل رحب بي ورفعني الى صدر المجلس ثم أقبل على عبد الله يداعبه ثم قال

انا وجدنا لكم اذ رث حبلكم * من آل شيبان أما دونكم وأبا

الا كثرون اذا عد الحصى عددا * والاقربون الينا منكم نسبا

فقال عبد الله انهم لكذلك وفيهم سد الخلل ونكاء العدو ودفع معرة أهل المعصية عن أهل الطاعة فقال له الفضل ان أمير المؤمنين أجرى ذكرك فوصفتك له فاحب اصطناعك والتنويه باسمك وان يرفعك الى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك ثم مضى ومضيت معه الى الامين فدخلنا عليه فقال لي في حبس اسد واعتذر الي وأمرني بالمسير الى حرب طاهر فقلت سأبذل في طاعة أمير المؤمنين مهجتي وأبلغ في جهاد عدوه أفضل ما أمله عندي ورجاه من غنائي وكفايتي ان شاء الله تعالى فامر الفضل بان يمكنه من العساكر يأخذ منهم من أراد وأمره بالجد في المسير والتجهز فأخذ من العسكر عشرين ألف فارس وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألف فارس بهم الى حلوان وشفع في اسد ابن أخيه فاطلقه وأقام أحمد وعبد الله بخانقين وأقام طاهر بموضعه

سلمة ممن قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلي اعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا ضربنا بها الكافرين سرت في أبدانهم فاعرض عنهم علي وقال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخباريين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له كيف وجدك على خليلك أبي الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكوا الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكني فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعني ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال أوما ترى طلبي بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال

ودس الجواسيس والعيون وكانوا يرجفون في عسكر أحمد وعبد الله ان الامين قد وضع العطاء لاصحابه وأمر لهم بالارزاق الوافرة ولم يزل يحتال في وقوع الاختلاف بينهم حتى اختلفوا وانتقض أمرهم وقاتل بعضهم بعضا ورجعوا عن خانقين من غير ان يلقوا طاهرا وتقدم طاهر فنزل حلوان فلما نزلها لم يلبث الا يسيرا حتى أتاه هرثمة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب الى طاهر يأمره بتسليم ما حوى من المدن والكور الى هرثمة ويتوجه الى الاهواز ففعل ذلك وأقام هرثمة بحلوان وحصنها وسار طاهر الى الاهواز

﴿ذكر الفضل بن سهل﴾

في هذه السنة خطب للمأمون بامرة المؤمنين ورفع منزلة الفضل بن سهل وسبب ذلك انه لما أتاه خبر قتل ابن ماهان وعبد الرحمن بن جبلة وصح عنده الخبر بذلك أمر ان يخطب له ويخاطب بامير المؤمنين ودعا الفضل بن سهل وعقد له على المشرق من جبل همذان الى التبت طولا ومن بحر فارس الى بحر الديلم وجرجان عرضا وجعل له عمالة ثلاثة آلاف ألف درهم وعقد له لواء على سنان ذي شعبتين ولقبه ذا الرياستين رياسة الحرب والقلم وحمل اللواء علي بن هشام وحمل القلم نعيم بن حازم وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج

﴿ذكر عبد الملك بن صالح بن علي وموته﴾

قد ذكرنا قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه اياه فلم يزل محبوسا حتى مات الرشيد فاخرجه الامين من الحبس في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وأحسن اليه فشكر عبد الملك ذلك له فلما كان من طاهر ما كان دخل عبد الملك على الامين فقال له يا أمير المؤمنين أرى الناس قد طمعوا فيك وجندك قد أعيتهم الهوام وأضعفتهم الحروب وامتلأت قلوبهم هيبة لعدوهم فان سيرتهم الى طاهر غلب بقليل من معه كثيرهم وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم وأهل الشام قوم قد ضرستهم الحرب وأدبتهم الشدائد وكلهم منقاد الى متنازع الى طاعتي وان وجهني أمير المؤمنين اتخذت له منهم جندا يعظم نكايتهم في عدوه فولاه الامين الشام والجزيرة وقواه بمال ورجال وسيره سيرا حثيثا فسار حتى نزل الرقة وكاتب رؤساء أهل الشام وأهل القوة والجلد والباس فأتوه رئيسا بعد رئيس وجماعة بعد جماعة فأكرمهم ومناهم وخلع عليهم وكثر جمعه فمرض واشتد مرضه ثم ان بعض جنود خراسان المقيمين في عسكر الشام رأى دابة كانت أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواقيل من أهل الشام أيضا فتعلق بها واجتمع جماعة من الزواقيل والجند فتضاربوا واجتمعت الابناء وتألبوا وأتوا الزواقيل وهم غارون فوضعوا فيهم السيوف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتنادى الزواقيل فركبوا ولهم ونشبت الحرب بينهم وبلغ ذلك عبد الملك فوجه اليهم يأمرهم بالكف فلم يفعلوا واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديدا وأكثرت الابناء القتل في الزواقيل فاخبر عبد الملك بذلك وكان مريضا مدنفا فضرب بيده على يد وقال واذلاه تستقام العرب في دورها وبلادها فغضب من كان أمسك عن الشر من الابناء وتفاقم الامر وقام بأمر الابناء الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان وأصبح الزواقيل فاجتمعوا بالرقة واجتمع الابناء وأهل خراسان بالرافقة وقام رجل من أهل حمص فقال يا أهل حمص الهرب أهون من العطف والموت أهون من الذل انكم قد بعدتم عن بلادكم ترجون الكثرة بعد القلة والعزة بعد الذلة ألا وفي الشر وقعتم وفي حومة الموت أنختم ان المنايا في شوارب المسودة وقلانسهم النفير النفير قبل أن ينقطع السبيل وينزل الامر الجليل

الجعدي

لا ألفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادا

ودخل على معاوية ضرار ابن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبي الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية اما بعد فانك يهودي ابن يهودي وان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغضهما اليك نكل بك وقتلك وقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فأكثر الجد واخطأ القصد فخذله قومه وادركه يومه ثم مات بحوران طريدا فكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانما انت وثني ابن وثني دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبي أوتر قوسه ورمى غرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذي منه خرجت واعداء الدين الذي فيه

و بفوت المطالب وبعسر المهرب وقام رجل من كاب فى غرز ناقته فقال نحوا من ذلك ثم قال الاوانى سائر فمن أراد الانصراف فلينصرف معى ثم سار فسار معه عامة أهل الشام وأحرقت الزواقيل ما كان التجار قد جمعوه من الاعلاق وأقبل نصر بن شبث العقيلى ثم حمل وأصحابه فقاتل قتالا شديدا وصبر الجند لهم وكان أكثر القتل فى الزواقيل لكثير بن قادرة وأبى القيل وداود بن موسى بن عيسى الخراسانى وانهزمت الزواقيل وكان على حاميتهم يومئذ نصر بن شبث وعمرو بن عبد العزيز السلمى والعباس بن زفر الكلابى ثم توفى عبد الملك بن صالح بالرقة فى هذه السنة

﴿ذكر خلع الامين والمبايعة للمأمون وعود الامين الى الخلافة﴾

فلما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن على بن عيسى بن ماهان فى الجند فحمل الرجالة فى السفن وسار الفرسان على الظهر فى رجب فلما قدم بغداد لقيه القواد وأهل بغداد وعملت له القباب ودخل منزله فلما كان جوف الليل بعث اليه الامين يأمره بالركوب اليه فقال للرسول ما انا بمغن ولا مسامر ولا مضحك ولا وليت له عملا ولا مالا فلاى شئ يريدنى هذه الساعة انصرف فاذا أصبحت غدوت اليه ان شاء الله وأصبح الحسين فوافى باب الجسر واجتمع اليه الناس فقال يامعشر الابناء ان خلافة الله لا تجاور بالبطر ونعمته لا تستصحب بالتجبر وان محمدا يريد ان يوقع اذلالكم وينقل عزكم الى غيركم وهو صاحب الزواقيل وبالله ان طالت به مدة ليرجعن وبال ذلك عليكم فاقطعوا أثره قبل ان يقطع آثاركم وضعوا عزه قبل ان يضع عزكم فوالله لا ينصره ناصر منكم الا خذل وما عند الله عز وجل لاحد هوارة ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنث بايمانه ثم أمر الناس بعبور الجسر فعبروا وصاروا الى سكة باب خراسان وتسرعت خيول الامين الى الحسين فقاتلوه قتالا شديدا فانهزم أصحاب الامين وتفرقوا وخلع الحسين الامين يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب وأخذ البيعة للمأمون من الغد يوم الاثنين فلما كان يوم الثلاثاء وثب العباس بن موسى بن عيسى بالامين فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور وأخرج أمه زبيدة أيضا فجعلها مع ابنها فلما كان يوم الاربعاء طالب الناس الحسين بالارزاق وماج بعضهم فى بعض فقام محمد بن خالد بباب الشام فقال أيها الناس والله ما أدرى باى سبب تأمر الحسين بن على علينا وتولى هذا الامر دوننا ما هو با كبرنا سنا وما هو با كبرنا حسبا ولا با عظمنا منزلة وغنى وانى أولكم أنقض عهده وأظهر الانكار لفعله فمن كان على رأيى فليعتزل معى وقال أسد الحربى يامعشر الحربية هذا يوم له ما بعده انكم قد نمتم فطال نومكم وتأخرتم فتقدم عليكم غيركم وقد ذهب أقوام بخلع الامين فاذهبوا أنتم بذكر فكه واطلاقه وأقبل شيخ على فرس فقال أيها الناس هل تعتمدون على محمد بقطع ارزاقكم قالوا لا قال فهل قصر باحد من رؤسائكم وعزل احدا من قوادكم قالوا لا قال فما بالكم خذلتموه وأعنتم عدوه على اسره وايم الله ما قتل قوم خليفتهم الا سلط الله عليهم السيف انهضوا الى خليفتكم فقاتلوا عنه من أراد خلعه فنهضوا وتبعهم أهل الارباض فقاتلوا الحسين قتالا شديدا وأسر الحسين بن على ودخل أسد الحربى على الامين فكسر قيوده واقعده فى مجلس الخلافة ورأى الامين أقواما ليس عليهم لباس الجند فأمرهم باخذ السلاح فانتهبه الغوغاء ونهبوا غيره وحمل اليه الحسين اسيرا فلامه فاعتذر له الحسين فاطلقه وأمره بجمع الجند ومحاربة أصحاب المأمون وخلع عليه وولاه ما وراء بابه وأمره بالمسير الى حلوان فوقف الحسين بباب الجسر والناس يهنونه فلما خف عنه الناس قطع الجسر وهرب فنادى الامين فى الجند بطلبه فركبوا كلهم فادركوه بمسجد كوثر على فرسخ من بغداد فقاتلهم

دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة على ووقوع الصلح فى جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يامعشر الانصار بم تطلبون ما قبلى فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيرا على وافللتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم وهجوتمونى فى أسلافى بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يابى الحقير الغدرة فقال قيس نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به الله لا بما غت به اليك الاحزاب وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه وأما استقامة الامر فعلى كره كان منا وأما فلنا حدك يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة وأما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يابى الحقير الغدرة فليس دون الله يدتحجزك منا يامعاوية فقال معاوية يموه ارفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة

فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل واخذوا رأسه وقيل ان الامين كان استوزره وسلم اليه خاتمه وجدد الجند البيعة للامين بعد قتل الحسين يوم وكان قتله خامس عشر رجب فلما قتل الحسين بن على هرب الفضل بن الربيع واختفى

﴿ذكر ما فعله طاهر بالاهواز﴾

لما نزل طاهر بشلاشان وجه الحسين بن عمر الرستمى الى الاهواز وامره بالحذر فلما توجه اتت طاهرا عيونه فاخبروه ان محمد بن يزيد بن حاتم المهلبى وكان عاملا للامين على الاهواز قد توجه فى جمع عظيم يريد جنديسابور ليحمى الاهواز من أصحاب طاهر فدعا طاهر عدة من أصحابه منهم محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخاراخذاه وغيرهم وامرهم أن يجدوا السير حتى يتصل أولهم بآخر أصحاب الرستمى فان احتاج الى مدد أمدوه فساروا حتى شارفوا الاهواز ولم يلقوا أحدا وبلغ خبرهم محمد بن يزيد فسار حتى نزل عسكر مكرم وصير العمران والماء وراء ظهره وتخوف طاهر أن يعجل الى أصحابه فامدهم بقريش بن شبل وتوجه هو بنفسه حتى كان قريبا منهم وسير الحسين بن على المأمونى الى قريش والرستمى فسارت تلك العساكر حتى اشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم فاستشار أصحابه فى المطاولة والمناجزة فاشاروا عليه بالرجوع الى الاهواز والتحصن بها وان يستدعى الجند من البصرة وقومه الازد ففعل ذلك فسير طاهر وراءه قريش ابن شبل وأمره بمبادرته قبل ان يتحصن بالاهواز فسبقه محمد بن يزيد ووصل بعده بيوم قريش فاقتتلوا قتالا شديدا فالتفت محمد الى من معه من مواليه وكان أصحابه قد رجعوا عنه فقال لمواليه ما رايكم انى أرى من معى قد انهزم ولست آمن خذلانهم ولا ارجو رجعتهم وقد عزمت على النزول والقتال بنفسى حتى يقضى الله بما أحب فمن أراد الانصراف فلينصرف فوالله لئن تبقوا احب الى من أن تموتوا فقالوا والله ما أنصفناك اذا تكون قد اعتقتنا من الرق ورفعتنا من الضعة واغنيتنا بعد القلة ثم نخذلك على هذه الحال فلعن الله الدنيا والعيش بعدك ثم نزلوا فعرقبوا دوابهم وحملوا على أصحاب قريش حملة منكرة فاكثروا فيهم القتل وقتل محمد بن يزيد المهلبى واستولى طاهر على الاهواز واعمالها واستعمل العمال على اليمامة والبحرين وعمان وجرح فى تلك الوقعة عدة جراحات وقطعت يده وقال بعض المهالبة

فالمت نفسى غير أنى لم أطق * حراكا وأنى كنت بالضرب مثخنا
ولو سلمت كفاى قاتلت دونه * وضاربت عنه الطاهرى الملعنا
فتى لا يرى أن يخذل السيف فى الوغى * اذا ادرع الهيجاء فى النقع واكتنى

ولما دخل ابن أبى عيينة المهلبى على طاهر ومدحه فحين انتهى الى قوله

ماساء ظنى الا بواحدة * فى الصدر محصورة عن الكلم

تبسم طاهر ثم قال أما والله ساءنى من ذلك ما ساءك وآلمنى ما آلمك ولقد كنت كارها لما كان غير أن الحتف واقع والمنايا نازلة ولا بد من قطع الاواصر والشكر للاقارب فى تأكيد الخلافة والقيام بحق الطاعة فظن من حضر أنه اراد محمد بن يزيد بن حاتم

﴿ذكر استيلاء طاهر على واسط وغيرها﴾

ثم سار طاهر من الاهواز الى واسط وبها السندى بن يحيى الحرشى والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن خازم فجعل طاهر كما تقدم نحوهم تقوضت المسالح والعمال بين يديه حتى أتى واسط

والميل الى على بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما أهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر ابن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعيانى ان اعلم أجبان أنت أم شجاع لانى أراك تتقدم حتى أقول اراد القتال ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزما كما قال القطامى

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة
والا تكن لى فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبى الاغر التيمى قال بينا انا واقف بصفين اذ مر العباس بن ربيعة مغفرا بالسلاح وعيناه يبصان من تحت المغفر

فهرب السندى والهيثم بن شعبة عنها واستولى طاهر على واسط ووجه قائدا من قواده الى الكوفة وعليها العباس بن موسى الهادى فلما بلغه الخبر خلع الامين و بايع للمأمون وكتب بذلك الى طاهر ونزلت خيل طاهر فم النيل وغلب على ما بين واسط والكوفة وكتب المنصور بن المهدى وكان عاملا للامين على البصرة الى طاهر ببيعته وطاعته وأتته بيعة المطلب بن عبدالله بن مالك بالموصل للمأمون وخلع الامين وكان هذا جميعه فى رجب من هذه السنة فأقرهم طاهر على أعمالهم وولى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى مكة والمدينة واستعمل يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القسرى البجلى على اليمن ووجه الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابن هبيرة وأقام طاهر بجرجرايا فلما بلغ الامين خبر عامله بالكوفة وخلعه والبيعة للمأمون وجه محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربرى وأمرهما ان يبيتا الحرث بن هشام وداود بالقصر فبلغ الحرث الخبر فركب هو وداود فعبرا فى مخاضة فى سورا اليهم فاوقعابهم وقعة شديدة فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل بغداد ووجه الامين أيضا الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمى عاملا على الكوفة فى خيل فبلغ طاهرا الخبر فوجه محمد بن العلاء فى جيش الى طريقه فلقى الفضل بقرية الاعراب فبعث اليه الفضل انى سامع مطيع وانما كان مخرجى كيدا منى لمحمد الامين فقال له ابن العلاء لست أعرف ما تقول فان أردت طاهرا فارجع وراءك فهو أسهل الطريق فرجع الفضل فقال محمد بن العلاء كونوا على حذر فلا آمن مكره ثم ان الفضل رجع الى ابن العلاء وهو يظن أنه على غير اهبة فرآه متيقظا حذرا فاقتتلوا قتالا شديدا كأشد ما يكون من القتال فانهزم الفضل وأصحابه

﴿ ذكر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر ﴾

ثم ان طاهرا سار الى المدائن وبها جيش كثير للامين عليهم البرمكى قد تحصن بها والمدد يأتيه كل يوم والخلع والصلات فلما قرب طاهر منه وجه قريش بن شبل والحسين بن على المأمونى فى مقدمته فلما سمع أصحاب البرمكى طبول طاهر اسرجوا وركبوا وأخذ البرمكى فى التعبية فكان كلما سوى صفا انتقض واضطرب وانضم أولهم الى آخرهم فقال اللهم انا نعوذ بك من الخذلان ثم قال لصاحب ساقته خل سبيل الناس فلا خير عندهم فركب بعضهم بعضا نحو بغداد فنزل طاهر المدائن واستولى على تلك النواحى ثم سار الى صرصر فعقد بها جسرا ونزلها

﴿ ذكر البيعة للمأمون بمكة والمدينة ﴾

وفى هذه السنة خلع داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على الامين وهو عامله على مكة والمدينة وبايع للمأمون وكان سبب ذلك انه لما بلغه ما كان من الامين والمأمون وما فعل طاهر وكان الامين قد كتب الى داود بن عيسى يأمره بخلع المأمون وبعث أخذ الكتابين من الكعبة كما تقدم فلما فعل ذلك جمع داود وجوه الناس ومن كان شهد فى الكتابين وكان داود أحدهم فقال لهم قد علمتم ما أخذ الرشيد علينا وعليكم من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام لابنيه لنكونن مع المظلوم منهما على ظالمه ومع المغدور به على الغادر وقد رأينا ورأيتم ان محمدا قد بدأ بالظلم والبغى والغدر والنكث على أخويه المأمون والمؤتمن وخلعهما عاصيا لله وبايع لابنه طفل صغير رضيع لم يفطم وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما ظالما فقد رأيت خلعه والبيعة للمأمون اذ كان مظلوما مبغيا عليه فأجابوه الى ذلك فنادى فى شعاب مكة فاجتمع الناس فخطبهم بين الركن وخلع محمدا وبايع للمأمون وكتب الى ابنه سليمان وهو عامله على المدينة يأمره أن يفعل

كأنهما شعلتا نار أو عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها والمنايا تلوح فى شفرتيها وهو على فرس صعب فبينا هو يبعثه ويمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف يقال له غرار بن أدهم من أهل الشام يا عباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامى وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه وهو يقول

الله يعلم أنا لا نحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه فى محزمه يريد منطقته ودفع فرسه الى غلام له أسود كانى والله انظر فلاقل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان أعنة الخيول ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما مليا نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا فى درع الشامى فاهوى اليه بيده وهتكه الى ثندوته

مثل ما فعل فخلع سليمان الامين وبايع للمأمون فلما أتاه الخبر بذلك سار من مكة على طريق البصرة ثم الى فارس ثم الى كرمان حتى صار الى المأمون بمرو فاخبره بذلك فسر المأمون بذلك سرورا شديدا وتيمن ببركة مكة والمدينة وكانت البيعة بهما فى رجب سنة ست وتسعين ومائة واستعمل داود على مكة والمدينة واضاف اليه ولاية عك واعطاه خمسمائة ألف درهم معونة وسير معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى وجعله على الموسم فسارا حتى أتيا طاهرا ببغداد فاكرمهما وقربهما ووجه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القسرى البجلى عاملا على اليمن وبعث معه خيلا كثيفة فلما قدم اليمن دعا أهلها الى خلع الامين والبيعة للمأمون ووعدهم العدل والاحسان وأخبرهم بسيرة المأمون فاجابوه الى ما طلب وخلعوا محمدا وبايعوا للمأمون وكتب بذلك الى طاهر والى المأمون وسار فيهم أحسن سيرة وأظهر العدل

﴿ ذكر ما فعله الامين ﴾

وفى هذه السنة عقد محمد الامين فى رجب وشعبان نحوا من اربعمائة لواء لقواد شتى وأمر عليهم على بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير الى هرثمة بن أعين فساروا اليه فالتقوا بنواحى النهروان فى رمضان فانهزموا وأسر على بن محمد بن عيسى فسيره هرثمة الى المأمون ورحل هرثمة فنزل النهروان

﴿ ذكر وثوب الجند بطاهر والامين ونزوله ببغداد ﴾

وأقام طاهر بصرصر مشمرا فى محاربة الامين وكان لا يأتيه جيش الاهزمه وبذل الامين الاموال فاشتد ذلك على أصحاب طاهر فسار اليه منهم نحو خمسة آلاف فسر بهم الامين ووعدهم ومناهم وفرق فيهم مالا عظيما وغلف لحاهم بالغالية فسموا قواد الغالية وقواد جماعة من الحربية ووجههم الى دسكرة الملك والنهروان فلم يكن بينهم قتال كثير وندب جماعة من قواد بغداد ووجههم الى الياسرية والكوثرية وفرق الجواسيس فى أصحاب طاهر ودس الى رؤساء الجند فاطمعهم ورغبهم فشغبوا على طاهر واستأمن كثير منهم الى الامين فانضموا الى عسكره وساروا حتى أتوا صرصر فعبى طاهر أصحابه كراديس وسار فيهم يمنيهم ويحرضهم ويعدهم النصر ثم تقدم فاقتتلوا مليا من النهار ثم انهزم أصحاب الامين وغنم عسكر طاهر ما كان لهم من السلاح والدواب وغير ذلك وبلغ ذلك الامين فاخرج الاموال وفرقها وجمع أهل الارباض وقود منهم جماعة وفرق فيهم الاموال وأعطى كل قائد منهم قارورة غالية ولم يفرق فى أجناد القواد وأصحابهم شيأ فبلغ ذلك طاهرا فراسلهم ووعدهم واستمالهم وأغرى أصاغرهم باكابرهم فشغبوا على الامين فى ذى الحجة فصعب الامر عليه فاشار عليه أصحابه باستمالتهم والاحسان اليهم فلم يفعل وأمر بقتالهم جماعة من المستأمنة والمحدثين فقاتلوهم وراسلهم طاهر وراسلوه وأخذ رهائنهم على بذل الطاعة واعطاهم الاموال ثم تقدم فصار الى موضع البستان الذى على باب الانبار فى ذى الحجة فنزل بقواده وأصحابه ونزل من استأمن اليه من جند الامين فى البستان والارباض واضعف للقواد وأبنائهم والخواص العطاء ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها وفتن الناس وساءت حالهم ووثب الشطار على أهل الصلاح ولم يتغير بعسكر طاهر حال لتفقد حالهم وأخذه على أيدى السفهاء وغادى القتال وراوحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وحج بالناس هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى ودعا للمأمون بالخلافة وهو أول موسم دعى له فيه بالخلافة

ثم عاد لمجاولته وقد أفرج له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامى لوجهه فكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض من تحتهم وانساب العباس فى الناس فاذا قائل يقول من ورائى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلى رضى الله عنه فقال يا ابن الاغر من المبارز لعدونا قلت ابن أخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال يا عباس ألم أنهك وعبدالله ابن عباس ان تخلا بمركز أو تبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال على فما عدا فيما بدا قال أفادعى الى البراز فلا أجيب قال طاعة امامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتاسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف فحل بمثله أيطل دمه لاها الله ألا رجل بشرى نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من لخم من أهل الباس ومن

﴿ذكر الفتنة بافريقية مع أهل طرابلس﴾

فى هذه السنة ثار أبو عصام ومن وافقه على ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فحاربهم ابراهيم فظفر بهم وفيها استعمل ابن الاغلب ابنه عبد الله على طرابلس الغرب فلما قدم اليها ثار عليه الجند فحصروه فى داره ثم اصطلحوا على أن يخرج عنهم فخرج عنهم فلم يبعد عن البلد حتى اجتمع اليه كثير من الناس ووضع العطاء فاتاه البربر من كل ناحية وكان يعطى الفارس كل يوم أربعة دراهم ويعطى الراجل فى اليوم درهمين فاجتمع له عدد كثير فزحف بهم الى طرابلس فخرج اليه الجند فاقتتلوا فانهزم جند طرابلس ودخل عبد الله المدينة وأمن الناس وقام بها ثم عزله أبوه واستعمل بعده سفيان بن المضاء فثارت هوارة بطرابلس فخرج الجند اليهم والتقوا واقتتلوا فهزم الجند الى المدينة فتبعهم هوارة فخرج الجند هاربين الى الامير ابراهيم بن الاغلب ودخلوا المدينة فهدموا أسوارها وبلغ ذلك ابراهيم بن الاغلب فسير اليه ابنه أبا العباس عبد الله فى ثلاثة عشر ألف فارس فاقتتل هو والبربر فانهزم البربر وقتل كثيرا منهم ودخل طرابلس وبنى سورها وبلغ خبر هزيمة البربر الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وجمع البربر وحرضهم وأقبل بهم الى طرابلس وهم جمع عظيم عصبا للبربر ونصرة لهم فنزلوا على طرابلس وحصروها فسد أبو العباس عبد الله بن ابراهيم باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة ولم يزل كذلك الى ان توفى أبوه ابراهيم بن الاغلب وعهد بالامارة لولده عبد الله فاخذ أخوه زيادة الله بن ابراهيم له العهود على الجند وسير الكتاب الى أخيه عبد الله يخبره بموت أبيه وبالامارة له فاخذ البربر الرسول والكتاب ودفعوه الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فامر بان ينادى عبد الله بن ابراهيم بموت أبيه فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله وما كان خارجا من ذلك يكون لعبد الوهاب وسار عبد الله الى القيروان فلقيه الناس وتسلم الامر وكانت أيامه أيام سكون ودعة

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر حصار بغداذ﴾

فى هذه السنة حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب الامين محمدا ببغداذ فنزل زهير بن المسيب الضبى برقة كلواذى ونصب المجانيق والعرادات وحفر الخنادق وكان يخرج فى الايام عند اشتغال الجند بحرب طاهر فيرمى بالعرادات ويعشر أموال التجار فشكا الناس منه الى طاهر فنزل هرثمة نهر بين وعمل عليه خندقا وسورا ونزل عبيد الله الوضاح بالشماسية ونزل طاهر البستان الذى بباب الانبار فلما نزله شق ذلك على الامين وتفرق ما كان بيده من الاموال فأمر ببيع ما فى الخزائن من الامتعة وضرب آنية الذهب والفضة ليفرقها فى أصحابه وأمر باحراق الحربية فرميت بالنفط والنيران وقتل بها خلق كثير واستأمن الى طاهر سعيد بن مالك بن قادم فولاه الاسواق وشاطئ دجلة وما اتصل به وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان فى كل ما غلب عليه من الدروب وأمده بالاموال والرجال فكثر الخراب ببغداذ والهدم فدرست المنازل ووكل الامين عليا افراهمرد بقصر صالح وقصر سليمان بن المنصور الى دجلة فألح فى احراق الدور والدروب والرمى بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك فأرسل الى أهل الارباض من طريق الانبار وباب الكوفة وما يليها فكلما أصابه أهل ناحية خندق عليهم ومن أبى اجابته قاتله وأحرق منزله ووحشت بغداذ وخربت فقال حسين الخليع

أتسرع الرحلة اغذاذا ‌* عن جانب بغداذ أماذا

صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعددهما من برود اليمن فاتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين يا عباس يا عباس ابرز الى الداعى فقال ان لى سيدا أريد أن أوامره فاتى عليا وهو فى جناح الميمنة يحرض الناس فأخبره الخبر فقال على والله يود معاوية انه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضرمة الا طعن فى بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم منا رجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال يا عباس ناقلنى سلاحك بسلاحى فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا أنه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس فى جسمه وركوبه بعلى فبرز له أحدهما فما أخطأه ثم برز له الآخر فالحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

اما

أماترى الفتنة قد ألفت ‌* الى أولى الفتنة شذاذا
وانتقضت بغداذ عمرانها ‌* عن رأى لاذاك ولا هذا
هدما وحرقا قد أباد أهلها ‌* عقوبة لاذت بمن لاذا
ما أحسن الحالات ان لم تعد ‌* بغداذ فى القلة بغداذا

وسمى طاهر الارباض التى خالفه أهلها ومدينة المنصور وأسواق الكرخ والخلد دار النكث وقبض ضياع من لم يخرج اليه من بنى هاشم والقواد وغيرهم وأخذ أموالهم فذلوا وانكسروا وذل الاجناد وضعفوا عن القتال الا باعة الطريق والعراة وأهل السجون والاوباش والطرارين وأهل السوق فكانوا ينهبون أموال الناس وكان طاهر لا يفتر فى قتالهم فاستأمن اليه على افراهمرد الموكل بقصر صالح فأمنه وسير اليه جندا كثيفا فسلم اليه ما كان بيده من تلك الناحية فى جمادى الآخرة واستأمن اليه محمد بن عيسى صاحب شرطة الامين وكان مجدا فى نصرة الامين فلما استأمن هذان الى طاهر أشفى الامين على الهلاك وأقبلت الغواة من العيارين وباعة الطريق والاجناد فاقتتلوا داخل قصر صالح قتالا عظيما قتل فيه من أصحاب طاهر جماعة كثيرة ومن قواده جماعة ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر منها ثم ان طاهرا كاتب القواد الهاشميين وغيرهم بعد ان أخذ ضياعهم ودعاهم الى الامان والبيعة للمأمون فاجابه جماعة منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة واخوته وولد الحسن بن قحطبة ويحيى بن على بن ماهان ومحمد بن أبى العباس الطائى وكاتبه غيرهم وصارت قلوبهم معه وأقبل الامين بعد وقعة قصر صالح على الاكل والشرب ووكل الامر الى محمد بن عيسى بن نهيك والى الهرش فكان من معهما من الغوغاء والفساق يسلبون من قدروا عليه وكان منهم ما لم يبلغنا مثله فلما طال ذلك بالناس خرج عن بغداذ من كانت به قوة وكان أحدهم اذا خرج أمن على ماله ونفسه وكان مثلهم كما قال الله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وخرج عنها قوم بعلة الحج ففى ذلك يقول شاعرهم

أظهروا الحج وما ينوونه ‌* بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا فى غبطة ‌* وكل الهرش عليهم بالعطب

وقال بعض فتيان بغداذ

بكيت دما على بغداذ لما ‌* فقدت غضارة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور ‌* ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين ‌* فافنت أهلها بالمنجنيق
وقوم احرقوا بالنار قسرا ‌* ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادى واصباحا ‌* وباكية لفقدان الشفيق
وحوراء المدامع ذات دل ‌* مضمخة المجاسد بالخلوق
تفر من الحريق الى انتهاب ‌* ووالدها يفر الى الحريق
وسالبة الغزالة مقلتيها ‌* مضاحكها كلألاء البروق
حيارى هكذا ومفكرات ‌* عليهن القلائد فى الحلوق
ينادين الشفيق ولا شفيق ‌* وقد فقد الشفيق من الشقيق
ومغترب قريب الدار ملقى ‌* بلا رأس بقارعة الطريق

عليكم) ثم قال يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى فان عاد لك أحد فعد لى ونما الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ما ركبته قط الا خذلت فقال عمرو بن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا أنت المخذول قال اسكت أيها الرجل فليس هذا من شأنك قال وان لم يكن رحم الله اللخميين ولا أراه يفعل قال ذلك والله أضيق لحجتك وأخسر لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولاية لركبت المنجاة منها فانى أعلم أن على بن أبى طالب على الحق وأنا على ضده فقال معاوية مصر والله أعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو أما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك من نفسك

توسط من قتالهم جميعا * فايدرون من أى الفريق
فاولد يقيم على أبيه * وقد فر الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شئ تولى * فانى ذاكر دار الرفيق

وقال الجرمى قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتا أتى فيها على جميع الحوادث ببغداذ فى هذه الحرب تركتها لطولها وذكر ان قائدا من أهل خراسان من أصحاب طاهر من أهل النجدة والبأس خرج يوما الى القتال فنظر الى قوم عراة لا سلاح معهم فقال لاصحابه ما يقاتلنا الا من نرى استهانة بأمرهم واحتقار الهم فقيل له نعم هؤلاء هم الآفة فقال لهم أف لكم حين تنهزمون من هؤلاء وأنتم فى السلاح والعدة والقوة وفيكم الشجاعة وما عسى يبلغ كيد هؤلاء ولا سلاح معهم ولا جنة تقيهم وتقدم الى بعضهم وفى يديه بارية مقيرة وتحت ابطه مخلاة فيها حجارة فجعل الخراسانى كلما رمى بسهم استتر منه العيار فوقع فى باريته أو قريبا منها فيأخذه ويتركه معه وصاح دانق أى ثمن النشابة دانق قد أحرزه فلم يزالا كذلك حتى فنى سهام الخراسانى ثم حمل عليه العيار ورمى بحجر من مخلاته فى مقلاع فما أخطأ عينه ثم آخر فكاد يصرعه فانهزم وهو يقول ليس هؤلاء بناس فلما سمع طاهر خبره ضحك منه فلما طال ذلك على طاهر وقتل من أصحابه فى قصر صالح من قتل أمر بالهدم والاحراق فهدم دون من خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة الى الصراة وربض حميد ونهر كرخايا فكان أصحابه اذا هدموا دارا أخذ أصحاب الامين أبوابها وسقوفها فيكونون أشد على أهلها فقال شاعر منهم

لنا كل يوم ثلمة لا نسدها * يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها * ونحن لأخرى غيرها نتربص
فان حرصوا يوما على الشر جهدهم * فغوغاؤنا منهم على الشر أحرص
فقد ضيقوا من أرضنا كل واسع * وصار لهم أهل بها ونعرص
يثيرون بالطبل القنيص فان بدا * لهم وجه صيد من قريب تقنصوا
لقد أفسدوا شرق البلاد وغربها * علينا فما ندرى الى أين نشخص
اذا حضروا قالوا بما يعرفونه * وان لم يروا شيئا قبيحا تخرصوا
وما قتل الابطال مثل مجرب * رسول المنايا ليله يتلصص

فى أبيات غيرها فلما رأى طاهر أن هذ جميعه لا يخلفون به أمر بمنع التجار عنهم ومنع من حمل الاقوات وغيرها وشدد فى ذلك وصرف السفن التى يحمل فيها الى الفرات فاشتد ذلك عليهم وغلت الاسعار وصاروا فى أشد حصار فأمر الامين ببيع الاموال وأخذها ووكل بها بعض أصحابه فكان يهجم على الناس فى منازلهم ليلا ونهارا فاشتد ذلك على الناس وأخذوا بالتهمة والظنة ثم كان بينهم وقعة بدرب الحجارة قتل فيها من أصحاب طاهر خلق كثير ووقعة بالشماسية خرج فيها حاتم بن الصقر فى العيارين وغيرهم الى عبيد الله بن الوضاح فاوقعوا به وهو لا يعلم فانهزم عنهم وغلبوه على الشماسية فأتاه هرثمة يعينه فأسره بعض أصحاب الامين وهو لا يعرفه فقاتل عليه بعض أصحابه حتى خلصه وانهزم أصحاب هرثمة فلم يرجعوا يومين فلما بلغ طاهرا ما صنعوا عقد جسرا فوق الشماسية وعبر أصحابه اليهم فقاتلوا أشد قتال حتى ردوا أصحاب الامين وأعاد أصحاب عبيد الله بن الوضاح الى مراكزهم وأحرق منازل الامين بالخيزرانية وكانت النفقة عليها بلغت

فاضحك أو دع (وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين امام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فغير على لامته وجواده وخرج بلامة بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما دنا انبا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول

بالهف نفسى فاتنى معاويه
فوق طمر كالعقاب الضاريه

وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية فى بعض الايام فلما رآه معاوية قال

يموت الصالحون وأنت حى
تخطاك المنايا لا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت ما دمت حيا
ولست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى على على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كأنه يغرسهم فى الارض غرسا فيثبتون كأنهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا أبا عبد الله أما تنظر الى ابن ابى طالب

عشرين ألف ألف درهم وقتل من العيارين كثير فضعف أمر الامين فأيقن بالهلاك وهرب منه عبد الله بن خازم بن خزيمة الى المدائن خوفا من الامين لانه اتهمه وتحامل عليه السفلة والغوغاء فأقام بها وقيل بل كاتبه طاهر وحذره قبض ضياعه وأمواله ثم ان الهرش خرج ومعه لفيفة وجماعة الى جزيرة العباس وكانت ناحية لم يقاتل فيها فخرج اليه بعض أصحاب طاهر فقاتلوه فقوى عليهم فأمدهم طاهر بجند آخرين فأوقعوا بالهرش وأصحابه وقعة شديدة فغرق منهم بشر كثير وضجر الامين وخاف حتى قال يوما وددت أن الله قتل الفريقين جميعا فأراح الناس منهم فما منهم الا عدو لى اما هؤلاء فيريدون مالى وأما أولئك فيريدون نفسى وضعف أمره وانتشر جنده وايقن بظفر طاهر به

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر اياه على الموسم بأمر أمير المؤمنين المأمون وفيها سار المؤتمن بن الرشيد ومنصور بن المهدى الى المأمون بخراسان فوجه المأمون أخاه المؤتمن الى جرجان وفيها كان بالاندلس غلاء شديد وكان الناس يطوون الايام ويتعللون بما يضبط النفس وفيها مات وكيع بن الجراح الرؤاسى بفيد وقد عاد عن الحج وبقية بن الوليد الحمصى وكان مولده سنة عشر ومائة ومحمد بن مليح بن سليمان الاسلمى ومعاذ بن معاذ أبو المثنى العنبرى وله سبع وسبعون سنة

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة)

(ذكر استيلاء طاهر على بغداد)

فى هذه السنة لحق خزيمة بن خازم بطاهر وفارق الامين ودخل هرثمة الى الجانب الشرقى وكان سبب ذلك ان طاهرا أرسل الى خزيمة أن انفصل الامر بينى وبين محمد ولم يكن لك فى نصرتى الأثر فى أمرك فاجابه بالطاعة وقال له لو كنت أنت النازل الجانب الشرقى فى مكان هرثمة لحمل نفسه اليه وأخبره قلة ثقته بهرثمة الا ان يضمن له القيام دونه لخوفه من العامة فكتب طاهر الى هرثمة يعجزه ويلومه ويقول جمعت الاجناد وأتلفت الاموال وقد وقفت وقوف المحجم عمن بازائك فاستعد للدخول اليهم فقد أحكمت الامر على دفع العسكر وقطع الجسور وأرجو ان لا يختلف عليك اثنان فأجابه هرثمة بالسمع والطاعة فكتب طاهر الى خزيمة بذلك وكتب الى محمد ابن على بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك فلما كان ليلة الاربعاء لثمان بقين من المحرم وثب خزيمة ومحمد ابن على بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه وخلعا محمدا الامين وسكن أهل عسكر المهدى ولم يدخل هرثمة حتى مضى اليه نفر من القواد وحلفوا له انه لا يرى منهم مكروها فدخل اليهم فقال الحسين الخليع فى ذلك

علينا جميعا من خزيمة منة * بها أخمد الرحمن نائرة الحرب
تولى أمور المسلمين بنفسه * فذب وحامى عنهم أشرف الذب
ولولا أبو العباس ما انفك دهرنا * يبيت على عتب ويغدو على عتب
خزيمة لم ينكر له مثل هذه * اذا اضطربت شرق البلاد مع الغرب
أناخ بجسرى دجلة القطع والقنا * شوارع والارواح فى راحة الغضب

وهى عدة أبيات فلما كان الغد تقدم طاهر الى المدينة والكرخ فقاتل هناك قتالا شديدا فهزم الناس حتى ألحقهم بالكرخ وقاتلهم فيه فهزمهم فمروا لا يلوون على شئ فدخلها طاهر بالسيف

وما هو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية فى سنة أربعين بعث بسر ابن ارطاة فى ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الانصارى فتنحى وجاء بسر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ جارية ابن قدامة السعدى فى ألفين ووهب بن مسعود فى ألفين ومضى بسر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلى واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحرثى وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند أمهما جويرية بنت قارظ الكنانية فقتلهما بسر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان بسر بن ارطاة العامرى عامر بن لؤى بن غالب قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همدان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن احد انه يمالئ عليا أو يهواه الا قتله وغا اليه خبر جارية ابن قدامة السعدى فهرب

وأمر مناديه فنادى من لزم بيته فهو آمن ووضع بسوق الكرخ وقصر الوضاح جندا على قدر حاجته وقصد الى مدينة المنصور وأحاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد من باب الجسر الى باب خراسان وباب الشأم وباب الكوفة وباب البصرة وشاطئ الصراة الى مصبها فى دجلة وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش والافارقة فنصب المجانيق بازاء قصر زبيدة وقصر الخلد وأخذ الامين أمه وأولاده الى مدينة المنصور وتفرق منه عامة جنده وخصيانه وجواريه فى الطريق لا يلوى أحد على أحد وتفرق السفلة والغوغاء وتحصن محمد بمدينة المنصور وحصره طاهر وأخذ عليه الابواب وبلغ خبر هذه الوقعة عمر الوراق فقال لخبره ناولنى قدحا ثم تمثل

خذها فللخمرة أسماء * لها دواء ولها داء
يصلحها الماء اذا أصفقت * يوما وقد يفسدها الماء
وقائل كانت لهم وقعة * فى يومنا هذا وأشياء
قلت له أنت امرؤ جاهل * فيك عن الخيرات ابطاء
اشرب ودعنا من أحاديثهم * يصطلح الناس اذا شاؤا

وحكى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لما حصره طاهر قال فخرج الامين ذات ليلة يريد أن يتفرج من الضيق الذى هو فيه فصار الى قصر له بناحية الخلد ثم أرسل الى فحضرت عنده فقال ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر فى السماء وضوءه فى الماء على شاطئ دجلة فهل لك فى الشرب فقلت شأنك فشرب رطلا وسقانى آخر ثم غنيته ما كنت أعلم انه يحبه فقال لى ما تقول فيمن يضرب عليك فقلت ما أحوجنى اليه فدعا بجارية متقدمة عنده اسمها ضعف فتطيرت من اسمها ونحن فى تلك الحال فقال لها غنى فغنت بشعر الجعدى

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فاشتد ذلك عليه وتطير منه وقال غنى غير ذلك فغنت

أبكى فراقكم عينى فأرقها * ان التفرق للاحباب بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله أما تعرفين من الغناء غير هذا فقالت ما تغنيت الا ما ظننت انك تحبه ثم غنت آخر

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلاف الليل والنهار وما * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل السلطان عن ملك * قد زال سلطانه الى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى غضب الله عليك ولعنك فقامت وكان له قدح من بلور حسن الصنعة كان يسميه زب رباح وكان موضوعا بين يديه فعثرت الجارية به فكسرته فقال ويحك يا ابراهيم ما ترى ما جاءت به هذه الجارية ثم ما كان من كسر القدح والله ما أظن أمرى الا وقد قرب فقلت يديم الله ملكك ويعز سلطانك ويكبت عدوك فما استتم الكلام حتى سمعنا صوتا قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال يا ابراهيم أما سمعت ما سمعت قلت ما سمعت شيأ وكنت قد سمعت قال تسمع حسا فدنوت من الشط فلم أر شيأ ثم عاودنا الحديث فعاد الصوت بمثله فقام من مجلسه مغتما الى مجلسه بالمدينة فما مضى الا ليلة أو ليلتان حتى قتل

وظفر حارثة بابن أخى بشر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية أم ابنى عبد الله بن العباس الذين قتلهما بشر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهى من أجمل الناس وهى تقول ترثيهما

ها من أحس من ابنى اللذين هما
كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس من ابنى اللذين هما
سمعى وقلبى فعقلى اليوم مختطف
ها من أحس من ابنى اللذين هما
مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا
من قولهم ومن الافك الذى وصفوا
انحى على ودجى ابنى مرهفة
مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدى) قال دخل عمرو بن العاص يوما على معاوية بعدما كبر ودق ومعه مولاه وردان فاخذا فى الحديث وليس عندهما غير وردان فقال عمرو يا أمير المؤمنين ما بقى مما تستلذه فقال اما النساء فلا أرب لى فيهن واما

﴿ذكر قتل الامين﴾

لما دخل محمد الى مدينة المنصور واستولى طاهر على أسواق الكرخ وغيرها كما تقدم وقرب المدينة علم قواده وأصحابه انهم ليس لهم فيها عدة الحصر وخافوا أن يظفر بهم طاهر فأتاه محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب الافريقى وغيرهما فقالوا قد آلت حالنا الى ما ترى وقد رأينا رأيا نعرضه عليك فانظر واعزم عليك فانا نرجو أن يجعل الله فيه الخيرة قال وما هو قالوا قد تفرق عنك الناس وأحاط بك عدوك وقد بقى معك من خيلك سبعة آلاف فرس من خيارها فنرى ان تختار ممن عرفناه بمحبتك من الابناء سبعة آلاف فتحملهم على هذه الخيل وتخرج ليلا على باب من هذه الابواب فان الليل لاهله ولن يثبت لنا أحد ان شاء الله تعالى فتخرج حتى تلحق بالجزيرة والشأم فتفرض الفروض وتجبى الخراج وتصير فى مملكة واسعة وملك جديد فيتساغ اليك الناس وينقطع عن طلبك الجند ويحدث الله أمورا فقال لهم نعم ما رأيتم وعزم على ذلك وبلغ الخبر الى طاهر فكتب الى سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندى بن شاهك والله لئن لم تردوه عن هذا الرأى لا تركت لكم ضيعة الا قبضتها ولا يكون لى همة الا أنفسكم فدخلوا على الامين فقالوا له قد بلغنا الذى عزمت عليه فنحن نذكرك الله فى نفسك ان هؤلاء صعاليك وقد بلغ بهم الحصار الى ما ترى فهم يرون أن لا أمان لهم عند أخيك وعند طاهر لجدهم فى الحرب ولسنا نأمن اذا خرجت معهم أن يأخذوك أسيرا أو يأخذوا رأسك فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم وضربوا فيه الامثال فرجع الى قولهم وأجاب الى طلب الامان والخروج فقالوا له انما غايتك السلامة واللهو وأخوك يتركك حيث أحببت ويجعل لك فيه كل ما يصلحك وكل ما تحب وتهوى وليس عليك منه بأس ولا مكروه فركن الى ذلك وأجاب الى الخروج الى هرثمة بن أعين فدخل عليه أولئك النفر الذين أشاروا بقصد الشأم وقالوا اذا لم تقبل ما أشرنا به عليك وهو الصواب وقبلت من هؤلاء المداهنين فالخروج الى طاهر خير لك من الخروج الى هرثمة فقال انا أكره طاهرا لانى رأيت فى منامى كأنى قائم على حائط من آجر شاهق فى السماء عريض الاساس لم أر مثله فى الطول والعرض وعلى سوادى ومنطقتى وسيفى وكان طاهر فى أصل ذلك الحائط فما زال يضربه حتى سقط وسقطت وطارت قلنسوتى عن رأسى فانا أتطير منه وأكرهه وهرثمة مولانا وهو بمنزلة الوالد وأنا أشد انسا به وثقة اليه فأرسل بطلب الامان فأجابه هرثمة الى ذلك وحلف له انه يقاتل دونه ان هم المأمون بقتله فلما علم ذلك طاهر اشتد عليه وأبى أن يدعه يخرج الى هرثمة وقال هو فى جندى والجانب الذى أنا فيه وأنا أخرجته بالحصار حتى طلب الامان فلا أرضى ان يخرج الى هرثمة فيكون له الفتح دونى فلما بلغ ذلك هرثمة والقواد اجتمعوا فى منزل خزيمة بن خازم وحضر طاهر وقواده وحضر سليمان بن المنصور والسندى ومحمد بن عيسى بن نهيك وأداروا الرأى بينهم وأخبروا طاهرا أنه لا يخرج اليه أبدا وانه ان لم يجب الى ما سأل لم يؤمن الا أن يكون الامر مثله أيام الحسين بن على بن عيسى بن ماهان وقالوا له انه يخرج الى هرثمة ببدنه ويدفع اليك الخاتم والقضيب والبردة وذلك هو الخلافة فاغتنم هذا الامر ولا تفسده فاجاب الى ذلك ورضى به ثم ان الهرش لما علم بالخبر أراد التقرب الى طاهر فأخبره ان الذى جرى بينهم مكر وان الخاتم والقضيب والبردة يحمل مع الامين الى هرثمة فاغتاظ منه وجعل حول قصر أم الامين وقصور الخلد قوما معهم العتل ولم يعلم بهم أحد فلما تهيأ الامين للخروج الى هرثمة عطش قبل خروجه عطشا شديدا فطلب له فى خزانة الشراب ماء فلم يوجد فلما أمسى ليلة الاحد لخمس بقين من محرم سنة ثمان

الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدى فما أدرى أيها ألين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدرى أيه ألذ وأطيب وأما الطيب فقد دخل خياشيمى منه حتى ما أدرى أيه أطيب فما شئ ألذ عندى من شراب بارد فى يوم صائف ومن ان أنظر الى بنى وبنى بنى يدورون حولى فما بقى منك يا عمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت معاوية الى وردان فقال ما بقى منك يا وردان قال صنيعة كريمة سنية أعقلها فى أعناق قوم ذوى فضل وأخطار لا يكافئوننى بها حتى ألقى الله تعالى وتكون لعقبى فى أعقابهم بعدى فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبنى وغلبك وفى سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل ابن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لى فأعتذر ولا قوة لى فأنتصر أمرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم هذه يدى الى ذقنى ثم قال خذوا

وتسعين ومائة خرج بعد العشاء الآخرة الى صحن الدار وعليه ثياب بيض وطيلسان اسود فأرسل اليه هرثمة وافيت للميعاد لاحملك ولكنى أرى ان لاتخرج الليلة فانى قد رأيت على الشط أمرا قد رابنى وأخاف ان أغلب وتؤخذ من يدى وتذهب نفسك ونفسى فأقم الليلة حتى استعد وآتيك الليلة القابلة فان حوربت حاربت دونك فقال الامين للرسول ارجع اليه وقل له لا يبرح فانى خارج اليه الساعة لامحالة ولست أقيم الى غد وقلق وقال قد تفرق عنى الناس من الموالى والحرس وغيرهم ولا آمن ان انتهى الخبر الى طاهر أن يدخل على فيأخذنى ثم دعا بابنيه فضمهما اليه وقبلهما وبكى وقال أستودعكما الله عز وجل ودمعت عيناه فمسح دموعه بكمه ثم جاء راكبا الى الشط فاذا حراقة هرثمة فصعد اليها فذكر أحمد بن سلام صاحب المظالم قال كنت مع هرثمة فى الحراقة فلما دخلها الامين قناله وجثى هرثمة على ركبتيه واعتذر اليه من نقرس به ثم احتضنه وضمه اليه وجعله فى حجره وجعل يقبل يديه ورجليه وعينيه وأمر هرثمة الحراقة أن تدفع اذ شد علينا أصحاب طاهر فى الزوارق وعطعطوا ونقبوا الحراقة ورموهم بالآجر والنشاب فدخل الماء الى الحراقة فغرقت وسقط هرثمة الى الماء وسقطنا فتعلق الملاح بشعر هرثمة فاخرجه وأما الامين فانه لما سقط الى الماء شق ثيابه وخرج الى الشط فأخذنى رجل من أصحاب طاهر وأتى بى رجلا من اصحاب طاهر وأعلمه انى من الذين خرجوا من الحراقة فسألنى من أنا فقلت أنا أحمد بن سلام صاحب المظالم مولى أمير المؤمنين قال كذبت فأصدقنى قلت قد صدقتك قال فما فعل المخلوع قلت رأيته وقد شق ثيابه فركب وأخذنى معه أعدو وفى عنقى حبل فعجزت عن العدو فأمر بضرب عنقى فاشتريت نفسى منه بعشرة آلاف درهم فتركنى فى بيت حتى يقبض المال وفى البيت بوارى وحصر مدرجة ووسادتان فلما ذهب من الليل ساعة واذ قد فتحوا الباب وأدخلوا الامين وهو عريان وعليه سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة خلقة فتركوه معى فاسترجعت وبكيت فيما بينى وبين نفسى فسألنى عن اسمى فعرفته فقال ضمنى اليك فانى أجد وحشة شديدة قال فضممته الى واذا قلبه يخفق خفقانا شديدا فقال يا أحمد مافعل أخى قلت حى هو قال قبح الله بريدهم كان يقول قد مات شبه المعتذر من محاربته فقلت بل قبح الله وزراءك فقال ماتراهم يصنعون بى أيقتلوننى أم يفوا الى بأمانهم فقلت بل يفون لك وجعل يضم الخرقة على كتفه فنزعت مبطنة كانت على وقلت ألق هذه عليك فقال دعنى فهذا من الله عز وجل فى مثل هذا الموضع خير كثير فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا رجل فنظر فى وجوهنا فاستثبتها فلما عرفته انصرف واذا هو محمد بن حميد الطاهرى فلما رأيته علمت ان الامين مقتول فلما انتصف الليل فتح الباب ودخل الدار قوم من العجم معهم السيوف مسلولة فلما رآهم قام قائما وجعل يقول انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى فى سبيل الله أما من مغيث أما من احد من الابناء وجاؤا حتى وقفوا على باب البيت الذى نحن فيه وجعل بعضهم يقول لبعض تقدم ويدفع بعضهم بعضا وأخذ الامين بيده وسادة وجعل يقول ويحكم أنا ابن عم رسول الله انا ابن هرون أنا أخو المأمون الله الله فى دمى فدخل عليه رجل منهم فضربه بالسيف ضربة وقعت فى مقدم رأسه وضربه الامين بالوسادة على وجهه وأراد ان يأخذ السيف منه فصاح قتلنى قتلنى فدخل منهم جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف فى خاصرته وركبوه فذبحوه ذبحا من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وتركوا جثته فلما كان السحر أخذوا جثته فادرجوها فى جل وحملوها فنصب طاهر الرأس على برج وخرج أهل بغداد للنظر وطاهر يقول هذا رأس المخلوع محمد فلما قتل ندم جند بغداد وجند طاهر

لى فى الارض خدا وسنوا على التراب سنا ثم وضع أصبعه فى فيه حتى مات وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان أبوه من المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لأبيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ومن الورق الفى ألف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدى الشاعر من أبيات

ألم تر ان الدهر اخنت صروفه
على عمرو السهمى تجبى له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله
ولا جمعه لما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء وضللت
مكايده عنه واموله الدثر

وفى سنة خمس وأربعين ولى معاوية زياد ابن أبيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الارب مسرور بعالا يسره
وآخر محزون بمالا يضره

وقد كان معاوية عزل فى هذه السنة شقران بن

على قتله لما كانوا يأخذون من الاموال وبعث طاهر برأس محمد الى أخيه المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسين بن مصعب وكتب معه بالفتح فلما وصل أخذ الرأس ذو الرياستين فادخله على ترس فلما رآه المأمون سجد وبعث معه طاهر بالبردة والقضيب والخاتم ولما بلغ أهل المدينة ان طاهرا أمر مولاه قريشا فقتله قال شيخ من أهل المدينة سبحان الله كنا نروى انه يقتله قريش فذهبنا الى القبيلة فوافق الاسم ولما قتل الامين نودى فى الناس بالامان فامن الناس كلهم ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الامين وكتب الى المعتصم وقيل الى ابن المهدى أما بعد فانه عزيز على ان اكتب الى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ولكنه بلغنى انك تميل بالرأى وتصغى بالهوى الى الناكث المخلوع فان كان كذلك فكثيرا ما كتبت اليك وان كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته ولما قتل الامين قال ابراهيم بن المهدى يرثيه

عوجا بمغنى الطلل الداثر * بالخلد ذات الصخر والآجر
والمرمر المنسوب يطلى به * والباب باب الذهب الناضر
عوجا بها فاستيقنا عندها * على يقين قدرة القادر
وأبلغا عنى مقالا الى ال * مولى على المأمور والآمر
قولا له يا ابن أبى الناصر * طهر بلاد الله من طاهر
لم يكفه أن حز أوداجه * ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى أتى يسحب أوداجه * فى شطن هذا مدى السائر
قد برد الموت على جنبه * فطرفه منكسر الناظر

فلما بلغ المأمون قوله اشتد عليه

﴿ذكر صفة الامين وعمره وولايته﴾

قيل ان محمدا ولى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائة وقتل ليلة الاحد لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وكنيته أبو موسى وقيل أبو عبد الله وهو ابن الرشيد هرون بن أبى عبد الله المهدى بن أبى جعفر المنصور وأمه زبيدة ابنة جعفر الاكبر ابن المنصور وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام وقيل كانت ولايته فى النصف من جمادى الآخرة وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وكان سبطا أنزع صغير العينين أقنى جميلا طويلا عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وكان مولده بالرصافة ولما وصل خبر قتله الى المأمون اذن للقواد وقرأ الفضل بن سهل الكتاب عليهم فهنؤه بالظفر ودعوا له وكتب الى طاهر وهرثمة بخلع القاسم المؤتمن من ولاية العهد فخلعاه فى شهر ربيع الاول من هذه السنة وأكثر الشعراء فى مراثى الامين وهجائه تركنا أكثره لانه خارج عن التاريخ فمما قيل فى مراثيه قول الحسين بن الضحاك وكان من ندمائه وكان لا يصدق بقتله ويطمع فى رجوعه

ياخير اسرته وان زعموا * انى عليك لمثبت اسف
الله يعلم ان لى كبدا * حرى عليك ومقلة تكف
ولئن شجيت لما رزئت به * انى لاضمر فوق ما اصف
هلا بقيت لسد فاقتنا * أبدا وكان لغيرك التلف
فلقد خلفت خلائفا سلفوا * أوليس يعوز بعدك الخلف
لابأت رهطك بعدهو نهم * انى لرهطك بعدها شنف

عوف العامرى وأمر أن يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن يزيد ابنه لما بلغه خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال

أهون على بما لاقت جموعهم
يوم الطوانة من حمى ومن شوم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا
بدير مران عندى أم كلثوم

فحلف عليه ليغزون واردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصارى ودفن هناك على باب القسطنطينية واسم أبى أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات فى سنة احدى وخمسين غازيا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها فى الكتاب الاوسط وفى سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان والهائم عاد اليها فطعن فمات فمر أعرابى عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف
عليها زوانى الانس والجن تعزف
فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا
وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهى فى ديرها فى الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتته جاريتها

هتكوا الحرمة التى هتكت * حرم الرسول ودونها السجف
ونبت اقاربك التى خذلت * وجميعها بالذل معترف
تركوا حريم أبيهم نفلا * والمحصنات صوارخ هتف
أبدت مخلخلها على دهش * ابكارهن ورنت النصف
سلبت معاجرهن واختلست * ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهن خلال منتهب * در تكشف دونه الصدف
ملك تخوف نظمه قدر * فوهى فصرف الدهر مختلف
هيهات بعدك أن يدوم لنا * عز وان يبقى لنا شرف
افبعد عهد الله تقتله * والقتل بعد امانة سرف
فستعرفون غدا بعاقبة * عز الاله فاوردوا وقفوا
يامن يخون نومه أرقا * هدت الشجون وقلبه لهف
قد كنت لى املا غنيت به * فمضى وحل محله الاسف
مرج النظام وعاد منكرنا * عرفا وانكر بعده العرف
والشمل منتشر لفقدك والدنيا سدى والباب منكشف

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أمه زبيدة ويخاطب المأمون وكنية زبيدة أم جعفر

لخير امام قام من خير عنصر * وافضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الاولين وفهمهم * وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعينى مستهل دموعها * اليك ابن عمى من جفون ومحجر
وقد مسنى ضر وذل كآبة * وأرق عينى يا ابن عمى تفكرى
وهمت لما لاقيت بعد مصابه * فأمرى عظيم منكر جد منكر
سأشكو الذى لقيته بعد فقده * اليك شكاة المستضيم المقتر
وأرجوا لما قدمر بى مذ فقدته * فانت لبثى خير رب مغير
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر فيما أتى بمطهر
فاخرجنى مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالى وأخرب أدورى
يعز على هرون ما قد لقيته * وما مر بى من ناقص الخلق أعور
فان كان ما أبدى بامر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرابتى * فديتك من ذى حرمة متذكر

فلما قرأها المأمون بكى وقال أنا والله الطالب بثار أخى قتل الله قاتله ولقد أسرف الحسين بن الضحاك فى مراثى الامين وذم المأمون فلهذا حجبه المأمون عنه ولم يسمع مديحه مدة ثم احضره يوما فقال له أخبرنى هل رأيت يوم قتل أخى هاشمية قتلت وهتكت قال لا قال فما قولك

ومما شجا قلبى وكفكف عبرتى * محارم من آل النبى استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها * كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا خفرتها روعة من منازع * لها المرط عادت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم * هتفن بدعوى خير حى وميت
اردّ يدا منى اذا ما ذكرته * على كبد حرى وقلب مفتت

فقالت هذا المغيرة يستأذن عليك فقالت الجارية ألق اليه أنماطا فالقت اليه وسادة من شعر فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردتنى لدين أو جمال مارجعت الا بحاجتك ولكنى أخبرك الذى أردت ذلك له قال وما هو قالت أردت انك تتزوجنى حتى تقوم فى الموسم فى العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك أردت ولكن أخبرينى ما كان أبوك يقول فى هذا الحى من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف أحدهما من بنى سالم والآخر من بنى يسار فسألهما عن أنسابهما فانتسب أحدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال أبى ما الحى معد على اياد فضل نخرجا وأبى يقول

ان ثقيفا لم تكن هوازنا * ولم تناسب عامرا ومازنا
الا حديثا وابتنوا المحاسنا

فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وأبوك اعلم قال فاخبرينى أى العرب كان أحب الى أبيك قالت أطوعهم له قال ومن أولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استعنتهم فى طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف أطاع

فلا بات اهل الشامتين بغبطة * ولا بلغت آمالها ما تمنت

فقال يا أمير المؤمنين لوعة غلبتنى وروعة فاجأتنى ونعمة سلبتها بعد أن غمرتنى واحسان شكرته فانطقنى وسيد فقدته فاقلقنى فان عاقبت فبحقك وان عفوت فبفضلك فدمعت عين المأمون قال قد عفوت عنك وأمرت بادرار أرزاقك اليك وعطائك ما فاتك منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعى من استخدامك ثم ان المأمون رضى عنه وسمع مديحه ومما قيل فى هجائه

لم نبكيك لماذا للطرب * يا أبا موسى وترويج اللعب
ولترك الخمس فى أوقاتها * حرصا منك على ماء العنب
وشنيف انا لا أبكى له * وعلى كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حد الرضا * لا ولا تعرف ما حد الغضب
لم تكن تصلح للملك ولم * تعطك الطاعة بالملك العرب
لم نبكيك لما عرضتنا * للمجانيق وطورا للسلب
فى عذاب وحصار مجهد * سدد الطرق فلا وجه الطلب
زعموا أنك حى حاشر * كل من قد قال هذا فكذب
ليته قد قاله فى وجده * من جميع ذاهب حيث ذهب
أوجب الله علينا قتله * واذا ما أوجب الامر وجب
كان والله علينا فتنة * غضب الله عليه وكتب

وقيل فيه غير ذلك تركناذ كره خوف الاطالة

﴿ذكر بعض سيرة الامين﴾

لما ملك الامين وكاتبه المأمون واعطاه بيعته طلب الخصيان وابتاعهم وغالى فيهم فصيرهم لخلوته ليله ونهاره وقوام طعامه وشرابه وأمره ونهيه وفرض لهم فرضا سماهم الجرادية وفرضا من الحبشان سماهم الغرابية وفرض للنساء الحرائر والاماء حتى رمى بهن وقيل فيه الاشعار فمما قيل فيه

الا يا أيها المثوى بطوس * غريبا ما تفادى بالنفوس
لقد أبقيت للخصيان هقلا * يحمل منهم شؤم البسوس
فاما نوفل فالشأن فيه * وفى بدر فيالك من جليس
وما للمعصمى شئ لديه * اذا ذكروا بذى سهم خسيس
وما حسن الصغير أخس حالا * لديه عند مخترق الكؤس
لهم من عمره شطر وشطر * يعاقر فيه شرب الخندريس
وما للغانيات لديه حظ * سوى التقطيب والوجه العبوس
اذا كان الرئيس كذا سقيما * فكيف صلاحنا بعد الرئيس
فلو علم المقيم بدارطوس * لعز على المقيم بدارطوس

ثم وجه الى جميع البلدان فى طلب الملهين وضمهم اليه وأجرى عليهم الارزاق واحتجب عن أخويه وأهل بيته واستخف بهم وبقواده وقسم ما فى بيوت الاموال وما بحضرته من الجواهر فى خصيانه وجلسائه ومحدثيه وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلواته ولهوه ولعبه وعمل خمس حراقات فى دجلة على صورة الاسد والفيل والعقارب والحية والفرس وأنفق فى عملها مالا عظيما فقال أبو نواس فى ذلك

فارس قالت كانت طاعتهم اياه فيما يهوى فانصرف المغيرة ولما هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة الى زياد فكان أول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفى سنة ثمان وأربعين قبض معاوية فدك من مروان ابن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج فى سنة خمسين وأمر بحمل منبر النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشأم فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراق وفى سنة ثلاث وخمسين هلك زياد بن أبيه بالكوفة فى شهر رمضان وكان يكنى أبا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت فى كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت أكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالثوية من أرض الكوفة وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن على فمن أبى ذلك عرضه على السيف فذكر

سخر الله للامين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ماركابه سرن برا * سار فى الماء راكبا ليث غاب
عجب الناس اذ رأوك على صو * رة ليث تمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه * كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحيـ * ـن تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير فى السماء اذا ما استعجلوها بجيئة وذهاب

قال الكوثر أمر الامين أن يفرش له على دكان فى الخلد يوما ففرش عليه بساط زرعى وغارق وفرش مثله وهيئ من آنية الذهب والفضة والجواهر أمر عظيم وأمر قيمة جواريه ان تهيئ له مائة جارية صانعة فتصعد اليه عشرا عشرا بايديهن العيدان يغنين بصوت واحد فاصعدت اليه عشرا فاندفعن يغنين بصوت واحد

هم قتلوه كى يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فسبهن وطردهن ثم أمرها فاصعدت عشرا غيرهن فغنينه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

ففعل مثل مافعل وأطرق طويلا ثم قال أصعدى عشرا فاصعدتهن فغنين

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فقام من مجلسه وأمر بهدم الدكان تطيرا مما كان قيل وذكر محمد الامين عند الفضل بن سهل بخراسان فقال كيف لا يستحل قتل محمد وشاعره يقول فى مجلسه

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا فقد أمكن الجهر

فبلغت القصة الامين فحبس أبا نواس لم نجد فى سيرته ما يستحسن ذكره من حلم أو معدلة أو تجربة حتى نذكرها وهذا القدر كاف

﴿ذكر وثوب الجند بطاهر﴾

وفى هذه السنة وثب الجند بطاهر بعد مقتل الامين بخمسة أيام وكان سبب ذلك أنهم طلبوا منه مالا فلم يكن معه شئ فثاروا به فضاق به الامر وظن ان ذلك من مواطأة من الجند وأهل الارباض وأنهم معهم عليه ولم يكن تحرك من أهل الارباض أحد فخشى على نفسه فهرب ونهبوا بعض متاعه ومضى الى عقرقوف وكان لما قتل الامين أمر بحفظ الابواب وحول زبيدة أم الامين وولديه موسى وعبد الله معها وحملهم فى حراقة الى همينيا على الزاب الاعلى ثم أمر بحمل موسى وعبد الله الى عمهما المأمون بخراسان فلما ثار به الجند نادوا موسى يامنصور وبقوا كذلك يومهم ومن الغد فصوب الناس اخراج طاهر ولدى الامين ولما هرب طاهر الى عقرقوف خرج معه جماعة من القواد وتعبى لقتال الجند وأهل الارباض ببغداد فلما بلغ ذلك القواد المختلفين عنه والاعيان من أهل المدينة خرجوا واعتذروا وأحالوا على السفهاء والاحداث وسألوه الصفح عنهم وقبول عذرهم فقال طاهر ماخرجت عنكم الا لوضع السيف فيكم وأقسم بالله العظيم عز وجل لئن عدتم لمثلها لاعودن الى رأيى فيكم ولاخرجن الى مكروهكم فكسرهم بذلك وأمر لهم برزق أربعة أشهر وخرج اليه جماعة من مشيخة أهل بغداد وعميرة أبو شيخ بن عميرة الاسدى فحلفوا له انه لم يتحرك من أهل بغداد ولا من الابناء أحد وضمنوا له من وراءهم فسكن غضبه وعفا عنهم ووضعت الحرب أوزارها واستوسق الناس فى المشرق والمغرب على طاعة المأمون والانقياد

عبد الرحمن بن السائب قال حضرت فصرت الى الرحبة ومعى جماعة من الانصار فرأيت شيأ فى منامى وأنا جالس فى الجماعة وقد خفقت وهو أنى رأيت شيأ طويلا قد أقبل فقلت ماهذا فقال أنا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد أصابه ماذكرنا من البلاء وفى ذلك يقول عبد الله ابن السائب من أبيات

ما كان منتهيا عما أرادبنا
حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت
لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعنى بصاحب الرحبة على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد ذهب جماعة الى أن عليا دفن فى القصر بالكوفة ويقال ان زياد اطعن فى يده وانه شاور شريحا فى قطعها فقال له لك رزق مقسوم وأجل معلوم وانى أكره ان كان لك مدة أن تعيش أجذم وان حم أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا أمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر جسده يوما وفى سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد

الخلافه (عميرة بفتح العين وكسر الميم)

﴿ذكر خلاف نصر بن سيار بن شبث العقيلى على المأمون﴾

وفى هذه السنة أظهر نصر بن سيار بن شبث العقيلى الخلاف على المأمون وكان نصر من بنى عقيل يسكن كيسوم ناحية شمالى حلب وكان فى عنقه بيعة للامين وله فيه هوى فلما قتل الامين أظهر نصر الغضب لذلك وتغلب على ماجاوره من البلاد وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب وأهل الطمع وقويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقى وحدثته نفسه بالتغلب عليه فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت وكان من أمره مانذكره ان شاء الله تعالى (شبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة)

﴿ذكر ولاية الحسن بن سهل العراق وغيره من البلاد﴾

وفى هذه السنة استعمل المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على كل ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن بعد ان قتل الامين وكتب الى طاهر بتسليم ذلك اليه فقدم الحسن بين يديه على بن أبى طاهر سعيد فدافعه طاهر بتسليم الخراج اليه حتى وفى الجند ارزاقهم وسلم اليه العمل وقدم الحسن سنة تسع وتسعين وفرق العمال وأمر طاهرا أن يسير الى الرقة لمحاربة نصر بن سيار بن شبث العقيلى وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب فسار طاهر الى قتال نصر بن سيار بن شبث وأرسل اليه يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه الى ذلك فتقدم اليه طاهر والتقوا بنواحى كيسوم واقتتلوا قتالا شديدا أبلى فيه نصر بلاء عظيما وكان الظفر له وعاد طاهر شبه المهزوم الى الرقة وكان قصارى أمر طاهر حفظ تلك النواحى وكتب المأمون الى هرثمة يأمره بالمسير الى خراسان وحج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد

﴿ذكر وقعة الربض بقرطبة﴾

فى هذه السنة كانت بقرطبة الوقعة المعروفة بالربض وسببها ان الحكم بن هشام الاموى صاحبها كان كثير التشاغل باللهو والصيد والشرب وغير ذلك مما يجانسه وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة فكرهه أهلها وصاروا يتعرضون لجنده بالاذى والسب الى أن بلغ الامر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الاذان الصلاة يامخمور الصلاة وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالاكف فشرع فى تحصين قرطبة وعمارة أسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ورتب جمعا لايفارقون باب قصره بالسلاح فزاد ذلك فى حقد أهل قرطبة وتيقنوا انه يفعل ذلك للانتقام منهم ثم وضع عليهم عشر الاطعمة كل سنة من غير خرص فكرهوا ذلك ثم عمد الى عشرة من رؤساء سفهائها فقتلهم وصلبهم فهاج لذلك أهل الربض وانضاف الى ذلك ان مملوكا له سلم سيفا الى صيقل ليصقله فمطله فاخذ المملوك السيف فلم يزل يضرب الصيقل به الى أن قتله وذلك فى رمضان من هذه السنة فكان أول من شهر السلاح أهل الربض واجتمع أهل الارباض جميعهم بالسلاح واجتمع الجند والامويون والعبيد بالقصر وفرق الحكم الخيل والاسلحة وجعل أصحابه كتائب ووقع القتال بين الطائفتين فغلبهم أهل الربض وأحاطوا بقصره فنزل الحكم من أعلى القصر ولبس سلاحه وركب وحرض الناس فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا ثم أمر ابن عمه عبيد الله فثلم فى السور ثلمة وخرج منها ومعه قطعة من الجيش وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم ولم يعلموا بهم فاضرموا النار فى الربض وانهزم أهله وقتلوا مقتلة عظيمة

من أهل العراق الاحنف بن قيس فى آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك ابن قيس انى جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فاذا فرغت من كلامى فقل فى يزيد الذى يحق عليك وادع الى بيعته فانى قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن عمارة الاشعرى وثور بن معن السلمى ان يصدقوك فى كلامك وان يجيبوك الى الذى دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان يوليه عهده ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما أردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن عمارة الاشعرى وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية أين الاحنف ابن قيس فقام الاحنف فقال ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتنف ويزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر مفن أو مرض مضن وقد حلبت الدهور وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك ومن توله الامر من بعدك واعص رأى من يأمرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد

وأخرجوا من وجدوا فى المنازل والدور فاسروهم فانتقى من الاسرى ثلثمائة من وجوههم فقتلهم وصلبهم منكسين وأقام النهب والقتل والحريق والخراب فى أرباض قرطبة ثلاثة أيام ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث ولم يكن عنده من يوازيه فى قربه فاشار عليه بالصفح عنهم والعفو وأشار غيره بالقتل فقبل قوله وأمر فنودى بالامان على انه من بقى من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه فخرج من بقى بعد ذلك منهم مستخفيا وتحملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وماخف من أموالهم وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون ومن امتنع عليهم قتلوه فلما انقضت الايام الثلاثة أمر الحكم بكف الايدى عن حرم الناس وجمعهن الى مكان وأمر بهدم الربض القبلى وكان بزيع مولى أمية ابن الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوسا فى حبس الدم بقرطبة فى رجليه قيد ثقيل فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند سأل الحرس أن يفرجوا له فاخذوا عليه العهود ان سلم أن يعود اليهم وأطلقوه فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن فى الجيش مثله فلما انهزم أهل الربض عاد الى السجن فانتهى خبره الى الحكم فاطلقه وأحسن اليه وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة اثنتين ومائتين

﴿ ذكر الوقعة بالموصل المعروفة بالميدان ﴾

وفيها كانت الوقعة المعروفة بالميدان بالموصل بين اليمانية والنزارية وكان سببها ان عثمان بن نعيم البرجمى صار الى ديار مضر فشكا الازد واليمن وقال انهم يتهضموننا ويغلبوننا على حقوقنا واستنصرهم فسار معه الى الموصل ما يقارب عشرين ألفا فأرسل اليهم على بن الحسن الهمدانى وهو حينئذ متغلب على الموصل فسألهم عن حالهم فاخبروه فاجابهم الى ما يريدون فلم يقبل عثمان ذلك فخرج اليهم على من البلد فى نحو أربعة آلاف رجل فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا عدة وقائع فكانت الهزيمة على النزارية وظفر بهم على وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى البلد

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفى هذه السنة خرج الحسن الهرشى فى جماعة من سفلة الناس معه خلق كثير من الاعراب ودعا الى الرضا من آل محمد وأتى النيل فجبى الاموال ونهب القرى وفيها مات سفيان بن عيينة الهلالى بمكة وكان مولده سنة تسع ومائة وفيها توفى عبد الرحمن بن المهدى وعمره ثلاث وستون سنة ويحيى بن سعيد القطان فى صفر ومولده سنة عشرين ومائة

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة ﴾

﴿ ذكر ظهور ابن طباطبا العلوى ﴾

وفيها ظهر أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام لعشر خلون من جمادى الآخرة بالكوفة يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالكتاب والسنة وهو الذى يعرف بابن طباطبا وكان القيم بامره فى الحرب أبو السرايا السرى بن منصور وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيبانى وكان سبب خروجه ان المأمون لما صرف طاهرا عما كان اليه من الاعمال التى افتتحها ووجه الحسن بن سهل اليها تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وأنه أنزله قصرا حجبه فيه عن أهل بيته وقواده وانه يستبد بالامر دونه فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن فى الامصار فكان أوّل من ظهر ابن طباطبا بالكوفة وقيل كان سبب اجتماع ابن طباطبا بابى السرايا أن السرايا كان يكرى الحمير ثم قوى حاله فجمع نفرا فقتل

رأيهم فى نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فاشار الى معاوية وقال أنت أمير المؤمنين فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن أبى هذا فهذا وأخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من أخطب الناس فكان معاوية أوّل من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفى ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولى

فان تأتوا برملة أو بهند
نبايعها أميرة مؤمنينا
اذا مامات كسرى قام كسرى
نعدّ ثلاثة متناسقينا
فيالهفا لو ان لنا ألوفا
ولكن لا نعود كما عنينا
اذا لضربتموا حتى تعودوا
بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا
دماء بنى أمية مارو ينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم
تصيدون الارانب غافلينا

وأنفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته اياه بولاية العهد ويأمره بمبايعته واخذ البيعة له على من قبله فلما قرأ مروان ذلك خرج مغضبا فى أهل بيته واخواله من بنى كنانة حتى أتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية يمشى بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به

رجلا من بنى تميم بالجزيرة وأخذ ما معه فطلب فاختفى وعبر الفرات الى الجانب الشامى فكان يقطع الطريق فى تلك النواحى ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيبانى بارمينية ومعه ثلاثون فارسا فقوّده فجعل يقاتل معه الخرمية وأثر فيهم وفتك واخذ منهم غلاما اباالشوك فلما عزل أسد عن ارمينية صار أبو السرايا الى أحمد بن مزيد فوجهه أحمد طليعة الى عسكر هرثمة فى فتنة الامين والمأمون وكانت شجاعته قد اشتهرت فراسله هرثمة يستميله فمال اليه فانتقل الى عسكره وقصده العرب من الجزيرة واستخرج لهم الارزاق من هرثمة فصار معه نحو ألفى فارس وراجل فصار يخاطب بالامير فلما قتل الامين نقصه هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه فاستأذنه فى الحج فاذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرقها فى أصحابه ومضى وقال لهم اتبعونى متفرقين ففعلوا فاجتمع معه منهم نحو من مائتى فارس فسار بهم الى عين التمر وحصر عاملها وأخذ ما معه من المال وفرقه فى أصحابه وسار فلقى عاملا آخر ومعه مال على ثلاثة بغال فاخذها وسار فلحقه عسكر كان قد سيره هرثمة خلفه فعاد اليهم وقاتلهم فهزمهم ودخل البرية وقسم المال بين أصحابه وانتشر جنده فلحق به من تخلف عنه من أصحابه وغيرهم فكثر جمعه فسار نحو دقوقا وعليها أبو ضرغامة العجلى فى سبعمائة فارس فخرج اليه فلقيه فاقتتلوا فانهزم أبو ضرغامة ودخل قصر دقوقا فحصره أبو السرايا وأخرجه من القصر بالامان وأخذ ما عنده من الاموال وسار الى الانبار وعليها ابراهيم الشروى مولى المنصور فقتله أبو السرايا وأخذ ما فيها وسار عنها ثم عاد اليها بعد ادراك الغلال فاحتوى عليها ثم ضجر من طول السرى فى البلاد فقصد الرقة فمر بطوق بن مالك التغلبى وهو يحارب القيسية فاعانه عليهم وأقام معه أربعة أشهر يقاتل على غير طمع الا للعصبية للربعية على المضرية فظفر طوق وانقادت له قيس وسار عنه أبو السرايا الى الرقة فلما وصلها لقيه محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا فبايعه وقال له انحدر أنت فى الماء وأسير أنا على البر حتى نوافى الكوفة فدخلاها وابتدأ أبو السرايا بقصر العباس بن موسى بن عيسى فاخذ ما فيه من الاموال والجواهر وكان عظيما لا يحصى وبايعهم أهل الكوفة وقيل كان سبب خروجه ان ابا السرايا كان من رجال هرثمة فمطله بارزاقه فغضب ومضى الى الكوفة فبايع ابن طباطبا واخذ الكوفة واستوسق له أهلها وأتاه الناس من نواحى الكوفة والاعراب فبايعوه وكان العامل عليها للحسن بن سهل سليمان بن المنصور فلامه الحسن ووجه زهير بن المسيب الضبى الى الكوفة فى عشرة آلاف فارس وراجل فخرج اليه ابن طباطبا وأبو السرايا فواقعوه فى قرية شاهى فهزموه واستباحوا عسكره وكانت الوقعة سلخ جمادى الآخرة فلما كان الغد مستهل رجب مات محمد بن ابراهيم بن طباطبا فجأة سمه أبو السرايا وكان سبب ذلك أنه لما غنم ما فى عسكر زهير منع عنه أبا السرايا وكان الناس له مطيعين فعلم أبو السرايا انه لا حكم له معه فسمه فمات واخذ مكانه غلاما أمرد يقال له محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام فكان الحكم الى أبى السرايا ورجع زهير الى قصر ابن هبيرة فاقام به ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن أبى خالد المروروذى فى أربعة آلاف فارس فخرج اليه أبو السرايا فلقيه بالجامع لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب فقتل عبدوسا ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير وانتشر الطالبيون فى البلاد وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وسير جيوشه الى البصرة وواسط ونواحيهما فولى البصرة العباس ابن محمد بن عيسى بن محمد الجعفرى وولى مكة الحسين بن الحسن بن على بن الحسين بن على الذى يقال له الافطس وجعل اليه الموسم وولى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر وولى فارس اسمعيل بن

معاوية منه أقم الامور يا ابن أبى سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناواتهم وزراء فقال له معاوية أنت نظير أمير المؤمنين وعدته فى كل شديدة وعضده والثانى بعد ولى عهده وجعله ولى عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد بن معاوية

﴿ ذكر جمل من اخلاقه وسياسته وظرائف من عيون أخباره ﴾

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من أخباره وسيره فلنذكر الآن فى هذا الباب جملا من اخلاقه وسياساته واخباره وغير ذلك مما الحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن فى اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلى أربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشى ثم يؤتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدى بارد أو فرخ أو ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما أراد ثم يخرج فيقول يا غلام

موسى بن جعفر وولى الاهواز زيد بن موسى بن جعفر فسار الى البصرة وغلب عليها وأخرج عنها العباس بن محمد الجعفرى ووليها مع الاهواز ووجه أبو السرايا محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على الى المدائن وأمره أن يأتى بغداد من الجانب الشرقى فأتى المدائن وأقام بها وسير عسكره الى ديالى وكان بواسط عبد الله بن سعيد الحرشى واليا عليها من قبل الحسن ابن سهل فانهزم من أصحاب أبى السرايا الى بغداد فلما رأى الحسن ان أصحابه لا يلبثون لاصحاب أبى السرايا أرسل الى هرثمة يستدعيه لمحاربة أبى السرايا وكان قد سار الى خراسان مغاضبا للحسن فحضر بعد امتناع وسار الى الكوفة فى شعبان وسير الحسن الى المدائن وواسط على بن سعيد فبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة فوجه جيشا الى المدائن فدخلها أصحابه فى رمضان وتقدم حتى نزل بنهر صرصر وجاء هرثمة فعسكر بازائه بينهما النهر وسار على بن سعيد فى شوال الى المدائن فقاتل بها أصحاب أبى السرايا فهزمهم واستولى على المدائن وبلغ الخبر أبا السرايا فرجع من نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة فنزل به وسار هرثمة فى طلبه فوجد جماعة من اصحابه فقتلهم فوجه رؤسهم الى الحسن بن سهل ونازل هرثمة بالسرايا فكانت بينهما وقعة قتل فيها جماعة من أصحاب أبى السرايا فانحاز الى الكوفة ووثب من معه من الطالبيين على دور بنى العباس ومواليهم واتباعهم فهدموها وانتهبوها وخربوا ضياعهم وأخرجوهم من الكوفة وعملوا أعمالا قبيحة واستخرجوا الودائع التى كانت لهم عند الناس وكان هرثمة يخبر الناس انه يريد الحج وحبس من قدم للحج من خراسان وغيرها ليكون هو أمير الموسم ووجه الى مكة داود بن عيسى بن موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان الذى وجهه أبو السرايا الى مكة حسين ابن حسن الافطس بن على بن على بن الحسين بن على ووجه أيضا الى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن على فدخلها ولم يقاتله بها أحد ولما بلغ داود بن عيسى توجيه أبى السرايا حسين ابن حسن الى مكة لاقامة الموسم جمع أصحاب بنى العباس ومواليهم وكان مسرور الكبير قد حج فى مائتى فارس فتعبى للحرب وقال لداود أقم الى شخصك أو بعض ولدك وأنا أكفيك فقال لا أستحل القتال فى الحرم والله لئن دخلوها من هذا الفج لاخرجن من غيره وانحاز داود الى ناحية المشاش وافترق الجمع الذين كان جمعهم وخاف مسرور أن يقاتلهم فخرج فى أثر داود راجعا الى العراق وبقى الناس بعرفة فصلى بهم رجل من عرض الناس بغير خطبة ودفعوا من عرفة بغير امام وكان حسين بن حسن بسرف يخاف دخول مكة حتى خرج اليه قوم أخبروه ان مكة قد خلت من بنى العباس فدخلها فى عشرة أنفس فطافوا بالبيت وبين الصفا والمروة ومضوا الى عرفة فوقفوا ليلا ثم رجعوا الى مزدلفة فصلى بالناس الصبح وأقام بمنى ايام الحج وبقى بمكة الى أن انقضت السنة وكذلك أيضا اقام محمد بن سليمان بالمدينة حتى انقضت السنة واما هرثمة فانه نزل بقرية شاهى ورد الحاج واستدعى منصور بن المهدى اليه وكاتب رؤساء أهل الكوفة وأما على بن سعيد فانه توجه من المدائن الى واسط فأخذها وتوجه الى البصرة فلم يقدر على أخذها هذه السنة

﴿ذكر قوة نصر بن شبث العقيلى﴾

وفيها اقوى أمر نصر بن شبث العقيلى بالجزيرة وكثر جمعه وحصر حران وأتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا له قد وترت بنى العباس وقتلت رجالهم وأعلقت عنهم العرب فلو بايعت لخليفة كان أقوى لامرك فقال من أى الناس فقالوا نبايع لبعض آل على بن أبى طالب فقال ابايع بعض أولاد السوداوات فيقول انه هو خلقنى ورزقنى قالوا فتبايع لبعض بنى أمية فقال أولئك

قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبدا ولو سلم على رجل مدبر لاعدانى ادباره وانما هواى فى بنى العباس وانما حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى الحسين بن مصعب بن زريق أبو طاهر بن الحسين بخراسان وكان طاهر بالرقة وحضر المأمون جنازته ونزل الفضل بن سهل قبره ووجه المأمون الى طاهر يعزيه بأبيه وفيها توفى أبو عون معاوية بن أحمد الصمادحى مولى آل جعفر بن أبى طالب الفقيه المغربى الزاهد وفيها توفى سهل بن شاذويه أبو هرون وعبد الله بن نمير الهمدانى الكوفى وكنيته أبو هاشم وهو والد محمد بن عبد الله بن نمير شيخ البخارى ومسلم

﴿ثم دخلت سنة مائتين﴾

﴿ذكر هرب أبى السرايا﴾

فى هذه السنة هرب أبو السرايا من الكوفة وكان قد حصره فيها ومن معه هرثمة وجعل يلازم قتالهم حتى ضجروا وتركوا القتال فلما رأى ذلك أبو السرايا تهيأ للخروج من الكوفة فخرج فى ثمانمائة فارس ومعه محمد بن محمد بن زيد ودخلها هرثمة فآمن أهلها ولم يتعرض اليهم وكان هربه سادس عشر المحرم وأتى القادسية وسار منها الى السوس بخوزستان فلقى مالا قد حمل من الاهواز فأخذه وقسمه بين أصحابه وأتاه الحسن بن على المأمونى فأمره بالخروج من عمله وكره قتاله فأبى أبو السرايا الا قتاله فقاتله فهزمه المأمونى وجرحه وتفرق أصحابه وسار هو ومحمد بن محمد وأبو الشوك نحو منزل أبى السرايا برأس عين فلما انتهوا الى جلولاء ظفر بهم حماد الكندغوش فأخذهم وأتى بهم الحسن بن سهل وهو بالنهروان فقتل أبا السرايا وبعث رأسه الى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد وسير محمد بن محمد الى المأمون وأما هرثمة فانه أقام بالكوفة يوما واحدا وعاد واستخلف بها غسان بن أبى الفرج أبا ابراهيم بن غسان صاحب حرس والى خراسان وسار على بن سعيد الى البصرة فأخذها من العلويين وكان بها زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على عليه السلام وهو الذى يسمى زيد النار وانما سمى بها لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العباسيين واتباعهم وكان اذا أتى رجل من المسودة أحرقه وأخذ أموالا كثيرة من أموال التجار سوى أموال بنى العباس فلما وصل على الى البصرة استأمنه زيد فأمنه وأخذه وبعث الى مكة والمدينة واليمن جيشا وأمرهم بمحاربة من بها من العلويين وكان بين خروج أبى السرايا وقتله عشرة أشهر

﴿ذكر ظهور ابراهيم بن موسى بن جعفر﴾

فى هذه السنة ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وكان بمكة فلما بلغه خبر أبى السرايا وما كان منه سار الى اليمن وبها اسحق بن موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عاملا للمأمون فلما بلغه قرب ابراهيم من صنعاء سار منها نحو مكة فأتى المشاش فعسكر بها واجتمع بها اليه جماعة من أهل مكة هربوا من العلويين واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة من قتل باليمن وسبى واخذ الاموال

﴿ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الافطس بمكة والبيعة لمحمد بن جعفر﴾

وفى هذه السنة فى المحرم نزع الحسين كسوة الكعبة وكساها كسوة أخرى انفذها أبو السرايا من الكوفة من القز وتتبع ودائع بنى العباس واتباعهم وأخذها وأخذ أموال الناس بحجة الودائع فهرب الناس منه وتطرق أصحابه الى قلع شبابيك الحرم وأخذ ما على الاساطين من

أخرج الكرسى فيخرج الى المسجد فيوضع فيستند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمرأة ومن لا أحد له فيقول ظلمت فيقول أعزوه ويقول عدى على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروا فى امره حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلنى أحد عن رد السلام فيقال كيف أصبح أمير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن أهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم أخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند رأسه ويتقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بامر فيقال يا عبد الله أعقب فيقوم ويتقدم آخر حتى يأتى على أصحاب الحوائج كلهم وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء ويقال للناس أجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالظهر فيخرج فيصلى ثم يدخل فيصلى أربع ركعات ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكانج والاقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف أتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلى العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان فى آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب ولا ينادى له باصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلى بعدها أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت أخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلى ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما أرادوا ويصدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل فى أخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها

الذهب وهو نزر حقير وأخذ ما في خزانة الكعبة فقسمه مع كسوتها على أصحابه فلما بلغه قتل أبي
السرايا ورأى تغير الناس لسوء سيرته وسيرة أصحابه أتى هو وأصحابه الى محمد بن جعفر بن علي بن
الحسين بن علي عليه السلام وكان شيخا محببا للناس مفارقا لما عليه كثير من أهل بيته من قبح
السيرة وكان يروي العلم عن أبيه جعفر رضي الله عنه وكان الناس يكتبون عنه وكان يظهر زهدا
فلما أتوه قالوا له تعلم منزلتك من الناس فهلم نبايع لك بالخلافة فان فعلت لم يختلف عليك رجلان
فامتنع من ذلك فلم يزل به ابنه علي والحسين بن الحسن الافطس حتى غلباه على رأيه وأجابهم
وأقاموه في ربيع الاول فبايعوه بالخلافة وجمعوا له الناس فبايعوه طوعا وكرها وسموه أمير
المؤمنين فبقي شهورا وليس له من الامر شئ وابنه علي والحسين بن الحسن وجماعتهم أسوأ
ما كانوا سيرة وأقبح فعلا فوثب الحسين بن الحسن على امرأة من بني فهر كانت جميلة وأرادها على
نفسها فامتنعت منه فأخاف زوجها وهو من بني مخزوم حتى توارى عنه ثم كسر باب دارها
وأخذها اليه مدة ثم هربت منه ووثب علي بن محمد بن جعفر على غلام أمرد وهو ابن قاضي مكة
يقال له اسحق بن محمد وكان جميلا فأخذه قهرا فلما رأى ذلك أهل مكة ومن بها من المجاورين
اجتمعوا بالحرم واجتمع معهم جمع كثير فأتوا محمد بن جعفر فقالوا والله لنخلعنك أو لنقتلنك أو لتردن الينا
هذا الغلام فأغلق بابه وكلمهم من شباك وطلب منهم الامان ليركب الى ابنه ويأخذ الغلام وحلف
لهم انه لم يعلم بذلك فأمنوه فركب الى ابنه وأخذ الغلام منه وسلمه الى أهله ولم يلبثوا الا يسيرا حتى
قدم اسحق بن موسى العباسي من اليمن فنزل المشاش واجتمع الطالبيون الى محمد بن جعفر
وأعلموه وحفروا خندقا وجمعوا الناس من الاعراب وغيرهم فقاتلهم اسحق ثم كره القتال فسار
نحو العراق فلقيه الجند الذين أنفذهم هرثمة الى مكة ومعهم الجلودي ورجاء بن جميل فقالوا
لاسحق ارجع معنا ونحن نكفيك القتال فرجع معهم فقاتلوا الطالبيين فهزموهم فأرسل محمد بن
جعفر يطلب الامان فأمنوه ودخل العباسيون مكة في جمادى الآخرة وتفرق الطالبيون من
مكة وأما محمد بن جعفر فسار نحو الجحفة فأدركه بعض موالي بني العباس فأخذ جميع ما معه وأعطاه
دريهمات يتوصل بها فسار نحو بلاد جهينة فجمع بها وقاتل هرون بن المسيب والي المدينة
عند الشجرة وغيرها عدة دفعات فانهزم محمد وفقئت عينه بنشابة وقتل من أصحابه بشر كثير ورجع
الى موضعه فلما انفصل الموسم طلب الامان من الجلودي ومن رجاء بن جميل وهو ابن عمة الفضل
ابن سهل فأمنه وضمن له رجاء عن المأمون وعن الفضل الوفاء بالامان فقبل ذلك فأتى مكة لعشر
بقين من ذي الحجة فخطب الناس وقال انى بلغني ان المأمون مات وكانت له في عنقي بيعة وكانت
فتنة عمت الارض فبايعني الناس ثم انه صح عندي ان المأمون حي صحيح وأنا أستغفر الله من البيعة
وقد خلعت نفسي من البيعة التي بايعتموني عليها كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي فلا بيعة لي في
رقابكم ثم نزل وسار سنة احدى ومائتين الى العراق فسيره الحسن بن سهل الى المأمون بمرو فلما
سار المأمون الى العراق صحبه فمات بجرجان على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ما فعله ابراهيم بن موسى)

وفي هذه السنة وجه ابراهيم بن موسى بن جعفر من اليمن رجلا من ولد عقيل بن أبي طالب في جند
ليحج بالناس فسار العقيلي حتى أتى بستان ابن عامر فبلغه أن أبا اسحق المعتصم قد حج في جماعة
من القواد فيهم حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن فعلم
العقيلي انه لا يقوى لهم فأقام ببستان ابن عامر فاجتازت به قافلة من الحاج ومعهم كسوة الكعبة
وطيبها

وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل
اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث
الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر
الدفاتر فيها سير الملوك
وأخبارها والحروب
والمكايد فيقرأ ذلك عليه
غلمان له مرتبون وقد كانوا
بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه
كل ليلة جمل من الاخبار
والسير والآثار وأنواع
السياسات ثم يخرج فيصلي
الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا
في كل يوم وقد كان هم
بأخلاقه جماعة بعده مثل
عبد الملك بن مروان وغيره
فلم يدركوا حلمه ولا اتقانه
للسياسة ولا التأني للامور
ولا مداراته للناس على منازلهم
ورفقه بهم على طبقاتهم
وبلغ من احكامه للسياسة
واتقانه لها واجتذابه قلوب
خواصه وعوامه أن رجلا
من أهل الكوفة دخل على
بعير له الى دمشق في حال
منصرفهم عن صفين فتعلق
به رجل من دمشق فقال
هذه ناقتي أخذت مني بصفين
فارتفع أمرهما الى معاوية
وأقام الدمشقي خمسين رجلا
بينة يشهدون انها ناقته
فقضى معاوية على الكوفي
وأمره بتسليم البعير اليه
فقال الكوفي أصلحك الله
انه جمل وليس بناقة فقال
معاوية هذا حكم قد مضى
ودس الى الكوفي بعد تفرقهم
فأحضره وسأله عن ثمن
بعيره فدفع اليه ضعفه وبره وأحسن اليه وقال له ابلغ عليا أني اقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة

وطيبها فأخذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها وقدم الحجاج مكة عراة منهوبين فاستشار
المعتصم أصحابه فقال الجلودي أنا أكفيك ذلك فانتخب مائة رجل وسار بهم الى العقيلي فصبحهم
فقاتلهم فانهزموا وأسر أكثرهم وأخذ كسوة الكعبة وأموال التجار الا ما كان مع من هرب
قبل ذلك فرده وأخذ الاسرى فضرب كل واحد منهم عشرة أسواط وأطلقهم فرجعوا الى اليمن
يستطعمون الناس فهلك أكثرهم في الطريق

(ذكر مسير هرثمة الى المأمون وقتله)

لما فرغ هرثمة من أبي السرايا رجع فلم يأت الحسن بن سهل وكان بالمدائن بل سار على عقرقوف
حتى أتى البردان والنهروان وأتى خراسان فأتته كتب المأمون في غير موضع لان يأتي الى الشام
والحجاز فأبى وقال لا أرجع حتى ألقى أمير المؤمنين ادلالا منه عليه ولما يعرف من نصيحته له
ولآبائه وأراد أن يعرف المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الاخبار وانه
لا يدعه حتى يرده الى بغداد ليتوسط سلطانه فعلم الفضل بذلك فقال للمأمون ان هرثمة قد أثقل
عليك البلاد والعباد ودس أبا السرايا وهو من جنده ولو أراد لم يفعل ذلك وقد كتبت اليه عدة
كتب ليرجع الى الشام والحجاز فلم يفعل وقد جاء مشاقا يظهر القول الشديد فان أطلق هذا كان
مفسدة لغيره فتغير قلب المأمون وأبطأ هرثمة الى ذي القعدة فلما بلغ مرو وخشي أن يكتم قدومه
عن المأمون فأمر بالطبول فضربت لكي يسمعها المأمون فسمعها فقال ما هذا قالوا هرثمة قد
أقبل يرعد ويبرق فظن هرثمة ان قوله المقبول فأمر المأمون بادخاله فلما دخل عليه قال له
المأمون مالأت أهل الكوفة العلويين ووضعت أبا السرايا ولو شئت أن تأخذهم جميعا فعلت
فذهب هرثمة يتكلم ويعتذر فلم يقبل منه فأمر به فديس بطنه وضرب أنفه وسحب من بين يديه
وقد أمر الفضل الاعوان بالتشديد عليه فحبس فمكث في الحبس أياما ثم دس اليه من قتله وقالوا
مات

(ذكر وثوب الحربية ببغداد)

وفيها كان الشغب ببغداد بين الحربية والحسن بن سهل وكان سبب ذلك ان الحسن بن سهل كان
بالمدائن حين شخص هرثمة الى المأمون فلما اتصل ببغداد وسمع ما صنعه المأمون بهرثمة بعث
الحسن بن سهل الى علي بن هشام وهو والي بغداد من قبله أن ماطل الجند من الحربية أرزاقهم
ولا تعطهم وكانت الحربية قبل ذلك حين خرج هرثمة الى خراسان قد وثبوا وقالوا لا نرضى حتى
نطرد الحسن وعماله عن بغداد فطردوهم وصيروا اسحق بن موسى الهادي خليفة المأمون
ببغداد واجتمع أهل الجانبين على ذلك ورضوا به فدس الحسن اليهم وكاتب قوادهم حتى يبعثوا
من جانب عسكر المهدي فحول الحربية اسحق اليهم وأنزلوه على دجيل وجاء زهير بن المسيب
فنزل في عسكر المهدي وبعث الحسن علي بن هشام في الجانب الآخر هو ومحمد بن أبي خالد ودخلوا
بغداد ليلا في شعبان وقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصراة ثم وعدهم رزق ستة أشهر اذا
أدركت الغلة فسألوه تعجيل خمسين درهما لكل رجل منهم ينفقونها في رمضان فأجابهم الى ذلك
وجعل يعطيهم فلم يتم العطاء حتى أتاهم خبر زيد بن موسى من البصرة المعروف بزيد النار
وكان هرب من الحبس وكان عند علي بن سعيد فخرج بناحية الانبار هو وأخو أبي السرايا
في ذي القعدة سنة مائتين فبعثوا اليه فأتى به الى علي بن هشام وهرب علي بن هشام بعد جمعة
من الحربية ونزل بصرصر لانه لم يف لهم باعطاء الخمسين الى ان جاء الاضحى وبلغهم خبر هرثمة
وأخرجوه وكان القيم بأمر هرثمة محمد بن أبي خالد لان علي بن هشام كان يستخف به فغضب من

والجمل ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه
رؤسهم عند القتال وحملوه
بها وركنوا الى قول عمرو بن
العاص ان عليا هو الذي
قتل عمار بن ياسر حين
أخرجه لنصرته ثم ارتقى
بهم الامر في طاعته الى أن
جعلوا لعن علي سنة ينشأ
عليها الصغير ويهلك عليها
الكبير (قال المسعودي)
وذكر بعض الاخباريين
انه قال لرجل من أهل
الشام من زعمائهم وأهل
الرأي والعقل منهم من أبو
تراب هذا الذي يلعنه
الامام على المنبر قال أراه لصا
من لصوص الفتن (وحكى
الجاحظ) قال سمعت رجلا
من العامة وهو حاج وقد
ذكر له البيت يقول اذا أتيته
من يكلمني منه وأنه أخبره
صديق له أنه قال له رجل
منهم وقد سمعه يصلي على
محمد صلى الله عليه وسلم
ما تقول في محمد هذا أربنا هو
(وذكر) ثمامة بن أشرس
قال كنت مارا في السوق
ببغداد فاذا أنا برجل عليه
الناس مجتمعون فنزلت عن
بغلتي وقلت لشئ ما هذا
الاجتماع ودخلت بين الناس
واذا برجل يصف كحلا معه
انه ينجع من كل داء يصيب
العين فنظرت اليه فاذا عينه
الواحدة برشاء والاخرى
مأسوكة فقلت له يا هذا لو
كان كذلك كما تقول نفع
عينيك فقال لي اهاهنا اشتكت عيناي انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كدّ (وذكر)

ذلك وتحول الى الحربية فلم يقربهم على فهرب الى صرصر ثم هزموه من صرصر وقيل كان السبب فى شغب الابناء أن الحسن بن سهل جلد عبد الله بن على بن ماهان الحد فغضب الابناء وخرجوا

﴿ذكر الفتنة بالموصل﴾

وفيها وقعت الفتنة بالموصل بين بنى سامة وبنى ثعلبة فاستجارت ثعلبة بمحمد بن الحسين الهمدانى وهو أخو على بن الحسين أمير البلد فأمرهم بالخروج الى البرية ففعلوا فتبعهم بنو سامة فى ألف رجل الى العوجاء وحصروهم فيها فبلغ الخبر عليا ومحمدا ابنى الحسين فأرسلا الرجال اليهم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من بنى سامة جماعة وأسر جماعة منهم ومن بنى تغلب وكانوا معهم فحبسوا فى البلد ثم ان أحمد بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبى أتى محمدا وطلب اليه المسالمة فأجابه اليه وصلح الامر وسكنت الفتنة

﴿ذكر الغزاة الى الفرنج﴾

وفى هذه السنة جهز الحكم أمير الاندلس جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج بالاندلس فسار بالعساكر حتى دخل بأرضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما أهلك موضعا وصل الى غيره فاستنفد خزائن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحى مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل أوب فأقبل فى جموع عظيمة بازاء عسكر المسلمين بينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة أيام المسلمون يريدون ان يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فمن عبر النهر سلم وأسر جماعة من كنودهم وملوكهم وقمامصتهم وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم فجاءت الامطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبد الكريم عنهم سابع ذى الحجة

﴿ذكر خروج البربر بناحية مورور﴾

وفى هذه السنة خرج خارجى من البربر بناحية مورور من الاندلس ومعه جماعة فوصل كتاب العامل الى الحكم بخبره فأخفى الحكم خبره واستدعى من ساعته قائدا من قواده فاخبره بذلك سرا وقال له سر من ساعتك الى هذا الخارجى فائتنى برأسه والا فرأسك عوضه وأنا قاعد مكانى هذا الى ان تعود فسار القائد الى الخارجى فلما قاربه سأل عنه فاخبر عنه باحتياط كثير واحتراز شديد ثم ذكر قول الحكم ان قتلته والا فرأسك عوضه فحمل نفسه على سبيل سلوك المخاطرة فاعمل الحيلة حتى دخل عليه وقتله وأحضر عند الحكم رأسه فرآه بمكانه ذلك لم يتغير منه وكانت غيبته أربعة أيام فلما رأى رأسه أحسن الى ذلك القائد ووصله وأعلى محله (مورور بفتح الميم وسكون الواو وضم الراء وسكون الواو الثانية وآخره راء ثانية)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وجه المأمون رجاء بن أبى الضحاك لاحضار على بن موسى بن جعفر بن محمد وأحصى فى هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين ذكر وأنثى وفى هذه السنة قتلت الروم ملكها اليون وكان ملكه سبع سنين وستة أشهر وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجيس ثانية وفيها خالف على بن أبى سعيد على الحسن بن سهل فبعث المأمون اليه بسراج الخادم وقال له ان وضع يده فى يد الحسن بن سهل أو شخص الى بمرو والا فاضرب عنقه فسار اليه سراج فأطاع

وتوجه

لى بعض اخوانى ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جار له انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجىء قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ما أدرى على أى شىء أحسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ونذكر ما يذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من اعقلهم واكبرهم لحية كم تطنبون فى على ومعاوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول أنت فى ذلك قال من تريد قلت على ما تقول فيه قال أليس هو أبو فاطمة قلت ومن كانت فاطمة قال امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فما كانت قصة على قال قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر ونزل عبد الله بن على الشام ووجه الى أبى العباس السفاح اشياخا من أهل الشأم من أرباب النعم والرياسة فحلفوا لابى العباس السفاح انهم ما علموا لرسول الله

وتوجه الى المأمون بمرو مع هرثمة وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن اسمعيل لانه قال له يا أمير الكافرين وحج بالناس هذه السنة المعتصم وفيها توفى القاضى أبو البخترى وهب بن وهب ومعروف الكرخى الزاهد وصفوان بن عيسى الفقيه والمعافى بن داود الموصلى وكان فاضلا عابدا

﴿ثم دخلت سنة احدى ومائتين﴾

﴿ذكر ولاية منصور بن المهدى ببغداد﴾

وفى هذه السنة أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدى بالخلافة فامتنع عن ذلك فأرادوه على الامرة عليهم على أن يدعو للمأمون بالخلافة فأجابهم اليه وكان سبب ذلك ما ذكرناه قبل من اخراج أهل بغداد على بن هشام من بغداد فلما اتصل اخراجه من بغداد بالحسن بن سهل سار من المدائن الى واسط وذلك أول سنة احدى ومائتين فلما هرب الى واسط تبعه محمد بن أبى خالد بن الهندوان مخالفا له وقد تولى القيام بأمر الناس وولى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربى ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقى وكان ببغداد منصور بن المهدى والفضل بن الربيع وخزيمة بن خازم وقدم عيسى بن محمد بن أبى خالد من الرقة من عند طاهر فى هذه الايام فوافق أباه على قتال الحسن بن سهل فمضيا ومن معهما الى قرية أبى قريش قرب واسط ولقيهما فى طريقهما عساكر الحسن فى غير موضع فهزماهم ولما انتهى محمد الى دير العاقول أقام به ثلاثا وزهير بن المسيب مقيم باسكاف بنى الجنيد عاملا للحسن على جوخى وهو يكاتب قواد بغداد فركب اليه محمد وأخذه أسيرا وأخذ كل ماله وسيره أسيرا الى بغداد وحبسه عند ابنه جعفر ثم تقدم محمد الى واسط ووجه محمد ابنه هرون من دير العاقول الى النيل وبها نائب للحسن فهزمه هرون وتبعه الى الكوفة ثم سار المنهزمون من الكوفة الى الحسن بواسط ورجع هرون الى أبيه وقد استولى على النيل وسار محمد وهرون نحو واسط فسار الحسن عنها ونزل خلفها وكان الفضل بن الربيع مختفيا كما تقدم الى الآن فلما رأى ان محمدا قد بلغ واسطا طلب منه الامان فأمنه وظهر وسار محمد الى الحسن على تعبية فوجه اليه الحسن قواده وجنده فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب محمد بعد العصر وثبت محمد حتى جرح جراحات شديدة وانهزموا هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وغنموا اموالهم وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الاول ونزل محمد بفم الصلح وأتاهم الحسن فاقتتلوا فلما جنهم الليل رحل محمد وأصحابه فنزلوا المنازل فأتاهم الحسن فاقتتلوا فلما جنهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جبل فأقاموا بها ووجه محمد ابنه عيسى الى عرنايا فأقام بها وأقام محمد بجرجرايا فاشتدت جراحات محمد فحمله ابنه أبو زنبيل الى بغداد وخلف عسكره لست خلون من ربيع الآخر ومات محمد بن أبى خالد فدفن فى داره سرا وأتى أبو زنبيل خزيمة بن خازم فأعلمه حال أبيه وأعلم خزيمة ذلك الناس وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد اليه يبذل فيه القيام بأمر الحرب مقام أبيه فرضوا به وصار مكان أبيه وقتل أبو زنبيل زهير بن المسيب من ليلته ذبحه ذبحا وعلق رأسه فى عسكر أبيه وبلغ الحسن بن سهل موت محمد فسار الى المبارك فأقام به وبعث فى جمادى الآخرة جيشا له فالتقوا بأبى زنبيل بفم الصراة فهزموه وانحاز الى أخيه هرون بالنيل فتقدم جيش الحسن اليهم فلقوهم فاقتتلوا ساعة وانهزم هرون وأصحابه فأتوا المدائن ونهب أصحاب الحسن النيل ثلاثة أيام وما حولها من القرى وكان بنو هاشم والقواد حين مات محمد بن أبى خالد قالوا نصير بعضنا خليفة ونخلع المأمون فأتاهم خبر هرون وهزيمته فجدوا فى ذلك وأرادوا منصور بن المهدى على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق وقالوا لا نرضى بالمجوسى ابن المجوسى الحسن بن سهل وقيل ان

صلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى أمية حتى وليتم الخلافة فقال فى ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلى

أيها الناس اسمعوا أخبركم ... عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس انهم ... فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا ... دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه ... يحرز الميراث الا من قرب

وقد كان ببغداد رجل فى أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنى تنقاد اليه العامة فكان يجتمع اليه فى كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس فاذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلأى شىء تسألونى عن مضاركم ومنافعكم الجؤا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اى والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرك فهو يبرئك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم فى معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق

عيسى لمساعدة أهل بغداد على حرب الحسن بن سهل علم الحسن انه لا طاقة له به فبعث اليه و بذل المصاهرة ومائة ألف دينار والامان له ولاهل بيته ولاهل بغداد وولاية أى النواحى أحب فطلب كتاب المأمون بخطه وكتب عيسى الى أهل بغداد انى مشغول بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلا من بنى هاشم فولوا منصور بن المهدى وقال أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم أو يولى من أحب فرضى به الناس وعسكر منصور بكلواذى و بعث غسان بن عباد بن أبى الفرج الى ناحية الكوفة فنزل بقصر ابن هبيرة فلم يشعر غسان الا وقد أحاط به حميد الطوسى فأخذه أسيرا وقتل من أصحابه وذلك لاربع خلون من رجب وسير منصور بن المهدى محمد بن يقطين فى عسكر الى حميد فسار حتى أتى كوثى فلم يشعر بشئ حتى هجم عليه حميد وكان بالنيل فقاتله قتالا شديدا وانهزم ابن يقطين وقتل من أصحابه وأسر وغرق بشر كثير ونهب حميد ما حول كوثى من القرى ورجع حميد الى النيل وابن يقطين أقام بنهر صرصر واحصى عيسى بن محمد بن أبى خالد من فى عسكره وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل فأعطى الفارس أربعين درهما والراجل عشرين درهما

❁(ذكر أمر المتطوعة بالمعروف)❁

وفى هذه السنة تجردت المتطوعة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكان سبب ذلك ان فساق بغداد والشطار آذوا الناس أذى شديدا وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق وأخذوا النساء والصبيان علانية وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله فلا يقدر أن يمتنع منهم وكانوا يطلبون من الرجل ان يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر على الامتناع وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم لانه كان يغريهم وهم بطانته وكانوا يمسكون المجتازين فى الطريق ولا يعدى عليهم أحد وكان الناس معهم فى بلاء عظيم وآخر أمرهم انهم خرجوا الى قطربل وانتهبوها علانية وأخذوا العين والمتاع والدواب فباعوها ببغداد ظاهرا واستعدى أهلها السلطان فلم يعدهم وكان ذلك آخر شعبان فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب ومشى بعضهم الى بعض وقالوا انما فى الدرب الفاسق والفاسقان الى العشرة وأنتم أكثر منهم فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق ولعجزوا عن الذى يفعلونه فقام رجل يقال له خالد الدريوش فدعا جيرانه وأهل محلته على ان يعاونوه على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فأجابوه الى ذلك فشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم وامتنعوا عليه وأرادوا قتاله فقاتلهم فهزمهم وضرب من أخذه من الفساق وحبسهم ورفعهم الى السلطان الا انه كان لا يرى أن يغير على السلطان شيأ ثم قام بعده رجل من الحربية يقال له سهل بن سلامة الانصارى من أهل خراسان ويكنى أبا حاتم فدعا الناس الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة وعلق مصحفا فى عنقه وأمر أهل محلته ونهاهم فقبلوا منه ودعا الناس جميعا الشريف والوضيع من بنى هاشم وغيرهم فأتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك وعلى القتال معه لمن خالفه وطاف ببغداد وأسواقها وكان قيام سهل لاربع خلون من رمضان وقيام الدريوش قبله بيومين أو ثلاثة وبلغ خبر قيامهما الى منصور بن المهدى وعيسى ابن محمد بن أبى خالد فكسرهما ذلك لان أكثر أصحابهما كان الشطار ومن لا خير فيه ودخل منصور بغداد وكان عيسى يكاتب الحسن بن سهل فى الامان فأجابه الحسن الى الامان له ولاهل بغداد وان يعطى جنده وأهل بغداد رزق ستة أشهر اذا أدركت الغلة ورحل عيسى فدخل بغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال وتفرقت العساكر فرضى أهل بغداد بما صالح عليه وبقى سهل

اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ماذكرنا ونظرت فى مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولى التمييز والمروءة والحجى وتقصد العامة فى احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر الا مرقلين الى ذى دب وضارب بدف على سياسة قرد ومتشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ ممخرق أو مستمعين الى قاص كذاب او مجتمعين حول مضروب أو وقوفا عند مصلوب ينعق بهم و يصاح بهم فلا يرتدعون لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون أن يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم أو متعلم وماعدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن على وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق وأجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم فى أحوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملئهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعوا الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحى ويمليه على أصحابه فيكتبونه ويدونونه

على

على ما كان عليه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

❁(ذكر البيعة لعلى بن موسى عليه السلام بولاية العهد)❁

فى هذه السنة جعل المأمون على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ولى عهد المسلمين والخليفة من بعده ولقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وأمر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضر وكتب بذلك الى الآفاق وكتب الحسن بن سهل الى عيسى بن محمد بن أبى خالد بعد عوده الى بغداد يعلمه ان المأمون قد جعل على بن موسى ولى عهده من بعده وذلك انه نظر فى بنى العباس و بنى على فلم يجد أحدا أفضل ولا أورع ولا أعلم منه وانه سماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بطرح السواد ولبس الخضرة وذلك لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة احدى ومائتين وأمر محمدا ان يأمر من عنده من أصحابه والجند والقواد و بنى هاشم بالبيعة له ولبس الخضرة و يأخذ أهل بغداد جميعا بذلك فدعاهم محمد الى ذلك فأجاب بعضهم وامتنع بعضهم وقال لا تخرج الخلافة من ولد العباس وانما هذا من الفضل بن سهل فمكثوا كذلك أياما وتكلم بعضهم وقالوا نولى بعضنا ونخلع المأمون فكان أشدهم فيه منصور وابراهيم ابنا المهدى

❁(ذكر الباعث على البيعة لابراهيم بن المهدى)❁

وفى هذه السنة فى ذى الحجة خاض الناس فى البيعة لابراهيم بن المهدى بالخلافة وخلع المأمون ببغداد وكان سبب ذلك ماذكرناه من انكار الناس لولاية الحسن بن سهل والبيعة لعلى بن موسى فأظهر العباسيون ببغداد انهم قد كانوا بايعوا لابراهيم بن المهدى لخمس بقين من ذى الحجة ووضعوا يوم الجمعة رجلا يقول انا نريد ان ندعو للمأمون ومن بعده لابراهيم ووضعوا من يجيبه بانا لا نرضى الا أن تبايعوا لابراهيم بن المهدى بالخلافة ومن بعده لاسحق بن موسى الهادى وتخلعوا المأمون ففعلوا ما أمروهم به فلم يصل الناس جمعة وتفرقوا وكان ذلك لليلتين بقيتا من ذى الحجة من السنة

❁(ذكر فتح جبال طبرستان والديلم)❁

فى هذه السنة افتتح عبد الله بن خرداذبه والى طبرستان البلاذر والشيز من بلاد الديلم وافتتح جبال طبرستان فانزل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارون الى المأمون وأسر أبا ليلى ملك الديلم

❁(ذكر ابتداء أمر بابك الخرمى)❁

وفيها تحرك بابك الخرمى فى الجاويدانية أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ وادعى ان روح جاويدان دخلت فيه وأخذ فى العيث والفساد وتفسير جاويدان الدائم الباقى ومعنى خرم فرح وهى مقالات المجوس والرجل منهم ينكح أمه واخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرح ويعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيره

❁(ذكر ولاية زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية)❁

وفى هذه السنة سادس ذى الحجة توفى أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية وكانت امارته خمس سنين ونحو شهرين وكان سبب موته انه حدد على كل فدان فى عمله ثمانية عشر دينارا كل سنة فضاق الناس لذلك وشكا بعضهم الى بعض فتقدم اليه رجل من الصالحين اسمه حفص بن عمر الجزرى مع رجال من الصالحين فنهوه عن ذلك ووعظوه وخوفوه العذاب فى الآخرة وسوء الذكر فى الدنيا وزوال النعمة فان الله تعالى اسمه وجل ثناؤه لا يغير ما بقوم حتى

و يلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية فى هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فأشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحى وعظموه بهذه الكلمة وأضافوه اليها وسلبوها عن غيره وأسقطوا ذكر سواه وأصل ذلك العادة والالف وماولدوا عليه ومانشؤا فيه فالغوا وقت التحصيل والبلوغ وقد عملت العادة عملها وبلغت مبالغها وفى العادة قالت الشعراء وتكلم أهل الدراية والادباء قال الشاعر

لا تنهنى بعد اذ أكرمتنى ... فشديد عادة منتزعة

وقال آخر معاتبا لصاحبه

ولكن فطام النفس أثقل محملا ... من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة أملك بالارب وقالت حكماء العجم العادة هى الطبيعة الثانية وقد صنف أبو عقال الكاتب كتابا فى أخلاق العوام يصف فيه أخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماءهم بالملاهى ولولا انى أكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه فى هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة وأخلاقها وظرائف أفعالها عجائب ولذكرت مراتب الناس فى أخلاقهم وتصرفهم فى أحوالهم (فلنرجع) الآن الى أخبار معاوية وسياسته وما أوسع الناس من أخلاقه وما أفاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه

بغير واما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال فلم يجبهم أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية المذكور الى ما طلبوا واخرجوا من عنده الى القيروان فقال لهم حفص لو أننا نتوضأ للصلاة ونصلي ونسأل الله تعالى أن يخفف عن الناس ففعلوا ذلك فما لبث الا خمسة أيام حتى خرجت قرحة تحت اذنه فلم ينشب ان مات منها وكان من أجمل أهل زمانه ولما مات ولى بعده أخوه زيادة الله بن ابراهيم وبقى أمير رخى البال وادعا والدنيا عنده آمنة ثم جهز جيشا في اسطول البحر وكان مراكب كثيرة الى مدينة سردانية وهي للروم فعطب بعضها بعد ان غنموا من الروم وقتلوا كثيرا فلما عاد من سلم منهم أحسن اليهم زيادة الله ووصلهم فلما كان سنة سبع ومائتين خرج عليه زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية وجمع جمعا كثيرا وحصر مدينة باجه فسير اليه زيادة الله العساكر فأزالوه عنها وقتلوا من وافقه على المخالفة وفي سنة ثمان ومائتين نقل الى زيادة الله ان منصور بن نصير الطنبذي يريد المخالفة عليه بتونس وهو يسعى في ذلك ويكاتب الجند فلما تحققه سير اليه قائدا اسمه محمد بن حمزة في ثلثمائة فارس وأمره أن يخفى خبره ويجد السير الى تونس فلا يشعر به منصور حتى يأخذه فيحمله اليه فسار محمد ودخل تونس فلم يجد منصورا بها كان قد توجه الى قصره بطنبذة فارسل اليه محمد قاضي تونس ومعه أربعون شيخا يقبحون له الخلاف وينهونه عنه ويأمرونه بالطاعة فساروا اليه واجتمعوا به وذكروا له ذلك فقال منصور ما خالفت طاعة الامير وانا سائر معكم الى محمد ومن معه الى الامير ولكن أقيموا معي يومنا هذا حتى نعمل له ولمن معه ضيافة فأقاموا عنده وسير منصور لمحمد ولمن معه الاقامة الحسنة الكثيرة من الغنم والبقر وغير ذلك من أنواع ما يؤكل فكتب اليه يقول انى صائر اليك مع القاضي والجماعة فركن محمد الى ذلك وأمر بالغنم فذبحت وأكل هو ومن معه وشربوا الخمر فلما أمسى منصور سجن القاضي ومن معه وسار مجدا فيمن عنده من أصحابه سرا الى تونس فدخلوا دار الصناعة وفيها محمد وأصحابه فأمر بالطبول فضربت وكبر هو وأصحابه فوثب محمد وأصحابه الى سلاحهم وقد عمل فيهم الشراب وأحاط بهم منصور ومن معه وأقبلت العامة من كل مكان فرجموهم بالحجارة واقتتلوا عامة الليل فقتل من كان مع محمد ولم يسلم منهم الا من نجا الى البحر فسبح حتى تخلص وذلك في صفر وأصبح منصور فاجتمع عليه الجند وقالوا نحن لا نثق بك ولا نأمن ان يخليك زيادة الله ويحتال بدنياه فان أحببت ان نكون معك فاقتل أحدا من أهله ممن عندك فأحضر اسمعيل بن سفيان بن سالم بن عقال وهو من أهل زيادة الله فكان هو العامل على تونس فلما حضر أمر بقتله فلما سمع زيادة الله الخبر سير جيشا كثيفا واستعمل عليهم غلبون واسمه الاغلب بن عبد الله بن الاغلب وهو وزير زيادة الله الى منصور الطنبذي فلما ودعهم زيادة الله تهددهم بالقتل ان انهزموا فلما وصلوا الى تونس خرج اليهم منصور ورفقا بهم فانهزم جيش زيادة الله عاشر ربيع الاول فقال القواد الذين فيه لغلبون لا نأمن زيادة الله على أنفسنا فان أخذت لنا أمانا حضرنا عنده والا فارقوه واستولوا على عدة مدن فأخذوها مثل باجه والجزيرة وصطفورة ومنير والاربس وغيرها فاضطربت افريقية واجتمع الجند كلهم الى منصور وأطاعوه لسوء سيرة زيادة الله كانت معهم فلما كثر جمع منصور سار الى القيروان فحصرها في جمادى الاولى وخندق على نفسه وكان بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة وعمر منصور سور القيروان ووالاه أهلها فبقى الحصار عليه أربعين يوما ثم ان زيادة الله عبى أصحابه وجمعهم وسار معهم الفارس والراجل فكانوا خلقا كثيرا فلما رآهم منصور راعه ما رأى وهاله ولم يكن يعرف ذلك من زيادة الله لما كان فيه من

مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات من ذلك أنه وفد عليه عقيل ابن أبي طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا فقال تركته على ما يحب الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله فقال له معاوية لولا انك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه ثم أحب معاوية ان يقطع كلامه مخافة ان يأتي بشئ يخفضه فوثب عن مجلسه وأمر له ان ينزل وحمل اليه مالا عظيما فلما كان من غد جلس وأرسل اليه فأتاه فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا أخاك قال تركته خيرا لنفسه منك وأنت خير لي منه فقال له معاوية أنت والله كما قال الشاعر

واذا عددت فخار آل محرق
فالمجد منهم في بني عتاب

فمحل المجد من بني هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيرك الايام والليالي فقال عقيل

اصبر لحرب أنت جانيها
لا بد أن تصلى بحاميها

وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر

واذا هوازن أقبلت بفخارها
يوما فخرتهم بآل مجاشع
بالحاملين على الموالي غرمهم
والضاربين الهام يوم القارع

ولكن أنت يا معاوية اذا افتخرت بنو أمية فبمن تفخر فقال معاوية عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت فاني لم أجلس

الوهن فزحف منصور اليه بنفسه أيضا فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وانهزم منصور ومن معه ومضوا هاربين وقتل منهم خلق كثير وذلك منتصف جمادى الآخرة وأمر زيادة الله أن ينتقم من أهل القيروان بما جنوه من مساعدة منصور والقتال معه وبما تقدم أولا من مساعدة عمران ابن مجالد لما قاتل أباه ابراهيم بن الاغلب فمنعه أهل العلم والدين فكف عنهم وخرب سور القيروان ولما انهزم منصور فارقه كثير من أصحابه الذين صاروا معه منهم عامر بن نافع وعبد السلام بن المفرج الى البلاد التى تغلبوا عليها ثم ان زيادة الله سير جيشا سنة تسع ومائتين الى مدينة سبيبة واستعمل عليهم محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان بها جمع من الجند الذين صاروا مع منصور عليهم عمر بن نافع فالتقوا في العشرين من المحرم واقتتلوا فانهزم ابن الاغلب وعاد هو ومن معه الى القيروان فعظم الامر على زيادة الله وجمع الرجال وبذل الاموال وكان عيال الجند الذين مع منصور بالقيروان فلم يعرض لهم زيادة الله فقال الجند لمنصور الرأى ان تحتال في نقل العيال من القيروان لنأمن عليهم فسار بهم منصور الى القيروان وحصر زيادة الله ستة عشر يوما ولم يكن منهم قتال وأخرج الجند نساءهم وأولادهم من القيروان وانصرف منصور الى تونس ولم يبق بيد زيادة الله من افريقية كلها الا قابس والساحل ونفزاوة وطرابلس فانهم تمسكوا بطاعته وأرسل الجند الى زيادة الله أن ارحل عنا وخل افريقية ولك الامان على نفسك ومالك وما ضمه قصرك فضاق به وغمه الامر فقال له سفيان بن سوادة مكني من عسكرك لاختار منهم مائتي فارس وأسير بهم الى نفزاوة فقد بلغني ان عامر بن نافع يريد قصدهم فان ظفرت كان الذي تحب وان تكن الاخرى عملت برأيك فأمره بذلك فأخذ مائتي فارس وسار الى نفزاوة فدعا بربرها الى نصرته فأجابوه وساروا اليه وأقبل عامر بن نافع في العسكر اليهم فالتقوا واقتتلوا فانهزم عامر ومن معه وكثر القتل فيهم ورجع عامر الى قسطيلية فجبى أموالها ليلا ونهارا في ثلاثة أيام وسار عنها واستخلف عليها من يضبطها فهرب منها أيضا خوفا من أهلها فأرسل أهل قسطيلية الى ابن سوادة وسألوه أن يجيء اليهم فسار اليهم وملك قسطيلية وضبطها وقد قيل ان هذه الحوادث المذكورة سنة ثمان وتسع ومائتين انما كانت سنة تسع وعشر ومائتين (طنبذة بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة وبذال معجمة وآخرها هاء وصطفورة بفتح الصاد وسكون الطاء وضم الفاء وسكون الواو وآخرها هاء وسبيبة بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الباء الثانية الموحدة وآخرها هاء ونفزاوة بالنون والفاء الساكنة وفتح الزاي وبعد الالف واو ثم هاء)

﴿ ذكر ما فتحه زيادة الله بن الاغلب من جزيرة صقلية وما كان فيها من الحروب الى ان توفى ﴾

في سنة اثنتى عشرة ومائتين جهز زيادة الله جيشا في البحر وسيرهم الى جزيرة صقلية واستعمل عليهم أسد بن الفرات قاضي القيروان وهو من أصحاب مالك وهو مصنف الاسدية في الفقه على مذهب مالك فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها وكان سبب انفاذ الجيش ان ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقا اسمه قسطنطين سنة احدى عشرة ومائتين فلما وصل اليها استعمل على جيش الاسطول انسانا روميا اسمه فيمي كان حازما شجاعا فغزا افريقية وأخذ من سواحلها تجارا ونهب وبقى هناك مدة ثم ان ملك الروم كتب الى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمي مقدم الاسطول وتعذيبه فبلغ الخبر الى فيمي فأعلم أصحابه فغضبوا له وأعانوه على المخالفة فسار في مراكبه الى صقلية واستولى على مدينة سرقوسة فسار اليه قسطنطين فالتقوا

لهذا وانما أردت ان اسألك عن أصحاب على فانك ذو معرفة بهم فقال عقيل سل عما بدا لك فقال ميز لي أصحاب على وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام قال أما صعصعة فعظيم الشان عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندي
أسودا تخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة أما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته أن يفيء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر ان تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم فما كان من فضل أو احسان فبكم وصل الينا فأجل الله أقداركم وحمى أخطاركم وكتب آثاركم فان أقداركم مرضية وأخطاركم محمية وآثاركم بدرية وأنتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه أيد علية ووجوه جلية وأنتم كما قال الشاعر

واقتتلوا فانهزم قسطنطين الى مدينة قطانية فسير اليه فيمى جيشا فهرب منهم فأخذ وقتل وخوطب فيمى بالملك واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلا اسمه بلاطه فخالف على فيمى وعصى واتفق هو وابن عم له اسمه ميخائيل وهو والى مدينة بلرم وجمعا عسكرا كثيرا فقاتلا فيمى وانهزم فاستولى بلاطه على مدينة سرقوسة وركب فيمى ومن معه فى مراكبهم الى افريقية وأرسل الى الامير زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية فسير معه جيشا فى ربيع الاول سنة اثنتى عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية فساروا الى بلاطه الذى قاتل فيمى فلقيهم جمع للروم فقاتلهم المسلمون وأمروا فيمى ومن معه أن يعتزلوهم واشتد القتال بين المسلمين والروم فانهزمت الروم وغنم المسلمون أموالهم ودوابهم وهرب بلاطه الى قلورية فقتل بها واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ووصل الى قلعة تعرف بقلعة الكراث وقد اجتمع اليها خلق كثير فخدعوا القاضى أسد بن الفرات أمير المسلمين وذلوا له فلما رآهم فيمى مال اليهم وراسلهم أن يثبتوا ويحفظوا بلدهم فبذلوا لاسد الجزية وسألوه أن لا يقرب منهم فاجابهم الى ذلك وتأخر عنهم أياما فاستعدوا للحصار ودفعوا اليهم ما يحتاجون اليه فامتنعوا عليه وناصبهم الحرب وبث السرايا فى كل ناحية فغنموا شيأ كثيرا وافتتحوا غيرانا كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة برا وبحرا ولحقته الامداد من افريقية فسار اليهم والى بلرم فى عساكر كثيرة فخندق المسلمون عليهم وحفروا خارج الخندق حفرا كثيرة فحمل الروم عليهم فسقط فى تلك الحفر كثير منهم فقتلوا وضيق المسلمون على سرقوسة فوصل اسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين هلك فيه كثير منهم وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات وولى الامر على المسلمين بعده محمد بن أبى الجوارى فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحملوا فى مراكبهم ليسيروا فوقف الروم فى مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة أيام وتسلموا الحصن فسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا أهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصريانة ومعهم فيمى فخرج أهلها اليه فقبلوا الارض بين يديه فاجابوه الى أن يملكوه عليهم وخدعوه ثم قتلوه ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن فى الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل من سلم قصريانة وتوفى محمد بن أبى الجوارى أمير المسلمين وولى بعده زهير بن غوث ثم ان سرية المسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع العسكر فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية فانهزم المسلمون أيضا وقتل منهم نحو ألف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الاقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيم وكانوا بالقرب منها فلما خرج المسلمون لم يروا أحدا وأقبل عليهم الروم من كل ناحية فاكثروا القتل فيهم وانهزم الباقون فدخلوا ميناو ودام الحصار عليهم حتى أكلوا الدواب والكلاب فلما سمع من فى مدينة جرجنت من المسلمين ما هم عليه هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدروا على نصرة اخوانهم ودام الحال كذلك الى أن دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وقد أشرف المسلمون على الهلاك واذ قد أقبل اسطول كثير من الاندلس خرجوا غزاة ووصل فى ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلثمائة مركب فنزلوا

فما كان من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل ١١٤ وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل

(وحدث) أبو الهيثم عن أبى سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائى ثم أحد بنى عفان قال لما انصرف على من الجمل قال لآذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمى والاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدى رجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم أنتم وجوه العرب عندى ورؤساء أصحابى فأشيروا على فى أمر هذا الغلام المترف يعنى معاوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه برأى ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين الرأى ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان أجاب وأناب كان له ما لك وعليه ما عليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال على عزمت عليك يا صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استنابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين الى معاوية سلام عليك أما بعد

الى

الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله ولماله فاجيب الى ذلك وسار فى البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد فى رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الا أقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون ألفا وماتوا كلهم وجرى بين المسلمين أهل افريقية وأهل الاندلس خلف ونزاع ثم اتفقوا وبقى المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين وسار المسلمون الى مدينة قصريانة فخرج من فيها من الروم فاقتتلوا أشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا فى الربيع فقاتلوهم فنصر المسلمون أيضا ثم ساروا سنة عشرين ومائتين وأميرهم محمد بن عبد الله الى قصريانة فقاتلهم الروم فانهزموا وأسرت امرأة لبطريقهم وابنه وغنموا ما كان فى عسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سير محمد بن عبد الله عسكرا الى ناحية طبرمين عليهم محمد بن سالم فغنم غنائم كثيرة ثم عدا عليه بعض عسكره فقتلوه ولحقوا بالروم فارسل زيادة الله من افريقية الفضل بن يعقوب وضامنه فسار فى سرية الى ناحية سرقوسة فاصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم البطريق ملك الروم بصقلية وجمع كثير فتحصنوا من الروم فى أرض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن من قتالهم ووافقهم الى العصر فلما رأى انهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق أصحابه وتركوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن البطريق وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فاتاه حماة أصحابه واستنقذوه جريحا وحملوه وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ومتاع ودواب فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله من افريقية الى صقلية أبا الاغلب ابراهيم بن عبد الله أميرا عليها فخرج اليها فوصل اليها منتصف رمضان فبعث اسطولا فلقوا جمعا للروم فى اسطول فغنم المسلمون ما فيه فضرب أبو الاغلب رقاب كل من فيه وبعث اسطولا آخر الى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل متنصر من أهل افريقية فاتى بهم فضرب رقابهم وسارت سرية أخرى الى جبل النار والحصون التى فى تلك الناحية فاحرقوا الزرع وغنموا وأكثروا القتل ثم سير أبو الاغلب سنة احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار أيضا فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بابخس الاثمان وعادوا سالمين وفيها جهز اسطولا فسار وانحوا الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدناو معاقل وعادوا سالمين وفيها سير أبو الاغلب أيضا سرية الى قسطلياسة فغنموا وسبوا ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وسير سرية الى مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون وأصيب منهم جماعة ثم كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندس فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من أهل قصريانة فقرب منه ورأى طريقا فدخل منه ولم يعلم به أحد ثم انصرف الى العسكر فاخبرهم فجاؤا معه فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه فطلبوا الامان فامنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا الى بلرم وفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم فى البحر الى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا جفلوذى وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فوهن المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا أنفسهم (سرقوسة بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية وبلرم بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها

ثم اكتب ما أشرت به على واجعل عنوان الكتاب ألا الى الله تصير الامور قال ١١٥ اعفنى من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن

قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فاتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين على بن أبى طالب وبالباب اردفة من بنى أمية فأخذته الايدى والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا ثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من على فقال والله لقد بلغنى أمره هذا أحد سهام على وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن لى يا غلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبى سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل فى جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية فى الكلام وأراد ان يستخرجه ليعرف قريحته أطبعا أم تكلفا فقال ممن الرجل فقال من نزار قال وما كان نزار قال كان اذا غزا نكس واذا لقى افترس واذا انصرف احترس قال فمن أى أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد ويعول العباد ويضرب ببقاع الارض العماد قال فمن أى أولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان

تحتها نقطتان ونون وبعد الالف واو رو جرجنت بجيم وراء وجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان وقصر بانة بالقاف والصاد المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعد الالف نون مشددة وهاء)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة مات محمد بن محمد صاحب أبي السرايا وفيها أصاب أهل خراسان وأصبهان والري مجاعة شديدة وكثر الموت فيهم وحج بالناس هذه السنة اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس

﴿ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين﴾

﴿ذكر بيعة ابراهيم بن المهدي﴾

في هذه السنة بايع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي بالخلافة ولقبوه المبارك وكانت بيعته أول يوم من المحرم وقيل خامسه وخلعوا المأمون وبايعه سائر بني هاشم فكان المتولي لاخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك فكان الذي سعى في هذا الامر السندي وصالح صاحب المصلى ونصير الوصيف وغيرهم غضبا على المأمون حين أراد اخراج الخلافة من ولد العباس ولتركه لباس آبائه من السواد فلما فرغ من البيعة وعد الجند رزق ستة أشهر ودافعهم بها فشغبوا عليه فأعطاهم لكل رجل مائتي درهم وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة مالهم حنطة وشعيرا فخرجوا في قبضها فانتهبوا الجميع وأخذوا نصيب السلطان وأهل السواد واستولى ابراهيم على الكوفة والسواد جميعه وعسكر بالمدائن واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس بن موسى الهادي وعلى الجانب الشرقي منها اسحق بن موسى الهادي وخرج عليه مهدي بن علوان الحروري وغلب على طساسيج نهر بوق والراذانين فوجه اليه ابراهيم أبا اسحق الرشيد وهو المعتصم في جماعة من القواد فلقوه فاقتتلوا فطعن رجل من أصحابه ابن الرشيد فحامى عنه غلام تركي يقال له اشناس وهزم مهدي الى حولايا وقيل كان خروج مهدي سنة ثلاث ومائتين

﴿ذكر استيلاء ابراهيم على قصر ابن هبيرة﴾

وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملا للحسن بن سهل ومعه من القواد سعيد بن الساجور وأبو البط وغسان بن أبي الفرج ومحمد بن ابراهيم الافريقي وغيرهم فكاتبوا ابراهيم على ان يأخذوا له قصر ابن هبيرة وكانوا قد تحرفوا عن حميد وكتبوا الى الحسن بن سهل يخبرونه ان حميدا يكاتب ابراهيم وكان حميد يكتب فيهم بمثل ذلك فكتب الحسن الى حميد يستدعيه اليه فلم يفعل خاف أن يسير اليه فيأخذ هؤلاء القواد ماله وعسكره ويسلمونه الى ابراهيم فلما ألح الحسن عليه بالكتب سار اليه في ربيع الآخر وكتب أولئك القواد الى ابراهيم لينفذ اليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد فوجهه اليهم فانتهبوا ما في عسكر حميد فكان مما أخذوا له مائة بدرة واخذ ابن حميد جواري أبيه وسار اليه وهو بعسكر الحسن ودخل عيسى القصر وتسلمه لعشر خلون من ربيع الآخر فقال حميد للحسن ألم أعلمك لكنك خدعت وعاد الى الكوفة فأخذ أمواله واستعمل عليها العباس بن موسى بن جعفر العلوي وأمره ان يدعو لاخيه علي بن موسى بعد المأمون وأعانه بمائة ألف درهم وقال له قاتل عن أخيك فان أهل الكوفة يجيبونك الى ذلك وأنا معك فلما كان الليل خرج حميد الى الحسن وكان الحسن قد وجه حكيما الحارثي الى النيل فسار اليه عيسى بن محمد فاقتتلوا فانهزم حكيم فدخل عيسى النيل ووجه ابراهيم الى الكوفة

في الحرب سيفا قاطعا وفي المكرمات غيثا نافعا وفي اللقاء لهباسا طعا قال فمن أي أولاده أنت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان حضريا خصيبا أبيض وهابا الضيفه ما يجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحي من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن أبي سفيان تركت لهم ما لا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وأني لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الارض ونجومه في السماء ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت يا ابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما اراد فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك اصدار ولا ايراد بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبني هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشئ ما سوده قومه وددت والله أني من صلبه ثم التفت الى بني أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور بن وحشي عن أبي الفياض عبد الله بن محمد

ووجه ابراهيم الى الكوفة سعيدا وأبا البط لقتال العباس بن موسى وكان العباس قد دعا أهل الكوفة فأجابه بعضهم وأما الغلاة من الشيعة فانهم قالوا ان كنت تدعونا لاخيك وحده فنحن معك وأما المأمون فلا حاجة لنا فيه فقال انما أدعو للمأمون وبعده لاخي فقعدوا عنه فلما أتاه سعيد وأبو البط ونزلوا قرية شاهي بعث اليهم العباس ابن عمه علي بن محمد بن جعفر وهو ابن الذي بويع له بمكة وبعث معه جماعة منهم أخو أبي السرايا فاقتتلوا ساعة فانهزم علي بن محمد العلوي وأهل الكوفة ونزل سعيد وأصحابه الحيرة وكان ذلك ثاني جمادى الاولى ثم تقدموا فقاتلوا أهل الكوفة وخرج الى شيعة بني العباس ومواليهم فاقتتلوا الى الليل وكان شعارهم يا أبا ابراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون وعليهم السواد وعلى أهل الكوفة الخضرة فلما كان الغد اقتتلوا وكان كل فريق منهم اذا غلب على شئ أحرقه ونهبه فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة خرجوا الى السعيد فسألوه الامان للعباس وأصحابه فامنهم على أن يخرجوا من الكوفة فأجابوه الى ذلك ثم أتوا العباس فأعلموه ذلك فقبل منهم وتحول عن داره فشغب أصحاب العباس بن موسى على من بقي من أصحاب سعيد وقاتلوهم فانهزم أصحاب سعيد الى الخندق ونهب أصحاب العباس دور عيسى بن موسى وأحرقوا وقتلوا من ظفروا به فارسل العباسيون الى سعيد وهو بالحيرة يخبرونه أن العباس بن موسى قد رجع عن الامان فركب سعيد وأصحابه وأتوا الكوفة عتمة فقتلوا من ظفروا به ممن انتهب وأحرقوا ما معهم من النهب فمكثوا عامة الليل فخرج اليهم رؤساء الكوفة فأعلموهم ان هذا فعل الغوغاء وان العباس لم يرجع عن الامان فانصرفوا عنهم فلما كان الغد دخلها سعيد وأبو البط ونادوا بالامان ولم يعرضوا الى أحد وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي ثم عزلوه لميله الى أهل بلده واستعملوا مكانه غسان بن أبي الفرج ثم عزلوه بعد ما قتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا واستعملوا الهول بن أخي سعيد فلم يزل عليها حتى قدمها حميد بن عبد الحميد فهرب الهول وأمر ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد أن يسير الى ناحية واسط على طريق النيل وأمر ابن عائشة الهاشمي ونعيم بن حازم ان يسيرا جميعا ولحق بهما سعيد وأبو البط والافريقي وعسكروا جميعا بالصيادة قرب واسط عليهم جميعا عيسى بن محمد فكانوا يركبون ويأتون عسكر الحسن بواسط فلا يخرج اليهم منهم أحد وهم متحصنون بالمدينة ثم ان الحسن أمر أصحابه بالخروج اليهم فخرجوا اليهم لاربع بقين من رجب فاقتتلوا قتالا شديدا الى الظهر وانهزم عيسى وأصحابه حتى بلغوا طرنايا والنيل وغنموا عسكر عيسى وما فيه

﴿ذكر الظفر بسهل بن سلامة﴾

وفي هذه السنة ظفر ابراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوع فحبسه وعاقبه وكان سبب ظفره به ان سهلا كان مقيما ببغداد يدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجتمع اليه عامة أهل بغداد فلما انهزم عيسى أقبل هو ومن معه نحو سهل بن سلامة لانه كان يذكرهم بأقبح أعمالهم ويسميهم الفساق فقاتلوه أياما حتى صاروا الى الدروب واعطوا أصحابه الدراهم الكثيرة حتى تنحوا عن الدروب فأجابوا الى ذلك فلما كان السبت لخمس بقين من شعبان قصدوه من كل وجه وخذله أهل الدروب لاجل الدراهم التي أخذوها حتى وصل عيسى وأصحابه الى منزل سهل فاختفى منهم واختلط بالنظارة فلم يروه في منزله فجعلوا عليه العيون فلما كان الليل أخذوه وأتوا به اسحق بن الهادي فكلمه فقال انما كانت دعوتي عباسية وانما كنت أدعو الى العمل بالكتاب والسنة وأنا على ما كنت أدعوكم اليه الساعة فقالوا له ميم وميناو بميم وياء

الهاشمي عن الوليد بن البختري العبسي عن الحرث بن مسمار البهراني قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله ابن الكواء اليشكري ورجالا من أصحاب علي مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أي الخلفاء رأيتموني فقال ابن الكواء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله والمحرمين ما أحل الله فقال عبد الله بن الكواء يا ابن أبي سفيان ان لكل كلام جوابا ونحن نخاف جبروتك فان كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبي سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ما ذكرت اني يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى

اخرج الى الناس فقل لهم ان ما كنت أدعوكم اليه باطل فخرج فقال أيها الناس قد علمتم ما كنت أدعوكم اليه من العمل بالكتاب والسنة وأنا أدعوكم اليه الساعة فضربوه وقيدوه وشتموه وسيروه الى ابراهيم بن المهدى بالمدائن فلما دخل عليه كلمه بما كلم به اسحق بن الهادى فضربه وحبسه وأظهر انه قتل خوفا من الناس لئلا يعلموا مكانه فيخرجوه وكان ما بين خروجه وقبضه اثناعشر شهرا

﴿ذكر مسير المأمون الى العراق وقتل ذى الرياستين﴾

وفى هذه السنة سار المأمون من مرو الى العراق واستخلف على خراسان غسان بن عبادة وكان سبب مسيره ان على بن موسى الرضا أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتنة والقتال مذ قتل الامين وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من أخبار وان أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء وانهم يقولون مسحور مجنون وانهم قد بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة فقال له المأمون لم يبايعوه بالخلافة وانما صيروه أميرا يقوم بأمرهم على ما أخبر به الفضل فأعلمه ان الفضل قد كذبه وان الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وابراهيم والناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه الفضل ومكانى ومكان بيعتك لى من بعدك فقال ومن يعلم هذا قال يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه العسكر فأمر بادخالهم فدخلوا فسألهم عما أخبره به على بن موسى ولم يخبروه حتى يجعل لهم الامان من الفضل أن لا يعرض اليهم فضمن لهم ذلك وكتب لهم خطه به فأخبروه بالبيعة لابراهيم بن المهدى وان أهل بغداد قد سموه الخليفة السنى وانهم يتهمون المأمون بالرفض لمكان على بن موسى منه وأعلموه بما فيه الناس وبما موه عليه الفضل من أمر هرثمة وان هرثمة انما جاءه لينصحه فقتله الفضل وان لم يتدارك أمره والا خرجت الخلافة من يده وان طاهر بن الحسين قد أبلى فى طاعته ما يعلمه فأخرج من الامر كله وجعل فى زاوية من الارض بالرقة لا يستعان به فى شئ حتى ضعف أمره وشغب عليه جنده وانه لو كان ببغداد لضبط الملك وان الدنيا قد تفتقت من أقطارها وسألوا المأمون الخروج الى بغداد فان أهلها لو رأوك لاطاعوك فلما تحقق ذلك أمر بالرحيل فعلم الفضل بالحال فبغتهم حتى ضرب بعضهم وحبس بعضهم ونتف لحى بعضهم فقال على بن موسى للمأمون فى أمرهم فقال أنا أدارى ثم ارتحل فلما أتى سرخس وثب قوم بالفضل ابن سهل فقتلوه فى الحمام وكان قتله لليلتين خلتا من شعبان وكان الذين قتلوه أربعة نفر أحدهم غالب المسعودى الاسود وقسطنطين الرومى وفرج الديلمى وموفق الصقلبى وكان عمره ستين سنة وهربوا فجعل المأمون لمن جاءهم عشرة آلاف دينار فجاء بهم العباس بن الهيثم الدينورى فقالوا للمأمون أنت أمرتنا بقتله فأمر بهم فضربت رقابهم وقيل ان المأمون لما سألهم فمنهم من قال ان على بن أبى سعيد ابن أخت الفضل بن سهل وضعهم عليه ومنهم من أنكر ذلك فقتلهم ثم احضر عبد العزيز بن عمران وعليا وموسى وخلفا فسألهم فأنكروا ان يكونوا علموا بشئ من ذلك فلم يقبل منهم وقتلهم وبعث برؤسهم الى الحسن بن سهل وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل وانه قد صيره مكانه فوصله الخبر فى رمضان ورحل المأمون الى العراق وكان ابراهيم بن المهدى وعيسى وغيرهما بالمدائن وكان أبو البط وسعيد بالنيل يراوحون القتال ويغادونه وكان المطلب بن عبد الله ابن مالك قد عاد من المدائن فاعتل بانه مريض فاتى بغداد وجعل يدعو فى السر الى المأمون على ان المنصور بن المهدى خليفة المأمون ويخلعون ابراهيم فاجابه منصور بن المهدى وخزيمة بن خازم وغيرهما من القواد وكتب المطلب الى على بن هشام وحميد ان يتقدما فينزل حميد نهر صرصر وينزل

وما كنت فيه الا كما قال القائل (لا حلى ولا سيرى) ولقد كنت أنت وأبوك فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنى تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا انى أرجع الى قول أبى طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة ... والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال أخبرنا الوليد بن البخترى عن أبيه عن أبى مزروع الكلبى قال دخل صعصعة ابن صوحان على معاوية فقال له يا ابن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها فأخبرنى عن أهل البصرة واياك والحمل على قوم لقوم قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم أهل الخطط فى أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فأخبرنى عن أهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوى الاعلام الا ان بها أجلافا تمنع ذوى الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقناعة قال فأخبرنى عن أهل الحجاز قال أسرع الناس الى فتنة وأضعفهم عنها وأقلهم عناء فيها غير ان لهم ثباتا فى الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون الائمة

على

على النهروان فلما علم ابراهيم بن المهدى بذلك عاد عن المدائن نحو بغداد فنزل زندورد منتصف صفر وبعث الى المطلب ومنصور وخزيمة يدعوهم فاعتلوا عليه فلما رأى ذلك بعث عيسى اليهم فاما منصور وخزيمة فاعطوا بايديهما وأما المطلب فمنعه مواليه وأصحابه فنادى منادى ابراهيم من أراد النهب فليأت دار المطلب فلما كان وقت الظهر وصلوا الى داره فنهبوها ونهبوا دور أهله ولم يظفر وابه وذلك لثلاث عشرة بقيت من صفر فلما بلغ حميدا وعلى بن هشام الخبر أخذ حميد المدائن ونزلها وقطع الجسر وأقاموا بها وندم ابراهيم حيث صنع بالمطلب ما صنع ثم لم يظفر به

﴿ذكر قتل على بن الحسين الهمدانى﴾

فى هذه السنة قتل على بن الحسين الهمدانى وأخوه أحمد وجماعة من أهل بيته وكان متغلبا على الموصل وسبب قتله انه خرج ومعه جماعة من قومه ومن الازد فلما نظر الى رستاق نينوى والمرج قال نعم البلاد لانسان واحد فقال بعض الازد فما نصنع نحن قال تلحقون بعمان فانتشر الخبر ثم ان عليا أخذ رجلا من الازد يقال له عون بن جبلة فبنى عليه حائطا فمات فيه وظهر خبره فركبت الازد وعليهم السيد بن أنس فاقتتلوا واستنصر على بن الحسين بخارجى يقال له مهدى بن علوان فاتاه فدخل البلد وصلى بالناس ودعا لنفسه واشتدت الحرب وكانت أخيرا على على بن الحسين وأصحابه فخرجوا عن البلد الى الحديثة فتبعهم الازد اليها فقتلوا عليا وأخاه أحمد وجماعة من أهلهما وسار اخوهما محمد الى بغداد فصار وعادت الازد الى الموصل وغلب السيد عليها وخطب للمأمون وأطاعه (الهمدانى ههنا نسبة الى همدان بسكون الميم وبالدال المهملة وهى قبيلة من اليمن)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل وفيها أيضا زوج المأمون ابنته أم حبيب من على بن موسى الرضا وزوج ابنته أم الفضل من محمد بن على الرضا بن موسى وحج بالناس هذه السنة ابراهيم ابن موسى بن جعفر ودعا لاخيه بعد المأمون بولاية العهد ومضى الى اليمن وكان حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان قد غلب على اليمن وفيها فى ربيع الآخر ظهرت حمرة فى السماء ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر وبقيت الى آخر الليل وذهبت الحمرة وبقى عمودان احمران الى الصبح وفيها توفى أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى اليزيدى المقرئ صاحب أبى عمرو بن العلاء وانما قيل اليزيدى لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدى وكان يعلم ولده وفيها توفى سهل والد ذى الرياستين بعد قتل ابنه بسنة أشهر وعاشت أمه حتى ادركت عرس بوران ابنة ابنها

﴿ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين﴾

﴿ذكر موت على بن موسى الرضا﴾

فى هذه السنة مات على بن موسى الرضا عليه السلام وكان سبب موته انه أكل عنبا فاكثر منه فمات فجأة وذلك فى آخر صفر وكان موته بمدينة طوس فصلى المأمون عليه ودفنه عند قبر أبيه الرشيد وكان المأمون لما قدمها اقام عند قبر أبيه وقيل ان المأمون سمه فى عنب وكان على يحب العنب وهذا عندى بعيد فلما توفى كتب المأمون الى الحسن بن سهل يعلمه موت على وما دخل عليه من المصيبة بموته وكتب الى أهل بغداد وبنى العباس والموالى يعلمهم موته وانهم انما نقموا بيعته وقدمات ويسألهم الدخول فى طاعته فكتبوا اليه أغلظ جواب وكان مولد على بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة

﴿ذكر قبض ابراهيم بن المهدى على عيسى بن محمد﴾

الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن أبى سفيان ترك الخداع من كشف القناع على وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يمضى صعصعة فى كلامه بعد ان بان فيه الغضب فقال أخبرنى عن القبة الحمراء فى ديار مضر قال أسد مضر بسلاء بين غيلين اذا أرسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية هنالك يا ابن صوحان العز الراسى فهل فى قومك مثل هذا قال هذا لاهله دونك يا ابن أبى سفيان ومن أحب قوما حشر معهم قال فأخبرنى عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك قال والله ما أنا عنهم براض ولكنى أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الليل وأذناب فى الدين والميل لن تغلب رأيتها اذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين من نصروه فلج ومن خذلوه زلج قال فأخبرنى عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها أذيه والبر ردبه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه قال وماذاك يا ابن صوحان قال أهل الشام قال فأخبرنى عنهم قال أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مدينك

منذ أزمان الان حلم ابن أبي سفيان يردعنك فقال صعصعة بل أمر الله وقدرته ان أمر الله كان قدرا مقدورا (حدث)

وفي هذه السنة في آخر شوال حبس ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وسبب ذلك ان عيسى كان يكاتب حميدا والحسن بن سهل وكان يظهر لابراهيم الطاعة وكان كلما قال له ابراهيم ليخرج الى قتال أحميد يعتذر بان الجند يريدون أرزاقهم ومرة يقول حتى تدرك الغلة فلما توثق عيسى بما يريد فارقهم على ان يدفع اليهم ابراهيم بن المهدي يوم الجمعة سلخ شوال وبلغ الخبر ابراهيم أبلغه هرون بن محمد أخو عيسى وجاء عيسى الى باب الجسر فقال للناس انى قد سألت حميدا ان لا يدخل عملى ولا أدخل عمله ثم أمر بحفر خندق بباب الجسر وباب الشام وبلغ ابراهيم قوله وفعله وكان عيسى قد سأله ابراهيم ان يصلى الجمعة بالمدينة فاجابه الى ذلك فلما تكلم عيسى بما تكلم حذر ابراهيم وأرسل الى عيسى يستدعيه فاعتل عليه فتابع الرسل بذلك فحضر عنده بالرصافة فلما دخل عليه عاتبه ساعة وعيسى يعتذر اليه وينكر بعضه فامر به ابراهيم فضرب وحبس وأخذ عدة من قواده وأهله فحبسهم ونجا بعضهم وفيمن نجا خليفته العباس ومشى بعض أهله الى بعض وحرضوا الناس على ابراهيم وكان أشدهم العباس خليفة عيسى وكان هو رأسهم فاجتمعوا وطردوا عامل ابراهيم على الجسر والكرخ وغيره وظهر الفساق والشطار وكتب العباس الى حميد يسأله ان يقدم عليهم حتى يسلموا اليه بغداد

﴿ذكر خلع ابراهيم بن المهدي﴾

وفي هذه السنة خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي وكان سبب ذلك ما ذكرنا من قبضه على عيسى ابن محمد على ما تقدم فلما كاتب أصحابه ومنهم العباس حميدا بالقدوم عليهم سار حتى أتى نهر صرصر فنزل عنده وخرج اليه العباس وقواد أهل بغداد فلقوه وكانوا قد شرطوا عليه ان يعطى كل جندي خمسين درهما فاجابهم الى ذلك ووعدهم ان يصنع لهم العطاء يوم السبت في الياسرية على ان يدعوا للمأمون بالخلافة يوم الجمعة ويخلعوا ابراهيم فاجابوه الى ذلك ولما بلغ ابراهيم الخبر أخرج عيسى ومن معه من اخوته من الحبس وسأله ان يرجع الى منزله ويكفيه أمر هذا الجانب فابى عليه فلما كان يوم الجمعة احضر العباس بن محمد بن أبي رجاء الفقيه فصلى بالناس الجمعة ودعا للمأمون بالخلافة وجاء حميد الى الياسرية فعرض جند بغداد وأعطاهم الخمسين التي وعدهم فسألوه ان ينقصهم عشرة عشرة لما تشاءموا به من علي بن هشام حين أعطاهم الخمسين وقطع العطاء عنهم فقال حميد بل أزيدكم عشرة وأعطيكم ستين درهما لكل رجل فلما بلغ ذلك ابراهيم دعا عيسى وسأله ان يقاتل حميدا فاجابه الى ذلك فخلى سبيله وأخذ منه كفلاء وكلم عيسى الجند ووعدهم ان يعطيهم مثل ما أعطاهم حميد فابوا ذلك فعبر اليهم عيسى وقواد الجانب الشرقي ووعد أولئك الجند ان يزيدهم على الستين فشتموه وأصحابه وقالوا لا نريد ابراهيم فقاتلهم ساعة ثم ألقى نفسه في وسطهم حتى أخذوه شبه الاسير فأخذه بعض قواده فاتى به منزله ورجع الباقون الى ابراهيم فاخبروه الخبر فاغتم لذلك وكان المطلب بن عبد الله بن مالك قد اختفى من ابراهيم كما ذكرنا فلما قدم حميد أراد العبور اليه فعلموا به فاخذوه وأحضروه عند ابراهيم فحبسه ثلاثة أيام ثم خلى عنه لليلة خلت من ذي الحجة

﴿ذكر اختفاء ابراهيم بن المهدي﴾

وفي هذه السنة اختفى ابراهيم بن المهدي وكان سبب ذلك ان حميدا تحول فنزل عند ارحاء عبد الله ابن مالك فلما رأى أصحاب ابراهيم وقواده ذلك تسللوا اليه فصار عامتهم عنده وأخذوا له المدائن فلما رأى ابراهيم فعلهم أخرج جميع من بقي عنده حتى يقاتلوا فالتقوا على جسر نهر ديالى فاقتتلوا

أبو الهيثم قال حدثني أبو البشر محمد بن بشر الفزاري عن ابراهيم بن عقيل البصري قال قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب علي وعنده وجوه الناس الارض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزا لي فقال صعصعة تمنيك نفسك ما لا يكون جهلا معاوي لا تأثم فقال معاوية يا صعصعة تعلمت الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما أحوجك الى ان أذيقك وبال أمرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذي لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها قال ومن يحول بيني وبينك قال الذي يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع (قال المسعودي) ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ما حدث به المدائني عن زيد ابن طليح الذهلي الشيباني قال أخبرني أبي عن مصقلة ابن هبيرة الشيباني قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس ما السودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل

النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وأن يكون الناس عندك شرعا قال فما المروءة

فهزمهم حميد وتبعهم أصحابه حتى دخلوا بغداد وذلك سلخ ذي القعدة فلما كان الاضحى اختفى الفضل بن الربيع ثم تحول الى حميد وجعل الهاشميون والقواد يأتون حميدا واحدا بعد واحد فلما رأى ذلك ابراهيم سقط في يديه وشق عليه وكاتب المطلب حميدا ليسلم اليه ذلك الجانب وكان سعيد بن الساجور وأبو البط وغيرهما يكاتبون علي بن هشام على ان يأخذوا له ابراهيم فلما علم ابراهيم بامرهم وما اجتمع عليه كل قوم من أصحابه جعل يداريهم فلما جنه الليل اختفى ليلة الاربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة وبعث المطلب الى حميد يعلمه انه قد أحدق بدار ابراهيم وكتب ابن الساجور الى علي بن هشام فركب حميد من ساعته من ارحاء عبد الله فاتى باب الجسر وجاء علي بن هشام حتى نزل نهر بين ثم تقدم الى مسجد كوثر وأقبل حميد الى دار ابراهيم فطلبوه فلم يجدوه فيها فلم يزل ابراهيم متواريا حتى جاء المأمون وبعد ما قدم حتى كان من امره ما كان وكانت أيام ابراهيم سنة واحد عشر شهرا واثني عشر يوما وكان بعده علي بن هشام على شرقي بغداد وحميد على غربيها وكان ابراهيم قد أطلق سهل بن سلامة من الحبس وكان الناس يظنونه قد قتل فكان يدعو في مسجد الرصافة الى ما كان عليه فاذا جاء الليل يرد الى حبسه ثم انه أطلقه وخلى سبيله لليلة خلت من ذي الحجة فذهب فاختفى ثم ظهر بعد هرب ابراهيم فقربه حميد وأحسن اليه ورده الى أهله فلما جاء المأمون أجازه ووصله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة انكسفت الشمس لليلتين بقيتا من ذي الحجة حتى ذهب ضوءها وغاب اكثر من ثلثيها ووصل المأمون الى همذان في آخر ذي الحجة وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي وكانت بخراسان زلازل عظيمة ودامت مقدار سبعين يوما وكان معظمها ببلخ والجوزجان والفارياب والطالقان وما وراء النهر فخربت البلاد وتهدمت الدور وهلك فيها خلق كثير وفيها غلبت السوداء على الحسن بن سهل فتغير عقله حتى شد في الحديد وحبس وكتب القواد الى المأمون بذلك فجعل على عسكره دينار بن عبد الله وأرسل اليهم يعرفهم انه واصل وفيها ظهر بالاندلس رجل يعرف بالولد وخالف على صاحبها فسير اليه جيشا فحصروه بمدينة باجة وكان استولى عليها فضيقوا عليه فملكوها وقيد وفيها ولى أسد بن الفرات الفقيه القضاء بالقيروان وفيها توفي محمد بن جعفر الصادق بجرجان وصلى عليه المأمون وهو الذي بايعه الناس بالخلافة بالحجاز وفيها توفي خزيمة بن خازم التميمي في شعبان وهو من القواد المشهورين وقد تقدم من اخباره ما يعرف به محله ويحيى بن آدم بن سليمان وأبو أحمد الزبيري ومحمد بن بشير العبدي الفقيه بالكوفة والنضر بن شميل اللغوي المحدث وكان ثقة

﴿ثم دخلت سنة أربع ومائتين﴾

﴿ذكر قدوم المأمون بغداد﴾

في هذه السنة قدم المأمون بغداد وانقطعت الفتن وكان قد أقام بجرجان شهرا وجعل يقيم بالمنزل اليوم واليومين والثلاثة وأقام بالنهروان ثمانية أيام فخرج اليه أهل بيته والقواد ووجوه الناس وسلموا عليه وكان قد كتب الى طاهر وهو بالرقة ليوافيه بالنهروان فاتاه بها ودخل بغداد منتصف صفر ولباسه ولباس أصحابه الخضرة فلما قدم بغداد نزل الرصافة ثم تحول ونزل قصره على شاطئ دجلة وأمر القواد ان يقيموا في معسكرهم وكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضر وكانوا يخرقون كل ملبوس يرونه من السواد على انسان فمكثوا بذلك ثمانية أيام فتكلم بنو

قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما جليل الحاجات الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ في ذلك شعرا قال نعم أما سمعت قول مرة بن ذهل ابن شيبان حيث يقول

ان السيادة والمروءة علقا
حيث السماء من السماك الاعزل

واذا تقابل مجريان لغاية
عثر الهجين وأسلمته الارجل

ويجي الصريح مع العتاق معوّدا
قرب الجياد فلم يجئه الافكل

في أبيات فقال له ابن عباس لو أن رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا لفائدة هذه الابيات ما عنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب فمن الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا قال ولا قليلا وانما وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون وأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالي أحدهم اذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان بعد ان يدرك زحمه ويقضي بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل

العباس وقواد أهل خراسان وقيل انه أمر طاهر بن الحسين ان يسأله حوائجه فكان أول حاجة سأله ان يلبس السواد فاجابه الى ذلك وجلس للناس وأحضر سوادا فلبسه ودعا بخلعة سوداء فالبسها طاهرا وخلع على قواده السواد فعاد الناس اليه وذلك لسبع بقين من صفر ولما كان سائرا قال له أحمد بن أبى خالد الاحول يا أمير المؤمنين فكرت فى هذا ومنا على أهل بغداد وليس معنا الا خمسون ألف درهم مع فتنة غلبت قلوب الناس فكيف يكون حالنا اذا هاج هائج أو تحرك متحرك فقال يا أحمد صدقت ولكن أخبرك ان الناس على طبقات ثلاث فى هذه المدينة ظالم ومظلوم ولا ظالم ولا مظلوم فاما الظالم فلا يتوقع الا عفونا وأما المظلوم فلا يتوقع الا ان ينتصف بنا وأما الذى ليس بظالم ولا مظلوم فبيته يسعه وكان الامر على ما قال

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها أمر المأمون بمقاسمة أهل السواد على الخمسين وكانوا يقاسمون على النصف واتخذ القفيز الملجم وهو عشرة مكاكيك بالمكوك الهارونى كيلا مرسلا وفيها واقع يحيى بن معاذ بابك فلم يظفر واحد منهما بصاحبه وولى المأمون أبا عيسى أخاه الكوفة وصالحا أخاه البصرة واستعمل عبيد الله بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب الحرمين وحج بالناس عبيد الله وفيها انحدر السيد بن أنس الازدى من الموصل الى المأمون فتظلم منه محمد بن الحسن بن صالح الهمدانى وذكر انه قتل اخوته وأهل بيته فاحضره المأمون فلما حضر قال أنت السيد قال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس فاستحسن ذلك فقال أنت قتلت اخوة هذا قال نعم ولو كان معهم لقتلته لانهم ادخلوا الخارجى بلدك واعلوه على منبرك وابطلوا دعوتك فعفا عنه واستعمله على الموصل وكان على القضاء بها الحسن بن موسى الاشيب وفى هذه السنة مات الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه وكان مولده سنة خمسين ومائة والحسن بن زياد اللؤلؤى الفقيه أحد أصحاب أبى حنيفة وأبو داود سليمان بن داود الطيالسى صاحب المسند ومولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهشام بن محمد السائب الكلبى النسابة وقيل مات سنة ست ومائتين وفيها توفى محمد بن عبيد بن أبى أمية المعروف بالطنافسى وقيل سنة خمس ومائتين

﴿ ثم دخلت سنة خمس ومائتين ﴾

﴿ ذكر ولاية طاهر خراسان ﴾

وفى هذه السنة استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق وكان قبل ذلك يتولى الشرط بجانبى بغداد ومعاون السواد وكان سبب ولايته خراسان ان طاهرا دخل على المأمون وهو يشرب النبيذ وحسين الخادم يسقيه فلما دخل طاهر سقاه رطلين وأمره بالجلوس فقال ليس لصاحب الشرطة ان يجلس عند سيده فقال المأمون ذلك فى مجلس العامة واما فى مجلس الخاصة فله ذلك فبكى المأمون وتغرغرت عيناه بالدموع فقال طاهر يا أمير المؤمنين لم تبكى لا أبكى الله عينك والله لقد دانت لك البلاد واذعن لك العباد وصرت الى المحبة فى كل أمرك قال أبكى لامر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن وانصرف طاهر فدعا هرون بن جيعونة وقال له ان أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض فخذ معك ثلثمائة ألف درهم فاعط حسينا الخادم مائتى ألف وكاتبه محمد بن هرون مائة ألف وسله ان يسأل المأمون لم بكى ففعل ذلك فلما تغدى المأمون قال اسقنى يا حسين فقال لا والله حتى تقول لى لم بكيت حين دخل عليك طاهر فقال وكيف عنيت بهذا الامر حتى سألتنى عنه فقال لغمى لذلك قال

أتاه أما سمعت الى قول ريان بن عمرو ن ١٢٢ ريان وذلك ان عمرا أباه قتله مالك بن كومة فاقام ريان زمانا ثم غزا مالكا فاتاه فى مائتى فارس صباحا وهو فى أربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل ويقال بل كان أخاه وذلك انه كان جاورهم فقيل لريان فى ذلك قتلت صاحبنا فقال

فلوانى ثقفت بحيث كانوا
لبل ثيابها علق صبيب
ولو كانت أمية أخت عمرو
بهذا الماء ظل لها نحيب
شهرت السيف فى الادنين منى
ولم تعطف أواصرنا قلوب

فقال ابن عباس فمن الفارس فيكم حدثنى حدا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضغم على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ما ورثت هذا عن كلالة زدنى قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل فى مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبى يرثى ابنه عمرا حيث يقول فارس تكلأ الصحابة منه * بحسام يفرى الحريق هو

هو أمر ان نخرج من رأسك قتلتك قال يا سيدى ومتى أخرجت لك سرا قال انى ذكرت محمدا أخى وما ناله من الذل فخنقتنى العبرة فاسترحت الى الافاضة ولن يفوت طاهرا منى ما يكره فاخبر حسين طاهرا بذلك فركب طاهر الى أحمد بن أبى خالد فقال له ان الثناء منى ليس برخيص وان المعروف عندى ليس بضائع فغيبنى عن عينه فقال له سأفعل ذلك وركب أحمد الى المأمون فلما دخل عليه قال له ما نمت البارحة قال ولم قال لانك وليت غسان خراسان وهو ومن معه أكلة رأس وأخاف ان تخرج عليه خارجة من الترك فتهلكه فقال لقد فكرت فيما فكرت فيه فمن ترى قال طاهر بن الحسين قال ويلك هو والله خالع قال أنا الضامن له قال فوله فدعا طاهرا من ساعته فعقد له فشخص فى يومه فنزل طاهر البلد فاقام شهرا فحمل اليه عشرة آلاف ألف درهم التى تحمل لصاحب خراسان وسار عن بغداد لليلة بقيت من ذى القعدة وقيل كان سبب ولايته ان عبد الرحمن المطوعى جمع جموعا كثيرة بنيسابور ليقاتل بهم الحرورية بغير أمر والى خراسان فتخوفوا ان يكون ذلك لاصل عمل عليه وكان غسان بن عباد يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل وهو ابن عمه فلما استعمل طاهر على خراسان كان صارما للحسن بن سهل وسبب ذلك ان الحسن ندبه لمحاربة نصر بن شبث فقال حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة وأومر بمثل هذا انما كان ينبغى ان يتوجه اليه قائد من قوادى وصارمه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين بغداد من الرقة وكان أبوه استخلفه بها وأمره بقتال نصر بن شبث فلما قدم الى بغداد جعله المأمون على الشرطة بعد مسير أبيه وولى المأمون يحيى بن معاذ الجزيرة وولى عيسى بن محمد بن أبى خالد ارمينية واذربيجان ومحاربة بابك وفيها مات السرى بن الحكم بمصر وكان واليها وفيها مات داود بن يزيد عامل السند فولاها المأمون بشير بن داود على ان يحمل كل سنة ألف ألف درهم وفيها ولى المأمون عيسى بن يزيد الجلودى محاربة الزط وحج بالناس عبيد الله بن الحسن أمير مكة والمدينة وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة فتهدمت المنازل ببغداد وكثر الخراب بها وفى هذه السنة توفى يزيد بن هرون الواسطى ومولده سنة تسع عشرة ومائة والحجاج بن محمد الاعور الفقيه وشبابة بن سوار الفزارى الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ ومحاضر بن المورع وأبو يحيى ابراهيم بن موسى الزيات الموصلى سمع هشام بن عروة وغيره

﴿ ثم دخلت سنة ست ومائتين ﴾

﴿ ذكر ولاية عبد الله بن طاهر الرقة ﴾

وفى هذه السنة ولى المأمون عبد الله بن طاهر من الرقة الى مصر وأمره بحرب نصر بن شبث وكان سبب ذلك ان يحيى بن معاذ الذى كان المأمون ولاه الجزيرة مات فى هذه السنة واستخلف ابنه احمد فاستعمل المأمون عبد الله مكانه فلما أراد توليته احضره وقال له يا عبد الله استخير الله تعالى منذ شهر وأكثر وأرجو أن يكون قد خار لى ورأيت الرجل يصف ابنه لرأيه فيه ورأيتك فوق ما قال أبوك فيك وقد مات يحيى واستخلف ابنه وليس بشئ وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شبث فقال السمع والطاعة وأرجو أن يجعل الله لامير المؤمنين الخيرة وللمسلمين فعقد له وقيل كانت ولايته سنة خمس ومائتين وقيل سبع ومائتين ولما سار استخلف على الشرطة اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه ولما استعمله المأمون كتب اليه أبوه طاهر كتابا جمع فيه كل ما يحتاج اليه الامراء من الآداب والسياسة وغير ذلك وقد أثبت منه أحسنه لما فيه من

لا تراه لدى الوغى فى مجال * يفعل الضرب لا ولا فى مضيق ١٢٣ من يراه يخله فى الحرب يوما * انه أخرق مضل الطريق فى أبيات فقال له ابن عباس فاين أخوالك منك يا ابن صوحان صفهم لا عرف ورثكم قال أما زيد فكما قال أخو غنى

فتى لا يبالى أن يكون بوجهه
اذا نال خلان الكرام شحوب
اذا ما تراآه الرجال تحفظوا
فلم ينطقوا العوراء وهو قريب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
اليه ويدعوه الندى فيجيب
يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه
اذا لم يكن فى المنقيات حلوب
كأن بيوت الحى ما لم يكن بها
بسابس ما يلفى بهن غريب

فى أبيات كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كميش العروة أليف البدوة سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكر الله طرفى النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس فى الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بعقام يهرب منه الدعار الاشرار ويألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم الله زيدا فاين كان عبد الله منه قال كان عبد الله سيدا شجاعا مألفا

مطاعا خيره وساع وشره دفاع فابى الضيزة ١٢٤ أحوذى الغريزة لا ينهنهه منهنه عما أراده ولا يركب من الامر

الآداب والحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم لانه لا يستغنى عنه أحد من ملك وسوقة
وهو ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك فى الليل والنهار والزم ما ألبسك من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه وتعالى قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضهم والحقن لدمائهم والامن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك ونظرك ولا يشغلك عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك وليكن أول ما تلزم نفسك وتنسب اليه أفعالك المواظبة على ما افترض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس فأت بها فى مواقيتها على سننها وفى اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل وترتل فى قراءتك وتمكن فى ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيه رأيك ونيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ولزوم ما أنزل الله عز وجل فى كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق لله عز وجل عليك ولا تمل من العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان أفضل ما تزين به المرء الفقه فى الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهى عن المعاصى الموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة لله عز وجل واجلالا له وذكرا للدرجات العلا فى المعاد مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد فى الامور كلها فليس شئ أبين نفعا ولا أخص امنا ولا أجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وآثره فى دنياك كلها ولا تقصر فى طلب الآخرة والاجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية للاستكثار فى البر والسعى له اذ كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أوليائه فى دار كرامته واعلم ان القصد فى شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانه لن تحوط لنفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بافضل منه فائته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه فى الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل ان تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبداء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمزا فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم فى سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك

الاعتاده سمام عدى
وبازل قرى صعب المقاده
جزل الرفاده أخو اخوان
وفتى فتيان وهو كما قال
البرجمى عامر بن سنان
سمام عدى بالنبل يقتل
من رمى
وبالسيف والرمح الردينى
مشعب
مهيب مفيد للنوال معود
بفعل الندى والمكرمات
مجرب
فى أبيات فقال له ابن عباس أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة) ما حدث به أبو جعفر محمد ابن حبيب الهاشمى عن أبى الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال وقف رجل من بنى فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لا كونن لك اصادقا فلا تنطق الا جددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعصب قوى ولسان على ثم لا يكون لك فى ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا منك لرميت بل أرى شيئا ولا أخال مثالا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ أما لو كنت كفوا لرميت حصائلك باذرب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك

واعلم

من الفزارى وقال أما لو كاف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال ١٢٥ شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من

واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة فى الامور كلها لك ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك ولتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها والنظر فى حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيى للسنة واخلص نيتك فى جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه مسؤل عما صنع ومجزى بما أحسن ومأخوذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله عز وجل فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان فى تفريطك فى ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروأتك واذا عاهدت عهدا ففِ به واذا وعدت خيرا فانجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهله واقص أهل النميمة فان أول فساد أمورك فى عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها ولا يسلم له صاحب ولا يستتم لمطيعها أمر واحب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وآس الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك واظهر برأيك فى ذلك رعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيرة والغرور فيما انت بسبيله واياك أن تقول أنا مسلط أفعل ما أشاء فان ذلك سريع الى نقص الرأى وقلة اليقين بالله عز وجل واخلص لله وحده لا شريك له النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى أحد أسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا نعم الله عز وجل واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لملهوفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن لا تنمو واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف مؤنة عنهم نمت وزكت وصلحت به العامة وتزينت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال فى عمارة الاسلام وأهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك اسلس لطاعتك وأطيب نفسا بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب ولتعظم حسبتك فيه وانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل الله واعرف للشاكرين شكرهم واثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل

منازعة أخى عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل
صبت عليه ولم تنصب من أمم
ان الشقاء على الاشقين
مصبوب
(وحدث) المبرد عن الرياشى عن ربيعة بن عبد الله النميرى قال أخبرنى رجل من الازد قال نظرت الى أبى أيوب الانصارى فى يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبى فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤ بها الى النار يا مارق فقال عبد الله ستعلم أينا أولى بها صليا قال وأبيك انى لاعلم اذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال أولى بها والله صليا من ضل فى الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا أبعدك الله وأنزحك أما والله لقد أنذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا نكوصا على عقبيك فذق يا مارق وبال أمرك وشرك أبا أيوب فى قتله ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله وأدركه باخرى فى بطنه وقال لقد صرت الى نار لا تطفأ ولا يبوخ سعيرها ثم احتز رأسه وأتيا به عليا فقال هذا رأس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكى ثم قال قد كان أخو راسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما

وارج الثواب فيه فان الله سبحانه قد أسبغ عليك نعمته وأسبغ لديك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مرائيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن وعدا ولا ترهقن هجرا ولا تركبن سفها ولا تظهرن غضبا ولا تأسن مدحا ولا تمشين مرحا ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا تدفع الايام عتابا ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك أهل الذمة والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شئ أسرع فساد المال استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك الا قليلا فان رعيتك انما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم وابتدئ من صفا لك من أوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه أول ما عصى الانسان به ربه وان العاصى بمنزلة خزى وتدبر قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون واجعل للمسلمين كلهم من بيتك حظا ونصيبا وأيقن ان الجود من أفضل أعمال العباد فاعدده لنفسك خلقا وسهل طريق الجود بالحق وارض به عملا ومذهبا وتفقد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتزيد به قلوبهم فى طاعتك فى أمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة فى عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسيعه فزايل مكروه احدى البليتين باستشعار فضيلة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم ان القضاء بالعدل من الله تعالى بالمكان الذى ليس يعدل به شئ من الامور لانه ميزان الله الذى يعتدل عليه أحوال الناس فى الارض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع على مجاريها واشتد فى أمر الله عز وجل وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود وأقلل العجلة وأبعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك وسدد فى منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ فى الحجة ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر الحق على نفسك فتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية وتسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معاهديهم ذلا وصغارا فوزعه بين أصحابك بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيأ عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتب ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فان ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضا العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى أهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم

تأخذ

اطلبا لى ذا الثدية فطلب فلم يوجد فرجعا اليه وقالا ما أصبنا شيأ فقال والله لقد قتل فى يومه هذا وما كذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا فى القتلى فأصابوه فى دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فأخرجوه يجر برجله ثم أتى به على فقال أشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا أخبار ذى الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلى فى ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ويرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا أنصاره وأعوانه والركن المنيع من أركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل قدمها حضين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يعلها
حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا فى لقائه
لدى الموت قدما ما أعز وأكرما
وأطيب أخبارا وأكرم شيمة
اذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعنى انهم أهل نجدة
وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائنى ان معاوية أسر جميل بن كعب الثعلبى وكان من سادات ربيعة وشيعة على وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذى أمكننى منك الست القائل يوم الجمل

أصبحت الامة فى أمر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب

تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم فاستعمل عليهم ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك ولا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة فى عملك وأحرزت به المحبة من رعيتك وأعنت على الصلاح وقدرت الخيرات فى بلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب فى كورك وكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس فى ذلك ولا تقدم عليه شيأ تحمد فيه مغبة أمرك ان شاء الله تعالى واجعل فى كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لاموره كلها فان أردت ان تأمرهم بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والا فتوقف عنه وراجع أهل البصيرة والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل فى أمر من أموره قدره وأتاه على ما يهوى فاغواه ذلك وأعجبه فان لم ينظر فى عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم فى كل ما أردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة وأكثر فى استخارة ربك فى جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك وأكثر مباشرته بنفسك فان لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه واذا أخرت عمله اجتمع عليك أمور يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك واحكمت أمور سلطانك وانظر احرار الناس وذوى السن منهم ممن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا وأفرد نفسك بالنظر فى أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه أحفى مسئلة ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء وأيتامهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجر للاضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره فى الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما تبرم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره وذهنه قليلها عما يناله به من مؤنة ومشقة وليس من يرغب فى العدل ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستثقل بما يقرب به الى الله تعالى ويلتمس رحمته وأكثر الاذن للناس عليك وأبرز لهم وجهك وسكن لهم حواسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم فى المسئلة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة

قد قلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة قال معاوية وأى نعمة أكبر من ان يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماة أصحابى اضربوا عنقه فقال اللهم أشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فأبلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم أمر به فاطلق وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبى وهى

تعفو الملوك عن الجليـ ـل من الامور بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسيـ ـر وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها

(وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل

هو الموت لا منجى من الموت والذى
نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لارجو أن

والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم فى أحوالك كلها بامر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالف ما دعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك عن انهاء ذلك اليك فى سرك واعلانك وما فيه من النقص فان أولئك انصح أوليائك ومظاهريك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتا يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقا للحق والحزم فأمضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسئلة عنه ولا تمتن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من احد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون فى أمور أمير المؤمنين ولا تضعن المعروف الا على ذلك وتفهم كتابى اليك وأكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز وجل مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل عيشك ما كان فيه لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللذمة وللملة عدلا وصلاحا وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام

فلما رأى الناس هذا الكتاب تنازعوه وكتبوه وشاع أمره وبلغ المأمون خبره فدعا به فقرئ عليه فقال ما أبقى أبو الطيب يعنى طاهرا شيئا من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكم وأوصى به وأمر المأمون فكتب به الى جميع العمال فى النواحى فسار عبد الله الى عمله فاتبع ما أمر به وعهد اليه وسار بسيرته

(ذكر موت الحكم بن هشام)

وفى هذه السنة مات الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس لاربع بقين من ذى الحجة وكانت بيعته فى صفر سنة ثمانين ومائة وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وكنيته أبو العاص وهو لام ولد وكان طويلا أسمر نحيفا وكان له تسعة عشر ذكرا وله شعر جيد وهو أول من جند بالاندلس الاجناد المرتزقين وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الحشم والحواشى وارتبط الخيول على بابه وشابه الجبابرة فى أحواله واتخذ المماليك وجعلهم فى المرتزقة فبلغت عدتهم خمسة آلاف مملوك وكانوا يسمون الخرس لعجمة ألسنتهم وكانوا يوما على باب قصره وكان يطلع على الامور بنفسه وما قرب منها وبعد وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه باحوال الناس فيرد عنهم المظالم وينصف المظلوم وكان شجاعا مقداما مهيبا وهو الذى وطأ لعقبه الملك بالاندلس وكان يقرب الفقهاء وأهل العلم

(ذكر ولاية ابنه عبد الرحمن)

لما مات الحكم بن هشام قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن ويكنى أبو المطرف واسم أمه حلاوة وكان بكر والده ولد بطليطلة أيام كان أبوه الحكم يتولاها لابيه هشام ولد لسبعة أشهر ووجد ذلك بخط

لايعذبه الله (وذكر) محمد بن اسحق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام فى بدء علته التى كانت وفاته فيها فرأى نحول جسمه فبكى لفنائه وماقد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

أرى الليالى أسرعت فى نقضى
أخذن بعضى وتركن بعضى
حنين طولى وحنين عرضى
أقعدننى من بعد طول نهضى

ولما أزف أمره وحان فراقه واشتدت علته وأيس من برئه أنشأ يقول

فياليتنى لم أعن فى الملك ساعة
ولم أك فى اللذات اعشى النواظر
وكنت كذى طمرين عاش ببلغة
من الدهر حتى زار أهل المقابر

(قال المسعودى) ولمعاوية اخبار كثيرة مع على وغيره وقد أتينا على الغرر من أخباره وما كان فى أيامه فى كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا مما أفرد للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفى غيره مما تقدم وتأخر فى هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجز له الاكثار وانما نذكر فى كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما اقتضيناه من طرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ماذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا حجة على من

ابيه

أبيه وكان جسيما وسيما حسن الوجه فلما ولى خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسى وطمع بموت الحكم وخرج من بلنسية يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعفت نفسه فرجع الى بلنسية ثم مات فى اثناء ذلك سريعا ووقى الله ذلك الطرف شره فلما مات نقل عبد الرحمن أولاده وأهله اليه بقرطبة وخلصت الامارة بالاندلس لولد هشام بن عبد الرحمن (تدمير بالتاء فوقها نقطتان والدال المهملة والياء تحتها نقطتان ثم راء)

(ذكر عدة حوادث)

وفيها عزل الحسن بن موسى الاشيب عن قضاء الموصل فانحدر الى بغداد وتولى القضاء بها على ابن أبى طالب الموصلى وفيها ولى المأمون داود بن ماسجور محاربة الزط واعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وفيها كان المد عظيما غرق فيه السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر وهلك فيه من الغلات كثير وفيها نكب بابك الخرمى عيسى بن محمد بن أبى خالد وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الحسن العلوى وهو أمير الحرمين وفيها غزا المسلمون من افريقية جزيرة سردانية فغنموا وأصابوا من الكفار وأصيب منهم ثم عادوا وفيها توفى الهيثم بن عدى الطائى الاخبارى وكان عابدا ضعيفا فى الحديث وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن أبى أمية الموصلى وهو من أصحاب سفيان الثورى وفيها توفى محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحوى أخذ النحو من سيبويه وفيها توفى أبو عمرو واسحق بن مرار الشيبانى اللغوى (مرار بكسر الميم وبراءين مخففين)

(ثم دخلت سنة سبع ومائتين)

(ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد باليمن)

فى هذه السنة خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ببلاد عك فى اليمن يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان سبب خروجه ان العمال باليمن أساؤا السيرة فيهم فبايعوا عبد الرحمن هذا فلما بلغ المأمون ذلك وجه اليه دينار ابن عبد الله فى عسكر كثيف وكتب معه بامانه فحضر دينار الموسم وحج ثم سار الى اليمن فبعث الى عبد الرحمن بأمانه فقبله ودخل فى طاعة المأمون ووضع يده فى يد دينار فخرج به الى المأمون فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه وأمرهم بلبس السواد وذلك لليلتين بقيتا من ذى القعدة

(ذكر وفاة طاهر بن الحسين)

وفى هذه السنة فى جمادى الاولى مات طاهر بن الحسين من حمى أصابته وانه وجد فى فراشه ميتا وقال كلثوم بن ثابت بن أبى سعيد كنت على بريد خراسان فلما كانت سنة سبع ومائتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفنا مؤنة من بغى علينا وحشد فيها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين قال فقلت فى نفسى أنا أول مقتول لانى لا أكتم الخبر قال فانصرفت فاغتسلت غسل الموتى وتكفنت وكتبت الى المأمون فلما كان العصر دعانى وحدث به حادث فى جفن عينه وسقط ميتا فخرج الى ابنه طلحة فقال هل كتبت بما كان قلت نعم قال فاكتب بوفاته فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بامر الجيش فوردت الخريطة على المأمون بخلعه فدعا أحمد ابن أبى خالد فقال سر فائت بطاهر كما زعمت وضمنت فقال أبيت الليلة فقال لا فلم يزل حتى أذن له فى المبيت ووافت الخريطة الاخرى ليلا بموته فدعاه فقال قد مات طاهر فمن ترى قال ابنه طلحة قال

(ذكر الصحابة ومدحهم وعلى والعباس وفضلهما)

بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التأييد

دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية انى أريد ان أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ماتقول فى أبى بكر قال رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تاليا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق أصحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول فى عمر بن الخطاب قال رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول فى عثمان قال رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الحفدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين

اكتب بتوليته فكتب بذلك فاقام طلحة واليا على خراسان في أيام المأمون سبع سنين ثم توفي وولي عبد الله خراسان ولما ورد موت طاهر على المأمون قال لليدين وللفم الحمد لله الذي قدمه وأخرنا وكان طاهر أعور وفيه يقول بعضهم

يا ذا اليمينين وعين واحده * نقصان عين ويمين زائده

يعني ان أباه كان ذا اليمينين وكانت كنيته أبا الطيب وقد قيل ان طاهرا لما مات انتهب الجند بعض خزائنه فقام بأمرهم سلام الابرش الخصي واعطاهم رزق ستة أشهر وقيل استعمل المأمون على عمله جميعه ابنه عبد الله بن طاهر فسير الى خراسان أخاه طلحة وكان عبد الله بالرقة على حرب نصر بن شبث فلما توجه طلحة الى خراسان سير المأمون اليه أحمد بن أبي خالد ليقوم بأمره فعبر أحمد الى ما وراء النهر وافتتح أشروسنة وأسر كاوس بن صارخره وابنه الفضل وبعث بهما الى المأمون ووهب طلحة لاحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بألفي ألف درهم ووهب لابراهيم بن العباس كاتب أحمد خمسمائة ألف درهم

(ذكر ما كان بالاندلس في هذه السنة)

وفي هذه السنة وقع عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس بجند البصرة وأهلها وهي الوقعة المعروفة بوقعة بالس وكان سببها ان الحكم كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع انه ظلم ابناء أهل الذمة فقبض عليه وصلبه قبل وفاته فلما توفي وولي ابنه عبد الرحمن سمع الناس بصلب ربيع فاقبلوا الى قرطبة من النواحي يطلبون الاموال التي كان ظلمهم بها ظنا منهم انها ترد اليهم وكان أهل البيرة أكثرهم طلبا والحاحا فيه وتألبوا فبعث اليهم عبد الرحمن من يفرقهم ويسكنهم فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهم فخرج اليهم جمع من الجند وأصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا ونجا الباقون منهزمين ثم طلبوا بعد ذلك فقتلوا كثيرا منهم وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنة بين المضرية واليمانية فاقتتلوا بالورقة وكان بينهم وقعة تعرف بيوم المضارة قتل منهم ثلاثة آلاف رجل ودامت الحرب بينهم سبع سنين فوكل بكفهم ومنعهم يحيى بن عبد الله بن خالد وسيره في جميع الجيش فكانوا اذا أحسوا بقرب يحيى تفرقوا وتركوا القتال واذا عاد عنهم رجعوا الى الفتنة والقتال حتى عي أمرهم وفيها كان بالاندلس مجاعة شديدة وذهب فيها خلق كثير وبلغ المد في بعض البلاد ثلاثين دينارا

(ذكر عدة حوادث)

وفيها غلا السعر بالعراق حتى بلغ القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهما الى الخمسين وفيها ولي محمد بن حفص طبرستان والرويان ودنباوند وحج بالناس أبو عيسى بن الرشيد وفيها أمر المأمون السيد بن أنس والي الموصل بقصد بني شيبان وغيرهم من العرب لافسادهم في البلاد فسار اليهم وكبسهم بالدسكرة فقتلهم ونهب أموالهم وعاد وفيها توفي وهب بن جرير الفقيه وعمر بن حبيب العدوي القاضي وعبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد وعبد العزيز بن ابان القرشي قاضي واسط وجعفر بن عون بن جعفر بن عمرو بن حريث المخزومي الفقيه وبشر بن عمر الزاهد الفقيه وكثير ابن هشام وازهر بن سعيد السمان وأبو النضر هشام بن القاسم الكناني وفيها توفي محمد بن عمر بن واقد الواقدي وكان عمره ثمانيا وسبعين سنة وكان عالما بالمغازي واختلاف العلماء وكان يضعف في الحديث وفيها توفي محمد بن أبي رجاء القاضي وهو من أصحاب أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وفيها توفي محمد بن أبي عبد الله بن عبد الاعلى المعروف بابن كناسة وهو ابن أخت ابراهيم بن أدهم

قال فما تقول في علي قال رضي الله عن أبي الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل الحجى وبحر الندى وطود النهى وكهف العلى للورى داعيا الى المحجة العظمى متمسكا بالعروة الوثقى خير من آمن واتقى وافضل من تقمص وارتدى وأبر من انتعل واسعى وافصح من تنفس وقرأ وأكثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبي المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفي الحروب ختال لم ترعيني مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال ايها يا ابن عباس لقد اكثرت في ابن عمك فما تقول في أبيك العباس قال رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفي الله سيد الاعمام له اخلاق آبائه الاجواد واحلام اجداده الامجاد تباعدت الاسباب في فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوه ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كلماني أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا وكان

وكان عالما بالعربية والشعر وأيام الناس وفيها توفي يحيى بن زياد أبو زكريا الفراء النحوي الكوفي وأبو غانم الموصلي وزيد بن علي بن أبي خداش الموصلي وهو من أصحاب المعافى كثير الرواية عنه

(ثم دخلت سنة ثمان ومائتين)

في هذه السنة سار الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان الى كرمان فعصى بها فسار اليه أحمد ابن أبي خالد فاخذه وأتى به المأمون فعفا عنه وفيها استقضى اسمعيل بن حماد بن أبي حنيفة وفيها عزل محمد بن عبد الرحمن المخزومي عن قضاء عسكر المهدي ووليه بشر بن الوليد الكندي فقال بعضهم

يا أيها الرجل الموحد ربه * قاضيك بشر بن الوليد حمار
ينفي شهادة من يدين بما به * نطق الكتاب وجاءت الآثار
ويعد عدلا من يقول بانه * شيخ يحيط بجسمه الاقطار

وفيها مات موسى بن الامين والفضل بن الربيع في ذي القعدة وحج بالناس صالح بن الرشيد وفيها هلك اليسع بن أبي القاسم صاحب سجلماسة فولى أهلها على أنفسهم أخاه المنتصر بن أبي القاسم واسول المعروف بمدرار وقد تقدم ذكرهم وفيها سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى بلاد المشركين واستعمل عليه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فساروا الى البة والقلاع فنهبوا بلاد البة واحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين فغنم أموالا جليلة القدر واستنقذوا من اسارى المسلمين وسبيهم كثيرا فكان ذلك في جمادى الآخرة وعادوا سالمين وفيها توفي عبد الله بن عبد الرحمن الاموي المعروف بالبلنسي صاحب بلنسية من الاندلس وقد تقدم من أخباره مع أخبار هشام ابن أخيه الحكم بن هشام كثير وفيها توفي عبد الله بن أبي بكر بن حبيب السهمي الباهلي ويونس بن محمد المؤدب والقاسم بن الرشيد وسعيد بن تمام بالبصرة وعبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي والحسن بن موسى الأشيب وقد كان سار ليتولى قضاء طبرستان فمات بالري وتوفي علي بن المبارك الاحمر النحوي صاحب الكسائي وقيل توفي سنة ست وثمانين

(ثم دخلت سنة تسع ومائتين)

(ذكر الظفر بنصر بن شبث)

وفي هذه السنة حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبث بكيسوم وضيق عليه حتى طلب الامان فقال محمد بن جعفر العامري قال المأمون لثمامة بن أشرس ألا تدلني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان يؤدي عني ما أوجهه الى نصر قال بلى يا أمير المؤمنين محمد بن جعفر العامري فامر باحضاري فحضرت فكلمني بكلام أمرني أن أبلغه نصرا وهو بكفرعزون بسروج فابلغته نصرا فاذعن وشرط شروطا منها ان لا يطأ بساطه فلم يجبه المأمون الى ذلك وقال ما باله ينفر مني قلت لجرمه وما تقدم من ذنبه قال أفتراه احكم جرما من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن محمد بن أبي خالد اما الفضل فاخذ قوادي وأموالي وسلاحي وجميع ما أوصى به الرشيد لي فذهب به الى محمد أخي وتركني بمرو فريدا وحيدا وسلمني وأفسد علي أخي حتى كان من أمره ما كان فكان أشد علي من كل شيء وأما عيسى بن أبي خالد فانه طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي وذهب بخراجي وفيئي واخرب داري واقعد ابراهيم خليفة دوني قال قلت يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الكلام قال تكلم قال قلت أما الفضل بن الربيع فانه صنيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم فرجع اليه بضروب كلها

صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الانفس والاموال وبذلوا النفوس دونه في كل حال ووصفهم الله في كتابه فقال رحماء بينهم الآية قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصفياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حديثا في غير هذا

(ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان)

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثماني ليال وأخذ يزيد لابنه معاوية ابن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففي ذلك يقول عبد الله بن همام السلولي

تلقفها يزيد عن أبيه * فخذها يا معاوي عن يزيدا
فقد علقت بكم فتلقفوها * ولا ترموا بها الغرض البعيدا

وهلك يزيد بحوارين من ارض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفي ذلك يقول رجل من عنزة

يا أيها القبر بحوارينا *

تردك اليه وأما عيسى فرجل من دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه معروفة يرجع عليه بذلك وأما نصر فرجل لم يكن له يد قط فيحتمل كهؤلاء لمن مضى من سلفه وانما كانوا من جند بنى أمية قال انه كما تقول ولست أقلع عنه حتى يطأ بساطى قال فابلغت نصرا ذلك فصاح بالخيل فجالت اليه فقال ويلى عليه وهو لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت جناحه يعنى الزط يقوى على جلبة العرب فجاده عبد الله بن طاهر القتال وضيق عليه فطلب الامان فأجابه اليه وتحول من معسكره الى الرقة الى عبد الله وكان مدة حصاره ومحاربته خمس سنين فلما خرج اليه أخرب عبد الله حصن كيسوم وسير نصرا الى المأمون فوصل اليه فى صفر سنة عشر ومائتين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها ولى المأمون على بن صدقة المعروف بزريق على ارمينية واذربيجان وأمره بمحاربة بابك وأقام بأمره أحمد بن الجنيد الاسكافى فاسره بابك فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل اذربيجان وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن على وفيها مات ميخائيل بن جورجيس ملك الروم وكان ملكه تسع سنين وملك ابنه توفيل وفيها خرج منصور بن نصير بافريقية عن طاعة الامير زيادة الله وكان منه ما ذكرناه سنة اثنتين ومائتين وفيها توفى أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوى وقيل سنة عشر وكان يميل الى مقالة الخوارج وكان عمره ثلاثا وتسعين سنة وقيل مات سنة ثلاث عشرة وعمره ثمان وتسعون سنة وفيها توفى يعلى بن عبيد الطيالسى أبو يوسف والفضل بن عبد الحميد الموصلى المحدث

﴿ ثم دخلت سنة عشر ومائتين ﴾

﴿ ذكر ظفر المأمون بابن عائشة ﴾

فيها ظفر المأمون بابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام المعروف بابن عائشة ومحمد بن ابراهيم الافريقى ومالك بن شاهى ومن كان معهم ممن كان يسعى فى البيعة لابراهيم بن المهدى وكان الذى أطلعه عليهم وعلى صنيعهم عمران القطربلى وكانوا اتعدوا أن يقطعوا الجسر اذا خرج الجند يتلقون نصر بن شبث فنم عليهم عمران فأخذوا فى صفر ودخل نصر بن شبث بغداد ولم يلقه أحد من الجند فأخذ ابن عائشة وأقيم على باب المأمون ثلاثة ايام فى الشمس ثم ضربه بالسياط وحبسه وضرب مالك بن شاهى وأصحابه فكتبوا للمأمون باسماء من دخل معهم فى هذا الامر من سائر الناس فلم يعرض لهم المأمون وقال لا آمن ان يكون هؤلاء قذفوا قوما برآء ثم انه قتل ابن عائشة وابن شاهى ورجلين من أصحابهما وكان سبب قتلهم ان المأمون بلغه انهم يريدون ان ينقبوا السجن وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدوا باب السجن فلم يدعوا أحدا يدخل عليهم فلما بلغ المأمون خبرهم ركب اليهم بنفسه فأخذهم فقتلهم صبرا وصلب ابن عائشة وهو أول عباسى صلب فى الاسلام ثم أنزل وكفن وصلى عليه ودفن فى مقابر قريش

﴿ ذكر الظفر بابراهيم بن المهدى ﴾

وفى هذه السنة فى ربيع الاول أخذ ابراهيم بن المهدى وهو متنقب مع امرأتين وهو فى زى امرأة أخذه حارس اسود ليلا فقال من أين أنتن وأين تردن هذا الوقت فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت كان فى يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسألهن فلما نظر الحارس الى الخاتم استرابهن وقال خاتم رجل له شأن ورفعهن الى صاحب المسلحة فأمرهن أن يسفرن فامتنع ابراهيم فجذبه فبدت لحيته فدفعه الى صاحب الجسر فعرفه فذهب به الى باب المأمون وأعلمه به فأمر بالاحتفاظ به الى

بكره

صممت شر الناس أجمعنا وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة
لعمرى لقد دلى الى الله خالد
جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوارين ليس يريها
سقته الغوادى من ثوى ومن قبر
فى أبيات

﴿ ذكر مقتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته ﴾

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين ابن على انا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول
لا ذعرت السوام فى فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى مخافة الموت ضيما
والمنايا رصدننى ان أحيدا
ولحق بمكة فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة قال له سر الى أهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى ألحق بك فخرج مسلم من مكة فى النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان ابن بشير الانصارى فنزل على رجل يقال له عوسجة مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل وقيل ثمانية عشر ألفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه

بكرة فلما كان الغد اقعد ابراهيم فى دار المأمون والمقنعة التى تقنع بها فى عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف أخذ ثم حوله الى أحمد بن أبى خالد فحبسه عنده ثم أخرجه معه لما سار فى الصلح الى الحسن بن سهل فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران وقيل ان ابراهيم لما أخذ حمل الى دار أبى اسحق المعتصم وكان المعتصم عند المأمون فحمل رديفا لفرج التركى فلما دخل على المأمون قال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل أعفو يا ابراهيم فكبر وسجد وقيل بل كتب ابراهيم هذا الكلام الى المأمون وهو مختف فوقع المأمون فى رقعته القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل وهو أكبر ما يسأله فقال ابراهيم يمدح المأمون

يا خير من رقلت يمانية به * بعد النبى لآيس أو طامع
وأبر من عبد الاله على التقى * غيبا وأقوله بحق صادع
عسل الفوارع ما أطعت فان تهج * فالصاب يمزج بالسمام الناقع
متيقظا حذرا وما تخشى العدى * نبهان من وسنان ليل الهاجع
ملئت قلوب الناس منك مخافة * وتبيت تكلؤهم بقلب خاشع
بأبى وأمى فدية وأبيهما * من كل معضلة وذنب واقع
ما ألين الكنف الذى بوأتنى * وطنا وامرع ربعه للراتع
للصالحات أخا جعلت وللتقى * وأبا رؤفا للفقير القانع
نفسى فداؤك اذ تضل معاذرى * وألوذ منك بفضل حلم واسع
املا لفضلك والفواضل شيمة * رفعت بناءك للمحل اليافع
فبذلت أفضل ما يضيق ببذله * وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
الا العلو عن العقوبة بعدما * ظفرت يداك بمستكين خاضع
فرحمت أطفالا كافراخ القطا * وعويل عانسة كقوس النازع
وعطفت آصرة على كما وهى * بعد انهياض الوثى عظم الظالع
الله يعلم ما أقول كأنها * جهد الالية من حنيف راكع
ما ان عصيتك والغواة تقودنى * أسبابها الا بنية طائع
حتى اذا علقت حبائل شقوتى * بردى الى حفر المهالك هائع
لم أدر أن لمثل جرمى غافرا * فوقفت أنظر أى حتف صارع
رد الحياة على بعد ذهابها * ورع الامام القادر المتواضع
أحياك من ولاك أفضل مدة * ورمى عدوك فى الوتين بقاطع
كم من يد لك لم تحدثنى بها * نفسى اذا آلت الى مطامعى
أسديتها عفوا الى هنيئة * وشكرت مصطنعا لاكرم صانع
الا يسيرا عندما أوليتنى * وهو الكبير لدى غير الضائع
ان أنت جدت بها على تكن لها * أهلا وان تمنع فاكرم مانع

فلما هم الحسين بالخروج الى العراق أتاه ابن عباس فقال له يا ابن عم قد بلغنى انك تريد العراق وانهم أهل غدر وانما يدعونك للحرب فلا تعجل وان أبيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن فانها فى عزلة ولك فيها أنصار واخوان فأقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم وما أنا بغدرهم بآمن وان لم يفعلوا أقمت بمكانك الى أن يأتى الله بأمره فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم انى لاعلم انك لى ناصح وعلى شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الى باجتماع أهل المصر على بيعتى ونصرتى وقد أجمعت على المسير قال انهم من جربت وجربت وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك أشد من عدوك فان عصيتنى وأبيت الا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك فوالله انى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فكان الذى رد عليه لان أقتل والله بمكان كذا أحب لى من أن أستحل بمكة فيئس ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد
يا لك من قبرة بمعمر *

ان الذى قسم الخلافة حازها * من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أمرها * وحوى رداؤك كل خير جامع

فذكر ان المأمون قال حين أنشده هذه القصيدة أقول كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

(ذكر بناء المأمون ببوران)

وفى هذه السنة بنى المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل فى رمضان وكان المأمون سار من بغداد الى فم الصلح الى معسكر الحسن بن سهل فنزله وزفت اليه بوران فلما دخل اليها المأمون كان عندها حمدونة بنت الرشيد وأم جعفر زبيدة أم الامين وجدتها أم الفضل والحسن بن سهل فلما دخل نثرت عليه جدتها ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون وأمر المأمون بجمعه فجمع فأعطاه بوران وقال سلى حوائجك فامسكت فقالت جدتها سلى سيدك فقد أمرك فسألته الرضا عن ابراهيم بن المهدى فقال قد فعلت وسألته الاذن لام جعفر فى الحج فاذن لها وألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية الاموية وابتنى بها فى ليلته وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا وأقام المأمون عند الحسن سبعة عشر يوما يعدله كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه وخلع الحسن على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ ما لزمه خمسين ألف ألف درهم وكتب الحسن أسماء ضياعه فى رقاع ونثرها على القواد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها

(ذكر مسير عبد الله بن طاهر الى مصر)

فى هذه السنة سار عبد الله بن طاهر الى مصر وافتتحها واستأمن اليه عبد الله بن السرى وكان سبب مسيره ان عبيد الله قد تغلب على مصر وخلع الطاعة وخرج جمع من الاندلس فتغلبوا على الاسكندرية واشتغل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه سار نحو مصر فلما قرب منها على مرحلة قدم قائد من قواده اليها لينظر موضعا يعسكر فيه وكان ابن السرى قد خندق على مصر خندقا فاتصل الخبر به من وصول القائد الى ما قرب منه فخرج اليه فى أصحابه فالتقى هو والقائد فاقتتلوا قتالا شديدا وكان القائد فى قلة فجال أصحابه وسير بريدا الى عبد الله بن طاهر بخبره فحمل عبد الله الرجال على البغال وجنبوا الخيل وأسرعوا السير فلحقوا بالقائد وهو يقاتل ابن السرى فلما رأى ابن السرى ذلك لم يصبر بين أيديهم وانهزم عنهم وتساقط أكثر أصحابه فى الخندق فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف ودخل ابن السرى مصر وأغلق الباب عليه وعلى أصحابه وحاصره عبد الله فلم يعد ابن السرى يخرج اليه وأنفذ اليه ألف وصيف ووصيفة مع كل أحد منهم ألف دينار فسيرهم ليلا فردهم ابن طاهر وكتب اليه لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال فحينئذ طلب الامان وقيل كان سنة احدى عشرة وذكر أحمد بن حفص بن أبى الشماس قال خرجنا مع عبد الله بن طاهر الى مصر حتى اذا كنا بين الرملة ودمشق اذ نحن باعرابى قد اعترض فاذا شيخ على بعير له فسلم علينا فرددنا عليه السلام قال وكنت أنا واسحق بن ابراهيم الرافقى واسحق بن أبى ربعى ونحن نساير الامير وكنا أفره منه دابة وأجود كسوة قال فجعل الاعرابى ينظر الى وجوهنا قال فقلت يا شيخ قد ألححت فى النظر أعرفت شيأ أنكرته قال لا والله ما عرفتكم قبل يومى هذا ولكنى رجل حسن الفراسة فى الناس قال فاشرت الى اسحق بن أبى ربعى وقلت ما تقول فى هذا فقال

خلالك الجو فبيضى واصفرى ونقرى ما شئت أن تنقرى هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة وهو أثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فأتاه فقال أبا عبد الله ما عندك فوالله لقد خفت الله فى جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله أما لو ان لى مثل انصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد (ودخل) أبو بكر ابن الحرث بن هشام على الحسين فقال يا ابن عم ان الرحم يظائرنى عليك ولا أدرى كيف أنا فى النصيحة لك فقال يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش فقال أبو بكر كان أبوك أشد بأسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فجرعوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم أنت تريد ان تسير الى الذين عدوا

أرى كاتبا داهى الكتابة بين * عليه وتأديب العراق منير
له حركات قد يشاهدن انه * عليم بتقسيط الخراج بصير

ونظر الى اسحق بن ابراهيم الرافقى فقال

ومظهر نسك ما عليه ضميره * يحب الهدايا بالرجال مكور
اخال به جبنا وبخلا وشيمة * تخبر عنه انه لوزير

ثم نظر الى وقال

وهذا نديم للامير ومؤنس * يكون له بالقرب منه سرور
واحسبه للشعر والعلم راويا * فبعض نديم مرة وسمير

ثم نظر الى الامير وقال

وهذا الامير المرتجى سيب كفه * فما ان له فى العالمين نظير
عليه رداء من جمال وهيبة * ووجه بادراك النجاح بشير
لقد عظم الاسلام منه بذى يد * فقد عاش معروف ومات نكير
ألا انما عبد الاله ابن طاهر * لنا والد بر بنا وأمير

قال فوقع ذلك من عبد الله أحسن موقع وأعجبه وأمر للشيخ بخمسمائة دينار وأمره ان يصحبه

(ذكر فتح عبد الله الاسكندرية)

وفى هذه السنة اخرج عبد الله من كان تغلب على الاسكندرية من أهل الاندلس بامان وكانوا قد أقبلوا فى مراكب من الاندلس فى جمع والناس فى فتنة ابن السرى وغيره فارموا بالاسكندرية ورئيسهم يدعى أبا حفص فلم يزالوا بها حتى قدم ابن طاهر فارسل يؤذنهم بالحرب ان هم لم يدخلوا فى الطاعة فاجابوه وسألوه الامان على ان يرتحلوا عنها الى بعض أطراف الروم التى ليست من بلاد الاسلام فاعطاهم الامان على ذلك فرحلوا ونزلوا بجزيرة اقريطش واستوطنوها وأقاموا بها فاعقبوا وتناسلوا قال يونس بن عبد الاعلى اقبل الينا فتى حدث من المشرق يعنى ابن طاهر والدنيا عندنا مفتونة قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب والناس فى بلاء فاصلح الدنيا وأمن البرىء وأخاف السقيم واستوسقت له الرعية بالطاعة

(ذكر خلع أهل قم)

فى هذه السنة خلع أهل قم المأمون ومنعوا الخراج وكان سببه ان المأمون لما سار من خراسان الى العراق أقام بالرى عدة أيام وأسقط عنهم شيأ من خراجهم فطمع أهل قم ان يصنع بهم كذلك فكتبوا اليه يسألونه الحطيطة وكان خراجهم ألفى ألف درهم فلم يجبهم المأمون الى ما سألوا فامتنعوا من ادائه فوجه المأمون اليهم على بن هشام وعجيف بن عنبسة فحاربهم فظفر بهم وقتل يحيى بن عمران وهدم سور المدينة وجباها على سبعة آلاف ألف درهم وكانوا يتظلمون من ألفى ألف

(ذكر ما كان بالاندلس من الحوادث)

وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم سرية كبيرة الى بلاد الفرنج واستعمل عليها عبيد الله المعروف بابن البلنسى فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبى والقتل والاسر ولقى الجيوش الاعداء فى ربيع الاول فاقتتلوا فانهزم المشركون وكثر فيهم وكان فتحا عظيما وفيها افتتح عسكر سيره عبد الرحمن أيضا حصن القلعة من أرض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف

على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى والناس منه أخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك ان ينصرك ويخذلك من أنت أحب اليه ممن ينصره فاذكر الله فى نفسه فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد أجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله نحتسب أبا عبد الله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى والى مكة وهو يقول كم نرى ناصحا يقول فيعصى وظنين المغيب يلفى نصيحا فقال وما ذاك فأخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها فى أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير فتحصن فيه ثم اشرف عليه فقال يا ابن رسول الله ما لى ولك وما حملك على قصد بلدى من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال نومك يا نعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانه وحصبوه

شهر رمضان وفيها أمر عبد الرحمن ببناء المسجد الجامع بجيان وفيها أخذ عبد الرحمن رهائن أبى الشماخ محمد بن ابراهيم مقدم اليمانية بتدمير ليسكن الفتنة بين المضرية واليمانية فلم ينزجروا ودامت الفتنة فلما رأى عبد الرحمن ذلك أمر العامل بتدمير ان ينتقل منها ويجعل مرسية منزلا ينزله العمال ففعل ذلك وصارت مرسية هى قاعدة تلك البلاد من ذلك الوقت ودامت الفتنة بينهم الى سنة ثلاث عشرة ومائتين فسير عبد الرحمن اليهم جيشا فاذعن أبو الشماخ وأطاع عبد الرحمن وسار اليه وصار من جملة قواده وأصحابه وانقطعت الفتنة من ناحية تدمير

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

مات فى هذه السنة شهريار بن شروين صاحب جبال طبرستان وصار فى موضعه ابنه سابور فقاتله مازيار بن قارن فاسره وقتله وصارت الجبال فى يد مازيار وحج بالناس فى هذه السنة صالح ابن العباس بن محمد وهو والى مكة وفيها توفيت علية بنت المهدى مولدها سنة ستين ومائة وكان زوجها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فولدت منه

﴿ ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائتين ﴾

فى هذه السنة أدخل عبيد الله بن السرى بغداد وأنزل مدينة المنصور وأقام ابن طاهر بمصر واليا عليها وعلى الشام والجزيرة وقال للمأمون بعض اخوته ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد على بن أبى طالب وكذا كان أبوه قبله فانكر المأمون ذلك فعاوده أخوه فوضع المأمون رجلا قال له امش فى هيئة القراء والنساك الى مصر فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا ثم صر الى عبد الله بن طاهر فادعه اليه واذكر له مناقبه ورغبه فيه وابحث عن باطنه وائتنى بما تسمع ففعل الرجل ذلك فاستجاب له جماعة من اعيانه فقعد بباب عبد الله بن طاهر فلما ركب قام اليه فاعطاه رقعة فلما عاد الى منزله أحضره قال قد فهمت ما فى رقعتك فهات ما عندك فقال ولى أمانك قال نعم فدعاه الى القاسم وذكر فضله وزهده وعلمه فقال عبد الله أتنصفنى قال نعم قال هل يجب شكر الله على العباد قال نعم قال فتجىء الى وأنا فى هذه الحال لى خاتم فى المشرق جائز وخاتم فى المغرب جائز وفيما بينهما أمرى مطاع ثم ما ألتفت عن يمينى ولا شمالى وورائى وامامى الا رأيت نعمة لرجل أنعمها على ومنة ختم بها رقبتى ويد الائحة بيضاء ابتدأنى بها تفضلا وكرما تدعونى الى ان أكفر بهذه النعم وهذا الاحسان وتقول اغدر بمن كان أولى لهذا وأحرى واسع فى ازالة خيط عنقه وسفك دمه تراك لو دعوتنى الى الجنة عيانا أكان الله يحب على ان اغدر به وأكفر احسانه وانكث بيعته فسكت الرجل فقال له عبد الله ما أخاف عليك الا نفسك فارحل عن هذا البلد فان السلطان الاعظم ان بلغه ذلك كنت الجانى على نفسك ونفس غيرك فلما أيس منه جاء الى المأمون فاخبره فاستبشر وقال ذلك غرس يدى وألف أدبى وترب تلقيحى ولم يظهر ذلك ولا علمه ابن طاهر الا بعد موت المأمون وكان هذا القائل للمأمون المعتصم فانه كان منحرفا عن عبد الله

﴿ ذكر قتل السيد بن أنس ﴾

وفيها قتل السيد بن أنس الازدى أمير الموصل وسبب قتله ان زريق بن على بن صدقة الازدى الموصلى كان قد تغلب على الجبال ما بين الموصل واذربيجان وجرى بينه وبين السيد حروب كثيرة فلما كان هذه السنة جمع زريق جمعا كثيرا قيل كانوا أربعين ألفا وسيرهم الى الموصل لحرب السيد فخرج اليهم فى أربعة آلاف فالتقوا بسوق الاحد فحين رآهم السيد حمل عليهم وحده وهذه كانت عادته ان يحمل وحده بنفسه وحمل عليه رجل من أصحاب زريق فاقتتلا فقتل

بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ بن عروة المرادى ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد بن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم فانكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزياد أبيك عندى بلاء حسنا وأنا أحب مكافأته به فهل لك فى خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين باموالكم فانه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد أدنوه منى فأدنوه منه فضرب وجهه بقضيب كان فى يده كسر انفه وشق حاجبه ونثر لحم وجنته وكسر القضيب على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سيف شرطى من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح أصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وأمر بحبسه فى بيت الى جانب مجلسه وأخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضى فشهد عندهم انه حى لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهانئ أمر مناديا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع اليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل فسار الى ابن زياد فتحصن منه فحصره فى القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة

كل

كل واحد منهما صاحبه لم يقتل غيرهما وكان هذا الرجل قد حلف بالطلاق ان رأى السيد ان يحمل عليه فيقتله أو يقتل دونه لانه كان له على زريق كل سنة مائة ألف درهم فقيل له باى سبب تأخذ هذا المال فقال لانى متى رأيت السيد قتلته وحلف على ذلك فوفى به فلما بلغ المأمون قتله غضب لذلك وولى محمد بن حميد الطوسى حرب زريق وبابك الخرمى واستعمله على الموصل

﴿ ذكر الفتنة بين عامر ومنصور وقتل منصور بافريقية ﴾

وفى هذه السنة وقع الاختلاف بين عامر بن نافع وبين منصور بن نصر بافريقية وسبب ذلك ان منصورا كان كثير الحسد وسار بهم من تونس الى منصور وهو بقصره بطنبذة فحصره حتى فنى ما كان عنده من الماء فراسله منصور وطلب منه الامان على ان يركب سفينة ويتوجه الى المشرق فاجابه الى ذلك فخرج منصور أول الليل مختفيا يريد الاربس فلما أصبح عامر ولم ير لمنصور أثرا طلبه حتى أدركه فاقتتلوا وانهزم منصور ودخل الاربس فتحصن بها وحصره عامر ونصب عليه منجنيقا فلما اشتد الحصار على أهل الاربس قالوا لمنصور اما أن تخرج عنا والا سلمناك الى عامر فقد أضر بنا الحصار فاستمهلهم حتى يصلح أمره فامهلوه وأرسل الى عبد السلام بن المفرج وهو من قواد الجيش يسأله الاجتماع به فأتاه فكلمه منصور من فوق السور واعتذر وطلب منه ان يأخذ له أمانا من عامر حتى يسير الى المشرق فاجابه عبد السلام الى ذلك واستعطف له عامرا فأمنه على ان يسير الى تونس ويأخذ أهله وحاشيته ويسير بهم الى الشرق فخرج اليه فسيره مع خيل الى تونس وأمر رسوله سرا أن يسير به الى مدينة جربة ويسجنه بها ففعل ذلك وسجن معه أخاه حمدون فلما علم عبد السلام ذلك عظم عليه وكتب عامر الى أخيه وهو عامله على جربة يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون ولا يراجع فيهما فحضر عندهما وأقرأهما الكتاب فطلب منصور منه دواة وقرطاسا ليكتب وصيته فامر له بذلك فلم يقدر أن يكتب وقال فان المقتول بخير الدنيا والآخرة ثم قتلهما وبعث برأسيهما الى اخيه واستقامت الامور لعامر بن نافع ورجع عبد السلام بن المفرج الى مدينة تونس باجة وبقى عامر بن نافع بمدينة تونس وتوفى سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فلما وصل خبره الى زيادة الله قال الآن وضعت الحرب أوزارها وأرسل بنوه الى زيادة الله يطلبون الامان فامنهم وأحسن اليهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها قدم عبد الله بن طاهر مدينة السلام وتلقاه العباس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس وفيها مات موسى بن حفص فولى ابنه طبرستان وولى حاجب بن صالح السند فهزمه بشر بن داود فانحاز الى كرمان وفيها أمر المأمون مناديا فنادى برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات أبو العتاهية الشاعر وحج بالناس صالح بن العباس وهو والى مكة وفيها خرج باعمال تاكرنا من الاندلس طوريل فقصد جماعة من الجند قد نزلوا ببعض قرى تاكرنا ممتارين فقتلهم وأخذ دوابهم وسلاحهم وما معهم فسار اليه عاملها وفيها مات الاخفش النحوى البصرى وفيها مات طلق بن غنام النخعى وأحمد بن اسحق الحضرمى وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد المحاربى وفيها توفى عبد الرزاق بن همام الصنعانى المحدث وهو من مشايخ أحمد بن حنبل وكان يتشيع وفيها توفى عبد الله بن داود الخريبى البصرى وكان يسكن الخريبة بالبصرة فنسب اليها

﴿ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائتين ﴾

فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يذهب ولا يجد أحدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه حتى انتهى الى باب مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سألته عن حاله فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته وجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فاعلمه فقال انطلق فأتنى به ووجه معه عبد الله بن العباس السلمى فى سبعين رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ما أرى من الاجلاب لقتل مسلم بن عقيل يا نفس اخرجى الى الموت الذى ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمرى ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع فى السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة فى رأسه ثم ضرب به أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز ويقول

(ذكر استيلاء محمد بن حميد على الموصل)

فى هذه السنة وجه المأمون محمد بن حميد الطوسى الى بابك الخرمى لمحاربته وأمره أن يجعل طريقه على الموصل ليصلح أمرها ويحارب زريق بن على فسار محمد الى الموصل ومعه جيشه وجمع مافيها من الرجال من اليمن والربيعة وسار لحرب زريق ومعه محمد بن السيد بن أنس الازدى فبلغ الخبر الى زريق فسار نحوهم فالتقوا على الزاب فراسله محمد بن حميد يدعوه الى الطاعة فامتنع فناجزه محمد واقتتلوا واشتد قتال الازدى مع محمد بن السيد طلبا بثار السيد فانهزم زريق وأصحابه ثم أرسل يطلب الامان فامنه محمد فنزل اليه فسيره الى المأمون وكتب المأمون الى محمد يأمره بأخذ جميع مال زريق من قرى ورساتيق ومال وغيره فأخذ ذلك لنفسه فجمع محمد أولاد زريق واخوته وأخبرهم بما أمر به المأمون فأطاعوا الذلك فقال لهم ان امير المؤمنين قد امرنى به وقد قبلت ماحبانى منه ورددته عليكم فشكروه على ذلك ثم سار الى اذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن السيد وقصد المخالفين المتغلبين على اذربيجان فاخذهم منهم يعلى بن مرة ونظراؤه وسيرهم الى المأمون وسار نحو بابك الخرمى لمحاربته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة خلع أحمد بن محمد العمرى المعروف بالاحمر العين المأمون باليمن فاستعمل المأمون على اليمن محمد بن عبد الحميد المعروف بابى الرازى وسيره اليها وفيها اظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل على بن أبى طالب على جميع الصحابة وقال هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى ربيع الاول وحج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد وفيها كانت باليمن زلزلة شديدة فكان أشدها بعدن فتهدمت المنازل وخربت القرى وهلك فيها خلق كثير وفيها سير عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلد المشركين فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرندة وقاتلوا أهلها فى ربيع الاول فاقام الجيش شهرين ينهبون ويخربون وفيها كانت سيول عظيمة وأمطار متتابعة بالاندلس فخربت أكثر الاسوار بمدائن ثغر الاندلس وخربت قنطرة سرقسطة ثم جددت عمارتها واحكمت (برشلونة بالباء الموحدة والراء والشين المعجمة واللام والواو والنون والهاء) وفيها توفى محمد بن يوسف بن واقد بن عبد الله الضبى المعروف بالفريابى وهو من مشايخ البخارى

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين)

وفيها ولى المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم وولى أخاه أبا اسحق المعتصم الشام ومصر وأمر لكل واحد منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف درهم فقيل لم يفرق فى يوم من المال مثل ذلك وفى هذه السنة خلع عبد السلام وابن جليس المأمون بمصر فى القيسية واليمانية وظهرا بها ثم وثبا بعامل المعتصم وهو ابن عميرة بن الوليد الباذغيسى فقتلاه فى ربيع الاول سنة أربع عشرة ومائتين فسار المعتصم الى مصر وقاتلهما فقتلهما وافتتح مصر فاستقامت أمورها واستعمل عليها عماله وفيها مات طلحة بن طاهر بخراسان وفيها استعمل المأمون غسان بن عباد على السند وسبب ذلك ان بشر بن داود خالف المأمون وجبى الخراج فلم يحمل منه شيأ فعزم على تولية غسان فقال لاصحابه اخبرونى عن غسان فانى أريده لامر عظيم فاطنبوا فى مدحه فنظر المأمون الى أحمد بن يوسف وهو ساكت فقال ماتقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ذلك رجل محاسنه أكثر من مساويه لا يصرف به الى طبقة الا انتصف منهم فهو ماتخوفت عليه فانه لن يأتى

اقسم لا أقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيأ مرا كل امرئ يوما ملاق شرا * أخاف ان اكذب أو أغرا

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فأنك لاتكذب ولاتغر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفى ذلك يقول بعض الشعراء فى كلمة يهجو فيها ابن الاشعث

وتركت عمك ان تقاتل دونه * فشلا ولولا أنت كان منيعا

وقتلت وافد آل بيت محمد * وسلبت أسيافا له ودروعا

فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلى وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو ابن حريث فأتاه بماء فى قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه له الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دما فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له فى الجواب أمر به فاصعد الى أعلى القصر ثم دعا الاحمرى الذى ضربه مسلم فقال كن أنت الذى تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى أعلى القصر فضرب بكير الاحمرى عنقه فأهوى رأسه الى الارض ثم اتبعوا رأسه جسده ثم أمر بهانئ بن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد أمرا

أمر ايعتمد رمنه فاطنب فيه فقال لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال لانى كما قال الشاعر

كفى شكرا لما أسديت انى * صدقتك فى الصديق وفى عداتى

قال فاعجب المأمون من كلامه وأدبه وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على وفيها اقتتل أهل ماردة من الاندلس عاملهم فثارت الفتنة عندهم فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد ان خربوا سور المدينة ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطمع أهلها فى عمارته فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان وأسروا العامل عليهم وجددوا بناء السور وأتقنوه فلما دخلت سنة أربع عشرة سار عبد الرحمن صاحب الاندلس فى جيوشه الى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذى أسروه وغيره وحصرهم وافسد بلادهم ورحل عنهم ثم سير اليهم جيشا سنة سبع عشرة ومائتين فحصروها وضيقوا عليها ودام الحصار ثم رحلوا عنهم فلما دخلت سنة ثمان عشرة سير اليها جيشا ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد وكان من أهلها انسان اسمه محمود بن عبد الجبار الماردى فحصره عبد الرحمن بن الحكم فى جمع كثير من الجند وصدقوه القتال فهزموه وقتلوا كثيرا من رجاله وتبعتهم الخيل فى الجبل فافنوهم قتلا وأسرا وتشريدا ومضى محمود بن عبد الجبار الماردى فيمن سلم معه من أصحابه الى منت سالوط فسير اليه عبد الرحمن جيشا سنة عشرين ومائتين فمضوا هاربين عنه الى حلقب فى ربيع الآخر منها فارسل سرية فى طلبهم فقاتلهم محمود فهزمهم وغنم مامعهم ومضوا لوجههم فلقيهم جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلوهم ثم كف بعضهم عن بعض وساروا فلقيهم سرية أخرى فقاتلوهم فانهزمت السرية وغنم محمود مافيها وسار حتى أتى مدينة مينة فهجم عليها وملكها وأخذ مافيها من دواب وطعام وفارقوها فوصلوا الى بلاد المشركين فاستولوا على قلعة لهم فاقاموا بها خمسة اعوام وثلاثة أشهر فحصرهم اذفونش ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محمودا ومن معه وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين فى رجب وانصرف من فيها وفيها توفى ابراهيم الموصلى المغنى وهو ابراهيم بن ماهان والد اسحق بن ابراهيم وكان كوفيا وسار الى الموصل فلما عاد قيل له الموصلى فلزمه وعلى بن جبلة بن مسلم أبو الحسن الشاعر وكان مولده سنة ستين ومائة وكان قد اضر ومحمد بن عرعرة بن البوند وابو عبد الرحمن المقرى المحدث وعبد الله بن موسى العبسى الفقيه وكان شيعيا وهو من مشايخ البخارى فى صحيحه (البوند بكسر الباء الموحدة والواو وتسكين النون وآخره دال مهملة)

(ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين)

(ذكر قتل محمد الطوسى)

فيها قتل محمد بن حميد الطوسى قتله بابك الخرمى وسبب ذلك انه لما فرغ من أمر المتغلبين على طريقه الى بابك سار نحوه وقد جمع العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عالم كثير من المتطوعة من سائر الامصار فسلك المضايق الى بابك وكان كلما جاوز مضيقا أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه الى ان نزل بهشتادسر وحفر خندقا وشاور فى دخول بلد بابك فاشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له فقبل رأيهم وعبى أصحابه وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائى المعروف بابى سعيد وعلى الميمنة السعدى بن أصرم وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطينى ووقف محمد بن حميد خلفهم فى جماعة ينظر اليهم ويأمرهم بسد خلل ان رآه فكان

وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا فشلا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثى هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر مانالهما

اذا كنت لاتدرين ما الموت فانظرى * الى هانئ فى السوق وابن عقيل

الى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوى فى طمار قتيل

أصابهما أمر الامير فاصبحا * أحاديث من يسعى بكل سبيل

ترى جسدا قد غير الموت لونه * ونضح دم قد سال كل مسيل

أيترك أسماء المهايج آمنا * وقد طلبته مذحج بذحول

فتى هو أحيا من فتاة حيية * وأقطع من ذى شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد بكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال أقتلته قال نعم قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذى أقادنى منك وضربته ضربة لم تعمل شيأ فقال لى أوما يكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك أيها العبد قال ابن زياد أو فخرا عند الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين

بابك يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة فلما تقدم أصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهزم الناس فأمرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتل يأخذهم وصبر محمد ابن حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد وسارا يطلبان الخلاص فرأى جماعة وقتالا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه وضربوا فرسه بمزراق فسقط الى الارض وأكبوا على محمد بن حميد فقتلوه وكان محمد ممدحا جوادا فأكثر الشعراء مراثيه وأكثروا منهم الطائي فلما وصل خبر قتله الى المأمون عظم ذلك عنده واستعمل عبد الله بن طاهر على قتال بابك فسار نحوه

﴿ذكر حال أبي دلف مع المأمون﴾

كان أبو دلف من أصحاب محمد الامين وسار مع على بن عيسى بن ماهان الى حرب طاهر بن الحسين فلما قتل على عاد أبو دلف الى همذان فراسله طاهر يستميله ويدعوه الى بيعة المأمون فلم يفعل وقال ان في عنقي بيعة لا أجد الى فسخها سبيلا ولكني سأقيم مكاني لا أكون مع أحد الفريقين ان كففت عني فاجابه الى ذلك فاقام بكرج فلما خرج المأمون الى الرى راسل أبا دلف يدعوه اليه فسار نحوه مجدا وهو خائف شديد الوجل فقال له أهله وقومه وأصحابه أنت سيد العرب وكلها تطيعك فان كنت خائفا فاقم ونحن نمنعك فلم يفعل وسار وهو يقول

اجود بنفسي دون قومي دافعا * لما نابهم قدما وأغشى الدواهيا
وأقتحم الامر المخوف اقتحامه * لادرك مجدا أو أعاود ثاويا

وهي أبيات حسنة فلما وصل الى المأمون أكرمه وأحسن اليه وأمنه وأعلى منزلته

﴿ذكر استعمال عبد الله بن طاهر على خراسان﴾

في هذه السنة استعمل المأمون عبد الله بن طاهر على خراسان فسار اليها وكان سبب مسيره اليها ان أخاه طلحة لما مات ولى خراسان على بن طاهر خليفة لاخيه عبد الله وكان عبد الله بالدينور يجهز العساكر الى بابك وأوقع الخوارج بخراسان باهل قرية الحمراء من نيسابور فأكثروا فيهم القتل واتصل ذلك بالمأمون فامر عبد الله بن طاهر بالمسير الى خراسان فسار اليها فلما قدم نيسابور كان أهلها قد قحطوا فمطروا قبل وصوله اليها بيوم واحد فلما دخلها قام اليه رجل بزاز فقال

قد قحط الناس في زمانهم * حتى اذا جئت جئت بالدرر
غيثان في ساعة لنا قدما * فمرحبا بالامير والمطر

فاحضره عبد الله وقال له أشاعر أنت قال لا ولكني سمعتها بالرقة فحفظتها فاحسن اليه وجعل اليه أن لا يشترى له شيء من الثياب الا بامره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خرج بلال الغساني الشاري فوجه اليه المأمون ابنه العباس في جماعة من القواد فقتل بلال وفيها قتل أبو الرازى باليمن وفيها تحرك جعفر بن داود القمي فظفر به عزيز مولى عبد الله بن طاهر وكان هرب من مصر فرد اليها وفيها ولى على بن هشام الجبل وقم واصبهان وأذربيجان وفيها توفي ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام بالمغرب وأقام بعده ابنه محمد بأمر مدينة فاس فولى أخاه القاسم البصرة

وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذي الحجة سنة ستين ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت وحمل رأسه الى دمشق وهذا أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم وأول رأس حمل من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحرث بن يزيد التميمي فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال أريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فاني لم أدع خلفي خيرا أرجوه لك فهم بالرجوع فقال له أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير في الحياة بعدكم ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبي وقاص فعدل الى كربلاء وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أو قر ركابي فضة وذهبا * أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو بردة الاسلمي فوضع الراس بين يديه

وطنجة

وطنجة وما يليهما واستعمل باقي اخوته على مدن البربرة وفيها سار عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس الى مدينة باجة وكانت عاصية عليه من حين فتنة منصور الى الآن فملكها عنوة وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة من الاندلس على صاحبها عبد الرحمن وكان هاشم ممن خرج من طليطلة لما واقع الحكم بأهلها فسار الى قرطبة فلما كان الآن سار الى طليطلة فاجتمع اليه أهل الشر وغيرهم فسار بهم الى وادي نحو يه وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمه واشتدت شوكته واجتمع له جمع عظيم وأوقع بأهل شنت برية وكان بينه وبين البربر وقعات كثيرة فسير اليه عبد الرحمن هذه السنة جيشا فقاتلوه فلم تستظهر احدى الطائفتين على الاخرى وبقي هشام كذلك وغلب على عدة مواضع وجاوز بركة العجوز وأخذت غارة خيله فسير اليه عبد الرحمن جيشا كثيفا سنة ست عشرة ومائتين فلقيهم هاشم بالقرب من حصن سمسطا مجاورة روريه فاشتدت الحرب بينهم ودامت عدة أيام ثم انهزم هاشم وقتل هو وكثير ممن معه من أهل الطمع والشر وطالبي الفتن وكفى الله الناس شرهم وحج بالناس اسحق بن العباس بن محمد وفيها توفي أبو هاشم النبيل واسمه الضحاك بن محمد الشيباني وهو امام في الحديث وفيها توفي أبو أحمد حسين بن محمد البغدادي

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين﴾

﴿ذكر غزوة المأمون الى الروم﴾

في هذه السنة سار المأمون الى الروم في المحرم فلما سار استخلف على بغداد اسحق بن ابراهيم بن مصعب وولاه مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب عليه السلام فلقيه بها فاجازه وأمره بالدخول بابنته أم الفضل وكان زوجها منه فأدخلت عليه فلما كان أيام الحج سار بأهله الى المدينة فأقام بها وسار المأمون على طريق الموصل حتى صار الى منبج ثم الى دابق ثم الى انطاكية ثم الى المصيصة وطرسوس ودخل منها الى بلاد الروم في جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فأقام المأمون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه لاربع بقين من جمادى الاولى وقيل ان أهله طلبوا الامان فامنهم المأمون وفتح قبله حصن ماجدة بالامان ووجه اشناس الى حصن سندس فاتاه برئيسه ووجه عجيفا وجعفرا الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع وأطاع وفيها عاد المعتصم من مصر فلقي المأمون قبل دخوله الموصل ولقيه منويل وعباس بن المأمون برأس عين وفيها توجه المأمون بعد خروجه من بلاد الروم الى دمشق وحج بالناس عبد الله بن عبد الله بن العباس بن محمد وفيها توفي قبيصة بن عقبة السوائي وأبو يعقوب اسحق بن الطباخ الفقيه وعلى بن الحسين بن شقيق صاحب ابن المبارك وثابت بن محمد الكندي العابد المحدث وهوذة بن خليفة ابن عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكرة أبو الاشهب وأبو جعفر محمد بن الحرث الموصلي وأبو سليمان الداراني الزاهد توفي بداريا ومكي بن ابراهيم التميمي البلخي ببلخ وهو من مشايخ البخاري في صحيحه وقد قارب مائة سنة وأبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري اللغوي النحوي وكان عمره ثلاثا وتسعين سنة وفيها توفي عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الاصمعي اللغوي البصري وقيل سنة ست عشرة ومحمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصاري قاضي البصرة

﴿ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين﴾

﴿ذكر فتح هرقلة﴾

فأقبل ينكث بالقضيب ويقول نفلق هاما من رجال أحبة علينا وهم كانوا أعق وأظلما فقال له أبو بردة ارفع قضيبك فطال والله ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فمه على فمه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر ومحاربيه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين منهم ابنه على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا على بن الحسين بن على * نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعى

وقتل من ولد أخيه الحسن ابن على عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وأبو بكر ابن الحسن ومن اخوته العباس بن على وعبد الله ابن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن أبي طالب محمد ابن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل بن أبي طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله ابن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة اربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ضربه زرعة بن شريك التميمي كفه اليسرى وطعنه سنان بن أنس النخعي ثم نزل فاحتز رأسه وفي ذلك يقول

في هذه السنة عاد المأمون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل ألفا وستمائة من أهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل أرض الروم في جمادى الاولى فأقام الى منتصف شعبان وقيل كان سبب دخوله اليها ان ملك الروم كتب اليه بدأ بنفسه فسار اليه ولم يقرأ كتابه فلما دخل أرض الروم أناخ على انطيغو فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقلة فخرج أهلها على صلح ووجه أخاه أبا اسحق المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى بن أكثم من طوانة فأغار وقتل وأحرق فأصاب سبيا ورجع ثم سار المأمون الى كيسوم فأقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها ظهر عبدوس الفهري بمصر فوثب على عمال المعتصم فقتل بعضهم في شعبان فسار المأمون من دمشق الى مصر منتصف ذي الحجة وفيها قدم الافشين من برقة فأقام بمصر وفيها كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير اذا صلوا فبدأ بذلك منتصف رمضان فقاموا قياما وكبروا ثلاثا ثم فعلوا ذلك في كل صلاة مكتوبة وفيها غضب المأمون على علي بن هاشم ووجه عجيفا وأحمد بن هاشم وأمر بقبض أمواله وسلاحه وفيها ماتت أم جعفر زبيدة أم الامين ببغداد وفيها قدم غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن داود مستأمنا وأصلح السند واستعمل عليها عمران بن موسى العتكي وفيها هرب جعفر بن داود القمي الى قم وخلع الطاعة بها وحج بالناس في قول بعضهم سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وقيل حج بهم عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكان المأمون ولاه اليمن وجعل اليه ولاية كل بلد يدخله فسار من دمشق فقدم بغداد فصلى بالناس يوم الفطر وسار عنها فحج بالناس وفيها توفي أبو مسهر عبد الاعلى بن مسهر الغساني ببغداد ومحمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب المهلبي أمير البصرة بها ويحيى بن يعلى المحاربي واسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين﴾

في هذه السنة ظفر الافشين بالفرما من أرض مصر ونزل أهلها بامان على حكم المأمون ووصل المأمون الى مصر في المحرم من هذه السنة فأتى بعبدوس الفهري فضرب عنقه وعاد الى الشام وفيها قتل المأمون علي بن هشام وكان سبب ذلك ان المأمون كان استعمله على اذربيجان وغيرها كما تقدم ذكره فبلغه ظلمه وأخذه الاموال وقتله الرجال فوجه اليه عجيف بن عنبسة فثار به علي ابن هشام وأراد قتله واللحاق ببابك وظفر به عجيف وقدم به على المأمون فقتله وقتل أخاه حبيبا في جمادى الاولى وطيف برأس علي في العراق وخراسان والشأم ومصر ثم ألقي في البحر وفيها عاد المأمون الى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة مائة يوم ثم رحل عنها وترك عليها عجيفا فخدعه أهله وأسروه فبقي عندهم ثمانية أيام وأخرجوه وجاء توفيل ملك الروم فأحاط بعجيف فيه فبعث المأمون اليه الجنود فارتحل توفيل قبل موافاتهم وخرج أهل لؤلؤة الى عجيف بامان وأرسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك وفيها سار المأمون الى سلغوس وفيها بعث علي بن عيسى القمي الى جعفر بن داود القمي فقتل وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي وفيها توفي الحجاج بن المنهال بالبصرة وسريج بن النعمان (سريج بالسين المهملة والجيم) وسعدان بن بشر الموصلي يروي عن الثوري وفيها توفي الخليل بن أبي رافع المزني الموصلي وكان عالما عابدا وأبوه جعفر بن محمد بن أبي يزيد الموصلي وكان فاضلا

﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين﴾

الشاعر وأي رزية عدلت حسينا * غداة تبيره كفا سنان

وقتل معه من الأنصار أربعة وباقي من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر العرب وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم

عين جودي بعبرة وعويل * واندبي ان ندبت آل الرسول
وابن عم النبي غوثا أخاهم * ليس فيما ينوب بالمخذول
وسمي النبي غودر فيهم * قد علوه بصارم مصقول
واندبي كهلهم فليس اذا ما * عد في الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا * وابنه والعجوز ذات البعول

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فانتدب لذلك اسحق بن حياة الحضرمي في نفر معه فوطئوه بخيلهم ودفن أهل العامرية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

﴿ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه﴾

الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد وأمه خولة بنت اياس الحنفية وقيل ابنة جعفر بن قيس ابن مسلمة الحنفي وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلي وعمر ورقية أمهما تغلبية ويحيى وأمه أسماء بنت عميس

ذكر

﴿ذكر المحنة بالقرآن المجيد﴾

وفي هذه السنة كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أقر انه مخلوق محدث خلى سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه وطول كتابه باقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك وكان الكتاب في ربيع الاول وأمره بانفاذ سبع نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم مستملي ويزيد بن هرون ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب واسمعيل بن داود واسمعيل بن أبي مسعود وأحمد ابن الدورقي فأشخصوا اليه فسألهم وامتحنهم عن القرآن فأجابوا جميعا ان القرآن مخلوق فأعادهم الى بغداد فأحضرهم اسحق بن ابراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فأقروا بذلك فخلى سبيلهم وورد كتاب المأمون بعد ذلك الى اسحق بن ابراهيم بامتحان القضاة والفقهاء فأحضر اسحق بن ابراهيم أبا حسان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن أبي مقاتل والفضل بن غانم والذيال بن الهيثم وسجادة والقواريري وأحمد بن حنبل وقتيبة وسعدويه الواسطي وعلي بن جعد واسحق بن أبي اسرائيل وابن الهرش وابن علية الاكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمري وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفرخان وجماعة منهم النضر بن شميل وابن علي بن عاصم وأبو العوام البزاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن اسحق فأدخلوا جميعا على اسحق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه ثم قال لبشر بن الوليد ما تقول في القرآن فقال قد عرفت مقالتي أمير المؤمنين غير مرة قال فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما ترى فقال أقول القرآن كلام الله قال لم أسألك عن هذا أمخلوق هو قال الله خالق كل شيء قال فالقرآن شيء قال نعم قال فمخلوق هو قال ليس بخالق قال ليس عن هذا أسألك أمخلوق هو قال ما أحسن غير ما قلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه وليس عندي غير ما قلت لك فأخذ اسحق رقعة فقرأها عليه ووقفه عليها فقال أشهد أن لا اله الا الله أحدا فردا لم يكن قبله شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ووجه من الوجوه قال نعم قال للكاتب اكتب ما قال ثم قال لعلي بن أبي مقاتل ما تقول قال قد سمعت كلامي لامير المؤمنين في هذا غير مرة وما عندي غيره فامتحنه بالرقعة فأقر بما فيها ثم قال له القرآن مخلوق قال القرآن كلام الله قال لم أسألك عن هذا قال القرآن كلام الله فان أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا فقال للكاتب اكتب مقالته ثم قال للذيال نحوا من مقالته لعلي بن أبي مقاتل فقال مثل ذلك ثم قال لابي حسان الزيادي ما عندك قال سل عما شئت فقرأ عليه الرقعة فأقر بما فيها ثم قال ومن لم يقل هذا القول فهو كافر فقال القرآن مخلوق هو قال القرآن كلام الله والله خالق كل شيء وأمير المؤمنين امامنا وبه سمعنا عامة العلم وقد سمع ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم وقد قلده الله أمرنا فصار يقيم حجنا وصلاتنا ونؤدي اليه زكاة أموالنا ونجاهد معه ونرى امامته فان أمرنا ائتمرنا وان نهانا انتهينا قال فالقرآن مخلوق فأعاد مقالته قال اسحق فان هذه مقالة أمير المؤمنين قال قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس وان خبرتني ان أمير المؤمنين أمرك ان أقول قلت ما أمرتني به فانك الثقة فيما أبلغتني عنه قال ما أمرني ان أبلغك شيئا قال أبو حسان وما عندي الا السمع والطاعة فأمرني أأتمر قال ما أمرني ان آمركم وانما أمرني ان أمتحنكم ثم قال لاحمد بن حنبل ما تقول في القرآن قال كلام الله قال أمخلوق هو قال كلام الله ما أزيد عليها فامتحنه بما في الرقعة فلما أتى الى ليس كمثله شيء قرأ وهو السميع البصير وأمسك عن

الخثعمية وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفرا الطيار استشهد وخلف عليها عونا ومحمدا وعبد الله وأن عقب جعفر منها من عبد الله بن جعفر وان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها علي فخلف عليها يحيى وانها ابنة العجوز الجرسية التي كانت أكرم الناس اصهارا وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار العجوز الجرسية وأن أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام الوحيدية ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي وأم كلثوم الصغرى وزينب وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وقد أتينا على أنساب آل أبي طالب ومن أعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان (والعقب) لعلي من خمسة الحسن والحسين ومحمد وعمر والعباس وقد استقصى انسابهم وأتى على ذكر من لا عقب له منهم ومن له العقب وأنساب غيرهم من قريش بني هاشم وغيرهم الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وأحسن من هذا الكتاب في انساب آل أبي طالب الكتاب الذي سمع من طاهر بن يحيى العلوي الحسيني بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد صنف في انساب آل أبي طالب

ولا يشبهه شئ من خلقه فى معنى من المعانى ولا وجه من الوجوه فاعترض عليه ابن البكاء الاصغر فقال أصلحك الله انه يقول سميع من أذن وبصير من عين فقال اسحق لاحمد ما معنى قولك سميع بصير قال هو كما وصف نفسه قال فما معناه قال لا أدرى أهو هو كما وصف نفسه ثم دعا بهم رجلا رجلا كلهم يقول القرآن كلام الله الا قتيبة وعبيد الله بن محمد بن الحسن وابن علية الاكبر وابن البكاء وعبد المنعم بن ادريس بن بنت وهب بن منبه والمظفر بن مرجا ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضى الرقة وابن الاحمر فاما ابن البكاء الاكبر فانه قال القرآن مجعول لقول الله عز وجل انا جعلناه قرآنا عربيا والقرآن محدث لقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث قال اسحق فالمجعول مخلوق قال نعم قال والقرآن مخلوق قال لا أقول مخلوق ولكنه مجعول فكتب مقالته ومقالات القوم رجلا رجلا ووجهت الى المأمون فاجاب المأمون يذمهم ويذكر كلا منهم ويعيبهم ويقع فيه بشئ وأمره أن يحضر بشر بن الوليد وابراهيم بن المهدى ويمتحنهما فان أجابا والا فاضرب أعناقهما وأما من سواهما فان أجابا الى القول بخلق القرآن والا احملهم موثقين بالحديد الى عسكره مع نفر يحفظونهم فاحضرهم اسحق وأعلمهم بما أمر به المأمون فاجاب القوم أجمعون الا أربعة نفر وهم أحمد بن حنبل وسجادة والقواريرى ومحمد بن نوح المضروب فأمر بهم اسحق فشدوا فى الحديد فلما كان الغد دعاهم فى الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة والقواريرى فأطلقهما وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما فشدا فى الحديد ووجها الى طرسوس وكتب الى المأمون بتأويل القوم فيما أجابوا اليه فأجابه المأمون انى بلغنى عن بشر بن الوليد بتأويل الآية التى أنزلها الله تعالى فى عمار بن ياسر الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقد أخطأ التأويل انما عنى الله سبحانه وتعالى بهذه الآية من كان معتقدا للايمان مظهرا للشرك فاما من كان معتقدا للشرك مظهرا للايمان فليس هذا له فاشخصهم جميعا الى طرسوس ليقيموا بها الى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم فاحضرهم اسحق وسيرهم جميعا الى العسكر وهم أبو حسان الزيادى وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعلى بن مقاتل والذيال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمرى وعلى بن الجعد وأبو العوام وسجادة والقواريرى وابن الحسن بن على بن عاصم واسحق بن أبى اسرائيل والنضر بن شميل وأبو نصر التمار وسعدويه الواسطى ومحمد بن حاتم بن ميمون وأبو معمر ابن الهرش وابن الفرخان وأحمد بن شجاع وأبو هرون بن البكاء فلما صاروا الى الرقة بلغهم موت المأمون فرجعوا الى بغداد

﴿ذكر مرض المأمون ووصيته﴾

وفى هذه السنة مرض المأمون مرضه الذى مات فيه لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة وكان سبب مرضه ما ذكره سعد بن العلاف القارئ قال دعانى المأمون يوما فوجدته جالسا على جانب البذندون والمعتصم عن يمينه وهما قد دليا أرجلهما فى الماء وأمرنى ان أضع رجلى فى الماء وقال ذقه فهل رأيت أعذب منه أو أصفى صفاء أو أشد بردا ففعلت وقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت مثله قط فقال أى شئ يطيب أن يؤكل ويشرب عليه هذا الماء فقلت أمير المؤمنين أعلم فقال الرطب الازاذ فبينما هو يقول اذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فاذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الالطاف فقال لخادم انظر ان كان فى هذه الالطاف رطب ازاذ فأت به فمضى وعاد ومعه سلتان فيهما ازاذ كانما جنى تلك الساعة فاظهر شكر الله وتعجبنا جميعا وأكلنا وشربنا من ذلك الماء فما قام منا أحد الا وهو محموم وكانت منية المأمون من تلك العلة ولم يزل المعتصم مريضا حتى دخل

كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن على وكتاب أبى على الجعفرى وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وفى قتيل ألطف يقول سليمان بن قتة يرثيه على ما ذكره الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش من أبيات

فان قتيل ألطف من آل هاشم ... أذل رقابا من قريش فذلت
فان يتبعوه عائذ البيت يصبحوا ... كعاد تعمت عن هداها فضلت
ألم تر أن الارض أضحت مريضة ... بقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وان أصبحت منهم برغمى تخلت

﴿ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله﴾

ولما أفضى الامر الى يزيد ابن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا فاجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان فى اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ما شاء ان يمده ثم قطعه حين شاء ان يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل

العراق وبقيت أنا مريضا مدة فلما مرض المأمون أمر أن يكتب الى البلاد الكتب من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبى اسحق بن هرون الرشيد وأوصى الى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقضاة والقواد وكانت وصيته بعد الشهادة والاقرار بالوحدانية والبعث والجنة والنار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والانبياء انى مقر مذنب أرجو وأخاف الا انى اذا ذكرت عفو الله رجوت واذا مت فوجهونى وغمضونى وأسبغوا وضوئى وطهورى وأجيدوا كفنى ثم أكثروا حمد الله على الاسلام ومعرفة حقه عليكم فى محمد صلى الله عليه وسلم اذ جعلنا من أمته المرحومة ثم أضجعونى على سريرى ثم عجلوا بى وليصل على أقربكم نسبا وأكبركم سنا وليكبر خمسا ثم احملونى وابلغوا بى حفرتى ولينزل بى أقربكم قرابة وأودكم محبة وأكثروا من حمد الله وذكره ثم ضعونى على شقى الايمن واستقبلوا بى القبلة ثم حلوا كفنى عن رأسى ورجلى ثم سدوا اللحد واخرجوا عنى وخلونى وعملى وكلكم لا يغنى عنى شيأ ولا يدفع عنى مكروها ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيرا ان علمتم وأمسكوا عن ذكر شر ان كنتم عرفتم فانى مأخوذ من بينكم بما تقولون ولا تدعوا باكية عندى فان المعول عليه يعذب رحم الله عبدا اتعظ وفكر فيما حتم الله على خلقه من الفناء وقضى عليهم من الموت الذى لا بد منه فالحمد لله الذى توحد بالبقاء وقضى على جميع خلقه الفناء لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة هل أغنى عنى ذلك شيأ اذ جاء أمر الله لا والله ولكن أضعف على به الحساب فياليت عبد الله بن هرون لم يكن بشرا بل ليته لم يكن خلقا يا أبا اسحق ادن منى واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك فى القرآن والاسلام واعمل فى الخلافة اذ طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ولا تغتر بالله ومهلته وكأن قد نزل بك الموت ولا تغفل أمر الرعية والعوام فان الملك بهم وبتعهدك لهم الله الله فيهم وفى غيرهم من المسلمين ولا ينتهين اليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة الا قدمته وآثرته على غيره من هواك وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم فى شئ وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأنهم وعجل الرحلة عنى والقدوم الى دار ملكك بالعراق وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم فى كل وقت والخرمية فاغزهم ذا حزمة وصرامة وجلد واكنفه بالاموال والجنود فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك واعمل فى ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد الوجع وأحس بمجئ أمر الله فقال يا أبا اسحق عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن بحق الله فى عباده ولتؤثرن طاعة الله على معصيته اذا أنا نقلتها من غيرك اليك قال اللهم نعم قال هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين على صلوات الله عليه فاحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم واقبل من محسنهم ولا تغفل صلاتهم فى كل سنة عند محلها فان حقوقهم تجب من وجوه شتى اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون اتقوا الله واعملوا له اتقوا الله فى أموركم كلها أستودعكم الله ونفسى وأستغفر الله مما سلف منى انه كان غفارا فانه ليعلم كيف ندمى على ذنوبى فعليه توكلت من عظيمها واليه أنيب ولا قوة الا بالله حسبى الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد نبى الهدى والرحمة

﴿ذكر وفاة المأمون وعمره وصفته﴾

وفى هذه السنة توفى المأمون لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب فلما اشتد مرضه وحضره الموت كان عنده من يلقنه فعرض عليه الشهادة وعنده ابن ماسويه الطبيب فقال لذلك الرجل دعه فانه لا يفرق فى هذه الحال بين ربه ومانى ففتح المأمون عينيه وأراد ان يبطش به فعجز عن ذلك وأراد

ولا أشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا أراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبى صيفى فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزيه واحمده على أفضل العطيه فقال يزيد ادن منى يا ابن أبى صيفى فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير الآباء وسميت خير الاسماء ومنحت أفضل الاشياء فهناك الله بالعطيه وأعانك على الرعيه فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها مسرورة بما أحسن الله الهامى الخلافة بك والعقبى من بعده ثم أنشأ يقول

الله أعطاك التى لا فوقها ... وقد أراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها ... اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن منى يا ابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله ابن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزيه وصبرك على المصيبة وبارك لك فى العطيه ومنحك محبة الرعيه مضى معاوية لسبيله غفر الله له وأورده موارد

الكلام فعجز عنه ثم انه تكلم فقال يامن لا يموت ارحم من يموت ثم توفى من ساعته ولما توفى حمله ابنه العباس وأخوه المعتصم الى طرسوس فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد وصلى عليه المعتصم ووكلوا به حرسا من أبناء أهل طرسوس وغيرهم مائة رجل واجرى على كل رجل منهم تسعون درهما وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما سوى سنتين كان دعى له فيها بمكة وأخوه الامين محصور ببغداد وكان مولده للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وكانت كنيته أبا العباس وكان ربعة أبيض جميلا طويل اللحية رقيقها قد وخطها الشيب وقيل كان اسمر تعلوه صفرة أجنى أعين ضيق الجبهة بخده خال اسود

﴿ذكر بعض سيرته وأخباره﴾

قال محمد بن صالح السرخسي تعرض رجل للمأمون بالشأم مرارا وقال يا أمير المؤمنين انظر لعرب الشأم كما نظرت لعجم خراسان فقال له أكثرت علي والله ما أنزلت قيسا من ظهور خيولها الا وأنا أرى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد يعني فتنة ابن شبث العامري وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني حتى تكون من اشياعه وأما ربيعة فساخطة على ربها مذ بعث الله نبيه من مضر ولم يخرج اثنان الا وخرج احدهما شاريا اعرف فعل الله بك وذكر سعيد بن زياد ان المأمون قال لما دخل دمشق أتي بالكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاريته فقال اني لاشتهي ان أدري ايش هذا الغشاء على هذا الخاتم قال فقال له المعتصم حل العقدة حتى تدري ما هو فقال ما أشك ان النبي صلى الله عليه وسلم عقد هذا العقد وما كنت لاحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للواثق خذه وضعه على عينيك لعل الله ان يشفيك وجعل المأمون يضعه على عينيه ويبكي وقال العبسي صاحب اسحق بن ابراهيم كنت مع المأمون بدمشق وكان قد قل المال عنده حتى أضاق وشكا ذلك الى المعتصم فقال له يا أمير المؤمنين كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعة وكان قد حمل اليه ثلاثون ألف ألف درهم من خراج ما يتولاه له فلما ورد عليه المال قال المأمون ليحيى بن اكثم اخرج بنا ننظر هذا المال فخرجا ينظرانه وكان قد هيئ بأحسن هيئة وحليت أباعره فنظر المأمون الى شيء حسن واستكثر ذلك واستبشر به والناس ينظرون ويعجبون فقال المأمون يا أبا محمد ننصرف بالمال وأصحابنا يرجعون خائبين ان هذا للؤم ثم دعا محمد بن يزداد فقال له وقع لآل فلان بألف ألف ولآل فلان بمثلها ولآل فلان بمثلها فما زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف الف ورجله في الركاب ثم قال ادفع الباقي الى المعلى يعطيه جندنا قال العبسي فقمت نصب عينيه أنظر اليهما فلما رآني كذلك قال وقع لهذا بخمسين ألفا فقبضتها وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان انه كان بالبصرة رجل من بني تميم بن سعد وكان شاعرا ظريفا خبيثا منكرا وكنت آنس به واستحليه فقلت له أنت شاعر وأنت ظريف والمأمون أجود من السحاب الحافل فما يمنعك منه فقال ما عندي ما يحملني فقلت انا أعطيك راحلة ونفقة فأعطيته راحلة نجيبة وثلثمائة درهم فعمل ارجوزة ليست بالطويلة ثم سار الى المأمون قال فجئت اليه وهو بسلغوس قال فلبست ثيابي وانا أروم العسكر واذا بكهل على بغل فاره فتلقاني مواجهة وأنا اردد نشيد ارجوزتي فقال السلام عليك فقلت عليكم السلام ورحمة الله وبركاته قال قف ان شئت فوقفت فتضوعت منه رائحة المسك والعنبر فقال ما أولك قلت رجل من مضر قال ونحن من مضر قال ثم ماذا قلت من بني تميم قال وما بعد تميم قلت من بني سعد قال وما أقدمك قلت قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى رائحة ولا أوسع راحة قال

السرور ووفقك لصالح السياسة أصبت ١٤٦ بأعظم المصائب ومضت أفضل الرغائب فاحتسب عند الله أعظم الرزيه واشكره على أفضل العطيه وأحدث لخالقك حمدا والله يمتعنا بك ويحفظك ويحفظ لك وعليك وأنشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
أصبحت لا رزء في الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أعطيت طاعة خلق الله كلهم * وأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف * اما نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فقال له يزيد ادن مني يا ابن همام فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ومحله في قومه وزاد في أعطائهم ورفع مراتبهم وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته في حال وفاة أبيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بأبيه من العلة وورود على ثنية العقاب من أرض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر في هذا الكتاب وذكر عدة من الاخباريين وأهل السير أن عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال أرضا لك الى جانب أرض لي ولي فيها سعة فأقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني فـا

فما الذي قصدته به قلت شعر طيب يلذ على الافواه ويحلو في آذان السامعين قال فانشدنيه فغضبت وقلت يا ركيك أخبرتك أني قصدت الخليفة بمديح تقول انشدنيه فتغافل عنها وألغى عن جوابها فقال فما الذي تأمل منه قلت ان كان على ما ذكر لي فألف دينار قال أنا أعطيك الف دينار ان رأيت الشعر جيدا والكلام عذبا وأضع عنك العناء وطول الترداد متى تصل الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل قلت فلي عليك الله أن تفعل قال نعم لك الله على ان افعل فانشدته

مأمون ذا المنزلة الشريفه * وصاحب المرتبة المنيفه
وقائد الكتيبة الكثيفه * هل لك في ارجوزة ظريفه
أظرف من فقه أبي حنيفه * لا والذي أنت له خليفه
ما ظلمت في أرضنا ضعيفه * أميرنا مؤنته خفيفه
وما اقتنى شيأ سوى الوظيفه * فالذئب والنعجة في سقيفه
* واللص والتاجر في قطيفه *

قال فوالله ما عدا أن بلغت ههنا فاذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الافق يقولون السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال فاخذتني رعدة فنظر الى بتلك الحال فقال لا بأس عليك أي أخي قلت يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك من جعل الكاف مكان القاف من العرب قال حمير قلت لعن الله حمير ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم وضحك المأمون وقال لخادم معه أعطه ما معك فاخرج كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار فأخذتها ومضيت ومعنى سؤاله عن وضع الكاف موضع القاف أنه أراد ان يقول يا رقيق فقال يا ركيك وقال عمارة بن عقيل انشدت المأمون قصيدة مائة بيت فأبتدئ بصدر البيت فيبادرني الى قافيته كما قفيته فقلت والله يا أمير المؤمنين ما سمعها مني أحد قط فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم قال لي اما بلغك ان عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله بن عباس قصيدته التي يقول فيها * تشط غدا دار جيراننا * فقال ابن عباس وللدار بعد غد أبعد * حتى أنشده القصيدة يقفيها ابن عباس ثم قال انا ابن ذاك وذكر ان المأمون قال

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة * واغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فناجيت من أهوى وكنت مباعدا * فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثرا منه بعينيك بينا * لقد أخذت عيناك من عينه حسنا

قيل وانما أخذ المأمون هذا المعنى من العباس بن الاحنف فانه أخرج هذا المعنى فقال

ان تشق عيني بها فقد سعدت * عين رسولي وفزت بالخبر
وكلما جاءني الرسول لها * رددت عمدا في عينه نظري
خذ مقلتي يا رسول عارية * فانظر بها واحتكم على بصري

قيل وشكا اليزيدي يوما الى المأمون دينا لحقه فقال ما عندي في هذه الايام ما ان أعطيناك بلغت به ما تريد فقال يا أمير المؤمنين ان غرمائي قد أرهقوني قال انظر لنفسك أمرا تنال به نفعا قال ان لك ندماء فيهم من ان حركته نلت به نفعا قال أفعل قال اذا حضروا وعندك فمر فلانا الخادم يوصل رقعتي اليك فاذا قرأتها فارسل الى دخولك في هذا الوقت متعذر ولكن اختر لنفسك من أحببت قال أفعل فلما علم اليزيدي جلوس المأمون مع ندمائه وتيقن انهم قد أخذ الشراب منهم أتى الباب فدفع الى الخادم رقعته فاذا فيها

يا خير اخواني وأصحابي * هذا الطفيلي على الباب

كبير ولا أخدع عن صغير فاخبرني عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز ١٤٧ أعظم منها قدرا قال قد أقطعتك فشكره عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال

اسقني شربة تروي مشاشي * ثم صل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي * ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشمر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بأنواع من ألوان فقال في ذلك بعض شعراء الشأم في ذلك اليوم

تمسك أبا قيس بفضل عنانها

أخبر أن القوم في لذة * يصبو اليها كل أواب
فصيروني واحدا منكم * أو أخرجوا لي بعض أترابي

فقرأها المأمون عليهم وقالوا ما ينبغي ان يدخل علينا على مثل هذه الحال فارسل اليه المأمون دخولك في هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من أحببت فقال ما أريد الا عبد الله بن طاهر فقال له المأمون قد اختارك فصر اليه قال يا أمير المؤمنين وأ كون شريك الطفيلي فقال ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين فان أحببت ان تخرج اليه والا فافتد نفسك منه فقال على عشرة آلاف قال لا يقنعه فما زال يزيد عشرة عشرة والمأمون يقول لا يقنعه حتى بلغ مائة ألف فقال له المأمون فعجلها فكتب بها الى وكيله و وجه معه رسولا وأرسل اليه المأمون قبض هذه الدراهم في هذه الساعة أصلح من منادمته وأنفع لك وقال عمارة بن عقيل قال لي عبد الله بن أبي السمط أعلمت ان المأمون لا يبصر الشعر قلت ومن يكون أعلم منه فوالله انا لننشده أول البيت فيسبقنا الى آخره قال اني أنشدته بيتا أجدت فيه فلم يتحرك له قلت وما هو قال

أضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال فقلت والله ما صنعت شيأ هل زدت على ان جعلته عجوزا في محرابها فاذن من الذي يقوم بأمر الدنيا اذا تشاغل عنها وهو المطوق بها الا قلت كما قال جدي جرير في عبد العزيز بن الوليد

فلا هو في الدنيا يضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال الآن علمت أني قد أخطأت قال أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمار كان المأمون شديد الميل الى العلويين والاحسان اليهم وخبره مشهور معهم وكان يفعل ذلك طبعا لا تكلفا فمن ذلك انه توفي في أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين العلوي فحضر الصلاة عليه بنفسه ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجبوا منه ثم ان ولد الزينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وهي ابنة عم المنصور توفي بعده فأرسل له المأمون كفنا وسير أخاه صالحا ليصلي عليه ويعزي أمه فانها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة فأتاها وعزاها عنه واعتذر عن تخلفه عن الصلاة عليه فظهر غضبها وقالت لابن ابنها تقدم فصل على أبيك وتمثلت

سبكناه ونحسبه لجينا * فأبدى الكير عن خبث الحديد

ثم قالت لصالح قل له يا ابن مراجل أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لوضعت ذيلك على فيك وعدوت خلف جنازته

﴿ ذكر خلافة المعتصم ﴾

هو أبو اسحق محمد بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة بعد موت المأمون ولما بويع له شغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فأرسل اليه المعتصم فأحضره فبايعه ثم خرج الى الجند فقال ما هذا الحب البارد قد بايعت عمي فسكنوا وأمر المعتصم بخراب ما كان المأمون أمر ببنائه من طوانة مما ذكره في عدة حوادث وحمل ما أطاق من السلاح والآلة التي بها وأحرق الباقي وأعاد الناس الذين بها الى البلاد التي لهم وانصرف الى بغداد ومعه العباس بن المأمون فقدمها مستهل شهر رمضان

﴿ ذكر خلاف فضل على زيادة الله ﴾

وفي هذه السنة وجه زيادة الله بن الاغلب صاحب افريقية جيشا لمحاربة فضل بن أبي العنبر بالجزيرة وكان مخالفا لزيادة الله فاستمد فضل بعبد السلام بن المفرج الربعي وكان أيضا مخالفا من عهد فتنة

منصور

فليس عليها ان سقطت ضمان ألا من رأى القرد الذي سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان وفي يزيد وعلكه وتجبره وانقياد الناس الى ملكه يقول الاخوص

ملك تدين له الملوك مبارك
كادت لهيبته الجبال تزول
تجبي له بلخ ودجلة كلها
وله الفرات وما سقى والنيل

وقيل ان الاخوص قال هذا في معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر لما قد ورد عليهن من قتال السادات وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي
نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم
أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي

وفي فعل ابن زياد بالحسين يقول أبو الاسود الدؤلي من قصيدة

أقول وذاك من جزع ووجد
أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا
كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وسائر بني أمية وذلك

منصور كما ذكرنا فسار اليه فالتقوا مع عسكر زيادة الله وجرى بين الطائفتين قتال شديد عند مدينة اليهود بالجزيرة فقتل عبد السلام وحمل رأسه الى زيادة الله وسار فضل بن أبي العنبر الى مدينة تونس فدخلها وامتنع بها فسير زيادة الله اليه جيشا فحصروا فضلا بها وضيقوا عليه حتى فتحوها منه وقتل وقت دخول العسكر كثير من أهلها منهم عباس بن الوليد الفقيه وكان دخل في بيته لم يقاتل فدخل عليه بعض الجند فأخذ سيفه وخرج وهو يصيح الجهاد فقتل وبقي ملقى في خربة سبعة أيام لم يقربه ذو ناب ولا مخلب وكان قد سمع الحديث من ابن عيينة وغيره وكان من الصالحين وهرب كثير من أهل تونس لما ملكت ثم آمنهم زيادة الله فعادوا اليها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة عاد المأمون الى سلغوس ووجه ابنه العباس الى طوانة وأمره ببنائها وكان قد وجه الفعلة فابتدؤا في بنائها ميلا في ميل وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب وجعل على كل باب حصنا وكتب الى البلدان ليفرضوا على كل بلد جماعة ينتقلون الى طوانة وأجرى لهم لكل فارس مائة درهم ولكل راجل أربعين درهما * وفيها توفي بشر بن غياث المريسي وكان يقول بخلق القرآن والارجاء وغيرهما من البدع وفيها دخل كثير من أهل الجبال وهمذان وأصبهان وماسبذان وغيرها في دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان فوجه اليهم المعتصم العساكر وكان فيهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب وعقد له على الجبال في شوال فسار اليهم فأوقع بهم في أعمال همذان فقتل منهم ستين ألفا وهرب الباقون الى بلد الروم وقرئ كتابه بالفتح يوم التروية وحج بالناس هذه السنة صالح بن العباس بن محمد

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين ﴾

﴿ ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي ﴾

في هذه السنة ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالطالقان من خراسان يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء أمره انه كان ملازما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حسن السيرة فأتاه انسان من خراسان اسمه أبو محمد كان مجاورا فلما رآه أعجبه طريقه فقال له أنت أحق بالامامة من كل أحد وحسن له ذلك وبايعه وصار الخراساني يأتيه بالنفر بعد النفر من حجاج خراسان يبايعونه فعل ذلك مدة فلما رأى كثرة من بايعه من خراسان سارا جميعا الى الجوزجان واختفى هناك وجعل أبو محمد يدعو الناس اليه فعظم أصحابه وحمله أبو محمد على اظهار أمره فأظهره بالطالقان فاجتمع اليه بها ناس كثير وكانت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها فانهزم هو وأصحابه وخرج هاربا يريد بعض كور خراسان وكان أهلها كاتبوه فلما صار بنسا وبها والد بعض من معه فلما بصر به سأله عن الخبر فأخبره فمضى الاب الى عامل نسا فأخبره بأمر محمد بن القاسم فأعطاه العامل عشرة آلاف درهم على دلالته وجاء العامل الى محمد فأخذه واستوثق منه وبعثه الى عبد الله بن طاهر فسيره الى المعتصم فورد اليه منتصف شهر ربيع الاول فحبس عند مسرور الخادم الكبير وأجرى عليه الطعام ووكل به قوما يحفظونه فلما كان ليلة الفطر اشتغل الناس بالعيد فهرب من الحبس دلي اليه حبل من كوة كانت يدخل منها الضوء فلما أصبحوا أتوه بالطعام فلم يروه وجعلوا لمن دل عليه مائة ألف فلم يعرف له خبر

﴿ ذكر محاربة الزط ﴾

عند تنسك ابن الزبير وتألهه واظهار الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثلاث وستين وكان اخراجهم لما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فخنوا السير نحو الشأم ونعى فعل أهل المدينة ببني أمية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من أخاف المدينة أخافه الله فسمي مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف لما كان من فعله ويقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه أنشأ يقول

أبلغ أبا بكر اذا الامر انبرى
وأشرف القوم على وادي القرى
أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله بن الزبير وكان عبد الله يكنى بأبي بكر وكان يسمي يزيد السكران الخمير وكتب الى ابن الزبير

أدعو الهك في السماء فانني
أدعو عليك رجال عك وأشعرا
كيف النجاة أبا خبيب منهم
فاحتل لنفسك قبل آتي العسكرا

ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه

وفيها وجه المعتصم عجيف بن عنبسة فى جمادى الآخرة لحرب الزط الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا واخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة وأخافوا السبيل ورتب عجيف الخيل فى كل سكة من سكك البريد تركض بالاخبار فكان يأتى بالاخبار من عجيف فى يوم فسار حتى نزل تحت واسط وأقام على نهر يقال له بردودا حتى سده وأنهارا أخر كانوا يخرجون منها ويدخلون واخذ عليهم الطرق ثم حاربهم فأسر منهم فى معركة واحدة خمسمائة رجل وقتل فى المعركة ثلثمائة رجل فضرب أعناق الاسرى وبعث الرؤس الى باب المعتصم ثم أقام عجيف بازاء الزط خمسة عشر يوما فظفر منهم فيها بخلق كثير وكان رئيس الزط رجلا يقال له محمد بن عثمان وكان صاحب أمره انسانا يقال له سماق ثم استوطن عجيف وأقام بازائهم سبعة أشهر

﴿ذكر محاصرة طليطلة﴾

فى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم الاموى صاحب الاندلس جيشا مع أمية بن الحكم الى مدينة طليطلة فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم وخرجوا عن الطاعة واشتد فى حصرهم وقطع أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يذعنوا الى الطاعة فرحل عنهم وأنزل بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرة المعروف بفتى أبى أيوب فلما أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه غرضا وكان ميسرة قد بلغه الخبر فجعل الكمين فى مواضع فلما وصل أهل طليطلة الى قلعة رباح للغارة خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم وأكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزما الى طليطلة وجمعت رؤس القتلى وحملت الى ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه وارتاع لذلك ووجد فى نفسه غما شديدا فمات بعد أيام يسيرة وفيها أيضا كان بطليطلة فتنة كبيرة تعرف بلحمة العراس قتل من أهلها كثير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها أحضر المعتصم أحمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن فلم يجب الى القول بخلقه فأمر به فجلد جلدا عظيما حتى غاب عقله وتقطع جلده وحبس مقيدا وفيها قدم اسحق بن ابراهيم الى بغداد فى جمادى الاولى ومعه من اسرى الخرمية خلق كثير وقيل انه قتل منهم نحو مائة ألف سوى النساء والصبيان وفيها توفى أبو نعيم الفضل بن دكين الملائى مولى طلحة بن عبد الله التيمى فى شعبان وهو من مشايخ البخارى ومسلم كان مولده سنة ثلاثين ومائة وكان شيعيا وله طائفة تنسب اليه يقال لها الدكينية

﴿ثم دخلت سنة عشرين ومائتين﴾

﴿ذكر ظفر عجيف بالزط﴾

وفى هذه السنة دخل عجيف بالزط بغداد بعد ان ضيق عليهم وقاتلهم وطلبوا منه الامان فآمنهم فخرجوا اليه فى ذى الحجة سنة تسع عشرة ومائتين وكانت عدتهم مع النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفا والمقاتلة منهم اثنا عشر ألفا فلما خرجوا اليه جعلهم فى السفن وعباهم فى سفنهم على هيئتهم فى الحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من هذه السنة وخرج المعتصم الى الشماسية فى سفينة يقال لها الزو حتى مر به الزط على تعبيتهم وهم ينفخون فى البوقات وأعطى عجيف أصحابه كل رجل دينارين دينارين وأقام الزط فى سفنهم ثلاثة أيام ثم نقلوا الى الجانب الشرقى وسلموا الى بشر بن السميدع فذهب بهم الى خانقين ثم نقلوا الى الثغر الى عين

أهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فممن قتل من آل أبى طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وجعفر ابن محمد بن على بن أبى طالب ومن بنى هاشم من غير آل أبى طالب الفضل بن العباس ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن أبى لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على ابن الحسين بن على بن أبى طالب السجاد وعلى بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد بن أسلم

فان تقتلونا يوم حرة واقم
فنحن على الاسلام أول من قتل
ونحن تركناكم ببدر أذلة
وأبنا بأسياف لنا منكم تفل

ونظر الناس الى على بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو فأتى به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه وقال له سلنى حوائجك فلم يسأله فى أحد ممن قدم

زربة

زربة فأغارت الروم عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد

﴿ذكر مسير الافشين لحرب بابك الخرمى﴾

وفى هذه السنة عقد المعتصم للافشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجهه لحرب بابك فسار اليه وكان ابتداء خروج بابك سنة احدى ومائتين فكانت مدينته البذ وهزم من جيوش السلطان عدة وقتل من قواده جماعة فلما افضى الامر الى المعتصم وجه أبا سعيد محمد بن يوسف الى اردبيل وأمره أن يبنى الحصون التى أخربها بابك فيما بين زنجان واردبيل ويجعل فيها الرجال تحفظ الطرق لمن يجلب الميرة الى اردبيل فتوجه أبو سعيد لذلك وبنى الحصون ووجه بابك سرية فى بعض غزاته فأغارت على بعض النواحى ورجعت منصرفة وبلغ ذلك أبا سعيد فجمع الناس وخرج فى طلب السرية فاعترضها فى بعض الطرق فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل أبو سعيد من أصحاب بابك جماعة وأسر جماعة واستنقذ ما كانوا أخذوه وسير الرؤس والاسرى الى المعتصم فكانت هذه أول هزيمة على أصحاب بابك ثم كانت الاخرى لمحمد بن البعيث وذلك ان محمدا كان فى قلعة له حصينة تسمى الشاهى كان ابن البعيث قد أخذها من ابن الرواد وهى من كورة اذربيجان وله حصن آخر من اذربيجان يسمى تبريز وكان مصالحا لبابك تنزل سراياه عنده فيضيفهم حتى أنسوا به ثم ان بابك وجه قائدا اسمه عصمة من أصبهبذيته فى سرية فنزل بابن البعيث فأنزل له الضيافة على عادتها واستدعاه له فى خاصته ووجوه أصحابه فصعد فغداهم وسقاهم الخمر حتى سكروا ثم وثب على عصمة فاستوثق منه وقتل من كان معه من أصحابه وأمره ان يسمى رجلا رجلا من أصحابه فكان يدعو الرجل باسمه فيصعد فيضرب عنقه حتى علموا بذلك فهربوا وسير عصمة الى المعتصم فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك فأعلمه طرقه ووجوه القتال فيها ثم ترك عصمة محبوسا فبقى الى أيام الواثق ثم ان الافشين سار الى بلاد بابك فنزل برزند وعسكر بها وضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين اردبيل وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خش فحفر خندقا وأنزل الهيثم الغنوى برستاق ارشق فأصلح حصنه وحفر خندقه وأنزل علويه الاعور من قواد الابناء فى حصن النهر مما يلى اردبيل فكانت السابلة والقوافل تخرج من اردبيل ومعها من يحميها حتى تنزل بحصن النهر ثم يسيرها صاحب حصن النهر الى الهيثم الغنوى فيلقاه الهيثم بمن جاء اليه من ناحية فى موضع معروف لا يتعداه احدهم اذا وصل اليه فاذا لقيه أخذ ما معه وسلم اليه ما معه ثم يسير الهيثم بمن معه الى أصحاب أبى سعيد فيلقونه بمنتصف الطريق ومعهم من خرج من العسكر فيتسلمون ما مع الهيثم ويسلمون اليه ما معهم واذا سبق أحدهم الى المنتصف لا يتعداه ويسير أبو سعيد بمن معه الى عسكر الافشين فيلقاه صاحب سيارة الافشين فيتسلمهم منه ويسلم اليه من صحبه من العسكر فلم يزل الامر على هذا وكانوا اذا ظفروا باحد من الجواسيس حملوه الى الافشين فكان يحسن اليهم ويهب لهم ويسألهم عن الذى يعطيهم بابك فيضعفه لهم ويقول كونوا جواسيس لنا فكان ينتفع بهم

﴿ذكر وقعة الافشين مع بابك﴾

وفيها كانت وقعة الافشين مع بابك قتل من أصحاب بابك خلق كثير وكان سببها ان المعتصم وجه بغا الكبير الى الافشين ومعه مال للجند والنفقات فوصل اردبيل فبلغ بابك الخبر فتهيأ هو وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله الى الافشين فجاء جاسوس الى الافشين فأخبره بذلك فلما صح الخبر عند الافشين كتب الى بغا ان يظهر انه يريد الرحيل ويحمل المال على الابل ويسير نحوه

الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه فقيل لعلى رأيناك تحرك شفتيك فما الذى قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك من شره وأدرأ بك فى نحره أسألك ان تؤتينى خيره وتكفينى شره وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأى منى لقد ملئ قلبى منه رعبا وأما على ابن عبد الله فان أخواله من كندة منعوه منه وأناس من ربيعة كانوا فى جيشه فقال على فى ذلك

ابا العباس قوم من لؤى
وأخوالى الملوك بنو وليعة
هم منعوا ذمارى يوم جاءت
كتائب مسرف وبنى اللكيعة
أراد بى التى لا عز فيها
فحالت دونه أيدى ربيعة

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبى وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل مكة بأمر يزيد وذلك فى سنة أربع وستين فلما انتهى الى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء فى اشعارها من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قبة

فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا

حتى يبلغ حصن النهر فيحبس الذى معه حتى يجوز من صحبه من القافلة فاذا جاز وارجع بالمال الى اردبيل فنعل بغا ذلك وسارت القافلة وجاءت جواسيس بابك اليه فاخبروه ان المال قد سار فبلغ النهر وركب الافشين فى اليوم الذى واعد فيه بغا عند العصر من برزند فوافى خش مع غروب الشمس فنزل خارج خندق أبى سعيد فلما أصبح ركب سرا ولم يضرب طبلا ولم ينشر علما وأمر الناس بالسكوت وجد فى السير ورحلت القافلة التى كانت توجهت ذلك اليوم من النهر الى ناحية الهيثم وتعبى بابك فى أصحابه وسار على طريق النهر وهو يظن أن المال يصادفه فخرجت خيل بابك على القافلة ومعها صاحب النهر فقاتلهم صاحب النهر فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند وأخذوا جميع ما كان معهم وعلموا أن المال قد فاتهم وأخذوا علمه ولباس أصحابه فلبسوها وتنكروا ليأخذوا الهيثم الغنوى ومن معه أيضا ولا يعلمون بخروج الافشين وجاؤا كانهم أصحاب النهر فلم يعرفوا الموضع الذى يقف فيه علم صاحب النهر فوقفوا فى غيره وجاء الهيثم فوقف فى موضعه وانكر ما رأى فوجه ابن عم له فقال له اذهب الى هذا البغيض فقل له لاى شئ وقوفك بحذاء اليهم فأنكرهم فرجع اليه فأخبره فانفذ جماعة غيره فانكروهم أيضا وأخبروه ان بابك قد قتل علويه صاحب النهر وأصحابه وأخذ أعلامهم ولباسهم فرحل الهيثم راجعا ونجى القافلة التى كانت معه وبقى هو وأصحابه فى اعقابهم حامية لهم حتى وصلت القافلة الى الحصن وهو ارشق وسير رجلين من أصحابه الى الافشين والى أبى سعيد يعرفهما الخبر فخرجا يركضان ودخل الهيثم الحصن ونزل بابك عليه ووضع له كرسى بحيال الحصن وأرسل الى الهيثم ان خل الحصن وانصرف فابى الهيثم ذلك فحاربه بابك وهو يشرب الخمر على عادته والحرب مشتبكة وسار الفرسان فلقيا الافشين على أقل من فرسخ فقال لصاحب مقدمته أرى فارسين يركضان ركضا شديدا ثم قال اضربوا الطبل وانشروا الاعلام واركضوا نحوهما وصيحوا لبيكما لبيكما ففعلوا ذلك وأجرى الناس خيلهم طلقا واحدا حتى لحقوا بابك وهو جالس فلم يطق ان يركب حتى وافته الخيل فاشتبكت الحرب فلم يفلت من رجالة بابك أحد وأفلت هو فى نفر يسير من خيالته ودخل موقان وقد تقطع عنه أصحابه ورجع عنه الافشين الى برزند وأقام بابك بموقان وأرسل الى البذ فجاءه عسكر فرحل بهم من موقان حتى دخل البذ ولم يزل الافشين معسكرا ببرزند فلما كان فى بعض الايام مرت قافلة فخرج عليها اصبهبذ بابك فاخذها وقتل من فيها فقحط عسكر الافشين لذلك فكتب الافشين الى صاحب مراغة بحمل الميرة وتعجيلها فوجه اليه قافلة عظيمة فيها قريب من ألف ثور سوى غيرها من الدواب تحمل الميرة ومعها جند يسيرون بها فخرج عليهم سرية لبابك فاخذوها عن آخرها وأصاب العسكر ضيق شديد فكتب الافشين الى صاحب شيروان يأمره ان يحمل اليه طعاما فحمل اليه طعاما كثيرا وأغاث الناس وقدم بغا على الافشين بما معه

﴿ ذكر بناء سامرا ﴾

وفى هذه السنة خرج المعتصم الى سامرا لبنائها وكان سبب ذلك انه قال انى اتخوف هؤلاء الحربية ان يصيحوا صيحة فيقتلون غلمانى فأريد ان أكون فوقهم فان رابنى منهم شئ أتيتهم فى البر والماء حتى آتى عليهم فخرج اليها فاعجبه مكانها وقيل كان سبب ذلك ان المعتصم كان قد أكثر من الغلمان الاتراك فكانوا لا يزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلا وذلك انهم كانوا جفاة يركبون الدواب فيركضونها الى الشوارع فيصدمون الرجل والمرأة والصبى فيأخذهم الابناء عن دوابهم ويضربونهم وربما هلك أحدهم فتأذى بهم الناس ثم ان المعتصم ركب يوم عيد فقام

كعادة نعمت عن هداها فضلت ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير فى المسجد ومعه المختار بن أبى عبيد الثقفى داخلا فى جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأيا ولا يعصى له أمرا فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمى مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما واشتد الامر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف ففى ذلك يقول أبو وجزة المدنى

ابن نمير بئس ما ولى ... قد أحرق المقام والمصلى

وليزيد وغيره أخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصى وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

اليه شيخ فقال له يا أبا اسحق فاراد الجند ضربه فمنعهم فقال يا شيخ مالك قال لا جزاك الله عن الجوار خيرا جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فاسكنتهم بيننا فايتمت صبياننا وارملت بهم نسواننا وقتلت رجالنا والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم ير راكبا الى مثل ذلك اليوم فخرج فصلى بالناس العيد ولم يدخل بغداد بل سار الى ناحية القاطول ولم يرجع الى بغداد قال مسرور الكبير سألنى المعتصم أين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر ببغداد قلت بالقاطول وكان قد بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم وكان قد خاف من الجند ما خاف المعتصم فلما وثب أهل الشام بالشام وعصوا خرج الى الرقة فاقام بها وبقيت مدينة القاطول لم تستتم ولما خرج المعتصم الى القاطول استخلف ببغداد ابنه الواثق وكان المعتصم قد اصطنع قوما من أهل الحوف بمصر واستخدمهم وسماهم المغاربة وجمع خلقا من سمرقند واشروسنة وفرغانة وسماهم الفراغنة فكانوا من أصحابه وبقوا بعده وكان ابتداء العمارة بسامرا سنة احدى وعشرين ومائتين

﴿ ذكر قبض الفضل بن مروان ﴾

وكان الفضل بن مروان من البردان وكان حسن الخط فاتصل بيحيى الجرمقانى كاتب المعتصم قبل خلافته فكان يكتب بين يديه فلما هلك الجرمقانى صار موضعه وسار مع المعتصم الى الشام ومصر فاخذ من الاموال الكثير فلما صار المعتصم خليفة كان اسمها له وكان معناها للفضل واستولى على الدواوين كلها وكنز الاموال وكان المعتصم يأمره باعطاء المغنى والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك فثقل على المعتصم وكان له مضحك اسمه ابراهيم يعرف بالهفتى فامر له المعتصم بمال وتقدم الى الفضل باعطائه فلم يعطه شيأ فبينا الهفتى يوما عند المعتصم يمشى معه فى بستان له وكان الهفتى يصحبه قبل الخلافة ويقول له فيما يداعبه والله لا تفلح أبدا وكان مربوعا بدينا وكان المعتصم خفيف اللحم فكان يسبقه ويلتفت اليه ويقول مالك لا تسرع المشى فلما أكثر عليه من ذلك قال الهفتى مداعبا له كنت أرانى أماشى خليفة واليوم أرانى أماشى فيجا والله لا أفلحت أبدا فضحك المعتصم فقال وهل بقى من الفلاح شئ لم أدركه بعد الخلافة فقال أتظن انك أفلحت لا والله مالك من الخلافة الا اسمها ما يجاوز أمرك اذنيك انما الخليفة الفضل فقال وأى أمر لى لم ينفذ فقال الهفتى أمرت لى بكذا وكذا منذ شهرين فما أعطيت حبة فحقدها على الفضل فقيل أول ما أحدثه فى أمره ان جعل زماما فى نفقات الخاصة وفى الخراج وجميع الاعمال ثم نكبه وأهل بيته فى صفر وأمرهم بعمل حسابهم وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات فنفى الفضل الى قرية فى طريق الموصل تعرف بالسن وصار محمد وزيرا كاتبا وكان الفضل شرس الاخلاق ضيق العطن كريه اللقاء بخيلا مستطيلا فلما نكب شمت به الناس حتى قال بعضهم فيه

لبيك على الفضل بن مروان نفسه ... فليس له باك من الناس يعرف

لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها ... وفارقها وهو الظلوم المعنف

الى النار فليذهب ومن كان مثله ... على أى شئ فاتنا منه نأسف

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة سير عبد الرحمن ملك الاندلس جيشا الى طليطلة فقاتلوها فلم يظفروا بها وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد وفيها توفى سليمان بن داود بن على بن عبد الله بن عباس بن أيوب الهاشمى وعفان بن مسلم أبو عثمان الصفار البصرى وكان موته ببغداد وله خمس وثمانون سنة وهو من مشايخ البخارى وتوفى فتح الموصلى الزاهد وكان من الاولياء والاجواد ومحمد بن على بن موسى بن

﴿ ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان ابن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم ﴾

(قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه فكانت أيامه أربعين يوما الى أن مات وقيل شهرين وقيل غير ذلك وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بابى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

انى أرى فتنة هاجت مراجلها ... والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف اتقلد وزرها وتتعجلون أنتم حلاوتها وأتعجل مرارتها اللهم انى برئ منها متخل عنها اللهم انى لا أجد نفرا كاهل الشورى فاجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتنى يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام توفي ببغداد وكان قدمها ومعه امرأته أم الفضل ابنة المأمون فدفن بها عند جده موسى بن جعفر وهو أحد الائمة عند الامامية وصلى عليه الواثق وكان عمره خمسا وعشرين سنة وكانت وفاته في ذي الحجة وقيل في سبب موته غير ذلك

﴿ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائتين﴾

﴿ذكر محاربة بابك﴾

في هذه السنة واقع بابك بغا الكبير فهزمه وواقعه الافشين فهزم بابك وكان سبب ذلك أن بغا الكبير كان قد قدم بالمال الذي كان معه الى الافشين ففرقه في اصحابه وتجهز بعد النيروز ووجه الى بغا في عسكر ليدور حول هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد ويحفره ويحكمه فسار بغا الى الخندق ورحل الافشين من برزند ورحل ابو سعيد من خش يريدان بابك فتوافوا بمكان يقال له دروذ فحفر الافشين خندقا وبنى عليه سورا وكان بينه وبين البذ ستة أميال ثم ان بغا تجهز بغير أمر الافشين وحمل معه الزاد ودار حول هشتادسر حتى دخل قرية البذ فنزلها فأقام بها ثم وجه ألف رجل في علافة له فخرج عليهم بعض عساكر بابك وأخذ العلافة وقتل كل من كان قاتله وأسر من قدر عليه وأخذ بعضهم فأرسل منهم رجلين الى الافشين يعلمانه ما نزل بهم ورجع بغا الى خندق محمد بن حميد تشبها بالمنهزم وكتب الى الافشين يعلمه ذلك ويسأله المدد فوجه اليه الافشين أخاه الفضل واحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناحا الاعور صاحب شرطة الحسن بن سهل واحد الاخوين قرابة الفضل بن سهل فأتوا بغا وكتب الافشين الى بغا يعلمه ان يغزو بابك في يوم عينه له ويأمره ان يغزو في ذلك اليوم بعينه فيحاربه من الوجهين فخرج الافشين ذلك اليوم من دروذ يريد بابك وخرج بغا من خندقه فخرج الى هشتادسر فلم يكن للناس صبر لشدة البرد والريح فانصرف الى عسكره فعسكر على دعوة وهاجت ريح باردة ومطر شديد فرجع بغا الى عسكره وواقعهم الافشين من الغد بعد رجوع بغا فهزم أصحاب بابك وأخذ عسكره وخيمه وامرأة كانت معه ونزل الافشين في معسكر بابك ثم تجهز بغا من الغد وصعد الى هشتادسر فأصاب العسكر وكان بازائه قد انصرف الى بابك فأصاب من أثاثهم ورحلهم شيأ وانحدر من هشتادسر يريد البذ وعلى مقدمته داود سياه فأرسل اليه بغا ان المساء قد أدركنا وقد تعب الرجالة وتوسطنا المكان الذي قد تعرفه فانظر جبلا حصينا حتى نعسكر فيه ليلتنا هذه فصعد بهم الى جبل أشرفوا منه على عسكر الافشين فقال نبيت ههنا الى غدوة وننحدر الى الكافر ان شاء الله تعالى فجاءهم تلك الليلة سحاب وبرد وثلج كثير فأصبحوا ولا يقدر أحد منهم أن ينزل فيأخذ ماء ولا يسقي دابته من شدة البرد واشتد عليهم الثلج والضباب فلما كان اليوم الثالث قال الناس لبغا قد فني ما معنا من الزاد وقد أضر بنا البرد فانزل على أي حالة كانت اما راجعين واما الى الكافر وكان بابك في أيام الضباب والثلج قد بيت الافشين وبعض عسكره وانصرف الافشين الى عسكره فضرب بغا الطبل وانحدر يريد البذ ولا يعلم بما تم على الافشين بل يظنه في موضع عسكره فلما نزل الى بطن الوادي رأى السماء مضلية والدنيا طيبة غير رأس الجبل الذي كان عليه فعبى أصحابه وتقدم الى البذ حتى صار بحيث يلزق جبل البذ ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات البذ الا صعود نصف ميل وكان على مقدمته جماعة فيهم غلام لابن البعيث له قرابة بالبذ فلقيهم طلائع بابك فعرف بعضهم الغلام فسأله عمن معه من أهله فأخبره فقال له ارجع وقل لمن تعنى به يتنحى فانا قد هزمنا الافشين ومضى الى خندقه وتهيأنا لكم عسكرين فعجل الانصراف لعلك تفلت فرجع الغلام

فاخبر

وأبوه بوز رها ومنعها أهلها كلا أني ابرى منها (وقد تنوزع) في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقي شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان فقالوا نبايعك قال على ان لا أحارب ولا أباشر قتالا فأبوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل في جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجي أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي فقال المختار بن أبي عبيد الثقفي لابن الزبير اني لأعرف قوما لو أن لهم رجلا له رفق وعلم بما يأتي لاستخرج لك منهم جندا تغلب بهم أهل الشأم فقال من هم قال شيعة بني هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر

فاخبر ابن البعيث فاخبر بغا بذلك فشاور أصحابه فقال بعضهم هذا باطل هذه خدعة وقال بعضهم هذا رأس جبل ينظر الى عسكر الافشين فصعد بغا ومعه نفر الى رأس الجبل فلم يروا عسكر الافشين فتيقن انه مضى وتشاوروا فرأوا ان ينصرف الناس قبل ان يجيئهم الليل فانصرفوا وجدوا في السير ولم يقصد الطريق الذي دخل منه لكثرة مضايقه بل أخذ طريقا بدور حول هشتادسر ليس فيه غير مضيق واحد فطرح الرجالة سلاحهم في الطريق وخافوا وصار بغا وجماعة القواد في الساقة وطلائع بابك تتبعهم وهم قدر عشرة فرسان فشاور بغا أصحابه وقال لا آمن ان يكون هؤلاء مشغلة لنا عن السير وتقدم أصحابهم ليأخذوا المضيق علينا فقال له الفضل ان هؤلاء أصحاب الليل فأسرع السير ولا تنزل حتى تجاوز المضيق وقال غيره ان العسكر قد تقطع وقد رموا سلاحهم وقد بقي المال والسلاح على البغال ليس معه أحد ولا نأمن ان يؤخذ ويؤخذ الاسير الذي معهم وكان ابن جويدان معهم أسيرا يريدون ان يفادوا به فعسكر على رأس جبل حصين ونزل الناس وقد كلوا وتعبوا وفنيت أزوادهم فباتوا يتحارسون من ناحية المصعد فأتاهم بابك من الناحية الاخرى فكبسوا بغا والعسكر وخرج بغا راجلا فرأى دابة فركبها وجرح الفضل بن كاوس وقتل جناح السكري وابن جوشن وأخذ الاخوين قرابة الفضل بن سهل ونجا بغا والناس ولم تتبعهم الخرمية وأخذوا المال والسلاح والاسير فوصل الناس معسكرهم منقطعين الى خندقهم فأقام بغا به خمسة عشر يوما وكتب اليه الافشين يأمره بالرجوع الى مراغة وان يرسل اليه المدد فمضى بغا الى مراغة وفرق الافشين الناس في مشاتيهم تلك السنة حتى جاء الربيع وفيها قتل طرخان وهو من أكبر قواد بابك وكان سبب قتله انه طلب من بابك اذنا حتى يشتي في قريته وهي بناحية مراغة وكان الافشين يرصده فلما علم خبره أرسل الى ترك مولى اسحق بن ابراهيم وهو بمراغة يأمره أن يسري اليه في قريته حتى يقتله أو يأخذه أسيرا ففعل ترك ذلك وأسرى اليه وقتله وأخذ رأسه فبعثه الى الافشين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة قدم صول ارتكين وأهل بلاده في القيود فنزعت قيودهم وحمل على الدواب نحو مائتين وفيها غضب الافشين على رجاء الحضاري وبعث به مقيدا وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله وهو والي مكة (الحضاري بكسر الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبعد الالف راء وياء) وفيها توفي القاضي أحمد بن محرز قاضي القيروان وكان من العلماء العاملين الزاهدين في الدنيا * وفيها توفي آدم بن أبي الياس العسقلاني وهو من مشايخ البخاري في صحيحه وعيسى بن أبان بن صدقة أبو موسى قاضي البصرة وهو من أصحاب أبي الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفه وعبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي صاحب مالك وعبد الكبير بن المعافى بن عمران الموصلي وكان فاضلا والعباس بن سليم بن جميل الازدي الموصلي

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين﴾

﴿ذكر محاربة بابك أيضا﴾

في هذه السنة وجه المعتصم الى الافشين جعفر الخياط مددا له ووجه اليه ايتاخ ومعه ثلاثون ألف ألف درهم للجند وللنفقات فأوصل ذلك الى الافشين وعاد وفيها كانت وقعة بين أصحاب الافشين وقائد لبابك اسمه آذين وكان سببها ان الشتاء لما انقضى سنة احدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع ودخلت سنة اثنتين وعشرين رحل الافشين عند امكان الزمان فصار الى موضع يقال

الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فاخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجحد بيعته وكتب المختار كتابا الى علي بن الحسين السجاد يريده على أن يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وانفذ اليه مالا كثيرا فأبى علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤس الملا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبي طالب فلما أيس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك فأشار عليه علي بن الحسين ان لا يجيبه الى شئ من ذلك فان الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم

له كلان روذ وتفسيره نهر كبير فاحتفر عنده خندقا وكتب الى أبى سعيد ليرحل من برزند الى طرف رستاق كلان روذ وبينهما قدر ثلاثة أميال فأقام الافشين بكلان روذ خمسة أيام فأتاه من أخبره ان قائدا لبابك اسمه آذين قد عسكر بازائه وانه قد صير عياله فى خيل فقال له بابك اجعلهم فى الحصن فقال لا أتحصن من اليهود يعنى المسلمين والله لا أدخلتهم حصنا أبدا فوجه الافشين ظفر بن العلاء السعدى فى جماعة من الفرسان والرجالة فسار واليلتهم فوصلوا الى مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد وأكثر الناس قادوا دوابهم وتسلقوا فى الجبل وأخذوا عيال آذين وبعض ولده وبلغ الخبر آذين وكان الافشين قد خاف ان يؤخذ عليهم الطريق فأمرهم ان يجعلوا على رأس كل جبل رجالا معهم الاعلام السود فان رأوا شيأ يخافونه حركوا الاعلام ففعلوا ذلك فلما أخذوا عيال آذين ورجعوا الى بعض الطريق قبل المضيق أتاهم آذين فى أصحابه فحاربوهم فقتل منهم قتلى واستنقذوا بعض النساء فنظر الرجال المرتبون برؤس الجبال فحركوا الاعلام وكان آذين قد أنفذ من يمسك عليهم المضيق فلما رأى الافشين تحريك العلم الذى بازائه سير جماعة من الجند مع مظفر بن كبذر فاسرع نحوهم ووجه أباسعيد بعدهم وبخاراخذاه فلما نظر اليهم رجالة آذين الذين على المضيق تركوه وقصدوا أصحابهم فنجا ظفر بن العلاء ومن معه ومعهم بعض عيال آذين

﴿ذكر فتح البذ وأسر بابك﴾

وفى هذه السنة فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون وخربوها واستباحوها وذلك لعشر بقين من شهر رمضان وكان سبب ذلك ان الافشين لما عزم على الدنو من البذ والرحيل من كلان روذ جعل يتقدم قليلا قليلا خلاف ما تقدم وكتب اليه المعتصم يأمره ان يجعل الناس نوائب يقفون على ظهور الخيل نوبا فى الليل مخافة البيات فضج الناس من التعب وقالوا بيننا وبين العدو أربعة فراسخ ونحن نفعل أفعالا كان العدو بازائنا قد استحيينا من الناس أقدم بنا فاما لنا واما علينا فقال أعلم ان قولكم حق ولكن أمير المؤمنين أمرنى بهذا فلم يلبث ان جاءه كتاب المعتصم يأمره ان يفعل كما كان يفعل فلم يزل كذلك أياما ثم انحدر حتى نزل روذ الروذ وتقدم حتى شارف الموضع الذى كانت به الوقعة فى العام الماضى فوجد عليه كردوسا من الخرمية فلم يحاربهم ولم يزل الى الظهر ثم رجع الى معسكره فمكث يومين ثم عاد فى أكثر من الذين كانوا معهم ولم يقاتلهم وأقام الافشين بروذ الروذ وأمر الكوهبانية وهم أصحاب الاخبار ان ينظروا له فى رؤس الجبال مواضع تحصن فيها الرجالة فاختاروا له ثلاثة أجبل كان عليها حصون خربت فأخذ معه الفعلة وسار نحو هذه الجبال وأخذ معه الكعك والسويق وأمر الفعلة بنقل الحجارة وسد الطريق الى تلك الجبال حتى صارت كالحصون وأمر بحفر خندق على كل طريق وراء تلك الحجارة ولم يترك مسلكا الى الجبال منها الا مسلكا واحدا ففرغ من الذى أراد من حفر الخنادق فى عشرة أيام وهو والناس يحرسون الفعلة والرجالة ليلا ونهارا فلما فرغ منها أدخل الرجالة اليها وأنفذ اليه بابك رسولا ومعه قثاء وبطيخ وخيار ويعلمه انه قد تعب وشقى من أكل الكعك وانه فى عيش رغد فقبل ذلك منه وقال قد عرفت ما أراد أخى وأصعد الرسول فأراه ما عمل وأطاف به خنادقه كلها وقال اذهب فعرفه ما رأيت وكان جماعة من الخرمية يأتون الى قرب خندق الافشين فيصيحون فلم يترك الافشين أحدا يخرج اليهم فعلوا ذلك ثلاثة أيام ثم ان الافشين كمن لهم كمينا فلما جاؤا ثاروا عليهم فهربوا ولم يعودوا وعبى الافشين أصحابه وأمر كلا منهم بلزوم موضعه وكان يركب والناس فى مواقفهم

وتقربه اليهم بحبهم وباطنه
مخالف لظاهره فى الميل
اليهم والتولى لهم والبراءة
من أعدائهم بل هو من
أعدائهم لا من أوليائهم
والواجب عليه ان يشهر أمره
ويظهر كذبه على حسب
ما فعل هو وأظهر من القول
فى مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأتى ابن
الحنفية ابن عباس فأخبره
بذلك فقال له ابن العباس
لا تفعل فانك لا تدرى
ما أنت عليه من ابن الزبير
فاطاع ابن عباس وسكت
عن عيب المختار واشتد أمر
المختار بالكوفة وكثر رجاله
ومال الناس اليه وأقبل
يدعو الناس على طبقاتهم
ومقاديرهم فى أنفسهم
وعقولهم فمنهم من يخاطبه
بامامة محمد بن الحنفية ومنهم
من يرفعه عن هذا فيخاطبه
بان الملك يأتيه بالوحى
ويخبره بالغيب وتتبع
قتلة الحسين فقتلهم قتل
عمرو بن سعد بن أبى وقاص
الزهرى وهو الذى تولى
حرب الحسين يوم كربلاء
وقتله ومن معه فزاد ميل
أهل الكوفة اليه ومحبتهم
له وأظهر ابن الزبير الزهد
فى الدنيا والعبادة مع
الحرص على الخلافة وقال
انما بطنى شبر فما عسى ان
يسع ذلك من الدنيا وأنا

فكان يصلى الصبح بغلس ثم يضرب الطبول ويسير زحفا وكانت علامته فى المسير والوقوف ضرب الطبول لكثرة الناس ومسيرهم فى الجبال والاودية على مصافهم فاذا سار ضربها واذا وقف أمسك عن ضربها فيقف الناس جميعا ويسيرون جميعا وكان يسير قليلا قليلا كلما جاءه كوهبانى بخبر سار أو وقف وكان اذا أراد أن يتقدم الى المكان الذى كانت به الوقعة عام أول خلف بخاراخذاه على رأس العقبة فى ألف فارس وستمائة راجل يحفظون الطريق لئلا يأخذه الخرمية عليهم وكان بابك اذا أحس بمجيئهم وجه جمعا من أصحابه فيكمنون فى واد تحت تلك العقبة تحت بخاراخذاه واجتهد الافشين ان يعرف مكان كمين بابك فلم يعلم بهم وكان يأمر أباسعيد ان يعبر الوادى فى كردوس ويأمر جعفر الخياط ان يعبر فى كردوس ويأمر أحمد بن الخليل ابن هشام ان يعبر فى كردوس آخر فيصير فى ذلك الجانب ثلاثة كراديس فى طرف اساتهم ؟ وكان بابك يخرج عسكره فيقف بازاء هذه الكراديس لئلا يتقدم منهم أحد الى باب البذ وكان يفرق عساكره كمينا ولم يبق الا فى نفر يسير وكان الافشين يجلس على تل مشرف ينظر الى قصر بابك والناس كراديس فمن كان معه من جانب الوادى نزل عن دابته ومن كان من ذلك الجانب مع أبى سعيد وجعفر وأحمد بن الخليل لم يترك القربة من العدو وكان بابك وأصحابه يشربون الخمر ويضربون بالسرنائى فاذا صلى الافشين الظهر رجع الى خندقه بروذ الروذ فكان يرجع أولا أقربهم الى العدو ثم الذى يليه فكان آخر من يرجع بخاراخذاه لانه كان أبعدهم عن العدو فاذا رجعوا أصاح بهم الخرمية فلما كان فى بعض الايام ضجرت الخرمية من المطاولة وانصرف الافشين كعادته وعادت الكراديس التى بجانب ذلك الوادى ولم يبق الا جعفر الخياط فتح الخرمية باب البذ وخرج منهم جماعة على أصحاب جعفر وارتفعت الصيحة فتقدم جعفر بنفسه فرد أولئك الخرمية الى باب البذ ووقعت الصيحة فى العسكر فرجع الافشين فرأى جعفرا وأصحابه يقاتلون وخرج من الفريقين جماعة وجلس الافشين فى مكانه وهو يتلظى على جعفر ويقول أفسد على تعبيتى وارتفعت الصيحة فكان مع أبى دلف قوم من المتطوعة فعبروا الى جعفر بغير أمر الافشين وتعلقوا بالبذ وأثروا فيه أثرا وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ ووجه جعفر الى الافشين أن أمدنى بخمسمائة راجل من الناشبة فانى أرجو ان أدخل البذ ان شاء الله تعالى فبعث اليه الافشين انك أفسدت على أمرى فتخلص قليلا قليلا وخلص أصحابك وانصرف وارتفعت الصيحة من المتطوعة حتى تعلقوا بالبذ وظن الكمناء الذين لبابك ان الحرب قد اشتبكت فوثب بعضهم من تحت بخاراخذاه ووثب بعضهم من ناحية أخرى فتحركت الكمناء من الخرمية والناس على رؤسهم فلم يزل منهم أحد فقال الافشين الحمد لله الذى بين مواضع هؤلاء ورجع جعفر وأصحابه والمتطوعة فجاء جعفر الى الافشين فانكر عليه حيث لم يمده وجرى بينهما نفرة شديدة وجاء رجل من المتطوعة ومعه صخرة فقال للافشين أتردنا وهذا الحجر أخذته من السور فقال اذا انصرفت عرفت من على طريقك يعنى الكمين الذى عند بخاراخذاه وقال لجعفر لو ثار هذا الكمين الذى تحتك كيف كنت ترى هؤلاء المتطوعة ثم رجع هو وأصحابه على عادتهم فلما رأى هؤلاء الكمين الذى عند بخاراخذاه علموا ما كان وراءهم فان بخاراخذاه لو تحرك نحو القتال لملكوا ذلك الموضع وهلك المسلمون عن آخرهم فأقام الافشين بخندقه أياما فشكا المتطوعة اليه ضيق العلوفة والزاد والنفقة فقال من صبر فليصبر ومن لا فالطريق واسع فلينصرف وفى جند أمير المؤمنين كفاية فانصرف

العائذ بالبيت والمستجير
بالرب وكثرت أذيته لبنى
هاشم مع شحه بالدنيا لبنى
سائر الناس ففى ذلك يقول
أبو حرة مولى الزبير
ان الموالى أمست وهى عاتبة
على الخليفة تشكو الجوع
والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا
أى الملوك على ما حولنا غلبا
وفيه يقول بعد مفارقته اياه
مازال فى سورة الاعراف
يقرؤها
حتى فؤادى مثل الخز فى
اللين
لو كان بطنك شبرا قد
شبعت وقد
أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
ان امرأ كنت مولاه
فضيعنى
يرجو الفلاح لعمرى حق
مغبون
وفيه يقول أيضا
فيارا كبا اما عرضت فبلغن
كبير بنى العوام ان قيل من
تعنى
تخبر من لاقيت أنك عائذ
وتكثر قتلا بين زمزم والركن
وفيه يقول الضحاك بن
فيروز الديلمى
تخبرنا ان سوف تكفيك
قبضة
وبطنك شبر أو أقل من
الشبر
وأنت اذا ما نلت شيأ قضمته
كما قضمت نار الغضى حطب
السدر

المتطوعة يقولون لو ترك الافشين جعفرا وتركنا لاخذنا البذ لكنه يشتهى المطاولة فبلغه ذلك وما تتناوله المتطوعة بالسنتهم حتى قال بعضهم انى رأيت رسول الله فى المنام قال لى قل للافشين ان أنت حاربت هذا وجددت فى أمره والا أمرت الجبال ان ترجمك بالحجارة فتحدث الناس بذلك فبلغ الافشين فاحضره وسأله عن المنام فقصه عليه فقال الله يعلم نيتى وما أريد بهذا الخلق وان الله لو أمر الجبال برجم أحد لرجم هذا الكافر فكفانا مؤنته فقال رجل من المتطوعة أيها الامير لا تحرمنا شهادة ان كانت حضرت وانما قصدنا ثواب الله ووجهه فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد ان يكون باذنك لعل الله ان يفتح علينا فقال الافشين انى أرى نياتكم حاضرة واحسب هذا الامر يريده الله تعالى وهو خير ان شاء الله تعالى وقد نشطتم ونشط الناس وما كان هذا رأيى وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم اعزموا على بركة الله أى يوم أردتم حتى نناهضه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فخرجوا مستبشرين فتأخر من أراد الانصراف ووعد الافشين الناس ليوم ذكره لهم وأمر الناس بالتجهز وحمل المال والزاد والماء وحمل المحامل على البغال تحمل الجرحى وزحف بالناس ذلك اليوم وجعل بخاراخذاه بمكانه على العقبة وجلس الافشين بالمكان الذى كان يجلس فيه وقال لابى دلف قل للمتطوعة أى ناحية أسهل عليكم فاقصدوا عليها فقال لجعفر العسكر كله بين يديك والنشابة والنفاطون فان أردت تخذ منهم ما تريد واعزم على بركة الله وتقدم من أى موضع تريده فسار الى الموضع الذى كان به ذلك اليوم وقال لابى سعيد قف عندى أنت وأصحابك وقال لجعفر قف أنت ههنا المكان عينه له فان أراد جعفر رجالا أو فرسانا أمددناه وتقدم جعفر والمتطوعة فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ وضرب جعفر باب البذ ووقف عنده يقاتل عليه ووجه الافشين اليه والى المتطوعة بالاموال لتفرق فيهم ويعطى من تقدم وأمدهم بالفعلة معهم الفؤس وبعث اليهم بالمياه لئلا يعطشوا وبالكعك والسويق فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ففتحت الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على المتطوعة من الناحية الاخرى فطرحوهم عن السور ورموهم بالصخر وأثروا فيهم وضعفوا عن الحرب وأخذ جعفر من أصحابه نحو مائة رجل فوقفوا خلف تراسهم متحاجزين لا يقدم أحد على الآخر فلم يزالوا كذلك حتى صليت الظهر فتحاجزوا وبعث الافشين الرجالة الذين كانوا عنده نحو المتطوعة وبعث الى جعفر بعضهم خوفا ان يطمع العدو فقال جعفر لست أوتى من قلة ولكنى لا أرى للحرب موضعا يتقدمون فيه فامره بالانصراف فانصرف وحمل الافشين الجرحى ومن به وهن من حجر فحملوا فى المحامل على البغال وانصرفوا عنهم وأيس الناس من الفتح تلك السنة وانصرف أكثر المطوعة ثم ان الافشين تجهز بعد جمعتين فلما كان جوف الليل بعث الرجالة الناشبة وهم ألف رجل وأعطى كل واحد منهم شكوة وكعكا وأعطاهم اعلاما غير مركبة وبعث معهم أدلاء فساروا فى جبال منكرة صعبة فى غير طريق حتى صاروا خلف التل الذى يقف آذين عليه وهو جبل شاهق وأمرهم ان لا يعلم بهم أحد حتى اذا رأوا أعلام الافشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة ركبوا تلك الاعلام فى الرماح وضربوا الطبول وانحدروا من فوق الجبل ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية وان هم لم يروا الاعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره ففعلوا ذلك فوصلوا الى رأس الجبل عند السحر فلما كان فى بعض الليل وجه الافشين الى الجند وأمرهم بالتجهز للحرب فلما كان فى بعض الليل وجه بشيرا التركى وقوادا من الفراغنة كانوا معه فامرهم ان يسيروا حتى يصيروا تحت التل الذى عليه آذين وكان يعلم ان بابك يكمن تحت ذلك الجبل فساروا ليلا ولا يعلم بهم أكثر

فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة
قريبا لردتك العطوف على عمرو

وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير أخوه وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به أخوه عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضرب بالسياط حتى مات وحبس عبد الله بن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية فى الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائذ
بل العائذ المظلوم فى سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى
من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمى نبى الله وابن وصيه
وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بنى هاشم يحصرهم فى الشعب وجمع

أهل العسكر ثم ركب هو والعسكر مع السحر فصلى الغداة وضرب الطبل وركب فاتى الموضع الذى كان يقف فيه فقعد على عادته وأمر بخاراخذاه ان يقف مع جعفر الخياط وأبى سعيد وأحمد ابن الخليل بن هشام ونزل الموضع الذى كان يقف فيه فانكر الناس ذلك وأمرهم ان يقربوا من التل الذى عليه آذين فيجدوا به وكان قبل ينهاهم عنه ومضى الناس مع هؤلاء القواد الاربعة فكان جعفر مما يلى الباب والى جانبه أبو سعيد والى جانب أبى سعيد بخاراخذاه وكان أحمد مما يلى بخارا خذاه فصاروا جميعا حول التل وارتفعت الضجة من أسفل الوادى فوثب كمين بابك ببشير التركى والفراغنة فحاربوهم وسمع أهل العسكر صيحتهم فارادوا الحركة فأمر الافشين مناديا ينادى فيهم ان بشيرا قد أثار كمينا فلا يتحركن أحد فسكنوا ولما سمع الرجال الذين كان سيرهم حتى صاروا فى أعلى الجبل ضجة العسكر ركبوا الاعلام على الرماح فنظر الناس الى الاعلام تنحدر من الجبل على خيل آذين فوجه آذين اليهم بعض أصحابه وحمل جعفر وأصحابه على آذين وأصحابه حتى صعدوا اليه فحملوا عليه حملة منكرة فانحدر الى الوادى وحمل عليه جماعة من أصحاب أبى سعيد فاذا تحت دوابهم آبار محفورة فتساقطت الفرسان فيها فوجه الافشين الفعلة يطمون تلك الآبار ففعلوا وحمل الناس عليهم حملة شديدة وكان آذين قد جعل فوق الجبل عجلة عليها صخر فلما حمل الناس عليهم دفع تلك العجلة عليهم فافرج الناس منها حتى تدحرجت ثم حمل الناس من كل وجه فلما نظر بابك الى أصحابه قد أحدق بهم خرج من طرف البذ مما يلى الافشين فاقبل نحوه فقيل للافشين ان هذا بابك يريدك فتقدم اليه حتى سمع كلامه وكلام أصحابه والحرب مشتبكة فى ناحية آذين فقال أريد الامان من أمير المؤمنين فقال له الافشين قد عرضت هذا عليك وهو لك مبذول متى شئت فقال قد شئت الآن على ان تؤخرنى حتى أحمل عيالى واتجهز فقال له الافشين انا أنصحك خروجك اليوم خير من غد قال قد قبلت هذا قال الافشين فابعث بالرهائن فقال نعم أما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر أصحابك بالتوقف فجاء رسول الافشين ليرد الناس فقيل له ان اعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالاعلام فوق قصور بابك وكان قد كمن فى قصوره وهى أربعة ستمائة رجل فخرجوا على الناس فقاتلوهم ومر بابك حتى دخل الوادى الذى يلى هشتادسر واشتغل الافشين ومن معه بالحرب على أبواب القصور فأحضر النفاطين فأحرقوها وهدم الناس القصور فقتلوا الخرمية عن آخرهم وأخذ الافشين أولاد بابك وعيالاته وبقى هناك حتى أدركه المساء فأمر الناس بالانصراف فرجعوا الى الخندق بروذاز وأما بابك فانه سار فيمن معه وكانوا قد عادوا الى البذ بعد رجوع الافشين فأخذوا ما أمكنهم من الطعام والاموال ولما كان الغد رجع الافشين الى البذ وأمر بهدم القصور واحراقها ففعلوا فلم يدع منها بيتا وكتب الى ملوك أرمينية وبطارقتهم يعلمهم ان بابك قد هرب وعدة معه وهو مار بكم وأمرهم بحفظ نواحيهم ولا يمر بهم أحد الا أخذوه حتى يعرفوه وجاءت جواسيس الافشين اليه فأعلموه بموضع بابك وكان فى واد كثير الشجر والعشب طرفه باذربيجان وطرفه الآخر بارمينية ولم يمكن الخيل نزوله ولا يرى من يستخفى فيه لكثرة شجره ومياهه ويسمى هذا الوادى غيضة فوجه الافشين الى كل موضع فيه طريق الى الوادى جماعة من أصحابه يحفظونه وكانوا خمسة عشر جماعة وورد كتاب المعتصم فيه أمان بابك فدعا الافشين من كان استأمن اليه من أصحابه فأعلمهم ذلك وأمرهم بالمسير اليه بالكتاب وفيهم ابنه فلم يجسر أحد منهم خوفا منه فقال انه يفرح بهذا الامان فقالوا نحن اعرف

لهم حطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد وفى القوم محمد ابن الحنفية وحدث النوفلى على بن سليمان عن فضيل ابن عبد الوهاب الكولى عن أبى عمران الرازى عن قطن بن خليفة عن الذيال ابن حرملة قال كنت فيمن استنفره أبو عبد الله الجدلى من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه فى أربعة آلاف فارس فقال أبو عبد الله هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بنى هاشم فيأتى عليهم فانتدبوا معى فانتدبنا معه فى ثمانمائة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على رأسه قال فجئنا الى بنى هاشم فاذا هم فى الشعب فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفية لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير نفرنا له واقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة وقال أنا عائذ الله (وحدث) النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد بن سلمة قال كان عروة ابن الزبير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بنى هاشم وحصره اياهم فى الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول انما اراد بذلك ارهابهم ليدخلوا فى طاعته كما أرهب

به منك فقام رجلان فقالا اضمن لنا أنك تجرى على عيالاتنا فضمن لهما فسارا بالكتاب فلما راياه أعلماه ما قدماله فقتل أحدهما وأمر الآخر أن يعود بالكتاب الى الافشين وكان ابنه قد كتب اليه معهما كتابا فقال لذلك الرجل قل لابن الفاعلة ان كنت ابنى لحقت بى ولكنك لست ابنى ولان تعيش يوما واحدا وأنت رئيس خير من ان تعيش أربعين سنة عبدا ذليلا وقعد فى موضعه فلم يزل فى تلك الغيضة حتى فنى زاده وخرج من بعض تلك الطرق وكان من عليه من الجند قد تنحوا قريبا منه وتركوا عليه أربعة نفر يحرسونه فبينما هم ذات يوم نصف النهار اذ خرج بابك وأصحابه فلم يروا العسكر ولا أولئك الذين يحرسون المكان فظن ان ليس هناك أحد فخرج هو وعبد الله أخوه ومعاوية وأمه وامرأة أخرى وساروا يريدون ارمينية فرآهم الحراس فارسلوا الى أصحابهم اننا قد رأينا فرسانا لا ندرى من هم وكان أبو الساج هو المقدم عليهم فركب الناس وساروا نحوهم فرأوا بابك وأصحابه قد نزلوا على ماء يتغدون فلما رأى العساكر ركب هو ومن معه فنجا هو وأخذ معاوية وأم بابك والمرأة الاخرى فارسلهم أبو الساج الى الافشين وسار بابك فى جبال ارمينية مستخفيا فاحتاج الى طعام وكان بطارقة ارمينية قد تحفظوا بنواحيهم وأوصوا أن لا يجتاز بهم أحد الا أخذوه حتى يعرفوه وأصاب بابك الجوع فرأى حراثا فى بعض الاودية فقال لغلامه انزل الى هذا الحراث وخذ معك دنانير ودراهم فان كان معه خبز فاشتره منه وكان للحراث شريك قد ذهب لحاجة فنزل الغلام الى الحراث ليأخذ منه الطعام فرآه رفيق الحراث فظن انه يأخذ ما معه غصبا فعدا الى المسلحة وأعلمهم ان رجلا عليه سيف وسلاح قد أخذ خبز شريكه فركب صاحب المسلحة وكان فى جبال ابن سنباط فوجه الى سهل بن سنباط بالخبر فركب فى جماعة فوافى الحراث والغلام عنده فسأل عنه فاخبره الحراث خبره فاخبره الغلام عن مولاه فدله عليه فلما رأى وجه بابك عرفه فترجل له وأخذ يده فقبلها وقال أين تريد قال بلاد الروم قال لا تجد أحدا أعرف بحقك منى وليس بينى وبين السلطان عمل وكل من ههنا من البطارقة انما هم أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد وذلك ان بابك كان اذا علم ان عند بعضهم من النساء امرأة جميلة طلبها فان بعث بها اليه والا أسرى اليه فاخذها ونهب ماله وعاد فخدعه ابن سنباط حتى صار الى حصنه وأرسل بابك أخاه عبد الله الى حصن اصطفانوس فارسل ابن سنباط الى الافشين يعلمه بذلك فكتب اليه الافشين يعده ويمنيه ووجه اليه أبا سعيد وبورماره وأمرهما بطاعته وأمرهما ابن سنباط بالمقام فى مكان سماه وقال لا تبرحا حتى يأتيكما رسولى فيكون العمل بما يقول لكما ثم انه قال لبابك قد ضجرت من هذا الحصن فلو نزلت الى الصيد ففعل فلما نزل من الحصن أرسل ابن سنباط الى أبى سعيد وبورماره فأمرهما أن يوافياه أحدهما من جانب واد هناك والثانى من الجانب الآخر ففعلا فلم يحب ان يدفعه اليهما فبينما بابك وابن سنباط يتصيدان اذ خرج عليهما أبو سعيد وبورماره فى أصحابهما وعلى بابك دراعة بيضاء فأخذوها وأمروا بابك بالنزول فقال من أنتم فقال أنا أبو سعيد وهذا فلان فنزل ثم قال لابن سنباط القبيح وشتمه وقال انما بعتنى لليهود بشئ يسير لو أردت المال لاعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء فأركبه أبو سعيد وسار وابه الى الافشين فلما قرب من العسكر صعد الافشين وجلس ينظر اليه وصف عسكره صفين وأمر بانزال بابك عن دابته ومشى بين الصفين وأدخله الافشين بيتا ووكل به من يحفظه وسير معه سهل بن سنباط ابنه معاوية فأمر له الافشين بمائة ألف درهم وأمر لسهل بألف ألف درهم ومنطقة مغرقة بالجواهر وتاج البطرقة وأرسل الافشين الى عيسى بن يونس بن اصطفانوس يطلب منه عبد الله أخا بابك فانفذه

بنوهاشم وجمع لهم الحطب لاحراقهم اذهم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره فى كتابنا فى مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعنى الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بينى وبينه أن تغرب الشمس ثم اضرم داره عليه نارا فدخل ابن العباس لابن الحنفية فقال يا ابن عم انى لا آمنه عليك فبايعه فقال سيمنعه عنى حجاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر فى كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلى فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا فيه فأبى وخرج الى ايلة وأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر بن حبة التميمى عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهرانى البصرى بمصر وأبو اسحق الجوهرى بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم

اليه فحبسه مع أخيه وكتب الى المعتصم بذلك فامره بالقدوم بهما عليه وكان وصول بابك الى الافشين ببرزند لعشر خلون من شوال وكان الافشين قد أخذ نساء كثيرة وصبيانا كثيرا ذكروا ان بابك أسرهم وانهم أحرار من العرب والدهاقين فامر بهم فجعلوا فى حظيرة كبيرة وأمرهم ان يكتبوا الى أوليائهم فكل من جاء يعرف امرأة أو صبيا أو جارية وأقام شاهدين أخذه فاخذ الناس منهم خلقا كثيرا وبقى كثير منهم

﴿ذكر استيلاء عبد الرحمن على طليطلة﴾

قد ذكرنا عصيان أهل طليطلة على عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس وانفاذ الجيوش الى محاصرتها مرة بعد مرة فلما كان سنة احدى وعشرين ومائتين خرج جماعة من أهلها الى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصر طليطلة وضيقوا عليها وعلى أهلها وقطعوا عنهم باقى مرافقهم واشتدوا فى محاصرتهم فبقوا كذلك الى ان دخلت سنة اثنتين وعشرين فسير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم اليها أيضا فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع فافتتحها قهرا وعنوة يوم السبت لثمان خلون من رجب وأمر بتجديد القصر على باب الحصن الذى كان هدم أيام الحكم وأقام بها الى آخر شعبان من سنة ثلاث وعشرين ومائتين حتى استقرت قواعد أهلها وسكنوا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود وفيها ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقى يرى نحوا من أربعين ليلة وله شبه الذنب وكان أول ما طلع نحو المغرب ثم رؤى بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلا جدا فهال الناس ذلك وعظم عليهم ذكره ابن أبى أسامة فى تاريخه وهو من الثقات الاثبات وفيها توفى يحيى بن صالح أبو زكريا الوحاظى وهو دمشقى وقيل حمصى وفيها توفى أبو هاشم محمد بن على بن أبى خداش الموصلى وكان كثير الرواية عن المعافى بن عمران

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين﴾

﴿ذكر قدوم الافشين ببابك﴾

فى هذه السنة قدم الافشين الى سامرا ومعه بابك الخرمى وأخوه عبد الله فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين وكان المعتصم يوجه الى الافشين فى كل يوم من حين سار من برزند الى أن وافى سامرا خلعة وفرسا فلما صار الافشين بقناطر حذيفة تلقاه هرون الواثق بن المعتصم وأهل بيت المعتصم وأنزل الافشين بابك عنده فى قصره بالمطيرة فاتاه أحمد بن أبى داود متنكرا فنظر الى بابك وكلمه ورجع الى المعتصم فوصفه له فاتاه المعتصم أيضا متنكرا فرآه فلما كان الغد قعد المعتصم واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة فشهره المعتصم وأمر ان يركب على الفيل فركب عليه واستشرفه الناس الى باب العامة فقال محمد بن عبد الملك الزيات

قد خضب الفيل كعاداته * يحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه * الا لذى شأن من الشان

ثم أدخل دار المعتصم فأمر باحضار سياف بابك فحضر فأمره المعتصم أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط فأمره بذبحه ففعل وشق بطنه وأنفذ رأسه الى خراسان وصلب بدنه بسامرا وأمر بحمل أخيه عبد الله الى اسحق بن ابراهيم ببغداد وأمره أن يفعل به ما فعل باخيه بابك فعمل به ذلك وضرب عنقه وصلبه فى الجانب الشرقى بين الجسرين قيل فكان الذى أخرج الافشين من

بامامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حى فى جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبى عبيد الثقفى وكان اسمه كيسان ويكنى أبا عمرة أو هو غير المختار وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية دخل الى شعب رضوى فى جماعة من أصحابه فلم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار فى كتابه انساب قريش فى انساب آل أبى طالب وأخبارهم منه قال أخبرنى عمير قال قال كثير ابياتا له يذكر ابن الحنفية رضى الله عنه وأولها

هو المهدى خبرناه كعب أخو الاحبار فى الحقب الخوالى

أقر الله عينى اذ دعانى أمين الله يلطف فى السؤال

وأثنى فى هواى على خيلا

المال مدة مقامه بازاء بابك سوى الارزاق والانزال والمعارف فى كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم وفى يوم لا يركب فيه خمسة آلاف وكان جميع من قتل بابك فى عشرين سنة مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة انسان وغلب من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبى خالد وأحمد بن الجنيد فاسره وزريق بن على بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسى وابراهيم بن الليث وكان الذين أسر وامع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعة أناسى واستنقذ من كان فى يده من المسلمات وأولادهن سبعة آلاف وستمائة انسان وصار فى يد الافشين من بنى بابك سبعة عشر رجلا ومن البنات والنساء ثلاث وعشرون امرأة ولما وصل الافشين توجه المعتصم وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف يفرقها فى عسكره وعقد له على السند وادخل عليه الشعراء يمدحونه

﴿ذكر خروج الروم الى زبطرة﴾

وفى هذه السنة خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد الاسلام وأوقع باهل زبطرة وغيرها وكان سبب ذلك ان بابك لما ضيق الافشين عليه وأشرف على الهلاك كتب الى ملك الروم توفيل يعلمه ان المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجه خياطه يعنى جعفر بن دينار الخياط وطباخه يعنى ايتاخ ولم يبق على بابه أحد فان أردت الخروج اليه فليس فى وجهك أحد يمنعك وظن بابك ان ملك الروم ان تحرك يكشف عنه بعض ما هو فيه بانفاذ العساكر الى مقاتلة الروم فخرج توفيل فى مائة ألف وقيل أكثر منهم من الجند نيف وسبعون ألفا وبقيتهم اتباع ومعهم من المحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب جماعة فبلغ زبطرة فقتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء وأغار على أهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبى المسلمات ومثل بمن صار فى يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع انوفهم وآذانهم فخرج اليهم أهل الثغور من الشام والجزيرة الا من لم يكن له دابة ولا سلاح

﴿ذكر فتح عمورية﴾

لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهى أسيرة فى أيدى الروم وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير ثم ركب دابته وسمط خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبة فيها زاده ولم يمكنه المسير الا بعد التعبية وجمع العساكر فجلس فى دار العامة وأحضر قاضى بغداد وهو عبد الرحمن بن اسحق وشعبة بن سهل ومعهما ثلثمائة وثمانية وعشرون رجلا من أهل العدالة فاشهدهم على ما وقف من الضياع فجعل ثلثا لولده وثلثا لله تعالى وثلثا لمواليه ثم سار فعسكر بغربى دجلة لليلتين خلتا من جمادى الاولى ووجه عجيف بن عنبسة وعمرا الفرغانى ومحمد كوتاه وجماعة من القواد الى زبطرة معونة لاهلها فوجدوا ملك الروم قد انصرف عنها الى بلاده بعد ما فعل ما ذكرناه فوقفوا حتى تراجع الناس الى قراهم واطمأنوا فلما ظفر المعتصم ببابك قال أى بلاد الروم أمنع واحصن فقيل عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الاسلام وهى عين النصرانية وهى أشرف عندهم من القسطنطينية فسار المعتصم من سر من رأى وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة أربع وعشرين وتجهز جهازا لم يتجهزه خليفة قبله قط من السلاح والعدد والآلة وحياض الادم والروايا والقرب وغير ذلك وجعل على مقدمته اشناس ويتلوه محمد بن ابراهيم بن مصعب وعلى ميمنته ايتاخ وعلى ميسرته جعفر بن

وساءل عن بنى وكيف حالى
وفيه يقول أيضا كثير
الا ان الائمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى
يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء
وفيه يقول السيد الحميرى
وكان كيسانيا
ألا قل للوصى فدتك نفسى
اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا
وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك أهل الارض
طرا
مغيبك عنهم سبعين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت
ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمردف شعب
رضوى
تراجعه الملائكة الكلاما
وفيه يقول السيد أيضا
ياشعب رضوى مالمن بك
لا يرى
وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى
يا ابن الرسول وأنت حى
ترزق
وللسيد فيه اشعار كثيرة
لا يأتى عليها كتابنا هذا
(وذكر) على بن محمد بن
سليمان النوفلى فى كتابه

دينار بن عبد الله الخياط وعلى القلب عجيف بن عنبسة فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن وهو على سلوقية قريبا من البحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم وعليه يكون النداء وأمضى المعتصم الافشين الى سروج وأمره بالدخول من درب الحدث وسمى له يوما يكون دخوله فيه ويوما يكون اجتماعهم فيه وسير اشناس من درب طرسوس وأمره بانتظاره بالصفصاف فكان مسير اشناس لثمان بقين من رجب وقدم المعتصم وصيفا فى أثر اشناس ورحل المعتصم لست بقين من رجب فلما صار اشناس بمرج الاسقف ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه ان ملك الروم بين يديه وانه يريد أن يكبسهم ويأمره بالمقام الى أن يصل اليه فاقام ثلاثة أيام فورد عليه كتاب المعتصم يأمره ان يوجه قائدا من قواده فى سرية يلتمسون رجلا من الروم يسئلونه عن خبر الملك فوجه اشناس عمرا الفرغانى فى مائتى فارس فدخل حتى بلغ انقرة وفرق أصحابه فى طلب رجل رومى فأتوه بجماعة بعضهم من عسكر الملك وبعضهم من السواد فأحضرهم عند اشناس فسألهم عن الخبر فأخبروه ان الملك مقيم أكثر من ثلاثين يوما ينتظر مقدمة المعتصم ليواقعهم فأتاه الخبر بأن عسكرا عظيما قد دخل بلادهم من ناحية الارمنياق يعنى عسكر الافشين قالوا فلما أخبر استخلف ابن خاله على عسكره وسار يريد ناحية الافشين فوجه اشناس بهم الى المعتصم فأخبروه الخبر فكتب المعتصم كتابا الى الافشين يعلمه ان ملك الروم قد توجه اليه ويأمره ان يقيم مكانه خوفا عليه من الروم الى ان يرد عليه كتابه وضمن لمن يوصل كتابه الى الافشين عشرة آلاف درهم فسارت الرسل بالكتاب الى الافشين فلم يروه لانه أوغل فى بلاد الروم وكتب المعتصم الى اشناس يأمره بالتقدم فتقدم والمعتصم من ورائه فلما رحل اشناس نزل المعتصم مكانه حتى صار بينه وبين انقرة ثلاثة مراحل فضاق عسكر المعتصم ضيقا شديدا من الماء والعلف وكان اشناس قد اسر فى طريقه عدة اسرى فضرب أعناقهم حتى بقى منهم شيخ كبير فقال له ما تنتفع بقتلى وأنت وعسكرك فى ضيق وههنا قوم قد هربوا من انقرة خوفا منكم وهم بالقريب منا معهم الطعام والشعير وغيرهما فوجه معى قوما لاسلمهم اليهم وخل سبيلى فسير معه خمسمائة فارس ودفع الشيخ الى مالك بن كيدر وقال له متى أراك هذا الشيخ سبيا كثيرا أو غنيمة كثيرة فخل سبيله فساربهم الشيخ فاوردهم على واد وحشيش فرجوا دوابهم وشربوا وأكلوا وساروا حتى خرجوا من الغيضة وساربهم الشيخ حتى أتى جبلا فنزله ليلا فلما أصبحوا قال الشيخ وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل فينظران ما فوق فيأخذان من ادركا فصعد أربعة فاخذوا رجلا وامرأة فسألهما الشيخ عن أهل انقرة فدلوه عليهم فساربالناس حتى أشرف على أهل انقرة وهم فى طرف ملاحة فلما رأوا العسكر أدخلوا النساء والصبيان الملاحة وقاتلوهم على طرفها وغنم المسلمون منهم وأخذوا من الروم عدة اسرى وفيهم من فيه جراحات عتيقة متقدمة فسألوهم عن تلك الجراحات فقالوا كنا فى وقعة الملك مع الافشين وذلك أن الملك لما كان معسكرا أتاه الخبر بوصول الافشين فى عسكر ضخم من ناحية الارمنياق واستخلف على عسكره بعض اقربائه وسار اليهم فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالتهم كلهم وتقطعت عساكرنا فى طلبهم فلما كان الظهر رجع فرسانهم فقاتلونا قتالا شديدا حتى خرقوا عسكرنا واختلطوا بنا فلم ندر أين الملك وانهزمنا منهم ورجعنا الى معسكر الملك الذى خلفه فوجدنا العسكر قد انتقض وانصرفوا عن قرابة الملك فلما كان الغد جاء الملك فى جماعة يسيرة فرأى عسكره قد اختل وأخذ الذى كان استخلفه عليهم فضرب عنقه وكتب الى المدن والحصون ان لا يأخذوا أحدا انصرف من العسكر الا ضربوه بالسياط وردوه الى مكان سماه لهم الملك ليجتمع

الاخبار مما سمعناه من أبى
العباس بن عمار قال حدثنا
جعفر بن محمد النوفلى قال
حدثنا اسمعيل الساحر
وكان راوية السيد الحميرى
قال ما مات السيد الا على
قوله بالكيسانية وانكر قوله
فى القصيدة التى أولها
(تجعفرت باسم الله والله
أكبر) قال أبو الحسن على
ابن محمد النوفلى عقيب هذا
الخبر وليس يشبه هذا شعر
السيد لان السيد مع
فصاحته وجزالة قوله
لا يقول تجعفرت باسم الله
وذكر عمر بن شبة النميرى
عن مساور بن السائب
أن ابن الزبير خطب أربعين
يوما لا يصلى على النبى صلى
الله عليه وسلم وقال لا يمنعنى
أن أصلى عليه الا أن تشمخ
رجال بآنافها وذكر سعيد
ابن جبير أن عبد الله بن
عباس دخل على ابن الزبير
فقال له ابن الزبير أنت الذى
تؤنبنى وتبخلنى قال ابن عباس
نعم سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ليس
المسلم الذى يشبع ويجوع
جاره فقال ابن الزبير انى
لاكتم بغضكم أهل هذا
البيت منذ أربعين سنة
وجرى بينهم خطب طويل
فخرج ابن عباس من مكة
خوفا على نفسه فنزل الطائف
فتوفى هنالك ذكر هذا الخبر
عمر بن شبة النميرى عن

اليه الناس ويلقى المسلمين وان الملك وجه خصياله الى أنقرة ليحفظ أهلها فرآهم قد أجلوا عنها فكتب الى الملك بذلك فأمره بالمسير الى عمورية فرجع مالك بن كيدر عامعهم من الغنيمة والاسرى الى عسكر اشناس وغنموا فى طريقهم بقرا وغنما كثيرا وأطلق الشيخ فلما بلغ مالك ابن كيدر عسكر أشناس أخبره بما سمع فأعلم المعتصم بذلك فسربه فلما كان بعد ثلاثة أيام جاء البشير من ناحية الافشين بخبر السلامة وكانت الوقعة لخمس بقين من شعبان فلما كان الغد قدم الافشين على المعتصم وهو بانقرة فأقاموا ثلاثة أيام ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر عسكر فيه اشناس فى الميسرة والمعتصم فى القلب وعسكر الافشين فى الميمنة وبين كل عسكر وعسكر فرسخان وأمر كل عسكر ان يكون له ميمنة وميسرة وأمرهم أن يحرقوا القرى ويخربوها ويأخذوا من لحقوا فيها ثم ترجع كل طائفة الى صاحبها يفعلون ذلك فيما بين أنقرة وعمورية وبينهما سبعة مراحل ففعلوا ذلك حتى وافوا عمورية وكان أول من وردها اشناس ثم المعتصم ثم الافشين فداروا حولها وقسمها بين القواد وجعل لكل واحد منهم أبراجا منها على قدر أصحابه وكان رجل من المسلمين قد أسره الروم بعمورية فتنصر فلما رأى المسلمين خرج اليهم فاخبر المعتصم ان موضعا من المدينة وقع سوره من سيل أتاه فكتب الملك الى عامل عمورية ليعمره فتوانى فلما خرج الملك من القسطنطينية خاف العامل ان يرى السور خرابا فبنى وجهه حجرا حجرا وعمل الشرف على جسر خشب فرأى المعتصم ذلك المكان فأمر بضرب خيمته هناك ونصب المجانيق على ذلك الموضع فانفرج السور من ذلك الموضع فلما رأى الروم ذلك جعلوا عليه خشبا كبارا كل عود يلزق الآخر وكان المنجنيق يكسر الخشب فجعلوا عليه براذع فلما ألحت المجانيق على ذلك الموضع تصدع السور وكتب الخصى وبطريق عمورية واسمه ناطس كتابا الى ملك الروم يعلمه أمر السور وسيره مع رجلين فأخذهما المسلمون وسألهما المعتصم وفتشهما فرأى الكتاب وفيه ان العسكر قد أحاط بالمدينة وقد كان دخوله اليها خطأ وان ناطس عازم على ان يركب فى خاصته ليلا يحمل على العسكر كائنا ما كان حتى يخلص ويصير الى الملك فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر لهم ببدرة وهى عشرة آلاف درهم وخلع فاسلما فأمر بهما فطافا حول عمورية وأن يقفا مقابل البرج الذى فيه ناطس فوقفا وعليهما الخلع والاموال بين يديهما فعرفهما ناطس ومن معه من الروم فشتموهما وأمر المعتصم بالاحتياط فى الحراسة ليلا ونهارا فلم يزالوا كذلك حتى انهدم السور ما بين برجين من ذلك الموضع وكان المعتصم أمر ان يطم خندق عمورية بجلود الغنم المملوءة ترابا فطموه وعمل دبابات كبارا تسع كل دبابة عشرة رجال ليدحرجوها على الجلود الى السور فدحرجوا واحدة منها فلما صارت فى نصف الخندق تعلقت بتلك الجلود فما تخلص من فيها الا بعد شدة وجهد وعمل سلاليم ومنجنيقات فلما كان الغد من يوم انهدم السور قاتلهم على الثلمة فكان أول من بدأ بالحرب اشناس وأصحابه وكان الموضع ضيقا فلم يمكنهم الحرب فيه فأمدهم المعتصم بالمنجنيقات التى حول السور فجمع بعضها الى بعض حول الثلمة وامر ان يرمى ذلك الموضع وكانت الحرب فى اليوم الثانى عشر على الافشين وأصحابه وأجادوا الحرب وتقدموا والمعتصم على دابته بازاء الثلمة واشناس والافشين وخواص القواد معه فقال المعتصم ما أحسن ما كان الحرب اليوم وقال عمر الفرغانى الحرب اليوم أجود منها أمس فأمسك اشناس فلما انتصف النهار وانصرف المعتصم والناس وقرب اشناس من مضربه ترجل له القواد كما كانوا يفعلون وفيهم الفرغانى وأحمد بن الخليل بن هشام فقال لهم اشناس يا أولاد الزنا ايش تمشون بين يدى كان ينبغى ان تقاتلوا

سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهرانى بمصر والكلابى بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شبة وحدث النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومى قال خطب ابن الزبير فنال من على فبلغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية حتى وضع له كرسى قدامه فعلاه وقال يا معشر قريش شاهت الوجوه أينتقص على وأنتم حضور ان عليا كان سهما صادقا أحد مرامى الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم مآكلهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة تنثر عظامهم وتحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بنى الفواطم يتكلمون فما بال بنى الحنفية فقال محمد يا ابن أم رومان ومالى لا أتكلم أليست فاطمة بنت محمد حليلة أبى وأم اخوتى أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتى أو ليست فاطمة بنت عمرو ابن عائذ جدة أبى أما والله لولا خديجة بنت خويلد

أمس حيث تقفون بين يدى أمير المؤمنين فتقولون الحرب اليوم أجود منها أمس كان يقاتل أمس غيركم انصرفوا الى مضاربكم فلما انصرف الفرغانى وأحمد بن الخليل قال أحدهما للآخر ألا ترى الى هذا العبد ابن الفاعلة يعنى اشناس ما صنع اليوم أليس الدخول الى الروم أهون من هذا فقال الفرغانى لاحمد وكان عنده علم من العباس بن المأمون سيكفيك الله أمره عن قريب فالح أحمد عليه فأخبره فاشار عليه ان يأتى العباس فيكون فى أصحابه فقال أحمد هذا أمر أظنه لا يتم قال الفرغانى قد تم وأرشده الى الحرث السمرقندى فاتاه فرفع الحرث خبره الى العباس فكره العباس ان يعلم بشئ من أمره فأمسكوا عنه فلما كان اليوم الثالث كان الحرب على أصحاب المعتصم ومعهم المغاربة والاتراك وكان القيم بذلك ايتاخ فقاتلوا وأحسنوا واتسع لهم هدم السور فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت الجراحات فى الروم وكان بطارقة الروم قد اقتسموا أبراج السور وكان البطريق الموكل بهذه الناحية وندوا وتفسيره ثور فقاتل ذلك اليوم قتالا شديدا وفى الايام قبله ولم يمده ناطس ولا غيره بأحد فلما كان الليل مشى وندوا الى الروم فقال ان الحرب على وعلى أصحابى ولم يبق معى أحد الا جرح فصيروا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلا والا ذهبت المدينة فلم يمدوه بأحد وقالوا الا تمدنا فعزم هو وأصحابه على الخروج الى المعتصم ويسألوه الامان على الذرية ويسلموا اليه الحصن بما فيه فلما أصبح وكل أصحابه بجانبى الثلمة وأمرهم أن لا يحاربوا وقال أريد الخروج الى المعتصم فخرج اليه فصار بين يديه والناس يتقدمون الى الثلمة وقد أمسك الروم عن القتال حتى وصلوا الى السور والروم يقولون لا تخشوا وهم يتقدمون ووندوا جالس عند المعتصم فاركبه فرسا وتقدم الناس حتى صار وافى الثلمة وعبد الوهاب بن على بين يدى المعتصم يومئ الى المسلمين بالدخول فدخل الناس المدينة فالتفت وندوا وضرب بيده على لحيته فقال له المعتصم مالك قال جئت أسمع كلامك فغدرت بى قال المعتصم كل شئ تريده فهو لك ولست أخالفك قال ايش تخالفنى وقد دخل الناس المدينة وصار طائفة كبيرة من الروم الى كنيسة كبيرة لهم فأحرقها المسلمون عليهم فهلكوا كلهم وكان ناطس فى برجه حوله أصحابه فركب المعتصم ووقف مقابل ناطس فقيل له يا ناطس هذا أمير المؤمنين فظهر من البرج وعليه سيف فنحاه عنه ونزل حتى وقف بين يديه فضربه سوطا وسار المعتصم الى مضربه وقال هاتوه فمشى قليلا فأمر المعتصم بحمله وأخذ السيف الروم وأقبل الناس بالاسرى والسبى من كل وجه فأمر المعتصم ان يعزل منهم أهل الشرف وقتل من سواهم وأمر ببيع المغانم فى عدة مواضع فبيع منها فى أكثر من خمسة أيام وأمر بالباقى فأحرق وكان لا ينادى على شئ أكثر من ثلاثة أصوات ثم يوجب بيعه طلبا للسرعة وكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة عشرة عشرة طلبا للسرعة ولما كان فى بعض أيام بيع المغانم وهو الذى كان عجيف وعد الناس ان يثور فيه بالمعتصم على ما نذكره وثب الناس على المغانم فركب المعتصم والسيف فى يده وسار ركضا نحوهم فتنحوا عنه وكفوا عن النهب فرجع الى مضربه وأمر بعمورية فهدمت وأحرقت وكان نزوله عليها لست خلون من شهر رمضان وأقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار نحو طرسوس

﴿ذكر حبس العباس بن المأمون﴾

فى هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه وكان سبب ذلك ان عجيف بن عنبسة لما وجهه المعتصم الى بلاد الروم ولما كان من ملك الروم بزبطرة مع عمر الفرغانى ومحمد كوتاه

ما تركت فى بنى أسد عظما الا هشمته وان نالتنى فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى ابن عائشة والعتبى جميعا عن أبويهما وألفاظهما متقاربة قالا خطب ابن الزبير فقال ما بال أقوام يفتون فى المتعة وينتقصون حوارى الرسول وأم المؤمنين عائشة ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعرض بابن عباس فقال يا غلام أصمدنى صمدة فقال يا ابن الزبير قد أنصف القارة من راماها

انا اذا ما فئة نلقاها
نرد أولاها على أخراها

أما قولك فى المتعة فسل أمك تخبرك فان أول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين أمك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت أباك فى الزحف وأنا مع امام هدى فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنا فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه أسماء فأخبرها فقالت صدق (قال المسعودى) وفى هذا الخبر زيادات من ذكر البردة والعوسجة وقد أتينا على الخبر بتمامه وما قاله الناس

لم يطلق يد عجيف فى النفقات كما اطلقت يد الافشين واستقصر المعتصم أمر عجيف وافعاله وظهر ذلك لعجيف فوبخ العباس بن المأمون على ما تقدم من فعله عند وفاة المأمون حتى بايع المعتصم وشجعه على أن يتلافى ما كان منه فقبل العباس قوله ودس رجلا يقال له الحرث السمرقندى قرابة عبيد الله بن الوضاح وكان العباس يأنس به وكان الحرث اديبا له عقل ومداراة فجعله العباس رسوله وسفيره الى القواد وكان يدور فى العسكر حتى استمال له جماعة من القواد وبايعوه وجماعة من خواص المعتصم وقال لكل من بايعه اذا اظهرنا أمرنا فليثب كل منكم بالقائد الذى هو معه وكل من بايعه من خواص المعتصم بقتله ومن بايعه من خاصة الافشين بقتله ومن بايعه من خاصة اشناس بقتله وكذلك غيرهم فضمنوا له ذلك فلما دخل الدرب وهم يريدون انقرة وعمورية دخل الافشين من ناحية ملطية فأشار عجيف على العباس ان يثب بالمعتصم فى الدرب وهو فى قلة من الناس فيقتله ويرجع الى بغداد فان الناس يفرحون بانصرافهم الى بغداد من الغزو فأبى العباس ذلك وقال لا أفسد هذه الغزاة حتى دخلوا بلاد الروم وافتتحوا عمورية فقال عجيف للعباس يا نائم قد فتحت عمورية والرجل ممكن نضع قوما ينهبون بعض الغنائم فاذا بلغه ذلك ركب فى سرعة فتأمر بقتله هناك فأبى عليه وقال انتظر حتى يصير الى الدروب ويخلو كما كان أول مرة وهو أمكن منه ههنا وكان عجيف قد أمر من ينهب المتاع ففعلوا وركب المعتصم وجاء ركضا وسكن الناس ولم يطلق العباس أحدا من أولئك الذين واعدهم وكرهوا قتله بغير أمر العباس وكان الفرغانى قد بلغه الخبر ذلك اليوم وله قرابة غلام أمرد فى خاصة المعتصم فجاء الغلام الى ولد عمر الفرغانى وشرب عندهم تلك الليلة وأخبرهم خبر ركوب المعتصم وانه كان معه وأمره ان يسل سيفه ويضرب كل من لقيه فسمع عمر ذلك من الغلام فأشفق عليه من ان يصاب فقال يا بنى اقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك وان سمعت صيحة وشغبا فلا تبرح فانك غلام غر ولا تعرف العساكر فعرف مقالة عمر وارتحل المعتصم الى الثغور ووجه الافشين ابن الاقطع وأمره ان يغير على بعض المواضع ويوافيه فى الطريق فمضى واغار وعاد الى العسكر فى بعض المنازل ومعه الغنائم فنزل بعسكر الافشين وكان كل عسكر على حدة فتوجه عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل من عسكر اشناس الى عسكر الافشين ليشتريا من السبى شيأ فلقيهما الافشين فترجلا وسلما عليه وتوجها الى الغنيمة فرآهما صاحب اشناس فاعلمه بهما فارسل اشناس اليهما بعض أصحابه لينظر ما يصنعان فجاء فرآهما وهما ينتظران بيع السبى فرجع فاخبر اشناس الخبر فقال اشناس لحاجبه قل لهما يلزمان العسكر وهو خير لهما فقال لهما فاغتما لذلك واتفقا على ان يذهبا الى صاحب خبر العسكر فيستعفيا من أشناس فأتياه وقالا نحن عبيد أمير المؤمنين فضمنا الى من شاء فان هذا الرجل يستخف بنا قد شتمنا وتوعدنا ونحن نخاف ان يقدم علينا فليضمنا أمير المؤمنين الى من أراد فانهى ذلك الى المعتصم واتفق الرحيل وسار أشناس والافشين مع المعتصم فقال لاشناس أحسن أدب عمر واحمد فانهما قد حمقا أنفسهما فجاء أشناس الى عسكره فاخذهما وحبسهما وحملهما على بغل حتى صارا بالصفصاف فجاء ذلك الغلام وحكى للمعتصم ما سمع من عمر الفرغانى فى تلك الليلة فانفذ المعتصم بغا وأخذ عمر من عند أشناس وسأله عن الذى قال الغلام فانكر ذلك وقال انه كان سكران ولم يعلم ما قلت فدفعه الى ايتاخ وسار المعتصم فانفذ أحمد ابن الخليل الى أشناس يقول له ان عندى نصيحة لامير المؤمنين فبعث اليه يسأله عنها فقال لا أخبر بها الا أمير المؤمنين فحلف أشناس ان هو لم يخبرنى بهذه النصيحة لاضربنه بالسياط حتى

فى متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم فى ذلك وما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وما ذكر فى حديث الربيع بن سبرة عن أبيه وقول عمر كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهى لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا وما روى عن جابر قال تمتعنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم فى كتابنا المترجم بكتاب الاستنصار وفى كتاب الصفوة وفى كتابنا المترجم بكتاب الواجب فى الفروض اللوازم وما قال الناس فى غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدى وغير ذلك وقد حدث النوفلى عن أبى عاصم عن ابن جريج قال حدثنى منصور بن شيبة عن صفية بنت أبى عبيد عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابى وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير

يموت فلما سمع ذلك أحمد حضر عند أشناس وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحرث السمرقندى فانفذ أشناس وأخذ الحرث وقيده وسيره الى المعتصم وكان قد تقدم فلما دخل على المعتصم أخبره بالحال جميعه وبجميع من بايعهم من القواد وغيرهم فاطلقه المعتصم وخلع عليه ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم واحضر المعتصم العباس بن المأمون وسقاه حتى سكر وحلفه انه لا يكتمه من أمره شيأ فشرح له أمره كله مثل ما شرح الحرث فاخذه وقيده وسلمه الى الافشين فحبسه عنده وتتبع المعتصم أولئك القواد وكانوا يحملون فى الطريق على بغال باكف بلا وطاء وأخذ أيضا الشاه بن سهل وهو من أهل خراسان فقال له المعتصم يا ابن الزانية احسنت اليك فلم تشكر فقال ابن الزانية هذا وأومأ الى العباس وكان حاضرا لو تركنى ما كنت الساعة تقدر أن تجلس هذا المجلس وتقول هذا الكلام فامر به فضربت عنقه وهو أول من قتل منهم ودفع العباس الى الافشين فلما نزل منبج طلب العباس بن المأمون الطعام فقدم اليه طعام كثير فأكل ومنع الماء وادرج فى مسح فمات بمنبج وصلى عليه بعض اخوته وأما عمر الفرغانى فلما وصل المعتصم الى نصيبين حفر له بئرا وألقاه فيها وطمها عليه وأما عجيف فمات بباعيناثا من بلد الموصل وقيل بل أطعم طعاما كثيرا ومنع الماء حتى مات بباعيناثا وتتبع جميعهم فلم يعض عليهم الا أيام قلائل حتى ماتوا جميعا ووصل المعتصم الى سامرا سالما فسمى العباس يومئذ اللعين وأخذ أولاد المأمون من سندس فحبسهم فى داره حتى ماتوا بعد ومن أحسن ما يذكر ان محمد بن على الاسكاف كان يتولى اقطاع عجيف فرفع أهله عليه الى عجيف فاخذه وأراد قتله فبال فى ثيابه خوفا من عجيف ثم شفع فيه فقيده وحبسه ثم سار الى الروم وأخذه المعتصم كما ذكرنا وأطلق من كان فى حبسه وكانوا جماعة منهم الاسكاف ثم استعمل على نواح بالجزيرة ومن جملتها باعيناثا قال فخرجت يوما الى تل باعيناثا فاحتجت الى الوضوء فجئت الى تل فبلت عليه ثم توضأت ونزلت وشيخ باعيناثا ينتظرنى فقال لى فى هذا التل قبر عجيف وأرانيه فاذا أنا قد بلت عليه وكان بين الامرين سنة لا تزيد يوما ولا تنقص يوما

﴿ذكر وفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب وابتداء ولاية أخيه الاغلب﴾

فى هذه السنة رابع عشر رجب توفى زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية وكان عمره احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام وكانت امارته احدى وعشرين سنة وسبعة أشهر وولى بعده أخوه أبو عقال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب فاحسن الى الجند وازال مظالم كثيرة وزاد العمال فى ارزاقهم وكف أيديهم عن الرعية وقطع النبيذ والخمر عن القيروان وسير سرية سنة أربع وعشرين ومائتين الى صقلية فغنمت وسلمت وفى سنة خمس وعشرين ومائتين استأمن عدة حصون من جزيرة صقلية الى المسلمين منها حصن البلوط وابلاطنو وقرلون ومرو وسار اسطول المسلمين الى قلورية ففتحها ولقوا اسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما فكان فتحا عظيما وفى سنة ست وعشرين ومائتين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى قصريانة فغنمت واحرقت وسبت فلم يخرج اليها أحد فسارت الى حصن الغيران وهو أربعون غارا فغنمت جميعها وتوفى الامير ابو عقال فيها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج فى هذه السنة فى شوال اسحق بن ابراهيم جرحه خادم له وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البة والقلاع فنزلوا

فقال قومى عنى فقلت ما تخاف أتخاف ان أثب عليك نهذا الذى أراد ابن عباس وقد ذكر هذا الحديث عن أبى عاصم غير النوفلى وقد تنازع الناس فى ذلك فنهم من رأى انه عنى متعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الحج لان الزبير تزوج أسماء بكرا فى الاسلام زوجها أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية وولى معاوية بن يزيد نعى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه فى الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقى الحصين عبد الله فى المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشام وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله أفما صونه أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمنى علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا فستعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يهتفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا

حصن الفرات وحصروه وغنموا ما فيه وقتلوا أهله وسبوا النساء والذرية وعادوا

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين﴾

﴿ذكر مخالفة مازيار بطبرستان﴾

فى هذه السنة اظهر مازيار بن قارن بن ونداهرمز الخلاف على المعتصم بطبرستان وعصى وقاتل عساكره وكان سببه ان مازيار كان منافرا عبد الله بن طاهر لا يحمل اليه خراجه وكان المعتصم يأمره بحمله الى عبد الله فيقول لا أحمله الا اليك وكان المعتصم ينفذ من يقبضه من أصحاب مازيار بهمذان ويسلمه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان وعظم الشر بين مازيار وعبد الله وكان عبد الله يكتب الى المعتصم حتى استوحش من مازيار فلما ظفر الافشين ببابك وعظم محله عند المعتصم طمع فى ولاية خراسان فكتب الى مازيار يستميله ويظهر له المودة ويعلمه ان المعتصم قد وعده ولاية خراسان ورجا انه اذا خالف مازيار سيره المعتصم الى حربه وولاه خراسان فحمل ذلك مازيار على الخلاف وترك الطاعة ومنع جبال طبرستان فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته وكتب الافشين الى مازيار يأمره بمحاربة عبد الله واعلمه انه يكون له عند المعتصم كل ما يحب ولا يشك الافشين ان مازيار يقوم فى مقابلة ابن طاهر وان المعتصم يحتاج الى انفاذه وانفاذ عساكر غيره فلما خالف دعا الناس الى البيعة فبايعوه كرها وأخذ الرهائن فحبسهم وأمر أكرة الضياع بانتهاب أربابها وكان مازيار أيضا يكاتب بابك واهتم مازيار بجمع الاموال من تعجيل الخراج وغيره فجبي فى شهرين ما كان يؤخذ فى سنة ثم أمر قائدا له يقال له سرخاستان فاخذ أهل آمل وأهل سارية جميعهم فنقلهم الى جبل على النصف ما بين سارية وآمل يقال له هرمزاباذ فحبسهم فيه وكانت عدتهم عشرين ألفا فلما فعل ذلك تمكن من أمره وأمر بتخريب سور آمل وسور سارية وسور طميس فخربت الاسوار وبنى سرخاستان سورا من طميس الى البحر مقدار ثلاثة أميال كانت الاكاسرة بنته لتمنع الترك من الغارة على طبرستان وجعل له خندقا ففزع أهل جرجان وخافوا فهرب بعضهم الى نيسابور فانفذ عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف لحفظ جرجان وأمره ان ينزل على الخندق الذى عمله سرخاستان فسار حتى نزله وصار بينه وبين صاحب سرخاستان الخندق ووجه أيضا ابن طاهر حيان بن جبلة فى أربعة آلاف الى قومس فعسكر على حد جبال شروين ووجه المعتصم من عنده محمد بن ابراهيم بن مصعب أخا اسحق بن ابراهيم ومعه الحسن بن قارن الطبرى ومن كان عنده من الطبرية ووجه المنصور بن الحسن صاحب دنباوند الى الرى ليدخل طبرستان من ناحية الرى ووجه ابا الساج الى اللارز ودنباوند فلما احدقت الخيل بمازيار من كل جانب وكان أصحاب سرخاستان يتحدثون مع أصحاب الحسن بن الحسين حتى استأنس بعضهم ببعض فتوامر بعض أصحاب الحسن فى دخول السور فدخلوه الى أصحاب سرخاستان على غفلة من الحسن ونظر الناس بعضهم الى بعض فثاروا وبلغ الخبر الى الحسن فجعل يصيح بالقوم ويمنعهم خوفا عليهم فلم يقفوا ونصبوا علمه على معسكر سرخاستان وانتهى الخبر الى سرخاستان وهو فى الحمام فهرب فى غلالة وحين رأى الحسن ان أصحابه قد دخلوا السور قال اللهم انهم عصونى وأطاعوك فانصرهم وتبعهم أصحابه حتى دخلوا الى الدرب من غير مانع واستولوا على عسكر سرخاستان وأسر أخوه شهريار ورجع الناس عن الطلب لما أدركهم الليل فقتل الحسن شهريار وسار سرخاستان خائفا فجهده العطش فنزل عن دابته وشدها فبصر به رجل من أصحابه

من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها مصعد روح بن زنباع الجذامى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الجيش فقال يا أهل المدينة ما هذا الايعاد الذى توعدونا انا والله ما دعوناكم الى كلب لمبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بلقين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعوناكم الى هذا الحى من قريش يعنى بنى أمية ثم الى طاعة يزيد ابن معاوية وعلى طاعته قاتلناكم فاياناتوعدون أما والله انا لابناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون فما شئتم ومضى القوم الى الشام وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التى كان بناها ابرهة الحبشى فى كنيسته التى اتخذها هنالك ومعها ثلاث أساطين من رخام فهاوشى منقوش قد حشى النقش والسندروس وأنواع الالوان من الاصباغ فمن رآه ظنه ذهبا وشرع ابن الزبير فى بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من أساس ابراهيم الخليل الذى أسسه هو واسمعيل عليهما السلام

وغلام اسمه جعفر وقال سرخاستان يا جعفر اسقنى ماء فقد هلكت عطشا فقال ليس عندى ما أسقيك فيه قال جعفر واجتمع الى عدة من أصحابى فقلت لهم هذا الشيطان قد أهلكنا فلم لا نتقرب الى السلطان به ونأخذ لانفسنا الامان فتشاورناه وكتفناه فقال لهم خذوا منى مائة ألف درهم واتركونى فان العرب لا تعطيكم شيأ فقالوا أحضرها فقال سيروا معى الى المنزل لتقبضوه واعطيكم المواثيق على الوفاء فلم يفعلوا وساروا به نحو عسكر المعتصم ولقيتهم خيل الحسن بن الحسين فضربوهم وأخذوه منهم وأتوا به الحسن فامر به فقتل وكان عند سرخاستان رجل من أهل العراق يقال له ابو شاس يقول الشعر وهو ملازم له ليتعلم منه اخلاق العرب فلما هجم عسكر العرب على سرخاستان انتهبوا جميع مال ابى شاس وخرج وأخذ جرة فيها ماء وأخذ قدحا وصاح الماء للسبيل وهرب فمر على ضرب كاتب الحسن فعرفه أصحابه فادخلوه اليه فاكرمه وأحسن اليه وقال له قل شعرا أتمدح به الامير فقال والله ما بقى فى صدرى شئ من كتاب الله من الخوف فكيف أحسن الشعر ووجه الحسن برأس سرخاستان الى عبد الله بن طاهر وكان حيان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر قد أقبل مع الحسن كما ذكرناه وهو بناحية طميس وكاتب قارن بن شهريار وهو ابن أخى مازيار ورغبه فى المملكة وضمن له ان يملكه على جبال أبيه وجده وكان قارن من قواد مازيار وقد أنفذه مازيار مع أخيه عبد الله بن قارن ومعه عدة من قواده فلما استماله حيان ضمن له قارن أن يسلم اليه الجبال ومدينة سارية الى حدود جرجان على هذا الشرط وكتب بذلك حيان الى عبد الله بن طاهر فاجابه الى كل ما سأل وأمر حيان ان لا يوغل حتى يستدل على صدق قارن لئلا يكون منه مكر وكتب حيان الى قارن باجابة عبد الله فدعا قارن بعمه عبد الله بن قارن وهو أخو مازيار ودعا جميع قواده الى طعامه فلما وضعوا سلاحهم واطمأنوا أحدق بهم أصحابه فى السلاح وكتفهم ووجه بهم الى حيان فلما صاروا اليه استوثق منهم وركب فى أصحابه حتى دخل جبال قارن وبلغ الخبر مازيار فاغتم لذلك فقال له القوهيار فى حبسك عشرون ألفا من بين حائك واسكاف وحداد وقد شغلت نفسك بهم وانما أتيت من مأمنك وأهل بيتك فما تصنع بهؤلاء المحبسين عندك قال فاطلق مازيار جميع من فى حبسه ودعا جماعة من أعيان أصحابه وقال لهم ان بيوتكم فى السهل واخاف ان يؤخذ حرمكم وأموالكم فانطلقوا وخذوا لانفسكم أمانا ففعلوا ذلك ولما بلغ أهل سارية أخذ سرخاستان ودخول حيان جبل شروين وثبوا على عامل مازيار بسارية فهرب منهم وفتح الناس السجن وأخرجوا من فيه وأتى حيان الى مدينة سارية وبلغ قوهيار أخا مازيار الخبر فارسل الى حيان مع محمد بن موسى بن حفص يطلب الامان وان يملك على جبال ابيه وجده ليسلم اليه مازيار فحضر عند حيان ومعه أحمد بن الصقر وأبلغاه الرسالة فاجاب الى ذلك فلما رأى حيان تحت أحمد فرسا حسنا فأرسل اليه وأخذه منه فغضب أحمد من ذلك وقال هذا الحائك العبد يفعل بشيخ مثلى ما فعل ثم كتب الى قوهيار ويحك لم تغلط فى أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عم الامير عبد الله بن طاهر وتدخل فى أمان هذا العبد الحائك وتدفع اليه أخاك وتضع قدرك وتحقد عليك الحسن بتركك اياه وميلك الى عبد من عبيده فكتب اليه قوهيار انى قد غلطت فى أول الامر وواعدت الرجل ان أصير اليه بعد غد ولا آمن ان خالفته أن يناهضنى ويستبيح دمى ومنزلى وأموالى وان قاتلته فقتلت من أصحابه وجرت الدماء فسد كل ما عملناه ووقعت الشحناء فكتب اليه أحمد اذا كان يوم الميعاد فابعث اليه رجلا من أهلك واكتب اليه انه قد عرضت علة منعتنى عن الحركة وانك تتعالج ثلاثة أيام فان عوفيت والا

فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وكتب الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير فى البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشأم وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك ابن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد بن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوى ففى ذلك يقول فضالة الاسدى وكان بايع لابن الزبير ثم نكث

دعا ابن مطيع للبياع فجئته
الى بيعة قلبى لها غير آلف
فناولنى خشناء لما لمستها
بكفى ليست من أكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله ابن زياد على البصرة أمير

سرت اليك فى محمل وسنضمن لك نحن على قبول ذلك فاجابه اليه وكتب أحمد بن الصقر ومحمد بن موسى ابن حفص الى الحسن بن الحسين وهو بطميس ان اقدم علينا لندفع اليك مازيار والخيل والا فاتك وجها الكتاب اليه مع من يستحثه فلما وصل الكتاب ركب من ساعته وسار مسيرة ثلاثة ايام فى ليلة وانتهى الى سارية فلما أصبح تقدم الى خرماباذ وهو الموعد بين قوهيار وحيان وسمع حيان وقع طبول الحسن فتلقاه على فرسخ فقال له الحسن ما تصنع ههنا ولم توجه الى هذا الموضع وقد فتحت جبال شروين وتركتها فما يؤمنك ان يغدر أهلها فينتقض جميع ما عملنا ارجع اليهم حتى لا يمكنهم الغدر ان هموا به فقال حيان أريد أن أحمل اثقالى وآخذ أصحابى فقال له الحسن سر أنت فانا باعث باثقالك وأصحابك فخرج حيان من فوره كما أمره وأتاه كتاب عبد الله بن طاهر ان يعسكر بكور وهى من جبال ونداهرمز وهى احصنها وكانت أموال مازيار بها فامره عبد الله ان لا يمنع قارن مما يريد من الاموال والجبال فاحتمل قارن مما كان بها وبغيرها من أموال مازيار وسرخستان وانتقض على حيان ما كان عمله بسبب شرهه الى ذلك الفرس وتوفى بعد ذلك حيان فوجه عبد الله مكانه عمه محمد بن الحسين بن مصعب وسار الحسن بن الحسين الى خرماباذ فأتاه محمد بن موسى بن حفص واحمد بن الصقر فشكرهما وكتب الى قوهيار فأتاه فأحسن اليه الحسن واكرمه وأجابه الى جميع ما طلب اليه منه لنفسه وتواعدوا يوما يحضر مازيار عنده ورجع قوهيار الى مازيار فاعلمه انه قد أخذ له الامان واستوثق له وركب الحسن يوم الميعاد وقت الظهر ومعه ثلاثة غلمان أتراك وأخذ ابراهيم بن مهران يدله على الطريق الى ارم فلما قاربها خاف ابراهيم وقال هذا موضع لا يسلكه الا ألف فارس فصاح به امض قال فمضيت وأنا طائش العقل حتى وافينا ارم فقال أين طريق هرمزاباذ قلت على هذا الجبل فى هذا الطريق فقال سر اليها فقلت الله الله فى نفسك وفينا وفى هذا الخلق الذين معك فصاح امض يا ابن اللخناء فقلت اضرب عنق أحب الى من ان يقبلنى مازيار ويلزمنى الامير عبد الله الذنب فانتهرنى حتى ظننت انه يبطش بى فسرت وأنا خائف فانتهينا الى هرمزاباذ مع اصفرار الشمس فنزل فجلس ونحن صيام وكانت الخيل قد تقطعت لانه ركب بغير علم الناس فلحقوا بعد مسيره قال وصلينا المغرب واقبل الليل واذا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلا مقبلين من طريق لبورة فقال الحسن اين طريق لبورة فقلت أرى عليه فرسانا ونيرانا وأنا داهش لا أقف على حقيقة الامر حتى قربت النيران فنظرت فاذا المازيار مع القوهيار فنزلا وتقدم مازيار فسلم على الحسن فلم يرد عليه السلام وقال لرجلين من أصحابه خذاه اليكما فاخذاه فلما كان السحر وجه الحسن مازيار معهما الى سارية وسار الحسن الى هرمزاباذ فاحرق قصر مازيار وأنهب ماله وسار الى خرماباذ وأخذ اخوة مازيار فحبسوا هنالك ووكل بهم وسار الى مدينة سارية فاقام بها وحبس مازيار ووصل محمد بن ابراهيم بن مصعب الى الحسن بن الحسين فسار به ليناظره فى معنى المال الذى لمازيار وأهله فكتب الى عبد الله بن طاهر فامر الحسن بتسليم مازيار وأهله الى محمد بن ابراهيم ليسير بهم الى المعتصم وأمره أن يستقصى على أموالهم ويحرزها فاحضر مازيار وسأله عن أمواله فذكر انها عند خزانه وضمن قوهيار ذلك وأشهد على نفسه وقال مازيار اشهدوا على ان جميع ما أخذت من أموالى ستة وتسعون ألف دينار وسبع عشرة قطعة زمرد وست عشرة قطعة ياقوت وثمانية أحمال من ألوان الثياب وتاج وسيف مذهب مجوهر وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر وحق كبير مملوء جوهرا قيمته ثمانية عشر ألف ألف درهم وقد سلمت ذلك الى خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وكان مازيار قد استخاف

فخطب الناس وأعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عدد أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم فى بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه أشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمى وقيس بن الهيثم السلمى ومسمع بن مالك العبدى فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وأنت أحق من قام على أمرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيرى لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعى عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أطلق ايماننا لا حاجة لنا فى بنى أمية ولا فى امارة ابن مرجانة وهى أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ما ذكرنا آنفا فاما

هذا ليوصله الى الحسن بن الحسين ليظهر للناس والمعتصم انه أمنه على نفسه وماله وولده وانه جعل له جبال أبيه فامتنع الحسن من قبوله وكان أعف الناس فلما كان الغد أنفذ الحسن مازيار الى المعتصم مع يعقوب بن المنصور ثم امر الحسن قوهيار ان يأخذ بغاله ليحمل عليها مال مازيار فاخذها وأراد الحسن ان ينفذ معه جيشا فقال لا حاجة لى بهم وسار هو وغلمانه فلما فتح الخزائن واخرج الاموال وعباها اليحملها وثب عليه مماليك المازيار وكانوا ديالمة وقالوا اغدرت بصاحبنا واسلمته الى العرب وجئت لتحمل أمواله وكانوا ألفا ومائتين فاخذوه وقيدوه فلما جنهم الليل قتلوه وانتهبوا الاموال والبغال فانتهى الخبر الى الحسن بن الحسين فوجه جيشا ووجه قارن جيشا فاخذ أصحاب قارن منهم عدة منهم ابن عم مازيار يقال له شهريار بن المصمغان وكان هو يحرضهم فوجهه قارن الى عبد الله بن طاهر فمات بقومس وعلم محمد بن ابراهيم خبرهم فأرسل فى أثرهم فأخذوا وبعث بهم الى مدينة سارية وقيل ان السبب فى أخذ مازيار كان ابن عم له اسمه قوهيار كان له جبال طبرستان وكان لمازيار السهل وجبال طبرستان ثلاثة اجبل جبل ونداهرمز وجبل أخيه وندا اسفجان والثالث جبل شروين ابن سرخاب فقوى مازيار وبعث الى ابن عمه قوهيار وقيل هو اخوه فالزمه بابه وولى الجبل واليا من قبله يقال له درى فلما خالف مازيار واحتاج الى الرجال دعا قوهيار وقال له أنت اعرف بجبلك من غيرك واظهره على امر الافشين ومكاتبته وأمره بالعود الى جبله وحفظه وأمر الدرى بالمجيء اليه فأتاه فضم اليه العساكر ووجهه الى محاربة الحسن بن الحسين عم عبد الله بن طاهر وظن مازيار انه قد استوثق من الجبل بقوهيار وتوثق من المواضع المخوفة بدرى وعساكره واجتمعت العساكر عليه كما تقدم ذكره وقربت منه وكان مازيار فى مدينته فى نفر يسير فدعا قوهيار الحقد الذى فى قلبه على مازيار وما صنع به على ان كاتب الحسن بن الحسين وأعلمه جميع ما فى عسكره ومكاتبة الافشين فانفذ الحسن كتاب قوهيار الى عبد الله بن طاهر فانفذه عبد الله الى المعتصم وكاتب عبد الله والحسن قوهيار وضمنا له جميع ما يريد وان يعيد اليه جبله وما كان بيده لا ينازعه فيه أحد فرضى بذلك ووعدهم يوما يسلم فيه الجبل فلما جاء الميعاد تقدم الحسن فحارب درى وأرسل عبد الله بن طاهر جيشا كثيفا فوافوا قوهيار فسلم اليهم الجبل فدخلوه ودرى يحارب الحسن ومازيار فى قصره فلم يشعر مازيار الا والخيل على باب قصره فاخذوه اسيرا وقيل ان مازيار كان يتصيد فاخذوه وقصدوا به نحو درى وهو يقاتل فلم يشعر هو وأصحابه الا وعسكر عبد الله من ورائهم ومعهم مازيار فاندفع درى وعسكره واتبعوه وقتلوه وأخذوا رأسه وحملوه الى عبد الله بن طاهر وحملوا اليه مازيار فوعده عبد الله بن طاهر ان هو أظهره على كتب الافشين ان يسأل فيه المعتصم ليصفح عنه فاقر مازيار بذلك وأظهر الكتب عند عبد الله بن طاهر فسيرها الى اسحق بن ابراهيم وسير مازيار وأمره أن لا يسلمها الا من يده الى يد المعتصم ففعل اسحق ذلك فسأل المعتصم مازيار عن الكتب فانكرها فضربه حتى مات وصلبه الى جانب بابك وقيل ان مخالفة مازيار كانت سنة خمس وعشرين والاول أصح لان قتله كان فى سنة خمس وعشرين وقيل انه اعترف بالكتب على ما نذكره ان شاء الله تعالى

❁(ذكر عصيان منكجور قرابة الافشين)❁

لما فرغ الافشين من بابك وعاد الى سامرا استعمل على اذربيجان وكان فى عمله منكجور وهو من أقاربه فوجد فى بعض قرى بابك مالا عظيما ولم يعلم به المعتصم ولا الافشين فكتب صاحب البريد الى المعتصم وكتب منكجور يكذبه فتناظرا فهم منكجور ليقتله فمنعه أهل اردبيل

البيعة لاهل الحجاز يعنى أهل الحجاز فخلع أهل الكوفة ولاية أمية وامارة ابن زياد وأرادوا ان ينصبوا لهم أميرا الى ان ينظروا فى أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبى وقاص يصلح لها فلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين ويقلن أما رضى عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميرا علينا على الكوفة فبكى الناس واعرضوا عن عمرو وكان المبرزون فى ذلك نساء همدان وقد كان على عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

ولو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال (عبيت همدان وعبوا حميرا) ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشأم الا أناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما مافيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ما قدمنا آنفا فتولى أمرهم حتى

وقاتلهم منكجور وبلغ ذلك المعتصم فامر الافشين بعزل منكجور فوجه قائدا فى عسكر ضخم فلما بلغ منكجور الخبر خلع الطاعة وجمع الصعاليك وخرج من اردبيل فواقعه القائد فهزمه وسار الى حصن من حصون اذربيجان التى كان بابك خربها فبناه وأصلحه وتحصن فيه فبقى به شهرا ثم وثب به أصحابه فاسلموه الى ذلك القائد فقدم به الى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الافشين فى أمره وكان قدومه سنة خمس وعشرين ومائتين وقيل ان ذلك القائد الذى أنفذ الى منكجور كان بغا الكبير وان منكجور خرج اليه بامان

﴿ذكر ولاية عبد الله الموصل وقتله﴾

فى هذه السنة عصى بأعمال الموصل انسان من مقدمى الاكراد اسمه جعفر بن فهرجس وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم ممن يريد الفساد فاستعمل المعتصم عبد الله بن السيد بن أنس الازدى على الموصل وأمره بقتال جعفر فسار عبد الله الى الموصل وكان جعفر بما تعيس قد استولى عليها فتوجه عبد الله اليه وقاتله وأخرجه من ماتعيس فقصد جبل داسن وامتنع بموضع عال فيه لا يرام والطريق اليه ضيق فقصد عبد الله الى هناك وتوغل فى تلك المضايق حتى وصل اليه وقاتله فاستظهر جعفر ومن معه من الاكراد على عبد الله لمعرفتهم بتلك المواضع وقوتهم على القتال بها رجالة فانهزم عبد الله وقتل أكثر من معه وممن ظهر منهم انسان اسمه رباح حمل على الاكراد فخرق صفهم وطعن فيهم وقتل وصار وراء ظهورهم وشغلهم عن أصحابه حتى نجا منهم من أمكنه النجاة فتكاثر الاكراد عليه فالقى نفسه من رأس الجبل على فرسه وكان تحته نهر فسقط الفرس فى الماء ونجا رباح وكان فيمن أسره جعفر رجلان أحدهما اسمه اسمعيل والآخر اسحق ابن أنس وهو عم عبد الله بن السيد وكان اسحق صهر جعفر فقدمهما جعفر اليه فظن اسمعيل أن يقتله ولا يقتل اسحق للصهر الذى بينهما فقال يا اسحق أوصيك بأولادى فقال له اسحق أتظن انك تقتل وأبقى بعدك ثم التفت الى جعفر فقال أسألك ان تقتلنى قبله لتطيب نفسه فبدأ به فقتله وقتل اسمعيل بعده فلما بلغ ذلك المعتصم أمر ايتاخ بالمسير الى جعفر وقتاله فتجهز وسار الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داسن وجعل طريقه على سوق الاحد فالتقاه جعفر فقاتله قتالا شديدا فقتل جعفر وتفرق أصحابه فانكشف شره وأذاه عن الناس وقيل ان جعفرا شرب سما كان معه فمات وأوقع ايتاخ بالاكراد فأكثر القتل فيهم واستباح أموالهم وحشر الاسرى والنساء والاموال الى تكريت وقيل ان ايقاع ايتاخ بجعفر كان سنة ست وعشرين والله أعلم

﴿ذكر غزاة المسلمين بالاندلس﴾

وفى هذه السنة سير عبد الرحمن عبد الله المعروف بابن البلنسى الى بلاد العدو فوصلوا الى البه والقلاع فخرج المشركون اليه فى جمعهم وكان بينهم حرب شديدة وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤس أكداسا حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج لذريق فى عسكره وأراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى فى عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل فى عسكره وسار فرتون الى الحصن الذى كان بناه أهل البه بازاء ثغور المسلمين فحصره وافتتحه وهدمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تولى جعفر بن دينار اليمن وفيها تزوج الحسين بن الافشين اترجة ابنة اشناس

ودخل

وجه المختار فى أثره ونظر مروان بن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف الى جملته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشأم وقال له انك شيخ بنى عبد مناف فلا تعجل فصار مروان الى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك بن قيس الفهرى الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار الضحاك الى حوران والبثنة وأظهر الدعوة لابن الزبير والتقى الاشدق ومروان فقال الاشدق لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لى ولك قال مروان وما هو قال ادعو الناس اليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد ابن يزيد بن معاوية فرضى الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فأجابوا ومضى الاشدق الى حسان ابن مالك بالاردن فارغبه فى بيعة مروان فجنح لها وبويع مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان

ودخل بها فى قصر المعتصم فى جمادى الآخرة واحضر عرسها عامة أهل سامرا وكانوا يغلفون العامة بالغالية وهى فى تغار من فضة وفيها امتنع محمد بن عبد الله الورثانى بورثان ثم عاود الطاعة وقدم على المعتصم بامان سنة خمس وعشرين ومائتين وفيها مات ناطس الرومى وصلب بسامرا وفيها مات ابراهيم بن المهدى فى رمضان وصلى عليه المعتصم وحج بالناس محمد بن داود وفيها وقع بافريقية فتنة كان فيها حرب بين عيسى بن ريعان الازدى وبين لواتة وزواغة ومكناسة فكانت الحرب بين قفصة وقسطيلية فقتلوا عيسى عن آخرهم وفيها اجتمع أهل سجلماسة مع مدرار بن اليسع على تقديم ميمون بن مدرار فى الامارة على سجلماسة واخراج أخيه المعروف بابن تقية فلما استقر الامر لميمون اخرج أباه وأمه الى بعض قرى سجلماسة وفيها فتح نوح بن أسد كاسان واورشت بما وراء النهر وكانا قد نقضا الصلح وافتتح أيضا اسبيجاب وبنى حوله سورا يحيط بكروم أهله ومزارعهم وفيها مات أبو عبيد القاسم بن سلام الامام اللغوى وكان عمره سبعا وستين سنة كانت وفاته بمكة (سلام بتشديد اللام)

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين﴾

﴿ذكر وصول مازيار الى سامرا﴾

فى هذه السنة كان وصول مازيار الى سامرا فخرج اسحق بن ابراهيم فأخذه من الدسكرة وأدخله سامرا على بغل باكاف لانه امتنع من ركوب الفيل فامر المعتصم ان يجمع بينه وبين الافشين وكان الافشين قد حبس قبل ذلك بيوم فاقر مازيار ان الافشين كان يكاتبه ويحسن له الخلاف والمعصية فامر برد الافشين الى محبسه وضرب مازيار أربعمائة وخمسين سوطا وطلب ماء للشرب فسقى فمات من ساعته وقيل ما تقدم ذكره وقد تقدم من اعتراف مازيار بكتب الافشين فى غير موضع ما يخالف هذا وسببه اختلاف الناقلين

﴿ذكر غضب المعتصم على الافشين وحبسه﴾

وفى هذه السنة غضب المعتصم على الافشين وحبسه وكان سبب ذلك ان الافشين كان أيام محاربة بابك لا تأتيه هدية من أهل ارمينية وأذربيجان الا وجهها الى اشروسنة فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر فيكتب عبد الله الى المعتصم يعرفه الخبر فكتب اليه المعتصم يأمره باعلامه بجميع ما يوجه به الافشين ففعل عبد الله ذلك فكان الافشين كلما اجتمع عنده مال يجعله على أوساط أصحابه فى الهمايين ويسيره الى أشروسنة فانفذ مرة مالا كثيرا فبلغ أصحابه الى نيسابور فوجه عبد الله بن طاهر ففتشهم فوجد المال فى أوساطهم فقال من أين لكم هذا المال فقالوا للافشين فقال كذبتم لو أراد أخى الافشين أن يرسل مثل هذه الهدايا والاموال لكتب يعلمنى ذلك الامر بتسييره وانما أنتم لصوص وأخذ عبد الله المال فأعطاه الجند وكتب الى الافشين يذكر له ما قال القوم وقال أنا أنكر ان تكون وجهت بمثل هذا المال ولم تعلمنى وقد أعطيته الجند عوض المال الذى يوجه أمير المؤمنين فان كان المال لك كما زعموا فاذا جاء المال من عند أمير المؤمنين رددته عليك وان يكن غير هذا فأمير المؤمنين أحق بهذا المال وانما دفعته الى الجند لانى أريد أوجههم الى بلاد الترك فكتب اليه الافشين ان مالى ومال أمير المؤمنين واحد وسأله اطلاق القوم فاطلقهم فكان ذلك سبب الوحشة بينهما وجعل عبد الله يتتبعه وكان الافشين يسمع من المعتصم ما يدل على انه يريد عزل عبد الله عن خراسان فطمع فى ولايتها فكاتب مازيار يحسن له الخلاف ظنا منه انه اذا خالف عزل المعتصم عبد الله عن خراسان

وذلك بالاردن وكان أول من بايعه أهلها وغمت بيعته وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ما قيل بغير رضا من عصبة من الناس بل كل خوفه الاعداد يسير احملوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان الا مروان فانه أخذها على ما وصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما أمروا خيط باطل
على الناس يعطى ما يشاء ويمنع

واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشأم على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية ابن يزيد منها ان يفرض لهم لالفى رجل ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى ان يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منهم ومشورة فرضى مروان بذلك وانقاد اليه وقال له مالك بن هبيرة البشكرى انه لبست لك

واستعمله عليها وأمره بمحاربة مازيار فكان من أمر مازيار ما تقدم وكان من عصيان منكجور ما ذكرناه أيضا فتحقق المعتصم أمر الافشين فتغير عليه وأحس الافشين بذلك فلم يدر ما يصنع فعزم على ان يهيئ اطوافا في قصره ويحتال في يوم شغل المعتصم وقواده ان يأخذ طريق الموصل ويعبر الزاب على تلك الاطواف ويصير الى ارمينية وكانت ولاية ارمينية اليه ثم يصير الى بلاد الخزر ثم يدور في بلاد الترك ويرجع الى اشروسنة أو يستميل الخزر على المسلمين فلم يمكنه ذلك فعزم على ان يعمل طعاما كثيرا ويدعو المعتصم والقواد ويعمل فيه سما فان لم يجئ المعتصم عمل ذلك بالقواد مثل اشناس وايتاخ وغيرهما يوم تشاغل المعتصم فاذا خرجوا من عنده سار في أول الليل فكان في تهيئة ذلك وكان قواده ينوبون في دار المعتصم كما يفعل القواد وكان اواجن الاشروسني قد جرى بينه وبين من قد اطلع على أمر الافشين حديث فقال أواجن لا يتم هذا الامر فذهب ذلك الرجل الى الافشين فاعلمه فتهدد أواجن فسمعه بعض من يميل الى أواجن من خدم الافشين فأتاه ذلك الخادم فاعلمه الحال بعد عوده من النوبة فخاف على نفسه فخرج الى دار المعتصم فقال لايتاخ ان لامير المؤمنين عندي نصيحة قال قد نام أمير المؤمنين فقال أواجن لا يمكنني أن أصبر الى غد فدق ايتاخ الباب على بعض من يخبر المعتصم بذلك فقال المعتصم قل له ينصرف الليلة الى غد فقال ان انصرفت ذهبت نفسي فارسل المعتصم الى ايتاخ بيته عندك الليلة فبيته عنده فلما أصبح الصباح بكر به على باب المعتصم فاخبره بجميع ما كان عنده فامر المعتصم باحضار الافشين فجاء في سواده فامر بأخذ سواده وحبسه في الجوسق وكتب المعتصم الى عبد الله ابن طاهر في الاحتيال على الحسين بن الافشين وكان الحسين قد كثرت كتبه الى عبد الله يشكو من نوح بن الاسد الامير بما وراء النهر وتحامله على ضياعه وناحيته فكتب عبد الله الى نوح يعلمه ما كتب به المعتصم في أمر الحسين ويأمره أن يجمع أصحابه ويتأهب فاذا قدم عليه الحسين بكتاب ولايته اخذه واستوثق منه وحمله اليه وكتب عبد الله الى الحسين يعلمه انه قد عزل نوحا وانه قد ولاه ناحيته ووجه اليه بكتاب عزل نوح وولايته فخرج ابن الافشين في قلة من أصحابه وسلاحه حتى ورد على نوح وهو يظن أنه والي الناحية فاخذه نوح وقيده ووجهه الى عبد الله بن طاهر فوجهه به عبد الله الى المعتصم فامر المعتصم باحضار الافشين ليقابل على ما قيل عنه فاحضر عند محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وعنده ابن أبي دواد واسحق بن ابراهيم وغيرهما من الاعيان وكان المناظر له ابن الزيات فامر باحضار مازيار والموبذ والمرزبان بن بركش وهو أحد ملوك السغد ورجلين من أهل السغد فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين وعليهما ثياب رثة فقال لهما ما شأنكما فكشفا عن ظهورهما وهي عارية من اللحم فقال للافشين أتعرف هؤلاء قال نعم هذا مؤذن وهذا امام بنيا مسجدا باشروسنة فضربت كل واحد منهما ألف سوط وذلك ان بيني وبين ملك السغد عهدا وشرطا أن أترك كل قوم على دينهم فوثب هذان على بيت كان فيه أصنام أهل اشروسنة فاخرجا الاصنام وجعلاه مسجدا فضربتهما على هذا قال ابن الزيات ما كتاب عندك قد حليته بالذهب والجوهر فيه الكفر بالله تعالى قال كتاب ورثته عن أبي فيه من آداب العجم وكفر فكنت آخذ الآداب وأترك الكفر ووجدته محلى فلم أحتج الى أخذ الحلية منه وما ظننت ان هذا يخرج من الاسلام ثم تقدم الموبذ فقال ان هذا يأكل لحم المخنوقة ويحملني على أكلها ويزعم انها أرطب من المذبوحة وقال لي يوما قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شئ أكرهه حتى أكلت الزيت وركبت الجمل والبغل غير أني الى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة يعني لم آخذ شعر العانة

ولم

في أعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ما قريش عندنا الاسواء فأجابه مروان الى ما سأل وسار مروان نحو الضحاك بن قيس الفهري وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوي وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معه بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديهم مع مروان فقتل الضحاك بن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزار وأكثرهم من قيس مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط وفي ذلك يقول مروان بن الحكم

لما رأيت الناس صاروا حزبا
والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا
والقين تمشي في الحديد نكبا
والاعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا

ولم اختتن فقال الافشين أخبروني عن هذا أثقة هو في دينه وكان مجوسيا وانما أسلم أيام المتوكل فقالوا لا فقال فما معنى قبول شهادته ثم قال للموبذ أليس كنت أدخلك علي وأطلعك على سري قال بلى قال لست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك اذ أفشيت سرا أسررته اليك ثم تقدم المرزبان فقال كيف يكتب اليك أهل بلدك فقال لا أقول قال أليس يكتبون بكذا بالاشروسنية قال بلى قال أليس تفسيره بالعربية الى اله الآلهة من عبده فلان بن فلان قال بلى قال محمد بن عبد الملك الزيات المسلمون لا يحتملون هذا فما أبقيت لفرعون قال هذه كانت عادتهم لابي وجدي ولي قبل ان ادخل في الاسلام فكرهت ان اضع نفسي دونهم فتفسد على طاعتهم ثم تقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا فقالوا للمازيار هل كتب اليك قال نعم كتب اخوه الى أخي قوهيار انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك فاما بابك فانه لحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن اصرف عنه الموت فأبى لحمقه الا ان أوقعه فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه والمغاربة أكلة رأس والاتراك انما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعي ان أخي كتب الى أخيه لا يجب علي ولو كتبت هذا الكتاب اليه لاستميله الي ويثق بي ثم آخذه بقفاه واحظى به عند الخليفة كما حظي عبد الله بن طاهر فزجره ابن أبي دواد فقال الافشين يا أبا عبد الله أنت ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال له ابن أبي دواد أمطهر أنت قال لا قال فما منعك من ذلك وبه تمام الاسلام والطهور من النجاسة فقال أوليس في الاسلام استعمال التقية قال بلى قال خفت ان أقطع ذلك العضو من جسدي فاموت فقال أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك ان يكون ذلك في الحرب وتجزع من قطع قلفة قال تلك ضرورة تصيبني فاصبر عليها وهذا شئ أستجلبه فقال ابن ابي دواد قد بان لكم أمره فقال لبغا الكبير عليك به فضرب بيده على منطقته فجذبها وأخذ بمجامع القباء عند عنقه ورده الى محبسه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غضب المعتصم على جعفر بن دينار لاجل وثوبه على من كان معه من الاصحاب وحبسه عند أشناس خمسة عشر يوما ثم رضي عنه وعزله عن اليمن واستعمل عليها ايتاخ وفيها عزل الافشين عن الحرس وولاه اسحق بن يحيى بن معاذ وفيها سار عبد الرحمن صاحب الاندلس في جيش كثير الى بلاد المشركين في شعبان فدخل بلاد جليقية فافتتح منها عدة حصون وجال في أرضهم يخرب ويغنم ويقتل ويسبي وأطال المقام في هذه الغزاة ثم عاد الى قرطبة وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود وفيها توفي أبو دلف العجلي واسمه القاسم بن عيسى وأبو عمرو الجرمي النحوي واسمه صالح بن اسحق وكان من الصالحين وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني وله ثلاث وتسعون سنة وله كتب في المغازي وأيام العرب وكان بصريا فاقام بالمدائن فنسب اليها

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين﴾

فيها وثب علي بن اسحق بن يحيى بن معاذ وكان على المعونة بدمشق من قبل صول ارتكين بن رجاء وكان على الخراج فقتله وأظهر الوسواس ثم تكلم فيه أحمد بن أبي دواد فاطلق من محبسه وفيها مات محمد بن عبد الله بن طاهر فصلى عليه المعتصم

وفي ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم

أرى أحاديث أهل المجد قد بلغت
أهل الفرات وأهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحرث العامري ثم الكلابي مع الضحاك فلما أمعن السيف في قومه ولى ومعه رجلان من بني سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابي من أبيات كثيرة

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
لمروان صدعا بيننا متنائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أريني سلاحي لا أبالك انني
أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا
وتترك قتلى راهط هي ماهيا
فلم تر مني نبوة بعد هذه
فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية أغدو في الفريقين لا أرى
من القوم الا من علي ولا ليا
أيذهب يوم واحد ان أسأته
بصالح أيامي وحسن بلائيا

﴿ذكر موت الافشين﴾

وفيها مات الافشين وكان قد أنفذ الى المعتصم يطلب ان ينفذ اليه من يثق به وانفذ اليه حمدون ابن اسمعيل فاخذ يعتذر عما قيل فيه وقال قل لامير المؤمنين انما مثلي ومثلك كرجل ربى عجلا حتى اسمنه وكبر وكان له أصحاب يشتهون ان يأكلوا من لحمه فعرضوا بذبحه فلم يجبهم فاتفقوا جميعا على أن قالوا لم تربى هذا الاسد فانه اذا كبر رجع الى جنسه فقال لهم انما هو عجل فقالوا هذا أسد فسل من شئت وتقدموا الى جميع من يعرفونه وقالوا لهم ان سألكم عن العجل فقولوا انه أسد وكلما سأل انسانا قال هو سبع فامر بالعجل فذبح وانى انا ذلك العجل كيف أقدر ان أكون أسدا الله الله فى أمرى قال حمدون فقمت عنه وبين يديه طبق فيه فاكهة قد أرسل به المعتصم مع ابنه الواثق وهو على حاله فلم ألبث الا قليلا حتى قيل انه يموت أو قد مات فحمل الى دار ايتاخ فمات بها وأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس ثم ألقى وأحرق بالنار وكان موته فى شعبان قال حمدون وسألته هل هو مطهر أم لا فقال الى مثل هذا الموضع انما قال لى هذا والناس مجتمعون ليفضحنى ان قلت نعم قال تكشف والموت كان أحب الى من ان أتكشف بين يدى الناس ولكن ان شئت أتكشف بين يديك حتى ترانى فقلت له أنت صادق فلما انصرف حمدون وبلغ المعتصم وسالته أمر بقطع الطعام والشراب عنه الا القليل حتى مات قال ولما أخذ ماله رأى فى داره بيت تمثال انسان من خشب عليه حلية كثيرة وجوهر وفى أذنيه حجران مشتبكان عليهما ذهب فاخذ بعض من كان مع سليمان أحد الحجرين وظنه جوهرا وكان ذلك ليلا فلما أصبح نزع عنه الذهب ووجده شيأ شبيها بالصدف يسمى الحبرون ووجدوا أصناما وغير ذلك والاطواف الخشب التى كان أعدها ووجدوا له كتابا من كتب المجوس وكتبا غيره فيها ديانته

﴿ذكر وفاة الاغلب وولاية أبى العباس محمد بن الاغلب افريقية وما كان منه﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى الاغلب بن ابراهيم يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر وسبعة أيام ولما توفى ولى أبو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب بلاد افريقية بعد وفاة والده ودانت له افريقية وابتنى مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية فى سنة تسع وثلاثين ومائتين فاحرقها افلح بن عبد الوهاب الاباضى وكتب الى الاموى صاحب الاندلس يعلمه ذلك فبعث اليه الاموى مائة ألف درهم جزاء له على فعله وتوفى محمد بن الاغلب يوم الاثنين غرة المحرم من سنة اثنتين وأربعين ومائتين وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام

﴿ذكر ولاية ابنه أبى ابراهيم أحمد﴾

لما توفى أبو العباس محمد بن الاغلب ولى الامر بعده ابنه أبو ابراهيم أحمد وأحسن السيرة مع الرعية وأكثر العطاء للجند وبنى بارض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد واشترى العبيد ولم يكن فى أيامه ثائر يزعجه ثم توفى رحمه الله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة سنة تسع وأربعين ومائتين وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر واثنى عشر يوما وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة

﴿ذكر ولاية أخيه أبى محمد زيادة الله﴾

ولما توفى أحمد ولى أخوه زيادة الله وجرى على سنن سلفه ولم تطل أيامه فتوفى يوم السبت لاحدى عشرة بقيت من ذى القعدة سنة خمسين ومائتين وكانت ولايته سنة واحدة وستة أيام

أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومقتل همام أمنى الامانيا

وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشأم وكان النعمان بن بشير واليا على حمص قد خطب لابن الزبير مماثلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء متحيرا لا يدرى أين يأخذ فأتبعه خالد بن عدى الكلاعى فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحرث الكلابى فى هزيمته الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشأم لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان فى جنوده من الشأم الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندق مما يلى المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشد بن كريب ابن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان اكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشد بن لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعنى يوم

﴿ذكر ولاية محمد بن أحمد بن الاغلب﴾

ولما توفى زيادة الله ولى بعده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الاغلب وجرى على سنن أسلافه وكان أديبا عاقلا حسن السيرة غير ان جزيرة صقلية تغلب الروم على مواضع منها وبنى ايضا حصونا ومحارس على ساحل البحر وبالمغرب أرض تعرف بالارض الكبيرة بينها وبين برقة مسيرة خمسة عشر يوما وبها مدينة على ساحل البحر تدعى بارة وكان أهلها نصارى ليسوا بروم فغزاها حياة مولى الاغلب فلم يقدر عليها ثم غزاها خلفون البربرى ويقال انه مولى لربيعة ففتحها فى خلافة المتوكل وقام بعده رجل يسمى المفرج بن سالم ففتح أربعا وعشرين حصنا واستولى عليها فكتب الى والى مصر يعلمه خبره وانه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة الا بأن يعقد له الامام على ناحيته ويوليه اياها ليخرج من حد المتغلبين وبنى مسجدا جامعا ثم ان أصحابه شغبوا عليه ثم قتلوه ثم توفى أبو عبد الله محمد رحمه الله سنة احدى وستين ومائتين وانما ذكرنا ولاية هؤلاء متتابعة لقلة ما لكل واحد منهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة زلزلت الاهواز زلزلة شديدة خمسة أيام وكان مع الزلزلة ريح شديدة فخرج الناس عن منازلهم وخرب كثير منها وفيها حج بالناس محمد بن داود وأمره اشناس بذلك وكان اشناس حاجا وقد جعل اليه ولاية كل بلد يدخله وخطب له على منابر مكة والمدينة وغيرهما من البلاد التى اجتاز بها بالامرة الى أن عاد الى سامرا وفيها توفى أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن العلاف البصرى شيخ المعتزلة فى زمانه وزاد عمره على مائة سنة وله مسائل فى الاصول قبيحة تفرد بها ويحيى ابن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمى الحنظلى النيسابورى أبو زكريا توفى فى صفر بنيسابور وسليمان بن حرب الواشحى القاضى وأبو الهيثم الرازى النحوى وكان عالما بنحو الكوفيين

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين﴾

﴿ذكر خروج المبرقع﴾

فى هذه السنة خرج أبو حرب المبرقع اليمانى بفلسطين وخالف على المعتصم وكان سبب خروجه ان بعض الجند أراد النزول فى داره وهو غائب فمنعه بعض نسائه فضربها الجندى بسوط فاصاب ذراعها فاثر فيها فلما رجع الى منزله شكت اليه ما فعل بها الجندى فاخذ سيفه وسار نحوه فقتله ثم هرب وألبس وجهه برقعا وقصد بعض جبال الاردن فاقام به وكان يظهر بالنهار متبرقعا فاذا جاءه أحد ذكره وأمره بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويذكر الخليفة وما يأتى ويعيبه فاستجاب له قوم من فلاحى تلك الناحية وكان يزعم أنه أموى فقال أصحابه هذا السفيانى فلما كثر اتباعه من هذه الصفة دعا أهل البيوتات فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية منهم رجل يقال له ابن بيهس كان مطاعا فى أهل اليمن ورجلان من أهل دمشق واتصل الخبر بالمعتصم فى مرضه الذى مات فيه فسير اليه رجاء بن أيوب الحضارى فى زهاء ألف رجل من الجند فرآه فى عالم كثير يبلغون مائة ألف فكره رجاء مواقعته وعسكر فى مقابلته حتى كان أوان الزراعة وعمل الارض فانصرف من كان مع المبرقع الى عملهم وبقى فى زهاء ألف أو ألفين وتوفى المعتصم وولى الواثق وثارت الفتنة بدمشق على ما نذكره فامر الواثق رجاء بقتال من أراد الفتنة والعود الى المبرقع ففعل ذلك وعاد الى المبرقع فناجزه رجاء فالتقى العسكران فقال رجاء لاصحابه ما أرى فى عسكره رجلا له شجاعة غيره وانه سيظهر لاصحابه ما عنده فاذا حمل عليكم فافرجوا له فما لبث ان حمل المبرقع فافرج له أصحاب رجاء

الدار بالمدينة فقال مروان ما أشاء من ذلك شيأ وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز وقدم مروان الشأم فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان ابن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان فى الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز ابن مروان بعد عبد الملك فلم يخالفه فى ذلك أحد وهلك مروان بدمشق فى هذه السنة وهى سنة خمس وستين وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عنى بأخبارهم فى سبب وفاته فنهم من رأى أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبى هاشم

حتى جاوزهم ثم رجع فافرجوا له حتى أتى أصحابه ثم حمل مرة أخرى فلما أراد الرجوع أحاطوا به وأخذوه أسيرا وقيل كان خروجه سنة ست وعشرين ومائتين وانه خرج بنواحي الرملة وصار في خمسين ألفا فوجه اليه المعتصم رجاء الحضاري فقاتله وأخذ ابن بيهس أسيرا وقتل من أصحاب المبرقع نحوا من عشرين ألفا وأسر المبرقع وحمله الى سامرا

﴿ ذكر وفاة المعتصم ﴾

وفي هذه السنة توفي المعتصم ابو اسحق محمد بن هرون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يوم الخميس لثمان عشرة مضت من ربيع الاول وكان بدو علته انه احتجم أول يوم في المحرم واعتل عندها قال زنام الزامر أفاق المعتصم في علته التي مات فيها فركب في الزلال في دجلة وأنا معه فمر بازاء منازله فقال يا زنام ازمر لي

يا منزلا لم تبل اطلاله * حاشى لاطلالك ان تبلى
لم أبك أطلالك لكنني * بكيت عيشي فيك اذ ولى
والعيش أولى ما بكاه الفتى * لا بد للمحزون أن يسلى

قال فما زلت ازمر له هذا الصوت وأكرره وقد تناول منديلا بين يديه فما زال يبكي فيه وينتحب حتى رجع الى منزله ولما احتضر المعتصم جعل يقول ذهبت الحيل ليست حيلة حتى أصمت ثم مات ودفن بسامرا وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين وكان مولده سنة تسع وسبعين ومائة وقيل سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وملك ثمان سنين وثمانية أشهر فعلى القول الاول يكون عمره سبعا وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وعلى القول الثاني يكون عمره سبعا وأربعين سنة وسبعة أشهر وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعا مشرب اللون حمرة حسن العينين وكان مولده بالخلد قار وقال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت * عليك أيد بالترب والطين
اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا ونعم المعين للدين
لا يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون *

وكانت أمه ماردة من مولدات الكوفة وكانت أمها صغدية وكان أبوها نشأ بالبندنيجين

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

ذكر عن أحمد بن أبي دواد انه ذكر المعتصم فاسهب في ذكره وأكثر في وصفه وذكر من طيب اعراقه وسعة أخلاقه وكريم عشرته قال وقال يوما ونحن بعمورية ما تقول في البسر يا أبا عبد الله فقلت يا أمير المؤمنين نحن ببلاد الروم والبسر بالعراق فقال قد جاؤا منه بشيء من بغداد وعلمت انك تشتهيه ثم أحضره فمد يده فاخذ العذق فارغا قال وكنت أزامله كثيرا في سفره ذلك ذكر باقي الخبر قال وأخذت لاهل الشاش منه ألفي ألف درهم لعمل نهر كان لهم اندفن في صدر الاسلام فاضر بهم وقال غيره انه كان لا يبالي اذا غضب من قتل وما فعل ولم يكن له لذة في تزيين البناء ولم يكن بالنفقة أسمح منه بها في الحرب قال أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قدم الزبير بن بكار العراق هاربا من العلويين لانه كان ينال منهم فتهددوه فهرب منهم وقدم على عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير وشكا اليه حاله وخوفه من العلويين وسأله انهاء حاله الى المعتصم فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه قال أحمد فشكا ذلك الي وسألني مخاطبة عمه في أمره فقلت له في ذلك وأنكرت عليه

ابن عتبة أم خالد بن يزيد بن معاوية هي التي قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد ابن يزيد بعده وعمرو بن سعيد بن خالد ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز بن عبد الملك ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال أتكلمني يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بامه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه فشرب فلما استقر في جوفه

اعراضه عنه فقال لي ان الزبير فيه جهل وتسرع فاشر عليه ان يستعطف العلويين ويزيل ما في نفوسهم منه اما رأيت المأمون ورفقه بهم وعفوه عنهم وميله اليهم قلت بلى فهذا أمير المؤمنين والله على مثل ذلك أو فوقه ولا أقدر أذكرهم عنده بقبيح فقل له ذلك حتى يرجع عن الذي هو عليه من ذمهم قال اسحق بن ابراهيم المصعبي دعاني المعتصم يوما فدخلت عليه فقال أحببت ان اضرب معك بالصوالجة فلعبنا بها ساعة ثم نزل وأخذ بيدي يمشي الى ان صار الى حجرة الحمام فقال خذ ثيابي فاخذتها ثم أمرني بنزع ثيابي ففعلت ودخلت وليس معنا غلام فقمت اليه فخدمته ودلكته وتولى المعتصم مني مثل ذلك فاستعفيته فابى علي ثم خرجنا ومشى وأنا معه حتى صار الى مجلسه فنام وأمرني فنمت حذاءه بعد الامتناع ثم قال لي يا اسحق ان في قلبي أمرا أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة وانما بسطتك في هذا الوقت لافشيه اليك فقلت قل يا أمير المؤمنين فانما أنا عبدك وابن عبدك قال نظرت الى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة فافلحوا واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم قلت ومن الذين اصطنعهم المأمون قال طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت وابنه عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله وأنت فانت والله الرجل الذي لا يتعاصى السلطان عنك أبدا وأخوك محمد بن ابراهيم وأين مثل محمد وانا اصطنعت الافشين فقد رأيت الى ما صار أمره واشناس ففشل وايتاخ فلا شيء ووصيف فلا معنى فيه فقلت أجيب على امان من غضبك قال نعم قلت له يا أمير المؤمنين نظر أخوك الى الاصول فاستعملها فانجبت واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب اذ لا أصول لها فقال يا اسحق لمقاساة ما مر بي طول هذه المدة أيسر علي من هذا الجواب وقال ابن أبي داود تصدق المعتصم ووهب على يدي مائة ألف ألف درهم وحكي ان المعتصم قد انقطع عن أصحابه في يوم مطر فبينما هو يسير رحله اذ رأى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد زلق الحمار وسقط والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيعينه على حمله فسأله المعتصم عن حاله فاخبره فنزل عن دابته ليخلص الحمار عن الوحل ويرفع عليه حمله فقال له الشيخ بابي أنت وأمي لا تبلل ثيابك وطيبك فقال لا عليك ثم انه خلص الحمار وجعل الشوك عليه وغسل يده ثم ركب فقال الشيخ غفر الله لك يا شاب ثم لحقه أصحابه فامر له باربعة آلاف درهم ووكل به من يسير معه الى بيته

﴿ ذكر خلافة الواثق بالله ﴾

وفيها بويع الواثق بالله هرون بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه أبوه وذلك يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يكنى أبا جعفر وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس وفيها هلك توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتي عشرة سنة وملكت بعده امرأته تدورة وابنها ميخائيل بن توفيل صبي وحج بالناس جعفر بن المعتصم وحجت معه أم الواثق فماتت بالحيرة في ذي الحجة ودفنت بالكوفة

﴿ ذكر الفتنة بدمشق ﴾

لما مات المعتصم ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وافسدوا وحصروا أميرهم فبعث الواثق اليهم رجاء بن أيوب الحضاري وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل رجاء بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فواعدهم الحرب بدومة يوم الاثنين فلما كان يوم الاحد وقد تفرقت سار رجاء اليهم فوافاهم وقد سار بعضهم الى دومة وبعضهم في حوائجه فقاتلهم فهزمهم وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة وقتل من أصحابه نحو ثلثمائة وهرب مقدمهم ابن بيهس وصلح أمر دمشق وسار رجاء الى فلسطين الى قتال أبي حرب المبرقع الخارج بها فقاتله فانهزم المبرقع وأخذ أسيرا على ما ذكرناه

وقع يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بابي أنت حتى عند النزع لم تشتغل عني انه يوصيكم بي حتى هلك فكانت ايامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية أشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا المدة التي هلكت فيها بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك في سنه وكان قصيرا أحمر ومولده لسنتين خلتا من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر وقد ذكر ابن

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها توفى بشر بن الحرث الزاهد المعروف بالحافى فى ربيع الاول وعبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمى المعروف بابن عائشة البصرى وانما قيل له ابن عائشة لانه من ولد عائشة بنت طلحة وتوفى أبوه عبيد الله بعده لسنة واسمعيل بن أبى أويس ومولده سنة تسع وثلاثين ومائة وأحمد بن عبد الله بن يونس وأبو الوليد الطيالسى والهيثم بن خارجة وفيها سير عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى أرض العدو فلما كانوا بين اربونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بالعسكر وقاتلوهم الليل كله فلما أصبحوا أنزل الله تعالى نصره على المسلمين وهزم عدوهم وأبلى موسى بن موسى فى هذه الغزوة بلاء عظيما وكان على مقدمة العسكر وجرى بينه وبين جرير بن موفق وهو من أكابر الدولة أيضا شر فكان سببا لخروج موسى عن طاعة عبد الرحمن وفيها توفى اذفونش ملك الروم بالاندلس وكانت امارته اثنتين وستين سنة وفيها توفى محمد بن عبد الله بن حسان اليحصبى الفقيه المالكى وهو من أهل افريقية (شرطانية بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة وبعدها نون ثم ياء تحتانية ثم هاء)

﴿تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع أوله ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين﴾

أبى خيثمة فى كتابه فى التاريخ أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثمانى أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وأم عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرناهؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان وذلك أنه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر وأبا سفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذى لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبا بكر ومحمدا ويزيد وأم يزيد وأم عبد الرحمن ورملة وصفية]